59

W. Arthur Jeffery

COLUMBIA UNIVERSITY
THE
LIBRARIES
IN THE CITY OF NEW YORK

تغريبة بني هلال

ورحيلهم

الى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتى خليفه وما جرى لهم
من الحوادث اللطيفه الظريفه والحروب الهائله المخيفه

(وهى تحتوى على ستة وعشرون جزءاً)

الجزء الاول وهو يحتوى على قصة مغامس مع ابنة عمه شاة الريم
وزيادة امراءة هلال الى بلاد الغرب وهم مرعي ويحيى ويونس
وابوزيد ليث الحرب وحبس مرعي ويحيى ويونس
عند الزناتى فى تونس ورجوع ابوزيد الى الاطلال

(الناشر)

سعيد على الخصوصى

صاحب المطبعة والمكتبة السعيدية

بجوار الازهر بمصر

تطلب من مكتبة الفجر المصرى بالشمرلى باسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فلما كانت القصص والنوادر . موضوعة لافادة الناس وتسلية الخواطر لاسيما قصة بني هلال وماجرى لهم في سالف الاجيال والوقائع والاهوال . الى تشيب الاطفال . وقد بادرنا طبعها ثالثة من اولها حتى آخرها رحيلهم من بلاد نجد الى تونس الغرب واستخلاصهم تلك الممالك بالحرب وقتلهم الزناتي خليفة بعد حروب هائلة مخيفة فجاءت سيرة ظريفة مشتملة على نوادر واخبار لطيفة تلتذ بسماعها النفوس والاذان والله المستعان

انه لا يخفى اهل المعارف والآداب بان بلاد نجد كانت من اخصب بلاد العرب كثيرة المياه والغدران . والسهول والوديان حتى كانت تذكرها شعراء الزمان . بالاشعار الحسان وتفضلها على غيرها نظرا لحسن هواها وكثرة خيرها وفيها كانت منازل بني هلال في سالف الاجيال ومازالت على رونقها الاول حتى تغير قطرها واحل وانقطع عنها الحشيش والنبات وعم البلاء من جميع الجهات ولم يبد فيها شيء من المأكولات حتى صارت اهلها اكل الحيوانات واستمرت المجاعة سبعة سنين وذلك بعد الهجرة بار مائة سنة وستين ولما عظمت الاهوال واشتدت المجاعة على بني هلال اجتمعت منهم المشايخ والشبان وقصدوا مضارب الامير حسن ابن سرحان فدخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وقالوا له عن فرد لسان اعلم يا ملك الزمان بان الجوع قد اشتد وانقطعت المأكولات من بلاد نجد وان طال علينا الحال نموت من عدم وجود القوت فان لم ندارك الامر في الحال انقرضت جميع بني هلال وفقدت المواشي والاموال (قال الراوي) فلما سمع الامير حسن هذا الخطاب استعظم المصاب وكان عنده جماعة من السادات الامجاد والفرسان الصناديد منهم البطل الهمام وليث الآجام الذي شاع ذكره بين الانام وفاق اقرانه بطعن الرمح وضرب الحسام ابو زيد فارس الصدام والامير دياب بن غانم البطل المقاوم والقاضي بدير بن قايد السيد الماجد فاخذوا يتذاكرون في هذا الشان نحو ساعة من الزمان فاستقر رايهم على الرحيل من تلك الديار قبل حلول الدمار ثم قال الامير حسن لاكابر القوم قوموا بنا نتخفى ونتفقد احوال القبيلة في هذا اليوم فتنكروا في الحال حتى لا يعرفهم

احد من النساء والرجال وركبوا ظهور الجمال وطافوا في المضارب والخيام مدة ثلاثة ايام حتى داروا على اهل القبيلة فوجدوهم في ورطة وبلية ولم وجدوا من يدعيهم الى ضيافة لانه لم يكن عند احد عشا ليلة واتفق أنهم في اليوم الرابع أشرفوا على سهل واسع وفيه عدة مضارب وخيام وحواشي وخدام واميرشهير اسمه مفرج ابن نصير وكان المذكور واقفا عند الابواب وهو في حالة الذل والاضطراب وعيناه تذرف بالدموع من شدة الجوع فحيوه بالسلام وقربوه بالكلام وقالوا له يا السيد الكريم أتقبل ضيوف قد صدوك من أبعد اقليم من اكابر سادات العشيرة وأنضالك بين الناس معروفة شهيرة فخجل من حديثهم وكلامهم ولم يجد بدا من اكرامهم فقال اهلا وسهلا بالضيوف اشرفوا محلكم ولكم الفضل والمعروف فاجابوه الى كلامه ونزلوا عن ظهور الجمال ودخلوا الى خيامه وكان لمفرج زوجة يقال لها مي وكانت من اجمل نساء الحي فقال لها اذهبي الآن واقصدي بيت ابيك شيبان لعلك تجدين شيئا من انواع الطعام تاتين به الي ضيوفنا الكرام لانهم قصدونا دون باقي العربان وانوا من بعد مكان وليس عندنا شيئا من انواع المأكول واشار اليها يقول من فؤاد مبتول

يقول الفتى المدعو الامير مفرج ... ايا ابنة عمي قد اتانا ضيوف
فقومي واسعي بالعشا لا تطولي ... فلون وجهي قد غدا مخطوف
فدوري على الجيران واستقرضي لنا ... وروحي الى أهلك بغير كلوف
والا فروحي الامير مسلم ... فهو عمك صاحب المعروف
ايا خجلتي يازلتي يا ندامتي ... اذا ماجئت دا الطعام للضيوف

فلما فرغ من كلامه اجابته زوجته على شعره ونظامه

تقول فتاة الحي مي التي شكت ... ونيران قلبي زايدات وقود
ايا امير اهلي ماهم قط نجده ... ولا عندهم يا اميرشيء موجود
وعمي مسلم بالمساء كان داير ... على الحي من ضيفه بقي مكود
وجيرانا يكون من فرط جوعهم ... واولادهم يا امير بعد رقود
لكنني عن القصد عائقة ... واني اسير لنحوهم واعود
عسى ربي يفرج همومي جميعها ... ويقضي حوائجنا فانه معبود

(قال الراوي) فلما فرغت من كلامها سارت الى بيت ابيها فلما رآها ترحب بها

فاعلمته بالقصد والمرام وطلبت منه شيئا من الطعام فقال والله يا ابنتي انه ما دخل لبيتنا مدة ثلاث شهور واني خجلان منك فاعذرينا بالقصور فلما سمعت كلامه رجعت في الحال وأعلمت زوجها بذلك المقال وانشدت تقول وعمر السامعين يطول

تقول فتاة الحي مي التي شكت ... بدمع جري فوق الخدود وسجام
ايا ابن عمي استمع شرح قصتي ... غدوت الى أهلي مع الاعمام
وجدت ابي والعم يبكوا بحصرة ... واولادهم يبكون كلا يقام
بكوا حين شافوني دخلت لحيهم ... وما عندهم يا امير قوت طعام
حلف والدي ان الطحين وغيره ... ما دخل بيته من عهد عام
رجعت بقلبي قد غدا في حسره ... ونيران قلبي زايدات ضرام
فقم يا ابن عمي ودور على عامر ... وبيع الى ابنتك بدر التمام
بيع الثريا في عشا لضيوفنا ... واشري لعرضك لا تكون ملام
واحسبها ماتت كما مات غيرها ... ويا ما جرى يا امير على الانام
وعشى ضيوفك يا امير وعزهم ... تري الضيوف لهم حرمة وزود كرام
عسي الله الله العرش يفرج همنا ... بزيل العلا عنا مع الارهام
مقالات فتاة الحي مي التي شكت ... حرام على عيني لذيذ منام

(قال الراوي) فلما فرغت من شعرها ونظامها وفهم زوجها محتوى كلامها قال لها نعم الرأي والتدبير فقومي الآن اصلحي شانها والبسيها ثياب الحرير حتي أدور في القبيلة جميعها وأدلل عليها وابيعها فقامت والبستها أحسن ثياب وعطرتها بافخر الاطياب فتعجب الامير حسن وابو زيد ودياب وقالوا هذا الامر غريب وحادث عجيب ولكنهم صبروا وهم متحيرون حتى ينظروا ماذا يجري ويكون واما الامير مفرج فانه نهض في الحال وطاف بابنته في انحاء بني هلال وهو ينادي ويقول يا اهل الفضل والمعروف من يشتري ابنتي الثريا بعشاء أربعة ضيوف وكان كل من ينظر اليها ويتامل فيها ويتحسر على جمالها وحسن معانيها ويقول اذا اشتريناها ماذا نطعمها ونسقيها ولو لم يجدوا بوها من يشتريها رجع بها الى المضارب . وكان ذلك عليه من اشد المصائب . فقالت زوجته علام ما بعتها يا امير فقال لا يشتريها مني احد . لا بقليل ولا بكثير . فقالت له اذهب بها الي عند الامير حسن امير القبيلة فانه يشتريها منك ولو

عشا الليلة . فاخذها وسار وهو في قلق وافتكار فعند ذلك خرج الامير حسن من المضارب وانفرد وسار الى صيوانه بدون ان يراه احد من اهل الامير مفرج . واما الامير مفرج وابنته فلما دخل سلم عليه وقبل يديه واشار يقول من فؤاد مقبول

يقول الفتى المدعو الامير مفرج	فلي قلب موجوعا وزاد افكار
ايا اباعلى اسمع كلامي وقصتي	واصغي لمولى وافهم الاخبار
ايا اميرا تاني ضيوف جاز واحلنا	وداروا هلال كبارها مع صغار
وجاؤا لعندي يا امير أضفتهم	فهم أربعة أظنهم أمار
وما عندنا شيء بالبيت نقيتهم	ولا مرتج الدرد والاطيار
اخذت الى ابنتي ودرت نجوعهم	ودرت ميا منها ودرت يسار
فلم اجد منهم من يشتريها	واضيافي قد تركتهم بالدار
ايا امير ساعدني واجبر بخاطري	يجبرك الهي من عذاب النار
ايا امير سير هلال وعامر	وسير الى البلدان تكون عمار
فما عالما يا امير في نجد عيشه	علانا بها بعد البياض صفار

فلما فرغ مفرج من هذا الشعر ونظام طيب الامير حسن خاطره واحترمه غاية الاحترام وقال وحق الانام انه يصعب على أن اسمع مثل هذا الكلام لانه يخرج قلوب السامعين فلا حول ولا قوة الا بالله رب العالمين ثم امر له بقنطار من الطحين وأن يرجع بابنته الى خيمته فشكره على ذلك الاحسان ورجع بالصبية وهو فرحان ولما ابتعد وغاب عن المضارب بالقباب نهض الامير حسن العجل وتزيا بزيه الاول وركب مطيته وسار الى بيت مفرج فوصل قبله وأعلم الامير ابو زيد بما قاله له ولما وصل مفرج الى الخيام أعلم زوجته بما نالها من الانعام وبلوغ المقصد والمرام ثم قال لها قومي الآن واصنعي العشا حتى تاكل ضيوفنا ونتعشى فبادرت في الحال وعجنت قرصا كبيرا وخبزته بدون اهمال وقدمه مفرج الى الضيوف وهو فرحان ملهوف وقال بسم الله تفضلوا وكلوا ولا تؤاخذوا بالقصور فاني والله معذور فقال ابو زيد لو جلست معنا كنا في غنا عن هذا التعب والعنا لانه يوجد معي من الزاد ما يسد به رمق الفؤاد ثم مد يده الى الخرج وأفرغه على سفرة الطعام فشكره مفرج على ذلك الاهتمام وجلس معهم بياسطهم بالكلام ثم تركهم ورجع الى فراشه ونام واما هم فاقاموا الى طلوع النهار فركبوا مطاياهم وقصدوا جوانب القفار

ولما اقتربوا من وادي سلامة سمعوا صياحا وضجيجا مثل يوم القيامة فتقدموا على الاثر ليكشفوا حقيقة الخبر ولما صاروا في ذلك المكان وجدوا جمهورا من الرجال والشبان والنساء والصبيان وهم يصيحون من قلب موجوع من شدة الجوع فتقدم الامير حسن اليهم وقد شفق عليهم فطيب خاطرهم بالكلام وفرق عليهم جوايز الانعام ثم ساروا الى المضارب والخيام واستدعى اليه سادات القبيلة واكابر الجماعة وجعلوا يتفاوضون في امر الجماعة فاتفق رايهم بوجه الاجمال على أن يرحلوا من تلك الاطلال بالاهل والعيال وأن يذهب ابوزيد الى بلاد الغرب وتلك الديار فيجس الاحوال ويأتيهم بحقيقة الاخبار ثم يرحلوا باولادهم واثقالهم الى تلك الاقطار فقال ابوزيد للامير حسن كل ما استحسنتموه فهو جميل وحسن غير أنه لا خفاك أطال الله عمرك وبقاك ان المسافة بعيدة طويلة فيلزم ان يكون معي جماعة من سادات القبيلة فقال دياب هذا الامر من اسهل الامور فخذ معك من تريده من الجمهور فقال ابوزيد متى طلع النهار يوافق الله ما يشاء ويختار ثم عاد الى الخيام وهو في قلق واهتمام فنامت له زوجته على الاقدام وقالت له بكلام الدلال مالي اراك معبس الوجه يا ابا الابطال فاعلمها بواقعة الحال وكيف اتفق رايهم على ارساله الى تونس ولا يوجد من يعتمد عليه ليأخذه معه على سبيل المعاونة والمؤانسة وانى قد رهنت لساني مع القوم على أن أذهب في ثاني يوم فقالت له انني أرشدك على حيلة تتخلص بها من هذه السفرة الطويلة وهو أنك عند الصباح تدخل على الامير حسن وسادات القبيلة وتقول له بانك مستعد ان تذهب الى تونس بشرط ان يرسلوا معك الامير مرعي ويحيي ويونس فانهم من أبناء الاعيان ولا تسمح بهم أهلهم ان يتغربوا عن الاوطان وبهذه الوسيلة يكون عذرك واضح عند سادات القبيلة فاستصوب منها هذا الكلام وفي ثاني الايام ذهب الى عند الامير حسن فالتقاه بالاكرام والتبجيل وقال له هل استعديت على الرحيل فقال انني في غاية الاستعداد للذهاب الى تلك البلاد غير أني أريد ان يكون معي رفقا وأصحاب من سادات الاعراب لان المسافة بعيدة ومشقات الطريق شديدة فقال له الامير حسن خذ معك من تريد من الفرسان الصناديد فقال له أريد أن آخذ معي يونس ويحيي ومرعي لانهم يعاونوني في الطريق عند كل شدة وضيق وبهم يحصل النجاح والتوفيق وأعود اليكم سريعاً بلا تعويق فاستعظم الامير حسن هذا الطلب خوفا عليهم من التعب وكان يظن

بان ابوزيد يطلب من فرسان العرب ولكنه سمح له أخيراً ان ياخذهم معه الى تونس وفي الحال احضر ولده مرعي واولاد اخته ويحيى ويونس ثم حدثهم ذلك الخبر وفي اليوم الثالث تجهزوا للسفر وركبوا الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول واخذوا معهم مايلزم من المأكول والمشروب وركب الامير حسن بن سرحان في سادات القبيله واكابر الاعيان وساروا لوداعهم مدة ثلاثة ايام على التمام ولما عزموا على الرجوع الى الاطلال والربوع حكوا من نؤاد مقبول واشار ابوزيد يقول

يقول ابوزيد الهلالي سلامي ... ونيران قلبي زايدات اللهايب
وعيني من كثر البكا قل شوفها ... جرى دمعها من فوق خدي سكايب
اسمع كلامي يا امير ابوعلي ... وكن لقولي فاهما ثم حاسب
غدينا بعون الله جل جلاله ... نرود دروب الغرب ثم المغارب
وفي صحبتي مرعي ويحيي ويونس ... ومن اجلها اذا النجيع باكي وناحب
وعليا عيوني ياعرب في حيكم ... وصبرا ورياطويلات الذرائب
يابوعلي بالك عليهم من العدا ... اذا هاجت الفرسان بين المضارب
اودعتكم لله ربي وخالقي ... ومن يلتجي لله ماراح خايب

(قال الراوي) فلما فرغ ابوزيد من شعره ونظامه ونهم الامير حسن وباقي الامراء معاني كلامه تقدم حسن امام قواده وجعل يوصي ابوزيد بالاولاد ثم بكى وقال

يقول الفتى حسن الهلالي ابوعلي ... دمعي جرى من فوق خدي سكايب
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي ... يزيد لها بين الضلوع لهايب
لفرقة مرعى قلبي ذائبا ... وأصبحت كالسكران للخمر شارب
ويحيي ويونس اورعيني وضوها ... على بعدهم دمعات عيني سكايب
فارقتهم ما كان قصدي فراقهم ... ولكن احوجتني لذاك مطالب
ياهل مرعى اراه بناظري ... تزول ايام العنا والمتاعب
اياد هر ياغدار مالك غدرتني ... ففارقت خلاني وكل الحبايب
اودعتكم لله ربي وخالقي ... ومن اودعي الرحمان ماراح خائب
أوصيكم المزاح لا تمزحونه ... فانه باكثر الاوقات غير صائب
واذا اردتم تدخلون مدينة ... فيونس تراه يشتري ويحاسب

واذا جادلتم عالما بطريقكم فمرعى على ذاك الجدال يجاوبه
وابقوا ليحيي حارسا لجمالكم فانه سيحميها من الاعارب
ومن يم عليا فنورعيني ومهجتي وصبرا و ريا اعز كل الحبايب
وهذه وصاياي احفظوها جميعها فان كلامي كله قول صايب
وهذه مقالات الامير ابوعلي فقلبي ذاب من هول المصائب

فلما فرغ الامير حسن من هذا الشعر والنظام بكى كل من كان حاضرا في ذلك المقام من السادات الكرام ثم تقدمت بعده امرأته الست نافلة أخت الامير دياب رعي في بكا وانتحاب وجعلت توصي الامير ابرزيد بولدها مرعى وانشدت تقول

تقول فتاة الحي نافلة النما بكيت على الفرقه وماجري لها
ابوزيد لاتترك لمرعي وحده فان غاب مرعي عقلي غاب زوالها
وحافظ عليه في الصباح وفي المسا ودار به من الاخطار ثم وبالها
فكم رحلة من نجد الى حد تونس فاعلمني حتى أعد ليالها
فياليت نجد ارضها ما احملت ولاراح مرعي للمغارب جالها

(قال الراوى) فلما فرغت الاميرة ناله من كلامها وفهمت الامراء نحوى شعرها ونظمها أرثوا لحالها وعذروها على مقالها ثم تقدمت الاميره عمرة أخت الامير حسن امام الجموع وجعلت تودع ولدها يحيى وتقول من نؤاد موجوع وعمر السامعين يطول

تقول فتاة الحي التي شكت وقطران دمعي فوق خدي سكيبها
ابوزيد يحيى يا هلال بمرضكم فلاغير يحيي وسط قلبي حبيبها
ابوزيد لاتبطى علينا بغيبتك فارجع مع اولادنا من قريبها
ودعتكم بالله ربي وخالقي ومن اودعى الرحمن لايخيبها

(قال الراوى) فلما فرغت الاميره عمره من شعرها تقدمت الاميره سروة أخت الامير حسن وجعلت تودع ولدها يونس بهذه الابيات وتبكي على فراقه من الوطن

تقول فتاة الحي سروة التي شكت لفرقة رحيدى صار قلبي ذائب
وجيدى حديث السن ماذاق لوعة وماشاف بعده من امور متاعب
يريد بلاد الغرب ينظر لاهلها ويكشف أراضيها وتلك السباسب
ابوزيد يونس ماشاف ضيقه ولاشاف ضربات القنا والقواضب

الا يا سلامي نور عيني أخذتها وقلبي تراه في غيابه ذائب
ايارب يارحمن سهل طريقهم واحفظهم بي من كل النوائب

(قال الراوي) فلما فرغت الاميره سرورة من شعرها ونظامها وفهمت السادات فحوى كلامها تقدمت الامارا فودعوا اولادهم ثم رجعوا الى بلادهم وسار الاميرابوزيد يقطع البراري والقفار ويوصل سير الليل بسير النهار قاصدا تونس وتلك لديار واما الاميرحسن فانه عند وصوله الى الخيام جمع السادات والكرام وبعد أن تفاوضوا بالكلام طلبوا من الله أن يمن عليهم بالسلامه وكان ذلك اليوم عندهم مثل يوم القيامه ثم امر الاميرحسن بتغطية الكراسي باربع شبكات من الحرير وأن لا يجلس عليها سيد او امير وقال مرادي أكتب تاريخ هذه الزيارة حتى تبقى ذكراً لاهل القبيلة وتقرأها الناس على سبيل الافادة فاستدعى الاميرزيد بن مانع . وكان كاتم اسراره وكاتب الوقائع فلما حضر أمره بتقييد هذه الابيات في الدفتر . وأنشدها في ذلك المحضر

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي فذكري قد غدا في الكون شائع
بالجود والمعروف والفضل والعطا والانس واللطف مع حفظ الشرائع
وأني شريفه من سلالة هاشم حرائر كرام لابسات البراقع
كنا بنجد في سرور وفي هنا وفي عز عيش كان والشمل جامع
فمحلت أراضينا وكل بلادنا سبع سنين في فنا ومجاوع
فاول سنه اسودت الارض كلها وثاني سنه زادت علينا الوجائع
وثالث سنه نشف الجريد من الفلا وصار الشجر على الارض ممدود واقع
ورابع سنه هربوا المطايا من القرى وكل وحوش البر صارت تنازع
وخامس سنه انقرض النخل كله وعم الجوع في كل مواضع
وسادس سنه ذات هلال وعامر وكيف العمل والرأي في عام ساع
فارسلنا ابوزيد للغرب بالعجل ليذهب ويخبرنا عن تلك المرابع
فكانت سنة ستين من أربعمائة كتبها في الديوان زيد بن مانع
فيارب يارحمن اجمع شملنا وكن لدعانا مستجيب وسامع

فلما انتهى الاميرحسن من هذه الابيات والنظام . وسمعوها السادات الكرام استحسنوها غاية الاستحسان وسجلها زيدان بن مانع في الديوان لتبقى لهم ذكراً في

طول الزمان وكانت جميع النساء والبنات والامراء والسادات تدعو الرب السموات
في اكثر الاوقات وتطلب منه نجاح ابوزيد في تونس ورجوعه سالما الى الديار مع
مرعى ويحى ويونس هذا ما كان من امر القبيلة والامير حسن

وأما ما كان من ابوزيد فانه بعد رحيله من الوطن مازال نجدا في المسير حتي أشرف على
بلاد حزوة والنيرو هي بلاد كثيرة الخيرات واسعة الاراضي والجهات وكان الحاكم عليها
في ذلك الزمان ملك عظيم الشان صاحب أبطال وفرسان اسمه الديسي ابن مزيد فقصده
ابوزيد دون كل احد فدخل وسلم عليه وتمثل بين يديه ووقف مرعى ويحي ويونس
خواليه وقال اطال الله عمرك ورفع مقامك وقدرك فانك وحيد العصر واولى بالمديح
والشكر فلما سمع منه هذا الكلام رد عليه السلام وقال له احسنت فمن أي بلاد انت
قال نحن شعراء حجازيه نطوف في البريه فنقصد الامراء الاجاويد ونمدح الملوك
الاماجيد فنأخذ عطاهم وننقل ثناهم وهذا هو دأبنا في كل عام أيها الملك الهمام فقصدناك
الآن من ابعد مكان لنمدحك دون غيرك ونشكر فضلك وجزيل خيرك لاننا سمعنا
بجودك وكرمك ومكارم اخلاقك وشيمك هذا وجب قدومنا اليك وتمثلنا بين يديك
ومن الاتفاق الغريب والامر العجيب انا مررنا على نجد وتلك الاوطان ومدحنا
اميرها حسن بن سرحان فاجازنا بالجوائز السنيه وخلع علينا الخلع الملوكيه وتلك البلاد
الآن في غاية الضيق من شدة المحل وعدم وجود القوت والدقيق ثم ان ابوزيد بعد هذا
الخطاب عدل الرباب واشار يمدح الديسي ويعلمه عن احوال نجد بهذا القصيد

يقول الاديب بيوت من ألم الحشا ... النار في قلبي تزيد ضرام
من الهم والاحزان يا ماصابنا ... وعدنا بحال الذل واعدام
جفتنا منازلنا وكل بلادنا ... فصرنا ندور على ملوك عظام
اتينا الى نجد العدية وأرضها ... نزلنا بديوان الامير سلام
وديباب والقاضي بدير بن فايد ... امارا اصايل من فراع كرام
واميرهم حسن الهلالي ابو علي ... كرام الايادي من ملوك فخام
يا أمير اسمع كلامي وافهمه ... وكن لقولي فاهم الانغام
واعلم يقينا أن نجداً أصبحت ... بضيقة وشدة والامور عظام
وفيها الغلا والمحل يا فخر الورى ... فياذل من دهره اتى بسقام

واحاط الفنابهم من كل جانب وهدوا صواوين لهم وخيام
فودعنا امارا يامالك جميعهم وعدنا ندور على ملوك كرام
ركبنا مطايانا وجينا لفطركم وجينا لنحوكم نطلب الانعام
فجود علينا يا امير بمكارمك فانت اجل واعظم الانام
هذه مقالات الاديب على نقا فدم بزغد العيش مدا الايام

قال الراوى فلما سمع الدبيسى هذا الشعر والنظام وما حواه من الشرح والكلام أكرمهم غاية الاكرام وقال لهم مرحبا بكم يا وجوه العرب واهل الفضل والادب فانكم تستحقون الانعام والاحسان لانكم قصدتموني من ابعد مكان ثم انزلهم في احسن الخيام وقدم لهم المدام والطعام واقاموا عنده عشرة ايام وكان ابو زيد في هذه المدة قد عرف احوال البلاد وما فيها من العساكر والاجناد وميز مراكزها وجميع نواحيها وبعد ذلك ودع الدبيسى ورحل من ذلك البلد وهو قاصد بلاد المغارب ومدينة تونس وفي صحبته مرعى ويحيى ويونس وقد جدوا بالمسير وسابقوا بمسيرهم الطير الذى يطير وما زالوا يقطعوا البرارى والاكام مدة تسعة أيام على التمام وكانوا يستترون بالنهار ويقطعون الليلة تحت ظلام الاهتكار حتى وصلوا الى بلاد العمق وهى بلاد الامير غامس وكان وصولهم اليها في الليل الدامس ولما اقتربوا من الابيات سمعوا اصوات المولدات ودق طبول وزمور تدل على فرح وسرور فقال ابو زيد لاصحابه ابشروا بالخير بعد هذا التعب والضير فان اهل الحى مشتغلون بعرس لهم ومن الصواب ان نقصدهم ونصرف هذه الليلة عندهم ثم قصدوا المضارب والخيام تحت ستور الظلام

قال الراوى وكان السبب فى ذلك انه كان اخان اميران من اكابر الاعيان اسم واحد عامر والثانى ابو الجود وكانا موصوفين بالكرم والجود. وكان للامير عامر ولد اسمه مغامس جميل المنظر كانه القمر فصيح الكلام. معتدل القوام وكان لابى الجود بنت اسمها شاة الريم. وكانت فى الحسن على جانب عظيم. لا يوجد مثيلها في بنات الاقاليم فصيحة اللسان وبها كان يضرب المثل فى ذلك الزمان فاتفق أبو الجود على انه يزوجها بمغامس ابن اخيه لانه يحبه ويهاديه وهكذا تم الاتفاق وصار تقديم المهر والصداق

وكان لهذين الاميرين عدو من ملوك العربان يقال له نبهان فغار بجنوده ذات يوم على هؤلاء القوم فالتقاه ابو الجود والامير عامر بالابطال والعساكر وجرت بينهم

حروب تشيب الاطفال فى المهود انجرح فيها الامير عامر وقتل ابو الجود وكان للامير عبد من الشجعان الصناديد يقال له سعيد وكان يرعي الجمال بين الزوابى والتلال فلما رأى تلك التلال الحال وماخل بمولاه من الوبال . ركب على ظهر الحصان وهجم على نيهان وتبعته الابطال والفرسان بقلوب أقوى من الصوان ولم تمكن غير ساعة من الزمان حتى استطال عليه وطعنه بالرمح بين يزيه فالقاه قتيلا على الارض يختبط بعضه ببعض ثم انصب على جيش الاعداء فهزمها فى تلك البيداء و بعد ذلك رجع الى القبيلة بغناء جزيلة فالتقته النساء بالنشائد والمدح الزائد وشكرته الرجال على تلك الفعال واكرموه غاية الاكرام ورفعوا منزلته الى اعلى مقام وفي اليوم الثالث اشتد على الامير عامر الالم حتى صار فى حالة الخطر والعدم فاستقر رايه على ان يقيم عبده سعيد مكانه لبينما يكبر ابنه مغامس و يرتفع بين الناس قدره وشانه فجمع اكابر الديوان وقواد الفرسان واعلمهم بذلك الشان ثم احضر العبد سعيدا وقال له بحضور السادات الاماجيد اعلم ايها الفارس الصنديد بانى قد اقمتك مكانى ملكا على هذا الاقليم لبينما يكبر ابنى مغامس فتزوجه بابنة عمه شاة الريم و يصير هو الامير وتكون انت له من جملة الوزراء والاعوان ثم انه بعد هذ الكلام أشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى عامر على ماجرى له ... فقلبي قد اكتوى كي الجامر
مريض حزين موجع القلب والحشا ... اذا نامت الفرسان تلقاه ساهر
سبعين عاما عشتها فى مسرة ... وكنت على الابطال قادر
اتاني مغامس بعد شابت عوارضي ... ويوم اتاني قد عقرت العقائر
اتوني جموع البدو من كل جانب ... ولا واحد الا وقد جاء زائر
الا يا اكرام الحي قربت منيتي ... وقد صرت من اهل المقابر
اياقوم من بعدى سعيد اميركم ... وهو يعليكم على كل العشائر
بكيت على ابني مغامس و يتمه ... وفقدان خيلي والغنم والاياعر
الا ياسعيد العبد اسمع مقالتي ... وافهم كلامي انت بالدهر خابر
ربى مغامس ابن سيدك ودله ... واعطيه شاة الريم ان صار قادر
مغامس حديث السن ماذاق لوعة ... ولا شاف ضرب المرهفات البواتر

قال الراوى فلما انتهى الامير عامر من هذا الكلام بكى كل من كان حاضرا من

السادات الكرام" وقال سعيد الى مولاه انى سافعل ما امرت لاني عبدك وفي نعمتك قد انتشيت وكبرت ثم تفرقت العرب الى المضارب والخيام وبعد ثلاثة ايام شرب كاس الحمام فغسلوه ودفنوه بالوقار والاحترام . وبكى عليه الخاص والعام وفي اليوم الثاني جلس سعيد على الكرسي مكان مولاه الامير عامر واطاعته الاكابر والاصاغر وقواد الجيوش والعساكر فكان يحكم في القبيلة ويفعل ما يريد ولا يعترضه احد من السادات والعبيد حتى تمكن غاية التمكين وصار من جملة الملوك المعظمين فلما اشتهر امره وانتشر بين الناس ذكره داخله الطمع على اختلاس المملكة والقاء ابن مولاه مغامس في مهاوي التهلكة فاكان منه الا انه جمع الاعيان والابطال والفرسان وقال لهم على رؤس الاشهاد اعلموا ايها السادة الاجواد قد صممت الآن على طرد مغامس ابن سيدكم من الاوطان وارساله الى ابعد مكان فلا عدتم من الان فصاعدا تعاملوه بشيء مهما كان وكل من خالف كلامي ولم يمتثل الى احكامي قطعت رأسه واخمدت انفاسه . فماذا تقولون وماذا تجاوبون . فقالوا سمعا والف طاعة فاعتدنا نعامله ولا نتكلم معه من هذه الساعة لانك انت ملكنا واميرنا وحامي بلادنا واوطاننا فبينما هم في الحديث والكلام واذا بالامير مغامس قد دخل عليهم فحياهم بالسلام فلم يجسر احدهم ان يرد عليه الجواب خوفا من القصاص والعقاب . فتاثر من ذلك الامر واحترق قلبه بلهيب الجمر وعلم ان العبد سعيد مراده ان يختلس منه الامرية ويتملك على القبيلة بالقوة الجبرية فارتد راجعا على الاثر واعلم امه بذلك الخبر ثم بكى وتنهد وبعد ذلك انشد

يقول اليتيم الذى ضنا البين حاله ... فدمع عينى على الخدود قناه
فوا بي كواه البين والهم والقسى ... جفانى زماني والزمان شقاه
اذا رحت للديوان اجلس كعادتى ... رأيت سعيدا والعرب بجداه
فاعلم جميع الحاضرين بصحبته ... كلاما شديدا قاسيا فحواه
مغامس لا تلاقوه بالعز والهنا ... ولا تجلسوا وتتكلموا واياه
فسلمت ماردوا سلامي جميعهم ... وقد عدت في ضنك وعقلي تاه

قال الراوي فلما انتهى مغامس من شعره ومقاله رثت امه لحاله وقالت لله يكون معنا يا ولدى فاني خائفة من غدر هذا العبد الردى فانه نكر الجميل والمعروف وبادانا بالشر والمتلوف بعد ان كان راعي جمالنا وعبدنا وخدامنا فما انتهت من هذا

الكلام حتى اقبل عليها من عنده بعض الخدم يقول لها ان تذهب بابنها من تلك الديار قبل ان يحل بها الهلاك والدمار وقد ارسل اليك هذه الناقه الجرباء وهذه الشاة والشقة الممزقه على سبيل الاحسان والصدقة فاذهبي في الحال قبل حلول الوبال فبكت أم مغامس من هذا الكلام وتذكرت ايام زوجها وما كانت فيه من العز والانعام وعلو الجاه ورفعة المقام. ولكنها اجابت الامر بالسمع والطاعة ورحلت بابنها من تلك الساعة الى ان أشرفت الى وادعميق بقرب الطريق فاقامت هي وولدها هناك وهما في حالة الخوف والارتباك ثم نصبا لها خيمة من القش واغصان الشجر لتوقيهما من حرارة الشمس وضوء القمر وجلسنا في ذلك المكان تحت مشيئة الرحمن

قال الراوي هذا ما كان من امرهما وأما سعيد العبد الخائن اللئيم فانه كان قد ارسل يطلب شاة الريم وامر امها ان تجهزها لتلك الليلة وتصلح حالها حتى يدخل عليها ويحظي بحسنها وجمالها فلما سمعت شاة الريم ذلك الكلام كان عليها أشد من ضرب الحسام وجعلت تبكي مع امها على فقد مغامس ابن عمها لانها كانت تحبه وترغب قربه وللزاد عليها الحال انشدت تقول من فؤاد متبول

تقول شاة الريم من قلب حزين ... ودمع عيني فوق وجناتي غزير
كيف حالي واحتيالي يا عجوز ... من هموم الدهر يا بنت الامير
من بعد ابي وعمي قبله ... صار راعينا على رأس السرير
يريد ياخذني سريعا عاجلا ... فوجهه اسود وانا بدر منير
وقد طرد ابن عمي من الحما ... هو وامه في نكد ذاقو النكير
ماله مسعف ولا له معين ... ولا له مال وهو شاب صغير
يارب سعيد العبد اعدمه الحيا ... واكتب نصيبي في مغامس يا نصير

قال الراوي لما انتهت من كلامها وفهمت امها نحوى شعرها ونظامها قالت لها اعلمي ياولدتي ان الصبر مفتاح الفرج ولا بد ان نجد لهذا الضيق من خلاص ونخرج فاصبري على حكم الله وعلى ماقدره وقضاه وهذا العبد سعيد فانه جبار عنيد وشيطان مريد وقد ذلت له الفرسان الصناديد وابن عمك مغامس فقير الحال ليس له مال ولا رجال وان خالفنا له امرا اخذك غصبا وقهرا فمن الواجب ان تسمع كلامه ونمتثل اوامره واحكامه فلما سمعت شاة الريم من امها هذا الكلام صبرت على احكام رب

الانام وكان العبد سعيد قد صنع تلك الليلة وليمة لها قدر وقيمة جمع فيها بعض الاعيان واكابر الديوان فدقت الطبول ونفخت الزمور وقام في القبيلة الفرح والسرور وردقت المولدات بالدفوف ولعبت الفرسان بالرماح والسيوف فالمامس مغامس اصوات الطبول وصهيل الخيول قصد الحمى تحت ظلام الليل فعندما وقف على حقيقة الخبر طار من عينيه الشرار من شدة الوجد والغرام وزواج ابنة عمه بدر الغمام بذلك العبد بن اللئام فرجع في الحال واعلم امه بواقعة الحال فبكت شفقة عليها وتذللت بين يديه وجعلت تتلطف بخاطره وتقول الله كريم فلا بد ان تكون من نصيبك شاة الريم ثم جعلت تتوسل الى الله وتطلب منه المعونة والنجدة والخلاص من تلك الشدة

قال الراوي وكان بالامر المقدر وصول ابو زيد تلك الليلة الى الحلة كما تقدم الخبر وسمع اصوات الطبول والزمور والافراح والسرور فتقدم طالب الحمى بمن معه من الرفاق ومن غريب الاتفاق المستحق التسطير في الاوراق انهم مروا على ذلك الواد فوجدوا مغامس وامه وهما في حالة الانفراد وكان مغامس يبكي ويتحسر ويستغيث بزب البشر ويقول يا الله يا رحمن ارسل لنا ابو زيد فارس الميدان ليخلصنا من هذا الضيق العظيم ويجمع شملي بابنة عمي شاة الريم ومن شدة ما اعتراه عول ان يدفن نفسه وهو في قيد الحياة

قال الراوي وما اتم كلامه حتى صار ابو زيد امامه فسمعه يناديه ويستغيث فيه فتعجب من هذ الكلام وقال وحق رب الانام ان هذا من اعجب العجب لم يسمع بمثله بين العرب ثم تقدم اليه وسلم عليه وقال له من تكون ايها الانسان وما هو سبب اقامتك في هذا المكان ومن ابن لك معرفة بابو زيد فارس الفرسان حتى تستغيث به وتاج في طلبه فحدثه طرفا من قصته واعلمه بحاله وكيف ان ابا ما وصاه انه اذا وقع في شدة يطلب ابو زيد للمساعدة والنجدة فيأتيه الفرج بعد الضيق ويحصل على النجاح والتوفيق ثم قال له الغلام وانتم من تكونوا ايها السادات الكرام فقال ابو زيد انا من الشعراء وعادتنا مدح الملوك والامراء وقد امسى علينا الظلام ولا نعلم لنا من نلتجئ من الانام فقال تفضلوا وشرفونا أيها الضيوف ولكم الفضل والمعروف فنزلوا عن ظهور مطاياهم ودخلوا الى الخيمة وهم في حيرة عظيمة فاستقبلهم مغامس بالاحترام والوقار واضرم لهم النار ثم ذبح لهم الناقة في الحال ولم يكن عنده غيرها من النوق والجمال وجعل يبكي ويبدي للنحيب

و يترحب بهم غاية الترحيب وكانت امه قد طبخت الناقة بالعجل فقدمها لهم وقال كلوا واعذرونا لانؤاخذونا فاكلوا وهم يتعجبون من قصة الغلام وفرط كرمه وأدبه وشيمه ثم اعلمهم بواقعه حاله على التمام والكمال وماجرى عليهما من عبدهما سعيد الخائن المحتال فاستعظم ابو زيد الامر ورآه من غرائب الدهر وصمم على مساعدة الغلام وقتل سعيد ابن اللئام و بعد العشا جعل ابو زيد يدق على الرباب و ينشد الاشعار و يسلى الغلام بالنوادر والاخبار و يهون عليه الامور الكبار وما زال على تلك الحال حتى راق مغامس بعد ما كان ايس واتفق بينهما في انشراح وسرور وانراح از احد عيان سعيد العبد قد فقد له بعيرا فى تلك الليلة فذهب يدور عليه خارج القبيلة فجاء طريقه على تلك الوادى الذى نازل فيه مغامس فسمع صوت الرباب وكلام فصيح وخطاب فرجع على الاثر واعلم سعيد بما سمع ونظر ثم انشد هذه الابيات امام الامراء والسادات

مقالات الفتى المدعو عميرة ... الا ياامير قلبي فيه هادس
اني قد ضاع مني بعير فاطر ... وقلبي لاجله يا امير هاجس
وقد طفت الجبال مع الروابي ... فجاءت دربي على خيمة مغامس
وفيها النار تشعل يا ملكنا ... وحرل النار شمار جوالس
عليهم هيبة تزهو بحسن ... وملبوس اثياب من الاطالس
وفيهم عبد في يديه ربابه ... ينقلها على رابع وخامس
فلو طفنا البلاد لما رأينا ... نظير صفاتهم ايضا اشاوس
الا ياامير احضرهم لعندك ... واسمع قولهم يا ابو الفوارس
هنيئا الذى يسمع غناهم ... ومثلك من يكون لهم مجالس
فان خالفني ياامير تندم ... وشاة الريم ياخذها مغامس
مقالات الفتى المدعو عميرة ... فقلبي من بحور اللهو غاطس

(قال الراوى) فلما سمع سعيد هذا الشعر والنظام فهم فحوى الشرح والكلام علم ان قوم من الشعراء الذين يدورون على الملوك والامراء في طلب الفضه والذهب والمعاش والمكسب خدثته نفسه ان يستدعيهم لاتمام الافراح وزيادة البسط والانشراح فارسل فى طلبهم جماعه من السودان ليأتوا بهم من ذلك المكان منهم مرجان وسلمان وابو علوان وفسوان وضريطان وابو حمدان فساروا الى ان وصلوا الى امام

ابو زيد فنهض لهم على الاقدام وقال لهم اهلا وسهلا باولاد الاعمام الذين يشربون البوظه ويأكلون الطرطوزه فشكروه على هذا الاكرام الشديد وقالوا قد بلغ خبر قدومكم مولانا الامير سعيد فارسلنا لنحضركم اليه في الحال وابشروا بالانعام الاموال فودعوا العجوز وساروا مع العبيد قاصدين الامير سعيد وكانوا حاملين في ايديهم الرباب ومتقلدين بالسيوف من تحت الثياب حتى وصلوا الى المضارب والقباب فدخلوا على سعيد فوجدوا عنده جماعة من السادات الاماجيد وهو متكي على ظهره كانه فحل الجاموس ومنتظر قدوم العروس فسلم ابو زيد عليه ووقف بين يديه فلم يرد عليه جواب ولا اكترث بكلامه ولكنه رفع له رجليه وبحلق في وجهه عينيه وكان سعيد بدون لباس فانكشفت عورته امام الناس فتأثر ابو زيد من فعله وقد صمم على قتله لكنه صبر الى النهاية وكان له في ذلك غاية ثم التفت سعيد الى ابو زيد واصحابه وقال لهم في خطابه اني رأيت منكم العجب كيف تكونون من شعراء العرب واصحاب الفضل والادب وتتركون زيارة الامير وتقصدون عجوزا لا قدر لها ولا شان فقال ابو زيد اطال الله عمرك وزاد في مقامك وقدرك انا ما اتينا الى هذه القبيلة الا لنمدح جنابك ونتشرف بساحة اعتابك غير ان وصولنا كان في الظلام وكنا قاصدين ان نزور حضرتك في ثاني الايام الى ان ارسلت في طلبنا الان مع الغلمان فحضرنا حالا امتثالا لامرك العالي فلا زالت ايامك في سرور وأفراح على طول الايام والليالي . فلما انتهى ابو زيد من مقاله جلس على يمينه وجلس مرعي وبجي ويونس عن شماله وكان عند جلوسه التي ساعده على فخذ سعيد بقوة وعزم شديد فتألم سعيد من من تلك الحركة وقال لا مرحبا فيك ولا حللت في قدومك علينا البركة قائل الله اباك وامك فما اثقل دمك فقال ابو زيد لا تؤاخذنا فانا ضيوفك كثر الله خيرك ومعروفك فقال هاتوا ما عندكم الان من الاشعار الحسان فاذا كانت معانيها جميله اجزتكم بالعطايا والتحف الجزيله فقال ابو زيد اسمع كلامي وتامل في شعري ونظامي ثم انشد هذه الابيات بحضور باقي السادات

يقول الحجازي والحجازي سلامه ... ارى الدهر يغدر بالملوك الافاضل
ياحيف اهل العز ولي زمانهم ... ومن بعدهم حكمت اولاد الارازل

يالهف قلبي على ملوك قد مضوا حكم بعدهم في الناس خدام عاطل
انا ناصر الايتام بالسيف والقنا وطعن الاعادى فوق ظهر الاصايل
انا منصف المظلوم جابر خاطره انا فارس الفرسان مردى الحجافل
انا ازوج الزينات لابناء عمهم وابعد عنهم كل خبيث مماطل
فلا خير فى عبد علا فوق سيده ولا خير في من يغدر اهل الفضائل
فلا تحسب ان الدهر يصفى لظالم ولا بد ماارديك بطعن الزوابل

(قال الراوى) فلما انتهى ابو زيد من هذا القصيد اغتاظ منه سعيد وقال له ماهذا الكلام الغليظ الشديد يا اخس العبيد فلولا سواد لونك كنت قطعت رأسك واحمدت انفاسك فاجلس مكانك واكفينا شرك ولسانك ودع غيرك يطربنا بالكلام يابن اللئام فعند ذلك التفت مرعي اليه وقال له لا تواخذه ولا تغضب عليه فانه من جملة العبيد ايها الملك السعيد الذين لا يعرفون مقام الملوك ولا لهم خبرة بحسن التصرف والسلوك فان كنت تريد غنيتك الان بقصيد يستحق الانعام ومزيد الاكرام فتزيل اكدارك ويبتهج افكارك فقال سعيد هات ماعندك فاشار مرعى يقوله

قال الفتى مرعى بقلب اشتكى عميت عيون المير من كثر البكا
هذا كلامى فيك يا امير الملا يامن على اعلى الوسائد متكى
انت السعيد وزال سعدك عاجلا كيف يا ملعون تاخذ ستكا
انى مدحتك في بيوت جيده والسيف في وسط القراب تحركا
اسمع كلامى ياسعيد وافتهم ماعاد لك ملجا ولا لك مسلكا
لابد ماادعو مغامس ياسعيد ياخذ لشاة الريم ويرغم انفكا

(قال الراوى) فلما فرغ مرعي من كلامه وشعره ونظامه اغتاظ سعيد الغيظ الشديد وصاح على الجلادان يقطع رأسه ويخمد انفاسه فعند ذلك اعتذر اليه يحيى امام الحاضرين وكبار السادات والمقدمين وقال له لا تواخذهم من هذا القبيل ايها الملك الجليل فانهم اناس بها ليل لا يعرفون مضمون الكلام ولا يميزون بين النور والظلام ولكن ان اردت الان فانا امدحك بابيات حسان ماسمعها احد الا وزال عنه الهم والاحزان لانها تشرح الصدور وتجلب الافراح والسرور فقال هات ماعندك لعن الله اباك وجدك فاشار يحيى يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى يحيي على شرح ماجرى ... فلي قلب زاد اليوم بالاوجاع
وسيفي يحلف ماصاح يوم كريهه ... الا الى روس العدا قطاع
ركبت طريق الجود طفلا عن صغر ... على اشقر عالى طويل الباع
ربيت على يد الامير ابو علي ... خالى وفي يوم اللقا نفاع
فمنا ابو زيد الهلالى سلامى ... وكم كل عاصى الى سلامى طاع
اياسعيد الدهر خوان بايق ... فكم قد هدم من حصون وقلاع
و ياما هال من كل قرم غشمشم ... واخرب قصور الظالمين بساع
ياحيف على الخيل الجياد من الردى ... على ظهرها سود الوجوه شناع
ياحيف شاة الريم تحظي بخائن ... ردى اللبن اسود ذميم طباع
ترى الدهر از رى بالملوك الذى مضوا ... وخلا الاراذل صاريين رفاع
اياعبد تحكم فى مغامس وتطرده ... وامه حزينه بيتها بالقاع
وما كنت ياغدار ترثي لحالهم ... وهل اليوم تحكم على الجميع بساع
ولابد شاة الريم تاخذ مغامس ... وانت تقاسى همومها واوجاع
وخليك ياطنجير ملقى على الثرى ... وتاكل عظامك ياسعيد سباع
لانك غدرت بحق سيدك ... وتركته فى ذلة ونزاع
مقالات الفتى يحيي تخاصم من طغي ... فلا بد منا مانشوف صداع

(قال الراوى) فلما فرغ يحيي من شعره ونظامه وفهم سعيد فحوى كلامه زاد عليه الحال واستعظم ذلك المقال وصاح على الجلاد بقطع رأس الثلاثة شعراء قصاصا لهم على ذلك الافتراء فنهض يونس على الاقدام واعتذر اليه بالكلام وقال له لاخفاك يامالك الزمان ان هؤلاء الشعراء من اوباش العربان لانهم تكلموا بحضرتك بما لايليق من الكلام فلاعتب عليهم ولاملام فان اردت الآن انشدك ابياتا ماسمعها قط انسان الااستحسنها غاية الاستحسان فانها تشرح بالك وتقطع اوصالك وتلعن ابوسبالك فلما سمع هذا الكلام وكان سكرانا من كثر شرب المدام لايفرق بين النور والظلام فقال باركالله فيك انشدنى وخذ منى مايرضيك فان صدرى ضاق وقلبي يحدثنى بالفراق فانشد يونس يقول وعمر السامعين يطول

قال يونس من فؤاد التهب ... والدمع من عيني غدا هطالها

هذا كلامي فيك ياامير المالا ... الله يعطي نفسنا آمالها
اني امير بالحروب مجرب ... مني تشيب من الحروب ابطالها
اني امير مثل صارم في اللقا ... اطعن بيمينها وشمالها
ماعدت تنجو ياسعيد العبد لا ... والروح منك في حسامي زوالها
عندك فرس بيضا قبالك و قفه ... فاذا مشت رن القدم خلخالها
حسنا مليحه مارأينا مثالها ... في لطفها و ظرفها وكمالها
طول الرديني كانها عود القنا ... فقت على كل انسا بجمالها
الشعر منها مثل ليل اسود ... وعيونها مثل الغزال نخالها
ياحسن الخلخال فوق كعابها ... الله يرحم عمها مع خالها
اياك تقربها وتاتي صوبها ... ترديك في ضرب جوز نعالها
فكان روحك ياسعيد بيدها ... واما مغامس بالروى خيالها
هي بنت عمه مايريد خلافها ... حاشا لمثلك ان يشوف خيالها
ارجع عن الزينات واسمع كلمتي ... اني نصوحك لاتكون هزالها
مقال الفتي اسمع ياسعيد ... ابوزيد قبلك كم ملوك أزالها

(قال الراوي) فلما فرغ يونس من شعره و نظامه فهم سعيد فحوى كلامه عظم عليه الامر وتوقد قلبه بلهيب الجمر وقال لهم قد أحضرناكم بالتمام حتى تطربون بالشعر والنظام وتاخذون مني الجوائز والانعام ولكنكم أسأتم الادب وخرجتم عن سنة العرب وتكلمتم بمالا يليق امامي ولا اعتبرتم قدري ومقامي فلابد من قتلكم على هذا الاحراق وكلام الزور والنفاق . فلما انتهى من هذا المقال التقاه ابوزيد مثل سبع الاجام وضربه على رأسه بالحسام فقتله في الحال واوردته الحمام ثم انه هجم على باقي العبيد وتبعه يحيى ومرعي ويونس الفرسان الصناديد ولم تكن الا لحظة من الزمان حتى انزلوا بهم الهوان ومسحوهم بالسيف الهندوان و بعد ذلك جمع ابوزيد سادات القبيلة والوجوه الكبار وقال لهم هاقد قتلت هذا العبد الغدار وجماعته الاشرار لانهم طغوا وتجبروا فماتوا واتقبروا فلارحم الله العبد اللئيم والوغد الذميم لان مراده كان استخلاص المملكة من هذا مغامس اليتيم واخذ ابنة عمه شاة الريم مرادي الآن أقيمها امير مكان ابيه فماهورايكم وماذا تقولون فيه قالوا هو ابن مولانا وقد رضيناه علينا اميرا نحن جميعنا عبيده وطوع

يديه ولا نبخل بار واحنا عليه فعند ذلك ركب ابو زيد الحصان وركبت معه الابطال
والفرسان والسادات والاعيان وقصد الامير مغامس الى ذلك المكان ومعهم الطبول
والدنوف وهم سائرين صفوف حتى وصلوا اليه فسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وأعلمه
ابو زيد بوقعة الحال وكيف أنه قتل ذلك العبد المحتال ففرح مغامس بهذا الخبر وزال عنه
القلق والضجر ثم أحضر له الحلة مع أمه بموكب عظيم وزفوا عليه ابنة عمه شاة الريم
واجلسه على الكرسي مكان ابيه وصارت العرب تمدحه وتهاديه لانه كان ميت فماش
وتخلص من ايدى أولئك العبيد الاوباش فشكر ابو زيد ومرعي ويحيى ويونس على
ذلك الصنيع وتعجب من ذلك الاتفاق الذى لم يسمع مثله فى التواريخ والجامع واراد
ان يمنعهم عن السفر الى تونس وان يبقوا عنده فيزيد فرحهم بهم ويستانس فقالوا ابو زيد
لا بد عن سفرنا وها أنت أمنت من الخطر ثم قام ابو زيد فى الحلة ثلاثة ايام فى فرح
وسرور وغبطة وحبور وبعد ذلك ودع الامير مغامس وسار مع مرعى ويحيى ويونس
قاصدين مدينة تونس وهم يجدون فى قطع الروابى والتلال املا ببلوغ الامال والرجوع
الى الاطلال وما زالوا على تلك الحال مدة خمسة ايام ووصلت بنى هلال الى مكة المشرفة
وقلوبهم الى زيارة المصطفى متلهفة وبعد ان زاروا القبر والمقام رادوا واجبات الوقار
والاحترام اجتمعوا فى شكر الشريف بن هاشم المنعوت بالشرف والمكارم وهو زوج
الجازية أخت الامير حسن وأعلموه السبب فى خروجهم من الوطن فترحب فيهم
واكرمهم غاية الاكرام واقاموا عنده مدة ستة ايام وكانت الجازية من أفرح اهل الدنيا
بمشاهدة ابو زيد ويونس ومرعى ويحيى ثم انهم ركبوا وساروا ولو كان لهم أجنحة
لطاروا وما زالوا يقطعون البراري والآكم حتى اشرفوا الى بلاد الاعجام بعد عشرة ايام
فدخلوا اليها فى النهار ودراوا فى أثناها حتى اختبروها غاية الاختبار وعرفوا عدد اهلها
وسكانها واسم ملكها واميرها ثم دخلوا الديوان ومدحوا الملوك بنفائس الاشعار
الحسان وبعد ذلك رحلوا من تلك الديار وجدوا فى قطع القفار وارصلوا سير الليل بسير
النهار حتى وصلوا الى بلاد التركمان فدخلوا على ملكها الغضبان ومدحوه بالقصائد الحسان
فاكرمهم غاية الاكرام وأجازهم بنفائس الانعام ومن هناك ركبوا الخيول وجدوا فى
قطع البراري والسهول الى ان وصلوا الى عند الحفاجي عامر حاكم بلاد العراق وتلك
البراري والآفاق ﴿ انتهى الجزء الاول من تغريبة بنى هلال ويتبعه الجزء الثانى ﴾

الجزء الثاني من غريبة بني هلال وهو يحتوي على رحيل ابوزيد ويحيى ومرعي ويونس من عند الخفاجي الى بلاد الزناتي ورجوعهم الى الاوطان ورحيل بني هلال جميعهم الى بلاد الغرب

(قال الراوي) وكان رجلا كريم الاخلاق ندخلوا سلموا عليه وتمثلوا بين يديه فرد عليهم السلام وأجلسهم بجانبه في صدر المقام واكرمهم غاية الاكرام ثم ان ابوزيد اخذ يمدح الخفاجي عامر بهذه الابيات على مسامع الامراء والسادات

يقول الاديب قصيد من ألم الحشا ... وعقلي تراه قد غدا محتار
وعيني من كثر البكا قل شوفها ... جرى دمعها فوق الخدود غزار
بكيت وبكاني زماني وهانني ... وأصبحت عريانا بغير ستار
أياخفاجي استمع شرح قصتي ... واصغى الى قولي مع الاخبار
جفتنا أراضينا من المحل والغلا ... سبعة سنين تقصف الاعمار
اكلنا الضفادع والجرادين كلها ... وصرنا على وحش الفلا نندار
فصارت اكابرنا وكل قرومنا ... يبكوا ودمعات العيون غزار
وصرنا ندور على الملوك جميعهم ... ونقصد اجاويدنا واخيار
سمعنا بجودك أنت يافخر الملا ... مربي اليتامى في سنين عسار
فجئنا لنحوك نستظل بظلك ... ياقارس الفرسان يامغوار
فهذي ترى احوالنا ومقالنا ... ودمعي جرى فوق الخدود غزار

(قال الراوي) لما انتهى ابوزيد من شعره ونظامه وفهم الخفاجي عامر فحوى كلامه استحسنه غاية الاستحسان وأجارهم بالجوائز الحسان ثم قدم لهم الطعام فشكروه على هذا الاهتمام وأقاموا عنده ثلاثة ايام في عز واكرام ثم ودعوه وجدوا في قطع البراري والآكام ومازالوا يقطعون الصحراء حتى وصلوا بعد عشرة ايام الى حلب الشهباء وكانوا قد تعبوا من مسافة السفر فنزلوا عن خيولهم واستظلوا تحت أغصان الشجر وكان ذلك المكان داخل بستان

قال الراوي وكان امير المدينة في تلك الايام رجلا عالي المقام ممدوحا من الخاص والعام اسمه الامير بدريس وهو رجل لطيف انيس وكان له وزير عاقل خبير اسمه الخزاعي وهو صاحب رأي وتدبير فاتفق ذات يوم أنه خرج في جماعة من القوم قاصد

الصيد والقنص واغتنام اللذات والفرص فمر بذلك البستان فوجدا بوزيد ومن معه من الاعوان فتقدم اليهم وسلم عليهم وسالهم عن احوالهم وعن بلادهم وأطلالهم فنهض ابوزيد على الاقدام وتكلم معه بافصح كلام وقال أطال الله بقاك وبلغك غاية مناك انا شعراء اتينا من بلاد الشرق قاصدين الملوك واكابر الخلق وسمعنا بجودك وكرمك ومحاسن أخلاقك وشيمك فقصدناك الى هذا المكان املا بالانعام والاحسان لانك فريد الزمان واولى بالمديح والشكران ثم انه عدل الرباب وانشد هذه الابيات

قال الاديب بيوت من الم الحشا ... ونيران قلبي زايدات اللهايب

اسمع كلامي يا امير وافتهم ... وكن لقولي فاهما ثم حاسب

جفتنا اراضينا من المحل والفلا ... وحلت بنا بعد السرور متاعب

وبعد ذلك قد دهتنا فوارس ... ميتين الف فوق خيل اطايب

ففاروا علينا يا امير بجمعهم ... ودار وا علينا موكبا وكتايب

قتلوا فوارسنا وسبوا عيالنا ... وخلوا نسانا راخيات الذوائب

وساقوا سوق الغنم من بلادنا ... وعدنا ندور على بلاد الاغارب

فاكرم علينا يا امير فاننا ... صرنا بحال الذل بين الاعارب

(قال الراوى) فلما انتهى ابوزيد من هذا الشعر والنظام شكره الخزاعى على هذا الكلام وقال له اعلموا ياشمار العرب وأصحاب الفضل والادب إنني الخزاعى وزير جدريس امير حلب فاقصدوني نهارغدا الى المدينة وأنا اخلع عليكم الخلع الثمينة فيزول عنكم العناء وتنالوا القصد والمنى ثم تركهم وسار وجد يقطع القفار بمن معه من الانفار وبعد أن غاب عنهم وابتعد أرسل ابوزيد الامير يونس الى البلد ليأتيهم من المأكل والمشرب لانهم كانوا في غاية الجوع والتعب فسار بالعجل وجعل يدور فيها ويتامل فى اسواقها وحسن مبانيها ثم رجع بالطعام قبل دخول الظلام واخذ يشرح لابوزيد عن حسن المدينة وعما شاهد فيها من القلاع الحصينة وقال له فى آخر الكلام اعلم يافارس الصدام انها من اظرف المدن والبلدان نظر آلما فيها من الابنية والحوانيت الحسان لاسيما الطافة اهاليها وكثرة الفاكهة الموجوده فيها فلما سمع مرعى باوصاف مدينة حلب تعجب وقال لابوزيد الراى عندى الآن ان نرجع الى الديار والاوطان وناتى بقومنا الى هذا المكان ونعيش بالراحة والامان فقال ابوزيد لا بد من المسير اولا الى تونس ثم صبر الى الليل وبعد ذلك

وركب مع جماعته مرعى ويحيي ويونس وجدوا في قطع البراري والآكام ومروا بحماه وحمص وطرابلس حتى اشرفوا على مدينة الشام وكان الحاكم عليها في ذلك الزمان ملك عظيم الشان اسمه شبيب التبعي بن مالك بن حسان وكان عالي الهمم موصوف بالجود والكرم فدخلوا اليه وسلموا عليه فصار ابو زيد يمدحه بهذه الابيات يقول وعمر السامعين يطول يقول الاديب قصيد من الم الحشا بدمع جرى فوق الخدود سجام

وعيني تبات الليل ما تالف الكرى وتراقب نجوم الطالعه بظلام

محلت اراضينا وقد قل خيرها وصرنا ندور على الملوك عظام

سمعنا بجودك ياشبيب التبعي ايا فارس الفرسان يا مقدام

اتينا نزورك من بلاد بعيده ونعود في عز مدى الايام

وتثنى بذكرك في البلاد جميعها فانت مغيث القوم يوم صدام

فجود علينا بالمكارم والعطا فانك كريم من اباء كرام

واصرف زمانك بالسرور والهنا على طول الدهر والاعوام

(قال الراوي) فلما انتهى ابو زيد من هذا الشعر والنظام اكرمهم شبيب غاية الاكرام وأخلع عليهم الخلع العظام واقاموا عنده ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ودعوه وساروا ولو كان لهم أجنحه لطاروا الى ان صلوا الى القدس الشريف مدينة الانبياء ومحل التبريك والتشريف واقاموا بها يومين ومنها ساروا الى مدينة غزه ودخلوا على حاكمها السركسي بن ازب فمدحوه بنفائس الاشعار واعتبرهم غاية الاعتبار واقاموا عنده عشرة ايام في اعزاز واكرام الى أن عرفوا امراكر المدينة وما فيها من السكان والقلاع الحصينة ثم جدوا في قطع البراري والقفار والسهول والاوعار حتى وصلوا الى العريش ودخلوا الى حاكمها البدوي بن راشد فمدحوه بالاشعار والقصائد واقاموا عنده ثلاثة ايام في انبساط واكرام ثم ودعوه وجدوا في قطع البرية حتى وصلوا الى مصر العديمة وتلك الاراضي البهية فقصدوا ملكها الفرمند بن متوج ودخلوا عليه وتمثلوا بين يديه ومدحوه بنفائس الاشعار فالتقاهم بالترحاب والوقار واقاموا عنده ثلاثة ايام في اعزاز واكرام ولما اختبروا أحوال البلاد وعرفوا ما فيها من عساكر وأجناد ودعوه وساروا قاصدين بلاد الصعيد وبلاد المغارب الى أن وصلوا الى عند الماضي بن مقرب ودخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه ومدحوه بالاشعار فاعتبرهم غاية الاعتبار واقاموا عنده عشرة

ايام فى اعزازوا كرام، وكان هذا الرجل من اعلى الناس همما واوفاهم عهودا وذمما واتداهم جودا وكرما يكرم الضيوف ويجود بالالوف وهو الذى ذكره العالم النحرير والمؤرخ الشهير صاحب العلوم والفنون عبد الرحمن بن خلدون فى كتابه (العبر وديوان المبتدا والخبر) وقال انه كان فى الجود والمكارم أسخى من جعفر وحاتم وسوف ياتى ذكره بعد الآن ونشرح عز مزايا الحسان

(قال الراوى وفى اليوم الحادى عشر تاهب ابوزيد للسفر فودع الماضى وكل من كان حاضرا وسار مع جماعته يقع لهم كلام

(قال الراوى) واتفق ان جماعة من شعراء العربان كانوا قد قصدوا بلاد نجد ومدحوا الامير حسن بن سرحان بالاشعار الحسان كما جرت العادة فى ذلك الزمان فاجازهم بالعطايا الجميلة والمواهب الجزيلة وكان من جملتها جارية من بنات الحى اسمها سعدى فشكروه على هذا الجميل والاحسان ثم ساروا قاصدين بلاد الغرب وتلك الاوطان حتى وصلوا الى تونس الخضراء ومدحوا الزناتى خليفه وياقى الوزارة فاحسنوا اليهم وأنعموا عليهم ثم باعوا تلك الجارية الظريفه الى سعدا ابنة الزناتى خليفه وكانت هذه سعدا من اجمل البنات لطيفه الذات قد اتصفت بالانس والمحاسن وشاع ذكرها فى جميع الاماكن تجيز الاداء وتنادم الملوك والامراء ذات أدب وفضل ولها معرفة بضرب الرمل فاتفق انها سالت تلك الجارية ذات يوم عن سبب وقوعها فى ايدى أولئك القوم فاخبرتها بالقضية وكيف أن الامير حسن اوهبها لهم على سبيل الهدية فقالت لها وهل يوجد نظيرى بين نساء العرب فى الحسن والادب فقالت لها نعم ياصاحبة الجود والكرم انه يوجد بين الامم من شبهك فى الظرف والجمال ومكارم الشيم وحسن الخصال وهو بطل الابطال وزينة الرجال الامير مرعى بن مولاى حسن امير بنى هلال فلما سمعت سعدا منها هذا الكلام تعلق قلبها فى مرعى وهام لان سمع الاذان تعشق فى الاكثر قبل مشاهدة العيان فقالت لها سعدا اذا كان كلامك هو حقيق فاوصفيه على التحقيق فاشارت هى تقول

تقول فتاة الحى هى الذى شكت ... فدمعى جرى من مقلة العين ساكب
ياست سعدا اسمعى شرح قصتى ... ومن بعد قولى تنظرين العجائب
ولو تنظرى ياست سيدى يحيى ... فتمشى طول عمرك فى التعاجب
ولو تنظرى ياست يونس مره ... فنظرة فى يونس تزيل المصائب

ولو تنظري ياست مرعى بنظرة نظره على نظره فتسلى الغرايب
له وجه مثل البدر عندا كماله وخدين تشابه ساطعات الكواكب
له خد احمر والعيون نواعس وكالسيف ماضي قعلته والحواجب
وطوله كعود الزان لو كان مائل وأحسن هلال عامر والاعارب
فما شفت مثله فى الانام جميعها ايا ار قلبي زايدات اللهايب

قال الراوى فلما انتهت مى من هذا الشعر والنظام وفهمت سعدا فحوى هذا الوصف والكلام قالت لها هل تسمح باترى الايام وتبلغنى القصد والمرام وذلك بقدوم مرعى ويحيى ويونس الى مدينة تونس لقد تعلق قلبي بهواهم ولا يمكن أن اسلاهم قد خطبنى عدة أمراء وجماعة من الملوك والوزراء فلم يرغب ابي بهم ولا اجابهم الى طلبهم وقد بنى لى هذا القصر الكبير وفوض الى زمام الامر والتدبير ثم انها بعد هذا الخطاب والكلام أنشدت تقول هذا الشعر والنظام

تقول سعدا بنت امير تونس الايام والدنيا تسوى العجائب
لقد كنت فى عز واهنا عيشة انام وأصحى نوق أعلى المراتب
لقد جار دهرى وزادت مصائبى وصرت ذليلة بين كل الاقارب
ولى ثمان عشر سنة فى حال شدة وفى الذل والاهوال من كل جانب
أتوا يخطبونى من السند والرها ومن الهند حتى ومن بلاد المغارب
ومامن امير الا قد قصد لبلادنا يقرى مراسيه ويرتد خايب
حلف أبي انلا يزوجني احد ولود فعوا له مال المغارب
وقد بنى لى هذا القصر رغبة مزين البنيان مرفوع الجوانب
عتبته من الفضة الرو باض والذهب والباب صندل من خاص الخشائب
وعمل خرستانات من خاص ماصنع شبابيك حديد وزادت عجائب
ولما بنى هذا القصر فى الحى والوطن جعل فراشه من حرير الرطائب
وعلق داخلة ستين جوهرة فى الليل يضوى مثل ضو الكواكب
ولما بنا البنا القصرى وهندسه اعطى له من المال ما كان طالب
وهذى تريها قصتى ومقاتى ودمعات عينى فوق خدى سكايب

(قال الراوي) فلما فرغت سعدا من شعرها ونظامها وفهمت مى فحوى كلامها

جعلت تسليها بانواع الكلام وتقول لها عليك بالصبر يا بنت الكرام فما بعد الصبر الا الفرج وبلوغ المرام فقالت لها سعدا قومي بنا نتنزه في البستان وانا اضرب هناك الرمل انظر احوال اسيادك الذين ذكرتيهم الى الآن فان قلبي قد تعلق بهم غاية التعليق ومرادي ان اعرف اخبارهم على التحقيق ثم اخذتها معها الى البستان وكان من احسن المتنزهات وهناك ضربت الرمل وولدت البنات من بطون الامهات حتى تاكد لها ذلك الخبر جهراً وعرفت بالامور التي سوف تجري وبينما هما في الحديث والكلام اقبل عليهما العلام وكان هذا الرجل من سادات الانام وابن عم الزناتي خليفه ونائبه في معاطاة الاحكام صاحب معرفة وعقل ومن اخبر الناس في ضرب الرمل وكان يتردد على سعدا في اغلب الايام لانه من جملة الاهل وبني الاعمام فسلم عليها فردت عليه السلام واستقبلته بالترحاب والاكرام فجلس بقربها وكان قد عرف ما في قلبها لانه كان قد ضرب الرمل في ذلك النهار وظهرت له حقيقة الاخبار فاعلمها بافكارها وكشف لها اسرارها فطلبت منه ان يكتم ذلك الخبر ولا يبح به لاحد من البشر خوفا عليها من الضرر وقالت له اريد من فضلك يا ابن عمي ومن هو كاشف همي وغمي ان تعلمني متى حضروا هؤلاء القوم فاني بانتظارهم في كل يوم فاجابها الى ذلك الطلب ووعدها بالمساعدة على بلوغ الارب ثم ودعها وسار طالبا الصيد والقنص وبقي ثلاثة ايام ثم رجع الى داره بالسلام (قال الراوي) هذا ما كان من سعدا وابن عمها وما وقع بينهما من الحديث والكلام واما ما كان من البطل الهمام والاسد الضرغام ابو زيد فارس الصدام ومن معه من السادات الكرام فانهم كانوا قد جدوا في قطع الروابي والاكام مدة عشرة ايام حتى وصلوا الى تونس وقت الظلام فباتوا خارج المدينة وفي اليوم الثاني صاروا يتاملون في مبانيها فوجدوها متينة وابراجها حصينة كثيرة القلاع قوية الدفاع انهارها غزيرة وخيراتها كثيرة فجعلوا يدورون حواليها ويتصرون كيف يكون الهجوم عليها فاتفق انهم دخلوا في بعض الايام الى بستان وكان كفردوس الجنان فاستتروا تحت اغصان الشجر وكانوا يقطفون ويأكلون من الثمر فبينما هم على تلك الحال اذ اقبل عليهم العلام وجماعة من الابطال قد ارسلهم الزناتي ليقبضوا عليهم ويقيدوهم بالاغلال حيث كان بلغه خبرهم من بعض الفرسان بانهم في ذلك البستان فداروا بهم من اليمين والشمال فلما نظرا بو زيد تلك الفعال استعد للحرب والقتال وهجم عليهم كالسبع وضرب بالسيف في

ذلك الجمع فقال منهم عدة رجال ومددهم على الرمال ثم تكاثرت عليهم العساكر والجنود واحاطوا بهم احاطة الدمالج فى الزند وقبضوا على مرعى ويحيى ويونس فى الحال واوثقوهم بالقيود والاغلال لم يقدروا على ابوزيد فى الحرب والقتال فعند ذلك تقدم اليه العلام على انفراد وقال له من تكون من العباد وماهو سبب مجيئكم الى هذه البلاد فقال ابوزيد انا شعراء من بلاد الشرق وعادتنا أن نمدح الامراء والاكابر الخلق فسمعنا بكرم الزناتى خليفة وباخصه الله به من الشمائل اللطيفة فقصدناه من بلاد بعيدة لاجل هذه الغاية الوحيدة وكان وصولنا مساء أمس البلدة فبتنا فى هذا المكان من حيث اننا غرباء ولا نعرف احدا الى ان اشرفتم بجمعكم علينا واوصلتم أذاكم الينا بدون ان نعلم المقصود وانا اسمى محمود واسم جماعتى شداد وحماد ومسعود فقال له العلام لقد كذبت فى المقال وتكلمت بكلام المحال ما انت الا الاميرابوزيد صاحب المكر والكيد واما رفقائك فهم مرعى ويحيى ويونس وقد اتيتم الى بلادنا لتزوروا بلادنا تونس ثم بعد هذا المقال أنشد وقال يقول الفتى العلام عما جرى له ... الايام والدنيا تروى العجائب

فنحن الملاحم يا سلامه تدلنا ... من عهد تبع أرخت فى الكتايب
عندى خبر بطلوعكم من أرضكم ... يوم الخميس العصر والريح طايب
فودعكم حسن الهلالى ابوعلى ... بمدة سبعة ايام والظعن سايب
ثانين اميرا الذى قرروا القاتحه لكم ... وأهدوها لمن هو عالم بالمصائب
فجئتم الى ارض الديسمى بن مزيد ... وقصدتموه دون كل الاعارب
وجئتم بلاد العمق فى حال سرعة ... قتلتم سعيد العبد بين المضارب
وجئتم على شكر الشريف بن هاشم ... فرش لكم خاص الحرير الوطايب
ودرتم بلاد العجم من كل ناحية ... وجئتم الى الكوفة وتلك السباسب
وجئتم بلاد التركمان جميعكم ... فدرتم اراضيها من كل جانب
وجئتم الى ارض الخفاجى عامر ... ابودوابه وهو قايد العرايب
قطعتم حلب من خوف تعلم صفاتكم ... قطعتوها والليل راخى غياهب
وجئتم الى عزه بلاد خصيبة ... مدحتم ملكها السركسى بن نازب
وجئتم الى مصر بن يعقوب يوسف ... مدحتم ملك فرمند بن الاطايب
ولو تعلم يابوزيد ماذا يصيبكم ... لبكيت عمرك لدموع السواكب

فتؤخذوا للشنق عشرين مرة ... وأنا أخلصكم بحد القضايب
يحوش الزناتي الثلاثه رفاقك ... وانت تعود في وسيع الكتايب
فتجمع رجالك ياهلالي سلامه ... مثل الجراد المنتشر في السباسب
اربع تسعينات ألوف عدادهم ... يابو مخيمر يا قليد المرايب
تسعين المسمى الهلالي ابوعلي ... لطيف المعاني والليالي حدايب
وتسعين للماضي بدير بن فايد ... وتسعين الزغبي دياب المحارب
وتسعين من زحلان قومك وعزوتك ... أمارا وممدوحين بين الاعارب
تطيب لكم من نجد الى قاع تونس ... فلما تخشوا الى بلاد المغارب
يحيكم ابوسعدا الزناتي خليفه ... يخلي دماكم على الاراضي سكايب
ومن بعدها ياتي دياب ويقتله ... زراق في عينه يقد القضايب
فخذ برسي واذهب ورود بلادنا ... وروح ورودها شرقها والمغارب
وان كلموك الحميريه فقل لهم ... أنا شاعر العلام ذاك المحارب
انا شاعر العلام يامن يكلمك ... أخلي لساني تغدى فيه شطايب

فلما فرغ العلام من المقاله امر الفرسان بالهجوم عليه فقال امسكوه ولا تؤذوه فتطبقت الفرسان على ابوزيد من اليمين والشمال حتى قبضوا عليه وأخذوه مع باقي اصحابه الى عند الزناتي المشار اليه وصحبتهم العلام المذكور لان الضرورة أحوجته لذلك الامور وذلك امتثالا لطاعة الزناتي بن عمه لانه لا يقدر على مخالفة امره وحكمه ولما دخلوا بهم عليه تمثلوا بين يديه وقالوا اعلم ياموانا ان هذا العبد الذي حاربنا ودهانا وقتل منا ابطالا وفرساناً فاغتاظ الزناتي وتكدر من هذا الخبر. فقال لابوزيد من تكون من الغربان ياخس السودان قال نحن شعراء نقصد الملوك والامراء فنمدحهم ونأخذ الانعام ونحصل على بلوغ المرام وهذا هو راينا في كل عام نسمنا بكرمك ومحاسن شيمك قصدنا من بلاد العرب طمعا بالفضة والذهب وبحيث اننا من الاعراب ليس لنا في هذه الناحية اصدقاء ولا احباب ولا سبق لنا تعب وضيق من مشقات الطريق فدحلنا الى ذلك البستان لناخذ لانفسنا راحة يامالك الزمان ثم نقصد جنابك العالي وباقي السادات والموالي فاحاطت بنا العساكر مع الاهالي وداروا علينا يامولانا قاصدين قتلنا واذا اقتضى انا دافعنا عن أنفسنا بقدر الامكان الى ان وقعنا في قبضة الاسر

والهوان وقد عرضنا قصتنا عليك وفوضنا امرنا اليك فأمر بما تشاء وتريد ايها الملك السعيد فلما سمع الزناتي هذا الكلام ابدى الضحك والابتسام وقال لهم يا مناجيس ما انتم الا جواسيس اتيتم لتدوروا البلاد وتعرفوا احوال العباد ثم تذهبوا وتاتوا بالعساكر والجمع الوافر فتتملكون بلادنا واراضينا وتتحكمون بجموعكم فينا هذا هو السبب الذي قادكم الينا وحملكم على القدوم والهجوم علينا لابد من قتلكم يا اوغاد على رؤوس الاشهاد جزاء على هذه وتكونون ما كلا للوحوش الكاسرة

(قال الراوي) وكان الزناتي قد وقف على الخبر اليقين من المنجمين ودهاة الرماليين وبعد مفاوضات طويلة مع ارباب المجالس استقر الراي على شنق ابوزيد ومرعي ويحيى ويونس فاخذ العسكر هؤلاء الاربعة وكانت الناس عليهم مجتمعة ولاجل التقادير مروا بهم من تحت قصر الاميرة سعدا وكانت في ذلك الوقت جالسة تتفرى فلما سمعت ضجيج العسكر قامت مع جاريتها لتعلم ما الخبر فطلت الجارية راسها من الشباك وهي في حيرة وارتباك فلما امعنت فيهم النظر اعتراها الهم والكدر وقالت لمولاتها اعلمي يا زينة الدنيا ان هؤلاء الثلاثة هم مرعي ويحيى ويونس واما هذا العبد الرابع فهو ليث الوقائع الاميرابوزيد فارس المعامع فلما سمعت سعد امنها هذا الكلام تبدل نهارها بالظلام لانها كانت تعلقت بحب مرعي دون باقي الانام فصاحت على الجلادين والعساكر المحافظين وقالت لهم ارجعوا الى عندابي بهؤلاء العرب واياكم ان تقتلوهم فيحل بكم العطب واني ساتبعكم على الاثر لاقف على حقيقة الخبر فلما سمعوا كلامها وفهموا قصدها ومرامها اجابوا امرها بالطوع والامتثال ورجعوا بهم في عاجل الحال وذلك لما يعهدون من علو منزلتها ونفوذ كلمتها ثم ان سعدا بعد ذلك الخطاب لبست افخر الثياب وتعطرت بالاطياب وسارت الى عندابيها في جماعة من حواشيها وكان ابوها جالسا في الديوان ومن حوله الوزراء والاعيان فدخلت وسلمت عليه وقبلت يديه فنهض لها قائما على الاقدام واحترمها غاية الاحترام واجلسها بجانبه في صدر المقام ثم سالها عن كيفية احوالها وعن السبب الذي اوجب انزعاج بالها فقالت قد بلغني من الاعوان بانك امرت بشنق جماعة من شعراء العربان اتوا قاصدين جنابك من ابعد مكان طمعاً بالانعام والحصول على بلوغ المرام فما كان جزاهم الا القتل والاعدام عوض الاحسان والاكرام فلما سمعت بهذا الكلام انزعج الى وتغيرت أحوالي لاني أعلم

أن هذا الحال يكون سببا للقيل والقال بين سادات الرجال و ينسبوك الى البخل والغدر و يتكلم فيك زيد وعمر فامرت العساكر والحافظين ان يتوقفوا عن قتل هؤلاء المساكين لبينما آتي اليك وأقص هذا الحديث عليك فلما سمع أبوها هذا المقال أعلمها بواقعة الحال وقال لها ان هؤلاء الرجال ما قصدوا هذه الديار والاطلال الا ليريدوا البلاد و يقفوا على اخبار العباد ثم يذهبوا و ياتوا بالعساكر والاجناد و يستخلصوا ديارنا بالحرب والجلاد وهذا هو السبب يا منتهى الارب وصاحبة الفضل والادب فما فعلت لا الصواب لانهم يستحقون القتل والعذاب فقالت اذا فعلت ذلك تعيرك جميع دول الممالك لانه لم يثبت عليهم ذنب لحد الآن ولا يوجد عليهم ولا برهان كما ترى يا مالك الزمان وانا اشور عليك بحسب فكري أن تحبس هؤلاء الثلاثة شبان في قصري و يكونون تحت طوعي وامري وترسل ذلك العبد الى بلاده بلا اهمال في طلب الفداء والمال فان أحضر ذلك يصير فكهم من الاعتقال وتكون انت معذور عند جميع الرجال فقال لها وحق الاله الرحيم اني خائف من هذا العبد اللئيم لانه فارس شديد و بطل صنديد ثم اخذا يتنادمان بهذا القصيد

يقول ابو سعدا الزناتي خليفه ... فمقلي تراه قد غدا محتار
اتوني جواسيس من الشرق عاجلا ... أماره أصايل من فروع كبار
ونزلوا على ارض لنا و بلادنا ... قسرنا بحيرة والامور عسار
وفيهم ترى عبداً كبار شفافه ... له ضرب يقطع صخرها وحجار
ايا نور عيني كيف انعل بعبدهم ... أطلقه ثم أحبس الامار
اتتني سعدا مثل شمس منيرة ... لها وجه يضوى مثل نور القمار
وقالت أرفق يا أبي بامرك ... ترى الظلم يخرب كل دار عمار
أيا سعدا كيف العمل فيما جرى ... اياء لمة بالمكتب والاسرار
ايا سعدا قلبي من العبد خايف ... فعينه في وجهه كشهب النار
ايا ابي هذا كان بصاص في بلاده ... على كم ترشوف الناس عيونه كبار
ايا سعدا قلبي من العبد خايف ... اشوف شفافه لكثرة القول كبار
ايا ابي هذا كان عشي في بلاده ... على كم ترذوق الاكل برون كبار
ايا سعدا قلبي من العبد خايف ... اري كتافه لابس الدروع دبار

ايا ابى هذا كان ملا فى بلاده على كتر حمل الماء كتافه كبار
ايا سعدا قلبى من العبد خايف أرى رجليه لوخز الركاب كبار
ايا ابى هذا كان ساعى فى بلاده على كتر المشى رجليه كبار
ايا سعدا قلبى من العبد خايف ارى كفرفه لطعن الرمح كبار
ايا ابى هذا كان فران فى بلاده على كتر ق الخبز كفافه كبار
فامسك جياد القوم واترك عبدهم يخبر الى سيده بما قد صار
فيحضر لنا مالا ونوقا كثيرة وياتى بخيل ملاح كثار

قال الراوي فلما فرغ الزناتى من هذا الشعر والنظام أجاب سعدا الى ذلك المرام فاخذت الاربعه انفار وسجنتهم عندها فى الدار على عيون النظار ثم أخذت من الطعام ما يكفيهم جميعا ونزلت اليهم سريعا فاجتمعت بمرعى فى اول الامر وقالت له كل ولا تخبر احد بل احفظ ذلك بالسر ثم فعلت بيحيى ويونس وقالت ليونس ان يرسل لها ابو زيد فلما حضر قدمت له شيئا من الطعام فشكر ها على هذا الاهتمام ثم انه قسمه الى سبعة أقسام فسالته عن سبب ذلك فقال لها اعلمى يا زينة الملك وبدر الليل الحالك انى انا وجماعتى اربعة وانت والجارية اثنتان على التمام والحصة السابعة سأحزمها بحزام وارسلها الى ابة عمى عليا فى الظلام وكان ابو زيد يقول هذا الكلام وهو متوقف عن اكل الطعام فقالت له سعدا ما لا تتغذى فتنهد من فؤاد متبون وانشد يقول

اذا اكلت انا وجاعت جماعتي فادعى على حالى بضرب الصفائح
وان جعت انا واكلت جماعتى واحمد ربى وهو كريم مسامح
اياست زادانني يكفى ثلاثة ويكفى اربعة ياست والكل راجح
ويكفى الخمسة من اجاويد حينا ويكفى استة من هلال السمائح

فضحكت سعدا من كلامه واعجبها فحوى شعره ونظامه ثم انه بعد ذلك الكلام اخرجتهم من الحبس واحضرتهم الى عندها وقدمت لهم الطعام واخذت تحادثهم بالكلام وتسالهم عن احوالهم وعن بلادهم واطلالهم فقال ابو زيد نحن من جملة الشعراء نقصد الملوك والامراء فنمدحهم بنفائس الاشعار ونرجع الى الديار بالدراهم والدينار فقالت انكم تعلمون الحقيق مع انني عارفة باحوالكم على التحقيق فاخذت تعلمهم

جسفرهم وما جرى لهم فى الطريق والسبب فى قدومهم الى تلك الديار بهذا القصيد الذى يستحق الاعتبار

قالت سعدا بنت امير تونس ... بدمع جرى فوق الخدود غزار
ضربت تخت الرمل عشرين مره ... ومن بعدها شفت الحروف جهار
عرفتكم وعرفت اسم أميكم ... وعرفت اساميكم بلا انكار
ان مشير القوم أمير عامر ... حسن بن سرحان الامير جهار
وهذا مرعى وذاك يونس ويحى ... وانت ايوزيد فارس الافطار
فمحلت اراضيكم وقد قل خيرها ... فجيتم لتونس لتكشفوا الاخبار
فقالوا يا بو زيد ترضاك رائد ... نرود بلاد القيروان عمار
خذت لهم سمعا والفين طاعة ... اريد ثلاثة من فروع كبار
اريد الفتى مرعى ويحى ويونس ... امارة اصايل من فروع كبار
فجاؤا ثلاثتهم اليك كانهم ... اسود كواسر طالبين قفار
فمن يوم فارقتم نجد وارضها ... فانى اقتفى منكم الاثار
ركبة مطاياكم وسرت بسرعة ... قصدتم مكة والنبى المختار
وجزتم حلب ليلا فى حال سرعة ... وردتم حماه وحمص بوسط نهار
وجئتم بلاد الشام جزتم بلادها ... وجئتم الى القدس الشريف جهار
مررتم على غزه وقطيه وغيرها ... و بلبيس جزتوها بلا انكار
وجئتم الى مصر بن يعقوب يوسف ... مررتم على نيل الصعيد مرار
مررتم على الماضى فحيا ركابكم ... فرش لكم بيت الضيافة ودار
لكم ميت ليلة سائرين بعجلة ... وعشرة ليالى كامله بنهار
ولا بد ماتاني هلال بن عامر ... من الشرق في جميع غزار
باربع تسعينات الوف عديدهم ... كذا دل الرمل بالاخبار
بحرف الالف تاليف عدتكم ... أربع تسعينات الوف راكبين مهار
والياء بدت سبل بن سرحان ابو على ... بهجن تلافيها قطار قطار
والتاء ترى فى محل نجد وأرضها ... سبعة سنين كاملات عسار
والجيم جئتونا تريدوا بلادنا ... وناخذ لقومك صحة الاخبار

والحاء حبي ثم غرامي بحبكم وحبي لمرعى قد كواني بنار
والخاء خليناك ترجع وتثني تجيب لنا مال وما تختار
والدال دل الرمل عندي بان لي بان بلاد القيروان دثار
والذال ذل الرمل تملك بلادنا وتخلونا من ارضنا وديار
والراء رايتكم تجوا يا سلامه على أصابل تقطع الاقفار
والزاء زلزات البلاد باهلها وكل امير يخجل الاقمار
والسين سرتم من بلاد بعيده قطعتو انفضا والسهل والاوعار
والشين شديتوا المطايا الارضنا وكم دار قطعتوها بعقب نهار
والصاد صدنا كم على غير خاطر وعدتم بقاع السجن يا شعار
والضاد ضربتم في جموع زناتي وابى من فعالكم عدا مختار
والطاء طفتوا الارض ردتم بلادنا وابصرتم البلدان وكل ديار
والظاء ظني انكم تملكونا وقولي وظني هو صحيح جهار
والعين عيني نحو مرعى تطامت فاشعل في قلبي لهيب النار
والغين غيب نجعنا من قبالكم ونجم ابي واقف عليه غبار
والفاء فارقتم لنجد وأهلها وجئتم الينا تكشفوا الاخبار
والقاف قبلتم كل معنى كلامكم وقلتم معاني اطيب الاشعار
واللام لميتم رجال لحينا وجئتم الينا تملكوا الاقطار
والميم مال القلب في حب مرعي ولولا مرعي ما نظمت أشعار
والنون نلقاكم على خيل ضمر وكل ردينى اسمري خطار
والهاء همل دمعي مما أصابني على شان مرعى انكويت بنار
والواو ولت خيلنا من رجالكم وتبقى تونس والديار قفار
والياء يبقى علمكم فوق علمنا باذن الله الواحد القهار
وانى وحق الله ما أخون عهدكم ولو قطعوني بالسيوف نثار

قال الراوى فلما فرغت سعدا من كلامها شكرها الاميرابو زيد وجماعته على حسن اهتمامها وباتوا تلك الليلة في سرور وانشراح ولما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح أمر الزناتي باحضارهم فلما حضروا وتمثلوا بين يديه قال لابو زيد اذا طلقناك الآن تاني

بقد اجماعتك من الاوطان فكم يوم تغيب عنا وماذا تجيب لنا فقال أغيب نحو ثلاثة شهور وأجيب لك اربع مئة الف مدرع مشهور فقال وما هو مرادك من المدرع أيها البطل الصميدع فاخرج الامير ابوزيد من جيبه قطعة من الفضة الخاص وانتقى من الرواص وقال هذا هو المدرع يا زينة الممالك تفرح الزناتي بذلك وقال له اذهب بامان الى الاوطان فقال اعطني عدة حرب وحصان لان الطريق مخطرة والاراضي موعرة فاعطاه ما طلب وبعد ذلك ودع الزناتي وذهب وجعل يدور البلاد ويطوف في المدائن حتى أشرف الى وادي الغابين وذلك الاماكن فوجدها كثيرة المياه والنبات متسعة البراري والفلوات تصلح للحرب والقتال ومرعي النوق والجمال ثم سار من هناك الى قابس ومنها الى عين دروس فوجدها احسن محل لامتلاك تونس وقد تعجب من خيرات تلك البلاد وكثرة مافيها من الايراد وماشاهد من البلدان الكثيرة والمياه والبساتين الغزيرة فانشرح خاطره وطابت سرائره

هذا ما كان من ابوزيد البطاح واما مرعي ويحيي ريونس فاخذتهم سعدا لعندها وبقوا في سرور وافراح وبسط وانشراح اما الامير ابوزيد فانه دار جميع البلاد وعرف جميع السهول والوهاد ورجع ليرى احوال الاولاد ولما دخل الى قصر سعد القاه مطلي بالرصاص وكان الوقت نصف الليل فارعدت الدنيا وابرقت حتى قام الاولاد من من نومهم وعادوا يذكرون بلادهم ويبكوا بكاء شديدا وصار مرعي ينشد ويقول

يقول الفتى مرعى على فقد أهله ... وقد لاح لي برق من الشباك

وهيج اشوقي بوجدي ولوعتي ... بابرق من نجد ما احلاك

ياشوق قلبي الى نجد المديا ورعها ... ايا برق من نجد هيجتني سناك

بلغ سلامي للحبائب كلهم ... بلغ سلامي لهم يابرق الاملاك

خد قصتي بنجد واسرع لاهلها ... وبلغ عن مرعى الذي اوصاك

وقل لحمن يامعدن الجود والنخا ... يامن عطاك لبديها وسراك

وقل لمرعى ويحيي ويونس ... بحبس الزناتي ياأمير هلاك

موكل عليهم ياأمير غواشم ... عبيد أجونا غاربين عداك

ولولا الصغيرة كان راحت رواحنا ... وشارت هي ضد الاملاك

وقالت لنا قوموا طيبوا واشربوا ... ياأمير مرعى ربنا اعطاك

ياهاترى ابو زيد يوصل بلادنا ويخبر قومنا كيف صار غلاك
ابوزيد لاتلهيك عليا رتنشغل وحاشاك عن طرق الردى حاشاك
سالتك يارحمن ياسامع الدعا يامن جميع الخلق فى مرعاك
بعيسى بموسى بالنبي محمد خلصنا ايامن تسجد له الاملاك

قال الراوى فلما فرغ مرعى من قصيده وكان ابوزيد واقف تحت القصر يسمع نشيده ثم نظر الطراشى فتتح له ودخل الى عندهم وسلم عليهم فقالوا له اين كنت يا ابوزيد الى الآن انت باقى في تونس ونحن نقاسي أشد الضيق فقال لهم انى تهت عن الطريق وقد صممت الآن على السفر واتيت لوداعكم ثم تقدم وودعهم واوصى سعدا بهم ووعدهم برجوعه اليهم في أقرب وقت ثم بكوا بكاء شديدا وتقدم الامير مرعي وأشار يودعه ويوصيه بالسلام ويقول

يقول الفتى مرعي عين وجيعة ونيران قلبي زايدات الدمايم
فسر بالسلامه ياهلالى سلامه فالله لايريك عمرك غم ثم
فاذا وصلت الى ارضنا و بلادنا فسلم على اهلى وكل الاكارم
وسلم على أبي حسن الدريدي وسلم على الزغبي دياب بن غانم
وسلم على شيحا الاميرة وقل لها لتدعى لنا بالشمل انه ملايم
ياخال جد السير واستغنم السفر فما فاز يا ابوزيد بالشكر نايم
اياخال لاتلهيك عليا فتلهى وتتركنا فى حبس كله ظلايم

قال الراوى فلما فرغ الامير مرعى من كلامه وابوزيد يسمع نظامه فقال له لايكون لك ادنى فكر لانى سابذل الجهد فى تخليصكم ثم ودعهم وسار رعيناه تذرف بالدموع من جراء ما أصابه واصابهم وسار يقطع البرارى والقفار ويوصل سير الليل بسير النهار مدة عشرين يوما حتى أقبل الى ارض الصعيد فدخل على الماضى بن مقرب واخبره بما جرى له من الاول الى الآخر فبكى الماضى بكاء شديدا ثم انه قى بضيافته نحو يومين ومد ذلك ودعهم وسار يقطع البرارى والقفار مدة عشرة أيام حتى وصل الى نواحى حلب فجلس تحت ظل شجرة هناك لاخذ الراحة فبينما هو جالس اقبل عليه رجل تاجر وحياه بالسلام ثم ساله الامير ابو زيد عن حاله فقال له انى رجل تاجر قاصد بلاد الغرب فقال ابوزيد هل تعرف الامير علام فقال له انه من أعز اصحابي

واعظم احبابي فقال له ابو زيد انني ارغب ان اعطيك كتاب اليه فقال اكتب ما بدا لك فعند ذلك أخذ ابو زيد يكتب للعلام يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... فمن كان شقي لا تسعده الايام
نعم ايها الغادي وحامل كتابنا ... تجد السير في واسع الاكام
اذا جئت تونس وقابس وارضها ... فسلم على الفتى المسمي العلام
وقل له قال الهلالي سلامه ... أبيات شعر زيدانك بكلام
اوصيك في مرعي ويحي ويونس ... أولاد اختي من فروع كرام
وارجوك تتردد عليهم وتلتجي ... وتحفظهم من شدة الآلام
فلا بد ماراجع اعود وانثني ... ولا بد ماأتي بقوم لئام
باربع تسعينات الوف عدادهم ... تشبه جرادا منتشرا بغمام
ولا بد من لطمة على باب تونس ... ويبقى الدما فوق الثري أعوام
ولا بد من قتل الوهيدي بصارمي ... وابقي الزناتي بالقبور ينام
وأملك بلاد الغرب بحد صارمي ... وأملك بلاد الغرب في الغرب باعلام

قال الراوي لما فرغ الامير ابو زيد من قوله طوى الكتاب وختمه بخاتمه فاخذ التاجر وصار يقطع البراري والقفار حتى اشرف الى تونس وتلك الديار فاخذ المكتوب وسلمه الى العلام ففضه وقرأه وعرف حقيقة فحواه واما الامير ابو زيد فانه مازال يجد في المسير مدة خمسين يوما حتى اقبل الى نجد وتلك الارطان وحين دخوله الى نجد بني هلال القتاة الكبار والصغار وكلما تقدم الى قدام يزاحمه الجمع غاية الازدحام وهم يصرخون بصوت واحد اليوم قد اتانا من هو عزنا وحمانا ومازال سائرا حتى اقبل الى صيوان الامير حسن فدخل وسلم عليه وعلى الذين حواليه فلما نظره الامير حسن والامير دياب والقاضي بدير والامير زيدار شيخ الشباب تقدموا اليه وقبلوه بين عينيه واجلسه الامير حسن بجانبه وذاعت البشائر في بلاد نجد بان الامير ابو زيد حضر من بلاد الغرب فاجتمعت الفرسان من كل حانب ومكان حتى احتبك الديوان وحينئذ سأله الامير حسن عن الامير مرعي ويحي ويونس فعند ذلك بكى الامير ابو زيد بكاء شديدا واشار يخبرهم عما جري له ولهم من التعب الشديد بهذا القصيد وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... ولي قصة من اعجب الاخبار

في سفرتي للغرب حتى اردها ... وفي رجعتي قاسيت هموم كثار
دخلت الى ارض الزناتي ودرتها ... ودرت ميامنها ودرت يسار
وآخذ حشيش الارض بيدي وادفنه ... واعلمه من خوف لا احتار
حتى اذا جاءت هلال وعامر ... على خيلهم بالعسكر الجرار
يقولوا فماهذا الحشيش الذي هنا ... وهذا دليلي ياعرب اجهار
ومازلت اكتشف المدائن والقري ... حتي وصلت لتونس والدار
دخلنا على بستان بجوار تونس ... فاتاني منها عسكر لجرار
فصحت عليهم صيحة الله اكبر ... اله تعالى عالم الاسرار
فمسكونا من بعد حروب عنيفة ... وضرب يقطع سيفنا وحجار
واخذونا العند الزناتي خليفة ... فتهددنا بالقتل ياأخيار
فخلصتنا ابنته سعدا بشورها ... وقالت تراهم ياأبي شعار
فاحبسهم عندي وارسل عبدهم ... يجيب اليك فكاكهم بجهار
وان مرعي ثم يحيى و يونس ... قد بقوا عندها بوسط الدار
الان سعدا بمرعي تعلقت ... وصار قلبها نحوه كشعلة نار
جزاها الله العرش خيرا ونعمة ... فلولاها شنقونا بلا انكار
وصرنا فضيحة بين كل قرومنا ... وصارت أهالينا باوشم عار
فارسلني الزناتي لاحضر فكاكهم ... كقول سعدا زينة الاخبار
ولما عزمت على الرجوع لارضنا ... فبكوا الامارا من قلوب مرار
و وصاني الامير مرعي وقال لي ... سلم على ساداتنا وكبار
وسلم على والدي حسن الذر يدي ... مربي اليتامي ومقصد الشعار
وسلم على القاضي بدير بن فايد ... وعلى دياب الفارس القهار
وسلم على عليا ولايا وغيرها ... والجازية من نسل قوم كبار
ابو زيد اقرى منا امهاتنا ... سلام برتبة ياعزيز الجار
وقال لهم في الحبس يحيي و يونس ... ومرعي يقاسي لوعة ومرار
نفارقتهم والعين تزرف بالبكا ... وسرت في اليدا بوسع قفار
وكم ساعة في ساعة بعد ساعة ... أمسح دموعي في ليلها ونهار

فيغيب عقلي عند ذكر رفاقي وقلبي كواه البين والامرار
و بعد خروجي من المغارب وارضها بعشرين ليلة زايدات نهار
دخلت على الماضي ابو الجود وحده واخبرته فيما جرى لي وصار
فبكى و بكى الحاضرين جميعهم وحزن على مرعى وعقله حار
و بقيت عنده مقدار يوم وليلة ومن بعدهم قد قلت للحضار
باني ارجع الى بلادى وارضنا واني ساخبركم بما قد صار
ففارقتهم والعين تذرف فى البكا وقلبي غدا مني كشعلة نار
وما زالت سائرة فى البرارى وسهلها والله يعلم كلها قد صار
مسافة تسعين يوم ثم ليالها حتى وصلت اليكم والدار
ولاني اخبرتكم فيما جرى فما الشور والتدبير فيما صار

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من هذا الشعر والنظام بكى الامير حسن ومن حضر من السادات الكرام ولاسيما اهل الاولاد فقد تفطرت منهم الاكباد وقالوا لابوزيد عن فرد لسان اعلم يا فارس الفرسان انه لا نفك عنك ولا نعرف اولادنا الا منك فقال كونوا براحة بال فاني قد أخذتهم من الاطلال وسارجعهم على أحسن حال والنعم بال ولما انتهى من هذا المقال التفت الامير حسن الى الحاضرين والسادات المعتبرين وقال لهم ان مرادى الرحيل الى بلاد الغرب واقيم هناك الحرب واخلص الامراء بالطعن والضرب فاستحسنوا هذا الخطاب وقال ابوزيد البطل المهاب هذا هو الرأى الصواب ولكن قبل الرحيل من هذه الاطلال بالفرسان والابطال والنساء والعيال يجب ان نرسل أيها الامير المؤيد بعض الذوات العمدليأتوا بالجازية لتركب أمام ظعون بني هلال مع باقي سيدات الامراء والابطال وعن الست ريحانة والست عدلا والست ريا وسعد الرجا وبدور النعام وجوهرة العقول وزهر الدوح ونجم السحور وزين الدار والست عليا لانه اذا اشتعلت نيران الحرب ووقع الطعن والضرب تكون الجازية و باقي السيدات امام الابطال فى المعاريات لان الجازية من النساء المشاهير ذات رأي وتدبير وهكذا تم الرأى بين الامراء والاعيان وأرسلوا أربعة وعشرين فارسا من الشجعان واحضروا الجازية فى الحال بالاحترام والاحتفال و بعد وصولهم بايام قليلة استعدت للرحيل فرسان القبيلة وتاهبوا للطعن والضرب

والمسير الى تونس الغرب وامر الامير حسن بدق طبل الرجوج حسب العادة والاصطلاحات المعتادة فدق في الحال واجتمعت الفرسان والابطال وسادات الرجال ودخلوا على الامير حسن بن سرحان وهو في الديوان فاخبرهم بما جري وكان وقال لهم استقر رأينا الآن ان نرحل من الاوطان ونقصد بلاد الغرب بمدة أيام فكونوا في الاستعداد التام لان أرضنا قد احتلت ووقع بنا الغنا واولادنا في اسر الزناتي خليفة يقاسون العناء ثم انشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ... فدمعي جرى فوق الخدود غزير
ونيران قلبي كلما أقول تنطفى ... يهب لها على الضلوع سعير
على ما جرى في نجد يا طول حسرتي ... وقلبي تحسر باللظى تحسير
بكيت على ارض لنا وبلادنا ... فليس لها بين البلاد نظير
أتى الفلا والمحل من كل جانب ... وعظم نواح كبيرها وصغار
فتبه سنين لم نرى العشب والشجر ... ولا نزل في نجد نهر كبير
فقوموا بنا من نجد قد قل خيرها ... قوموا انهضوا يا قوم سيروا وسيروا
فمن كان عنده بنت عمه تلازمه ... يهيء لها هودج يظهر بعير
ومن كان عنده بنت عمه اجنبية ... يردها الى اهلها بمال كثير
ونادوا على العربان من كل جانب ... فبعد سبعة ايام يكون مسير
وتوضع ابو زيد الهلالي دليلنا ... ابو زيد قيدوم لنا ومشير
وابقى أنا خلف الظعون جميعهم ... فقلبي يميل لكل طفل صغير

قال الراوي وفي اليوم السابع تجهزت الابطال للمسير والارتحال فهدت المضارب والخيام وانتشرت الرايات والاعلام ودقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيال واعتقلوا بالسيوف والنصول وركبت الحريم والعيال والاولاد والاطفال ونساء الامراء العمد والجازية ام محمد وكان الامير ابو زيد في مقدمة الفرسان في تسعين الف عنان من بني زغلان ومن خلفه الامير حسن بن سرحان في تسعين الف فارس من بني دريد الشجعان وعلى جانبه القاضي بدير الاسد الباسل في تسعين الف مقاتل

﴿ انتهى الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث ﴾

﴿ الجزء الثالث وهو يحتوى على قصة الدبيسي بن مزيد ﴾

(قال الراوى) ومن وراء الامير دياب بن غانم القرم المصادم فى تسعين الف فارس من بنى زغبه الاشاوس وخلف الجميع الامير زيدان شيخ الشباب والبطل المهاب فى ستين الف من الجمال لحماية النساء والعيال وجدوا فى قطع البرارى والقفار والسهول والاوعار قاصدين بلاد الغرب وتلك الديار وكانوا كالجراد المنتشر لا يعرف لهم أول من آخر وقد ملؤا بكثرتهم البرارى والاكام وكان بعد أولهم عن آخرهم مسافة خمسة أيام ومازالوا مجدين فى المسير حتى اشرفوا فى اليوم العاشر على بلاد حزوه والنير وهى بلاد واسعة الجنبات كثيرة المياه والنبات فنزلوا فى تلك الارض ونصبوا المضارب والخيام وكان حاكم تلك البلاد يقال له الدبيسى ابن مزيد وكان من صناديد الابطال وشجعان الرجال لا يقدر العوائب ولا يخشى حلول المصائب وكان فى الشجاعه والفروسية فى طبقة علية يفتخر بنفسه ويفضل ذاته على جميع الفرسان فى ساحة الميدان ويقول انه اذا ركب الجواد لا يوجد من يقاومه فى الحرب والطراد ولو كان ابو الفوارس عنتر بن شداد وكان له اربعة وزراء يركن اليهم ويعتمد فى اموره عليهم وهم مقلد وهمام وراشد وسلام وله ولد اسمه مزيد قد سماه على اسم جده وكان يحبه ويوده من شدة محبته فيه اراد ان يزوجه بابنة أخيه جميع وزراءه وأخبرهم بما قد صمم عليه فاجابوه الى ذلك المرام ماعدا الوزير همام فانه كان صاحب رأى وتدبير فنهاه عن ذلك الامر فى الوقت الحاضر واعلمه بقدوم بنى هلال الى تلك البلاد بالجيوش والعساكر ثم أشار يقول

يقول الفتى همام عما جري له ... اباامير اسمع لى لذيذ كلام
الا يادبيسى انت أمير البلاد ... ولالك مقاوم فى القنا وحسام
بنى هلال يا امير حلت ارضهم ... وصاروا بهم زائد وضرام
ونشفت عيون الماء من كل جانب ... ولا عاد فيها عشب ولا نمام
لما رأوا هذا البلاء بارضهم ... جمع رأيهم حسن الامير قوام
فارسل ابو زيد للغرب رادها ... امير بيوم الحرب قرم همام
وسار معه مرعى ويحيى ويونس ... شباب ملاح وضاربين لثام
يريدوا لهم بلد تكون خصيبه ... فيها الغنى والعز والانعام

وقد ساروا للغرب يا امير وحدهم ... الى تونس الخضرا غدون قوام
ودخلوا الى بستان بالقرب يا ملك ... ابو زيد من سهر الليالى نام
اتى عبد الى عند الزناتى واخبره ... فارسل لهم عشرين عبد تمام
وحبس الفتى مرعي ويحيي ويونس ... بقصر سعدا فى عنا وسقام
وقد اتى ابو زيد من الغرب وحده ... واخبر حسن عما جرى له تمام
وقد ضربوا الاشوار يا امير بينهم ... وساروا بفرسان لهم واقوام
ولا بد من ان يدوسوا بلادنا ... وتبقى قصور العاليات هدام
وانتم تريدوا تزوجوا تم تفرحوا ... ولا عندكم اخبار ولا اعلام
فالرأي عندى اسمعوا ما اقول لكم ... وكونوا لقولى يا كرام فهام
فاصبروا حتى يجوزوا بلادكم ... ويندفعوا الى ديرة الاعجام
تكونوا يا امير قد سلمتم من العدى ... وتعمل لابنك عرس عام تمام

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير هام من هذا الشعر والنظام اندهش الدبيسى وحار فيما هو فى بحر الافتكار اذ دخلت الاعيان عليه وشكوا له عن قدوم بني هلال الى تلك الاطلال وكيف ملاوا السهول والتلال فلما سمع هذا الخطاب غاب عن الصواب وصار في قلق واحتساب فالتفت الى الوزراء وقال لهم ما هو رأيكم يا قوم فقد نفذ كلام الوزير هام فى هذا اليوم وانا خايف من العواقب فارشدونى برأيكم الصائب فقالوا عن فرد لسان الرأى عندنا يا ملك الزمان ان نرسل رايد على اثارهم فياتينا بعددهم ويكشف لنا حقيقة اخبارهم فقال هذا هو الصواب وفى الحال استدعى بعبده راشد وكان صبورا سريع الحركات خبير بجميع الطرقات فلما دخل عليه وامتثل بين يديه فقال له الملك اريد منك ان تذهب وتجس لنا اخبار بنى هلال وتميز فرسانهم والابطال او تاتينا باعجل الحال فقال العبد سمعا وطاعه وسار من تلك الساعه وما زال يجد المسير حتي وصل الى مضارب القوم فى مساء ذلك اليوم فاعتراه الاندهال مما رأى هناك من كثرة الاموال والفرسان والابطال ولا سيما عند ما شاهد صيوان الامير حسن بن سرحان وما حواه من الامتعة الثمينة والتحف الحسان وكذلك صيوان الامير دياب وابو زيد فارس الفرسان فبات تلك الليلة هناك وفى ثانى الايام رجع الى عند الدبيسى فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقال له كيف نظرت

بنى هلال وما هو عدد عساكرهم والابطال فانشد يقول

يقول الفتى راشد على ماجري له ترى الدهر قد جار علينا ودار
يا امير اسمع ما اقول وافتهم واصغى الى قولى وفعلى حار
قصدت خيام بنى هلال ور بعهم لاكشف وارجع بالاخبار
فلما رأيت القوم تاهت نواظري وظنيت عقلى من دماغى طار
وما زلت ما بين البيوت اردهم اسائل عبيد القوم واحرار
واسال عن بيت الامير ابو على امير حوى جاها وكل وقار
ومازلت سائر حتى عبرت بيوتهم اقول لهم شاعر من الشعار
وعاينت انا يا امير كل ضيوفهم فكانوا ثلاثة الاف من الانفار
وسرت الى بيت الامير سلامه ياليت عمره اطول الاعمار
و بيت الفتى القاضى بدير الفايد و بيت دياب الفارس المغوار
ودرت ضيافات الامارة جميعهم وقوادهم اهل السخا والاعتبار
مسير خمسة ايام يا امير نزولهم و يوم ليله بالعرض يا مغوار
وفى جيهم بيض حسان كواعب بنات امارا يشبهوا الاقمار
اذا رأهن عاقل اضحى متيما يبيت فى قلبه لهيب النار

(قال الراوى) فلما فرغ راشد من شعره ونظامه وفهم الدبيسى محتوى كلامه زاد خوفه وفزعه فاستدعى اليه الوزراء واخبرهم بذلك الكلام ثم انشد هذا الشعر والنظام

جار - الزمان على ثم ابكانى والقلب يخفق ودمعى مثل غدران
انى من الشرق ابطال غطارفة اميرهم قد تسمى بابن سرحان
ياقوم كيف العمل حتى نرجعهم من قبل ان يفتكوا فينا بفرسان
مارأيكم يابنى الاعمام قولوا لنا انتم امارا وسادات واعيان

(قال الراوى) فلما فرغ الدبيسى من هذا الشعر والنظام فلم يجبه احد بكلام فقال لهم مالكم لاتردوا جواب ولا تجيبونى على خطابى فعند ذلك اشار الوزير همام يقوله

قال همام الهمامى استمع منى كلامى
يادبيسي انت افهم ماعلى مثلى ملامى
ياملك عنهم فسائل قوم من فروع اصائل

واذرع المعروف فيهم اطعنى يابن الكرام
ثم اعزم الملوك واسلك احسن سلوك
ذا حسن ذخر الملوك من اتاه لايضام
واترك افعال الرديه لاتجيب لنا البليه
فقم وجهز للهديه الى حسن ابن كرام
لانه عابر طريق جاب قومه والفريق
لان اولاده بضيق لاجلهم يبغي المرام
ليس هو قاصد اذانا حتي نرده من حمانا
يامالك دعهم عيانا يرحلوا لارض العجام
قول هام الوزير انني عارف خبير
فى امور سوف تصير ثم توقع فى الندام

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير من شعره ونظامه وفهمت الوزراء فحوى قصده ومرامه اغتاظ الملك من هذا الكلام والتفت الى الوزراء وقال لهم ماهو الرأى والتدبير فى هذا الامر العسير فقال الوزير راشدانه من الواجب ان ترسل لهم كتابا تامرهم بدفع عشر المال مع النوق والجمال فان امتنعوا عن ذلك فنقاتلهم في الحال وتشتتهم فى البرارى والتلال فاكتب لهم بهذا الصدد وانا اخذه اليهم واتيك بالجواب فاستصوب الملك رأيه وكتب لهم كتاب يقول فيه

يقول الدبيسى والدبيسي مزيد بدمع جري فوق الخدود بدود
ونيران قلبي كلما اقول تنطفى يزيد لها على الفؤاد وقود
الا ياغاديا على متن ضامر تشابه غزالا بالفلاة شرود
اذا جئت عند الامير ابوعلى فاعطيه مكتوبي تنال سعود
وقول له قال الدبيسي بن مزيد كلام أقسى من اصلب الجلمود
الا ياحسن اسمع كلامى عاجلا وافهم معنى غاية المقصود
فان كان قصدك ان تجيز بلادنا فارسل لنا عشر مالك كى تسود
وارسل لنا الفين حمره سلبلة والف جواد يا امير هدود
والفين ناقه تابعات اولادها والفين فاطر ثم الف قعود

والفين سيف يا امير مسقطة ... والف درع من عمل داود
والفين ترس ثم الفين خودة ... والفين دبوس ثقال زنود
وارسل انا المال يا امير بالعجل ... ميتين الف من الذهب وعقود
وارسل الجازية الشريفة ... مع الست عليا بغية المقصود
ومعها ارسل لابنات امارتك ... واحذر تخالف لا تكرن عنود
من قبل أن تلقاك فرسان قومنا ... ونجعل دماكم على الحصى مبدود
ونقتل اكابركم وكل صغاركم ... ونجعلكم فى تربة ولحود

قال الراوى) فلما فرغ ذيبسى من هذا الكلام الذى هو اشد من ضرب الحسام طوى الكتاب وختمه واعطاه للوزير راشد فاخذه وسار وجد فى قطع القفار حتى اشرف على حى بنى هلال وعند وصوله الى صيوان الامير حسن بن سرحان نزل عن ظهر الحصان فسلم عليه وعلى باقى الامراء الذين حواليه فردوا عليه السلام والتقوه بالترحاب والاكرام وامره بالجلوس فجلس بقربه ثم ساله عن اسمه وعربه فاعلمه بواقعة الحال وعن سبب حضوره الى تلك الاطلال ثم أعطاه الكتاب فاخذه الامير وقرأه ولما وقف على حقيقة فحواه غضب الغضب الشديد لكنه أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد ثم امر الغلمان أن ياخذوا الوزير الى دار الضيافه ولما خرج من الديوان التفت على الامراء والاعيان وأعلمهم بذلك التهديد واستشارهم بهذا القصيد

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على ... فعقلى من الاهوال حار وتاه
اذا قلت قد راق الدهر ليلة ... فياتى لنا قبل الصباح بلاه
رحلنا من الاطلال نبغي فوائد ... راينا المصائب صائبة بعناه
من فرقة الاوطان ذابت حشاشتي ... ودمعى على الخدين كالامياه
على نقد مرعى ثم يحيي ويونس ... فياحسرتى فالقلب زاد لظاة
وزير بن مزيد قداتى برسالة ... لنا من عند الذيبسى مولاه
يقول اذا شئتم تجوزوا بلادنا ... وتلقوا السلامه في السفر ونجاه
فهاتوا لنا عشر الجمال وخيلكم ... وعشر الذهب حالا بدون بطاه
ولم يكتفى حتى طلب لبناتنا ... بنات الامارا مشرقات ضياه
وهددنا بالقتل ان لم نطاوعه ... و يركب علينا فى جيوش طغاه

ألا يا ابن عمي يا هلالي سلامه ... فما الشور والتدبير في معناه
وما الشور عندك يا باب الغانم ... أيا فارس الخضرا بطعن قناه
ويا قاضي العربان يا ابن فائد ... ايا عالما بحكم وشرع الله
فردوا جوابي انما الشور مشترك ... ولا تمهلوا في رأي فيه النجاه

(قال الراوي) فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه قالوا جميعهم ان هذا الطلب لا نوافق عليه فقال ابو زيد انه من الصواب ان ترسل تقول للديسي ان يمهلنا عشرة أيام ونحن نرسل له طلبه بالتمام ومتى انقضت المدة ولم في الطلب فنقول له ليس عندنا مال ولا ذهب سوى الحرب والقتال في ساحة الجمال لان أبطالنا وفرساننا تكون قد استراحت من تعب الطريق ثم انه أنشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... كلام يشبه الدراري في معناه
لكل داء يوجد دواء نعالجه ... والاحمق الجاهل الحسام دواه
انا الرأي عندي يا ابن سرحان الملا ... يا من زكى بين الانام اباه
فارسل كتاب للديسي وقل له ... كلام محكم بالخداع جزاه
الا يا ملك حزوه يا حاكم الملا ... أمهلنا عشرة ايام دون سواه
اذا امهلنا يا ابن عمي وسيدي ... فتشبع خيول القوم من المرعاه
وتاخذ الراحة جميع قرومنا ... وتبقي رجالك شبه أسود فلاه
غير الطعن والضرب ماله عندنا ... لان الديسي جاروزاد طغاه
يريد اليوم غصبا نهب حمانا ... واموالنا وذلك من قلة حياه
وهذا شوري ورايي وفكرتي ... فافهم كلامي يا ملك فحواه

(قال الراوي) فلما فرغ ابو زيد من هذا الكلام استصوبه جميع الحاضرين فعند ذلك أشار حسن بجاروب الديسي ويقول

يقول الهلالي اباه رعى مناصحة ... ابيات شعر بها علم الابطال
انى ازين كلامي قبل ان الفظه ... واحسب الدهر في جور واقبال
يا غاديا راكبا اعلى مطيته ... يقطع فيافي الفلا مع روس الجبال
اذا أتيت الديسي قل لحضرته ... قولا صحيحا خلا من كل ازلال
واقرأ سلامي على ابطاله سحرا ... من كل ليث شديد الباس مفضال

انى ساعطيه مهما كان طالبه من عشر مالى ومن اموال أبطالى
لكننى أطلب منه أن يسمح لى بعشرة ايام نانهى كل احوالى
حتى ألم من العربان أجمعهم عشر الجمال وعشر الخيل والمال

(قال الراوي) لما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه في الحال وسلمه الى الوزير المذكور وقال له بعد عشرة ايام سنرسل المال المطلوب فاخذ الوزير الكتاب وجد في قطع الهضاب حتى وصل الى عند الدبيسي فدخل وسلم عليه وأعطاه الكتاب ففتحه وقرأه وعرف ما حواه ففرح واستبشر وأيقن بالنجاح وبلوغ الوطر ولما انتهت العشرة ايام ولم ترسل بنى هلال الاموال قال للوزير ها قد مضت المدة المعينة ولم نقف على افادة ولا وردت الاموال فيجب أن تسير اليهم وتطلب منهم أن يبادروا بارسال المال فى عاجل الحال والاحرار بانهم وأنزلنا بهم الوبال فامتثل الوزير امره وركب من وقته وساعته الى تلك الديار حتى وصل الى صيوان الامير حسن فنزل عن ظهر الحصان ودخل وسلم عليه وتمثل بين يديه ثم جلس قليلا وبعد ذلك طالبه بالمال ولامه على ذلك الاهمال فقالت له السادات والامراء ارجع الى مولاك قبل ان تحل بك الخسارة وقل له انه ليس عندنا مال ولا نوق ولا جمال غير ضرب السيف وطعن النصال فاغتاظ الوزير من هذا الكلام وخرج من ذلك المقام ورجع الى عند مولاه بالعجل وأخبره بما سمعه فما غيظه وزاد وامر الرؤساء والقواد بجمع العساكر والاجناد فعند ذلك دقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيل واعتقلت بالرماح والنصول وخفقت الرايات وركبت الامراء والسادات اربعمائة الف مقاتل ما بين فارس وراجل وركب ايضا الدبيسى ولما اقترب من تلك الديار وسمعت بنى هلال استعدوا فى الحال للحرب والقتال وركب الامير حسن وابوزيد ودياب بن غانم وباقى السادات الاكارم والتقوا الدبيسى فى تلك الارض ولما ادنوا من بعضهم البعض برز من فرسان الدبيسى فارس كانه الاسد الكاسر فبرز اليه الامير دياب وصار امامه فقال له من تكون من بنى هلال فقال انا دياب المصادم وأشار يقول

يقول ابو وطفا هلال الماجد في الحرب ما جد سيد أستاذا
اذا صال فى الميدان يردى للعدى بالاسمر الخطار والفولاذا
مازال سيفى للجماجم قاطعا والرمح فى قلب العدا نفاذا

فعزمكم ولى وحان فراقكم اني الى حبل العدا نقاذا

(قال الراوي) فلما فرغ دياب من شعره صاح فيه وهجم عليه وقد عظم ذلك الامر لديه فالتقاه الفارس كالاسد الكاسر وجرى بينهما حروب واهوال تشيب رؤوس الاطفال ومازالا فى عراك وطعان نحو ساعة من الزمان و بعد ذلك اختلفت بينهما ضربتان قاطعتان وكان السابق الامير دياب فارس الفرسان لانه كان أعلم فى أصول الحرب وأخبر فى مواقع الطعن والضرب فوقعت الضربة على هامه فقدته نصفين ثم صال وجال وطلب براز الابطال فبرز اليه فارس آخر فقتله وثانى جندله وثالث عجل الى المقابر بمرتحلة ومازال على تلك الحال وهو يبارز الفرسان والابطال ويمددها على وجه الرمال الى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال وبات الفريقان يتحارسان تحت مشيئة الرحمن ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح برز الامير دياب الى الميدان وطلب براز الفرسان فبرز اليه الوزير راشد وهو يقول انا مفرج الكروب والشدائد فالتقاه الامير دياب بقلب كالحديد ثم التقيا البطلين كانهما جبلين او اسدين كاسرين وحان عليهما الحين وغفى على رؤسهما غراب البين ولم تمكن الاساعة من الزمان حتى استطال عليه الامير دياب فى الميدان وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلا وفى دمه جديلا فلما قتل الوزير راشد هجمت جموع الدبيسي بقلب واحد فالتقتها بنو هلال بقلوب كالجبال واشتد بين العسكرين القتال وعظمت الاهوال فما كنت تنظر فى ذلك اليوم المهول الا وقع السيوف على السيوف والنصول على النصول وقتال يشيب الاطفال ويذهل العقول ومازال القوم على تلك الحال وهم فى اشد قتال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فتاخرت عساكر الدبيسى خاسرة ورجعت بنو هلال كاسبة ظافرة ففرح الامير بذلك الانتصار وبشر فى تلك الليلة على الفرسان النثار واخذ ينشطهم بالكلام ويحمسهم على الحرب والصدام وفى ثانى الايام دقت طبول الحرب والكفاح فركبت الفرسان واعتقلت بالسيوف والرماح وبرز الامير دياب الفارس الجحجاح فصال وجال فى ساحة النجال وطلب براز الابطال فبرز اليه الوزير محمود ذا لبقاء الامير دياب بقلب شديد وجعل يتهدده بهذا القصيد

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ولى قلب من بين الجوانح طار

ألا يا فتى محمود اسمع قصتي واصغى لقولى مع الاخبار

مو اعلم بأني فارس الخيل بالوغي فمن رام حربي قد يروم دمار
فلا تقدر اليوم تلقى مضاربي ولو عشت عمر الدهر يا غدار
فلا بد ما تلحق أخوك راشد ودمك على وجه الثرى فوار
وأنهب حلالكم وآخذ مالكم وبين الملا تبقوا لنا معيار
ما قال ألقى الزغبي دياب الماجد أرى الدهر قد اجنف عليك وجار

فلما فرغ دياب من كلامه اجابه محمود على شعره ونظمه

يقول ألقى محمود فيما قد جرى بدمع جرى فوق الخدود غزار
دياب ياغدار ياولد الزنا ايا أندل العربان في الامصار
فلا بد ما أرديك بالسيف والقنا وأترك دماك على الوطا فوار
وآخذ الى الزينات منكم غصيبة وآخذ حلالكم بلا انكار
واما ابوزيد الهلالي سلامه فلا بد من سيفي يذوق مرار
واقتل الى خالك بدير الفايد واهني جميعكم بالصارم البتار
وآخذ لوطفا يادياب مديه وتعود عندي مثل بعض جوار

(قال الراوي) فلما فرغ الوزير محمود من هذا الكلام هجم على دياب فالتقاه دياب بقلب شديد وهجم عليه هجوم الصناديد واشتد بينهما القتال في ساحة المجال فاختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الوزير محمود فقطس دياب تحت بطن الخضرا فراحت الضربة خائبة بعدما كانت صائبة ثم انتصب الامير دياب وهجم عليه كسبع الغاب وضربه بالسيف على هامه فقده قسمين والقاه على وجه الارض قطعتين وكان له أخ يدعى الهداف فلما رأى أخاه قد مات زادت عليه الحسرات فهجم على الامير دياب ليأخذ بثار أخيه فشتمه وصاح فيه والتقاه الامير دياب في الميدان بقلب أقوى من الصوان وجرى بينهما حروب واهوال تشيب رؤوس الاطفال واستمروا على تلك الحال وهم في أشد قتال الى أن جلى النهار وارتحل واقبل الليل على عجل فافترقوا عن الحرب وتوقفوا عن الطعن والضرب وباتت العساكر في تلك البطاح ولما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح دقت طبول الحرب والكفاح وبرز الهداف الى الميدان وطلب براز الفرسان فبرز اليه الامير دياب وصدمه كليث الغاب وكان الهداف من الفرسان المشاهير والابطال المغاوير قد تعود الحرب من صباه فكان لا يهاب الموت ولا يخشاه

فاقتتل مع دياب أشد قتال وكان يحول معه في ساعة المجال ويهجم عليه هجوم الاسد الريال ومازال الفرسان في أشد قتال وطعان يذهل عقول الشجعان الى أن تنصف النهار وكان دياب قد استظهر عليه كل الاستظهار وضربه على عنقه بالسيف البتار فقطعه في الحال والقاه قتيلا في ساحة المجال فلما رأت جموع الدبيسي ماحل بوزيرها هجمت على دياب قاصدة قتله وهي تذمه وتشتمه فعند ذلك حملت بنو هلال من اليمين والشمال والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وصال في شدة الحرب والقتال ومازلوا على تلك الحال الى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال وباتت بنو هلال في سرور وبات الدبيسي في قلق وضجر لانه كان قد قتل من قومه جمعا غفيرا اكثره من الرؤساء والقواد ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ركبت الفرسان الى الحرب والكفاح وكان اول من برز الى الميدان وطلب قتال الشجعان الملك الدبيسي دون باقي الفرسان فصال وجال في ساحة المجال ونادى أين فرسان بنو هلال فليبرز الآن الى ساحة القتال فما اتم كلامه حتى صار الامير دياب قدامه وهو راكب على فرسه وكل العيون تنظر اليه وترى ولما اقترب منه أنشد وقال

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ... انا فارس الفرسان يوم طعان
أنا البطل المدعو لبوم الكريهة ... على ظهر خضرا تسبق الغزلان
ألا يا دبيسي اسمع كلامي وافهم ... من قبل أن تغدى قتيل طعان
فاولاد أختك قتلت بصارمي ... وقتلت جمعا وافراً فرسان
فان كنت لا ترجع نصير نظيرهم ... وتنوش لحمك في الفلا العقبان
فلو كنت عاقل يا امير وفاهم ... ما كنت تطلب زمرة النسوان
فكنا نعطيك مهما تريده ... من المال ثم الخيل والفصلان

(قال الراوي) فلما فرغ الامير دياب من هذا القصيد اغتاظ الدبيسي وانشد يقول

يقول الفتى المسمى الدبيسي مزيد ... قدمي على الخدين كالغدران
ونيران قلبي كلما أقول تنطفى ... يزيد لهيبها بالحر والدخان
من قولك يا دياب يا غانم ... فزمتنا في حضرة الفرسان
فلا بد عن قتلك على وجه الثرى ... وتعود بعد الربح بالخسران
وبعد ذا أقتل حسن في صارمي ... وابو زيدا يضا وعمدة الشجعان

وأسبي حلالكم وكل رجالكم تبقي لنا من جملة الرعيان

(قال الراوى) فلما انتهى الدبيسي من شعره ونظامه اغتاظ دياب منه وانطبق عليه وحمل وفعل الدبيسي مثلما فعل وأخذا في الحرب والقتال وجرت بينهما عجائب واهوال ومازالا على تلك الحالة الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فافترقا عن بعضهما البعض ونزلت كل فرقة في ناحية من الارض وعند رجوع دياب عن معركة الصدام التقاه الامير حسن باعزاز واكرام وشكره على فعل الامير وقال له انت الاسد العباس فلا درك في القتال وملاقاة الابطال فار يدمنك انلا تنزل نهار غدا الى الميدان لان لك عدة ايام وانت في الحرب والصدام لانك تعبان والدبيسي مرتاح ثم ختم الكلام بهذا الشعر والنظام

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي الدمع من فوق الخدود سيولا
يامرحبا بك يادياب الغانم يافارس الفرسان يوم الهولا
ايافارس الفرسان ياليث العدا ياليت عمرك يا امير بطولا
يا امير انك قد قتلت لراشد وسلام أضحى ميتا مقتولا
اما الفتى محمود ولى وانجلي واخوه هدافا غدى مجدولا
واليوم قد نزل الدبيسي صادمك في حومة الميدان مثل الغولا
فانا عليك اليوم قلبي خائف ياليت عمرك ماتري منكولا
يا امير دع غيرك غداة ينازله فاسمع كلامي وافهم المنقولا
فاخاف توقع يادياب باسره تضحى سر بعا في الفلاة مقتولا

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه وفهم دياب فحوى قصده ومرامه توقف عن رد الجواب فقال له حسن علامك يادياب توقفت عن رد الجواب فقال له اعلم ايها الهمام لا تمنعني عن هذا الطلب وان قتلت روحي فداك فاني لا اخشي الموت في قتال اعداك ثم اجابه يقول

يقول الفتى الزغبي دياب الماجد الدمع من فوق الثرى مهطولا
والنار في قلبي توقد جمرها وسعيرها طى الحشا مشعولا
لاقيت في دهري امور كثيرة قلبي تقطع والعنا موصولا
والدهر يزري بالاماجد دائما والندل يمرح بالهنا مشغولا

والعاقل الماهر مكدر عيشه ... يا ليتنا كنا بلا معقولا
كم من لبيب مع أديب ماهر ... فتراه من بين الورى مخجولا
ولكم تاخر في الخلائق فاضل ... ولكم تقدم كل تيس مهولا
كنا بنجد في سرور وفي هنا ... مع عز وافر والهنا محصولا
كنا أمراء البلاد جميعنا ... وكلامنا بين الوري مقبولا
لما انانا المحل رحنا عاجل ... مشتتين ورا كبين خيولا
غضب الدبيسي اذا حللنا بارضه ... وأشار بعد السلم حرب مهولا
يا ابن سرحان لذي باهى الملا ... يا من حسامه للعدى مسلولا
بحيات رأسك لا تخيب مطلبي ... هذا مرادي والمنا والسؤلا
ان كنت أقتل يا امير فداكم ... وسنون عمرك لا تزال تطولا
هذا ماقال دياب بن غانم ... من لا يزال على العداة يصولا

(قال الراوي) فلما فرغ دياب من شعره شكره حسن على نظمه ونثره وقبله في صدره وقال له اني ماتفوهت بهذا الكلام الا لما وجدتك تعبانا ومادام الامر كذلك فابرز نهار غدا وقاتل خصمك واتكل على الله فلعلك تكفيه اشره واذاه ثم باتوا تلك الليلة في سرور وانشراح ولما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح دقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وتقدموا الى ساحة الميدان وكان أسبقهم الامير دياب ولما صار في معركة القتال طلب الدبيسي فانحدر اليه فالتقاه دياب واشار اليه يقول

قال الفتى المدعو الامير دياب ... فالدمع من فرق الخدود سكاب
اسمع كلامي يا دبيسي وافتهم ... واصغى لقولي لا أريد عتاب
واعلم باني فارس متايد ... لا اختشي يوم الحروب مصاب
لا بد لي من قطع راسك يا فتى ... وأسقيك من حد الحسام شراب
وتصير أرضك بعد قتلك خربة ... ويحل بقومك بلا وعذاب
اني أنا المدعو دياب الماجد ... من خير قوم فارس الاعراب

فلما فرغ دياب من كلامه أشار اليه الدبيسي يقول

قال الفتى المدعو الدبيسي فانتهم ... مني الكلام لا ترد جوابا

اربع اماره كالسباع قتلتهم بحد سيفك يا امير دبابا
هذا ف مع محمود نسل اماجد فرسان كانوا في الانام شبابا
واين نائل مع سلامى الاربحي قتلوا ولم تحسب لذاك حسابا
انى ساخذ ثارهم بمهندى ويحل بك هذا النهار عذابا

(قال الراوى) فلما فرغ الدبيسى من هذا الشعر والنظام هجم عليه دباب كسبع الاجام واخذ معه في الحرب والصدام واشتد بين البطلين القتال وعظمت لاهوال وكانا تارة يتقدمان وتارة يتاخران وكانت عيون الفرسان شاخصة اليهما وما زالا على تلك الحال الى وقت الزوال ندقت طبول الانفصال فافترقا عن بعضهما على سلامة ورجعا الى الخيام ولما اصبح الصباح ركب الامير دباب وتقدمت اليه ابنته وطفا وهى تبكى بدموع غزار فتعجب من ذلك وقال لها اعلمينى بما اصابك قالت مرادى ان تتوقف هذا اليوم عن قتال القوم فقد رايت حلما في المنام اصبحت منه فى اوهام ثم سردت له الكلام بهذا الشعر والنظام

ان الدهر اكوانى حتى زادت نيرانى
من اجل حلم شفته منه قلبي فزعاني
قد شفت بحر من دم وانت بوسطه غرقانى
شفتك في وسطه تسبح وكلت منك الدرعان
ماعاد لك قوة تخرج انا شفتك بعيان
وانت تنادي يا ابوزبد هيا يا ابو شيبان
فى سرعة قد وافاك ومد اليك الزندان
وقال لك يا ابو موسي امسكنى بالدرعان
فى الحال قد وافى عاجل وقد جابك للصيوان

(قال الراوى) فلما فرغت وطفا من هذا الكلام قال لها لا تخافى من هذا المنام فانه اضغاث احلام فلا بد لى من الحرب والصدام فاذهبي الى خبائك ولا تخافى على من اعداك فرجعت الى الخيام وتقدم دباب الى معركة الصدام فوجد الدبيسى انتظاره فصالا وجالا فى ساحة الميدان واخذا بالضرب والطعن حتى حيرا الاذهان ومازالا فى عنا وحصر من الصباح الى وقت العصر فاختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين

وكان السابق الامير دياب فابطلها الدبيسى بمرفته ثم هجم على دياب كسبع الغاب وطعنه بالرمح طعنة قويه فجاء الرمح فى فخذه فسالت دماه وآيس من الحياة واراد الدبيسي ان يعجل فناه ويبلغ منه غاية مناه واذا بفارس من بني هلال قد اقبل كانه قطعة من جبل وهو يهدر كالاسد فخلص دياب من ايدى الدبيسي ابن مزيد ورجع به حتى وضعه فى المضارب ثم انتحم الصفوف والمواكب وهو يصيح على الاعادى وينادى اتاكم ابوزيد وليث الوادى وجعل ينخي بنى هلال على الحرب والقتال فاجابته الى ماطلب رحلوا على جيش العدا من كل جانب فعند ذلك حملت العساكر على العساكر وتقاتلوا بالسيوف والخناجر وحمل الامير حسن بن سرحان وتبعته السادات والاعيان ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى اشتدت الاهوال وتمددت الابطال على وجه الرمال ومازالوا فى اشد قتال الى وقت الزوال وكانت عساكر الدبيسى قد استظهرت فى ذلك النهار واسرت عشرين فارسا من بنى هلال الاخيار من جملتهم الامير عرندس والرياشي ومفرج والهدار فلما شاهد حسن تلك الاهوال خاف على بنى هلال من الهلاك والوبال فلما نزل فى المضارب جمع قواد المواكب واخذ يستشير بهذا القصيد

قال الفتى حسن الهلالى ابو على ... الدمع من فوق الخدود قد جرى
والنار فى قلبي تهب وتنطفى ... قد زاد نار لهيبها وتسعرا
ياقوم اصغوا الى كلامي وافهموا ... وانت يا أبو زيد انظر ماترى
قوم الدبيسي يارجال اشاوس ... القرم منهم مثل سبع يهدرا
ياقوم ماهو رأيكم فتكلموا ... حتى ادبر فى اموري وابصرا

فلما فرغ الامير حسن من كلامه اجابه ابو زيد يقول

قال ابو زيد الهلالى سلامه ... يا ابو على اسمع و كون موقرا
واصغى لقولى يا ابن عمى وافتهم ... هذا مقدر فى الكتاب مسطرا
واعلم بان الدهر هذا حاله ... يوم لك ويوم عليك ياقسورا
اسمع كلامي ياملك وافتهم ... أني أشور عليك يافخر الورى
ارسل الى الزينات أحضر جميعهن ... حتى ينخوا فى القتال العسكرا
ثم نحمل فى الاعادى كلنا ... من فوق ظهر خيول ضمرا

اما الدبيسي سوف اقتله انا ... ويعود من فوق التراب مقهرا
وتجندل الفرسان في طعن القنا ... في يوم اغبر ينظرونه اشقرا
هذا جزاء من خان في اضيافه ... الله يقطع كل من يتكبرا

(قال الراوي) فلما فرغ ابو زيد من كلامه وفهم الامير حسن فحوى قصده ومرامه استحسنه وكذلك جميع السادات والاعوان وقالوا عن فرد لسان ان هذا الخطاب هو عين الصواب هذا ما كان من بني هلال واما الدبيسي فانه عند رجوعه من القتال كبرت نفسه عليه واحضر الاسري الي بين يديه وتهددهم بالقتل والدمار فوجدهم لا يبالون بالاخطار فارسلهم الى الحبس بعد ان شفى غليل النفس ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح اصطفت المواكب وترتبت الكتائب ولما تقابل العسكران برز القاضي بدير الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه فارس وكان من الابطال المذكورة فحملا على بعضهم البعض وتجاولا في الطول والعرض وتضاربا بالسيوف والقواضب وتطاعنا بالرماح والكواعب ولم يزالا في حرب وقتال وطعن بشيب الاطفال الى قرب الزوال وكان القاضي قد استظهر على جاسر وهجم عليه كالاسد الكاسر وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض يختبط بعضه ببعض ثم هجم على اخر فقتله وعجل من الدنيا مرتحله فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجع القاضي من معركة القتال فالتقته بنو هلال بالاكرام والاجلال وهنوه بالسلامة من الوبال وباتوا تلك الليله الى ان اصبح الصباح توائبوا الى الحرب والكفاح فبرز من قوم الدبيسي فارس وطلب قتال الفرسان ففاجاه الامير عقيل رهو اخو ابو زيد الفارس النبيل وصدمه صدمة جبار فالتقاه مثل الاسد الكرار واشار يقول

انا تميم يوم الحرب طعانا ... كم قد قتلت من الشجعان فرسانا
من ذا يقاتلني في يوم معركة ... لو كان عنتر يقاسي الموت عيانا
ان كنت فارس قاتلت ثم قاتلني ... حتى ابيدك ويبقى الدم غدرانا
فقادتي الحرب بالميدان من صغرى ... اليوم تبقى طريح الارض منهانا

قال الراوي فلما فرغ تميم من هذا الشعر والنظام فقال له عقيل لمثلي يقال هذا الكلام واشار يقول

عقيل غني من الاشعار اوزانا ... وفي الحرب شديد الباس طعانا

نحن الكرام لنا بالفضل قد شهدت ... كل الورى وملوك الارض تخشانا
اميرنا بن سرحان الامير حسن ... لم نلتقي مثله في الناس انسانا
اخي ابو زيد من شاعت مكارمه ... فكم سبى في الوغى اسدا وشجعانا
مافي الفوارس من قرم يماثله ... حامي حمانا من الحساد احسانا
انا عقيل لقتلك جئت اطلبه ... واجعل الدم فوق الارض غدرانا

قال الراوي فلما فرغ عقيل من شعره ونظامه حمل حملة قوية فالتقاه بهمة عليه واخذ في الصدام والعراك واشتبكا اشد اشتباك وماز الا على تلك الحال رهما في اشد قتال نحو ثلاث ساعات من النهار كان عقيل قد استظهر على خصمه غاية الاستظهار فضربه على عنقه بالسيف البتار واطار رأسه قدطار وكان له اخ اسمه ناصر فلما رأى ماحل باخيه هجم على عقيل هجمة الاسود فالتقاه عقيل بقلب كالجبل والتحم بينهما القتال وكان عقيل يريد سرعة الانجاز من الصدام والبراز فلاصقه وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وضربه بالحسام على رأسه شقة الى تكة لباسه فوقع على الفلاة وعدم الحياة وكان الوقت قرب الزوال فدقت طبول الانفصال ورجع عقيل الى بني هلال فالتقاه قومه بالكرامة وهنأوه بالسلامة وشكروه على فعاله وزادوا في اكرامه واجلاله واما عساكر الدبيسي ابن مزيد فكان قد تنغص عيشه وتنكد فاجتمعت الاكابر والعمد ودخلوا على اميرهم وتمثلوا بين يديه وقالوا الى متى هذا الحال فقد قتل لنا عدة من الابطال فجعل يواعدهم في الانتصار وفي ثاني الايام برز الدبيسي الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه غنيم بن مفلح وكان غلاما جميلا فقال له الدبيسي من تكون ياغلام حتى تبارزني في معركة الصدام فسوف اقطع رأسك بحد الحسام ثم انشد يقول

ابن مزيد قال من فكره نظام ... في نهار الحرب تقاني همام
انني أمير بالهيجا ملك ... وانت ما أرضاك تخدمني غلام
روح وأرسل بن سرحان الذي ... او أتيني في دياب ياغلام
أما ابو زيد الذي أنشا الحيل ... وهو بالمكر زائد عن الانام
أنت ما تلقى اليوم لحربي يافتي ... أنت هذا اليوم في عدام

فلما فرغ الدبيسي من هذا الكلام أجابه غنيم يقول

يقول بن مفلح من شعر نظام ... أنني كريم من قوم كرام

يابن مزيد انني فارس عنيد ... ليس من يلقى قتالى فى صدام
انت ظالم وبن ظالم يامالك ... ان ظلمك مشتهر بين الانام
كيف تتعرض لامير العرب ... ابن سرحان الفتى الشهم الهمام
ماهو مقامك وقدرك باوري ... حتى تقاتل بن سادات الكرام
انى ن مفلح بالحروب مجرب ... لابد ما أسقيك من كاس الحمام

قال الراوى فلما انتهي من هذا الشعر والنظام صدمه بقوة واهتمام ومازالا فى قتال شديد وحرب ماعليه من مزيد حتى صارت الشمس فى رابعة النهار حتى الدبيسى قد استظهر عليه غاية الاستظهار فاقتلعته من سرجه مثل العصفور وسلمه الى اصحابه فاوثقوا بالكتاف ثم صال الدبيسى وجال وطلب برازالابطال فبرزاليه الامير زيدان وصدمه بقلب اقوى من الصوان فالتقاه الدبيسى كالاسد الغضبان وأخذا يتضاربان ويتحاربان واستمرا على ذلك الشان نحو ثلاث ساعات من الزمان ثم افترقا بالسلامة والامان وبينما كان الامير زيدان راجعا من الميدان ضرب الدبيسى حصانه فارداه على بساط الفلاه فانقضت عليه جموع الدبيسى فاخذوه في الحال كتفوه واوثقوه قراد يه الهم والكدر وقد حملت به العبر وانشد يقول

يقول الفتي زيدان انا ولد غانم ... ولي عزم يقد السيوف البواتر
أيابن مزيد انت خائن يافتى ... جبان وفى يوم اللقا انت شادر
فاطلقنى اليوم ان كنت فارسا ... وعود التقبنى ياردى بالشواكر
فلو كان رمحى في يميني وصارمى ... لخليت منك الرأس على الارض طاير
وانى طريق البغى ماقط عرفته ... واني على طرق الهدى دوم سائر
ولكن ساصبر على ماقد صابنى ... وما خاب من كان بالخلاق صابر
وانا من خلفى الامير سلامه ... اذا ماهجم تلقاه كالسبع كاسر
وما عابني اسرك لانك غدرتنى ... الا قاتل الله كل خوان غادر
مقال الفتى زيدان عما جرى له ... ونيران قلبي زايدات سواعر

وأما بنوا هلال فقد هاجت منهم النساء والرجال واستعظموا تلك الاحوال وذهب منهم جماعة من الاعيان الى عند ابو زيد فاس الفرسان فوقعوا عليه وفوضوا أمرهم اليه وطلبوا منه ان يسعى بتخليص الفرسان والابطال من الاسر والاعتقال

قطيب قلوبهم وواعدهم بانه سيبذل المجهود ثم غير زيه وتنكر ولبس حلة من الحرير الاخضر ووضع طيلسانا على رأسه حتى لم يعرفه أحد وقصد الملك الدبيسي في الخيام ودعي له بالعز والانعام وكان كلامه معه باللغة الفارسية فلما رآه الدبيسي على تلك الصفة ظن بانه من دراويش الاعجام فاحترمه غاية الاحترام وقال له من أين اتيت يابن الاجواد قال من مدينة بغداد وانى من فقراء عبد القادر رب الفضائل والمآثر فقال ادعوا لنا يادرويش بالنجاح والانتصار وان الله يرزقنا بابى زيد الخادع المكار حتى نقتله على رؤوس الاشهاد ونبلغ منه مسرة الفؤاد وهو الذى كان السبب في قدوم بنى هلال الى هذه المنازل والاطلال فاذا اجابك الله طلبك بلغناك اربك فتعجب ابو زيد من هذا الكلام وقال الله يبلغك المرام بجاه مولاى عبد القادر وباقى الاولياء العظام ومادام كذلك اريد منك ان تامرلى بالذهاب الى البلد حتى انام في جامع عبد الصمد فسمح له بالذهاب وامر الحجاب ان تفتح له الابواب وعند دخوله الى البلد قصد باب الحديد وهو المكان الذى كانت مسجونة فيه فرسان بنى هلال فوجد هناك جماعة من العبيد وهم يطوفون من خلف وقدام تحت جنح الظلام فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا له من تكون من الانام فقال قد أرسلنى الدبيسى من مزيد لادعوا له في جامع عبد الصمد لعل الله يبلغه المراد ويقبض على ابو زيد بن الاوغاد وانتم من تكونوا من الناس فقالوا انا من جملة الحرس قد امرنا الملك ان نحافظ على اسرابى هلال خوفا من أبو زيد المحتال لئلا ياتى ويفكهم بالمكر والاحتيال ثم ان ابو زيد بعد هذا الحديث اخرج من شمعة جيبه مبنجة فاضواها بعد أن تركك مناخيره ضد البنج فلما اشتعلت فاحت منها رائحة زكية ولم تكن الا برهة يسيرة حتى وقعت الحراس كالاموات من ذلك البنج وبعد ذلك اخرج حجر المغناطيس فالقاه على الاقفال فتساقطت فى الحال ففتح الباب فرأى سادات بنى هلال في القيود والاغلال وهم يقاسون الاهوال فاعلمهم وفكهم من الاعتقال ثم اعطاهم أسلحة الجماعة وقال لهم اتبعونى بعد ساعة حتى اكون فتحت لكم ابواب المدينة فتخرجون بالراحة والامان ثم سار حتى وصل الى الباب فوجد الحراس جالسين وفي ايديهم السيوف والحراب فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقاموا له على الاقدام واجلسوه بجانبهم وجعلوا يخاطبوه ويخاطبهم وكان كثيرا مايمد يده الى جرابه ويأخذ قطعا

من السكر ويأكلها امام العسكر فقالوا ماهذا الذى تاكله ياشلبي قال هذا ملبس حلبي فقالوا اطعمنا ونحن ندعوا لك بالتوفيق والخير فاعطاهم قبضة كبيرة وكانت مبنجة فاكلوها ولما استقرت فى بطونهم حتي سقطوا على الارض وفى تلك الساعة اقبلت فرسان بنى هلال الذين كانوا ماسورين فساروا وجدوا في قطع البرارى والبطاح فوصلوا الى اهلهم عند الصباح فقامت الافراح وكثر الصياح واشتدت ظهور الابطال وشكروا ابوزيد على تلك الفعال واما أهل البلد فقد حل بهم الويل والنكد لما رأوا الحراس راقدين والاسرا غير موجودين ولما بلغ الديسي هذا الخبر طار من عينيه الشرار وتاكد عنده بعد التحقيق والتفتيش ان اصل البلاد من ذلك الدرويش وما هو الا ابو زيد صاحب المكر والكيد ولكنه أخفى الكد وأظهر الصبر والجلد وزحف بالعساكر والابطال لقتال بنى هلال فالتقته فرسان القوم فى ذلك اليوم وكان أول من برز الديسي سرور بن فايد فالتقاه الديسي بقلب كالصوان ولم تكن الا ساعة من الزمن حتى أخذه أسير وقاده ذليلا حقيرا فبرز اليه نعيم بن الزحلان وكان من صناديد الشجعان فاسره فى الحال واوثقه بالقيود والاغلال ومازالا على تلك الحال وهو ياسر الفرسان والابطال حتي أسر خمسين فارسا من بنى هلال وقد فقد منها عدة أبطال واشرفت على الوبال من هول القتال فلما كان اليوم الرابع هجم الديسي بالمواكب والطلائع قاصدا قتال بنى هلال وانطبق عليهم من اليمين والشمال فانلهم اشد قتال فكانت موقعة عظيمة لم يسمع بمثلها فى الايام القديمة كثر فيها الصياح وجرى الدم وساح فما كنت ترى الا رؤسا طائرة ودماء فائرة وفرسانا غائرة ودارت على بنى هلال الدائرة واستمر القتال على هذا المنوال حتي كثرت الاهوال على بنى هلال فلم يعد لهم ثبات فتاخروا الى الوراء وتفرقوا فى جوانب الصحراء وقد قتل فى الفريقين من ذلك النهار نحو عشرين الف بطل كرار ولما أظلم الظلام اجتمعت بنى هلال فى الخيام وهم فى حالة الذل والانكسار مما أصابهم فى ذلك النهار وعقدوا ديوانا مع الامير حسن وطلبوا منه ان يمدهم برأيه فاخذ حسن يحمسهم بالمقال ويشجعهم على الحرب والقتال ويقول لهم انه من الواجب ان نركب الحازية مع الغاريات ونحمل عليهم في الصباح بالكتائب والمواكب والاحلت بنا النوائب ومايعود

يسلم منا احد عندذلك اشتدت عزائمهم الحرب والصدام واجاوه عن فرد لسان
اننا سنقابل نهار غدا بالسيف والسنان حتى لا يبقى منا انسان ولما اصبح الصباح
واضاء بنوره ولاح دقت طول الحرب والكفاح فركبت العساكر واصطفت على
الميامن والمياسر وهجمت عساكر بنى هلال على عساكر الدبيسى والتقاهم الدبيسى
بقلب كالحديد وهجمت معه فرسانه الصناديد والتقت الرجال بالرجال والابطال
بالابطال واشتدت الاهوال وجرى الدم وسال وارتجت السهول والجبال ومازالوا
على تلك الحال حتى تضعضعت من الدبيسي الاحوال فعند ذلك مالوا من اليمين
والشمال وتفرقت جموعهم بين الروابي والتلال هذا والدبيسى ينخى الابطال ويقول
من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فانى خفا انا الفارس المؤيد المدعو بالدبيسى
مزيد فلا يبرز من ابطالكم المشهوره وفرسانكم المذكورة سوى ابو زيد صاحب
المكر والكيد الذي اتي الينا واحتال علينا فما اتم كلامه حتى صار ابوزيد امامه
وصدمه صدمة تزعزع الجبال وفى الحال التقيا فى ساحة المجال واصطدما كانهما
عرين وتزاحما كانهما اسدين حتى حان عليهما الحين وزعق على رؤوسهما غراب
البين واستمرا على تلك الحال الى نصف النهار واما ابوزيد فاستظهر على خصمه
وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وطعنه بارمح في صدره خرج يلمع من ظهره
موقع على الارض قتيلا ولما رات قومه ماحل به خافت من الهلاك والبوار فولوا طالبين
الفرار وقصدوا المدينة وقد انقطع منهم الامل فتبعهم ابو زيد وبنى زحلان والامير
دياب بنى زغبى والامير حسن باقي الفرسان وتبعوهم على ظهور الخيول ودخلوا
المدينة تحت ظلام الليل وضربوا فيهم بالسيوف حتى جرت الادمية في الاسواق
وبليت قوم الدبيسي بما لا يطاق وكانت ساعة مريعة كثر فيها الصياح والبكاء
والنواح وقد هجمت بنو هلال على الحصون والقلاع وخلصوا اسراهم من الاعتقال
ورجعوا من ساحة القتال وثيابهم كشقائق الارجوان من ادمية الفرسان ونزلوا فى
المضارب والخيام وقد بلغوا غاية المرام فخلعوا الحديد ولبسوا الاطالس والحرير
ودارت القهوة والشربات على الامراء والسادات وفى ثانى الايام نهض وزير
الدبيسى همام واخذ مزيد بن الدبيسي وامه بدرا وسار بهما الى عند الامير حسن بن
سرحان فدخل وسلم عليه وبكى بين يديه وطلب منه العفو والامان وان يعاملها

باللطف والاحسان ثم تقدمت الاميرة بدرا وسلمت على الامير حسن وتمثلت بين يديه هي والامير مزيد ثم تقدم بعدهما الوزير همام الى امام الامير حسن وقال له العفو يامالك الزمان فقد نصحت الدبسي جملة امرار وحذرته من عواقب الامور فلم يسمع كلامي الى ان نفذ به الامر المقدور ثم اشار يقول

يقول الفتى همام عما جرى له ... ونيران قلبي زائدات لماح
ايا بوعلي قد اتيتك بعزوتي ... وقبل رجائي ثم قول سماح
فاما الدبسي كان باغي بحكمه ... ومعي تري قد زاد بالاقباح
فجزاه رب العرش في سوء فعله ... وقد راح من جبره بسوء رواح
وهذي نسائه يا امير وابنه ... وفيك استجاروا اليوم باذباح
وهذا مزيد عاد اليك والتجى ... فوليه على العربان في لاصلاح
نحن بطوعك يا امير ابو علي ... مطيعين لامرك از تقول سماح

قال الراوي فلما فرغ الوزير من كلامه وفهم حسن فحوى قصده ومرامه اجابه الى ماطلب فاكرم مزيد وامه غاية الاكرام وخلع عليهما الخلع الفاخرة وانعم ايضا على الوزير وزاد له في التعظيم والتوقير وادى بالامان وزالت الاكدار والاحزان وكان مزيد خاطب ابنة عمه هند وكانت من النساء المحسنات فاعلم الوزير الامير حسن ذلك الخبر وطلب منه ان يزفها عليه قبل رحيله فاجابه الى ذلك الطلب وبلغه غاية الارب وفي الحال ذبحوا النوق والاغنام ودارت الافراح مدة سبعة ايام وعند تمام الافراح بالسرور والانشراح ولى الامير حسن مزيد مكان ابيه على تلك البلاد وطاعته جميع العباد وكان هذا الغلام محبوبا من جميع الانام لانه كان عاقلا فهما سخيا كريما يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف

قال الراوي وبعد تمام عرس مزيد بعشرة ايام امر الامير حسن بهذا المضارب والخيام وجمع المكاسب والاغنام وامر بالاستعداد للحرب ودق طبل الرجوج للرحيل الى بلاد الغرب وحينئذ اجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان فركب الامير ابو زيد والامير دياب والقاضي بدير وركب الامير زيدان شيخ الشباب والاسد المهاب بستين الف من الشباب وركبت الجازية مع العاريات وحينئذ ركبت الفرسان ظهور الخيول واعتلوا بالسيوف والنصول وانتشرت البيارق

وارتفعت السناجق وكانت الفرسان تهوج وتموج مثل ايام هاجوج وماجوج وجدوا في قطع البراري والقفار والسهول والاوعار وهم يوصلون سير الميل بسير النهار حتى وصلوا بعد عشرة ايام الى بلاد الاعجام فنزلوا في مرج واسع كثير المياه والمنابع فنصبوا المضارب والخيام وكان الحاكم على بلاد الاعجام في تلك الايام سبعة ملوك عظام وهم خرمند وعلى شاة والصلصيل والمغل و بندر والمنذر والنعمان ولما نزلت بنى هلال في ذلك المكان أطلقوا مواشيهم في المراعي وكانت كثيرة الخيرات والاشجار والنبات وفي مدة يسيرة أكلت الموشي العشب والاشجار والبساتين والاثمار وبعد ان أخذوا الراحة وامنوا من نوائب الزمان رجع الامير حسن والقاضي بدير الى نجد في جماعة من الاجناد لتحديد البلاد و بعد رجوع الامير حسن والقاضي الى نجد اجتمعت ملوك الاعجام عند الخرمند وجعلوا يتداولون في أمر نزول بنى هلال في ذلك البر و بعد مجادلات طويلة قال الخرمند اعلموا أيها السادة ان بنى هلال قد ملأوا البلاد وهم كل يوم في ازدياد فقالوا الرأى عندنا ان نبادرهم بالقتال ونسبي حريمهم والعيال وننهب ثروتهم والجمال قبل ان تكثر جموعهم علينا وتصل اذيتهم الينا

قال الراوى وكان الملك النعمان حاضرا في الديوان فصعب عليه ذلك الامر لان أصله من بلاد العرب فقال للملك الخرمند ان كان لا بد لك من حرب بنى هلال طمعا بالغنائم والاموال فارسل اطلب منهم عشر المال فان امتثلوا امرك الشريف وأجابوك لطلبك تكون قد بلغت منهم المرغوب وان امتنعوا عن ذلك فحينئذ تبادرهم بالقتال وتنهب أموالهم ومواشيهم وتطفى آثارهم وتلاشيهم فلما سمع منه هذا الخطاب رآه عين الصواب وكذلك صادقت عليه سادات الاعجام ثم ان خرمند بعد هذا الكلام استدعى بقلم وقرطاس وكتب الى بنى هلال يطلب منهم عشر المال أو يرحلوا من بلاده والا طلال

يقول الملك خرمند حاكم بلاده ... مليك على الاعجام قوم صعائب
ياغاديا منى على مين ضامر ... تسبق هبوب الريح مثل السحائب
فتهدى هداك الله فخذ لى رسالتى ... مكتوبة منى لقوم اطائب
فاقرأ سلامي على هلال جميعهم ... سلام حبيب مرها للحبائب

(تم الجزء الثالث و يليه الجزء الرابع)

الجزء الرابع من تغريبة بنى هلال وهو يحتوى على قصة الاعجام وسبى المارية ابنة القاضي بدير وما جرى للاعجام مع بنى هلال من الحروب والاهوال

وسلم على حسن الدريدى ابو على ... فذاك حسن امير كل الاعارب
وسلم على الزغبي دياب بن غانم ... يكني ابو وطفا سليل الاطائب
وسلم على الماضي بدير بن فايد ... امير قد سمى على المراتب
وسلم على بن زيد الهلالى سلامه ... امير بن امير من فروع اطائب
وقل له من أى باب دخلتم بلادنا ... رعيتم مراعينا وكل العشائب
فان رمتم ان تقيموا بارضنا ... وترعوا مراعينا وكل الجنايب
فهاتوا لنا عشر المال مع الخدم ... وعشر النساء والخيل ثم النسائب
وهاتوا لنا الفين حمره أصايل ... والفين مهر طائعات نسائب
وهاتوا لنا الفين درعا وخوذة ... والفين سيفا ماضيات قضائب
والفين دبوسا مفرش ومنجلى ... والفين ترسا والف رمح كعائب
والفين عبدا ياامير وعبدة ... وميتين سرية ملاح كواعب
وهاتوا لنا ميتين بنت مزخرفة ... بنات الاماراخيات النقائب
فان جبتم المال الذى قدرته ... تكونو لنا أحباب وعز صحائب
فان ابيتم ولم تجيبوا سؤالنا ... تريدوا الاقامة بارضنا والسباسب
واهجم عليكم فى الصباح بعسكرى ... وانهب مواشيكم مثل نار المهائب
واقتل أكابركم وافنى جموعكم ... رادعى جنتكم فوق اعلى التراتب
فهذا قول خرمند حاكم بلاده ... ويحكم يا الاعجام قوم اصعائب

قال الراوى فلما فرغ الخرمند من كلامه طوى الكتاب واعطاه لى نجاب وامره ان يسير الى حلة بنى هلال ويدفع الكتاب الى نائب الامير حسن بن سرحان ويرجع اليه من غير توان فامتثل النجاب امره وساروا حتى وصل تلك الديار فسال عن نائب الامير حسن فارشدوه الى مضارب أبو زيد فدخل وسلم عليه وتمثل بين يديه وأعطاه الكتاب وطلب منه سرعة الجواب فلما فتحه وقرأه وعرف رموزه ومعناه مزقه ورماه وكتب الى الخرمند هذا الجواب

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... فلا يكتم الاسرار غير الاصايل
ولا يكشف الاخبار غير خائن ... ردى الاصل من قوم ارازل
انا ابو رزق من اهل عامر ... وامي شريفة من خيار القبائل
سميت ابو زيد على الناس زايد ... كريم شجاع من كرام افاضل
زدت عليكم بالاصل والسخا ... والانس واللطف وحسن الخصائل
يا غاديا بالله خذ لي رسالتي ... انقرا الى الاعجام قوما صائل
وسلم على الخرمند امير جميعهم ... وكل كبار الفرس أهل الفضائل
بعثت يا خرمند تطلب لعشرنا ... عشر النساء ثم الخيول الاصايل
وتريد منا كل بيضة جميلة ... بنات الامارا رايدات الدلائل
فما تحظي بهم فان وراهم ... رجال حروب كالاسود تقاتل
وراهم حسن امير قيس وعامر ... مربى اليتامي في سنين المحامل
وراهم ابو موسي دياب بن غانم ... اذا رقب الخضرا تروحوا جفائل
وراهم ابو تكنا بدير بن قايد ... وزيدان مع موسى قروم حلاحل
وتعلم جميع هلال ثم عدادهم ... أربع تسعينات تحمى المنازل
وانا ابو زيد الهلالي سلامه ... وذكري شاع ما بين القبائل
سالقاكم غدا بقوة ساعدى ... وجيش بني هلال اهل الفضائل
وان كنتم لا تبرزوا لقتالنا ... فاني سالقاكم بوسط المنازل
واقتل أكابركم وكل رجالكم ... واهدم الى الكوفة تصبح رمائل
يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... ستذكرني الفرسان في يوم الهوائل

(قال الراوي) لما وقف الخرمند على هذا الشعر والنظام صار الضياء في عينيه كالظلام وقال هل بلغ من قدر بني هلال ان يخاطبوني بمثل هذا المقال وانا ملك بلاد العجم وذكري شائع في جميع الامم ثم انه استدعى في قواد العساكر من يعتمد عليهم في الحروب والمخاطر وامرهم ان يستعدوا للقتال ويجمعوا الفرسان والابطال فامتثلوا امره في الحال وجمعوا الابطال والفرسان حتي اجتمع خمسمائة الف عنان وارسل الي بلاد خراسان ان تمده بالجيوش والعساكر ثم انه ركب في ثاني الايام للحرب والصدام ولما بلغ ابو زيد هذا الخبر ركب في جموع بني هلال واشتبك بين الفريقين

القتال وعظمت الاهوال وهجمت العجم على العرب بقلوب كالجبال فالتقتها بنى هلال بالسيوف والنصال و بذلوا فى ذلك اليوم غاية المجهود وما زالوا على تلك الحال وهم في أشد قتال الى ان ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال فافترقوا عن بعظهم البعض ونزلت كل طايفة فى ناحية من الارض

(قال الراوي ولما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح دقت طبول العجم فركبت الابطال وتسارعت الفرسان الى ساحة المجال فالتقتها بنى هلال وفى أوائلها ابوزيد ليث الميدان ولم تكن الاساعة من الزمان حتى التقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وكانت العجم قد تقدمت الى قدام بقلوب قوية وهمم عنية وصدمت العرب صدمات الجبال وما زال الحرب بين القوم الى ان ولي ذلك اليوم وكان الانتصار للعجم فارتدت العرب الى الوراء بعد ان كانت ظافرة

(قال الراوي) ولما أصبح الصباح ركبت العرب على ظهور الخيول وتقدموا بالسيوف والنصول وطلبوا ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان فالتقتهم الاعجام وأخذوا في الحرب والصدام وكان اول من برز من بنى هلال وطاب براز الفرسان الاسد الكاسر والبطل القاهر ليث المعارك والوقائع الاميرابوزيد وانشد يقول

يقول ابوزيد الهلالى سلامه ... ولى عزم أمضى من رهيف حسام
أنا فارس الفرسان في يوم الوغا ... انا قاتل الابطال يوم الصدام
ولى همة قد شاع فى الناس ذكرها ... وصيت فى بلاد العرب والاعجام
اعد أنيت اليوم قاصد حربكم ... فبرزوا لى أيها الاقوام
ولا يبرز لى غير كل مجرب ... وكل شجاع سيد مقام
فسوف ترى ماذا يحل بجمعكم ... من سيف ابوزيد فارس القمقام

قال الراوى فلما انتهى من شعره ونظامه برز اليه من صفوف الاعاجم فارس موصوفا بالشجاعة والمكارم يقال له الهامرز ربلقب بفلاق الجماجم فحمل على ابوزيد حملة أسود الغاب فالتقاه ابوزيد فاخذ معه في الحرب والصدام واشتد بينهما القتال وكانا تارة يتقدمان وتارة يتأخران وكانت جميع الابطال والفرسان شاخصة اليهما بالعيان وما زالا على تلك الحال وهما في أشد قتال حتى علا عليهم الغبار وحجبهما عن عيون النظار ولم تكن الاساعة من الزمان حتى استطال ابوزيد على خصمه فى ساحة

الميدان فضربه بالسيف على عاتقه أخرجه بلمع من علائقه فوقع على وجه الارض يختبط بعضه ببعض فلما رأت طوائف العجم ما حل بأميرها بربرت وحملت من اليمين الى الشمال فكانت وقعة مريعة حتى قتل فيها كثير من الفرسان فلله در ابو زيد البطل الحلاحل فانه شق الصفوف والجحافل وتبعه من بني هلال كل شجاع مقاتل وقدهان عليهم الموت الاحمر أملا بالنجاح و لوغ الوطر وما زال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى أن ولى النهار فعند ذلك دقت طبول الانفصال وكان قد قتل من العجم في ذلك النهار اكثر من عشرة آلاف فارس كرار وقتل من بني هلال خمسمائة من الابطال ولما نزلوا بنو هلال في المضارب والخيام جمع أبو زيد الفرسان وقال لهم اعلموا يا بني الاعمام أن الاعجام كثيرة العدد ونحن قليلوا المدد ليس لنا من معين ولا ناصر سوى السيوف البواتر فمن الواجب أن تثبتوا ثبات الاسود الكواسر ولا تبالوا بالاهوال والمخاطر والا هلكنا ولم يبق منا احد فاجابوه أنهم سيبذلون المجهود ويقاتلون قتال الاسود

(قال الراوي) ولما اصبح الصباح دقت العجم الطبول ونفخ بالنفير وعلت منهم الضجات وارت تجمع ركض خيولهم الاراضي والفلوات وهم يهمهمون و يدمدمون و يبربرون وكانت بنو هلال قد ركبت عند طلوع النهار وفي اوائلها الاسد الكرار والبطل المغوار ابو زيد الفهار الذي شاع ذكره في سائر الاقطار وخضع له كل صنديد وجبار ولما التقى العسكران حملت الابطال على الابطال والفرسان على الفرسان ووقع السيف والسنان على المواكب والابدان وتقدم الشجاع وولى الجبان وعظمت الاهوال والمصائب وكثرت المخاوف والنوائب وكان يوما من أعظم الايام فيه فتكت العرب بالاعجام وقتلت منهم استة آلاف من الابطال الموصوفة وكسرتها الى قرب الحلة والكوفة وكانت العساكر والفرسان التي أرسل الخرمند في طلبها من بلاد خراسان قد حضرت مساء ذلك النهار فملأت بكثرتها جوانب القفار ففرح خرمند بقدومها وايقن بالنجاح والانتصار ولما أصبح الصباح ركبت الاعجام طالبة الحرب والصدام فالتقتها بنو هلال و بذلت غاية مجهودها في نوال مرغوبها ومقصودها ولكنها قد تاخرت الى الوراء نظراً لقلة عددها وطلبت جوانب الصحراء وكسبت منها العجم عدة من الخيل والجمال والامتعة والاموال ورجعت بنو هلال من معركة

القتال في أسوأ حال وفي اليوم الثاني ركب ابوزيد في الرجال والابطال وهو ينخي الفرسان ويشجعهم على لقاء الاخصام وقال لهم هذا اليوم عليكم من أعظم الايام ثم التفت الى السيد الكريم الامير غنيم وهو خطيب المارية بنت القاضي بدير ابن فايد وجعل يحمسه في الكلام ويشجع قومه على الثبات ثم فهم غنيم وقومه فحوى كلامه وتحمست الفرسان والابطال واشتدت قلوب الرجال وماجت بنو الزخلان وبنو هلال وارتدوا على طوائف الاعجام كليوث الآجام وقدامهم ابوزيد فارس الملامع وهو يهدر كالاسد الكاسر ولا يبالي بالاهوال والمخاطر وفضل المهات على الانهزام والشتات هذا وقد فتكت ابطال بني هلال بالعجم فتك الذئاب بالغنم وأوردتها موارد الحتم وكانت ساعة من أعظم الساعات فيها ارتفعت الضجات وتمكنت الصوارم في رؤوس الفرسان والسادات فعند ذلك ولت الاعجام هاربة والى النجاة طالبة وخلص ابوزيد من ايديهم النساء والبنات ورجع بالنصر والاقبال الى المضارب والابيات مع باقي الامارا والسادات هذا ما كان من ابوزيد الاسد الكرار والبطل المغوار وما فعله في ذلك النهار واما المارية ابنة عم الامير غنيم فكانت في هودج على جمل أهوج فلما اشتد القتال انهزم بها ذلك الجمل وسار بها على عجل فرأت نفسها بقرب الحلة والسكونة والصاصيل وراء هودجها طالب أخذها فصاحت على ابن عمها من ملور أسها كان المذكور بالقرب منها فلما سمع نداها ترك القتال وأتاها فجعل يطعن الابطال ويمد الفرسان على وجه الرمال حتى انتهى اقترب من نواحيها وهو يصيح وينادي ها ويقول لبيك يا ابنة عمي وفارجة همي وغمي فقد أتيتك فابشري بالخلاص من شرك الاقتناص فلما رأته فرسان الاعجام قد تقدم مالت عليه من خلف وقدام وأخذت معه في الحرب والصدام فبينما هو يقاتل ويدافع واذا بالصاصيل قد جاء من خلف ظهره وطعنه بالرمح فخرج من ظهره فوقع على الارض قتيلا وفي دمه جديلا فساق الصاصيل هودجها في الحال بينما كان ابوزيد مشتغلا بالقتال وما عنده خبر بهذه الاحوال فلما أمسى الظلام ورجع ابوزيد عن الحرب والصدام دخلت مارية الحلة مسبية مع الاعجام وهي تبكي وتصيح وتستغيث من فؤاد جريح وليس من يسمع نداها

(قال الراوي) وبينما كان الامير ابوزيد في خيامه مع سادات أقوامه وهم يشربون المدام ويأكلون الطعام والنساء تدق لهم بالدفوف وتدعوا لهم بطول العمر على ذلك

النجاح والنصر واذا بالابطال قد اتوا بجملة غنيم من ساحة القتال وأقاموا عليه النواح والصياح فسأل ابوزيد عن السبب فقالوا يسلم رأسك يا امير غنيم فانه كان يقاتل بقرب هودج مارية الى أن ضايقته الابطال فقتل وشرب كاس الحمام وراحت مارية سبية الاعجام فلما سمع ابوزيد هذا الخبر تنغص عيشه وتمرمر وطار من عينه الشرر ولكنه لما رأي نفسه مغلوب من العجم لكثرة ما عندهم من الخلائق والامم كتب الى الامير دياب يعلمه بواقعة الحال ويطلب منه المعونة فى القتال وأرسل الكتاب مع عشرة ابطال فلما وصل الكتاب الى الامير دياب ووقف على ما تضمنه من الخطاب امتنع عن الحضور وقال الرئيس اولى بحماية الجمهور وهذا أمر لا يعنيني غوايله فلما وقف ابوزيد على هذا الخطاب غاب عن الصواب وغضب من كلام دياب ثم انه كتب الى الامير حسن يعلمه بهذا الشان ومثل ذلك الى القاضى بدير يعلمه بما جرى بينه وبين الاعجام لما فرغ ابوزيد من ذلك الكتاب وسلمه الى النجاب وأمره أن يجد فى مسيره حتى يصل الى بلاد نجد ويسلمه الى الامير حسن ويرجع اليه بسرعة الجواب

(قال الراوى) ومن الاتفاق الغريب بان القاضى بدير رأى فى تلك الليلة حلما وهو انه كان قابض على حمامة بيضاء واذا بعقاب أسود قد هبط من الجو فخطفها وطار فاستيقظ من المنام وهو فى قلق عظيم وسار الى عند الامير حسن وقص عليه الرؤيا فقال يا ابن العم هذا الحلم يدل على ضيق وغم وان صدقنى حذرى ولم يخطئ فكرى فاقول ان ابوزيد معه باقى الفرسان فى أشد ضيق الآن وان ابنتك مارية قد خطفتها الاعجام فلما سمع الماضي هذا الكلام صار الضيا فى عينيه كالظلام وقال له مادام الامر كذلك فيجب أن نركب حالا ونجد فى قطع الفيفار ونكشف خبر قومنا فى تلك الديار فاجابه الامير حسن الى هذا المرام وركبوا فى ساعتهم ومعهم فرسان الصدام وقصدوا تلك الاطلال قاصدين بنى هلال وكان ذلك النجاب الذى أخذهما الكتاب قد سار قصدهما ولكنه أخطأهما الطريق وعند وصولهما بالعساكر والابطال الى اول تجوع بنى هلال فالتقى الامير حسن باحد العبيد وكان اسمه سعيد فسأله القاضى بدير عن احوال القوم فاجابه بقول

يقول سعيد راعي البوش صادق ... فمن بعدكم هلال يا ما جرى لها
فثارت جموع العرب تجمو عهم ... وجرى بينا حرب يشيب طفالها

وقد كسبوا منا ثمانين بنت مزخرفه ... بنات الاماره فوق عالى بكارها
ومارد البنات سوي ابوزيد اميرنا ... هزم الى الاعجام بطعن نصالها
وما راح منهم غير بنتك خطيفة ... ساروا بها الاعجام فى أطلالها
تادا الجمل فيها وقد طابت الخلا ... وصاحت لغلمان لها ورجالها
فهجم اليها غنيم ابن مفلح ... كجلمود صخر انحدر من جبالها
وقد قتل من الاعجام عدة ... بالسيف لقاهم غنيم قبالها
تهيا له سهما من البين أصابه ... بحربة تشابه الشمس عند اشتعالها
ودخلوا بها الخلة وسدوا بابها ... وعادت ملوك العجم تنظر دلالها
بكينا عليها يا امير جميعنا ... ومن أجلها شق العذارى ذيالها

فلما فرغ سعيد من هذا الشعر والنظام صار الضيا فى عينى القاضى كالظلام وقال له خيبك الله على هذه البشارة ثم انه سار مع الامير حسن حتى أشرفوا على الامير دياب فالتقاهم دياب بالاكرام والترحاب وطلب منهم أن ينزلوا عنده فابى الامير حسن وقال له علامك يا امير ماركبت مع ابوزيد على قتال الاعجام أنسى الحريم والعيال وتنهب النوق والجمال وأنت جالس فى الخيام دون فكر ولا اهتمام قال ان الذى منعنى يا لك الزمان هو خوفا من هجوم العدا الى هذا المكان فتنهب الاغنام ثم ركب دياب مع القاضى والامير حسن وركبت معه الابطال والفرسان ومازالوا يجدون المسير حتى وصلوا الى عند ابوزيد فالتقاهم بالتعظيم والاحترام وكان ذلك النهار عنده من أعظم الايام فنزلوا عنده فذبح لهم الاغنام وقدم لهم الطعام والمدام فامتنع الامير حسن عن الاكل وهو مغتاظ زعلان فساله ابوزيد عن سبب ذلك فقال انى مغتاظ عليك كيف تفقد الماريه من يديك ثم أنشد يقول

يقول الفتى الدربدي ابو على ... ولى قلب من جسور الزمان ملاه
ابوزيد انا مغبون والغم زادنى ... وماعاد عندي حيل أدوم قواه
على شان أخذ الماريه وأنت حاضر ... وأنت أمير القوم أعظم جاه
وأبواب كل الحرب أنت ملكتها ... وماحارها غيرك بضرب قناه
واسمك ابوزيد على الناس زائد ... وغيرك كبير القوم ما نرضاه
ابوزيد أعلمنى ابوزيد قولى ... كيف العجم ظفروا يا ويلاه

فلما فرغ الامير حسن من هذا الكلام اشار القاضي يعاتب ابوزيد على سبي ابنته بهذا الشعر والنظام

يقول الفتى القاضي بدير بن فايد ... قلبي احترق ياعزوتي في نارها
ابوزيد اين المارية قد وظرت ... دون الحريم رما أحد قد جالها
كنت المامل فيك من نجوا الحريم ... وأنت كبير القوم نعم كبارها
هل عدت بعد اليوم أنظر وجهها ... وترها عيني مع جميع جوارها
وكنت حاضر حربكم وقنا لكم ... لفتكت في لاعجام مع أبطالها
ضربت فيهم يا امير بصارمي ... حتى أريهم حربها وقتالها
واجيب بنتي لوقفات بقربها ... وأخذت من جند الاعاجم ثارها

فلما فرغ القاضي من شعره وفهم ابوزيد فحوى كلامه أجابه بقول وعمر السامعين يطول

يقول ابوزيد الهلالي سلامي ... بدمع جرى من مقلة العين تابع
يابوعلي اسمع كلامي وافهم ... وأنت ياقاضي فكن لقولي سامع
انا ابن بنو الاعجام من كل جانب ... سبعة ملوك من غير التوابع
فصحنا عليهم هاجمين بعزمة ... قتلنا منهم الفين ماعد التوابع
فكانت فتاة الحي مارية المها ... غدت فماد القوم فيها طوابع
جننت بكرها فيها وانا مارايتها ... وقلبي لاجل المارية عاد واجع
وعادت تنادي الصوت يا آل عامر ... ويومي بايديها وتلوي لاصابع
أني نحوها المدعو غنيم بن مفلح ... وقاتلهم بقلب شديد غير واجع
طعنه الملك صلصيل بالرمح عمايه ... بحربة نورها كالشمس ساطع
وحان ظلام الليل بيني و بينهم ... وعاد العجم من بعد هذه الوقائع
وحق كلام الله والبيت والحجر ... فلابد لي من حربهم ان أسارع
لابد من أن أجيب المارية ... وأهدم الكوفة وارتد راجع

فلما فرغ ابوزيد من كلامه قال له الامير دياب والله يا ابوزيد لو كنت حاضر قتال العجم ما كنت تركتهم يسبوا المارية و يبسطوا على الاموال والحريم بل كنت قاتلت اشد قتال اوان اموت تحت ارجل الخيل والابطال . فلما سمع ابوزيد هذا الكلام كان عليه اشد من ضرب الحسام فالتفت اليه وقال له امام الاعيان صدقت يادياب بن غانم

وبما انك كنت قادر على كسر الاعجام فلماذا ماحضرت وظهرت شجاعتك
في الميدان عندما ارسلت خلفك عشرة فرسان ولا بد من ان تقصدنا الاعجام وحينئذ
ترينا شجاعتك في معركة الصدام واما ما كان من الاعجام فانهم لما رجعوا الى اوطانهم
تنازعوا ملوكهم على المارية بنت القاضي بدير وكان كل واحد يريد ان ياخذها لنفسه
دون الغير وذلك لما فيها من الحسن والجمال والبهاء والكمال. فاتفق رأيهم على اعطائها
للشاه خرمند لانه كان من اكابر الملوك. وانهم يركبوا على بني هلال. مره ثانيه وكل من
يكسب امرأة تكون له مثل المارية وفي ثاني الايام ركبت ملوك الاعجام على بني
هلال فركب الامير حسن واستقبلهم في ساحة الميدان ماعدا ابو زيد فانه يركب معهم
لقتال القوم وجعل نفسه مريضا في ذلك اليوم. ولما انشب القتال. وعظمت بين
الفريقين الاهوال هجمت الاعجام على بني هلال مثل اسود الدجال وقاتلت اشد
قتال وجعلت ترميهم بالنشاب وتطعنهم بالمزارق والحرب بدون خوف ولا ارتياب
فلما رأت بنو هلال تلك الاحوال وهجوم العجم عليهم من اليمين والشمال خافوا من
الهلاك والوبال فارتدوا الى خلف وانهزموا اشد انهزام وتبعتهم فرسان العجم
حتى ادخلوهم الى الخيام ثم داروا وانهبوا في الابيات ويسبوا النساء والبنات فوقع البكا
والنواح وزاد العويل والصياح فلما سمع ابو زيد عويل النساء والاصوات التي ترتعش
من صياحها الاذان. عظم عليه الحال وعصفت في رأسه نخوة الرجال فركبت الابطال
والفرسان وفي ايديهم السيوف والرماح فالتقى عسكر الاعجام وحكم في رقابهم ضرب
الحسام فردهم عن المال والحريم باذن الله الملك العظيم فارتدوا منهزمين والى الكوفة
طالبين وهووقرمه وراءهم مثل الشواهين الى أن بلغ منهم المراد وقتل عددا كثيرا من
الاجناد ثم ارتد منتصرا وعند وصوله الى الصيوان التقاه الامير حسن بن سرحان وشكره
على تلك الفعال وقال له مثلك تكون الابطال يا زينة الرجال فلولاك كنا في اسوأ حال
وصرنا معيره بين سائر العربان على طول الزمان وكذلك القاضي بدير فانه اثنى عليه وكان
متاسفا على فقدا بنته مارية امام الحاضرين فقال ابو زيد للقاضي كن مطمئن الخاطر من
هذا القبيل فلا بد لي من خلاص ابنتك ايها القاضي الجليل واشفي من عساكر العجم الغليل
ثم ان ابو زيد صبر الى وقت الظلام ونهض كسبع الاجام وتزيا بزي الاعجام وسار
الى مدينة الكوفة محل الاعاجم وفي صحبته عبده ابو القمصان و بدر بن غانم وعنده

وصوله اليها وجدوا ابوابها مغلقة فدار من جميع الجهات فلم يجد منفذا فبينما هو يتفرج ويتامل اذ رأى دهليزا صغيرا منزل فيه فاوصله الى البلد فالقي جماعته بانظاره واخذ يطوف من زقاق الى رقاق ويجول بين الحارات والاسواق وهو يتجسس لاحوال ويتوقف على الاخبار وكان كلما نظر اليه انسان يكلمه فى لغة الاعجام بافصح لسان وما زال سائر من مكان الى مكان حتى وصل الى حارة عظيمة البنيان ذات اربعة عمدان وفوقها قصر جميل الهندام من الرخام وشبابيكه مصفحة بالذهب واذا به يسمع آلات الطرب فقال ابو زيد فى نفسه ان صدق حدسى هذا قصر الملك خرمند لا محال لما عليه من الهيبة والجلال ونظر ايضا الى شجرة من الدور واصلة اغصانها الى شباك القصر فصعد عليها حتى وصل الى أعلاها ولما صار عند الشباك وجه نظره الى تلك الغرفه فوجدها من احسن الغرف مزينه بالفرش الفاخر. ورجد سبعة ملوك العجم جالسة على كراسي من الذهب ومارية جالسة بينهم كانها القمر وهى لابسة ثياب تذهل البصر وكانت ملوك الاعجام تشرب المدام والمغاني تغنى لهم بانواع الانغام. فبينما هم كذلك واذا بخرمند التفت الى ماريه وقدم لها كاسا من المدام وقال لها خذي واشربى يا بنت الكرام وغنى لنا بافصح كلام حتى يزيدا نشراحنا ويكمل سرورنا وافراحنا فما تنغصت عن الشراب وزادت فى البكا والانتحاب فلم يهن ذلك على الملك النعمان فنهض من وسط الديوان وكان اصله من العربان وكان الملك خرمند متزوج بابنته هند فقال دعوها ولا تكلموها فانها من بيت كبير وابوها قاضى واميروهذا لا يفعله حقير ولا صعلوك فكم يا حرى الملوك ولكن من جهة الغنا فهذا ليس فيه عيب ولا تعب ولا عناء ثم التمس منها النعمان ان تغنى بابيات حسان ولا تخاف من عواقب الزمان فلما سمعت هذا الكلام اشارت تغنى وتقول وتشكو احالها لبنو هلال من فؤاد متبول

تقول فتاة الحي مارية المها ... فنار الضنا والشوق يكوى ضميرها

بالله يا ريح الحجاز اذا سري ... تهدى هداك الله خذلي سطورها

اذا جيت الى نجد العدية بلادنا ... فسلم على كبيرها مع صغيرها

وقل لهم عنى والقول صادق ... بانى الى لا عجام صرت اسيرها

وقل لهم لا يحملوا سمر القنا ... ويلقوا عما يهم ويرموا حريرها

الا يا هلال فانجدينى بسرعة ... فقد صرت فى ذل حال عسيرها

وان لم تجدوني طال ذل خاطري ... وصندوق صدري ضاق في تكثيرها
وقد جاني الخرمند داخل قصره ... مع المغل والصلصيل ومذروزيرها
وفي قربة القمة نام اخاه بن والده ... يشبه دياب الخيل قرما يغيرها
فقال لي من اي قوم ماريه ... فقولي كلام الصدق بدر منيرها
فقالت له من عزوة هلال وعامر ... انا بنت سيدها انا بنت اميرها
فبالله يا ريح تحمل رسالتي ... واحمل سلامي بالعجل وسطوها
ورح الى ابوزيد الهلالي سلامي ... فقبل لرأسه فهو خير اميرها
وقل له قالت الفتاة الماريه ... شكت امرها فانهض اليها وجيرها
ابوزيد ابوزيد يا كاسب الثنا ... ارحم فتاة تاه فيها ميرها
الا يا دياب الخيل عاون سلامي ... وفك هلال كبيرها وصغيرها

فلما فرغت الماريه من هذا الشعر والنظام طربت ملوك الاعجام وشرب خرمند كاس المدام ثم اعطاه الى الساقي ليسقي الباقي فاملاه وندمه الى الصلصيل فاخذه والتفت الى ماريه امام الناس وقال عينك على هذا الكاس وجعل يتامل في حسنها وجمالها وانشد وقال

يقول الفتى الصلصيل صادق ... الا يا ماريه قومي اطربيني
وغني لي على كاسي بيوت ... وهاتي من نظامك سمعيني
وقومي اجلسي بالقرب مني ... لانظر حسنك في طرف عيني
اخذناك سيبة يا مليحه ... بسيفي ثم رمحي ذا الردني
فقومي اشربي كاسا وطيبي ... يزول الهم عنك والغبوني

قال الراوي فلما فرغ الصلصيل من نظامه اجابته ماريه تقول

تقول الماريه بنت المسمى ... ابو تكنا ذو الرأي المتين
انا قد كنت عند اهلي بنعمة ... واهل الارض طرا يعرفوني
اتونا الفرس من كل النواحي ... فغاروا بجمعهم مثل الحصون
وقد قتلوا غنيم بن عمي ... وما زالوا الى ان سبوني
متى تنظر عيوني الى سلامه ... ابو زيد الاسد العربن
يكر على الفوارس لا يبالي ... ترج الارض من عزمه المتين

فلما فرغت الماريه من شعرها ونظامها وفهمت ملوك العجم فحوى كلامها. قال الخرمند الى الساقي املى كاس المدام وناوله الى الماريه بدر التمام حتى تفرح وتطرب ويزول عنها الحزن والكرب فخجلت مريه من الناس وقالت للنعمان انى لا اشرب من هذا الكاس لانك كما تعلم ايها السيد المعظم بان مشروبنا هو حليب النوق والغنم ولا نشرب غيره من المشروبات لاسيما النساء والبنات فان ذلك عندنا من اعظم العار فاعتذر النعمان عنها الى خرمند امام الجلاس وقال له اعفها من هذا الكاس لانها غير معتاده وليس في التكرار افاده فتناول الخرمند الكاس من الساقي وقال اريد منك ان تصف لى ماريه امام هؤلاء الملوك وتذكر حسنها وجمالها. فقال سمعا وطاعه وانشد هذه الابيات

يقول فراج انا ساقى الملوك ... الدمع من فوق الخدود تبددا
من ورايتى الماريه عقلى شرد ... ما عادلى صبرا بان انجلدا
الشعر منها مثل ليل دامس ... اومثل لون غراب طائر اسودا
والوجه منها مثل بدر طالع ... وجبينها يسطع كبدر موقدا
وعيونها مثل الغزال فواتك ... فكانها حوريه تتوقدا
وخدودها كالورد تزهو كانها ... تفاح شامى احمرا وموردا
وشفافها ثمر العراق وسكرا ... وسنانها تزهو كدر منضدا
ان طمتني خرمند ارسل ماريه ... ارسل لبنت البدو باكرا من غدا
لا تحسبن لا منتجد فى قومها ... هذى وراها كل قرم امردا
ان شانها ابوزيد يهجم سرعه ... يضرب بسيفه من طغا وتمردا
ان طمتنى خرمند ارسلها غدا ... واسعى لهم بالصلح لا تتردا
لا تتبع الصلصيل فى اراثه ... شور الفتى النعمان خير وارشدا

فلما فرغ الساقى من كلامه وسمع الخرمند وباقى الملوك فحوى شعره ونظامه قال له الخرمند احسنت بما قلت فعند ذلك نهض النعمان واراد ياخذ الماريه الى بيته فاعترضه الصلصيل وقال انى كسوتها بالثياب الفاخرة والحلل الباهرة وانا احق بها من كل احد فقال له النعمان انى لا امكنك من ذلك حتى نرى على ماذا ينتهى الحال بيننا وبين بنى هلال واما من رأيي ان نطلق سبيلها فتذهب الى اهلها خوفا من القيل والقال فقال الصلصيل هذا لا يكون وانا مرادي ان اتناشد معها بالاشعار امام هؤلاء

السادات والاخيار فانا انشد من الشعر وهى تجيبنى عليه ولا تريد غير ذلك ثم اشار الصلصيل يقول

قال الملك صنصيل يامارية غنى لى وارفعى المنديلى عن وجنتيك الحمرا
خيب الله امك ما اكره ريحة فمك زاد الله غمك يا بو لحية الشقرا
يامارية بحياتك قومى اشربى كاساتك وبيني شاماتك عن وجنتيك الحمرا
صلصيل يا صلصيل بطل كلام القيلى رافهم يامذلولى نحن بنات الامرا
قومى تعالى لقرب لاذوقك من شربى وقربى لجنبي حتي تطيب السكرا
صلصيل قال كلامك واوزن مقالك غدا يسير هزامك من سباع قفقرا
يامارية ارتدى برجالك لا تعتدى بالحرب ماهم قدى غدا دمهم يجرى
صلصيل دع الغالى بطل كلام العالى البطن مطوى كالحرير
فانه يبلى عليلا بالفرش مدثرا باكر تجيك هلالي مثل جراد الصحرا
يامارية نرسالك هل يجون من شانك وحيات سودعيانك ماينظروك نظرا
خلى السودعيانى واتى غدا فرساني باكر يجي زيدان ودباب راعى الخضرا
يامارية لا تزبدي بقولك لا تعيدى ان الجميع عبيدى مايلتقونى يكرا
غدا يجيك سلامه اسمر طويل القامه سيفه يزيل الهامه فى كل ضربه عشرا
سلامه ذاك راحى من يوم دز رماحى ان انى الكفاحى اقتله فوق الصخرا
غدا يجيك الغالي امير بخته عالى حسن كبير هلالى قومه كموج البحرا
ذاك ما اعده بيوم الحرب اهده بحد سيفى قده اجعله وسط القبرا

(قال الراوى) فلما فرغ الصنصيل من هذه المنادمة والمحادثة والمكالمة كانت جالسة بقربه اخت الملك خرمند وكان اسمها تاج بخت فلما سمعت بان مارية شتمت عمها الصلصيل فى شعرها واهانته بالكلام كان ذلك عليها أشد من ضرب الحسام فنهضت علي قدميها ولطمت مارية بين عينيها وقالت هل بلغ من قدرك يابنت الكلاب ان تتكلمى بمثل هذا الخطاب وكانت الضربة شديدة فالمتها فاندفق الدم من جبهتها فلما شاهد ابوزيد تلك الحال خرج عن دائرة الاعتدال ولولا وجود الحديد بالشباك لكان دخل اليهم واورث العجم الدمار والهلاك وأما الملك النعمان فانه استعظم ذلك الامر لما نظر الدم يقطر من جبين

مارية فنهض على الاقدام وصل فى كفه الحسام وجعل يتهدد الاعجام

قال الملك النعمان عقلي طارا ... والقلب منى يلتهب بالنارا
قد جبتم بنت الكرام لداركم ... ياعادمين العقل والافكار
لو عاينت فرساتها أفعالكم ... أو شافها ابوزيد وقت الغارا
لرأيتم أفعاله او قتاله ... أوهجومه بين الصفوف جهارا
انى ساسعف ماريه بمهندي ... بضرب يقد الروس والاحجارا
قول الفتى النعمان قول صادق ... لابد أن لى أقيم الغارا

فلما فرغ النعمان من هذا الكلام وسمعته ملوك الاعجام خافت من الشرور وعواقب الامور فقال خرمند للنعمان خذ مارية الى عندك هذه الليلة وابقها لانه يخشى من تواليها فتى ظفرنا بهؤلاء العرب فحينئذ نبلغ منها الارب فعند ذلك أخذ النعمان من يدها وقال لها انهضى ايتها الاميرة الي بيتي فنهضت وسارت معه من عند الاعجام ولم يعترضها احد بكلام فلما شاهد ابوزيد أفعال النعمان شكره في قلبه علي ذلك الشان وقال له از هذا الرجل الجليل يستحق كل جميل ثم نزل من أعلى الشجرة وتبع أثار النعمان حتى وصل الى منزله وهو من وراءه فسمعه يقول لابنته خذى هذه الاميرة وافرشى لها فى غرفتك فانها من بيت شريف فرحبت بها وأخذتها الي عندها ثم رجع النعمان ليصرف باقى ليلته عند الاعجام ورجع ابوزيد الي بنى هلال وعند وصوله الى الخيام سمع أصوات البكاء والصياح والعويل والنواح لانهم كانوا يظنون بانه قد مات فلما دخل على الامير حسن وهو فى الصيوان سلم عليه فنهض له حسن على قدميه وشكر الله علي سلامته وكذلك فعلت باقي السادات وساله القاضي بدير عن المارية ابنته وهل وقف على أخبارها فى أثناء غيابه فاجابه

يقول ابوزيد الهلالي سلامه ... الايام والدنيا تسبب هوائل
وصلت الي الحلة سريعا بلا بطا ... فدرت ميامنها ودرت الشمائل
الي ان نظرت المارية فى أعينى ... فقولي صحيح ليس فيه زلايل
في قصر خرمند ياقوم جالسة ... ملوك العجم من حلوها كالجمايل
والطاس داير والجنك والغنا ... والنعمان بينهم وهو شهم فاضل

يمر عليها الكاس ماتذوقه ٧٧ فتحسبه مثل سم القواتل
فكانت تنادي الصوت بالعامر وتضرب بايديها يمينا وشمائل
فكان الملك النعمان قد أتي بهما نخلصها منهم بضرب هائل
واخذها في الحال الى داربيته وأوصى بها بنته وكل الاهايل
فان عاتى الرحمن ربي أجيبها واهد الكوفة ووحدى أقاتل

فلما فرغ ابوزيد من كلامه وسمع الحاضرون لحوي شعره ونظامه قال له الامير حسن اعلم اصاحب الرأي الحسن مرادى الآن ان اكتب كتابا الي ملوك الاعجام واطلب من الخرمند ان يرسل المارية الآن لانها عند الملك النعمان فماذا تقول في ذلك فقال ابوزيد باقي الباس لاباس فلعلهم تاثرون من كتابك ويرسلونها الينا فعند ذلك كتب هذه الابيات

قال الفتي حسن الدربندي ابوعلى النار في قلبي تهب وتشعل
يامالك خرمند اسمع قصتي ابعث لنا المارية ولا تتمهل
انك ان ارسلتها لبيوتنا فترى العساكر من ديارك ترحل
حتى اذا خالفت في رحالها نهجم عليكم في الصباح ونقتل

قال الراوى فلما فرغ الامير حسن من هذا الشعر والنظام استحسنه جميع السادات الكرام وفي الحال ارسله مع نجاب ليعطيه الى الملك وياتيه بسرعة الجواب فامتثل حتي وصل الى الملك خرمند فتمثل بين يديه وسلم الكتاب اليه ففتحه وقراه ولما عرف معناه مزقه في الحال وكتب الى الامير الجواب وكان عنده نجاب يقال له ابو طامع وكان ضياف الديوان فامر الملك بحضوره فحضر بين يديه وقال له الزمتك بالمسير الي بني هلال وتجيب مال ونوال وبنات والغزلان بعيون سود كحال فقال له اكتب لي في الجواب حتى الطريق فقال له قولي وانا اكتب لك فقال ابوطامع اني سمعت ان العرب اربعة ملوك فاكتب لي علي كل ملك صبية من بناتهم والف دينار وعشرة سراري وعشر جواد وعشر عبيد ومائه ناقة ومائة جوادو من كل شيء مائتين فتعجب الملك من قوله وقال ماخاب من سماك ابوطامع فقال اكتب انت ياطويل العمر فان شرف التابع من المتبوع فكتب له الملك جميع ماقال عليه واعطاه الكتاب فاخذه

وسارو لما بقي في وسط البراري والقفار واذا به وجد رجل من العرب راكب فرس حمرة مثل الغزال النمرة وذلك الرجل منحني عليها طاقين بقي كل من شافه يقول عنه رجل مريض ولما ان وصل اليه ابو طامع صاح عليه عونك ياولد الزنا اقف واراد ان ينزله من علي ظهر فرسه وياخذها منه ولما ان سمع ابو طامع يصيح عليه مارد عليه غير انه ارخى صرع الجواد واعطاها بالركاب فطلعت من تحته مثل طير الحمام فقال ابو طامع آه ياعبد الزنا وسيب كديشته وراه في البر ومازال ابو زيد رامح وابو طامع وراه حتي انقطع قلبه فقصر ابو زيد حتي لحقه ابو طامع في البر فقال له قطعت قلبي ياعبد الزنا لا يرحم الذي باعك ولا الذي اشتراك وكان معه قمشه بلسانين في كل لسان منها خردقة من الرصاص وخرج من وراء ابو زيد وناوله بها فملكته القمشة من وراء وقدام فحس ابو زيد ان السماء انطبقت عليه فقال له ياشنيع الوجه تعمل هكذا فقال ابو طامع وانت قطعت قلبي وانا اصيح عليك فقال له وماتريد مني فقال له انزل عن فرسك هذه الحمرا وسلمني اياها قال له امسك لجامها حتي انزل عن ظهرها فتقدم ابو طامع ومسك لجامها فتقدم ابو زيد وضربه بالدبوس فجائت علي قرعته ثم مال عليه حتي عجن اضلاعه ومازال كذلك حتي قطع نفسه وفاته وسار حتي بقي في النجم وصاح علي ابو القمصان واعلمه بما جرى له مع ابو طامع ومن بعد ماراح ابو زيد قام وهو لا يدري النور من الظلام وركب على ظهر كديشته وهو منحني طاقين من شدة الضرب لما اقبل الى نجع العرب صال على عميد القوم دلوه العرب على صيوان ابو دفخان جالس في صيوانه وامارة عرب زحلان بين يديه ولما وصل ابو طامع اليه قبل يديه واعطاه الكتاب فكه وقراه وعرف رموزه ومعناه فوجده مكتوب من الجهتين ويجد حق طريق ابو طامع مقرون بطلب الملك فقال له ابو زيد ما اسمك ياتجاب الملوك قال له اسمي ابو طامع قال له الامير ابو زيد صدقت مرحبا بك ياامير ابو طامع فلك عندنا الاكرام فقال ابو طامع قبل ما تعطيني حق طريقي الذي رسمه لي الملك اعطيني حق ضربي واعلم ابو زيد عن الذي قتله في البر وماجرى له فقال الامير ابو زيد مرحبا بك يابو طامع قال له ابو طامع قبل العطا اسرع بالزاد وكان ابو طامع له رغبة في المأكول

فقال الامير ابوزيد مرحبا بك وصاح على عبده ابو القمصان فاقبل اليه قال له خذ هذا وديه الي المضافة وأكرمه ياعبد اكرام زائد فاخذه ابو القمصان الى الضيافة وأرسل جاب له اربع عبيد شايلين لباليب الرمان وتقدموا وصلبوا ابو طامع في عامود البيت وأخذوا عليه حبل من فوق ومن تحت لما لصقوه بالعامود وكانوا نزعوا عنه حوائجه ونزلوا عليه دق مثل دق النحاس ولم يزالوا كذلك حتى حروه فاقبل ابوزيد يجد النجاب قطع النفس فقال ابوزيد يكفاه حلوه ففعلوا كما ذكر وادعى الامير ابوزيد بقلم وقرطاس ودواية من النحاس واشار يكتب كتابا لملك الاعجام يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابوزيد الهلالي سلامي ... ولا كل حلو القول وافي الخصائل
ولا كل من أودعته السر صانه ... ولا يكتم الاسرار الا الاصايل
انا ابن رزق الجعفري من آل عامر ... وأمي شريفه من خيار القبائل
سميت سلامه بن رزق على اسمها ... مكمل وغيري لم يحق الزوائل
نعم ايها الغادي على متن ضامر ... تجد السرى جوا وسيع السهائل
اذا جيت للحلة وطفت بارضها ... اقرى سلامي للملوك الاصايل
وقول الى خرمند نحن ضيوفك ... ومثلك من يرجى لكسب النوافل
ألا يا ملك لا تطلب العيب تندم ... بنات الامارا ماوراهم نقايل
وكم من دونهم كل قرم غشمشم ... وكم فتى مطعون لاجل الحلايل
وكم من مثلك تعرض وجاهم ... وحوله أمارا يشكوا كل جاهل
مات بحسرة مولده في ضمايره ... وأضحت عيونه بعد حياله ذلايل
مقالات ابوزيد الهلالي سلامه ... ونبراز قلبي زايدات الشمايل

فلما فرغ لامير ابوزيد من كلامه ختم الكتاب وأعطاه للنجاب فاخذه وسار حتى بقي قدام ملك الاعجام أعطاه الكتاب فكمو قرأه والتفت الى النجاب وقال له كيف كان الحال فاشار يعلمه بما جرى ويقول

قال ابوطامع والقول صادق ... والدمع من عينه جرى وتحدر
اسمع كلامي اليوم يا ملك العجم ... اني دخيلك لا تكون مقهرا
أخذت مكتوبك وسرت الى العرب ... بابيات منظومه ونشد مسطرا

لما قرأت النجع ياليث الورى القى رجل خيال فى الوادى سري
مراكب على حمر اكما وصف الغزال تسبق هبوب الريح حمراء ضمرا
ناديته ياعبد يا ولد الزنا لا يرحم البايع ولا من اشترى
ولحقته بالصوت ياملك لما القيته فزعت عيني مما جرى
سحب دبوسه وجاني بغيظ يشبه اسبع البر اذ كان غايرى
ونزل على راسي وجسمي ياملك مازال يضرب بني لما جسمي انهرى
وراح وخلاني ولا اعتنابي أبكي وأتمرغ على عالي ثرى
مادامت أشيل وحط ياليث الوغى لما أتيت النجع وجسمي مكسرا
ودخلت على المسمى ابوزيد الفتي القي رجاله كالجراد الناشرا
وأعطيته المكتوب حقا احرقه وضحك وتمايل لما له قرا
قال مرحبا بك أنت يا ابو طامع لك عندنا مهما تريده حاضرا
لك عندنا الانعام والخير والعطا والاكل والشرب ياليث الورى
نادى ابو القمصان وقله فطره هات له شراب التوت مثل السكرا
وهات شراب الرمان والعنب النقي وهات شراب التفاح هيا واكثر
وهات له من الاطعمة مايشتهى كثر بهارته ودهنه سائرا
حسبت طعامه مثل طعامنا تارى طعام القوم عه منجرا
اخذني ابو القمصان سرعة بالعجل وجاب معه اربع عبيد مشمرا
نزلوا علي كسروني ياملك حتي لحمي وعظمي انهرا
مانابني منهم معاطي ياملك الا الاذية والذي بي قد جري
ياليتني ما كنت هديت الديار ياليتني ما كنت طلقت المرا

قال الراوى فلما فرغ ابو طامع من كلامه والملك يسمع شعره ونظامه فهاجت ضمائره وصاح وامر بحضور العساكر فالتم عنده اكابر دولته فالتفت الى المنذر وقال له انت شرت علي فى الاول وخلصت البنات منى فانظر بعينك ماعمل العرب مع نجابي وقطعوا عرضى

فعند ذلك اغتاظ خرمند من هذا الامر وامر العساكر ان تستعد للقتال

وخرج بجيوش الاعجام لقتال بنى هلال ولما بلغ بنى هلال هذا الخبر أستعدوا للحرب والطعن والضرب وفي أوائلهم الامير ابوزيد والامير دياب وغيرهم من الفرسان والسادات الكرام والتقوا بالاعجام بقلوب كالجبال وقاتلوا أشد قتال وفعل الامير ابوزيد فعالا تشيب الاطفال وكان يطعن الاعدا من اليمين والشمال ولله در الامير دياب فانه قاتل ذلك اليوم قتال شديد والقي نفسه علي الهلاك حتي مزق الصفوف وطعن فيهم طعن اللعم وهو ينخي الابطال دونكم هؤلاء الانذال ومازال يشق صفوف الاعجام حتي وصل الى الملك القمقام وهو تحت البيارق والاعلام وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه ثم مال على القوم وباقى الامراء والنواب ولهبهم بضرب السيف القرضاب وقتل منهم عدة رجال فلما رأت عساكر الاعجام تلك الاحوال ماجت من اليمين والشمال وارتدوا راجعين الي الوراء وانقلبوا منهزمين فى تلك الصحراء وقطع دياب رأس القمقام وعلقه على راس السنان وتقدم الي عند الامير حسن فسلم عليه والقي الرأس بين يديه فشكره الامير حسن وباقى السادات ورجعت بنى هلال ذلك النهار بالعز والانتصار وباتوا في فرح واستبشار ولما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح دقت طبول الحرب وتقدمت الفرسان الي مقام الطعن والضرب وكان اول من برز القتال من أبطال بنى هلال ابوزيد الفارس المفضال فصال وجال فى ساحة المجال فبرز من الاعجام الملك المنذر فالتقاه ابوزيد وانطبق على المنذر كسبع الاجام واخذ معه في الحرب والصدام ولم تكن غير ساعة من الزمان حتي ضربه ابوزيد بالسيف علي هامه قده نصفين والقاه على الارض قطعتين فوقع على الارض يختبط بعضه ببعض فلما رأت الاعجام تلك الحال صحت منها الفرسان والابطال واستعظمت ذلك الامر فعندها برز اخوه الامير بندر الى الامير ابوزيد ليأخذ ثار أخيه فالتقاه ابوزيد بقلب كالحديد ثم هجم عليه وضربه بالسيف فالحقه باخيه فلما وقع وانقلب هجمت الاعجام من شدة الغيظ والغضب فالتقتها بنى هلال وحكمت فيهم السيوف والنصول وقتلت منها اوفى من عشرة الاف من صناديد الابطال فانهزمت الي وراها واستعظمت مادهاها

وفى اليوم الثاني دقت الاعجام طبولها وركبت خيولها وبرزت الى القتال وهى تهدر كالجمال طالبة أخذ الثار وكشف العار فالتقتها بنى هلال وكان أول من برز الى

الميدان الامير ابوزيد فبرز اليه المغل بن دندال وأشار يقول

يقول المغل الهمام المجرب انا فارس الفرسان كفوح
ابوزيد قل الهرج يا أمير واهتدى وردالى خيلك سريع وروح
الماريه عندي فى حصون منيعة فما عدت تشوفها فى عيون تلوح
قتلت يا ابوزيد بندر ومنذر وديباب قتل القمقام وعاد يلوح
أتيت انا اليوم اخذ ثارهم واردكم بالماضيات كسوح
اواخذك يا امير فى يدى مكتف فابكي على نفسك سريع وروح
تبدا ابوزيد الهلالى سلامه ولي قلب من طى الحشا مجروح
فانت يا مغل بالقول تايه فعود الى الخر مندسريع وروح
وقل له ارسل لنا بنت فايد والا يبقي على الوطن مجروح
أتيت لحربي حتي تولي و تنهزم لابد اليوم عليك القوم تنوح
ماقال ابوزيد الهلالي سلامه انا ارعب الفرسان يوم كفوح

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه التقيا فى ساحة الميدان واخذ يتضاربان ويتطاعنان وكان المغل المذكور من أفرس الفرسان قوى الجنان وله ذكر شائع فقاتل أبوزيد أشد قتال وما زال علي تلك الحال حتى تحيرت من قتالهما جميع الابطال وكان اختلف بين الاثنين ضربتين قاتلتين وكان السابق ابوزيد فمال عنها المغل فراحت خايبة بعد ما كانت صايبة واما ضربة المغل فانه استلقاها ابوزيد فى الترس فقطعته نصفين ونزلت علي رقبة الجواد فابرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع ابوزيد على الارض وانحطم فاراد المغل ان يكمل عليه فبادر الامير دياب وخلصه في أسرع من لمح العين لانه كان يراقب قتال الاثنين وأشار ابوزيد الى عبده ابو القمصان يقول

دني لي يا بو القمصان دني على حمرا تشل الخيل شلى
دنيها لابوزيد الهلالى ابوزيد عنها مايولى
دنيها الي المسمي سلامه كريم الاصل من اب وأهلى
فعجل لي بجواد يكون احمر يسبق الي النسيم بيوم شلى
لاركب أعود الي يم خصمي واقتل للمغل بفرد طعنى

قال الراوي وفي الحال اتوه قومه بجواد فركبه وهجم هو والامير دياب على صفوف الاعجام وتبعتهم باقي ابطال بني هلال وخاضوا فيهم من اليمين والشمال وكانت ساعة مهولة قتل فيها خلائق كثيرة وكان من جملة المقتولين المغل وغيره من سادات العجم والمقدمين وانهزمت العجم في ذلك اليوم اقبح هزيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجعت بنى هلال بقلوب كالجبال فبرز من عساكر العجم الملك الصلصيل وهو راكب على جواد مثل الفيل وطلب قتال بنى هلال ولما صار في ساحة المجال برز اليه الامير دياب وهو راكب على فرسه الخضرا فالتقاه الصلصيل واشتد بين الفارسين القتال وعظمت الاهوال ومازالا على تلك الحال الي وقت الظهر وكان الصلصيل قد اعتراه التعب واسترخت منه المفاصل والركب فايقن بالهلاك والعطب فولى وطلب لنفسه الهرب فلما رأت عساكر العجم بان سيدها قد انهزم خافت من العواقب وحلول النوائب فارتدت الي وراها حتى وصلت الى الحلة فدخلت اليها وأغلقت الابواب ولما كان الليل جمع الملك خرمند الملوك وقواد الخيل وقال لهم مرادي ان أخرج في ثاني الايام الي قتال بنى هلال فاريد ان تشجعوا أنفسكم وتقاتلوا والا انهتكت ناموسنا وصرنا معيره وفضيحة عند ملوك الزمان فاوعدوه بانهم سيبذلون غاية المجهود ويقاتلون معه قتال الاسود ولما أصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركب الملك خرمند في جميع الجند وخرج من المدينة يريد القتال فالتقته في الحال جميع الفرسان والابطال ولما التقا العسكران وتقاتل الجمعان برز ابوزيد الى حومة الميدان فانطبق عليه الخرمند واخذ في حربه وصدامه فالتقاه ابوزيد بقلب كالجبال فتطاعنا بالرماح وتضاربا بالسيوف ومازالا على تلك الحال من الصباح الى وقت الزوال ولم يقدر أحد على صاحبه فافترقا عن بعضهما البعض وبات كل فريق على ناحية من الارض

(انتهي الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس)

الجزء الخامس من تغريبة بني هلال وهو يحتوي على قصة الملك الغضبان وحروبه مع بني هلال ومرورهم ببلاد الخفاجي عامر ورحيلهم الى بلاد الزناتي خليفة

قال الراوي كان حاكم بلاد التركمان في ذلك الزمان رجل عظيم الشان اسمه الغطريف ويلقب بالغضبان وله عدة وزراء واعوان من جملتهم الوزير النعمان وهو عنده من أعظم الاركان لانه كان صاحب معرفة وتدبير وفي امور السياسة عليم وخبير وله بن اخت وكان ولي عهده ونائبه على التخت يدعى عمر الجارح يجير الصائح ويكرم المادح وكان في الشجاعة والفروسية من طبقة علية يصارع أسود البطاح ولا يمل من الحرب وكان الملك الغضبان يركن اليه كل الاركان ولما وصلت جميع بني هلال وخيمت في تلك الاطلال كما سبق المقال وبلغ الغضبان هذا الخبر تطاير من عينيه الشرر فاجتمع بوزرائه وباقي الاعوان وعقد معهم مجلسا في هذا الشان فقال له الوزير النعمان الرأي عندي الان ان ترسل لملكهم بعض الابطال تطلب منه عشر المال فان اجاب الطالب بلغنا القصد وان ابي وامتنع ركبنا عليه بكل فارس صميدع فنتهب اموالهم ونسبي حريمهم وعيالهم ونقتل شبانهم ورجالهم فاستحسن الغضبان هذا الرأي وفي الحال استدعي ببعض الفرسان وامره ان يذهب الى ابني هلال علي سبيل رسول وكتب اليهم يقول

يقول الفتى الغضبان عما جرى له ... ونيران قلبه زيدات وقيد
الا ايها الغادي على متن ضامر ... فاقطع فيافي برهما وبعد
اذا جئت الى حسن الهلالي ابو علي ... فاعطيه مكتوبي تنال سعود
وسلم على القاضي بدير بن فايد ... قضى الدرب بالحق والتاكيد
وسلم علي الزغبي دياب ابن غانم ... وسلم على ابوزيد سلام مجيد
وقل لهم قال الملك ابن حامد ... كلا صحيحا خالي التعقيد
ان كان مقصدكم تجوزوا بلادنا ... وترعوا مراعينا وعشب البيد
فهاتوا لنا عشر المال بلا خما ... وعشر النسا والخيل بالتعديد
والفين سيف والف ترس مواضي ... والفين رمح للطعان تفيد
والفين بيضا من خيار بناتكم ... والفين من السمر الملاح عبيد

وهاتوا لنا عليا وريا وغيرها والحاز به ام محمد الصنديد
والا فمن حيث انيتم فارجعوا وعودوا سريعا قبل حرب شديد
فعندى عساكر لاتعد جموعها وهي على مايتين كره تزيد

قال الراوي فلما فرغ الغضبان من هذا القصيد استحسنها كل من كان حاضرا من الامراء والسادات الامأجيد ثم انه ختمها وسلمها الى عبده رشيد وامره ان يسير بدون امهال ويسلمها الى الامير حسن سيد بنى هلال فامتثل امره وسار وجد فى قطع القفار وهو على ظهر ناقة سريعة السير تسابق بمسيرها الطير ومازال على ذلك الحال حتى اشرف الى نجع بنى هلال فنزل عن ظهر ناقته ودخل على الامير حسن من ساعته فسلم عليه وقبل يديه ثم ناوله الكتاب ووقف مع الحجاب ينتظر الجواب فلما فتحه الامير حسن وقراه واطلع على ماحواه انشغل باله وتغيرت احواله فقال له ابوزيد علامك يا امير حسن فاني اراك في غم وتكدير فناوله الكتاب ليقرأه فلما قرأ الكتاب وفهم ما تضمنه من الخطاب ابدى الضحك ولا بتسام من ذلك التهديد والكلام وقال انا ارد الجواب ثم انه كتب اليه يقول

يقول ابوزيد الهلالى سلامه ونيران قلبي زايدات وقيد
ياغاديا منى على متن ضامر تقطع فيافى برها وبعيد
اذا جئت الى الغضبان بلغ سلامى واعطيه مكتوبى بغير نكيد
وقل له قد طلبت عشر اموالنا وخاطبتنا بالغيظ والتهديد
وطالب بنات مكحلات نواعس بنات الامارد مثل ورد البيد
اما كنت تعلم ياخسيس وراهم اسود قروم هلال وكل حشيد
وراهم حسن امير قيس وعامر حامي لزينات من كل قرم عنيد
وراهم ابو تكنا بدير ابن نايد على متن ضامر مثل نار وقيد
وراهم ابو موسى دياب ابن غانم على ظهر خضرا للغزال تصيد
وراهم ابو ضرغام شيخ شبابنا ستين الفا قومه وتزيد
وانا ابوزيد الهلالى سلامه اخلى الفوارس على التراب مسديد
وافنى اكابركم وكل رجالكم واجعل دماكم على التراب تزيد
فنحن قتلنا الهيدبى وابن مزيد وابن حنظل مع عمر الصنديد

قال الراوى فلما فرغ ابرز يدمن شعره و نظامه طوي الكتاب وختمه بخاتمه واعطاه الى النجاب واخذه وجد فى قطع الفلاة حتى وصل الى مولاه فناوله اياه فتحه وقرأه وعرف حقيقة فحواه مزق ورمه وزاد حرنه وبلاه واغاظ غيظ الشديد من ذلك الكلام القاسى وفى الحال امر ابن اخته وزير نمر الجارح وابن عمه الملك النعمان ان يجمعا العساكر والابطال لمحاربة بنى هلال فاجابه بالسمع والطاعة ودقت طبول الحرب من تلك الساعة فاجتمعت الفرسان من كل جهة ومكان وكانوا نحو مائة الف بطل فركبوا بالعجل وهم معتملون بالسلاح وفى ايديهم الرماح وركب نمر الجارح الاسد الكاسر فى مقدمة العساكر وجدوا بالمسير كالطير الذى يطير قاصدين بنو هلال حتى اقتربوا اليهم فلما علمت بنو هلال بقدومهم عليهم استعدوا لقتالهم وحربهم ونزلهم فدقوا طبولهم بالعجل فاجتمع كل فارس وبطل ودخلوا على اميرهم حسن ابن سرحان وهو جالس فى الديوان اعلموه بما جرى وكان نامرهم ان يسيروا لقتال عساكر الغضبان فركبت الشباب وفى مقدمتهم الامير يدان وساروا مدة ثلاثة ايام وثلاثة ليالى وجدوا فى قطع الارض حتى القت العساكر بعضها البعض فاجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان وبرزت الى ساحة الميدان والتقى الابطال بالابطال وجرى الدم واشتد القتال على بنى هلال وتجرحت منهم اكثر الابطال لانهم قالوا لا ودفى ذلك اليوم المشهور ولله در الامير يدان فانه اقتحم معركة الطعن بقلب كالصوان وقاتل الفرسان واستظهر على الشجعان وطعن فى الميمنة والميسرة وفعل افعالا عظيمة منكرة تعجز عنها كبات الجبابرة ثم التقى بنمر الجارح وهو يخفى الفرسان ويحميهم على الحرب والطعان فتجاولا معه فى ساحة الميدان مقدار ساعة من الزمان ومازالا العسكران يتفاتلان بالسيف والسنان الى ان اقترب وقت الزوال ثم افترقت عن بعضها الابطال ورجع الامير يدان مكدر وحزنان على ما صاب قومه من الجراح فى معركة الكفاح فكتب الى الامير ابو زيد من قلب متبول وانشد

يقول الفتى زيدان على ماجرى له ... ونيران قلبه زايدات اللهايب
على ما جرى فينا وما قد اصابنا ... وعدا بحيرة وعقلنا عاد غائب
هجمت علينا فوارس ما انشدها ... جرحت فوارسنا بضرب الشطايب
وولت جموع هلال من ساحة الوغى ... فيا حيف يغدو فى الروابى هوارب

فانا عدت مجروحا وفي حالة الردي وعرسي غدا مني وقد عاد ذاهب
ابوزيد عجل في المسير لنحونا يابو مخيمر ياسليل الاطايب
فنحن بشدة لم نر قبل مثلها الله يلطف في جموع الاعارب

قال الراوي فلما فرغ الامير زيدان من شعره ونظامه طوى القصيده وختمها بختمه واعطاها الى النجاب ليسلمها الى ابوزيد فاخذها وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى بني هلال وكانت السادات والابطال عند الامير حسن يتذاكرون في امر القتال فدخل النجاب الى صيوان وسلم على الامير حسن ومن حضر في ذلك المكان ثم سلم الكتاب الى ابي زيد وطلب منه الجواب فلما قرأه استعظم المصاب وخرج من دائرة الصوان ثم قرأه على الامير حسن والقاضي بدير والامير دياب فانكمشت قلوبهم واعتراهم الاضطراب وفي الحال دقت طبول الحرب فاجتمعت عند الامير حسن فرسان الطعن والضرب فقرأ عليهم ذلك الخبر وراعلمهم بما اجرته التقادير فهاجت الابطال واستعظمت تلك الحال وركبت جموع بني هلال وفي مقدمتها الامير ابوزيد والامير دياب وجدوا في المسير لمساعدة زيدان شيخ الشباب

هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من فرسان بنو هلال وعساكر الغضبان فانهم في ثاني الايام خرجوا للحرب والصدام فاصطفت الصفوف وترتبت المياه والالوف وبرزت الى ساحة الميدان ونادى اين الفرسان اين رجال الحرب وفوارس الطعن والضرب فما تم كلامه حتى صار الامير زيدان امامه وصدمه بقلب كالصوان وتصادما في ساحة الميدان فالتقيا كانهما جبلين واسدين كاسرين وحان عليهما الحين وغبر عليهما الغبار وتقاتلا قتالا لا يذهل الابصار ويحير الافكار وما زالا على تلك الحال الى ان اختلف بين البطلين ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير زيدان ليث الميدان فالقاها النمر بالذرقة وانحدر على زيدان انحدار الصاعقة فانتله عن ظهر الجواد والقاه على وجه الهاد فلما رأت بنو هلال تلك الحال اعتراها الانذهال وخافت من الوبال فهجمت على الاعادي وهي تصيح وتنادي وتحمس الرجال على الحرب والطعان هذا وقد اشتبك الطعان والتفت الابطال والفرسان وتقاتلوا بالسيف والسنان وما زال الحرب يعمل والرجال تقتل حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فانفصلت العساكر عن بعضها البعض ولما اصبح الصباح برزت الفرسان الى معركة الكفاح وتقاتلوا ذلك النهار

قتالا احر من لهيب النار واستمروا على هذا الحال ثلاثة ايام على التمام حتى تضايقت
اينو هلال وايقنت بالفنا وكانت عساكر نمر قد احاطت بهم من خلف وقدام
وهجمت عليهم كليوث الاجام فكانت على بنو هلال مصيبه عظيمه وداهيه جسيمه
فبينما هم على تلك الحال وقد اشرفوا على الاضمحلال واذا بغبار قد علا وتار من جوانب
القفار حتى سد منافس الاقطار وبان من تحته فارس بالحديد غاطس كانه قله من القلل
او قطعه من جبل وكان هذا ابوزيد ليث الميدان ومن خلفه جموع بني رحلان والامير
دياب البطل المهاب في فرسان بني هلال فلما اقتربوا من ساحة الميدان وشاهدوا الحرب
والطعان هجموا بقلوب كالصوان وانقضوا على عساكر النصارى كجواسر العقبان
واحاطوا بهم من اليمين والشمال وفي الحال اشتد القتال وعظمت الاهوال وكانت
وقعه تشيب الاطفال وتذعر قلوب الفرسان كثر فيها القتل والجراح وجرى الدم
وساح وفعل ابوزيد في ذلك النهار فعالا تذكر على مدي الاعصار وكذلك فعل الامير
دياب وباقي الفرسان الانجاب فانهم ثبتوا وقاتلوا وما قصروا واستمر القتال على هذا المنوال
الى ان صار وقت العصر وكان الامير دياب قد التقى بالامير نمر الجارح وزير الغضبان
وهو ينخي رجاله فتقدم دياب يريد قتاله فصدمه نمر في الحال بقلب اقوى من الصوان
واشتد بينهما القتال في الميدان نحو ساعة من زمان وكان نمر قد طعن خصمه
بالسنان وقال خذها من يد فارس الفرسان فغطس دياب تحت بطن الحصان فراحت
الضربه خائبه بعدما كانت صائبه ثم ضربه بالدبوس الحديد فخاب امله ولم يستفد لانه
خلى بالعجل وهجم على خصمه هجوم القضاء المنزل وضربه بالدبوس على الخوذه فطلع
وصار في حالة العدم فارتد راجعا الى الورا. وندم على ما جرى وفي الحال هجمت
ابطال بني هلال على الاعداء من اليمين والشمال واذاقوهم الاهوال وقتلوا منهم مقتلة
عظيمة وربحوا غنائم جسيمه وكان النهار قد مضى وزال واقبل الليل بالانسدال
فانفصلت العساكر عن بعضها البعض ونزلت كل طائفه في ناحيه من الارض
ورجع الامير دياب من ساحة الميدان كانه شقيقه ارجوان مما اصابه من ادمية
الفرسان ودخل على الامير حسن في الصيوان وهو مسرور فرحان فالتقاه
بالبشاشة والاكرام ولاطفه بالكلام وقال له كيف وجدت خصمك نمر الجارح
اجاب انه من الحجاج ولكني نهارغدا اقصر عمره واكفيك شره فشكره على ذلك

المقال وبأتو على احسن حال هذا ما كان من بني هلال واما ما كان من عساكر الغضبان فانهم رجعوا من ساحة الميدان وهم في قلق واضطراب من قتال أبوزيد والامير دياب وكان عمر قد جمع الامراء ومن يعتمد عليهم من السادات والكبراء واخذ يستشيرهم في امر الحرب والطعان فقالوا له عن فرد لسانا لم باسيد الفرسان انه من الصواب ان ترسل الان وتعلم خالك الملك الغضبان بما جرى وكان وتطلب منه نجده والا وقعنا في الشدة فاستصوب رأيهم وفي الحال كتب الى خاله برافعة احواله ويطلب منه المعونه بهذا القصيد

يقول الفتي عمر الامير الذي شكا ... ودمع عيوني على الخدود يسيل
ياغاديا مني علي متن ضامر ... فاقصد الي الغضبان امير جليل
وقل له ياأمير اسمع كلامي ... وافهم مقالي لاتكون ذليل
فلما أتتنا جميع قيس وعامر ... على خيلهم وهي للسهول تشيل
ركبنا مطايانا وسرنا لنحوهم ... نزلنا عليهم مثل نار شعيل
صرخت انا فيهم بصرخة قوية ... هجموا عليه مثل نار شعيل
فبادرتهم بالضرب والطعن والقنا ... وصار الدما يجري كبحر الغيل
وحاربتهم مقدار شهر وازود ... من الصبح الي النهار يميل
وهم يشيلونا ونحن نشيلهم ... بسمر القنا والمرهفات صقيل
وبعد حروب هائلات كثيرة ... قد انهزمنا بعد حرب صقيل
قتلوا فوارسنا وكل قرومنا ... وعدت انا خسران ثم ذليل
فانجدنا ياخال قبل ان تفنينا ... عساكر هلال وعامر وعقيل
فنمسى الا ياخال في ضيق حالة ... وتبقي انسانا للرحال تشيل
وتملك هلال بلادنا وديارنا ... ونعود في امر مهين ذليل

قال الراوي فلما انتهي عمر من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه وسلمه الى نجاب يقال له عقاب فاخذه وجد في قطع البراري والقيعان حتي وصل الي عند الملك الغضبان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه ثم نا له الكتاب ووقف مع زمرة الحجاب فلما فتحه وقرأه وعرف حقيقة فحواه اغتاظ وتأثر وتطاير من عينيه الشرر وقد عظمت عليه الاحوال واقسم انه لابد ان يفني بني

هلال ولا يبقي أحد منهم ثم امر بجميع العساكر للضرب والطعان ولم تكن الا ساعة من الزمان حتي تجمعت الفرسان فركبت ظهور خيولها واعتقلت بسيوفها ونصولها وركب هو ايضا مع الضرغام اخو نمر ووزيره النعمان وقصدوا بني هلال قلوب كالجبال وجدوا في قطع البراري وكان عدد الفرسان خمسماية الف عنان

قال الراوي هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من نمر الجارح فانه كان بعد انقاذ الرسول لحاله ركب في ثاني الايام بجميع فرسانه وابطاله وتقدم نحو بني هلال وهو قاصد الحرب فتقابل الفريقان في ساحة الميدان وتقدم الامير نمر الى معركة الطعان وطلب براز الفرسان فالتقاه الامير دياب وهجم عليه هجوم ليث الغاب وحالا اشتبك بينهما الحرب وأخذ في الطعن والضرب حتى علا عليهما الغبار وحجبهما عن أعين النظار فلله درهما من بطلين وفارسين عظيمين ومازالا على ذلك الى قرب الليل وكان دياب اشجع من نمر واقدر واعلم منه بمواقع الطعن واخير فطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلا رايقنوا بالهلاك والدمار وطلبوا الهزيمة والفرار وتبعهم جميع بني هلال فلما نظرت عساكر الغضبان ما جري وقد زادت عليهم المصائب والبليات وحكموا فيهم السيوف والنصال وقتلوا منهم عددا كثيرا واغتنموا أموالا لا تعد وبينما هم سائرون وفي الفلاة مشتتون واذا بغبار قد ظهر عليهم من جوانب القفار ومن خلفه جيوش وعساكر تبهر النواظر فلما اقتربوا منهم وتاملوهم بالعيان واذا بعساكر الغضبان وكانوا قد حضروا من الاوطان لمعونة نمر كما شرحنا الآن فلما رأت العساكر المنهزمة ملكها الغضبان وهو في المقدمة تقدموا اليه وقبلوا يديه واعلموه بما حل فيهم من المصائب وكيف ان بني هلال قتلت نمر الجارح فلما سمع الملك الغضبان منهم هذا الكلام خرج عن دائرة الصواب فشخر ونخر وطغى وتجبر وقال وحق ديني ومعبودي لابد من قتل جميع بني هلال واسر الحريم والعيال ثم انه جد في قطع القفار وقلبه يتوقد بنار من جرى هذه الاخبار وقتل نمر الاسد الكرار لانه كان يحبه اكثر من الغير ويتمنى له كل نجاح وخير ومازال يجد السير حتى التقى بالقوم في ثالث يوم فامر الفرسان بالهجوم فهجمت في الحال والتقتها بنو هلال بقلوب قوية وهجم عليه وفي مقدمتها السادات والاعيان والامير حسن بن سرحان واشتبك الطعان بين الفرسان والتقى الضرغام بالامير حسن

وهو ينحنى العساكر فالتقاه الامير بقلب اقوى من الصوان واخذ يتضاربان نحو ساعة من الزمان وكان الامير حسن قد طعن الضرغام قاصدا ان يسقيه كاس الحمام فخلى تحت بطن الجواد فراحت الطعنة خائبة ثم اعتلا الضرغام على ظهر حصانه وطعن الامير حسن بقوة جنانه فالتقاه بترس البولاد فانكسر وبرقع وراح اربعة قطع وما زال فى عراك شديد وصدام الى وقت المساء فعند ذلك دقت طبول الانفصال ورجعت العساكر عن ساحة القتال وباتوا يتحارسون تحت مشيئة الرحمن

ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالسيوف والنصول وتقدمت الى ساحة الميدان للبراز والطعان فتقدم الامير ضرغام وطلب البراز والصدام فبرز اليه الامير عنل وكان صاحب أدب وتفضل وهجم الضرغام بقلب شديد فالتقاه بقوة واخذ في الضرب وقد اشتد الحرب بينهما ومازالا على ذلك نحو اربع ساعات من النهار وكان الامير عقل قد استظهر على خصمه وهجم عليه وطعنه بالرمح فى صدره خرج يلمع من ظهره فوقع الضرغام قتيلا وفى دماه جديلا فلما نظر الملك الغضبان ما جري استعظم الامر وهجم على عقل وفاجأه وطعنه بالرمح يريد ان يعدمه الحياة فخلى منها عقل فراحت الضربة خائبة وما زال فى أشد قتال الى قرب الزوال فرجعت بنى هلال في السرور والافراح وعساكر الغضبان بالهم والاتراح واخذوا جثة الضرغام وأقاموا عليها النواح وكسروا السيوف بالرماح ثم كفنوه وبعد ذلك دفنوه ولما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبت بنى هلال للحرب والكفاح واشهرت في يديها السلاح فالتقتها عساكر الغضبان في ساحة الميدان وطلب الغضبان براز الفرسان ونادى ابن الشجعان ابن جبابرة الضرب والطعان فما أتم كلامه حتى صار الامير دياب امامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال وترتعد منها قلوب الفرسان فالتقاه الغضبان كالاسد وضربه بالسيف المهند فالتقاه دياب بدرقة البولاد فانكسر السيف وما أفادتهم ان الامير دياب طعن الغضبان بالرمح فغطس تحت بطن الجواد فراحت الضربة خائبة وبعد ذلك هجم الغضبان على الامير دياب هجوم الصناديد فاشار دياب يتهدده بهذا القصيد

قال ابو موسى دياب بن غانم نيران قلبي زايدات لهايب
ايا ملك الغضبان اسمع كلامى وافهم حديثى أيا رعد الاعارب

أرسلت نطلب نوقنا وجمالنا ونسانا مع بنات الكواعب
اما تخشي تطلب بنات حرائر بنات الامار امن فروع الاطايب
اما تعلم ياغدار ان وراءهم ليوث حرب من هلال اطايب
فلا بد من قتلك بحد صارمي وتبقى دمالك على الفلاة سكايب
وتبقى رجالك بعدموتكم مشتة وتبقى نساك راخيات النقائب

قال الراوى فلما فرغ دياب من كلامه التقا الفارسان كانهما جبلان اواسدان كاسران وتضاربا بالسيوف وتطاعنا بالرماح واشتد بينهما الحرب والكفاح وتمايلا في ساحة الميدان وتعلمت منهما الفرسان حقيقة الضراب والطعان وما زالا في قتال تشيب رؤوس الاطفال الى ان اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الملك الغضبان وقال له خذها من يد فارس الميدان وليث المعارك والطعان فغطس دياب تحت بطن الخضرا راحت الضربة خائبة ثم طعنه دياب بالرمح قبل ملان راحت الضربة خائبة وما زالا على ذلك رهما في أشد حرب الى قرب المساء فدقت طبول الانفصال فرجعت الفرسان من ساحة الميدان وباتا يتحارسان تحت مشيئة الرحمن وعند الصباح برز الغضبان الى ساحة الكفاح وطلب برازا الفرسان فبرز اليه ابو زيد ليث الميدان وافتتلوا طول النهار وفعلا افعالا تذهل الابصار ثم افترقا على سلام الى المضارب والخيام واستمر القتال بين عساكر الغضبان وبني هلال ستة عشر يوما على التمام وكان قد قتل من عسكر الغضبان عشرين الف فارس ومن بني هلال خمسة آلاف بطل مداعس وفي اليوم السابع عشر استعدوا لقتال العسكر فدقت طبول الحرب وبرزت الفرسان للطعن والضرب وكان اول من برز الى الميدان الملك الغضبان وقال هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز لي لا كسلان ولا عاجز اليوم يوم الهزاهز فما أتم كلامه حتى صار لامير ابو زيد قدامه فالتقاه الغضبان بقلب شديد واخذ معه في عراك وصدام وجرى بينهما في ذلك النهار قتال شديد يذهل كل صنديد وكان الغضبان من أشد الفرسان واقدرهم في ساحة الميدان وكان يعد نفسه في ساحة الطراد من طبقة عنتر بن شداد فلما رأى ابو زيد قوة حربه تاخر من امامه فعند ذلك صاح الغضبان على الفرسان بالهجوم على بني هلال فهجم العسكر فالتقته بنو هلال واشتبك القتال فما كنت ترى الا رؤوسا طائرة وفرسانا غائرة ودماء فائرة وكانت بنو هلال قد قصرت في القتال وانكسرت اشد انكسار وانسدت في وجوهها ابواب الانتصار

وايقنت بالهلاك والدمار فتاخرت ثلاثة أيام الى الوراء وعساكر الغضبان تتبعهم في تلك الصحراء وفي اليوم الرابع اجتمع ابوزيد بسادات بني هلال وقال لهم قد ساءت احوالنا وفقدت ابطالنا ورجالنا فما هو رأيكم ايها الاعيان في قتل الملك الغضبان فقالوا الرأي هو عندك يا امير فما فينا من يخالفك حتى ولا الامير حسن فقال لرأي عندي ان نقسم الى بني هلال الى اربعة أقسام ونهجم على الاعداء من اربع جهات ونسد عليهم جميع الطرقات وتكون الجازية في اول العاريات مع باقي نساء والبنات واهجم انا من جهة الشمال والامير زيدان والامير حسن والقاضي بدير من جهة الجنوب بباقي الابطال وقاتلهم أشد قتال والاحل بنا الوبال فاستصوبوا هذا الخطاب لانهم رأوه عين الصواب. قال الراوي ولما أصبح الصباح ركبت الفرسان للحرب والكفاح وانقسمت بنو هلال اربع فرق واعتقلوا بالسلاح والدرق وهجموا على عساكر الغضبان كليوث الغاب وكان السابق الامير دياب فصاح وزعق وعلى الفرسان انطبق وحكم سيفه في الهامات والصدور وتبعه أخوه زيدان بكل فارس مشهور وحملوا على الفرسان بقلوب أقوى من الصوان وجندلوا الابطال في ساحة الميدان ولما رأى الغضبان ما حل بقومه من الهوان استعظم ذلك فجعل ينخي الابطال وتقدم هو بنفسه وقد هانت عليه المنية في بلوغ الآمال وضرب فيهم بالحسام وتبعته الفرسان من خلف وا دحم الميدان وثبت الشجاع وفر الجبان وقطرت الدما وحجب الغبار وجه السماء فبينما على ذلك واذا بغبار قد ظهر وبان من تحته جيوش وعسكر وامام الجميع الامير حسن بن سرحان وهو راكب بني دريد وابوزيد ببني زحلان والقاضي بدير بباقي الرجال والشجعان ومن حوله السادات بالبيارق والرايات ولما اقتربوا الى الميدان هجموا على عساكر الغضبان من كل جهة ومكان فاشتد قلب دياب بقدوم القوم وامل بالنصر في ذلك اليوم فقاتل أشد قتال وهكذا فعلت بنو هلال هذا وقد التقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وكان يوما شديدا لم يسمع مثله في سالف الاجيال الله در بني هلال فانها ثبتت ثبوت الاسود وكان الملك الغضبان قد برز الى الامير دياب وهو غائب عن الصواب وكان دياب يدور حوله مثل الدولاب وهو ثابت على الحرب والجلاد كانه طود من الاطواد فعند ذلك تقدم الامير حسن والامير ابوزيد والامير زيدان وهجموا هجمة رجل واحد على الغضبان واحاطوا

به من جميع الجهات ونزلوا عليه بضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات وبهذه الفعال هان على الامير دياب القتال فقوم السنان وهجم على الملك الغضبان كانه قضاء الرحمن وقال له خذ هذه الطعنة من يد ليث الغاب وفارس الاعراب الامير دياب وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلا وفي دمه جديلا فقطع رأسه وعلقه في رأس السنان حتى تراه جميع الفرسان فلما رأته الرجال استبشروا بالسعد وقالوا لله درك من فارس فتاك فلا شلت يداك ولا شمتت بك اعداك وقد تهللت النساء والبنات وقد اظهروا الافراح والمسرات وصاحت الجازية مع البنات والمخدرات لا عدمناك يا فارس الحضرا وفخر سادة الورى فقد خلصتنا في هذا المدبح والخطاب ثم انه انحط على الابطال ففرقها من اليمين الى الشمال وتبعه بنى زغبى الشجعان وبنى زحلان وهجموا على عساكر الملك الغضبان بقلب اقوى من الصوان وكانت عساكر الغضبان لما رأت ملكها قدمات وحلت به الاوقات ضعفت عزيمتها وقلت همتها واوقنت بالهلاك والبوار فولوا الادبار واركنوا الى الهزيمة والفرار فتبعتهم فرسان بنى هلال مثل أسود الدحال وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكسبوا غنائم ذات قدر وقيمة وكانوا قد تبعوهم الى البلد وحكموا فى أجسامهم الصارم المهند فنهبوا الاموال وسبوا الحريم والعيال وبعد ذلك رجعوا الى الخيام وقد بلغوا المرام وزالت عنهم الاوهام أنه حضر بن ملك الغضبان وكان اسمه عبد المدان الى عند الامير حسن بن سرحان وبمعيته الاكابر والاعيان وطلبوا منه الامان فاجابهم الا ذلك الشان وعاملهم باللطف والاحسان وخلع عليهم الخلع الحسان وبعد ذلك ولوا الامير عبد المدان حاكما على تلك الاوطان مكان ابيه وأقامت بنى هلال فى تلك الاوطان خمسة ايام على التمام وفى اليوم السادس دقت طبول الارتحال فركبت الفرسان بالحريم والنسوان وصاروا يقطعون الافاق بدون العواق حتى وصلوا الى بلاد العراق

قال الراوى وكان الحاكم على تلك البلاد رجل من الاجواد قد اتصف بالفضائل وحسن المآثر يقال له الخفاجى عامر وكان يحكم على البصرة وبغداد والموصل والعراق وما يلى تلك البلاد وكان عنده من الابطال الفرسان نحو مائتى الف عنان فبينما هو جالس في الديوان وحوله الوزراء والاعيان اذ قد دخلت عليه الرعيان وقالوا له اعلم يا ملك الزمان ان بنى هلال قد دخلت ديارنا واكلت من ثمار بساتيننا وأشجارها وهم كالجراد

المنتشر لم يعرف لهم أول من آخر وقد هربت من أمامهم جميع الرعيان وتركت النوق والفصلان

قال الراوى فلما سمع الخفاجى هذا الكلام صار الضيا فى عينيه كالظلام والتفت الى الامراء واكابر الرجال وقال لهم ماقولكم فى بني هلال فعند ذلك تقدم الوزير عميره وأشار يقول

يقول الفتى المسمى الوزير عميره ... اياأمير اسمع لى ترى افكارى
ياأمير ارسل للامير ابو على ... وابوزيد والزغبى وكل كبار
اياتوا بعشر المال والخيل والنضى ... والوش ياني لك مع الابكار
وكل السراري والجواري وغيرها ... وما يملكوا من فضة ودراري
حتى البنات تشوف حسن بناتهم ... من كل خود تكسف الاقمار
فان ارسلوا لك ماانت طالبه ... من الخيل والاموال والاعشار
فدعهم يجوزوا ياأمير بلادنا ... ويرعوا ميامن ارضنا ويسار
وان كان لم يرضوا يجيبون قولنا ... فيبلون بالنكبات والاضرار
فهذا كلامي ياأمير ونصيحتى ... والشور عندى أحسن الاشوار

قال الراوى لما فرغ الوزير من هذا الشعر والنظام وسمعته جميع الامراء والسادات الكرام قال الخفاجى هذا هو الصواب والامر الذي لايعاب ثم كتب الى الامير حسن يطلب عشر المال والنوق والجمال بهذه القصيدا وعمر السامعين يزيد

يقول الخفاجي بن درغام الماري ... ولى عزم يقطع صخرها وجبال
ايا غاديا منى على متن ضامر ... تسبق هبوب الريح فوق رمال
اذا جيت الى عند الهلالى ابو على ... امير الوري مقدام كل هلال
قل له قال الخفاجي عامر ... امير البوادى قاهر الابطال
قومى هم ميتين الف عدادهم ... يلقون قومك في الفلاة جدال
وان قصدكم ان تجوزوا بلادنا ... وللغرب تبغوا ياارجال هلال
فهاتوا لنا ياامير عشر اموالكم ... وعشر المواشي وخيلكم رجال
وهاتوا لنا عشر البنات مع الخدم ... وهاتوا لنا ابو على الاموال
وهاتوا لنا الجازية الشريفة ... لها عين سودا مثل عين غزال

وهانوا لنا تجلا وشهلا وحاكمه ... وريا ورطفا والبها ودلال
تولهوا جمال الظعن نت سلامه ... وميتين سرية ملاح طوال
وهانوا لنا ميتين درع وخودة ... وميتين سيف مرهفت صلال
وميتين حربة صنعه ابن جبارة ... وميتين مع من القنا العسال
وهانوا لنا ميتين عبد وعبده ... وميتين مملوك ملاح جمال
فان اتيتم لى بما قد ذكرته ... لكم عندنا الاكرام والاجلال
وان لم تجيبوا ما تقدم ذكره ... والا تروا منى عنا واهوال

قال الراوى فلما فرغ الخفاجي من شعره ونظامه طوي الكتاب وختمه بختمه واعطاه لوزيره سلام بسلام ليا خذه الى حسن ويطلب منه المطلوب بالكمال والتمام فاخذه وجد في قطع الروابي والتلال حتي وصل الى نجوع بنى هلال فدخل على الامير حسن بن سرحان وناوله الكتاب ووقف بقرب الباب فلما قرأه وعرف فحواه اغتاظ من ذلك التهديد وخاف من عواقب الامور وقال للجمهور ان الذى كنت احذر منه قد وقعنا فيه والله يعلم تاليه ثم انه امر باخذ الوزير الى دار الضيافة حسب العادة وقرأ الكتاب امام الحاضرين وطلب منهم الرأى والافادة قالوا الرأى عندك فعل ما تريد وبرهذا الامر برأيك السديد فقال مرادى ان أرسل له كتاب منطوى على المودة والاصطحاب وتنظر ما يكون الجواب فقال الجميع هذا هو الصواب فعند ذلك كتب الامير حسن اليه يقول وعمر السامعين يطول

ايا غاديا منى على متن ضامر ... يسبق مسير الطير ان كان سائرا
اذا جيت الى نحو الكبيسة وارضها ... فاقرأ سلامي للخفاجي عامر
وقل له قال الامير ابو على ... حاشا لذلك بنتى المناكر
تريد بنا تنا ياخفاجي وما لنا ... ومنا تريد الخيل ثم الاباعر
وقد شاع ذكرك فى البلاد جميعها ... وكفك سخى بالجود يا ابن الاكابر
ونحن لنا يا امير بالغرب ساده ... بارض الزناتي باملك بالجنا زر
وجينا جميعا يا امير لاجلهم ... لكى نخلصهم بضرب البواتر
ونحن ضيوفك ياخفاجى واهتدى ... بجاه النبي فخر الورى والعشائر
فدعنا نثنى الخير عنك بدر نا ... حتى نصل للغرب وارض الجزائر
يا امير نحن تحت حكمك وطاعتك ... فافعل باصولك ياخفاجي عامر

قال الراوى فلما فرغ الامير حسن من هذا الشعر والنظام طواه وأعطاه الى الوزير سلام فاخذه وسار حتي أشرف على الخفاجي عامر فى آخر النهار فاعطاه الكتاب ففتحه وقرأه وعرف فحواه ورسمه من كان حاضر من السادات الكرام قال له ابو ضرغام جواب بنى هلال أحلى من الماء الزلال فقم اعزمهم وترحب بهم ولا تشهر في وجوههم الحرب لانهم عابرون طريق وقاصدون بلاد الغرب ثم انه بعد هذا الكلام أشار يخاطب ابنه بهذا الشعر والنظام

قال الفتى ضرغام قولا صادقا ... ونيران قلبي زايدات هواجس
بالله اقصر عن هلال وحربهم ... فان فيهم كل قرم فارس
فبنى هلال سايرين مغرب ... أولادهم يا امير جوا قابس
قد انحطت عليهم نجد واحلت ... والزرع فيها صار أصفر يابس
رحلوا وخلوها وكم انتهم عدا ... اسيقبلوها فى درق وملابس
كان الديسى فارسا متغطرسا ... واولوكها اتوم كاسر دعوابس
والبنى ياولد قبيح فعله ... اسمع كلامي لا تكون مراوس
هذا كلامى ياخفاجى افهمه ... انى كبير السن شوم ممارس

قال الراوي فلما انهى الضرغام من كلامه وفهم الحاضرين فحوى شعره ونظامه قالوا هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب وفى الحال ركب الامير خفاجي في جماعة من الابطال وركب والده الامير ضرغام لاستدراك ما فات وقصدوا منازل بني هلال ولما علم الامير حسن بقدوم الخفاجى عليه وانه عن قريب يصل اليه ركب مع الامير ابو زيد وديات بن زيدان شيخ الشباب وجميع السادات الانجاب وساروا لاستقباله بالعجل وقد زال عنهم الخوف والوجل ولما التقوا بعضهم البعض نزلوا فى تلك الارض وتقدم الامير حسن الي الخفاجي وسلم عليه وقبله بين عينيه تقدم بعده الامير دياب وجميع الامراء الانجاب فسلموا عليه سلام الاحباب فشكرهم على ذلك الاهتمام وسار معهم الى المضارب والخيام فاجلس الامير حسن والده فى صدر الديوان وبعد أن دارت القهوة وطاسات الشراب اشار الخفاجي يترحب بهم بهذه الابيات

قال الخفاجي بن ضرغام عامر ... يامرحبا فى من اتوا للبلادى

يامرحبا بك ياأمير ابو على يامقرى الضيفان والقصاد
يامرحبا بك ياأمير سلامه ياقاهر الفرسان يوم طراد
يامرحبا بك ياديات الماجد ياحامى الزينات حين تنادي
يامرحبا بك يابدير الفايد ياقاضى العربان والورادى
يامرحبا بهلال جمله كلها وكبارهم وصغارهم وأولادى
يابو على سيروا جميعا وانزلوا بارض الكبيسة ثم بارض الوادي
أهلا بكم أهلا بكم أهلا بكم أنتم ضيوفي تأكلوا من زادى
أوهبتكم أرض الكبيسة كلها من هاهنا حتى الى بغدادى
فجميعها بين الايادى بحكمكم نحن العبيد وانتم الاسيادي

فلما انتهى الامير خفاجى من كلامه شكره الامير حسن على لطفه واكرامه وما ابداه من حسن اهتمامه وأجابه بشكره بهذا القصيد

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على يا أمير عمرك لاترى اقدارا
ياامير نحنا سايرين مغربا ياامير مانحن اكم خطارا
اولادنا في الغرب عند خليفة في حبس ماله ياامير قرارا
نحن اليهم سايرين بسرعة والله يفعل كل مايختاره
قدعمنا جودك وفيض مكارمك ياقاهر الفرسان يوم الغارا

فلما فرغ الامير حسن من كلامه والخفاجى والامير ضرغام يسمعان رقة شعره ونظامه فانشرح خاطره الخفاجى عامر وتقدم بعده ابو الامير درغام واشار بترحيب بنى هلال بهذا المقال

يقول الفتى ضرغام والقول صادق يامرحبا بالقادمين جميع
يامرحبا فيمن اتوا لبلادنا اضاء بهم حى انا وبقيع
يامرحبا بك ياامير ابو على يامن له كل الملوك تطيع
يامرحبا بهلال جمله كلهم رعيانهم وعبيدهم وتبيع
اضاءت منازلنا بيوم قدومكم قد زال عنا همنا وصديع
يابوعلى ارض العرق وسيعة بها مرتع لابلكم وربيع
وفى حكمنا ستين سوق مدينة بها الخز والديباج وكل بديع

فقوموا عندى ياملك فى بلادنا ونبقى لشورك ياامير نطيع
وهبتك جميع المال والمدن كلها ولا حاكمها الا اليك يطيع

فلما فرغ الامير ضرغام من هذا الشعر والنظام وسمعه السادات والامراء الكرام شكروه على هذا الاهتمام وقال له الامير حسن بارك الله فيك وجعلك خليفة لابيك ثم اجابه على شعره يقول

يقول الفتي حسن الاميرابو على الا استمع لى ياملك ضرغام
ياليت عمرك الف عام على المدى وانت بخير ياملك وانعام
وابنك عامر ليته دوم سالم وعمره لاينظر عنا وسقام
ياامير املاكك عليك مباركة تعيش فيها مادامت الايام
فعندى البوش والخيل والغنم واموال تكفينا مدي الاعوام
ولكن لما احلت نجدوا قحطت وسبعة سنين فى عنا وسقام
بعثنا ابوزيد للغرب رادها ومعه ثلاثة ضاربين لثام
وهم الفتى مرعي ويحيي ويونس أولاد أخنى من فروع كرام
فرحوا عند الزناتى خليفة قبضتهم وأشبعهم عنا وسقام
فشفعت فيهم صعدا بنت الزناتي وفي حب مرعى قلبها قدهام
أتانا ابوزيد من الغرب رحده واخبرنى عما جرى بتمام
رحلنا وسرنا بالجيوش جميعنا وصارت أراضينا في فنا وعدام
وهذا الذى قد صار ياذخر الوري أيافارس الفرسان يوم صدام

قال الراوى فلما انتهى الامير حسن من هذا الشعر والنظام مدحه الملك الضرغام ثم ركبت سادات بنى هلال مطاياهم والخفاجى عامر ودخلوا البلد في فرح وسرور وتفرقت عرب بنى هلال فى تلك الاراضى واما الامير حسن والسادات فبقوا عند الخفاجى عامر على أكل وطعام وشرب ومدام وفرح وسرور مدة ثلاثة شهور وهم على أحسن حال فاتفق فى بعض الايام ان الخفاجى عامر اولم وليمة عظيمة ودعي اليها الامير حسن وسادات بني هلال الاكابر حضرتها النساء والبنات وجميع السادات و بعد أن أكلوا وشربوا ولذوا وطربوا دارت كاسات المدام على من حضر في ذلك المقام وكانت البنات والنساء الحرائر يشربن على اسم الخفاجي عامر الى ان انتهت النوبة الى الجازية

وكانت بديعة الجمال فصيحة الكلام فتقدمت الى الخفاجي تصف له محاسن بنات هلال وما خصهن الله به من اللطف والكمال والظرف والجمال فاشارت تقول

تقول فتاة الحي الحازية ... ونيران قلبي زايدات شعال
ان الامارا يا أمير بناتهم ... مثل الظبا في الحسن والاشكال
ما جمال الظعن للظعن بنت سلامه ... الوجه منها مثل بدر كمال
بنت أبو موسي دياب الماجد ... فيونها يا أمير كعين غزال
بنت قاضينا البدير القائد ... تشبه غزالا بالفلاة جفال
بنت أمير البوادي ابو على ... شبيه البدر في بها كمال
انظر لحسني يا أمير فانني ... أجمل وألطف من نساء هلال
قد شاع ذكرك بالمكارم والسخا ... وبكل فضل شائع وجمال

فلما فرغت الجازية من هذا الشرح والوصف شكرها الخفاجي على شعرها ونظامها ولما فرغوا من الطعام وشرب المدام نهض الامير على الاقدام وشكر الامير الخفاجي على ذلك الاكرام وقال له في آخر الكلام اريد من لطفك وافضالك ان تشرفني نهار غد بجميع رجالك لاجل أكل الطعام وشرب المدام و بذلك تجعلني ممنون على طول الدهور والاعوام فاجابه الى ذلك المرام وعده بالمسير في ثاني الايام وفي اليوم الثاني اولم الامير حسن وليمة عظيمة لها قدر وقيمة ذبح فيها الف رأس من الاغنام واحضر فيها مائة ضرف من المدام فكانت من اعظم الولائم لم يسمع مثلها في الاعارب ولا عاجم حضر اليها الخفاجي عامر مع باقي قومه وسادات العشائر فتلقاهم الامير حسن بالترحاب والاكرام و بعد ذلك جلسوا على مائدة الطعام ودارت بينهم كاسات المدام فطربت الامراء والسادات والنساء والبنات على أصوات الاغاني ورقص المغاني ولما فرغوا من الطعام جلسوا للحديث والكلام عند ذلك التفت الامير حسن على الخفاجي عامر وانشد هذه الابيات على مسامع الامراء والاكابر

مقالات الفتي حسن المسمى ... ابو مرعى فزال الهم عنا
نظرنا منك يا عامر جميلا ... ومعروفا والطافا وحسنا
فدستورك ألا يا أمير عامر ... زمانا في بلادك قد أقمنا
ورانا حاجة يا أمير تلزم ... اليها قاصدين ولو قتلنا

فلولا يا فتى مرعى و يونس ويحيي وسط قابس مارحلنا
لك الافضال اطاب يا خفاجي لك الارواح يا عامر ثنا
فبقى من بنات هلال أربع عطية من ابي مرعى المكنا
فهذه هي عطر بنتي يا مسمى وهذه بنت ابوزيد المكني
و بنت دياب وطفى يا خفاجي و بنت قاضى العربان تركنا

فلما فرغ الامير حسن من كلامه وفهم الخفاجي فحوى شعره ونظامه قال والله يا أمير انت صاحب الفضل والمنن قد شرفتمونا فزالت عنا الكدر. وطابت بقدومكم المهج والقلوب ثم أشار اليه يقول وعمر السامعين بطول

مقالات الخفاجي في نظامه ايا مرعى لك الاكرام منا
وفيكم حلت البركة علينا وضاء الحي فيكم يا مكنى
وليس أريد منكم يا هلالى بنات ولا جمال ولا أسنه
فليتك دائما يا امير قيس مدى الايام في خيرتهنا
قبلت عطيتك يا فخر قومك وقد رديتها من غير منه
فكدرت الخواطر في رحيلك ومن رقت اجتمعتم مازعلنا
فلا بد لى بان اذهب معاكم الى ارض المغارب يا مكني
احارب معكم جيش الاعادى بحد السيف يا حسن المكنى

فلما فرغ الخفاجي من هذا الشعر والنظام واكلت قوم خفاجي وهلال من الطعام امر حسن بالرحيل بعد ثلاثة ايام فقال الخفاجي لابد من مسيرى معكم الى تونس وابذل الجهود في استخلاص مرعى ويحيي و يونس فلما سمع ابوه الضرغام منه هذا الكلام لم يهن عليه ذلك الامر وقد اشتغل قلبه لهيب الجمر لان كان يحبه محبة زائدة. وليس له صبر على فراقه ساعة واحدة فاشار بمنعه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول الفتى ضرغام عما جرى له بدمع جرى من فوق خدى سكيبها
يا ولدى بالله ارجع وانثني وابقى في ارضك واترك مغيبها
فكيف تفارقني وامك وحدها تنادى وتندب ثم تبدى نحيبها
ايا ولدى ان رحت ما انت عاقل وذهنك شرد فما انت قرم نجيبها

فقال الفتى ضرغام الذى قل صبره فارض الكنيسة راح ايام طيبها

فلما فرغ ضرغام من كلامه . اجابه الخفاجى على شعره ونظامه

قال عامر يا ابى اسمع كلامي ارجع الى حكمك وكن رجل صبور
مع هلال يابى لازم اسير للمغارب والجزائر والثغور
ثم انظر لحلب وبلادها واري الاحوال فيها والامور
واري حمص وحما حقا اكيد معه دمشق الشام انظر للقصور
اهلها اهل المكارم والسخا فيها شبيب التبعى السيع الجسور
وانظر الرملة وغزة بعدها واقصد القدس واوفى للنذور
بعدها ارحل الى ارض العربش وارى البردويل ليث الجسور
ثم لقيطة ومصر بعدها نيلها يجلو على كل النهور
ثم نخوض البحر الى ارض الصعيد ونرى الماضى الشخى المشهور
وارض هوار الى العرب البعيد وارض قابس والزناتى له تزور
ثم نقتله ونملك ارضه نخاص الاولاد ونسبي للبدور
ثم للاوطان نرجع بالهنا يابى بالخير مع كل السرور
يابي وحيات رأسك لا اغيب اكثر من سنتين وستة شهور
قر عينك ثم طيب خاطرك وعلى حكم الولاية كن صبور

فلما فرغ الخفاجي من كلامه وعرف الضرغام فحوى قصده ومرامه بكى البكاء الشديد الذى ماعلية من مزيد وعلم ان كلامه لايفيد ثم تقدمت امه شولا وزوجته وابنته دوابه واخذن ينهينه عن السفر ويظهرون له عما فيه من الغيظ والكدر . واشارت امه تقوله

تقول فتاة الحي شولا التى شكت بدمع جري فوق خدى سكايب
اياولدى عامر فطيعنى وارتجع فراقك علينا من عظيم المصايب
ايامير ارض القير وان بعيده واقطارها فيها العنا والمتاعب
فما انت مديون ولا انت شارد ولا انت محتاج ولا لك مطالب
تغيب عن الاوطان ياامير عامر وتقصد مع العربان ارض المغارب
اياولدى اسمع كلامي وارتجع ابوك كبير السن قد عاد شايب

بحياة رأسي ياخفاجي عامر بحرمة نبي تحج له الاعارب
تتركن اهلك ياامير بحسرة ونبقى حيارى مالنا من يحارب
اياولدى بالله انك تطيعني ينجيك ربى من جميع المصايب
اياايها الخلان بالله اقبلوا وساعدونى حتى ارد الحبايب
رد الفتي عامر لامه وقال لها فلابد من سيرى لارض المغارب
حسن مابقي لى قلب اقدر افارقه امير سما على كل الاعارب
ابوزيد والزغبي دياب الغانم وقاضيهم بدير للعلم طالب
لسانى رهنته ياامى بلا خفى معاهم وانى لست عمري بكاذب
اياامي قلى النواح مع البكا فما عدت ارجع للحمى والمضارب
فلا بدعن قابس وحرب اهلها وناتى بالاموال لهم ومكاسب
وان قضت فى تلك الاراضي منيتى فابكى على بدموع سكايب
ماقال الخفاجي ولدضرغام عامر غدا ابقى بعيدا من الاهل سايب

(قال الراوى) فلما انتهى الخفاجى من هذا الشعر والنظام بكى بدمع مثل قطر الغمام على مفارقة الاهل والاوطان والاصدقاء والخلان وطلب من ابنته دوابه وزوجته مى ان يذهبان معه الى تلك الديار ويتركان الحي فامتنعا عن المسير وبكيا بدمع غزير ثم تقدمت ابنته دوابه واشارت تنهيه عن السفر تقول وعمر السامعين يطول

تقول دوابه ياابى لاتسافر فتترك الاهل فى عنا ومصاب
فذلك ياامير في الغرب حاجة ولالك بها مال ولااسباب
ولا ثار لك عندالزناتى خليفه ولا دم لك ولا اصحاب
فكيف تشتتنا وتطلب بعادنا ونبقى ضوائع في عنا وحساب
ونبقى الهلاليين مجموع شملهم ونحن بلا اهل ولا اصحاب

فلما فرغت ابنته من كلامها وسمع الحاضرون فحوى شعرها ونظامها زاد البكاء والنحيب من ذلك الامر الغريب ثم تقدمت بعدها امرأته مى واشارت تقول وعمر السامعين يطول

تقول فتاة الحي مي التى شكت ولى قلب من كثر النبائن ذاب
فوالله اني ماسير مغرب ولو ان رأسي طار بالقرضاب

رواحك الا يا امير ما فيه فائدة وقصدك بلاد الغرب ليس صواب
فدع قول ابو زيد الهلالي سلامه وحسن الهلالي والامير دياب
فكيف تخلي يا امير بلادك وتبقى قصورك خاليات خراب
مقالات فتاة الحي مني التي شكت وهذا كلامي لك جميع صواب.

فلما انتهت من من هذا الكلام . تقدم ضرغام وجعل يودعه بهذا الشعر والنظام

يقول الفتى ضرغام عما جري له ودمعي جرى فوق الخدود سريع
بالله ياقائي هلالي وعامر اوصيتكم في عامر اخاف يضيع
اياذل قصر عاد من بعد عامر به اليوم والعربان دوم جميع
سقى الله ياعامر ليالي سرورنا اياحيف راحت يا امير سريع
الا ياحمام الحي نوحوا بربعه وسيحوا بدمع ياحمام نقيع
ساعمل لغراد الحمام وليمة واكسي يتامانا نجعنا وقطيع
اياولدي اودعتك الله خالقي ومن اودع الرحمان ليس يضيع
فلا تقطع الاخبار عنا فقلبنا سيبقى بعدك ياخفاجي وجيع

(قال الراوي) فلما فرغ الامير ضرغام من كلامه وفهم الامير حسن فحوى نظامه . قال له اعلم يا امير ضرغام لا يكون لك على ولدك ادني اهتمام لانه مثل ولدي وقطعة من كبدي فهما جري علينا يجري عليه جميعنا نلتفت اليه فكن مطمئن الخاطر من هذا القبيل ايها السيد الجليل . فلما رأت زوجته وابنته انه لابد للخفاجي من المسير مع بني هلال فاتفق رأيها الرحيل معه الى تلك الاطلال فاستعدا من ذلك اليوم . وتجهزا للسفر مع القوم وبعد ذلك حضرت جميع الولاة وسادات العشائر لوداع الخفاجي عامر فودعوه بالبكاء والنواح ودعوا له بالتوفيق والنجاح

(قال الراوي) وبعد هذا الحديث والكلام بثلاثة ايام امر الامير حسن بدق طبل الرحيل والاستعداد والسفر من تلك البلاد . فعند ذلك هدت المضارب وركبت الفرسان ظهور الجنائب واعتقلوا بالسيوف والنصول وقد املؤا بكثرتهم تلك السهول وركبت ايضا النساء والبنات راكبين في الهوادج قاصدين بلاد الغرب وتلك الجهات وامام الجميع زوجة الخفاجي وابنته والجازيه ونساء الامراء والسادات

(انتهى الجزء الخامس . ويليه الجزء السادس)

(الجزء السادس من تغريبة بنى هلال وهو يحتوى على قصة الملك التمرلنك)

(قال الراوى) وكان الخفاجى عامر من اشرح البشر فى هذا السفر وكان بنو هلال كلما وصلوا الى مكان تاتيهم الهدايا من الامراء والاعيان وحكام تلك الاوطان الى ان قطعوا الموصل وقصدوا حلب الشهباء وما زالوا يقطعون البيداء الى ان اقتربوا من نهر الفرات ولما قتلت بنى هلال ملوك العجم كان الخرمند صهر التمرلنك حاكم بلاد الموصل فلما قتل الخرمند ارسلت زهرة لابوها كتاب واعلمته بقتل زوجها الخرمند فلما سمع التمرلنك ذلك صار الضياء في عينيه ظلام وغضب غضبا شديد ولبس كل شيء احمر باحمر وطلع الى الديوان وهو بالغضب مليان وكان له وزير من جملة وزرائه اسمه اسكندر فلما تكامل الديوان اشار يسال الملك عن غضبه يقول له

قال الفتى المسمى الوزير اسكندر ... والدمع فوق الخدود تحدرا
والنار في قلبي تهب وتطغى ... قد هب لاعجها وعادات تسعرا
يا امير مالى فى الديار اشوفك ... غضبان ولابس يا امير الاحمرا
لابد اناك اليوم خلم من العجم ... او من بلاد العامرة ياهل ترى
يكون قد جاك الخفاجي عامر ... همهم عليه مثل سبع بهدرا
هذاك حاكم على العراق جميعها ... بما اتى بدريس اليكم طايرا
بما اتاكم عبش خليفة راشد ... امير بالرستن ينهى ويامر
والا شبيب التبعى فى الزرقا ... امير طى شبه سبع كاسرا
والا اتونا ملوك نجد جميعهم ... قاسون بالشدائد منها مرمرا
قالوا ان نجد احلت بلادها ... سبع سنين ثم سبعة اشهرا
وحلوا وفي قصدهم ارض غصيبه ... بلاد تحمل بوشهم والعسكرا
ان كان اتونا يخربوا كل البلاد ... ويفعلوا فيها فعال المنكرا
بالله اخبرني الاكيد الواضح ... قد حرت انا فى امرى ياقاخرا

قال الراوى فلما فرغ الوزير اسكندر من كلامه والملك التمرلنك يسمع نظامه فقال اسمع ياوزير وانتم يا اكابر دولتنا واشار يخبرهم

يقول التمرلنك ابو شميله ... انا قاهر الابطال والفرسان
اذا قام سوق الحرب والخيل غابره ... اطعن صدور الشوس فى عيدان

حكمت بلاد العجم بالسيف والقنا ... بسيفي ودرعي ثم عود الزان
ومن سطوتي ولت ملوك كثيرة ... وسيطي وصل للسند مع عمان
كتاب من زهرة اتاني وراعني ... خبر اكيد ما به بهتان
بان هلال قد اتونا للحله ... ونملكوا الكوفة وكل مكان
امير هم حسن الهلالي ابو علي ... امير بن امير وراجح الميزان
وابو زيد الهلالي هداك عمه ... ومثله دياب مشبع الجوعان
وصلوا الرأس العين ونزلوا بارضها ... وكان دري الحرمند ياالخوان
طلب لعشر المال منهم بلا بطا ... اعطوه ضرب سيوف وعود الزان
وقتلوا الحرمند وملكوا العجم ... وسلطنوا من بعده النعمان
الا يا اسكندر اجمع الجيش للقا ... وشدوا على خيل ملاح ضمان

فلما انتهي الملك من كلامه والوزير والقوم يسمعوا نظاه فقام من بين الوزراء وزير وقال يامالك الزمان ارسل للبلاد واجمع العساكر ودعنا نلاقي بني هلال قال فتقدم الوزير اسكندر وقال انا عندي رأي انك ترسلني اغزي بني هلال وانت ابقى هنا فامره التمر لنك ان ياخذ معه مائتين الف مقاتل وقال له سير بالعسكر واحفظ واحالكم كونوا رجال فسار الوزير اسكندر بالعساكر الى ان وصل الي مكان يقال له القصر فوجد فيه تجار آتيين من بلاد العجم فسالهم من اين اتيتم والى اين متوجهين فقالوا اتينا من بلاد العجم الى هذا المكان فاستدعى كبير التجار وكان اسمه كمال الدين وقال له ماذا سمعت لنا عن بني هلال فاخذ يوصفهم له بهذا القصيد

يقول كمال الدين عما جرى له ... بدمع جرى فوق الخدود وسال
اريد اعلمك يا امير عما جرى لنا ... الا يا اسكندر ليت عمرك طال
انا من طريق العجم قد جئت قادم ... ومعنا بضايع يا وزير جمال
بهارات من ارض الهند معنا ... وحملتها من فوق ظهر جمال
طلعنا من البصره الى بر الحصا ... الى جاكره جينا الى شموال
وجينا الى شيبة ورحبة وارضها ... الى قصر شروان اتينا بحال
لقينا جيوش سدت القاع والفلا ... واملوا الاراضي سهلها وجبال

آمارا كبار يدهش العقل شوفهم ... ومن شانهم عقله غدا بالحال
لهم نزل يا امير قد ضيق الفضا ... اذا سرحوا يهوش لهم وجمال
مسير ثلاث ايام يا امير نزلهم ... خيمه وبخيمه حشك يا مفضال
خرمند ارسل يطلب العشر منهم ... وعشر بنات مفتنات جمال
فقال ابو زيد الهلالي سلامه ... ماله عندى غير ضرب نصال
وكان ركب الصنصيل وجمع قومه ... وجاء الفتى الفمقام والابطال
وعند الطعن صاحت ملوك آل عامر ... واما العرب مالوا ترى بالحال
يا ما غدا منهم ملوك كثيرة ... وراحوا من تحت الوطا ونعال
قتلوا ملوك فى ذايل القنا ... ودعو الفوارس يا فلا اجفال
وقد خربوا الكوفة وحلوا بارضها ... وخلوا مداينها سريع تلال
وراحوا من الكوفة الى ارض عانة ... وملوا الى بلدانها وجبال
وملكها ترى الغضبان فارسا ... وابن اخته نمر ليس له مثال
قتلوا العزيز وابن عمه ورفقته ... وكل الفوارس قد غدون اجفال
وفارقنهم من باب سنجا وارضها ... وجبت البوادى مثل سيل سال
و يا ما نظرنا يا امير بدر ينا ... ومثل هلال مارأينا رجال

قال الراوى فلما فرغ من كلامه والوزير يسمع نظامه فقالوا له كيف نركب عليهم و نقاتلهم فقال لهم الوزير الرأى عندى ان نرسل من عندنا مائتين فارس الى بلاد الرها يكشفون لنا الخبر ونحن نبقى هنا حتى ياتى الملك واذا قال لنا لماذا ذهبتم نخبره بان انا ما علم بان بنو هلال نازلين فى بلد جا كده ونحن ارسلنا لهم رواد يكشفوا لنا خبرهم ويقينا ننتظرهم فقالوا الجميع هذا هو الرأي والصواب اسمع ماجرى للتمر لنك قاله بعث المكاتيب الى جميع البلاد يجمع العساكر وضبط عددهم لقاهم ٤ كرات وجابو معهم المدافع واحضر ابن اخته شروان وقال له احكم موضعي حتى احضر لك وطفا بنت دياب فقال له على الرأس والعين ثم انه سار بالعسكر والجيوش يقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار حتى وصلوا الى بلاد الفرقس التى نازل فيها الوزير اسكندر فلما وصل الملك لقاه الوزير وسلم عليه فقال علامك ما لحقت بنو هلال فحكى له ما صار فعند ذلك غضب الملك غضب شديد وزاده الهم والتنكيد وامر

بقتله فتشفعوا فيه ملوك العجم من القتل فصفح عنه ثم انهم ساروا على بنى هلال الى ان وصلوا الرأس العين ونزلوا فى ذلك المكان قالوا اسمع ما جرى الى بنو هلال فان الامير حسن رأى منام هائل الاحلام فلما اصبح الصباح استدعى ابو زيد والامير دياب والقاضى بدير وكل الامارا واراح يخبرهم بالمنام ويقول

يقول الفتى حسن الامير ابو على ... الدمع من فوق الخدود سجام
ايا قوم اسمعوا لى قصتى ... وافتهم يا ابو زيد يا ضرغام
شفت فى نومى منام راعنى ... واصبحت منه موجع وسقام
قد شفت لاس عامر كلهم ... فى بحر من غيث ثم غمام
ترانا فى مركب بالبحر سايرين ... والموج يضربنا الى قدام
والريح جانا من شمال بلا خفا ... قد زاد منه الضر والاسقام
من ساعته جتنا سباع كواسر ... نزلوا لبحر الدم عاد معام
وكان عاد مركبا وسط البحور ... يقلب ونحن فى البحور نيام
عدنا جميعا وسط لجة كلنا ... اكابرنا وصغارنا وعلام
اما السباع تواردوا من حولنا ... شبه الدياب لاحقات الاغنام
هو ان ماء البحر احرق مهجتى ... واما فؤادى والحشا ماناام
يا ابو مخيمر قوم فسر لى المنام ... وعجل علينا ليت عمرك دام

فلما فرغ الامير حسن من كلامه هزوا الحاضرين رؤسهم وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال فتقدم ابو زيد والتفت شاف ابنه صبره فقال يا ولدى اتينى فى كتاب الرمل وتفسير الاحلام فراح ابنه صبره واتى به فقام وضرب تخت الرمل ورسم الاشكال على شرح الحال فشاف الاهوال فبكى ابو زيد بكاء شديدا واشار يقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ... بدمع جرى فوق الخدود سكيب
ونيران قلبى كلما اقول تنطفى ... لها بين ضلوعنا الضلوع لهيب
من اجل منامك يا امير ابو على ... دعى فى ضميرى لاعجا ولهيب
ولا ظن مثلى قارى العلم دارس ... وربى على كل العباد رقيب
من اجل منامك صار فى القلب جسره ... وعدت منه يا امير مريب

وبساع انا يا امير انا افسر منامك ... وما قد جرى لك فى كلام عجيب
وقد شفت حالك فى بحر من الدما ... والت بمركب زايد التقليب
وذاك بحر من المنايا رجالنا ... نخوضه ونحن فى بكاه ونحيب
وهذا ترانا نبتلى بشدائد ... ويا ما جرى كل امر عجيب
اما السباع تاينا قبائل ... من ارض بعيده مثل نار لهيب
جموع الوف سدت القاع والفلا ... وباتوا الينا راكبين جنيب
ونحن نخاف من العجم لاحقيننا ... وامرهم تمرلنك قوم صعيب
وان جاء الينا نقتله مع جموعه ... وندعيهم بالماضيات ذهيب
مقال ابو زيد الهلالى سلامه ... لابد يجرى المقدر بلا تكذيب

فلما فرغ ابو زيد من كلامه قال حسن المعونه من الله تعالى هذا اكان من بنى هلال واما ما كان من العجم فانهم بقوا ساترين حتى وصلوا الى بلد الرها فجئات منهم تلك البلاد وتوجهوا نحو رأس العين واذا اجلة من بنى هلال نظروهم اتين مثل الجراد فعند ذلك ركب الامير ابو زيد ولاقاهم وقال لهم من انتم والى اين ذاهبين فقالوا له نحن من بلاد الرها نزلوا علينا عساكر ملوك العجم خربوا بلادنا ونهبوا مالنا فقال لهم ابو زيد كم عدد جيوشهم قالوا يا طويل العمر ما يعلم عددهم غير الله فلما سمع هذ الكلام سافى جواده نحو بنى هلال حتى وصل عند الامير حسن ابن سرحان واشار يقول

قال ابو زيد الهلالى بادروا ... للحرب يا امير الملا لا تكابرى
يا امير شد الخيل وار كب سرعة ... تمرلنك جانا فى جيوشه غابرى
فهو اتى ياخذ ثار خرمند الملك ... انا ما بجيش شبه بحر الزاخري
نادى الفتى الزغبى دياب الماجد ... نادى على مسرور ابن الجابرى
انا على النصف وحدى يا فتى ... وانتم على شهود يا آل عامرى
ما قال ابو زيد الهلالى سلامه ... يا امير شد الخيل واركب باكرى

فلما فرغ ابو زيد من كلامه قال لهم كونوا على حذر من الغدر والامكار فلموا جوشهم واخذوا حذرهم من الاعادى وباتوا الى الصباح حتى صار وقت الضحى ما اقبل عليهم احد فقال ابو زيد يا امير دياب اعذل من قومك الف ومن بنى زغبى الف ومن قوم القاضي الف ومن قوم حسن الف ومن بنى هلال اثنى عشر الف واسلحهم

الضمن وتجعلهم اربع فرق من كل فرقة اربعة آلاف فارس قال فرجع دياب وجمع الضمن وفعل مثل ما قال له ابوزيد واجتمعوا الامارا عند الامير حسن فقال كيف الرأي عندكم قالوا الرأي انك ترسل كتاب الى التمرلنك واذا بالامير دياب كان مسيره في البر نظر رجالا ابين من ناحية بلاد التمرلنك مسكهم دياب واتى بهم الى الامير فقالوا اما هذا يا دياب قال لقيتهم في البريه فقال حسن انا اكتب كتاب الى التمرلنك وارسله مع واحد منهم ثم استدعى في قلم وقرطاس واشار يرسل الى التمرلنك ويقول

يقول الفتى حسن الامير ابو علي ... بدمع جرى فوق الخدود يسيل
وتيران قلبي كلما اقول تنطفى ... يهب لها جو الضلوع شعيل
نعم ايها الغادى على متن ضامر ... نشبه غزال بالفلاة جفيل
اذا جئت الي التمرلنك بلاخفى ... امير على العجمان امير ثقيل
وقله يقلك الامير ابو علي ... امير بن امير سيد وفضيل
نحن ترانا سايرين مغربا ... ولانحن عليكم رايدين نزيل
الى الغرب نبغي يا امير بلا خفى ... واولادنا في وسط قيد ثقيل
ومن غدا نرحل يا امير عنكم ... ولاني عليكم رايد التطويل
فعارضنا الدبيسى ابن مزيد ... دعينا بلاده بلقا ودميل
ومن بعده جينا العجم بضعفنا ... ملينا اراضيها وكل سهيل
وقد جالنا الخرمند هو وقومه ... وقدراح من حد السيوف قتيل
فان طعتنا اقصر وارجع لورى ... والا ترى تغدى بحد ثقيل
ماقال الفتى حسن الهلالى ابو علي ... ولاخير في رجل يعيش هزيل

فلما انتهى حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه واعطاه الى الذين جاءوا الامير دياب وقال لهم اعطوه الى التمرلنك فاخذوه وساروا حتى دخلوا عليه وقبلوا يديه واعطوه الكتاب اخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه اطرق رأسه في الارض وصفن مقدار ساعه من الزمان وقال مرادى ارسل لهم الجواب واطلب منهم عشر المال والخيل والجمال والبنات الحسان وبالحال استدعى بقلم وقرطاس واشار يقول

يقول التمرلنك على ماصابه ... ولى مدمع من فوق الخديد يسيل

من اجل كلام البدويا قرومنا واصبح جسمي والفواد نحيل
ارسل لنا ابن سرحان كتابه قديصف شورزايدات كثيل
يهددني بالحرب والحرب مقصدى اياريت ظني فهو رجل هبيل
هم يحسبوني اخاف من كلامهم ومالي بيوم الموزمات دليل
اياغاديا مني على متن ضامر عليها من الفرسان قرم ثقيل
اذا جيت الى حمى الامير ابوعلى امير ابن الامير زاكياواصيل
سلم تري كتابي اليه بلا بطا وخليه يقرأه ولا يكون هبيل
يسمع وقصرعن كلامه بلا خفى يسلم لنا ماله بلا تمهيل
وارسل لنا بنات من هلال وعامر بنسات الامارا طرفهم كحيل
من قبل ما تاتيك جحافل الجم وياتي اسكندر فارس ثقيل
وياتي مقدح والامير مشعشع وشمعون المسمى والفتي الدرفيل
وسادتنا مائتين الف ومثلها ومائتين مدفع تنضرب بالجيل
ماقال التمرلنك انا ابو شمله انا قاهر الابطال بالتكميل

فلما فرغ التمرلنك من كلامه سوى الكتاب وختمه بختامه وكان عنده عبد اسمه الماس لكن شديد الباس صعب المراس فقال يا الماس خذ هذا الكتاب الى حسن بن سرحان امير العربان وقل له يرسل نصف مال بني هلال والنصف الاخر له بخشيش فاخذ العبد الكتاب وسار حتى وصل الى عند الامير حسن دخل عليه وقبل يديه واعطاه الكتاب اخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه غضب غضبا شديدا وقال الى قومه كيف يكون الرأي عندكم يا امارة فيقدم الاميزابوزيد واثب على الاقدام واخذ الكتاب قرأه وفهم معناه ورماه في الارض واشار يرسل له الجواب يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ولي دمع جرى فوق الخدود سكيبها
من اجل كلام قد اقاض مدامعي وعدت اقاسي من كلامه نحيبها
ارسل يريد المال منا غصيبه جموع هلال ناتيه اليها جديبها
فترسل تهددنا بطعن وغيره وما تعلم اين من الباع مريبها
فنحن رجال الحرب في يوم غارة بيوم يعود الدم يجري سكيبها
فكم من ملوك كبار شتت شملهم وراحوا من سيفي يقاسون لهيبها

ايا تمرلنك جمع الاعجام وارتحل لارضكم سائر فمالك نصيبها
انا اعلمك عن آل قيس وعامر وآل زغبي خلاني اجيبها
ان طعتني ارحل بقومك يافتي نحنا سباع الفلا ثم دنبها
من قبل ما تعلق بكم نار حربنا مغرور يوم الكوز من يقدر يصيبها

فلما فرغ ابو زيد من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه واعطاه الى العبد اخذه وسار حتى وصل الى عند التمرلنك دخل عليه وقبل يديه واعطاه الكتاب اخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه غضب غضب شديد وزاد به الغم والتنكيد ثم ان التمرلنك استدعي بالوزير اسكندر وقال له كيف اعمل بالعربان ما يعطوا حسب طلبنا وحيات راسي لاحصدهم حصيد واجعلهم بالبراري شريد قال له الوزير ما هو الجواب يا ملك الزمان فقراه عليهم ثم قام الوزير اسكندر وقال دعني يا ملك الزمان ان اكتب الجواب الى الامير ابو زيد فقال الملك لا يلزم الجواب وباكرا نصلي عليهم نار الحرب ونسقيهم كاس الكرب وثاني يوم ركب الامير ابو زيد واشرف على القوم واذا هم مقبلين مثل الجراد الناشر مالهم اول من اخر ولما نظرهم ابو زيد رجع واخبر بني هلال بهذه الابيات

قال ابو زيد الهلالي سلامه ياحسن جتنا العجم تمشي سريع
يا ملك جانا التمرلنك قاصدا من فوق اشقر يا امير نليع
والخيل من خلفه جراد زاحف ودوارع وسيوف تلمع لميع
عشر ملوك كبار غير صغارهم والتمرلنك في قومه جانا سريع
اياد ياب انهض واركب عاجل واجعل الاعجام أن يغدوا قطيع

(قال الراوي) وهم بالكلام واذا بالعجم اقبلت مثل الجراد فركبت بني هلال ولاقوا الاعجام ثم انهم وقفوا بجانب بعضها البعض فنزل وزير من وزراء التمرلنك الى الميدان اسمه دخان عرض وباذ وطلب الفرسان وصاح على بني هلال وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لي كسلان ولا عاجز ما في حومة الميدان الا الوزير دخان فما اتم كلامه حتى صار الفاضي بدير قدامه وارمى العمامه وصدمه صدمة هائلة فقال له من تكون من الفرسان حتى جيت تصادم الوزير فقال له انا قاضي العربان ثم التقوا البطلين كانهم جبلين وا ترقوا كانهم مركبين وزعق على رأسهم غراب البين

وثار الغبار على رأسهم حتى سد الاقطار وقدحت حوافر خيلهم نارا وما زالوا على تلك الحالة الى اخر النهار فرعق القاضي في وجه دخان مثل الرعد القاصف ثم ضربه بالرمح فاخذها دخان بالترس البولاد راح ضرب القاضي خايب فارتد عليه وضرب القاضي بالسيف اخذه بالترس فشطح السيف على رقبة الجواد براها كما يبرى الكاتب القلم فوقع على الارض فاراد ان يكمل عليه فادركه الرياشي مفرج فاركبوه جواد والتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال الى وقت الزوال فعندها دقت طبول الانفصال وكل عاد الى حيه والاطلال ولما اصبح الصباح رقوا طبول الحرب والكفاح وركب التمرلنك بقومه وركبت بنو هلال وخرجوا الى حومة الميدان واصطفوا في جانب بعضهم البعض فبرز الوزير دخان الى حومة الميدان ونادي على الفرسان وقال لا ينزل الا الامير حسين بن سرحان فما اتم كلامه حتى صاز الامير قدامه وقال له فمك لعن الله ابوك وامك واشار يقول

قال ابو موسي دياب الغانم ... دخان اغدى من قبالي هزيم
فوز بنفسك وارجع يافتى ... انا ابو وطفا ما انت لي خصيم
هالوقت تنظرني وتنظر همتي ... لادعيك شطرين بسيفي قسيم
انزل الى الميدان بادرني سريع ... وانظر الى طعني كنار الجحيم
هالوقت اسقيك من سيفي عطب ... وادعيك على الوطى تبقى رميم
واقطع لرأسك عاجلا بصارمي ... وادعيك من فوق الوطى تولى عديم
وافني عساكرهم ايضا والملوك ... اما التمرلنك اجله حطيم
قول الفتى الزغبي دياب الغانم ... لابد ما اسقيك كاس الحميم
رد الفتى دخان في حرب الهمم ... اسقى الاعادي من يدي كاس حميم
والسيف في يدي ترانى شامطه ... عندي يكاد يقطع الصخر المتيم
لابس على درع داودي عجرب ... وخودتي تضيء كانجم الظليم
تحتي حصان جيد ثابت للقا ... موصي عليه خاص من خيل العجيم
كم من امير قد قتلته بالوغا ... قد راح في في الوغي اصبح عديم

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه التقوا البطين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا على رأسهم غراب البين وافترقوا كانهم اسدين فسندها ضرب دخان الى دياب بالسيف اخذها بترس البولاد راحت خايبه بعدما كانت صايبه ثم ان دياب انحرف على دخان وكان معلم الخضرا اذا صاح فيه الفارس وكان من وراه تضربه بالجوز فلما انحدف على دخان واراد يضربه التفت دخان من وراه دياب يريد يضربه واذا بالخضرا ضربته جوز ارمته هو الجواد على الارض فنزل له دياب وشده كتاف قوى منه السواعد والاطراف واخذه اسير يجره من وراه الى ان وصل لعند الامير حسن فقال ماهذا ياامير دياب فقال هذا دخان الذى قتل جواد خالى القاضي بدير وقتل من بنى هلال ستة عشر فارس قال حسن والله هذا ماينسخا فيه ان يقتل ثم ان حسن امر له بخلعه سنيه والبسها الى دخان وقال له لاتخف وعليك الامان ان رحت الى عند التمرلنك مع السلامه وان بقيت عندنا حلت البركه فقال الوزير ياملك الزمان اذا رحت الى عند التمرلنك ماعود اقدر انزل اليكم وان مانزلت اليكم يقتلنى التمرلنك والا ان انا بقيت واحد منكم فقال حسن حلت البركة فقال ياملك الزمان لى ولد عند التمرلنك فقال دياب ابشر انا اجيب لك اياه فبقى دخان عند بنى هلال اسمع ماجرى من قوم التمرلنك فانهم اصبح الصباح ركبوا وركب ابن دخان وكان اسمه سكران فنزل الى الميدان وطلب برازا فرسان فنزل اليه دياب وقال له من انت فقال انا سكران بن الوزير دخان وانت اسرت ابوي قال دياب نعم واليوم الحقك به ثم التقوا البطين كانهم جبلين وافترقوا كانهم مركبين وحان عليهم الحين وغنا على رؤسهم غراب البين من طلوع الشمس الى الغياب ودياب مايسخى بقتله اكراما لابوه فداموا على ذلك الحال الى ان امسى المساء دقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم وكل من طلب اهله وباتوا الى الصباح فنزلوا الاثنين الى الحرب والكفاح وتجاولوا فى الميدان من الصباح الى المساء فقال الامير دياب الى متى واما اطاول روحى وسحب الدبوس وضرب به سكران ارماه على القيعان ونزل اليه شده كتاف وعاود به الى عند ابوه الوزير دخان فضمه الى صدره وقبله بين الاعيان واخبره بما اكرمه به الامير حسن ففرح سكران وبقوا عند بنو هلال هذا ما كان منهم واما ماكان من العجم لما راح الوزير وابنه صاروا فى حساب وامور صعاب

واما التمرلنك غضب الغضب الشديد وزاد به الغم والتنكيد وباتوا تلك الليلة الى الصباح دقو طبول الحرب والكفاح وركبت القومين وترتبت الجيشين جانب بعضهم البعض ثم برز وزير من وزراء التمرلنك اسمه شاهين فنزل له طوى بن مالك فقال ما اسمك ايها القادر فقال اسمي طوى بن مالك ثم التقوا البطلين كانهم جبلين حتى كلت من تحتهم الجوادين وتعب منهم الزندين ولم يزالوا على تلك الحال من الصبح الى العصر فعندها قام طوي فى عزم الركاب وضرب شاهين في عود القنا اخذها بترس البولاد راحت خايبه ثم قام شاهين فى عزم الركاب وضربه ومن عظم هوى الضربة وقع شاهين من على ظهر الجواد الى الارض فردعليه بالسيف وضربه على هامه القي رأسه قدامه فلما شافت الاعجام الى شاهين قتيل هجموا على العرب وهجمت العرب على الاعجام والتحمت القومين فى مضهم البعض وصار بينهم شر عظيم حتي جرى الدم وهربت الاندال ولم يزالوا على تلك الحال الى ان دقت طبول الانفصال ورجعوا القومين الى الصباح فعند ذلك اصطفت عساكر القومين وبرز الامير ابو زيد الى الميدان وعرض وبان وطلب براز الفرسان فنزل اليه فارس من الاعجام فقال له اسكندر وزير التمرلنك فصدمه الامير ابو زيد صدمة هائلة فنلقاها وقال على مهلك من تكون من الفرسان واشار يقول

قال ابو سرحا اسكندر انى قرم غضنفر رأس فرسانى وعسكر
دوم فى الجهات عابس انى قرم غشمشم من يعاديني بيندم
بس يافارس تترجم اليوم اعدامك مقايش

فلما فرغ اسكندر من كلامه وابو زيد يسمع نظامه اشار برد عليه

قال ابو زيد الهلالي فارس يوم المجلى عادته قتل الرجالى
يوم وقعات الصدام جاك ابو زيد المسمي من اقدامكم مابهما ضربي وانسن سما
سمها يهزى العظام من وقع فى يدى يزول كم قتلت ملوك اكابر
شوف ايضا مع عساكر ياسكندر قوم بادر والتقوني بالصدام

فلما فرغ ابو زيد من كلامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا على رؤسهم غراب البين ولم يزالوا على تلك الحال الى وقت العصر حتى كلت منهم الزنود فعندها قام الوزير فى عزم الركاب وضرب ابو زيد بالسيف اخذها بدراقة

البولاد راحت خايبه ثم الامير ابو زيد هجم عليه كانه السبع الكاسر وضربه بالسيف القرضاب على انواعم الرقاب واذا برأسه قد تدحرج على التراب واقل نجمه وغاب فلما قتل الوزير حملت العجم على العرب والعرب على العجم وما كنت ترى الا رؤس طائره وخيل غايرة وادميه فايرة فانكسرت قوم العجم وانحطت منهم الهمم ولله در الامير ابو زيد وياب وباقي الشباب بما فعلوا من الفعال وما فرق بينهم الا الظلام ودقت طبول الانفصال وافترقوا عن الحرب والقتال وقد قتل من العجم خلق كثير وعادت بنى هلال على خيل شاردة وعدد مبددة ثم انهم باتوا الى الصباح ودقوا طبول الحرب والكفاح واصطفت الفريقين فنزل من العجم فارس يقال له سعد الفلك فلما صار فى الميدان عاد يلاعب الجواد على اربع اركان المجال نزل اليه ابو زيد الهمام فقال له سعد الفلك يا ابو زيد ما جابك الا موتك واشار يرمى مسائل على ابو زيد

يقول الفتى المضني الذى فاض مابه ... سعد الفلك صور العذارى وقومها
ولى همة تعلو على كل ماجد ... تخلى كراديس الفوارس هزومها
سلامك كلامك وسط قلبي ومهجتى ... كما سطر الخط بيدى رسومها
قلت امارتنا وجملة كبارنا ... وخضت الى سوق المنايا تسومها
ترى الحرب له صدمات ماحد يصلها ... الى صميدع يدعى من قرومها
وكم راح منا كل امير مجرب ... وراحوا من تحت الوطى عدومها
وما كل من نقل القنا يطعن العدا ... ولا كل من رام المراجل يرومها
مالك مخاصم ياسلامه بهمتى ... لابد ماتغدى بسيفى حطومها
كم فارس يتمت منه عياله ... وخليته درج الكفن في رسومها
انا شاع ذكرى فى البوادى جميعها ... كم فارس مني غدا طعم بومها
وتعرف مخاريم الرمل من الفلك ... وتعرف حساب القبد وكل نجومها
وسمعت انك قارئا في علامنا ... وشاطر وانت مدعي من قرومها
فسر لى شمس الضحي طبع القمر ... وبروجها وكم تكون نجومها
واعلمنى عن اليوم كم فيه ساعة ... وانبنى عن سعدها ثم شومها
والا دهيتك ياسلامه بطعنه ... وتكون مابين الحناجر حكومها
وتعود كل الناس منك مريحة ... وترتاح من تحت الوطا ياسقومها

(قال الراوى) فلما فرغ سعد الفلك من كلامه اشار يرد يقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ... بدمع جرى فرق الخدود يعومها
ونيران قلبي كلما اقول تنطفى ... يهب لها جواضلوعى ضرومها
وكنا بطيب العيش بخير ونعمه ... وطير الهنا طايب لنا فى نظومها
ولكن المحن في نجد هاتنا ... وسعد الليالى قد تنذل بشومها
ياحيف دار العز تبقى خرابه ... وماوى الى غربانها ثم بومها
وخضت بحر الفيل والعلم كله ... والرمز والمغطى لمن جاء يرومها
واعرف حساب الروم ثم بروجها ... واعرف منازلها وساعة يومها
ثيسان برجه بالحمل ثم واكتمل ... وايامها عدتها ثلاثين يومها
واما نهاره فى ثلاث عشر ... وليلة احدى عشر الذى يرومها
ويطلع شرطين الحمل يوم مادس ... وعشرين تعود الارض تزهى نعومها
ويصلح فيه الفصاد وشرب الدوا ... ودهن المارد تابع لشمومها
وتغور نهور الشام من كل جانب ... وتفيض للشط واردات تخومها
وتورق اشجار البلاد جميعها ... وتكتسي الاشجار ثم كروسها
ايار طبه والثور بروجه ... واحد وثلاثين يوم حد يومها
وثامنه ياخوى فيه يطلع ... ببطن الحمل بالفجر خافي علومها
وثلاث عشر تنزل الشمس جوزة ... واما ليالى الصيف يارب ديمها
واربعة وعشرين يبقى ليله ... عدة عشر ساعات لمن جا يرومها
ونهاره اربعة عشر ساعه ... تفصلها الى الزكى يانهومها
وحزيران الخير برجه بجوزة ... ثلاثين حررناه مضبوط يومها
ومن كان زارع يجمع الان زرعه ... ومن كان له خيل تولى لزومها
العقرب والميزان يطلع بدايع ... لها جوز مقرونات سبع نجومها
ويرد فيها بالغرب سبع كواكب ... فهى حمرة المريخ تنبي علومها
ويحكم فيها القيض والارض تكتسي ... واربع وعشرين هاجت حرومها
وتبقى الشجر الوان فى كل بلدة ... وترتاح فيها النفس لاحد يلومها
وفي يوم رابع عشر تنزل شمسه ... تحكم بالسرطان هذاك يومها

ويعود خمسة عشر ساعة نهاره ... وليلة تسعة الذى جاء يرومها
وتموز السرطان برجه بواكد ... واحد وثلاثين معدود يومها
عاشرها يبدى الزراع قدومه ... هجير يم الارض باقصى تخومها
وسابع عشر تميت الارض كلها ... من القيض كم بذوب شحومها
وتاسع عشر تنزل الشمس بالاسد ... ويشتد حر القيض كم بدوى سمومها
ويوم واحد وعشرين فيه تبابين ... بانوارها شقر اليمارى قدومها
وآب بالاسد ذاك برجه ... واحد وثلاثين محسوب يومها
وثانى عشر السنبله ذاك برجه ... وطاب الفواكه الحها وكرومها
ويحلى العنب والتين يلوى عمامته ... بنور سعوده تشتوفي لزومها
وينكس الحر الشديد وقيضه ... ويبدى الحريق لطيف هب شرومها
وثامن عشر تنظر السهيل طالع ... ويموت منه كل ناحل جسومها
واربعة وعشرين يبقى نهاره ... ثلاث عشر ساعة واكد علومها
وليلة يبقى احد عشر ساعة ... وينزل من انف العوالم زكومها
ويلول برج السنبلة طبعه يابس ... وعدة ايامه ثلاثين من يومها
ويبقى الليل والنهار سوية ... مقرون بالساعه الى من يرومها
وسابع يوم قد تخفى بالحمل ... الى الغار من اشرار قوم وشومها
ويوم ثامن عشر فاض مصر نيلها ... تموج امواجه باقصى تخومها
وعيد الصليب اربع عشر منه ... وينفك فصل القيض من يومها
وتنزل بالميدان شمسه بواكد ... ومن كان ساطح غرفته رسومها
واول خريف خامس عشر منه ... واشرب الدوا ينفع وحجبه دموعها
وتاسع وعشرين ترى الهواء بازغ ... مع الفجر له خمسة نجومها
وتشرين بالميزان برجه بواكد ... واحد وثلاثين قد رسمت يومها
ويكمل بمصر النيل يوم ثامن ... ونفسك غدت تسعا لها فى هدومها
ويوم خامس تنزل الشمس للعقرب ... وبادر لقطع الخشب بكل عزومها
ويبقى ليله ثلاث عشر ساعة ... ونهاره احدى عشر لمن يرومها
وثامن عشر انتقل فيه آدم ... ابو الانبياء تراه وارث علومها

وتشرين الثانى له برج عقرب وعدة ايامه ثلاثين يومها
وفيه الزبانت تنبت يوم خامس تراها شبه الرمح عالى قدومها
وثالث عشر الشمس بالقوس تنزل على الارض تبقي تارة من سمومها
وتبقي نهاره عشر ساعات يافتى وليله اربع عشر وا كدعلومها
وسابع عشر يفلق البحر وجه به الارياح ثم تبقى رسومها
تمسى اعوام الارض في يوم خامس وعشرين تجمد دمها فى لحومها
وفى الثامن وعشرين الثريا تسقط وتبقى الافاعى فى الزوايا لزومها
وكانون اول برجه القوس يافتي واحد وثلاثين معدود يومها
وفى اوله تنظر القلب طالع ومن كان عنده شيء لا يسومها
وظل الشجرة تهوى به الرمح عندما تنمم هواها حاليات جسومها
واثني عشر تلاقي الشمس بالجدى وقولى واكد مابه من قهومها
وفصل الشتا يحكم والعوامل تكتفى عندما يلزم لكل نفس لزومها
وتعمي به الحيات فى يوم رابع وعشرين ترى الشولة وعدة نجومها
وكم من فتي تلقاه على الماء هارب كما خش جاموس جفل من حطومها
وتحمد على الاحجار من كل راكد من الماء تحاكي لابدات ركومها
وتبرق من كل الجهات اللوامع برهد تكامل رعدها من سمومها
وسابع وعشرين النعايم تعلقت بايام مايبرى لزيد حكومها
وكانون الثانى له البرج الجدى واحد وثلاثين مضبوط يومها
ويوم حادى عشر منه ابتدت به المريمانية وولت همومها
وثانى عشر منه فصل الشتا نرى الشمس تنزل دلوها وعرومها
ورابع عشر منه يبقى نهاره مدة عشر ساعات سحر قدومها
وليلة اربعة عشر بكل من اني يريد الى علم الفلك ويرومها
فى مصر يصفى النيل من حين هجمة وتصفى به الايام يارب دومها
وشباط برجه الدلو طبعه بارد وثامن وعشرين جاء ربيع يومها
وسعد بلع فى سادس العشر منه يطلع بنوسعود ثبت فى لزومها
وتبدى اللواقع سادس من عندنا انقضت ايامه وولت همومها

وسابع اول جمرة قد تخدرت واربع ثانية من يرومها
وثالث عشر بالحوت تنزل وتبقى جميع الناس تغرس كرومها
ورابع عشر فالسعود تبادرت وديت في كل الشجر دمومها
ويبقي نهاره احد عشر ساعة وليلة ثالث بانت قسومها
وخامس وعشرين النحوس تحكمت ثمانية ايام تولت جسومها
واذا برج الحوت اول ربيعه واحد وثلاثين حررت يومها
وسعد الخبايا باوله قد بينت وتخرج هوام الارض من تخومها
ورابع عشر منه الفرع قادم وتبقى سفن البحر تجري بعومها
ويحسن حال الزرع والعيش واكد وغربة العربان تطوى حزومها
ورابع عشر تنزل الشمس بالحمل واوله ربيع زاهيا في نعومها
ويبقى الليل والنهار سوية وتخاف من تمساحها مصر يومها
وقد يعم الماء من سائر الملا بقدرة المولى عالما في علومها
سبحان ربي كل هذا بامره ويحيي عظام البالية في رسومها
مقالات ابو زيد الهلالي سلامه احواله الدنيا فما امر شومها

فلما فرغ ابو زيد من كلامه تعجب سعد الفلك من فصاحة الامير ابو زيد غاية العجب وصاح وحمل عليه حملة الاسد فتلقاه الامير كما تتلقى الارض المطشانه وابل المطر وانطبقوا الاثنين كانهم جبلين وافترقوا كانهم مركبين وحان عليهم الحين وغفي على رؤوسهم غراب البين والتطموا كانهم مركبين ولم يزالوا على تلك الحال في حرب وقتال الى ان لاح منهم ضربتين قاطعتين كان السابق سعد الفلك تلقاها الامير ابو زيد بدارقة وضيافة وسدعليه طرقة وطرايقه وضربه بالحسام على قحف رأسه شقه نصفين وارماه قتيل وفي دمه جديل قالوا وكان الى سعد الفلك اخ اسمه عبد الفلك فلما نظر اخوه قتيل طار عقله من راسه وانحدف الى حرمة الميدان قال يا ابو زيد تقتل اخي وما تعرف اني انا اخوه ولكن اسالك مسائل ان رديت الجواب تكون مسامح بدم اخي ثم ان عبد الفلك راح يتلى عليه المسائل

يقول الفتى عبد الفلك ياسلامه ومنك لقلبي لاعجاب الغرايم
انا حافظ لـ كل العلوم جميعها بدرب الذكا والفهم مالى ملايم
فقل لى واحد عن الناس مختفى بقلبك حاضر فعله دوم دايم
وقل لى عن اثنين والاصل واحد واثنين عبد وسيد والعبد قايم
واثنين ثم اثنين واثنين مثلها واثنين تادب جميع العوالم
وقل لى عن اثنين لم تعرف الشبع واثنين مقرونين للحشر دائم
وقل لى عن شيء احلى منه وعن شيء مثل الملاقم
وآدم من حوا خلق ياسلامه وحوا خلقت هى من آدم
خلقت من سائر اعضاه جميعها والا من بعض خلقها عالم
واخبرنى عن روح داخلة من غير شبه خالطة في الطعايم
ومن كان يسجد قبل ابليس وآدم الي ربه فى الف عام نمايم

فلما فرغ عبد الفلك من كلامه قال ابو زيد ياعبد الفلك هذه مسائلك يعرفها اولاد الصغار واشار يرد عليه

يقول ابو زيد الهلالى سلامه كلامه يطرب قلوب العوالم
يغنوا بها اهل الذكاء من بعدنا ويترحموا علينا بطيب الكلايم
انا ابو زيد مخيمر تعرف الناس همتى بيوم الوغا مردي كبار العمايم
عبد الفلك وقعت بقبضة سلامه ورجل يقطع ما ظنه عاد سالم
تقل لى عن واحد عن الناس محتجب فهذا اله العرش للعبد راحم
وتقل لى عن اثنين عبد وسيده فهذا النهار السيد والعبد خادم
واثنين ثم اثنين واثنين بعدها واثنين تادب جميع العوالم
فذاك شقي وسعيد والشمس والقمر وايضا سحاب ثم ريح النسايم
وقولك عن اثنين لم تعرف الشبع خواجا يطلب المال والدرس عالم
وقولك عن اثنين تتبع على المدا نفس الماء من الذى كان قادم
وقولك عن شيء ليس احلا منه كلام طيب من وجودة الحشايم
وقولك عن شيء مر كالصبر طعمه كلام سفيه ليس يخشى الملايم
وآدم من حوا خلق ياسلامه والاحوا خلقت هى من آدم

انا اعلمك منى العلوم اكيده خلقت من آدم وهو كان نائم
ومن يخلق منها ترى باذن خالقه لكان الطلاق الى النسا يا فهايم
وقولك من اعضاه خلقت جميعها والا من بعض خلقها علايم
قد خلقت من بعض اعضاه يازكي خلقه شر بفه زاهيه بالحشايم
فلو تخلق من اعضاء جملة لكانوا بالميزان بالنصف قايم
وروح بروح هى داخله من غير شبه حاطها بحر عائم
والحوت كان بالع ليونان روح بروح اضحي قائم
من كان يسجد قبل ابليس وآدم الى ربه اضحى بالف عام تمايم
ذاك نور الهاشمى محمد قبل ما يخلق بالفين آدم
عبد الفلك هذه رموزك شرحتها وان كان عندك شيء قدم وهجم
ونا اسالك عن شيء واحد ان كنت ياعبد الفلك لى تنادم
فقل لى عن البيضه من ايش صفارها وبياضها من الريش ام من اللحايم
مقال ابو زيد الهلالى سلامه ونيران قلبى زايدات الضرايم

فلما فرغ ابو زيد من كلامه تعجب عبد الفلك من فصاحته ثم انطبقوا الاثنين على بعضهم البعض والتقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنى على رؤسهم غراب البين قال ان الاميرابو زيد ضرب عبد الفلك بالسيف على هامه طير رأسه امامه ارماة قتيل وفى دمه جديل فلما قتل عبد الفلك بطل التكون ذلك اليوم وباتوا الى ان اصبح الصباح دقت طبول الحرب والكفاح فبرز التمرلنك الى الميدان وعرض وبان وطلب براز الفرسان قال الراوى فلما رأى بنو هلال التمرلنك تعجبوا من هامته وهو كانه البرج الحصين فقال حسن يا ابوزيد ماذا تقول فى هذا الفارس فقال ابو زيد العلم عند الله انه عفريت من عفاريت السيد سليمان فقال حسن نادوا الى الوزير دخان لربما ان يعرفه فنادوا الى دخان فحضر فقال حسن يادخان من يكون هذا الفارس الذي فى الميدان فقال له يا ملك الزمان هذا التمرلنك فقال حسن لا احد ينزل عليه لانه سخطه من السخطاط فقال دياب انا انزل عليه وعلى الله لا تكال ثم انه نزل الى الميدان وصدم تمرلنك فالتقاه وقال من تكون من الفرسان قال اسمى دياب وكنيتى القصاب وحداف الرقاب فلما سمع التمرلنك هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام اشار بيده عليه ويقول

يقول التمرلنك على ماجرى له بدمع جري فوق الخدود شكايب
ونيران قلبي كلما اقول تنطفى لها بين مني الضلوع لهاب
الا ياديباب افتهم لمقالتى وداثما انا يوم الوغا مهاب
وكم ملك مني قد راح هزيمه وشلحته المبوس والانواب
انا ان طمتنى اسلم بروحك واغدى والا يافتي ترتاب
اغدى وارسل بن سرحان ابو على اميركم ينزل لى لا يكون خياب
فما انت مثلى ياديباب بلا خفا ولا الف مثلك والنبي الوهاب
عيارى انا بالكون الفين فارس اذا قامت الهيجا انا القصاب
انظر بافتى رمحى بيدى وصارمي وطاعت لحكمى مدنها وجناب
لابد ما اخذ بتارى بلا خفا واقتل مشايخكم وكل شباب
ونسبي نساكم وكل اموالكم وناخذ غنا بكم مع الاسباب
وناخذ ملابسكم وكل دروعكم وناخذ بنا تاراخيات نقاب
واقتل ابوزيد الهلالى سلامه وانت ملكي ياامير دياب

(قال الراوى) فلما فرغ التمرلنك من كلامه رد عليه دياب

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم لاني بغشاش ولا كذاب
ولا فى جبان عند مشتبك القنا اخلى العدا فوق الوطا وتراب
انا امير زغبه من فروع زكية وخالى بدير والامير شهاب
انا راعى الخضر الذا قام سوقها ان خفت بالهجا انا القصاب
ياذل من عاند دياب ابن غانم اميرابن اميرزاكي الانساب

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه والتمرلنك يسمع لنظامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين فافترقوا كانهم مركبين والتطموا كانهم بحرين وغنى على رأسهم غراب البين حتي كلت منهم الساعدين وتعب من تحتهم الجوادين ولم يزالوا على تلك الحال الى المساء ردقت طبول الانفصال ورجعوا عن القتال وباتوا الى ان اصبح الصباح دقوا طبول الحرب والكفاح فنزل التمرلنك الى الميدان وطلب الفرسان فتقدم اليه فارس من بنى زغبي فضربه التمرلنك على هامه طير رأسه امامه ثم نزل اليه ثانى فارس قتله وثالث جندله والرابع ما اهمله ولم يزل حتى قتل منهم سبعة وعشرين

فارسا وامسي المساء اندقت طبول الانفصال فرجع كل فريق الى حيه والاطلال فجمع الامير حسن الاماره الى عنده وقال لهم كيف الرأى عندكم فقال القاضى بدير يا حسن ان بقى بنا زل التمرلنك فارس بعد فارس على هذا الحال يقتلهم فى ساحة الميدان فقال حسن ما الرأى عندك يا ابوزيد لان مرادي تدبر لنا تدبير يكون مليح وكيف نسوى مع هذا اللعين والله انه فارس عظيم فقال ابوزيد الذى تريده يصير فقال حسن مرادى ان ارسل الى التمرلنك كتاب بلكي يبطل عنا القتال فقال ابوزيد الذى تريده افعله عندها اشار حسن يكتب الى التمرلنك يقول

يقول الفتى حسن الامير ابوعلى ... بدمع جرى فوق الخدود سكاب
نعم ايها الغادى على متن ضامر ... تشابه نسيم الريح مثل شهاب
اذا جيت للتمرلنك بلغ رسالتى ... اباريت عمره مايشوف نكاب
وقل له قال الامير ابو على ... اميربن اميرمن فروع انساب
الايامليك اسمع مقالى وقصتى ... وافهم كلامى لاتزيد عتاب
فان طمعتنى اسلم بروحك وعزوتك ... وفز بروحك من ملوك اعرابي
من قبل ما تعلق بكم نار حربنا ... وتوقع باوشم شومها ونكاب

فلما فرغ حسن من كلامه طوى التحرير وختمه بختمه واعطاه الى عبدة فاخذه وسار الى ان وصل الى عند التمرلنك دخل واعطاه التحرير فاخذه وقرأه فغضب غضبا شديدا وسحب السيف وضرب العبد طير رأسه وقال الى قومه باكر يكون آخر ايام بنو هلال قال فوصل الخبر الى الامير حسن فغضب غضبا شديدا وشاور الامير ابوزيد على هذا الامر فاجابه هاتوا الثمانين الف جمل وحملوها ترابا ناعما ويركب مع الجمال ثمانون امير من اولاد الامراء والعبيد تسوقها من وراء ونركب نحن وراهم والله يعطي النصر لمن يشاء فاعتمدوا على هذا الرأى ولما كان الصباح ركب الامير ابوزيد بقومه التسعين الف والقاضى بقومه والامير دياب بقومه والامير حسن بقومه ومشوا الجمال بعدما حملوها ترابا وقال ابوزيد الى الذى مع الجمال اذا انكسرنوا تعالوا صوبنا ثم انهم دقوا النوبات وركبت الكرات وطلبوا اللقا والثبات فلما سمع التمرلنك صوت الطبول دق طبله وركب بقومه فهجمت الاعجام بالمدافع وكان عددها خمس مئة مدفع فعندها انكزت بنو هلال الجمال على المدافع فجفلت من صوت المدافع

وكثر الصياح من وراء الجمال والعبيد تدخسهم بالرماح وفزروا عدول التراب وهب الهواء وثار العجاج والغبار حتى عمى الابصار فركضت الجمال وداست الاعجام وخيلها وحينئذ هجمت العربان هجمة الاسود وطعنوا بالصدور والكبود فلما نظر التمرلنك الى ناصار فى تومة اراد الهرب وادبا بالامير صبره ابن ابوز بدعارضه فى الطريق وصاح به الى اين يا ابن الاناف قربان فالتقاه التمرلنك بقلب مثل الصخر وتجاولوا فى الميدان وتكسرت بينهم العيدان ثم هجم التمرلنك على الامير صبره هجمة الاسود وحمله على راحة زنده وارماه على وجه الارض فتعلق صبره فى صدره فوقع هو واياه فتعدل صبره على خصمه وسحب الخنجر وطعن به التمرلنك شق بطنه واذا بالامير حسن ادركه وفى يده السيف ونزل وقطع رأس التمرلنك فعندها مالت العرب على العجم وفتكوا فيهم بالسيف وما سلم منهم الا كل طويل عمر وفاتوا على خزائن ملك التمرلنك ونهبوها ورجعوا بنى هلال على خيل شارده وعدد مبدده وغنموا تلك الاموال وفرق الامير حسن على العربان واحضر قرايم التمرلنك واحضر الوزير دخان وابنه سكران والبسه عليهم ملك وقال حسن كل من خالف كلامه اريت رأسه واحمدت انفاسه قالوا حاشا ان نخالف كلامه وبعد ان ارتاحوا العساكر من الحرب والصدام وقاموا عدة ايام رحلوا وساروا الى ارض حلب وكان حاكم حلب يقال له بدربس وكان صاحب مال وخيل وجمال وعساكر رابطة وكان وصل له خبر عن بنى هلال انها أحلت أرضهم والبلاد ورحلوا منها وما فعلوا فى الملوك لذين حاربوهم وكيف ازالوا الخفاجى عامر أضافهم وساردهم فلما سمع هذا الكلام جمع أكابر قومه وخابرهم بهذا الشان وكان عندة وزير يقال له الخزاعى فقال له علامك يا ملك جمعت القوم والفرسان فاجابه أريد أن اخبركم عن بنى هلال وما فعلوا من الفعال ولا بد من أن يدخلوا بلادنا ويفعلوا فينا مثل ما فعلوا بغيرنا او يقتلوا أبطالنا ورجالنا واذا ما عملنا تدبير وقعنا فى أمر عسير

﴿انتهى الجزء السادس ويليه الجزء السابع وفيه﴾

﴿قصة الخزاعى والملك بدربس﴾

(الجزء السابع من تغريبة بني هلال وهو يحتوى على قصة الملك بدريس)

قال الراوى يا كرام فلما سمعوا منه هذا الكلام عادوا في أمرهم متحيرين عندها التفت الوزير الخزاعي وقال ايها الملك العظيم انا عندى من الرأى ان ترسل لهم رواد الى أرض الكبيسة يرودوها ولم يكون معهم من العساكر والابطال ويكشف لنا خبرهم ويعود بالحال حتي نحضر حالنا لاجل حربهم وقتالهم فلما سمع منه هذا الكلام قال هذا هو الرأى الحميد وعنه لا أحيد ثم استدعى برجل وكان شيطان مريد وجبار عنيد يسمى سابق وقال له اعلم ان مرادى منك ان تذهب ترود لنا بنى هلال وتنظر قومهم والفرسان وترجع لنا في الخبر الشافي فقال سمعا وطاعة ورتب له نفقة عشارية وصار يقطع الفيافي القفار حتي أشرف على نجوع بنى هلال فرآهم بعدد الرمال وحار مما شاهد من الفرسان ويناهو على ذلك واذا بالامير ابوزيد آتيا من الصيد فلما رآه عرف انه رواد فتقدم اليه وسلم عليه وساله اما انت اتيا من حلب الكى ترود بنى وترجع تخبر مولاك بدريس عن أحوالنا فاجابه قائلا ما أخطا ظنك وما عاد شيء مخبا عليك ولكن قل لى عن اسمك حتى اعرفك فاجابه انا ابوزيد والان وصلت من الصيد فقال له ياامير اعطيني الامان حتى اعلمك في جميع الاعلام فقال له عليك الامان والف مرحبا بك انت ضيفى وكل من عارضك اردبته بسيفى عندها أشار سابق يقول

قال سابق بن كاسب صادق ... والدمع من فوق الخدود سراعى
قد جيت من حلب أرود جوعكم ... وأنا رسول للملك قطاعي
بدريس أرسلنى برأى صايب ... بدريس سيفه للعدا قطاعى
أما الخزعي ياأمير وزيره ... يسمي محمد بن مفلح واعى
وانا بظنك ياأمير سلامه ... انا شبيه الشاة وانت الراعى
ابوزيد لك بين الملوك أشارة ... كل الخلائق منها غدت ترتاعى
قولى بن كاسب للامير سلامه ... ياريت عمرك ماتشوف صداعي
رد ابوزيد الامير الواعى ... ياأمير سابق انت رجل مراعى
انى خبير بالرجال وعلمهم ... وعملت حالك جيت الينا ساعى
وانت جاسوس بحيلة رايد ... وقطعت وديان الفلا وقلاعى

تاخذ علام أولاد عامر سرعة ... لبدريس الملك ثم الخزاعي
أبشروا من ضلال سلامة ... ما يوم ضيفي يا ان كاسب ضاعي
ان الملوك حواصل وغواضب ... طعناتهم جوى الحشا اسماعي
يا أمير سابق موج كل جموعنا ... انظر بعينك صنعة الصناعي
أربع ملوك علي التخوت جوالس ... عز الملاح الراخيات قناع
قله اذا عاودت نحو اميركم ... نفسه ينهيها عن الاطماع
ما قال أبوزيد الامير سلامه ... من كان يعرف للنزيل يراعي

فلما فرغ ابوزيد من كلامه وسابق يسمع نظامه فاطرق الى الارض فقال له ابوزيد انت اليوم ضيفي قوم بنا الى المنزل فسار معه الى بيته واكرمه غاية الاكرام واخلع عليه ثم قال له قم بنا يا سابق الى عند الامير حسن تواجهك فيه فاجاب اني أخاف من ان يقتلني فقال له لا تخف بكفالتي فقام وأخذه معه وسار لعند الامير حسن فدخل ابوزيد وسلم فردوا عليه السلام وقاموا له على الاقدام فجلس عن يمين حسن وجلس مسابق الى جانبه فقال له حسن من اين ضيفك يا مير ابوزيد فقال له من حلب ولكن اسأله عن كل ما تريد فعندما ناداه حسن فقام سابق واقفا وتقدم اليه وقبل يديه فقال له حسن أهلا وسهلا ومرحبا من اين انى والى اين ذاهب يا سابق احكى وعليك الامان فقال يعيش رأسك يا ملك الزمان وحكا له قصته على التمام ثم اقام عند ابوزيد عده ايام وبعدها طلب الاذن للسفر فاذن واعطاه الف دينار فسار وما هو مصدق بالنجاة الى ان وصل الى حلب ودخل على سيده ووزيره وأشار يقول

قال الفتى ساق على ما جرى له ... ترى القول ينقص تارة ويزيد
وما زينة الانسان الا صدقه ... وكذب الفتى يشينه والتفنيد
غدرت أنا يا أمير من باكر الضحا ... وكان بها برد وبعض جليد
أنا رماني السير بارض الكنيسه ... بلاد الخفاجي عامر الصنديد
نظرت جموع يا أمير كما الرمال ... تقول غماما أو كبحر بديد
مسير ثلاث أيام يا أمير نزلهم ... وبوم تراه بالعرض باصنديد
الوف وميات ملوا واسع الفلا ... وربي بقولي عالم وشهيد
أما حسن مقدام كل جموعهم ... اميرابن امير ابن ست وسيد

ابو زيد بدراعي الشور والرأي كله ... ابو زيد نجمه بالسماء سعيد
أما دياب الخيل قوم محرب ... على ظهر خضرا فارسا وشديد
ومعهم مكاسب يا أمير كثيرة ... وشفت طبولا يرعدون رعيد
وضربوا بلاد الفرس يا أمير مفلح ... وحله وكوفه والعراق عميد
وقد جاءوا لعندنا لخناجي عامر ... بارض الكبيسة والعراق قعيد
يا أمير بوم ينزلون بلادنا ... يخلوا بلادك بلقعا وهديد
يا أمير شد الخيل بالزعف والزرد ... وجرد قومك للوغا نجريد

فلما فرغ سابق من كلامه والملك يسمع نظامه تغيرت منه الاحوال من عظم هذه الاقوال ثم التفت الى الوزراء والقواد وقال ماهو رأيكم أيها الاعيان هل نبادرهم بالقتال والطعان ارندعهم يجوزوا بلادنا بالامان فقالوا يا ملك الزمان نحن بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك والذي تشوف فيه الصواب افعله فقال الملك ما تقول يا وزير فقال ارى أن نصبر حتي يصلوا الينا ونكون قد جمعنا قومنا وابطالنا حتى اذ وقع فيما بيننا القتال نشيلهم على أسنة الرماح ونتهب أموالهم ونسبي عيالهم فقال الملك هذا هو الرأي الموافق ثم انه بعث الاوامر الى جميع عماله بان يحضروا حالا بالفرسان والابطال ومامضى الا القليل من الايام حتى غصت حلب الشهباء من كثرة العساكر وازدحام الدساكر فسر الملك بهم وامر القواد ان يكونوا دائما متيقظين لقدوم بني هلال ومتى حضروا ضيقوا عليهم ولا تخلوهم يتفرقوا عن بعضهم البعض حتي تملكوا الجميع ولا يفلت منهم لا فظيم ولا رضيع واما بني هلال فانهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى مكان يبعد قليلا عن حلب الشهباء وكان كانه فردوس الجنان وهو بين كاس وعينتاب فنزلوا فيه وامتدوا في نواحيه واكلوا الاشجار والاثمار وشربوا مياه الانهار فهربت الاهالي والسكان واعلموا الملك بهذا الشان فلما سمع بهذا الخبر تطاير من عينيه الشرر وفي الحال امر بجميع الفرسان ثم استدعى اليه القواد وفرسان المعارك والطراد وأكابر الوزراء والاعيان واستشارهم بهذا الشان فقالوا له انك ترسل تطلب عشر المال والنوق والجمال فان أجابوا الى هذا الطلب كان غاية المراد وان امتنعوا نبادرهم بالقتال والحرب والنزال فاستصوب الملك هذا المقال وفي عاجل الحال كتب اليهم بقول وعمر السامعين يطول

يقول الملك بدربس ابن مهلهل ... بدمع جرى فرق الخدود بداييد

يا غاديا مني على متن ضامر ... يطوى براري الفلا م الفدايد
اذا جيت الى حسن الهلالي ابو علي ... فقل له جئت اليوم قاصد
وقل له بدريس حاكم في بلاده ... أرسل يقول لك يا بن الاماجد
وهذه دياري قصدكم تملكوها ... وترعوا مراعيها وتبقى حصائد
فهاتوا لنا عشر الجمال مع الغنم ... وعشر المال مع عشر الولايد
وهاتوا لنا نجلة وفتنة وغيرها ... وهاتوا فتاة الزين اي بنت قائد
وهاتوا فتاة الجازية أم محمد ... وهاتوا وطفا بنت دياب الماجد
وهاتوا جمال الضمن بنت سلامه ... وريا وغيا ثم بنت بن حامد
وهاتوا لنا أيضا مبت بنت مليحة ... عذارى يبكرن اما عقدن العقائد
وميتين سيف من الصواعق مسقطة ... وميتين عقد من خواص القلائد
وميتين حمره من خيول أصايل ... ومئة حصان من خيول اجاود
وهذا الذي اطلب يا مير بو علي ... فاياك الى قولي تكون معاند

قال الراوى فلما فرغ من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه بختمه واستدعى بنجاب وقال له خذ هذا الكتاب وسر فى الحال وسلمه الى الامير حسن سيد بنى هلال فاخذه وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل الى نجع بنى هلال ودخل على الامير حسن فتقدم اليه وقبل يديه وايادى الامارة الذين حواليه ثم سلمه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قرأه وفهم فحواه تغيرت منه الاحوال واعتراه العجب ولكنه أخفى الكمد واظهر الصبر والجلد وامر بان ياخذ الساعى الى دار الضيافة فاخذوه وبعد ذلك التفت الامير حسن الى سادات الرجال واعلمهم بالقصه وما كتب اليه بدريس من التهديد وأشار الى ابوزيد يقول

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي ... ابوزيد اعلمني وكن شوارا
بحياة رأسك يا امير فقل لنا ... وأسرع لنا يا امير بالاشوارا
هذا الملك بدريس اشغل بالنا ... وارسل الينا يطلب الاعشارا
يبغى لعشر المال يافخر الملى ... ن الابل والخيل الجياد والمهارا
وعشر النسا يا امير مع كل الخدم ... مع السلاح وهذا اعظم عارا
ابوزيد يا ابوزيد يافخر الملا ... فشور علينا اليوم شور جهارا

قولى الفتى حسن الهلالى ابو على مهما أراد الله كان وصارا

فلما انتهى الامير حسن من كلامه وعرف ابوزيد والامار فحوى قصده ومرامه قال يا ابن عمى ليس لبدريس غير ضرب السيوف والطعن وأما الاميرديات صار الشرر يطير من عينيه وعوارضه ترقص فى وجهه وقال على فى بدريس والخزاعى وحدى فاستحسن الحاضرون هذا الكلام منه فعند ذلك أشار القاضي بدير برد له الجواب ويقول

يقول لقى القاضي بدير بن فايد ولى عزم أمضى من حسام باتر
يا غاديا منى على من ضمامر يسابق لطير الجو ان كان طائر
اذا جئت الى بدريس بن مهلهل فاعطيه مكتوبي وارجع باكر
بعثت تهددنا بعزم عساكرك تقول هم مثل الجراد الطائر
بدريس بدريس هل عقلك شارد تريد بيض من هلال وعامر
البيض فى حى الهلالى ابو على ومن حولهم قروما اسود كواسر
ان كنت خيل قرم مجرب انهض الينا فى جموعك باكر
وانظر مضارب ما رأيت نظيرها من حد هندى رهيف باتر
وانا بدير الامرى بلا خفا وذكرى شاع فى كل العشائر
واعلم يقينا أن هلال كثيرة تسعين الفا شاهرات البواتر
وتسعين الفا ثم تسعين مثلها وتسعين الفا فى الحروب كواسر
طغيت يا بدريس مالك حيلة فلست على حرب الامار بقادر
والله والبيت العتيق وزمزما مع كعبة الغراء ومن جاء زائر
لابد من قتلك وقتل رجالكم واجعل دماكم بالاراضى فائر
من ذا الذي يرسل اليك حليلته او ابنته أومالة يا فاجر
يا ربع مذاهب حل قتلك يا ردى من يستحل العرض حقا كافر

فلما فرغ من هذا الشعر والنظام استحسنه جميع السادات الكرام ثم ختمه واعطاه للنجاب فاخذه وصار يقطع الهضاب حتى وصل الى الملك بدريس فناوله اياه فلما فتحه وقرأه اسودت الدنيا في عينيه ثم استدعى بوزيره الخزاعى فحضر الى بين يديه فاعلمه بواقعة الحال وامره بجمع العساكر والابطال فامتثل أمره بالعجل وجمع مائتين

الف بطل فركبت الفرسان ظهور الخيل واعتقلوا بالرماح والنصول وركب الخزاعي بهذا الجيش الكثير وركب معه كل سيد وامير وسار الى خارج البلد لاستقبال بني هلال قبل وصولهم الى الاطلال راما بنو اهلال فانهم كانوا قد استعدوا للقتال واذا بالخزاعي قد برز الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان فبرز اليه الامير دياب كانه سبع الغاب فالتقاه الخزاعي بقلب كالحديد وصدمه صدمة الفرسان الصناديد واشار بيده وبقول

يقول الخزاعي والخزاعي اروعي ... كل الفوارس لا اخاف لقاها
اسمك دياب والدياب ستا كلك ... يا ارزل الفرسان يا ارداها
وساملك الخضرا بعدك يا فتي ... وتنال نفسي منك كل مناها
انى الخزاعي ابن مفلح صادق ... وتخافني الفرسان يوم لقاها
ما دعالك مني الرجوع ولا رجا ... حتى ولا وطفا بقيت تراها
رد الفق الزغبي دياب الماجد ... الخيل تعرف همتي وطرادي
الخيل تعرفني يوم كريهة ... والبيض في اسمي الى تنادي
انى اصيد الاسد في غاباتها ... بمهند ماضي الحديدة حادي
فاسال الابطال في يوم الوغى ... عني وعن حربي يوم جلادي
كم كربة فرجتها بصارمي ... والخيل ولت لا تطيق طرادي
انزل عن الشقره وبوس ركابي ... قبل الممات وفرقة الاولاد
ان لم تطاوعني قتلتك بالاجل ... فاسمع اقولي لا تكرن مرتادي
انى دياب الخيل ذباح العدى ... مردي الفوارس يوم حرب جلاد

فلما فرغ الامير دياب من شعره ونظامه وفهم الخزاعي فحوى شعره وكلامه زاد به الغيظ والحنق وهجم عليه بالطبق فالتقيا البطلين كانهما جبلين راسيين كاسرين وتضاربا بالسيوف وتطاعنا بالرماح واشتد بينهما الحرب والكفاح وكان الخزاعي من الابطال المذكوره والفرسان المشهوره فقاتل قتال الجبابره وثبت ثبات الاسود الكاسره ومازال معه خصمه في كروفر وطعن احر من لهيب الجمر من الصباح الى وقت الظهر وكان الخزاعي قد استقل وضاقت به الخيل فطعن خصمه وهو على آخر نفس فانقلب دياب تحت بطن الفرس فراحت الطعنه خائبه بعدان كانت

صائبة فعند ذلك استوى دياب على ظهر الخضرا وضرب خزاعى بالسيف شرزا
فالتقاه بدارقة البولاد فوقعت على رقبة الجواد فبترتها كما يبرى الكاتب القلم فوقع الوزير
على الارض وانحطم وصار وجوده كالعدم فاراد الامير دياب ان يثنى عليه بالحسام
ويسقيه كاس الحمام واذا بقومه قد ادركوه ونشلوه من على وجة الارض وخلصوه فلما
رأى دياب تلك الاحوال رهجوم الفرسان والابطال من اليمين والشمال صاح فى بنى
زغبى واسرهم بالهجوم والقتال وفى عاجل الحال التحمت الرجال بالرجال والابطال
بالابطال وجرى الدم وسال وتمددت الفرسان على وجه الرمال وعظمت الاهوال
وكثر الصياح وتلقت الارواح وتكسرت السيوف والرماح من شدة الكفاح
وفر الجبان وراح وكثرت المصائب والاتراح وارتجت الروابى والبطاح من ضجيج
الابطال وقعقعت السلاح والانين والنواح فما كنت ترى الا رؤسا طائره وفرسانا
عاثره وراديه قائره وخيولا ناثره هذا بلغ دياب غاية الارب وظهر فى قتاله كل العجب
وظفر بعساكر حلب فكسرهم اشد الكسار فولوا الادبار وارتكنوا الى الهزيمة والفرار
فتبعهم فى جموع بنى زغبى الشجعان وشتتهم فى البراري والقيعان وما زال وراهم فى الطلب
حتى اوصلهم الى مدينة حلب فدخلوا المدينة وغلقوا الابواب وهم فى حالة الخوف
والاضطراب ورجع الامير دياب كانه ليث الغاب وهو مثل شقيقه الارجوان
سال عليه من ادمية الفرسان وقصد الامير حسن فى الصيوان فدخل وسلم عليه فقبله
حسن بين عينيه وشكره على ما صنع وخلع عليه اثمن الحلل فاخبره بما جرى له فى ذلك
اليوم فى قتال الفور وقال له فى آخر الكلام لابد للملك بدريس ان يقصدنا فى ثانى الايام
ويخرج بنفسه الى ميدان القتال فاذيقه الوبال واستخلص الغنائم والاموال هذا
ما كان من الامير دياب وبنى هلال واما الخزاعي فانه رجع الى حلب وهو فى حالة العناء
والكرب ودخل على الملك بدريس واعلمه بذلك الانكبيس وما جرى عليه فى ذلك
اليوم التعيس وكيف قتلت الرجال وفقدت الاموال وظفر بهم بنوا هلال فلما
سمع منه هذا المقال اعتراه الانذهال وخرج عن دائرة الاعتدال وبات بدريس تلك
الليلة على غير هدى وقد صمم انه يخرج فى ثانى الايام لقتال العدا ولما اصبح الصباح
واضاء بنوره ولاح امر بخروج الابطال للحرب والقتال فاستعدت فى الحال وركب
فى اول العسكر كانه الاسد الخضنفر وخفقت على رأسه الرايات ومن حوله الوزراء

والسادات وخرج بموكب عظيم وجيش جسيم فلما علمت بنو هلال بقدوم الملك بدريس للقتال استعدت في الحال وركب الامير حسن في الفرسان والابطال فاصطفت الصفوف وترتبت الميمات والالوف وقد برز الملك بدريس الى ساحة الميدان بقلب اقسي من الصوان طالبا براز الفرسان وقال لا يبرز لي سوى الامير حسن ابن سرحان لاني انا ملك فمن قتل خصمه حصل على طلبه وبلغ غاية قصده وماربه فما اتم كلام حتي صار الامير حسن امامه وصدمه في الحال صدمة تزعزع الجبال فالتقاه بدريس واشار يقول

قال بدريس الهمام الماجد ... اسمع كلامي يا حسن الفاقد
لابد لي من قتل كل رجالكم ... في حد سيفي يا اسير الفايد
وأقتل ابو زيد لامير سلامه ... ودياب والقاضي بدير الفايد
قال الملك بدريس هذا يومكم ... يامن يودع قومه و يعاود

(قال الراوي) فلما فرغ الملك بدريس من كلامه اجابه الامير حسن على شعره ونظامه يقول

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي ... نيران قلبي زايدات وقائد
لابد من قتلك ونهب امواللك ... مع قتل ابطالك و كل معاند
لوان قومك الف الف ومثلها ... لابد ان يبقوا الجميع فوائد
قومي انا تسعين الف ومثلها ... تسعين في تسعين الف مغاضد
افعالهم يا امير هي طعن القنا ... فتري الفتي منهم كصخر جامد
فيهم ابو زيد الامير سلامه ... ودياب والقاضي بدير الفايد
هل مارأيت دياب قل جموعكم ... وكسر عساكركم بغير مساعد
واليوم تبقى يا امير مجندلا ... وممددا بين الفوارس فاقد

(قال الراوي) فلما فرغ الامير حسن من كلامه وفهم بدريس فحوى شعره ونظامه زاد حنقه وعظم غيظه فهجم عليه وحمل كانه قلة من القال ارقطه فصلت من ذيل جبل فالتقاه الامير حسن في الحال واشتبك بينهما القتال وعظمت الاهوال وكانا تارة يتقدمان وتارة يتاخران كانهما اسدان كاسران او بحران زاخران ومازالا يتجاولان في ساحة الميدان حتى قصرت من تحتهما الجودان وكلت منهما الزندان

وتعجب من قتالهما الفرسان وقد اختلف بينهما طعنات وكان السابق بدريس فراحت
خائبة بعدان كانت صائبة فارتد حسن اليه وهجم عليه واضربه بالسيف فاستترفي درقه
البولاد ابرى السيف رقبة الجواد فوقع على بساط المهاد كانه طوده من الاطواد فاراد حسن
ان يضربه بالحسام و يسقيه كاس الحمام فادركه قومه في الحال وخطفوه في ساحة
المجال وار كبوه ظهر الجواد وفي الحال اشتبك القتال والطراد والتقت الاجناد بالاجناد
وتضاربوا بالسيوف الحداد والرماح المداد وتحكمت السيوف في الجماجم
والاكباد فما كنت ترى في ذلك اليوم المهول الا ضرب السيوف وطعن النصول وهذا
مجروح وهذا مقتول ومازالوا على تلك الحال وهم في اشد قتال الى وقت الزوال فدقت
طبول الانفصال فرجعت بنو هلال الى المضارب والخيام ولاقوا الامير حسن بالترحاب
والاكرام يدعون له بطول العمر والدوام لشكرهم على ذلك الاهتمام واما بدريس فانه
رجع وهو غضبان كثير الهموم والاحزان وقد خاف من العواقب وحلول المصائب
وفي الحال كتب الرسائل وارسلها الى ولاة المدن والقبائل يطلب منهم المساعدة
والامداد بارسال العساكر والاجناد لقتال بني هلال الاوغاد وان يبادروا اليهم بالقتال
ويحملوا اليهم من اربع جهات المجال لينتهي الحال وتنقضي الاشغال وبقي هو داخل
البلد بالعساكر والعدد فلما وصلت هذه الرسائل والاخبار الى ولاة الاقطار امتثلوا امره
في الحال وجمعوا الفرسان والابطال وقصدوا بني هلال من حدود البحر الاسود
في جمع كبير العدد وكانت بنو هلال في سرور وافراح وهم يؤملون بالفوز والنجاح
واذا بالمواكب والكتائب قد اقبلت عليهم من كل جانب واحاطت بهم من
اليمين والشمال من اربع جهات المجال وهم كعدد الرمال فهجموا عليهم على الابيات
وسبوا النساء والبنات فعلت الضجات وتكاثرت الصيحات وتضايقت بنو هلال
اشد الضيق وعدموا السعادة والتوفيق وايقنوا بالهلاك والدمار وقاتلوا في ذلك النهار
قتالا يذهل الابصار والقوا نفوسهم على الاخطار ومازال الحرب بعمل والدم يبذل
والرجال تقتل حتى صار وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقت
العساكر عن بعضها ورجعت الجيوش كل طائفه الى ارضها وبات بدريس
في سرور وانشراح وانبساط وافراح على ذلك الانتصار والنجاح وبات بنو هلال
في اسوأ حال مما اصابهم من الذل والوبال ولما اصبح الصباح واضاء بنور ولاح جمع

بدريس اكابر اعيانه وارباب ديوانه وقال لهم اعلموا ايها الرجال بان بني هلال قد حل بهم النكال وتضعضعت منهم الاحوال ومرادي الآن ان اطلب منهم عشر المال فان ابوا امتنعوا وعاندوا وانحيازنا تقاتلهم في هذا النهار ونستخلص منهم المال بقوة والاقتدار ونبايهم بالويل والدمار فلما سمع الخزاعي واكابر الديوان هذا الكلام قالوا افعل ما تريد ايها الملك الهمام فعند ذلك كتب لهم هذا القصيد على سبيل التهكم والتهديد

على ما قال الملك بدريس صادق ... غدا نركب عليكا يا هلالي
غدا نركب بجيش عرمرمي ... شبيه الغيث في عدد الرمال
فعربان البحيرة والسويدة ... وعربان الدهيمي والموالي
تراهم يوم تنشب العوالي ... كسبع طالب صيد الغزالي
واقتل منكم الامير قيس ... واخذ خيلكم ثم الجمال
اقتل آل زغبي مع الهلالي ... بضرب السيف مع طعن النصال
واخذ من دياب الخيل بنته ... ولا افكر لنكبات الليالي
فان طاوعني فلك الاماني ... وهات لعشر خيلك والجمال
وهاتوا من بنات هلال جملة ... جمال الظعن وفتنة كالهلال
وهاتوا الجازية مع بنت كامل ... ووطفا ثم نجلا ذي الدلال
وارسل لي عطور الجيد منك ... فابقى صهركم بين الرجال
وان لم ترسل لي ما طلبته ... فقوموا واستعدوا للقتال
الا يا امير لا تبطى علينا ... الا يا ابو علي فاسمع مقالي

فلما فرغ من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الى نجاب وامره ان يسير في الحال ويسلمه الى الامير حسن سيد بني هلال فامتثل امره وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى بني هلال قبل الزوال فدخل على الامير حسن وسلمه الكتاب وطلب منه الجواب فلما فتحه وقراه وعرف فحواه انشغل باله وتضعضعت احواله وامر ان ياخذوا النجاب الى دار الضيافة ثم التفت الامير حسن الى سادات الرجال وقرأ لهم ذلك القصيد وقال لهم ما قولكم ايها الاماجيد في هذا التهديد ثم اشار يقول

الا يا بني عمي وكل قرايبي ... انا حسن فلست يا اهل ذليل
بدريس ارسل يطلب الخيل والنسا ... ويطلب بنات طرفهن كحيل

فان كنتم تعطوه ماهو طالبه فاعلموني بصدق القول بلا تطويل
وان كان ماتعطوه ياقوم بادروا الى حربه ياقوم بلا تميل
ابو زيد اخبرنا ابو زيد قل لنا فانت لنا بالنائبات دليل
وانت يازغبي دياب الماجد وانته ياقاضي امير جليل
فرأيك مبارك والنبي يابن فايد وتعرف بما جاء في التنزيل
فقولوا لنا ماذا تشوروا جميعكم فما عاد الا ياكرام نشيل

فلما فرغ من هذا القصيد قالوا ان الرأى السديد عند ابو زيد الفارس الصنديد فلما سمع ابو زيد هذا الكلام وعرف القصد والمرام قال الذى يلوح فى فكري ايها السادات الكرام هو انا اكتب انا والامير حسن الى بدريس بن اللئام نوعده بارسال المال بعد عشرة ايام شرط ان يرفع عنا القتال والحرب والنزال وعند فروغ الوقت المؤجل نرحل في الليل من هذه الاطلال وهو لا يعلم بنا حتي تكون قطعنا مسافة يوم او اكثر حتى اذا لحقنا بالعسكر نبادره بالقتال ونسقيه كاس الوبال ونملك مدينة حلب ونبلغ القصد والارب فاستحسن الحاضرون هذا الخطاب ورأوه عين الصواب فعند ذلك كتب الامير حسن يقول

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على ابشر اتاك الخير يا بدريس
الا ابشروا فقد اجبنا مرمكم غدا الخير باتى فى ظهور الميس
ونعطيك فتنه يا امير وغيرها ونعطيك اموالا وكل نفيس
الا يا ملك بدريس انت اميرنا وقولى صحيح مافيه تدليس
ونار الوغى يا امير لا تضرمونها ولا تستمع يا امير شور ابليس
انى انا امير قيس وعامر كريم واست بمال اوعدت خسيس

فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه طوي الكتاب وختمه بختمه ثم اشار ابو زيد يخاطب بدريس ويقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه جفتنا بلاد الخير والانعام
حكمنا على عشرين تخت لابو على ولا صدنا عنها ملك همام
فحلت اراضينا رقد قل خيرها وعدنا بحيرة والامور عظام
جئنا من نجد العديه مغيب وفى فكرنا نذهب لارض الشام

مورنا على الشهباء حلب فى طريقنا ... ونرحل عنها جايزين قوام
تعرضتنا يا امير بدريس بالعجل ... طغاك الخزاعي والامير خزام
يا امير بدريس فما انت خصمنا ... ولا لك علينا ثار يا صدام
فان طعتنى فاسمع كلامى وقصتي ... فسفك الدما يا ملك حرام
ولا ضرم النيران يا فخر الوري ... فكبر المنافس للقرى هدام
انا بن رزق الخيل ابو مخيمر ... انا للفوارس فى الوغى صدام
سنعطيك يا امير ما انت طالبه ... ولكن ستمهلنا عشرة ايام
مقال ابو زيد الهلالى سلامه ... ونيران قلبي زايدات ضرام

قال الراوى فلما فرغ الامير ابو زيد من كلامه وشعره ونظامه طوى الكتاب فى الحال وسلمه مع كتاب الامير حسن الى النجاب فاخذ وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل الى حلب عند نصف النهار فدخل على الملك بدريس وقبل أياديه ثم ناوله الكتاب ودعاله بالنصر على اعاديه فلما قرأها وعرف فحواها فرح الفرح الشديد ما الذي عليه من مزيد والتفت الارباب الديوان واوزراء والاعيان وقال لهم لقد بلغنا المراد وحصلنا على مسرة الفؤاد ثم انه امر الرجال ان تهيء لخازن فى الحال لوضع الاموال التي ستأتيه من بني هلال وان تفرش القصور والحارات برسم البنات المخدرات فامتثلوا أمره فى الحال وفعلوا كما رسم وقال فهيا المخزن والقصور وفرشوا الحارات بالدور هذا وقد استبشر بدريس ببلوغ المرام وزالت عنه الغموم والاوهام وكتب الى الامير حسن بن سرحان يعطيه الامان ويأذن للعرب بالدخول الى حلب وذلك سبيل البيع والشراء بدون ادنى احتساب وهذه صورة الكتاب

قال الملك بدريس يا أجوادى ... القول منى صادق الانشادي
يا بو على ادخل مدينتنا حلب ... فلكم أمان الله يا أجوادى
أعطيتكم منى الزمام وجرتكم ... والله شاهد والنبي الهادى
بيعوا بضائعكم علينا واشتروا ... روحوا وجولوا الملا بلادى
الارض أرضك والبلاد بلادكم ... أرسلت مع كل الجموع منادى
كونوا براحة بال من بعد العنا ... يا ابو على يا زينة الاجداد

قال الراوي ثم انه طوى الكتاب وسلمه الى النجاب وامره ان يحال الى بنى سيره

هلال ويسلم الامير حسن الكتاب ويأتيه بسرعة الجواب فامتثل وصار فدخل على الامير حسن في ذلك النهار فسلمه الكتاب وطلب الجواب فلما قرأه وفهم فحواه فرح الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد فاخلع على النجاب وارسل معه الجواب وهو يتضمن على كلام لطيف ويشكر بدر بس على ذلك التصريف ثم انه اعلم سادات بني هلال بما كتب بدر بس من المقال فاعتراهم الفرح والطرب بعد ذلك الغم والكرب ومن ذلك اليوم ابتدات العرب بالدخول الى مدينة حلب فبشتروا من اهلها البضائع الثمينة ويبيعوهم من المكاسب التي اكتسبوها من كل بلد ومدينة ومازالوا على تلك الحال وهم في انشراح بال حتى اقتربت الوعدة ومضت تسعة ايام من المدة فعند ذلك اجتمع الامير حسن بالامراء والسادات الاماجد وقال لهم هذا هو اليوم التاسع ولم يبق لنا غير يوم واحد فما هو رايكم ايها السادات والفرسان فقال ابو زيد الراي ان نركب ظهور الخيل ونسير في ظلام هذا الليل وان لا يذهب احد من العرب في هذا النهار الى حلب خوفا من ان بدر بس يعلم بواقعة الحال فيقبض عليه لبينما نقدم له المال فاستحسن الامراء هذا الخطاب ورأوه عين الصواب وفي الحال أرسل الامير حسن مناديا ينادي بين جموع العربان ان لا يذهب أحد منهم الى حلب

قال الراوي هذا ما كان من بني هلال وما صمموا عليه من الفعال واما ما كان من الملك بدر بس فانه صبر الى اليوم العاشر ولما بلغه بانه لم يدخل في ذلك النهار احد الى البلد من عرب العشائر زاد كدره بعد الفرح والسرور وخاف من عواقب الامور فارسل بعض الجواسيس في ذلك اليوم لتكشف له أخبار القوم وكان رجل اسمه المحتال وهو ذو مكر واحتيال بخطف الكحل من العين بسرعة اليدين كانه الثعلب أبو الحصين فغير زيه وتنكر حتى لا يعرفه احد من البشر ثم اخذ حمارا وحمله من النقولات وانواع العطريات وجد في قطع الفلوات قاصدا بني هلال بدون عاقة ولا اهمال ولما وصل اليهم واشرف عليهم جعل ينادي ويقول يا معشر العرب معي برسم البيع الملبس والزيب والعين وفستق وكرايج حلب فمن اكل وشرب التذ واستطيب وحصل له السرور والطرب ومعي ايضا المعطر والطيب الذي يصلح اكل حبيب ولم يزل على تلك الحال يصيح وينادي على الرجال وهوة صدا الامير حسن وفي يده الرسن فاتفق انه حانت منه التفاتة الى وراه فلم ير اثر للحمار في تلك الفلاة فتعجب كل العجب وعرف انها سرقته

العرب فقال لقد افقدنا بضاعتنا وفقد الحمار منا فجبر الله عنا ولما وصل الى صيوان الامير حسن جعل يتجسس الاخبار بما امكن فوجد عنده جماعة من الامراء المشاهير وهم يتداولون فى امر المسير فعرف المرام وان قصدهم الرحيل تحت ستور الظلام فرجع على الاثر واعلم بدريس بذلك الخبر فعظم عليه الامر وتكدر فقال للخزاعي ومن حضر من الرجال قد خدعنا بنى هلال بالمكر والاحتيال ومرادهم ان يرحلوا من هذه الديار تحت ستور الاعتكار فما هو رايكم الان فى هذا الشان فقال الوزير الرأى عندى يا ملك الزمان ان اسير بالمواكب والكتائب واكمن لبنى هلال فى سهل سراقب لانه لا بد لهم من العبور من ذلك المكان ثم ان تدركنى باقى الابطال والفرسان وتبادرهم بالحرب والصدام من خلف وامام ونبلغ منهم القصد والمرام فاستصوب بدريس هذا الكلام فعند ذلك ركب الوزير الخزاعى بما تيسر من العسكر وقصد سهل سراقب وكمن لبنى هلال فى تلك السباسب وكان الملك بدريس قد كتب الى ولاة المدن والبلدان يطلب منهم ان ينجدوه بالابطال والفرسان فارسلوا له بالعجل مايتين الف بطل ففرح واستبشر وامل ببلوغ الوطر ثم دقت الطبول ونفخت الزمور وتقلدت الرجال بالرماح والنصول وعليت الفرسان على ظهور الخيول وسار بالعساكر والشجعان قاصدا ذلك المكان

قال الراوى هذا ما كان من الخزاعى وبدريس وما جرى لهما من الكلام والحديث واما ما كان من بنى هلال فانهم لما أظلم الظلام امر ابو زيد العرب ان تضرم النار امام المضارب والخيام حتى لا يشعر بهم احد من الانام وان تركب الحريم والعيال على ظهور الهوادج والجمال وتسير امام الابطال ففعلوا كما امر وتجهزوا للسفر وسار الخفاجى عامر بخمسة آلاف من الفرسان والشجعان مع البنات والنسوان خوفا من نكبات الزمان وطوارق الحدثان حتى وصل بالقرب من سراقب وتلك السباسب وعند وصوله الى ذلك المكان ادركه الخزاعى بالابطال والشجعان وهجم عليه من كل جانب ومكان فلما شاهد تلك الحال وهجوم العساكر والابطال من اليمين والشمال اعترى الخفاجى عامر الانذهال وخاف على الحريم والعيال فحمل هو ومن معه من الابطال والتقوا الاعدا بقلوب كالجبال وفى الحال انشب القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وكان الخفاجى كما تقدم الكلام من اشد فرسان الصدام نقاتل قتال الاسود وتكسر الرايات

والبنوت و بذل فى الحرب غاية المجهود غيران عساكر الاعداء كانت اكثر فانصبت عليه كعارض المطر فظفر الخزاعي واستظهر وذلك بعد قتال شديد وهجمات تشيب الطفل الوليد واسر عدة من البنات والنساء المخدرات فبينما كان الخفاجي فى اشد الاهوال وهو غارق فى وسط الجال وعساكر الاعداء محيطة به من اليمين والشمال واذا بفرسان بنى هلال قد اقبلت الى ذلك المكان وامامهم الامير ابوزيد البليث الميدان وهو راكب على فرسه الحراوكان قد بلغه الخبر بما حصل الى الخفاجي فقال فى ساعة الحال بالفرسان والابطال حتى ادرك بنى هلال وهجم الى ساحة الجال وتبعته العساكر والجنود وقاتلوا قتال الاسود فخرقوا الصفوف بطعن بالرماح وضرب السيوف وبعد معركة عظيمة ومذبحة جسيمة خلصوا البنات والنسوان من الاسر والهوان وابلوا الاعدا بالويل والحرمان ومازالوا على تلك الحال وهم يجندلون الفرسان والابطال الى قرب الزوال واذا بغبار من خلفهم قد ظهر وثار وبعد ساعة انكشف الابصار وبان عن عسكر جرار كعدد رمال البحار وكان هذا عسكر ابدريس ملك حلب قد حضر لقتال بنى هلال لينالهم بالذل والعطب لانه كنا ذكرنا قبل الان بانه قد أرسل الى ولاة المدن والبلدان يطلب منهم النجدة والامداد فامدوه بالعساكر والاجناد وكانت مايتين الف مقاتل بين فارس وراجل فخرج بهم من حلب وقصد بنو هلال وفي قلبه منهم نار الهيب ومازال يقطع الروابي والقيعان حتى ادركهم فى ذلك المكان وهم فى حالة الانتصار فبادرهم بالقتال من اليمين واليسار وفى الحال انتشب القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وتمددت الفرسان والابطال فى ساحة القتال على هذا المنوال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فانفصلت العساكر عن بعضها البعض ونزلت كل فرقة فى ناحية من الارض وكان بدريس في قلبه من بنى هلال نار الاشتعال وذلك لعدم اعطائهم المال ومابدا منهم من المكر والاحتيال فبات تلك الليلة في قلق عظيم وغم جسيم

قال الراوى ولما اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب والكفاح فركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح والنصول واصطفت الصفوف وترتبت المايات والالوف وانتشرت الرايات والبيارق وخفقت على رؤوس السادات الاعلام والسناجق وبرز الخزاعى الى ساحة الميدان كانه النمر بن كنعان وطلب براز الفرسان وقتال الشجعان وقال لا يبرز لى من الابطال وسادات الرجال سوى ابوزيد

المختال فما أتم كلامه حتى صار ابو زيد امامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال فالتقاه الخزاعي بقلب كالصوان وانشد وقال

قال الخزاعي فالحرب مرادي ... اني مرعى الخيل يوم طرادي
اليوم يا ابو زيد امحى جمعكم ... وانال غاية مقصدي ومرادي
واقتل حسن أميركم بمهندي ... واقتل عرندس والامير حماد
واقتل دياب الخيل من حاز الملا ... وسآخذ الخضرا بضرب جلادي
والبيض آخذها واقتل كل من ... يوم الوغا عند البنات ينادي
اني وزير القوم جئتك عاجلا ... فاليوم آصر شدتي وطرادي
وآخذ الحرا رغما يا نتى ... من بعد طعن يشيب الاولاد
واجعل نساكم خادمات نسانا ... طول الزمان ومالهم من فاد

قال الراوي فلما انتهى الخزاعي من شعره ونظامه وفهم ابو زيد خوي قصده ومرامه اغتاظ منه الغيظ الشديد على ما سمعه من التهكم والتهديد والوعيد فاجابه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

قال ابو زيد الهلالي سلامه ... اليوم تبصر يا خزاعي طرادي
اليوم تبصر حربنا وقتالنا ... وطعاننا بالرمح في الاجساد
شهدت انا بحر وبنا هل الورى ... يا خبث الوزراء والاوغاد
اليوم تبصر فارسا ذو همة ... وعزيمة أقوى من البولاد
اني سآملك ارضكم وبلادكم ... ويطيب في هذا النهار فؤادي
وحلب سنجعلها محل جلوسنا ... من بعد حرب يشيب الاولاد

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من هذا الشعر والنظام اغاظ الخزاعي من هذا الكلام وصدمه صدمة الاسد الضرغام فالتقاه ابو زيد بالعجل وانطبق عليه وحمل وجرى بينهما من الاهوال والحرب والقتال في ساحة المجال ما يشيب رؤوس الاطفال فلله در هما من فارسين وبطلين مغوارين فانهما تهاجما هجمات الاسود وتطاعنا بالرماح حتى خدرت منهما الزنود وتحيرت من قتالهما العساكر والجنود ومازالا على تلك الحال وهما في اشد قتال الى ان سبق منهما ضربتان عظيمتان كانهما صاعقتان وكان السابق الخزاعي فالتقاه ابو زيد بدرقة البولاد فتلقاها وسقط على رقبة الجواد فبراها كما يبرى الكاتب القلم

فوقع ابوزيد على الارض وانحطم فاراد الخزاعي أن يعجل فناه ويعدمه الحياة واذا بفارس قد أقبل من وسط المجال وصاح صيحة تزعزع الجبال وانقض على الخزاعي مثل العقاب الكاسر أو السبع الجائر وقال ارجع ياكلاب الرجال فسوف يحل بك الوبال وتضحى قتيلا على الرمال وكان صراخ الاميرديان ليث الغاب فانه لما شاهد الاحوال ورأى ماحل بابي زيد من الوبال حمل في الحال والتقى الخزاعي في ساحة القتال فالتقاه الخزاعي بقلب كالجبل واشتد بينهما القتال وعظمت الاهوال ومازالا على تلك الحال الى وقت الزوال وهما في ضراب وطعان يحير عقول الفرسان وكان قد اختلف بينهما طعنتان فالتقتان وكان الساق الاميرديان لاسد الوثاب نطعن الخزاعي بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض يختبط بعضه ببعض فلما رأت عساكر حلب ماحل بوزيرها من العطب زادها الغيظ والغضب وحملت في الحال على بني هلال من اليمين والشمال بقلوب كالجبال وهم يصيحون بالثارات الوزير وقاتلوا قتال الابطال المغاوير فالتقتهم بنو هلال واشتبك بينهم القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم سيال وتعددت الرجال على وجه الرمال ومازالوا على تلك الحالة الى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال فانزعوا عن القتال ورجعوا بنو هلال في فرح واستبشار على ذلك الانتصار وباتت عساكر بدريس في غم وانكيس وحال تعيس لانه قد فقد منها عددا كبيرا من العسكر ولاسيما قتل الخزاعي الوزير الاكبر لانه كان من أفراد الرجال ومشيرها في الحرب والقتال وعليه الاعتماد والاتكال فنضعضعت احوالها من هذا القبيل وايقنت بالهلاك والتنكيل والحال الويل هذا ما كان من جيش الاعادي واما ما كان من دياب ليث الوادي فانه رجع من ساحة الميدان وهو مسرور فرحان وثيابه كشقائق الارجوان مما سال عليه من دماء الفرسان فالتقته النساء بالفرح والسرور والغبطة والحبور وشكروه على ما فعل وقلن له لله درك من بطل لقد قهرت الغريم وقاتلت عن الحريم فلا عدمناك يافارس الخضرا وليث الصخرا نم انه نزل في المضارب والخيام وخلع ثياب الحرب والصدام ولبس ثياب البرفير والارجوان وبعد ذلك دخل الامير حسن فقام له على الاقدام والتقاه بالترحاب والاكرام واجلسه بقربه وترحب به وقال له مثلك تكون الفوارس يازينة المجالس ومثل ذلك قال له القاضي بدير بن فايد والامير ابوزيد الهمام الماجد ولما استقر به الجلوس وطابت من القوم النفوس التفت الامير دياب الى ابوزيد

وأشار بخاطبه بهذا القصيد

مقالات الفتى الزغبي دياب ... ولى عزم كما الصخر الاصما
ولى همة كهمة ليث عابس ... أنا الزغنى دياب انا المسمى
فكيف رماك يا امير الخزاعي ... وانت اشد قلبا نم عزما
ايا بوزيد يا حسن العذارى ... فولا ما أدركك لقتلت رغما
ولما قد أتيك يا سلامه ... اذقت انا الخزاعي كاس سما
وما قصدى امتن في كلامي ... لانك فارس البيدا المسمى
أنا روحي فداك وكل قومى ... لانك عزنا نم المسمي
وقاتل للملك بدريس باكر ... وآخذ مالهم والمال حتما

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من شعره ونظامه شكرته الامراء والسادات على حسن اهتمامة ثم أشار ابوزيد يرد عليه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

مقالات ابوزيد الهلالى ... أيا زغبي جزيت الخير عنى
ابو موسي فاسمع من كلامى ... انا منك بفيت وانت منى
برزت انا الى الميدان عاجل ... وقد برز الخزاعى قرب منى
ضربني ضربة بالسيف حقا ... ولولا الترس يازغبي قتلنى
فصاب الى جوادى فى حسامه ... لوي الثوى من تحت مني
وقفت الوطا والذهن غائب ... جفونى بالدموع فقرحتنى
ورمنى طايش يا أمير زغبي ... فجرحت شفتي من فوق سنى
وقد ادركتنى يا ابن غانم ... وفرقت العدا من حول منى

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من شعره ونظامه فهم الحاضرون فحوى كلامه شكره حسن على هذا المقال وقال له مثلك تكون الرجال وقضوا تلك الليلة فى سرور وانشراح وانبساط وافراح على ذلك الانتصار والنجاح ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح استعدت الفرسان للحرب والكفاح فدقت الطبول وركب الابطال ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وترتبت الميامن والمياسر واصطفت الجنود والعساكر وركب بدريس ظهر الحصان وقلبه يقدح بلهيب النيران على ماجري له وكان من الانكيس والخذلان وبرز الى ساحة الميدان بقلب اقوى من الصوان وطاب براز

الفرسان وقال من عرفني فقد اكتفى ومن لا يعرفني فاني خفي انا بدريس ملك حلب فجاز زوالي بامراء العرب اصحاب الحسب والنسب فما اتم كلامه حتى صار دياب امامه فاشار بدريس يتهدده بالكلام بهذا الشعر والنظام

يقول الملك بدريس قولا صادق ... انى مريع الخيل فى حد الاسل
اسمع دياب من كلامى وافتهم ... ابوزيد يامكار صنفت الحيل
ارسلت اطلب ياخبيث نساكم ... عشر الغنم والمال ايضا والجمل
ولقد بعث ملكم واميركم ... يطلب المهلة ومثلى من مهل
رحلتم بجنح الليل مع اظعانكم ... ابوزيد يامكار يارامى الحيل
لابد ما القيك فى وسط الفلا ... وانال هذا اليوم من دهرى الامل

فلما فرغ بدريس من شعره ونظامه اجابه الامير دياب على كلامه

يقول ابو وطفا دياب بن الغانم ... نيوم الحرب يابدريس عبدى
فنحن قد مررنا فى بلادك ... نريد السير الى الغرب البعيد
نريد السير الى ارض المغارب ... الى عند الزناتى بالاكيد
لنا عنده ثلاث شباب حقا ... اسارى قد وثقهم بالقيود
فكيف تريد عشر المال منا ... وعشر الخيل مع عشر العبيد
تريد بنات منا مع جواهر ... فهذا يا ملك عنكم بعيدى
امام بناتنا من كل فارس ... قوى القلب ذو باس شديد
لقد اطمعت نفسك فى هلاك ... فسوف ترى رجالا كالاسود
فنزل عن جوادك لا نكابر ... فسوف تري الي حربي الشديد
والا اقتلك بحد سيفى ... وتبقى اليوم من اهلك فقيد

قال الراوى فلما فرغ الامير دياب من هذا الشعر والنظام انحدر الى بين الصفين وهجم على الملك بدريس على الميمنة وابوزيد على الميسرة وكان الامير دياب يدور الخضرا عليه بضربات قاطعات تهد الجبل الراسيات وكان قد اختلف بينهم طعنتان قاتلتان وكان السابق الامير دياب ليث الميدان فطعنه في صدره خرجت تلمع من ظهره فوقع بدريس على الارض قتيلا وفى دمه جديلا فلما رات العساكر ما حل بملكها ايقنت بهلاكها وقلما نها ولكنها صممت على القتال وهجمت كليوث الدحال وهى تصيح

الثار الثار البدار وحملت من اليمين واليسار بقوة واقتدارة لتقتها بنى هلال فى الحال واشتبك بين الفريقين القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وتزلزلت الارض بالزلازل من ضجيج الابطال وقعقعت النصال ومازالوا في عراك وقتال يشيب الاطفال الى وقت الزوال فعند ذلك تاخرت عساكر بدريس حل بها التعس والانكيس فجدت في الهزيمة والهرب وقصدت مدينة حلب خوفا من الهلاك والعطب فتبعها ابو زيد بالابطال والفرسان فلما رأت ما حل بها من الهوان طلبت لانفسها الامان عندما بلغ اهل المدينة ما جرى كانت خرجت الاكابر والاعيان والتمست من ابى زيدان ان يعفو عنهم و يعاملهم بالفضل والاحسان فاجابها الى ذلك الامان بعد ان استشار الامير حسن بن سرحان و بقتله بدريس ملك حلب زال عن بنى هلال العنا والكرب وطابت لهم الاوقات وحصلوا على الافراح والمسرات وكان لبدريس ولد حميد الخصال ممدوح من كل الرجال اسمه جمال فلما قتل الملك بدريس وحصل ذلك الانكيس خرج الامير جمال فى جماعة الابطال و وقع على الامير حسن السيد لبنى هلال فاجابه الامير حسن ومال قلبه اليه وقد شفق عليه فاقامه ملكا مكان ابيه وامر اهل المدينة ان تطيع اوامره ونواهيه واقامت بنى هلال فى تلك الاطلال نحو عشرة ايام وهم اكل وطعام وشرب مدام وسماع اصوات وانغام وفي اليوم الحادى عشر تجهز للرحيل والمفرفدق طبول الرجوج تنبيها للعسكر وفى الحال هدت الخيام وركبت فرسان الصدام وسارت النساء والبنات فى الهوادج والعربات وركب ايضا الامير حسن و باقى السادات و رفعت على رؤوسهم الاعلام والرايات وجدوا فى قطع البرارى والفلوات كانهم ليوث الغابات هذا وقد اشتد ظهرهم و زاد قدرهم وفخرهم باشيدو لهم من الشرف والمجد بعد رحلتهم من بلاد نجد وذلك باستظهارهم على الملوك العظام بقوة الحرب والصدام ومازالوا يقطعون الروابى والاكام مدة ستة ايام على الكمال والتمام حتى وصلوا الى مدينة حماه فنزلوا عن نهر العاصي ولم يترضهم احد لا داني ولا قاصي لان اهل البلد كان قد بلغهم ما جري على اهل حلب من النكد فخافوا ان عواقب الامر واثارة الفتن والشرور فاستقبلهم الملك بالاكرام والوقار والاحترام وصار لهم من جملة الاعوان والاصحاب والخلان

﴿ انتهي الجزء السابع ويليه الجزء الثامن ﴾

الجزء الثامن من تغريبة بني هلال

وهو يحتوى على أسر الامير دياب

(قال الراوى) من الامور الغريبة والحوادث العجيبة وهو انه كان بمدينة حلب تاجر اسمه كساب وكان من أشهر الناس ومن اتباع صاحب جزيرة قبرص الملك هراس قدحضر الى تلك المدينة وكان يتاجر بالبضائع الثمينة فاتفق انه لما قدمت بنى هلاله الى تلك الديار انتهبت أمواله من جملة الاموال فشكى امره الى الامير دياب واعلمه بذلك المصاب وطلب منه رد الاموال التى اكتسبها بنى هلال فلم يستفد ولا حصل على مايريد فترك حلب ونجا بنفسه وهرب خوفا من العطب وقصد الملك هراس دون باقى الناس فدخل عليه وشكا امره اليه وبكى بين يديه واعلمه بواقعة الحال وما فعلت بنو هلال به فاغتاظ الملك غيظا شديدا ماعليه من مزيد لانه كان يحب كساب فارعدوه باحضار دياب وكان عنده ثلاثة من الاتباع اصحاب حيل وخداع وكانوا من جملة محافظين المدينة فاحضرهم اليه واعلمهم بواقعة الحال وفقد الاموال وطلب منهم ان يسيروا مع كساب ويأتون بالامير دياب فقالوا سمعا وطاعة وغير واثيابهم وساروا بالمراكب من تلك الساعة وصحبتهم هدايا وعند وعند وصولهم الى اللاذقية نزلوا الى المدينة وجعلوا يتجسسون أخبار بنى هلال حتى حتى علموا بهم فى حماه وتلك الاطلال فعند ذلك ركبوا الخيل وساروا تحت ظلام الليل الى ان وصلوا الى البلد ولم يعرفهم أحد ودخلوا نزل الامير دياب وصحبتهم الهدايا مثل سيف معقرب وخنجر قبضته جوهر وابريق فضة وثلاث مماليك كل مملوك يسوى الفين دينار وغير ذلك من الاشياء الثمينة فلما وصلوا حولوا عن مطاياهم ودخلوا على الامير دياب وسلموا عليه وقدموا الهدايا اليه فترحب بهم غاية الترحيب وامر لهم فى الجلوس وقدموا لهم كاسات الشراب والقهوة وامر ان يذبح لهم الذبائح التى تليق فى السادات الكرام وانشد يقول

يقول الفتى الزغبي دياب الماجد ... يامرحبا فى من اتونا ضيوف
يامرحبا فيكم والفين مرحبا ... عدد ما مشيتم بالفلاة عسوف
لكم عندنا الاكرام والخير والهنا ... وناموا على فرش الحرير وصنوف
وشوفوا وطاقي ياضيوف مدور ... وطاقي حرير بالذهب مرصوف
وان كان جيتم ضيوف يامرحبا بكم ... لكم عندنا الاكرام والمعروف
وان كان جيتم قاصدين للعطا ... انا بن غانم للعطا موصوف
وان كان جيتم هاربين من العدا ... انا صاحب الناموس انا المعروف
وان كان غير هذا فخبروا ... وقولوا لي حقا بغير كلوف
وماهو اسمائكم وماهي بلادكم ... باى الفيافى نزلكم وجلوف
وانا قوم زغبي يا كرام جميعها ... كريم المحيا ياضيوف عفوف

قال الراوى ولما انتهى من كلامه وهم يسمعون شعره ونظامه فقال له حياك الله ورقاك وجعل الجنة مأواك وقد سمعنا بمروأتك وسخاك وان سألت عنا يا امير نحن تجار واخوه ثلاثة وجينا فى تجرة عظيمة وتركناها فى اللاذقية وخفنا من الطريق وحذرنا كل صديق ومرادنا نعدينا من هذا الطريق وعند ذلك شالوا ثلاث بقج من الجواهر الثمينة التى تدهش الابصار وتحير الافكار التي ماشاف منها من سالف الاعصار وقالوا له هذة الاولى الى الامير حسن والثانية الى ابوزيد والثالثة الى القاضي فقال دياب ومن هذه الذين تقولون عنهم وكلهم من تحت يدي فقالوا نحن اتينا لعندك والذى تريده اعطيه والذى ماتريده لاتعطيه فقال لهم نحنا ماندرى فيكم احد للثلاثة قوموا يلحقوكم واشار يقول يقول الفتى الزغبي دياب الغانم ... وحملونا ياكرام جميل

انا مرعب الفرسان بالسيف القنا ... اجول على الاعداء برمح طويل
انا راعي الصيوان عالي مشرع ... تجيه المقاوى والسنين محيل
وقمتم عندى ذال ياقوم همكم ... انا مدرك العليا بباع طويل
فان مكثتم عندى فيا مرحبا بكم ... لكم عندنا الاكرام والتبجيل
على ماقال الزغبي دياب بن غانم ... ولاعاش في الدنيا من يكون بخيل

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه والافرنج تسمع شعره ونظامه قال له كبيرهم نحن اناس تجار ولا احد يجلب متاجر مثلنا ومعنا مركب موسوق

خلاف مامعنا ونحن كل سنه نجلب تجرة ثلاثة نبيع ونشترى ونكسب النصف
في بضايعنا ولا تجى طريقنا الا على حلب وكان اللعين بدريس يشترى منا مايلزم
له من البضايع كل سنة وقد اتينا هذا العام على حسب عادتنا فلم نجده وقد وجدنا كم
اصبين على حلب فسالنا بعض المسافرين فاخبروا عنك بانك قتلته وملكت بلاده
ففرحنا وانسر قلبنا وانشرحنا وقلنا بعقلنا ان ذلك الملعون كان اخذ منا عشرة آلاف
دينار وهذا غير عشرة آلاف ثانيه فقلنا من شدة فرحنا اننا نقدم لك هذه البدله حيث
انك قتلت هذا الملعون الخبيرى ونحن قد اتينا اليك وما لنا ونوالنا وتحفنا ما كانت تحت
يدنا فهو اليك وهذه البدله هديه منا اليك ثم اطلعوا له البدله من احد الاخراج الثلاثه
واعطوه له فقبلها في يده نوجد انه طول عمره ما حاز مثلها فلما نظرها تبسم ضاحكا
فقالوا له هل اعجبتك قال لهم نعم فقالوا نحن ما اتينا اليك الا لاجل ان نهاديك بها وبعد
ذلك مالوا على بعضهم وتكلموا بكلام لا يفهمه فقال لهم دياب ماتشركونى معكم
في الكلام فقالوا يا بوغانم اعطنا الامان فقال دياب لكم ذلك فقالوا اننا ان نقول الامير
دياب لنا منه اكرام زايدوا اننا نعاهده ونطاعه على سرنا فقال لهم العهد لا بد منه وتقدم
وعاهدهم وبعد ذلك قالوا له نحن مرادنا نسافر الى بلاد الغرب معكم نبيع ونشترى
ولك الربع في المكسب ولكن لنا حاجة نقول لك عليها لانها معنا من بلادنا وهى ساقيه
من ذهب ومرصوده بقلم الحكمه اذا دارت يمين يتساقط الذهب من اكلالها واذا
دارت شمال تتساقط الفضة من انراسها ونحن مرادنا اننا نبقى معك كرجل واحد
ونعطيك ثلث الساقيه في نظير خفرك علينا الى ارض تونس الغرب لان جميع الناس
يهابوك ففرح بهم فرحا شديدا ثم التفت الى التاجر الثانى وساله ما اسمك فاجابه اسمى
منذر ثم التفت الى التاجر الثالث وساله ما اسمك فاجابه نطرون العقيلى فقال لهم
ان كان متاجركم نحو زمائة جمل اعطيها لكم ولكن ان كان مرادكم ان اكون لكم حمى
من المضرين واغفركم الى ارض تونس الغرب وتعطونى الساقيه التي تذكرونها في
اشعاركم فاحلفوا لى بالله العظيم انه ما يقع منكم خونه فى حقى من المكسب فاجابوه هذا
الشرط جيد لنا ولك وهو غايه مراده ثم حلفوا له اليمين فصدقهم بتلك الايمان وعمرة
الطمع وانطلقت عليه الحيلة ثم قال لهم قوموا وسيروا بنا الى المركب حتى انظر متاجركم
واشوف الحموله كم جمل تحتاج حتى ارسلهم لكم مع عبيدى فدخلوا معه بالخداع

وقالوا انت تريدان تشعر بنا الناس ونحن نريدان لا يطلع على سرنا الا الله وانت يا ابو موسي لان العرب متى راوا تاجرنا يطمعون فينا ويغيروا علينا نقع الخلاف بينك وبينهم وينشب القتال فنكون نحن السبب في هذا الشر والنكد فلما سمع منهم هذا الكلام قال سيروا وانا اسير معكم وحدي وما آخذ معي احدا من اهلي وجندي حتى انظر ما ذكرتموه لي فقالوا له سر على بركة الله تعالى فركبوا الثلاثة هجنهم وركب الامير دياب ايضا وصاروا يلاحظوا من ان يظرم احد لثلا تظهر حيلتهم وبينهم سائرين واذا بالامير عمار اخو الامير حسن التقي هم لم يعرف سوى الامير دياب فقال له يا ابن غانم الى اين سائر مع هؤلاء القوم فاجابه هؤلاء ضيوفي وهم لهم خوفا عليهم من سفهاء العرب فقال له تريدان اذهب معك اجابه ارجع انت في حالك ولا تتعب دماك وتسير معي فسار الامير عمار الى منزله واما الامير دياب فانه سار مع اصحابه من العشاء الى ثاني يوم الظهر حتى اشرفوا على بحر المالح فسمع دياب صوت دوي الماء مثل الطبل فدخل عليه الوهم وقال في باله الله اعلم ان هذه الثلاثة خائنين لان عيونهم ملاه بالغدر وهذه علامة الغدر فاراد ان يرجع من وقته ولكن المقدر لا بد من نفوذه ولما رآه الثلاثة قد تغير وفي سيره قد تاخر قالوا له اما تنزل معنا في البحر فاجابهم ان نزولي معكم الى البحر ما هو ضروري ان كان كلامكم صدق انزلوا وها تو ما قاتولي عليه وانا ما عدت اخطي ولا خطوه واحده ثم نزل عن الشهبا ومسك سرعها بيده اليسار والسيف بيده اليمين ووقف ينتظر فتركوه ونزلوا الى البحر حتى اتوا الى الغليون وجابوا له خيمه من الحرير الاصفر وعمودها من الذهب واوتادها من الفضه البيضا وذلك الخيمه مكلله بالدر والجواهر والياقوت والمرجان والزمرد الاخضر بكاد من جمنها يدهش البصر فنصبوها قدامه وفروشها حرير اخضر ووضعوا فيها اربع وسايد طول كل واحده اربعة ازرع مكللين بالمعادن والجواهر فلما رأى دياب تلك الخيمه وفراشها الذي يدهش الالباب تعجب غاية العجب وظن كلامهم صحيح ودخل منهم الى الخيمة يتحادثون وانوا بالمآكل والمشرب وفي الحال بنجوه وفي السلاسل قيدوه ونزلوه الى المركب ورفعوا المرسى واقلعوا ولما قطعوا مسافة طويلة اعطوه ضد البنج فاق فوجد حاله مقيدا بالسلاسل والتفت يمينا وشمالا فما نظر الا سماء وماء والجماعة كانوا في ملابس بيض يلاقيهم بيرانيط سود فعرف ان الحيلة تمت عليه فتنهد وانشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ... بكيت على حالي وانا ماسور
بكيت على حاهي وعزي وهيبتي ... وانا فوق تختي جالسا مسرور
غفير البوادي و المذاري سياجهم ... وكم جيش من ولي وهو مكسور
على ظهر خضرا يقطع العود عزمها ... وتسبق رياح عاصفه وطبور
وانا فوقها فرق القرابيص جالس ... كجلمود صخر بالزرد مستور
ومن بعد عزي وارتفاع شمختي ... بقيت مقيد بينكم ماسور
وخلتموني لا اعمر الله ديارکم ... ويقتون ايـلا لنا وستور
اتيتم لي بزى تجار عندى منحتكم ... وعشر بن رأس ذبحتها وجزور
فما كان في بالي ولا جاء بخاطري ... على انكم تاخذوني زور
ولكن هذا حكم من رافع السما ... ويحتاج من يبلى يكون صبور
يارب يارحمان ياسامع الدعا ... يامن تسبح له شجر وطور
يجيني ابو زيد الهلالي سلامه ... يخلصني من كل هلاك وضرور
ماقال الفتى لزغبي دياب ابن غانم ... دهتني الليالي والزمان غدور

فلما فرغ دياب من كلامه ندم على فعاله ثم قالوا له لا بد عن قتلك وانلال مهجتك ومازالوا سائرين به الى ان اوصلوه الى جزيرة قبرص وطلعوه مقيد وادخلوه الى عند الملك هراس وكان عنده جماعة من اكابر الناس ففرح الملك به ففرح المغانم والقاه تحت العذاب والترهيم هذا ما كان من دياب وما جرى له من الاحوال و العذاب واما ماكان من بني هلال فانهم كانوا كما تقدم الخبر في فرح ومسرات والهدايا تاتيهم من جميع الجهات فبيناهم في بسط وانشراح الاوالخضراء قادمة اليهم مثل هبوب الرياح وهي كئيبة حزينة على فقد خيالها الاسد المهاب الزغبي دياب فاول ما نظرتها ابنته واطفا طار الشرر من عينها فصاحت وولت فتراكض جميع الفرسان والابطال على صياحها وفي تلك الساعة صار ضجة عظيمة ما صار مثلها في سالف الزمان هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الامير حسن فانه قال لابو زيد ان دياب صار له مدة ما حضر عندنا واظن انه مغتاظ علينا لاننا ما خليناه يذهب حلب فقال له ابو زيد قم بنا نزوره ونشوف اموره ودياب لو ما كان صار له شيء فما كان طول علينا كل هذه الغيبة فمن ساعتهم ركبوا على ظهور خيولهم هم والقاضي بديروسار وا نحو منازل دياب فسمعوا البكاء والنواح

فى جميع الجهات ولما نظروهم الامارة والعذارى لاقوهم بالبكاء وتقدمت وطفا ابنة
دياب وانشدت تقول من فؤاد متبول

تقول وطفا يا امارا واحترق قلبى بنارا واتلا قلبي غبا ين
والحشا والعقل طارا والحيا والعقل راحا وانتصب سوق النواحا
ساح دمع العين ساحا فوق وجنات العذارا حرمت عينى المنامى
بعد ابى ذاك الهمامي حامي الزينات حامى يدم كر الخيل غارا
كم قليعة مع جواد جابها يوم الطراد كم قتل قوما وساد
يشهدوا له العذاري يا ملك ابويى دياب فى عنا اوفي عذابي
شاب بيت الشعر شابى بعد ابو موسى جهارا اين ابوموسى يكونى
كان للزينات يحونى يا امارى اسعفونى نورعينى اين سارة
ضيوف اتونا زيراتى يحكوا فى جملة لغات كرتروا الساعة ثلاثة
حين ماقلوا السهارة سافرواجنح الظلام معابو موسي الهمامى
وحرموا عينى المنامى بثياب حامى العذارا ابو على دق الطبولى
ثم اركب للخيولى دوروا كل السهولى والبرارى والقفاره
سيروا بالعسكر شمالى دوروا رأس الجبالى اميركم يابني هلالى
ماخذتوا له خبارا ابو زيد شوف الحالى مابقى الا خيالى
انت امير بنوا هلالى لك جملة شوارة قوم خبرنى الاكيدي
فى اسرار الكتب جيدى واضرب الرمل الحميدى ثم اكشف للخبارا

فلما فرغت وطفا من كلامها وابو زيد والاميرحسن يسمعان نظامها استعظموا
هذا المصاب على فقد الاميرديا ب فعند ذلك تقدم عرندس وانشد يقول

مقالات الفتى المدعو عرندس ودمع العين فوق الخد ساح
ابات الليل فى هم وغم من المغرب الى وقت الصباح
بليت بفرقة الزغبي دياب وصرت اليوم بعده فى نواح
سياج الخيل والبيض العذارى وحامى الطعن فى يوم الكفاحي
عليه البيض تبكى كل يوم من جنح الليل الى وقت الصباح
فقوموا اركبوا خيل السوابق عسى نلقاه فى بعض البطاح

وان كان الزمان سطا عليه فياويلي على ليث البطاح
نغير على المدى من كل جانب ونشهر للسيوف مع الرماح
فان لم تحضروا الزغبي دياباً والا عزكم ياقوم راح
فقوموا واركبوا ياقوم عاجل على خيل السوابق في البطاح
ونحن آل زغبي نروح جانب ونشهر كلنا البيض الصفاحي
ونقتل للاكابر والاصاغر بضرب السيف منا طعن الرماح
وللبيضان والسودان نقتل ولا نترك شناع ولا ملاح
وان لم تظهروا الاخبار عنه والا اقيم فيكم الصياح
ونلقيها جموع على جموع شبه النار لوهب الرياح
واوقدها واصليها بحربي وقد الهام والدرع الصفاح
انا المسمى عرندس تعرفوني انا شيخ العرب ماني مزاح

فلما فرغ عرندس من كلامه اغتاظ الكل منه عندما تقدم غانم ابو الامير دياب وهو باكي العين زايد الانتحاب واشار الى الامير الى الامير ابو زيد في هذه الابيات يقول

يقول الفتى غانم على ماجرى له ودمعي جرى فوق الخدود سكيب
ونيران قلبي اشعلت ضمايري يهب لها على طي الضلوع لهيب
دياب ياعيني و يانور ناظري سقاه النيا كاس المنون غصيب
تفرق شملي بعدان كان مجتمع عدرني زماني والزمان عجيب
نزلنا على عاصي حماه وسيجر وريح العذاري مثل وطر الطيب
اتانا ضيوف قاصدين بلادنا على ظهر خيل مثل ريح هبيب
فاضافهم ولدي وقام بجمعهم ترحب فيهم غاية الترحيب
فقلبي يحدثني وعقلي يقول لي فماهم الا من اهالي الصيب
بلاني زماني مثل يعقوب فرقه وقالوا يوسف اكله الديب
انا مثله ياناس اعظم بلوة فكم جهد ابكي وما نظرت طبيب
يابو علي ابو زيد انا اليوم قاصده ومن يلتجي في ابو زيد ليس يخيب
ابو زيد قدامك ابو بدر غانم ابو زيد قدامك حزين كئيب

ابو زيد لك مني المال جملة الفين سرية والف جنيب
والفين سابق من خيول اصايل وميتين مهره سرجها ذهيب
ابو زيد اخبرنا برملك يافتي لانك في علم الحساب لبيب
وتعرف سعوده والنحوس طالعه وعلم الغرابة وكل فن عجيب
وحق عليك اليوم يا ابو مخيمر دخيل انيتك مثل ضيف غريب
ماقال الفتى غانم على ماجرى له وما اليوم اصعب من فراق حبيب

فلما فرغ غانم من كلامه وسمع الحاضرون فحوى شعره ونظامه حزنوا على فقد دياب واستعظموا ذلك المصاب ثم التفت الامير حسن الى ابو زيد وقال حطت عندك الحكاية وما احد يقضيها غيرك فالتفت الامير ابو زيد الى عبده ابو القمصان وقال له

قال ابو زيد المسن جميع الشور لنا ردى
حسن وبدير وابو تكنا مفرج هم البعدى
عرندس والمسمي زيدان شبيه الاسدان هذى
والهدار مخ الشجعان بيدى سيوف الهدى
ملوك هلال لهم افعال بيوم مجال اذا اشتدى
حسن ياباس كبير الباس فهو راس وانا سندي
ابو القمصان اسرع جريان اياك تهان على العبدى
هات الرمانين مع الشكلين شرح الصدرين لنا يهدى
كتب التفسير لها تحرير عالم وخبير بها يدرى
لاجل دياب قلبي ذاب كما القصاب على الزندى
غانم ياسيدى ابشر ياجيد دياب بعيد بيرتدي

فلما فرغ ابو زيد من كلامه راح العبد وجاب الرمل واعطاه الى الامير ابو زيد فاخذه منه ورسم الاشكال على شرح الحال وولد البنات من بطون الامهات وحرر النقط على سائر الجهات فبان له اشكال النحوس وعلى دياب الفال معكوس وعرف غريم دياب مين وهو بالقيود وسجانه يسمى حرفود وهو بحال العناء والنكود فلما شاف الامير ابو زيد هذا الحال بكى حتى ابكى كل من كان حاضر فقال له حسن لماذا يابو زيد بكيت وابكيتنا معك فاخبرهم ان دياب في قبرص عند الملك هراس وهو في

السجن يقاسي انواع العذاب فلما سمعوا هذا الكلام صاح الجميع عن فرد لسان مالنا سواك يا ابو شيبان لانك فرج الهم يا ابن العم فقال لهم سمعا وطاعة وتجهز للسفر واخذ عشرة فرسان من الفرسان الشهيره واشار يودعهم يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... الايام اكثرها عنا وصداع
الايام كم ذلت امير وسيد ... وخلت دياره بعد عزه قاع
مثل اسكندر والملوك الذين مضوا ... وسيف وبع والامير شجاع
وفرعون ونمرود ثم بن غادر ... وقارون مع هامان والاتباع
الا يا هلال اسمعوا شرح قصتي ... وكونوا لقولي يا كرام سماع
اوصيتكم لا ترحلوا من محلكم ... فكم من مليك وحاكم قد طاع
واحمي ظعون هلال يا ميرا بو علي ... بطعن القنا والماضيات لماع
امامكم جن في وسط رستن ... ثمانون الفا جاردين تباع
وحمير على الزرقاء سياج محصن ... عليهم دروع ما كنات رفاع
وقدامكم رملة فيها الجود عامر ... وفيها افرنج مثل اسود بقاع
وقدامكم السركي بن نازب ... يملك على غزه وذكره شاع
وقدامكم البردويل بن راشد ... بوادي العريش كالعقوب اللساع
قطية بها يا امير بن عجاجه ... ومن شافه يا امير عقله ضاع
ومصر العزيزة لو تري لجيوشها ... شبه الجراد على الشوامخ شاع
وقدامكم الماضي بن مقرب ... كريم المزايا في العطايا شاع
الى ان تجو للغرب ربي يعينكم ... ياما يصادمكم عا رصداع
خليفة بتخت الغرب عربيد كامر ... له حربة قالوا بطول الباع
تحذر لهم يا بن سرحان بالوغا ... ولا تسمع من جاهل طماع
وهذه نصيحة يا بن سرحان ابو علي ... وداخل فؤاد زادت الاوجاع
انا سائر لعند دياب اخلصه ... اجيبه اليكم يا حاضرين بساع
وداعي لكم يا حاضرين فودعوا ... وداع ومن بعد الوادع وداع

(قال الراوي) فلما فرغ ابو زيد من هذا الابيات ودع الامارة والسادات وركب ظهر الحصان وصار يقطع البراري والفلوات ومازال سائرا حتي وصل الى

عين البارده فجلس حتي يرتاح واذا بحاكم اللاذقة هجم عليه بالف فارس ومسكه وقال له وقعت يا ابو زيد ياصاحب المكر والكيد فقال له من هو ابو زيد انا رجل سائح فقال له نوفل انا لي زمان انتظرك هنا اما انت راح الى قبرص كي تخلص دياب بحيلك ومكرك فقال له ابو زيد ياسيدي انا من القدس وكنت في زيارة ابراهيم الخليل فخذ ذلك هذه الورقة البخور وهي من دير الحميره ودير الحميران على بركة الرحمن فضحك نوفل وقال له طحان ما يغير على كلاس واشار يقول

قال الفتى نوفل سياح الدارا ... اما انت ابو زيد يامكارا
اسمك سلامه بن رزق الزاكي ... مشهور في الدنيا وصيتك صارا
لك عزم بالهيجا كسبع كاسر ... كل الملوك بحيلك تحتارا
لولاك ضمن البدو ضل بارضه ... طول الزمان من ارضه ماسارا
اربع ملوك هلال رانت الارقى ... لك الشور اقطع من لهيب النارا
رايح وراه الزغبي كسبع الكاسر ... بالمكر والحيلة ليست زرارا
وقعت عندي زال همك يا بطل ... ابشر برزق يشبه الاطيارا
اني انا مسلم وابوي حاكم ... باللاذقية كان والاقطارا
قله ترا هراس هل ولد الزنا ... وحكم بلادي ميمنة ويسارا
وانا بقيت تحت يده حطني ... اريدك تدعي لدمه جارا
لما مسك لدياب ارسل جانبي ... وقال انظر برها وبحارا
ان كان ابو زيد يعلق امسكه ... في ذي سائح للملا غدارا
وهات لي رأسه ومالك قد وصل ... فاعود اخذ منكم دينارا
فقلت له الفين سمعا وطاعة ... وقمدت ارقب برها وبحارا
اوصيك يا ابو زيد من غدارتهم ... هؤلاء ملاعين كلها فجارا
ادخل على الهراس لا تنهاون ... واضرب بهم ياامير في البتارا
وارسل اجيك بعزوتي ورجالي ... مايتين مركب في قلوع كبارا
رد الفتى ابو زيد انا مختارا ... شكيت امري للاله الباري
ارجوه يغفر لي ويمحو زلتي ... رب كريم واحد ستاري
ياامير نوفل بالعجل اعطيني ... زورق مليح يحاكي الاطيار

وابشر بقتل الملك وحياتي ان هون المولى المظيم الباري

فلما فرغ ابو زيد من كلامه وكان اوقل مهياه له شختور خفيف وارسل معه عشرة من اتباعه بودوه الى قبرص ويرجعوا فقردوا الكتان وسافروا على كف الرحمان حتى وصلوا الى برقبرص فطلع ابو زيد الى البر وعاد فربد وحيد ماله مسعف ولا عضد سوى الواحد المجيد وهو يقول يا دليل التائهين تجعل لنا من كل هم فرج ومن كل ضيق مخرج قال فبينما ابو زيد سائر واذا اتى اليه راهب وقال له جيت يا ابو زيد صاحب المكر والكيد مثلك من يترك البر ويدخل البحر حتى تخلص دياب فلما سمع كلامه انه عرفه فقال له من يكون ابو زيد ومن هو من المكر والكيد فانك تحملت اثمي وزدت في ظلمي انا سلامه وكنت خادما في دير القائمه فلما سمع الراهب كلام ابو زيد ضحك وقال له وحق دينى انت ابو زيد الهلالى سلامه وقد ارسل نوفل معك عشرة من اتباعه اوصلوك الى هنا وعادوا وانت مرادك ان تخلص دياب من الاسر فوالله لابدان اذيقك انواع العذاب وهجم عليه وسحب السيف واراد ان يبطش به فلما رأي ابو زيد منه هذا الحال خاف على نفسه من الوبال وسحب النمشه من المكاز وضربه على هامه رما رأسه قدامه وسحبه الى حفرة رماه بها وطمه وسار الى قبرص بقلب مثل الحديد الى ان وصل باب المدينة فرأي الهراس خارج بجماعته الى الصيد والقنص فعرف ابو زيد انه الملك فتقدم اليه بقلب اقوى من الصوان وسلم عليه بافصح لسان وسحب المبخره وحط بخور فعقد الدخان وقال هذا البخور من ديز الحيروان وطلع ثلاث شمعات وقال خذ هذه من دير البنات ودير الحميره المباركات فقال الهراس وقعت يا ابو زيد وكيف خلصت وانا مربط عليك الطرق فقال سلامه لا تقول هذا الكلام يا ملك الزمان انا خادم لك مثقال ولى مايتين عام سايح ماخليت دير ولا صومعة ولا مجلس وانك احتلت على دياب واسرته لانه قتل بدريس فقال الهراس يا راهب امادياب فقد مسكناه وفي الحديد رميناه ولكن بحياتي عليك انك بعتك الملك مثقال فقال له ابو زيد اى وحق الاله المتعال فعندها اخبره الهراس كيف عمل في دياب فقال ابو زيد شاباش لك من هذه الحيلة التي تعجز عنها اشد الرجال ثم انهم ساروا ودخلوا الى الديوان وامر لابو زيد بالجلوس فجلس وبالطعام فاكل ثم بدا ابو زيد يحدث الملك حديثا ماسمع مثله في طول عمره حتى ولا

العلماء والفلاسفة فسر منه جدا ونادى في اكابر ديوانه بان يكرن ابو زيد الكبير فيهم جميعا فتكدروا من هذا الكلام وقالوا كيف تقيم هذا الرجل الغريب رئيسا علينا كلنا لعله اعلم منا فاجابهم الملك الذى يريد منكم ان يسأله شيئا فليتقدم فعندها تقدم رجل اسمه نعمه وقال له يا ابو زيد حيلتك لا تجرى علينا فقال سلامه يا هذا لا تتكلم فى هذا الكلام ومن اخبرك انى ابو زيد فقال له بين عندى فى الرمل ولكن اريد ان ارى عليك رموز ان عرفتها خلصت وان ما عرفتها قتلت واشار يقول

يقول الفتى نعمه بما جرى ... اسمع كلامى انت يا سحارى
ان الملك هراس سواك قاضى ... وراح جاب دياب هل غدارى
وانت عامل ذى راهب وارد ... وتريد تاخذ لدياب بالثار
ان كنت عارف بالرواهب قل لى ... عن عظيم مرفع المقدار
خلق من الارض بساعة الرضى ... وفضله المولى الاله البارى
ما فى الخلايق قط مثله اخر ... ويعبد الله إله ونهار
هذه طريحة فضلها يا سلامه ... والا انت ابو زيد يعلمك يارى
قاعد تفك دياب بهذه الحيلة ... كل الحيل عندك وسيطك جارى
رد الراهب سلامه بلا خفا ... القلب من بين الحوانح طار
نعمه تادب ثم لم كلامك ... تحسب باني راهب مكار
الا انت يا مسكين تعترض ... فى مسائل ما سمعها شطار
ودرت انا كل الديور جميعها ... ما احد منهم قال انا مكار
القمامة كنت انا خادم فيها ... فى الصخرة الصماء بنيت الدار
ان الصلاة والعبادة ربنا ... فضلها المولى العظيم البارى
آدم خلقه من وسط التراب ... من جميع الارض والاقطار
هذا سؤالك وهذا هو قولك ... وانت اسمع لى كلام جهاري
اخبرنى عن طير ماله ثنى جناح ... ولا فى الطيور مثله طياري
كل الطيور تطير من فوق رأسه ... يحط فوقه كل طير طار
لا أكل يا كله ولا ماء يشربه ... كل البرايا صوبه تندار
وان اكل ما احد يقدر يشبعه ... يا كل مدينة كبارها وصغار

وان شرب تلقاه وسط المياه والماء يعدى ميمنة ويسار
فيه منافع للبلاد جميعها حتي ببطنه يشعلون النار
ان كنت بتريد المسائل عندى من كل عالم مثل بحر جار
معى مسائل من زمان جدودي حيرت فيها كل عالم قارى
هذا ماقال الراهب سلامه الله يفعل كل مايختارى

فلما فرغ سلامه من كلامه ماحد رد عليه جواب ولا كلمة تقال الهراس لماذا لاتردون جوابه تقدم كبير الرهبان وكان حاضر ضرب الرمل فعرف انه ابو زيد فقال الجميع هذا كبيرنا اذا انقلب نكون انقلبنا وكان يسمي ابو برناس فتقدم لعند ابو زيد واشار يقول

قال الراهب ابو برناسي اسمع قولى ياقاسى
شربت الخمر ودست الجمر وخيل الخمر حمى البرجاسي
انا لك ضد بهزل وجد وحق العهد وابو شماس
دخلت المكر وبحر الفكر وماء السكر وام الناس
وماالمكروم وما المحروم وما المفهوم بغصن الآس
وما البنتين لهن بعلين وما الشيخين وما الرفاس
وما المحروف وما المطروف وما المعروف وما الجلاس
وما الرادى وما الكادى وما الشادى وما المرتاس
مؤالى جيب ان كنت لبيب بسلا تجيب ولا ملاس
رد سلامه ياجلاس انتم ملوك خيار الناس
كونوا شهود على الراهب شهادة حق بغير اكاس
وشوفوا السيد من الخادم وبن اللاش من بن الناس
سيدكم هذا مجنون ماله عقل خفيف الراس
ولا له عقل ولا تدبير ولاله شور ولا احساس
اما المكروه واما المحروم وما لقوا ابليس وخاس
اما المفهوم جفاه النوم وليس يردم لحفنه نعاس
اما البنتين فلهم بعلين بيد شيخين راوى نخاس

اما المعروف ابليس يطوف له شرشوف فتن للناس

اما المحروف خليل الله اما المظروف الخضر العباس
اما الهاجوس لنا جاسوس حاسد وتعوق خفيف الراس
اما الرادى نسيم الريح اما الكادى عقرب الكاس
اما الشادي دنى النفس من المسكر نيم النعاس
فهى حواء خلقت كالبدر بوجه منير كما المقياس
آدم قام يريد لها اتاه الوحي بلا قرطاس
سلامه قال زكى الخاطر شرحت سؤال ابو برناس

(قال الراوى) فلما فرغ ابوزيد من كلامه تعجبوا الحاضرين من فصاحة لسانه فابقى عند الهراس اكبر منه وقال له تمنى على ما تريد يا سلامه قال له اريدان ترينى دياب حتى اشفى قلبى منه بالعذاب فامرهم بما قال فعند ذلك قاموا فى ساعة واخذوه والشمع قدامه اشعلوه وساروا حتى وصلوا الى السجن فدخلوا والمشاف دياب فى هذا البلاء والعذاب غاب عن الصواب وتقدم الى عنده ورفع يده وضربه كف طير الشرر من عينيه فلما دياب وصاح الله يقطع عينك فقال له وانت الله يقطع عمرك من هذا السجن ثم انه خرج من عنده وتوجه الى عند الهراس وقال يا ملك الزمان هذا دياب ما بقى ينفع قال له الهراس كيف يكون الرأى عندك فقال ياسيدى فكه من الحديد والبسه شى جديد واطلعه الى القصر واطعمه دجاج وخبز كاج حتى يسمن ويعود يصلح للعذاب فقال الهراس اطلعوه فطلعوه وعمل فيه مثل ما قال الراهب سلامه وقال دياب من ساعة الى ساعة يفرجها رب الارباب واما ابو زيد لم يزل يرسل الى دياب الاكل على اتم المراد وكان مراد ابو زيدان يرد دياب الى عافيته لانه قد انسلا من كثرة الجوع ولا عاد عنده قوة ولا حيل قال واستقام ابو زيد عند الهراس فلا يعلا عليه احد من الناس فسمع فيه راهب من الرهبان وكان يسمى مغلوب بن توما فركب واتى الى عند الهراس فلما وصل الى المدينة قامت الضجة وقالوا يا ملك اتى مغلوب بن توما فركب الهراس ولاقاه وسلم عليه فراد سلامه قال له لماذا ياسيدى لم ترد سلامي قال كيف اراد سلامك وعدوك ابو زيد عندك واتى الى هذه الدار لاجل خلاص دياب المفوار فقال الهراس ما الا اخذ احد ظلم وعدوان فقال مغلوب هذا يتكلم بالسبع لغات و يصبغ حاله طبع صبغات لانه غضبه من الغضبات وانا ما لى به غرض

ولكن غيرة ومحبة واخاف ان يقتلك ويخرب بلادك فقال له الهراس اذهب معي ياسيدي الى الديوان وشوفه فساروا الى الديوان ولما دخلوا التفت الهراس الى الراهب سلامه وقال له انت ابو زيد صاحب المكر والكيد وآتى تفك دياب من البلا والعذاب وحضر من يعرفك وجيت سحرتنا في مكرك فقال سلامه من الذى حضر وعرفني قال له مغلوب يعرفك وهو عالم بلادنا وخطيب ديارنا فلما تم الهراس كلامه الا والراهب سلامه يبكي بكاء اشديدا وقال يا ملك مادام كل من اتى اليك تسمع كلامه انا ما بقي لي عندك قعود واشار اليه يقول

قال الفقي الراهب سلامه يا ملك ... اسمع كلامي انت نابدها السؤال
من عند مثقال اتيت لعندكم ... ودرت قبرص والسهول مع الجبال
وجيت الى عندك وقد اكرمتني ... واعطيتني كل الرواهب والموال
وعلى الجميع قد رقيتني ... وجعلتني ملك احكم بالرجال
وكل من يسمع فضلك يا ملك ... يبقى بنيران الحقد في اشتعال
هات لي مغلوب ياتي بالعجل ... ينظر الى وناظمه بين الرجال
ان قال اكيد هذا ابو زيد الذى ... يحكوز عنه من جبال الى جبال
هاته وخابرة واثبت شاهده ... والحق ما يخفى على اهل الكمال
افعل معي ما تريد وتشتهي ... وعود اشبحني على روس الجبال
وان ما ثبت ويطلع كاذب ... من اين اتى له ابو زيد الهلالي
وانا ورائي الف عابد سايحين ... ما كولهم عشب الفلائم الزلال
وصايمين الدهر عن كل الخبز ... ما يعرفوا الحيل ايضا والجمال

فلما فرغ من كلامه قال الهراس تحقيق هذا فعل الشيطان قوم روح الى عند مغلوب هذا وهما في الكلام الا والراهب داخل عليهم قاموا له على الاقدام وسلم عليهم وقعدوا عليه ثم التفت الى من حوله وقال هذا الراهب سلامه قالوا نعم قال لهم من اين انت يا راهب قال انا من بيت المقدس قال هذه اول كذبه وانا الى اربعين عاما في بيت المقدس ما سمعت في راهب سلامه قال ابو زيد انا مثلي ما يدخل جدار ولا يأوي عمار انا كنت سايح في رؤوس الجبال قال له طلعت يدك يا محتال ولكن اقرأ لنا الانجيل فقرأه فقال له اقرأ لنا المزامير فقرأه وقال السواعي وغيرها من الكتب فقرأها في لسان

مثل المبرد فتعجبوا الحاضرين منه غاية العجب وقالوا مسلم مايعرف يقرأ كل ذلك قال لهم مغلوب هذا يعرف السبع السن يقرأ فيهم واشار بساله و يقول

قال مغلوب بن توما الموجعى ... افهم كلامى ياسلامه واسمعي
فدجيت تاخذ الى دياب بمكرك ... وتروح الى اهلك وعنا تطلع
نحن سمعنا فيك داخل ارضنا ... انك حرامى الخلايق مدعى
ودخلت فى علم النصارى واكد ... تعرف الاديان لا يا مدعى
ان كنت راهب عن مسائل قل ... لى ان كنت شاطر لا تكون مصيعى
اخبرنى عن شجره طويله فرعها ... وبها ثمار مثلثة ومربعى
واخبرنى عن شيخ مصلى دائم ... مفطر ولا يدخل لمعبد يركعى
واخبرنى عن حرمه تصيح بصوتها ... والخلق تهواها واليها تهرعى
رد الجواب ان كنت عارف راهب ... والالتوبك والبرنس اقلعى
لا تحسب ان العلم عقب من لبن ... لما تريد تجى اليها تركعى
اليوم يا ابو زيد لا وربك العجب ... عن كل مساله بها لا تسمعى
هذه مسائل بن توما ردها ... ارمى للبسك ثم قوم واطلعى
رد الفتى الغريب المسمى سلامه ... اصلى من قدس الشريف وموضعى
وانت تنسبنى لابو زيد الامير ... حاشا الدينى بين الانام اضيعى
وانت ترمى لنا مسائل معجزه ... عندك ولكن عندنا لا تسمعى
صبيانا بالقدس بلغوا فيها ... ومشهور بن بين الناس ايا مدعى
تقول عن شجره طويلة فروعها ... آدم وحوا النيل منهم منزعى
وتقول عن نور يضىء بجنح الدجى ... فوق الظلام وللظلام يفرقعى
هذاك نور الصبح لما ان قضي ... يغدى الظلام بسرعة يتفرقعي
وتقول عن شيخ مصلى صايم ... مفطر لا يدخل لمعبد لا يركعى
هذاك طير الليل دايم ساجد ... صايم ويا كل دود مايترجعى
وتقول عن حرمه تصيح بصوتها ... والخلق تهواها واليها تهرعى
هاتيك دنانا نجول وتنقلب ... وتميل مثل الملح مايترزعى
هذه رموز قد شرحت فصولها ... اخبرنى عن خمسه وسته واربعي

خانوا من الصخر الاصم جميعهم ... ما كولهم نار تهب وتلدعى
واخبرني عن حرمة تواقع بعلها ... الفين مرة بفرد يوم و تقلعى
ويحوا الملابط مابتواصفوا ... والشخص منهم للقلوب يروعي
واخبرني عن اربع بنات بكر ... من شانهم فوق الوطا يتضرعى
وقل لى عن نفر نقير ومنقر ... والسكير والكار ابن بيظلعى
وقل لى عن شلا وشل وشله ... والشحط والشاحوط والترجعى
والزهل والزهمول ابن مكانهم ... واليسط والنبطان والمزعزعى
رد الجواب ان كنت عارف فاهم ... والا فقم من قبالى واطلعى

فلما فرغ من كلامه تعجبت الناس من فصاحة لسانه وعلمه و بيانه اما من مغلوب قال له الملك علامك ما ترد جوابه وقد ارميت عليه مسائل ردها قال يا ملك انا ماقلت لك هذا نقمة من النقمات ولكن هذا ابوزيد هذا ابوزيد هذا ابوزيد ان ردت قتله وان ردت ابقيه فقال له الهراس كيف تقول يا راهب سلامه فقال يا ملك الليلة امسي المساء ولكن ابقيها الى الغد وانا الليلة اختلى فى ذاتى مع ساداتى الذين ربونى من صغر سنى وما اظن انهم ينسونى ومن هذا المشكل يخلصونى وانا ماذا قالوا لى غدا اخبرك وانفض الديوان وتوجه ابو زيد واختلى بنفسه ثم احضر دهن الشمندل ودهن به جسمه واذا لمس قنارما تؤذيه وبات الى الصباح وطلع الهراس وانعكفت عليه الناس قال الهراس كيف رأيت يا سلامه فبكى ابوزيد وقال وحق الغمامه اتانى اربعين عابد وكل واحد طول اربعة رجال وعمرهم ماتركوا الصلاه وهم فى اقطار الارض طاير بن ينظرون لحال الساكين فحكيت لهم عن مغلوب فحلفوا انهم لابد ان يحرقوه وحكيت لهم عن فضلك باركوا لك فى طول عمرك وكل واحد اوهبك من عمره عام تمام فقال له الهراس جزاك الله عنى كل خير لانه زاد فى عمرى اربعين عام هذا فى اليقظة او فى المنام وكيف قالوا لك ان تفعل قال قالوا لى خلى الملك يوقد النار بالفرن وادخل الفرن انت ومغلوب والذى يكون غلطان تحرقه النار. قال الملك ماذا تقول يا مغلوب قال دعه يدخل النار قبلى هذا الشيطان الملكر فقال سلامه نعم ادخل قبل وامر ان يوقد الفرن فاوقده حتى صار جمر احمر ودخل ابوزيد الفرن من بعد ما تلا اسم الله الاعظم فعادت النار عنه باردت باذن الله سبحانه وتعالى العزيز الجبار فنظر الهراس بعد

ساعة وجده جالس كانه في روضة خضره فقال ادخلوا مغلوب فقدموه وصرخ صوت من صميم فؤاده فمد يده ابو زيد برشاشه ونثره حتى صار داخل القرن فاحترق وقضي نحبه واما ابو زيد طلع سالم فصاروا الموجودين يباركون منه واما الهراس انشد يقول

يقول الملك هراس بشاره ... تعجبت من قولك وانا مرتاب
سلامه انا اخطيت عند دخولك ... الى القرن بنار تريد لهاب
ولكن مغلوب طغاني وقال لي ... هذا ابو زيد الذي اتى وساب
وظنيت فيك القول تاريه باطل ... وعدت حقيقة مفتكر مرتاب
والحق قد بان مني وسرني ... وما عاد يا راهب عليك عتاب
اريد تسامحني الا يا سلامه ... فقال لي انا لك ما عليك حساب
رد الفتى الراهب سلامه يا ملك ... وانى لك من اكبر الاحباب
وانت تمغمغ للكلام وتنحرف ... تطاوع الى من جاك بغير حساب
انا جيت الى متقال حليت عنده ... ثمانين يوم ومثلها بالباب
وجيت لعندك حتى اشوفك ... وانظر انا عندك هلالي دياب
ولولا كلامك كنت ياخذ يا ملك ... انا دستور قبل غياب
وروح ولكن ما بقيت افارقك ... بقعد عندك حتى يقوم حساب

فلما فرغ من كلامه استعقد فيه العباد وصارت تحيه النذوره باكر وعند الغياب الى ان قرب العيد قال سلامه ارسل يا ملك نبه على كل العباد ان كل من عنده اسير يجيبهم حتى نقتلهم سويه فجمعوا الاسارى من جميع البلاد واذا هم اثنى عشر الف اسير فوضعوهم في مكان حصين وفي الليل قام ابو زيد واخذ شمسه ودخل على دياب يلاقيه في هم شديد ولكن فيهم واحد اطول من الكل اسمه عمر وكان من بلاد الشام فلما شاف سلامه قال آه يا ملعون على ما اكون مطلوق السواعد فقال له سلامه ماذا يطلع بيدك ثم تقدم اليه واطلقه وقال له دونك وما انت طالب ها انا امامك فامتعد عمر واطبق على ابو زيد فالقاه بقلب كالحديد ومديده الى وسطه ورفعه الى فوق رأسه وخبطه بالارض كاديدخل طوله بالعرض وقال كيف رأيت نفسك فعندها اشار عمر يقول

قال الفتى عمر اسير الذي شكا ... ولي قلب زاد اليوم بالحسرات

سلامه مسلمنا من القتل والعنا ... ارميت وسط قلوبنا رهبات
ولما نظرنا الضوء بالليل قد اتى ... ولا رجل الا قلبه قد مات
فنحن غرباء من بلاد بعيدة ... ولا رجل الاوقلبه قد مات
وراحت تجارات لنا واموا لنا ... وجابونا الى ارضهم عرات
ورعونا الخنز برو للوحش بالفلا ... وقد طحنونا الماء بالراحات
لكن انت رسمت فينا وجتنا ... حتى تقربنا فدى حسرات
كلاب نحن اوغنم وسط روضة ... والا تيوس تابعة عنزات
سالتك بعيسى ثم مريم تجيرنا ... واعتقنا تبقى لك الخيرات
ماقال انفق عمر الاسير الذى شكا ... وعزى تقطع فات منى فات

قال الراوي فلما فرغ عمر من كلامه وابوزيد يسمع نظامه قال له لاتخاف عليك الامان انت ودياب وجميع الاخوان واشار اليهم هذه الابيات

قال ابو زيد الهلالى سلامه ... اسمع كلامى ياامير دياب
وانت ياعمر الاسير فابشر ... السعد جاء والهم عنك غاب
وكلكم ياذا الاسارى ابشروا ... لاتحملوا هما ولا انكاب
انا ابوزيد الهلالى سلامه ... قد جيت اجعل هل البلاد خراب
انى لاجل دياب جئت اخلصه ... واقتل الهراس والحجاب
قد جيتكم ياذا الاسرى كلكم ... وجميعكم والقلب فيكم طاب
اريد ان نهجم ببطش كانا ... ونغار على الهراس ليس نهاب
نقتل اكابرهم ونمحى اثرهم ... وكبيرهم نسقيه كاس شراب
قوموا ادخلوا الزرد خانا كلكم ... وتسلحوا بسيوفها وحراب
ثم اطلع حتى نروح لقصره ... ونصيبه فى موضع الينا صاب
ونجيب الى نوفل نحطه موضعه ... ويعود حاكمها ولا يرتاب
ونروح الى ارض لنا وبلادنا ... ونشوف الى اولادلنا وحباب
ويزول عنا الهم ايضا والعنا ... وتزورنا الارفاق والاصحاب

فلما فرغ ابوزيد من كلامه فرح دياب فرحا شديدا مما عليه من مزيد والاسرى دعو اليه بالتوفيق ثم اخذهم الى الزردخانة فاخذوا منها ما يحتاجون ثم ان ابو زيد ارسل

عمر مع الفين من الشباب ورطوا الطريق والابواب وفرق الباقي في جميع انحاء البلدة واخذ معه دياب والف فارس وسار بهم نحو السرايا ودق الباب فرد عليه الحارس فقال له ابوزيد افتح انا الراهب سلامه ففتح ودخل الامير ابوزيد وضربه بالسيف قطعه نصفين ودخل على الهراس مع رفاقه لقاه نائم على فراشه فرفسه برجله فقاق وفتح عيونه يرى الموت الاحمر فوق راسه فقال من انتم ياقوم فاجابه ابوزيد انا الراهب سلامه الذي اسمي ابوزيد وهذا اسيرك دياب قد خلصته من اسره فاشار الهراس يترجاه ويقول

قال الفتى هراس من قلب حزين ... ايا ابوزيد انا واقع دخيل
ارجوك ياامير اقبل رجوني ... مايقبل الرجا الا الاصيل
حاشا لمثلك ان يخيب قاصده ... اجير لقاب قد عادوا قع ذليل

قال الراوي فلما تم الهراس كلامه الا واشهر دياب حسامه وضربه على هامة رمى رأسه قدامه واخذا اثقاسه ثم تفرقوا في الاسواق والازقة وعملوا السيف بمن لم يطع حتى قتلوا اثني عشر الفا وباقي الناس طلبوا الامان ووضعوا المحارم في رقابهم فعفوا عنهم وطلع منادي ينادي في الامان وجلس ابوزيد في الديوان واتى لعنده الاكابر والاعيان وكان بين ابوزيد ونوفل اشاره وكانت مراكبه دائما في البحر فرفع ابوزيد الاشارة فحالا تقدم نوفل بمراكبه نحو البنط وصعد الى البر فذهب ابوزيد ودياب لاقوه وسلموا عليه ورجعوا به الى الديوان والتفت ابوزيد الى الحاضرين من اعيان البلدة وقال لهم لقد وليت نوفل حاكم عليكم ولا احد منكم يخالف له امرا ثم مدوا مائدة الطعام والشراب فاكلوا وشربوا واشار ابوزيد يقول

قال ابوزيد الهلالي سلامه ... الا اسمعوا ياجملة الخلان
ياهل قبرص اسمعوا الى جميعكم ... كونوا جميعا كلكم اخوان
وانت يا نوفل فكن عليهم ... شفوق لاتظلم الى انسان
وانت مثلي اني وانا مثل والدك ... وقلبي يحبك والنبي العدنان
عملت معي معروف مالقيتني ... على العين انقدا وانا غميان
واياك ان تظلم يجازيك ربك ... اذا قمت من قبرك غدا عريان
واعطيتني مركب صغير نزلته ... وارسلت من قومك معي غلمان

وقد اوصلوني لجزائر قبرص وردون عني والحشا فزعان
ودبرت احوالي ونلت مرادي قلت الى الهراس هل الخوان

فلما فرغ ابوزيد من كلامه شكروه على مقاله ودخلوا الى دار الهراس فوجدوا المال الذي فيها لا يعد ولا يحصي فاخذوه ووسقوه في المراكب ودعوا نوفل وسافروا وبعد ثلاثة ايام وصلوا الى دبر اللاذقية فارسل ابوزيد من يبشر الامير حسن وبني هلال بقدومهم فقامت عندهم الفرحات وعلت الضجات وزغطت النساء والبنات ودقت النوبات وركبت الاربع كرات والامارة والسادات وساروا حتى وصلوا لعندهم فلما وقعت العين على العين ترجل الفريقين وسلموا على بعضهم البعض سلام الاحباب وهنوهم بالسلامة ثم حملوا الاحمال وساروا. اما الاساري فبقوا ماشيين في عراضة قدام الامير ابوزيد الى ان وصلوا الى الخيام فلاقتهم النساء والبنات بالزلاغيط والنوبات وهنوا الامير دياب بخلاصه من الاسر والاعتقال وشكروا الامير ابوزيد على حميد افعاله والخصال وصرفوا ذلك النهار بالفرح والسرور والغبطة والحبور وعمل الامير حسن في اليوم الثاني وليمة عظيمة لها قدر وقيمة ومازالوا على تلك الحال وهم في ارغد عيش وانعم بال مدة عشرة ايام وبعد ذلك صمموا على الارتحال من تلك الاطلال فهدت الخيام وانتشرت الرايات والاعلام وركبت السادات ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وركبت النساء والبنات في الهوادج والعماريات وجدوا في قطع البراري والفلوات طالبين ارض عنتاب حتى وصلوا اليها بعد ايام فنصبوا المضارب والخيام ورفعوا الرايات والاعلام

انتهى الجزء الثامن من تغريبة بني هلال ويليه الجزء
التاسع وهو يحتوي على قصة ابو بشارة
المطار الحاكم على قلعة صيهون
وتلك الديار

الجزء التاسع من تغريبة بني هلال

وهو يحتوى على قصة ابو بشاره العطار الحاكم على قلعة صهيون وتلك الديار وماجرى له مع بنى هلال واسر حسن ودياب وغيرهم وذلك بالسحر والكهانة ومجيء ابو زيد وماجرى لهم بعد ذلك من الحروب والاهوال

(قال الراوي) لما رجعوا بنى هلال من قبرص واجتازوا فى طريقهم ماردين التفت حسن بن سرحان الى الامارة والفرسان وقال لهم ياقوم مرادنا هذا اليوم ان نذهب الى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص فماذا انتم قائلون فقالوا له نحن لك طيعين ثم فى ساعة الحال نهض الامير دياب والقاضي بدير وسار وامع حسن يجدون السير ويسابقون بمسيرهم الطير وما زالوا سائرين من مكان الى مكان وهم يطاردون الارانب والغزلان حتى وصلوا الى ارض يقال لها قلعة سواكن . فبينما هم على هذا الحال واذا لاقاهم رجل عطار ذو هيبة ووقار وقدامه حمار واضع عليه آلة العطارة فلما اقبلوا اليه سلموا عليه فاردعليهم السلام بل انه قال لهم وقعتم ياارباش لابد ماقتلكم وارتاح الدنيا منكم ثم تقدم الى حسن وقال له ويلك الى ابن سائر فى هذه الاطلال انت ودياب وبدير ابناء الكلاب والله لاعذبكم اليم العذاب ثم انه وقف حماره وهز بدماغه واشار يقول

يقول ابو بشاره الساحر العطار	والنار فى قلبي تزيد لداعى
ياامارة اسمعوا لى وافهموا	لابد ماتفدوا في الفلا قطاعي
قتلتم امارا لانظير لها	لابد ماتفدوا في الفلا قطاعى
لابد ماخذ انا لثارهم	وادعيكم بالماضيات قطاعى
يادياب انا لاعمل عذابك شهرة	و يشيع صيتك بالورى و بطاعى
يابدير انت رجل هزيل مقرقع	انت مهبول وكان عقلك ضاعى
ياحسن بعامر على الامارا بالقتل	وكان حق الله عندك ضاغى
فى هذا اليوم لاريك خلافه	انا ابو بشاره وكنيتى عطاري

(قال الراوي) فلما فرغ ابو بشاره العطار من كلامه والامارا يسمعوا نظامه قال له حسن اصمت قطع الله لسانك فعند ذلك صاح القاضى بدير وارنمى على ابو بشاره

مثل الطير واراد ان يرتاش به فصاح به اجمد بالقدرة فالتام كلامه حتي ارتخت أعضاؤه وكذلك حسن صار فيه مثاله فلما نظر دياب هذه الاحوال خرج عن دائرة الاعتدال وانحدف عليه وانشد وقال

يقول الفتي الزغبي دياب الغاشم ... ونيران قلبي زايدات سعارا
ابو بشاره بالعين تادب ... اظن عقلك من دماغك طارا
يا كلب ياغدار تندر بالملوك ... يا بايع الفلفل مع الجنزارا
فلابد ما فرق عدولك على العرب ... وفرق عليهم نلفلك وبهارا
وغنم النسوان انا بعطارتك ... واجعل قتلك بالملا تذكارا
وخلي حمارك ينسحب لبيوتنا ... واخذ ثيابك احرقها بالنارا

(قال الراوى) لما فرغ دياب من كلامه وابو بشاره يسمع نظامه اغتاظ منه غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقال له لماذا تكلم بهذا الكلام على ابو بشاره الاسد الضرغام ولما سمع دياب كلامه حمق منه وصاح فيه وقال اليوم يومك يا بن اللئام ثم انه قوم الرمح العسال وقال له خذها من دياب الاسد الرئبال فاراد يطعنه فلما نظر ذاته الامكتف مكشوف الراس بلا لباس حافي الاقدام فعند ذلك صاح فيهم ومشي قدامهم فتبعوه مثل الغنم وكل منهم صار في حالة العدم قال ومازال سائر فيهم حتى وصل بهم الى قلعة صهيون فاحضرهم قدامه واراد ان يسقيهم كاس المنون ثم ادخلهم الى السجن و وضع لهم الحديد والاغلال وقال لهم ما بقى لكم خلاص من ضيق الافقاص

(قال الراوي) هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر ابو زيد فانه كان غايب في الصيد والقنص فلما رجع الى الاطلال ما وجد حسن والابطال فسال عنهم بعض الرجال فقالوا ساروا على الصيد والقنص ولهم يومين في تلك البراري والاكام وهذا ما نعلمه يا بن الكرام (قال الراوى) فبينما هم في الكلام واذا بالذين كانوا مع الامارا شاردين في تلك الاكام فسالهم ابو زيد عن حسن والامارا فاعلموه بهذه الاشارة فلما سمع ابو زيد هذا الكلام غاب عن الصواب وصار في حساب وامور صعاب وصفن ساعة من الزمان ثم التفت الى الامارا والفرسان وقال لهم كيف يكون عندكم الرأى فقالوا له الرأي رأيك ونحن ما عندنا راى فقامت نساء هلال الصياح والبكاء والنواح من كل جانب وناح و با توافي غم وهم شديد ما عليه من مزيد (قال الراوى) ولما

اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اجتمعت بنو هلال عند ابو زيد وقالت ما هذا المصاب وما يكون منه الجواب. قال لهم قوموا بنا في ساعة الحال لاجل تدبر عليهم في البراري وتفحص عن هذه الاحوال فعند ذلك نهضوا على الاقدام وساروا في القيافي والاكام يسالوا على امارتهم الكرام الى وقت الظهر فاوقعوا لهم على اثر فعند ذلك اخذهم الاضطراب وحثوا على رؤسهم التراب فبيناهم كذلك واذا برجل ساير في تلك الدكادك فساروا اليه وسلموا عليه فرد السلام بكل ادب واحتشام فقال ابو زيد يا اخا العرب وصاحب الفضل والادب انت من اين والى اين قاصد فقال له يا اميرنا كنت في صهيون وسافر الى بغداد وتلك العيون فقال له ما عندك من الاخبار فقال له اما لم بينما كنت نهار امس سائرا في تلك الناحية اذ وجدت ابو بشاره العطار ومعه ثلاثة اماره اخيار وهم من بني هلال ولكن واقعين في اوشيم الاضرار واخذهم الى قلعة صهيون ووضعهم في الحديد والاغلال هذا ما عندي من الاخبار واذا كنتم ذاهبين الى خلاصهم ارجعوا واستخيروا الله لئلا يصير فيكم مثلهم لانه ما احد يقدر ان يصل اليهم فقال له ابو زيد من اي شيء فقال له من ابو بشاره لانه سحار مكار لا يصطلى له بنار ولكن انتم من اي بلاد فقال له من بلاد الحسا والقطيف. فلما سمع الساعي كلامهم تركهم وسار في حال سبيله واما ابو زيد فانه قال الى فرسانه والابطال ما يكون عندكم من الرأي والارشاد فقالوا له الرأي عندك يا بن الاجواد فقال لهم ارجعوا الى الاطلال وانا وزيدان نكفي لهذه الاحوال فعندها رجعت واما ابو زيد وزيدان ساروا في تلك البراري والكثبان طالبين قلعة صهيون وتلك الاوطان واذ نظروا ابو بشارة العطار يدور في تلك البراري وسابق قدامه الحمار فلما نظرهم وقف حتى وصلوا اليه وصاروا بين يديه فصاح فيهم ويلكم ايها الانذال وقعتم في اوشيم الاحوال وقعت يا ابو زيد انت وزيدان وتظنوا ان مكركم يدخل على والله يا ابو زيد لا بد عن قتلك واريح الناس منك. فقال ابو زيد من عرفك فينا حتى تعادينا فقال له انا عارفكم من وقت ما خرجتم من اوطانكم واشار يقول

يقول ابو بشاره الامير الذي شكا ودمعي جرى فوق الخدود بدادى
ونيران قلبي كلما اقول تنطفى قد هب لاعجها وزاد وقادى
ابو زيد من اين ياغدار جيتنا يامن بسيطك في الملا و بلادى

زيدان انت بقيت الان اسيرنا ... سالقيك على وجه الصعيد بدادى
واما ابو زيد ادعيه ماقى مطوح ... ودمه فى وسط الفلا بدادى
واليوم يوم العز لاازيد خلافه ... ولى عزم امضى من سيوف حدادي
واما ابو زيد بارض عتاب شفته ... عمل صفة جارية فى دق بدادى
ابو زيد قتلت عزاز فى حيلة ... يتمت اولاده وكل بلادى
والله لاجعل قتلكم دابى ... واقطع لروسكم من بين الابنادى
اخاف ياابو زيد تعمل جيل تذكر ... وتفك الى رفقتك من قيد حدادى
لادعيك تغدو بالجبال مسوسح ... بالزلط تبقى ودمع العين بدادي

(قال الراوى) فلما فرغ ابو بشاره من كلامه والامير ابو زيد يسمع نظامه اغتاظ غيظا شديدا وقال له سد فمك لعن الله ابوك وامك وما انت الاملعون يابايع القلفل والكون روح وبيع عطارتك على النسوان ولا تعارض الفرسان واشار يهد عليه يقول

قال ابو زيد تخسا ياردي تخسا ... انا ابو زيد حاوى جميع اوصافى
لابد ماقتلك واقتل الى حنا ... لو كان عندك ثلاثين الف سيافى
زيدان اسحب لسيفك واقطع رأسه ... واحدف الى رقبته من الاكتافي
عطار عمرك خلص ماعادلك نجا ... ياناقص العقل يامعدوم الاوصافى
انا ابو زيد وكل الناس تشهد لى ... قرم صميدع من نسل الاشرافي

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه وابو بشاره يسمع نظامه غضب غضبا شديدا ماعليه من مزيد وزاد فيه الهم والتنكيد فعندها سحب الامير زيدان حسامه وغار عليه يريد اعدامه فما نظر حاله الا وهو مكتوف وراسه مكشوف ووقف قدامه بلاشاش ودموع رشاش فلما نظر ابو زيد ماصار في زيدان خرج عن دائرة الاعتدال وزاد به الهم والخبال وماهان عليه فى تلك الاسباب بل سحب سيفه القرضاب وهجم عليه هجمة الاسد الريبال وقال له ويلك ابن الانذال دع عنك هذه الاحوال فلما نظر ابو بشاره من ابو زيد تلك الفعال خاف من شرب كاس الوبال فقبض كمشة من التراب وعزم عليهما ثم حدفها على ابو زيد واذا رجليه قد يبست في الارض وكذلك يداه يابسات ومرفوعات الى فوق رأسه فعدم عقله وحواسه ثم ان ابو بشاره زعق فى ابو زيد صوت هائل كانه الرعد الصائل ورفعه في يده ماشاف

ذاته الاوهو طائر ما بين الارض والسماء واما زيدان فجره ذلك الملعون ووضعه في حبس صهيون فقال له حسن وانت ما جابك الى عندنا يا امير زيدان فقال لهم وقعة ملعونة ما لها الا الله واشار لهم بقوله

يقول الفتي المسمى زيدان بن غانم ... ونيران قلبي زايدات لفاح
انا كنت مع ابو زيد بالبر سايرٍ ... ندور عليكم في مسا وصباح
فلاقانا العطار الكهين بدربنا ... تاريه سحار مكار ياصاح
فصاح عليه الامير سلامه وقال له ... من هنا ماعادلك نجا ورواح
وصاح على صوت مثل رعد قاصف ... وقعت مرمى على الوطى بشباح
وابو زيد ما نظرته اين غدا ... ياحسرتي ما اعلم لاي ارض راح

(قال الراوي) فلما فرغ زيدان من كلامه والامارا يسمعوا نظامه قالوا مليح هالملعون يجينا واحد بعد واحد وعادوا في حساب وامور صعاب هذا ما كان منهم واما ما كان من الامير ابو زيد فانه ماوعى على ذاته الا بين بيوت بني هلال يبكي بدموع سجام وينعى اهله والاعمام ويضرب بيديه ذات اليمين والشمال فلما رأته بنو هلال بهذا الحال قاموا عليه الصياح من كل جانب وناح وقالوا يا ناس ابو زيد والان يبكي وبان ثم انهم تقدموا اليه وغاروا عليه وقبضوه وحطوا القيد في رجليه وبقي اعلى هذا الحال مدة ثلاثة ايام مع ليال وهو ما يعرف ذاته في اي مكان ثم اجتمعوا عليه الفرسان وصاروا يؤانسوه بالكلام فعند ذلك صحى من الاوهام فقالت اكابر بني هلال الى اي متى هذا الحال يا ابو زيد وما الذي عامل فيك هكذا فقال لهم انا اين وانتم من تكونوا فقالوا له نحن اهلك واحبابك بني هلال فعند ذلك صحي مليح وعرف من عنده وضيح واشار يعلمهم بهذا القصيد يقول

قال ابو زيد الهلالي سلامه ... ونيران قلبي زايدات ضروم
يا آل عامر يا اجواد اسمعوا لي ... فيما جرى لي يا ناس هذا اليوم
علمي انا والفتي زيدان قدامي ... في فرد ساعه عادنا باقروم
وقال لي انت غدار تغدرني ... اسمك سلامه وانت داير على القوم
فقلت له سلامه ما انا خايف ... يا كلب يا ملعون يابن الشوم
فصحت في زيدان اقطع رأسه ... ادعى هذا الكلب وسط الدم يعوم

فصاح ياناس بزيدان أوقفه مربوط في شاشه بقى محزوم
لما نظرت انا ياهلال فعاله بقيت بحال الذل شبه البوم
صرخ على وبيده اومانحوى ماعاد لى حيل حتى اقوم
وجدت نفسي بين العرب واقف شاهى كاني ياناس في نوم
عمرى مارأيت بالناس مثله ابو بشاره دهانى انا ياقوم
ياهلال ماذا العمل والرأى قولوا ارواحنا فى سبيل الله بنسوم

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه وبنوهلال يسمعون نظامه واذا بالامير غانم ابو دياب مقبل عليهم فدخل وسلم فردوا عليه السلام وقاموا له على الاقدام فنظر بينهم فما رأى اولاده فزاد همه وغمه وقال يا ابو زيد ابن اولادى وثمرة فؤادى فاخبره بما جرى وصار فلما سمع هذه الاخبار طار من عينيه الشرار وصاح صوتا من صميم فؤاده ووقع مغشيا عليه وغط على قلبه ساعة من الزمان فاستفيق وعاد يصيح ابن دياب ابن زيدان فارس الفرسان واشار يقول

يقول الفتى غانم على ما اصابه ونيران قلبي زايدات شعال
ياأمير اسمع الى كلامى وافتهم يافارس الفرسان يوم نزال
انت ابو زيد الامير سلامه ريت عمرك قط ماتنظر هوال
ابن زيدان المسمى مع دياب مرعب الفرسان فى سوق الجمال
اين ابو تكنا بدير الفايد قاضى هلال مامثله مثال
اربع فرسان في يوم الحروب مال فيهم الدهر ياأمير مال
أتوك جميع هلال ياامير الملا يافارس الفرسان يامفضال
وكلهم منك يريدون الفرج يا ابو شيبان يافارس هلال
انهم مايوم جابوا لك قبيح تاجر فيهم ترى هن الاصال
اخذت لا ولادى سرعة بلا بطا ابو بشاره كتفهم باربع حبالى
وانت قد ذليت انت لنحونا ماتظرنا منك قط هذه الفعال
بالقلم ياأمير ما احد يسبقك غير سعدا الق عنها يقال

(قال الراوى) فلما انتهى من كلامه والامير ابو زيد يسمع نظامه صاحت

بنو هلال صيحة عظيمة تفاق الجبال وقالوا يا بوزيد الى أى متى هذا الحال وانت قاعد بامفضال قم وسير بلاهال وانظر أحوال الامارة والابطال ونحن نعرفك ماتترك ملوك بنى هلال ويامالك عوائد واقبال وكيف عاد تجرى فيهم هذه الاحوال نحن ماذا يصير فينا من بعدهم وزادوا فى البكاء والعويل والحزن الطويل فوردت اليه جميع بنى هلال النساء والعيال وقدم الجميع الجازية أم الدلال اخت حسن سيد بنى هلال ووقموا عليه وقبلوا يديه فراحت الجازية تحشمه بهذه الابيات وتقول

الجازية قالت في بيوت ملاحى	مسطرة فى كتبها وطراحى
ياحيف يابوزيد على حيل الملاحى	قدامنا تعرض في مسا وصباح
يابنات البدو هاتوا خيولهم	وسيوفهم ودروعهم ورماحى
حتى ندور على الامارا كلنا	فى اكل أرض بافتي وبطاحى
ابو زيد عامل انت ملك مقدرة	نحن اليهم سائرين صباحي
انت قتلت الاربعة فى معركك	اخى حسن صيطه كسك فاحي
واخذت الى اولاد لامارا وفتهم	بالغرب عادوا فى بكا ونواحي
عمال يابوزيد تقرأ بالعذر	وتقول عقلى من دماغى راحى
مقالات فتاة الحى أم محمد	على فقد أخى ذاونى اجراحى

قال الراوى فلما فرغت الجازية من كلامها وابو زيد يسمع نظامها قامت الجازية والبنات حتى يركبوا الصافنات فقالت أمارة بنى هلال هذا شبي مايصير قوم يابوزيد وسيرانت عوايدك فارجعينا فعايلك فقال لهم ياقوم هذا ابو بشارة كهين من الكهان ومايقدر عليه أحد لا من أنس ولا من جان ولكن استعنت عليه بالله وتوكلت على الله الواحد الديان الذى لايشغله شان فارجعوا يابنات وكونوا باعظم المسرات وان شاء الله ماأبات الاوانا مخلص السادات من الاسر والشدات فبكوا الجميع بكاء شديد ماعليه من مزيد وقالوا له يابوزيد لانسير نخاف عليك من التعتير لربما يصير فيك مثلهم فقال لهم ابو زيد ما يصيبنا الا ماكتب الله لنا ثم انه قام من ساعته وشلح ماكان عليه من الثياب ولبس فى صفة درويش واخذ فى يده عكاز وابريق وكولك وسار يقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار ومازال سائر حتى انه دخل الى ضيعة من حكم تلك البلاد فبينما ينظر فى تلك الوهاد واذ يسمع صوت ابو بشارة بن الاوغاد

وهو ينادى على العطارة ياغنادرة فقال ابو زيد الله يخفى لك هل صوت ياستار استرنى من هل الجبار ثم أنه دخل خربه فى ذلك المكان وتخبى فيها خوفا من ذلك الملعون بن الانذال الى ان طلع ابو بشارة من تلك الضيعة فكان ابو زيد مشاهد اليه ثم أنه خرج من تلك الخربه ولحقه من خلف الى خلف حتى يقتله فلما قرب اليه التفت ابو بشارة نظر ابو زيد تابعه فوقف وقال اين بقيت تروح يانزل العرب وانا وراك فى الطلب تحسب انى ماشايفك من جين الذى تخبيت فى الخربة ثم قال له تعالى قدم الى عندى حتى اوريك تعتك يا كلب يامكار يامخروب الديار فلما سمع ابو زيد هذا الكلام اراد ان يهرب فى الآكام واذا برجليه لابسات ولاصقات فى الارض فقال له العطار موت كمد ولا يدرا فيك احد فسار وتركه فعندذ لك رفع ابو زيد رأسه الى قبلة الدعاء و باسط الارض على وجه الماء وقال الهى وعزي وجاهى وسندى ومولاى ورجاي بجاه كل الانبياء والمرسلين انك تغيثنى من هذا اللعين بجاه سيدى الخضر عليه السلام منجد الايتام ومغيث كل من دعاه فما اتم ابو زيد كلامه والا فاعى يقول له لاتخاف يا ابو زيد ولا عليك من باس اقبل عليك شيخك الخضر ابو العباس عليه السلام فعند ذلك انطلق ابو زيد من مكانه وسار قليل واذا فى ابو بشارة العطار مقبل عليه وقال من فكك ياغدار يامكار واشار بيده عليه فى هذه الابيات.

قال ابو بشارة انت يامكار ... تحسب بانى منك انا خوافى
تحسب بانك يافتي تغلبنى ... والا انا من عكازتك خوافى
أقلام سبعة بالحال انا بعرفها ... والرمل عندى فى الكتب أصنافى
بالسحر ماأظن أحد يغلبنى ... مافيك لى لوجبت سلافى
وانت فى ظنك ترى لى تغلب ... بعلم السكواهن خابر عرافى
وحيات راسى لاجلك عبرة ... وتموت ماأحد لك ياامير شوافي
وانت ومط الحجر لانصف منبلع ... وانت واقف وطرفك للبلاشافى

قال الراوي فلما فرغ ابو بشارة من كلامه وابو زيد يسمع نظامه فقال له ياعطار انا عمرى ماتدخلت على احد يا غوار فارجرك يافتي ان تخبرني وتطلعنى من وثاقى وانت سير واقفل كل المحابيس الذين عندك وانا بدمهم سامحتك فقال له اذا اطلقتك وسرت الى عند المحابيس قتلهم ماذا اكون عملت اكون قطعت ذنب الحية وابقيت

رأسها ولكن انا لا بد لى عن قتلك يابن الانذال وقتل محا بيسك امارة بنى هلال
فلما سمع ابوزيد هذا الكلام صار الضبا في وجهه ظلام واشار يقول
وعمر السامعين يطول

يقوله ابو زيد الهلالى سلامه ... ونيران قلبي زايدات شعال
سألتك يارحمن ياسامع الدعا ... بجاه من على الجبال قد جال
ابو بشارة ماتخاف الله ياكاهن ... اياحف رابحين ابطالنا ورجاله
لوكنت ماسور كان الاسراهون لى ... وكنيت لشوف لرفقتى ورجال
الهي بحق الحرام وكعبة الغراء ... وبجاه الانبياء وكل مفضال
بانك تجيرني من الكهين الساحر ... ابو بشارة الساحر المحتال
مقالات ابوزيد الهلالى سلامه ... ونيران قلبي زايدات شعال

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه والحق منجلى دعائه استجاب ندائه فاراد ابو بشارة يسير الا وصوت ارعده الجبال يقول الحقه يابوزيد يامفضال واسقيه كاس الوبال انا استاذك الخضر ابو العباس ماعليك يابوزيد من باس فلما سمع ابو زيد هذا الكلام ظن انه فى منام فعندما انطاق ابوزيد والحق ابو بشارة في تلك البيد ولما قرب اليه صاح عليه وقال له اين عدت تسير يابن اللئام اليوم اسقيك كاس الحمام وما عاد لك خلاص من ضيق الاقفاص فاراد ابو بشارة ان يلتفت اليه و يهجم عليه واذا بكف نزل على وجهه عقد انفاسه وجمدت عيونه وما بقى له كلام فزادت به الاوهام فسحب ابوزيد القمشه من داخل العكاز وطسه على هامه حط رأسه قدامه فوقع قتيل وفى دمه جديل ولما قتل ذلك المحتال حمد الله الملك المتعال الذي خلصه من هذه الاحوال وقرأ الفاتحة وأهداها الى الخضر ابو العباس الذى خلصه من هذه الارجاس ثم انه أخذ حماره ونزل عنه بضاعته فقردها ونظر ما فيها و بعد ذلك حزمها ووضعها على ذلك الحمار و بقى في ذاته محتار ثم انه شلح ما كان عليه من الثياب بدون ارتياب وتزيا بزى ابو بشارة العطار وساق قدامه الحمار وقال له الله يحرق عظام ابو صاحبك ابن الاوغاد وسار فى تلك البرارى والوهاد وسار على قلعة صهيون وصاح انا الحنون ساق الضد كاس المنون ومعى فلفل وكمون وحنة وأساور وابر وحلق ودهون وحمره وسيداج وخطوط ارخص لكم

البضايع فى هذه السفرة يابنات فتواردت عليه النساء من كل جانب ومكان فصار يكش و يعطى لهم بلاش من دون دنانير و يقول لهم هل سفرة كسبنا شيء كثير فعادوا يدعوا له بكل شفة ولسان فتركهم وسار فى تلك البرارى والكسبان ولم يزل ابوزيد سائر حتى انه وصل الى قلعة صهيون وتلك المعالم فما نظر الا واحد نزله واثب على الاقدام والتقاه بالترحيب والاكرام واجلسه الى جانبه على مراتبه وامر له بالخمر والشراب فقال ابوزيد فى سره انا عمرى ماشربته وكيف أشرب الان وعاد بامره محتار من هذه الاضرار فقال له صاحب القلعة وكان اسمه حنا علامك يابو بشاره ماتشرب وتطرب فقال له ابو زيد انى به حاجة حيث حلفت عند يمين جمعة كاملة انى ماأذوقه لانه فى خاطرى اقتل هؤلاء الاسارى واسقيهم كاس الذل والخسارة فقال له ونحن عندنا ننتظرك حتى انك تحضر وتفعل فيهم مرادك فقال لهم هاتوا لى زيدان لاجل اسقيه كاس الهوان فلما حضر نظر اليه وصاح عليه ويلك يابن الانذال اين رفقتك والابطال قال له فى السجن يامفضال فقال له ياجبان أنا اسالك عن ابوزيد اين هو الان فقال له زيدان ابشر باكر يجيبك ويدعيك عتيد فقال له تخسا انت واياه لازم اقتلك انت وابوزيد وحسن ودياب وآخذ منكم الثار واكشف عنى العار وأشار يقول

ابو بشاره قال يازيدان ... وحيات رأسي لاجعلك قرباني
لاعملك شهرة فى كل المسلا ... وحيات دينى يافتى زيدانى
ولاقيتكم فى الطريق عاجل جبتك ... وابو زيد يازيدان زاد جنانى
نفخت عليه انا نفخة طيرته ... وعاد يركض بالملا حفيانى
اليوم يازيدان تبقى عادم ... من يدا بو بشارة الفارس العرمانى
واقتل حسن انا من بعدك ... واقتل دياب الفارس الخوانى
واقتل بدير بن فايد يافتى ... واقتل ابوزيد على الوطا ينهانى
ياقوم هاتون الحطب ثم اضرموا ... كبريت ابيض حطوا على النيرانى
وهات جريس والكواهن كلها ... وهات يعقوب وابو سلمانى
وكل من ياخذ شقفة منهم ... و يوصل خبرهم الى جبل سمعانى
وأخذ لثار بدريس الفتى ... وثار دابق ثم ثار اخواني

زيدان لاشفى فؤادى منكم ان كنت فارس قوم هنا الفانى

قال الراوى فلما فرغ من كلامه و زيدان يسمع نظامه قال له زيدان يابو بشارة لاتخوفنى فى قولك ولا هى المراجل فى السحر المراجل على ظهور الخيل هات لي جواد وعدة جلاد وادعى قومك كلهم يلقونى فى الميدان يا كلب ياجبان وأشار يقول

قال الفتى المسمي انا زيدان ابو بشارة ما انا فزعانى
ان كنت تقتلنى فهذا يومي هذا الذى ماقدره الرحمانى
لان عمرى يافتى ماهو بيدك العمر من الواحد المنانى
ابو بشارة لاتظن انى دائر خلفى عقيد الخيل ابو شيبانى
ان كان بجانى الهى منكم لالعن ابوك من قديم الزمان
وحياة رأسى ان طلعت الى الفلا وركبت افرسى وعود الزان
ابو بشارة كيف أمرت بحرقنا وتقول قوموا اضرموا النيران
النار تحرق بالعين فؤادك ماتحرق الاسلام يا اخوان
يابو بشارة بالعين تادب ياندل ياسحار ياشيطان
قوم وانظر في المرا وجهك ما كانك الامن فروخ الجان

قال الفتي زيدان من وسط الحشا كلامى صدق مابه بهتان

قال الراوى فلما فرغ زيدان من كلامه وابو بشارة يسمع نظامه قال له يانذل ديباب قتل بن عمى ام انت وابو زيد قتلته وعلى الارض جندلته قال زيدان تقول انك عارف شاطر و بعلم السحر ماهر تاريك كذاب ومالك علم فى هذه الاسباب فقال له كيف ماأعرف ذلك وانا مالى وقائم ومهالك فقال له زيدان اعلم ان كل الذين قتلوا ماقتلهم غير دياب بن الانجاب واما انا وابوزيد ماقتلنا أحد فقال ابو بشارة هاتوا دياب ومن معه حتى ننظر هذا الارتياب فاجابوه بما قال وساروا فى الحال واحضروا دياب وبقية الابطال فحينئذ التفت ابو زيد الى دياب وقال له من قل أولاد عمى واسقاهم كاس العذاب فان زيدان يقول انت قتلتهم اصحيح هذا الكلام افيدني بالجواب قبل ان اعلى رأسك بهذا الحسام فاجابه اعلم يابو بشارة ان المكتوب يقرأ من عنوانه انظر الى كلام زيدان انت تحاكيه بالدرهم وهو

يجاوبك بالقنطار هذا كلامه في هذه الامصار وماذا يكون في البراري والقفار والله ما أنجس منه الا أبو زيد الفارس النبيد وهؤلاء الذين عليهم الكلام يا فريد فقال له ابو بشارة والله ما فيكم واحد مقصر وكلكم انجس من بعضكم البعض انت مثل الحيه التي تلسع وتخبي رأسها واشار يقول

ابو بشارة قال ابيات مرتبه ... ابيات موونه على البيكار
لا تامن الدهر عمرك ساعة ... لدهر دولا به حقوق دمار
دياب قتلت العزاز بسيفك ... حتى الخزاعي دعيته على الوطا محتار
وحياة ديني لاجعل قتلكم عبره ... يوصل خبرها الى بلاد سنجار
يا أمير انت تحدثني وما تفزع ... هل وقت أحرقك بلهيب النار
هاتوا عصاتي حتى اضربه بيدي ... انا قاهر الفرسان يوم سعار
واقتل امارتكم وكل رجالكم ... ميتين كرباج كل واحد دار

قال الراوي فلما فرغ من كلامه وقومه تسمع نظامه دعواله بالنصر والظفر ثم قال ارموا دياب فجاوبوه وطرحوه فاخذ العصا بيده وقام ليضربه فقال له زيدان مكن يدك يا بو بشارة ربت عمرك ما تشوف خسارة من بعد ذلك العذاب القيه في النار فقال دياب ويلك يا زيدان كيف يهون عليك هذا المرام يا حيف يكون ابوك غاشم وأخوك دياب فقال ابو بشارة لي زيدان ماذا يكون منك هذا هل هو أخوك فاجابه نعم من فرد أم وأب ولكن قوم اقتله يادعي من الدنيا مرتحله لانه هو الذي قتل رجالك والقانا بين يديك ظلم فقال دياب والله يا بو بشاره صاحب اللسان غلبه صاحب الاحسان والله ما مستاهل القتل غير زيدان وابو زيد لانهم قالوا أولاد عمك وهذا زيدان تربية ذاك الشيطان فقال ابو بشاره حقا انك تربية ابو زيد وعامل حالك مسكين فاجاب زيدان نعم انا تربية أبو زيد ولا بد ما يعدمك روحك مع البنين وأشار يقول

على ما قال زيدان المسمي ... مربع الخيل اذا اجواصا يلينا
مربع الخيل في يوم الوقائع ... سياج البيض اذا طلع الكمينا
انا زيدان ليس أنا مخبا ... وتربية الملوك الغانمينا
انا ابو زيد ربا حقيقا ... ابو شيبان ياعيني اليمينا

ايا ملعون بالك لا تقصر واضرب ضرب عصي الما كنبذا
أنا قلبي ما يخاف منك وحق البيت والركن اليمينا

قال الراوي فلما فرغ من كلامه ودياب يسمع نظامه التفت الى العطار وقال له سمعت كلام زيدان يا مغوار الذي هو امر بضرب البتار فقال الملك حنا صدق دياب يا ابو بشارة دعنا نقتلهم ونستريح فقال ابو بشارة ما نقتلهم حتي نجمع عليهم أهل البلاد ونستدعي رعيان قبرص وحلب وجميع من له عندهم ثار لكي يتفرجوا على قتلهم ويشربوا من دمائهم فقال له حنا افعل ما تريد ونحن عن رأيك لا نحيد يا بن الاماجيد فامر ان ياخذوهم الى السجن فاخذوهم ووضعوا لهم الحديد وقالوا لهم ما عاد من عمركم غير هذه الليلة وغدا تذبحون جميعكم ذبح الغنم ولا يدع منكم ديار ولا نافخ نار وقفلوا عليهم الباب وتركوهم يقاسون انواع العذاب فعند ذلك التفت الامير حسن الى بدير قاضي العرب وقال له ما العمل في هذه الواقعة المشئومة مع ابو بشارة والان ارسل يستدعي اهل البلاد وغدا يجتدلنا في الهاري والوهاد فلما سمع بدير هذا الكلام صكت اضراسه وبال في لباسه واما حسن فقطع الاياس من روحه وانحلت عزائمه ودياب تغيرت الوانه وحدت عيونه وصار يقول الله يضرك يا زيدان على فعلك حتى شمت علينا ابو بشاره وطمعته فينا فصار زيدان يضحك عليهم فقالوا له علامك تضحك وهذه الواقعة ما لنا منها خلاص فقال لهم اذا كان لنا عمر ما احد يقدر يقتلنا واذا كان فرغ اجلنا فحبا وكراما في لقاء الله وماذا يكون ابو بشاره حتى يقتلنا وغدا يجينا ابو زيد ويخلصنا بامر الله تعالى ثم انهم أخذوا يندبون انفسهم على هذه الواقعة الرديه وصار حسن يندب ذاته والامارا يودعون الدنيا وزيدان يضحك عليهم وعادوا في حساب وأمور صعاب هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من حنا حاكم قامة صهيون فانه التفت الى ابو بشارة وقال له هات الاسارى حتي نعذبهم ونشفي غليل قلبنا منهم فعند ذلك احضروهم ولما وصل الامير حسن ارمى السلام فما احد رد عليه ولا التفت اليه فقال علامكم ما تردون السلام فقال ابو بشارة اننا ما نرد عليكم السلام واليوم نسقيكم كاس الحمام فقال له حسن سوف يحل بكم البوار وتشربون كاس الدمار من ابو زيد الفارس القهار فقال له ابو بشارة تخسا يا لخاين واليوم أوريك العذاب الما كن فقال

له حسن اعلم يا امير لابد ان تندموا على فعلكم هذا الكبير فقال له على ماذا نندم ومن هو الذى نفزع منه فقال له حسن سوف ياتيك ابوزيد صاحب المكر والكيد ويخرب بلادك ويقتل اجنادك قال فعندها نهض الملك حنا على الاقدام وصاح تخسا ياذليل يامهان انت وابوزيد الكشحان هل باغ من قدرك ان ترد بوجه ابو بشارة فارس الفرسان واشار يقول

يقول الامير حنا على ماجرى له ... ونيران قلبي زايدات لظاها
وحق ديني وما اعتقد من يقيني ... لاعمل عامل ماأحد سواها
وجيب ابو زيد لعندنا حافي ... ودمع عينه على الخدود اجراها
ابو بشارة هات السيف واقتلهم ... أرواحنا ياأمير وهبناها
هذا كلامي اليك ياأمير المللا ... لاتامن الدهر غدراته نظرناها

قال الراوى فلما فرغ الامير حنا من كلامه قال يا بو بشارة قوم اقتل هؤلاء الاسارى فقال له طوله بالك ياملك ولانعرف قتلهم الامنى ولكن لاأقتلهم حتى اجيب ابو زيد ونذبحهم سواه وان تكون في صفاك فلما سمع حنا كلامه سكر روعه وجلس موضعه وقال له افعل مرادك بلغك الله آمالك عندها التفت ابو زيد الي القاضى وقال له انت قاضى العرب قال نعم قال انت قلت الى قومك ان يقتلوا عباد النار ذات الشرار حتى قتلوا الى أمارتنا وفرساننا فقال له قتلهم حلال قال فى أى مذهب قال فى كل المذاهب لانه ليس يعبد الا الله سبحانه وتعالى فقال له مرادى ان أرمي عليك مسائل فقال القاضي اسال عما شئت فقال اخبرنى عن شجرة لها اثنى عشر غصنا وفى كل غصن ثلاثين ورقة وفي كل ورقة خمس ثمرات اثنين بيض وثلاثة سود فقال له القاضي هذه السنة والاشهر والايام والصلوات الخمس فقال له اخبرنى مسيرة كم يوم فقال له خمسماية عام قال زيدان بقى عليك ان تسال دياب وان ماعرف جاوبك اقطع رأسه واحمد انفاسه فقال دياب ويلك يازيدان أما انا اخوك لاشك انك ابن لئام وانت تربية أبوزيد الهلالى قتلتم بدريس وعزار فان لم يكونوا أخذوا ثارهم منكم واشار يقول

دياب غني قصيدا من ضمايره ... ودمع العين على الخدين طوفان
ياأهل المروة اعفوا اليوم عن قتلى ... ان كنت تقتل قوم اقتل زيدان

هذا الذى قد خان يا فخر الورى وادعى دماه على الفلا خلجان
هذا وابو زيد قتلوا عمامك وخلوا الفوارس فى بلا واحزان
ونحن يا ابو بشاره قوم اقتلنا انا وبدير مع ابن سرحان
ترمي علينا مسائل ما نعرفها ما يعرف اللغز الا اخى زيدان
وان لان زيدان ما يعرف سؤالك اقتله يا امير بحد يمان
واقتل ابو زيد الهلالى سلامه واجمع عليهم يا امير فرسان
انت صاحب العز والمجد والعلا انت صاحب الصيوان والعيدان
وهذا الذى ابصرت يا فخر الملا وقولى صحيح ما به نقصان

قال الراوى فلما فرغ الامير دياب من كلامه وابو بشاره يسمع نظامه قال يا دياب انت تقول ما قلته وحسن والقاضي وزيدان يقولون ايضا ما قتلوا احد ومرادى اعلم من هو الذى قتلهم اخبرونى واصدقونى فى المقال والا قتلتكم فى الحال فقال له دياب اعلم يا جناب ما احد قتل عمامك والابطال الا ابو زيد والامير زيدان وانا أعلمك بصدق اللسان وما بقى على ملام واذا قتلتنا جميعا تكون فسخت الزمام فقال زيدان ويلك دياب من قتل بدريس والخزاعى فى ذلك المقام وانا راعى فانت تعمل عمايلك وتتهم غيرك وانت دائما فى الفانيات وماللك فى شىء ثبات وطبعك دائما الغدر والهزيمات ثم انشد يقول

قل زيدان قصيد من ضمائره ابيات كالدر موزونه بميزان
وحق عيسى وموسى والنبي محمد قولى صحيح ما فيه بهتان
دياب هو الذى قتل الى اعمامك قتل بدريس بسيفه وسنان
ايضا قتل الخزاعي ما خفى منك تحقيق يا ابو بشاره ما انت وهمان
حنا يا أهل الثروة اقتله بالساع واجعل دمه فوق الارض غدران
بحيات رأسك تشفى خاطري منه هذا يقيم الفتن كشبه شيطان
وهذه المسائل يحلها دياب بساع وان ما عرفها اجعله اليوم قربان
اضربه على رقبته بالكف وحياتك يا فارس الفرسان يوم طعان

قال الراوى فلما فرغ زيدان من كلامه والجميع يسمعوا نظامه فقال حنا كيف يا ابو بشاره دياب يقتل اهلنا ورجالنا وانت ساكت عنه بحياتى عليك تشفى

خاطري منه فقال اره وه تحت الضرب فرموه وقام ابو بشاره واخذ المكازفي يده ومال عليه حتى كسر اجنابه من القتز والتفت الى القاضي وقال له مرادي ارمي عليك مسائل ان ما اجبت عنهم ضربتك مثل رفيقك فقال له اسئل عما تريد ايها الملك السعيد فقال اخبرني كم طير نزل الكتاب فقال له تسعة فقال حنا وما هي التسعة فقال الذباب والنمل وطير الابابيل والجراد وطير عيسى هو الخفاش والغراب والهدهد والصفا والنهوه وهو السمن فلما تم كلامه قال اخبرني عن طير يمن ويحيض وعن شيء اذا حبس عاش واذا شم الروى مات فقال له اما الطير فهو الوطواط والثاني هو السمك ثم ان القاضي التفت نحو ابو بشاره وقال له مرادي اسالك سؤال وهو اخبرني عن شيء كان حلال ثم صار حرام فقال ابو بشاره البيضه حلال واذا وضعت تحت الفرخة حرام فقال القاضي اخبرني يا ابو بشاره عن رجل قام الى الصلاه سلم عن يمينه وجب عليه مائة دينار وسلم عن شماله طلقت زوجته فنظر في موضع سجوده بطلب صلاته فاشار شرح اليه و يقول

ابو شاره قول ياقاضي العرب ... انت فهيم وتعرف الايماني
اسمع اقولي ياامير وافهم ... واصغي لقولي ياتي وابياتي
وحق دبني انني مشفق عليك ... والا دعيتك كنت بالخفراتي
دياب قربت بهذا النهار منيتك ... أيضا حسن استقى له كاساتي
هاتوا الملقارع واضربوهم بالمجل ... حتى نرحوا الكل للفراتي
ترمي على يابدير مسائل ... انت فما تعرف امور صلاتي
هل يصلي كان ياقاضي العرب ... عليه مائة دينار من الطلباتي
نظر عن يمينه قد شاف لهلال ... وجب عليه المال بالحزاتي
سلم على اليسار قد شاف المرا ... وجبت عليه طلاقها بثباتي
لانه حالف عليها بالطلاق ... بان لا تطلع من الابيات
نظر قدامه موضع ماسجد ... وجد النجاسة ماتجوز صلاتي
الله يهدينا الى اوقاتها ... بحق من انزل الاياتي
هذا كلام ابو بشاره يابدير ... وحيات رامي لاجعلك شقفاتي

(قال الراوي) فلما فرغ من كلامه والقاضي بدير يسمع نظامه فقال له عفاك

يا امير هذا العلم لكن يا حيف عليك تكون عابد النار و تكون عندك هذا العلم فضحك وقال يا قاضي خاص روحك والا أقتلك انت وارفاقك فقال القاضي اريد اسالك سؤال قال قل عما شئت فقال له اخبرني عن خمسة ارواح اكلوا وشربوا ولا لهم ام ولا اب فقال له انا اعرف سؤلك والتفت ابو بشارة الى رفقاه وقال جيبوا سؤال هذا المسلم فقالوا اذا ما كان عرفت سؤاله نحن ماذا يعرفنا فقال يا قاضي ما عرفنا سؤالك فاشرحه لنا وخذلك خمس دجاجات محشيات رزو سنوبر وكان ابو زيد مراده يطعمهم لحم حتى ترد ارواحهم فقال له بدير يا اميرهم آدم وحوا وكبش اسماعيل وعصاة موسى وناقة صالح فقال ابو زيد اخبرني عن موضع لا تجوز فيه صلاة المسلمين وهو طاهر فقال له ظهر الكعبة فامر ابو زيد ان ياخذوهم الى موضعهم فاجابوه بالسمع والطاعة واما ابو زيد رتب لهم كل يوم خمسة دجاجات ومازالوا على هذا مدة ايام. قال الراوي وفي ذات الايام قال ابو زيد يا امير حنا مرادي اسير الى بني هلال واقتل ابطالهم ورجالهم وادعيهم باوشم حال واكتف ابو زيد وتبقى تدبر في هلاك الجميع ثم اشار بعلمه في هذا القصيد وعمر السامعين يزيد

اعتب على دهري وفي صهيون ارماني ... عند قوم بين الخاص والداني
الدهر دولاب لا تامن له بالك ... في ارض صهيون هذا اليوم ارماني
فحبلي حماري وجبلي هل بضاعة ... حتى اروح سوا ح في سائر البلدان
واعمل وليمه واجمع كل فرسانك ... وحط يدي عليهم ثم درعاني
وهذا المحابيس يوم العيد نذبحهم ... واجعل دماهم في الارض طوفان
واجيب ابو زيد واعمله الماكر ... كي ينظر العذاب اشكال والوان
وحياة ديني لا اجعل قتله شهرة ... واجلي صدا القلب واكشف الاحزان

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والملك حنا يسمع نظامه قال له افعل مرادك ومافينا من يخالف مقالك هذا ما كان منا من هؤلاء واما ما كان من امارة بني هلال فبينهم في الذل والخبال تفكروا في اهلهم والخلان وكيف عادوا في الذل والهوان من بعد عزهم فقال القاضي يا امارا ما يصير علينا الا ما كتبه الله لنا هذا ما كان منهم واما ما كان من امر ابو زيد فانه التفت الى حنا ووزيره جريس وقال لهم هذه الليله مرادنا نعمل كيفية فقالوا حبا و كرامه وما كان الا برهة من الزمان حتى حضر الخمر وجلسوا

في ذلك المكان وقالوا من يكون الساقي علينا يا اخوان فقال احد الامارة ما احد يسقينا غير ابو بشاره لان يده مباركة فقام المذكور من ساعته وصار يسكب الخمر و يسقيهم حتى سكروا الجميع ولا عاد يعرف الاول من الاخر فتركهم ابو زيد وسكر عليهم الباب وسار على الاعقاب في البراري والهضاب حتى وصل الى امارة بني هلال وفتح باب السجن ودخل عليهم وقال قوموا ولما رأوه ارتعدوا منه وقالوا نحن في جيرتك يا ابو بشاره فقال لا تخافوا لست ابو بشاره فقالوا من تكون انت يا فارس الفرسان اعلمنا بالحال فقال لهم انا اخوكم ابو زيد وعليكم الامان من نوائب الزمان فقالوا لله درك يا بو صبر الوشيبان ولولاك متنا من زمان في هذا المكان ولكن اعطى بالك من ابو بشاره لربما يعرفك في هذا المكان فقال لهم كونوا براحة بالكم من هذا الامر ولازم اذيقه كاس الحمام فطيب خاطرهم ورفع عن وجهه اللثام وحدثهم بما جرى بينه و بين ابو بشاره من الاحكام بالتمام وحدثهم بما فعل بهم لما سمعوا منه هذا الكلام قاموا له على الاقدام وقبلوه ما بين الاعيان وشكروه بكل شفة ولسان فعند ذلك تقدم اليهم وفكهم من وثاقهم واخذهم في جنح الظلام وساروا يقطعوا البراري والاكام حتى وصلوا الى قومهم فقرحوا بهم فرحا شديدا مما عليه من مزيد وطلعوا لاقوهم بالطبول والزمور وفرحوا في سلامتهم وشكروا الامير ابو زيد على تلك الفعال التي تعجز عنها صناديد الابطال ومازالوا سائرين الى ان التقوا في بعضهم البعض فسلموا على حسن ودياب وزيدان ونزلوا في تلك الكثبان في الخيام وقدموا لهم الطعام وبعد ذلك قاموا على الاقدام وتقلدوا بانواع السلاح وباتوا ينتظرون الصباح

قال الراوي هذا ما كان من بني هلال واما ما كان من امر حنا والابطال فكانوا محزونين كما تقدم الكلام ولما كان الصباح استفقدوا الاسارى فما وجدوهم وفتشوا على ابو بشاره فما وجدوا له خبرا يضا حينئذ علموا القضية بماذا كانت مطويه ثم صاح حنا في الفرسان وامرهم بركوب الخيل فعند ذلك ركبوا ظهور المهاره وجدوا في تلك الصحاري طالبين بني هلال وما زالوا مجدين في سيرهم حتى قاربوا الارض التي فيها بنو هلال فقال لهم الوزير جرجس واخوه مرقص خذوا هيتكم للقتال واستعدوا للحرب والنزال فلما سمع حنا المقال قال ما لكم ومن بنو اهلال فقال جرجس اذا أقمنا الى وقت السحر وسرنا بلا مهل نصل نصف النهار الى بني هلال فقالت الفرسان لقد

لنظر جريس موضع النظر لان من امسي واصبح على خطر لا يامن القضاء والقدر
ثم انهم باتوا في ذلك المكان يتقلبون تحت مشيئة الرحمن وعولوا على ما قال جريس من
الخطوب وفيما هم على ذلك واذا بخيل بني هلال طلعت وامت رماحها في شعاع
الشمس وهي غائصة في الزرد والسلاح تجر خلفها قطع الرماح وفي اوائلها ابو زيد
ومن وراه دياب وحسن والقاضي وزيدان وفرسان الحرب والطعان فتبادرت اليهم
عساكر جريس وحنا وصاحوا بهم فارتجت لصياحهم الوديان ثم سال من انتم ايها
اللئام فحمل عليهم دياب بدون جواب فتلقاه فارس يقال له الدهقان وتجاول هو واياه
ساعة من الزمان فحكم دياب اليه السنان وطعنه في صدره خرج يلمع من ظهره وكان معه
عشرة من الفرسان فلما نظروا ما حل به حملوا على دياب فتلقاهم كانه الاسد وفي اقل من
ساعة قتل سبعة فرسان وانهزم الباقون وهم ينادون يا للعرب انجدونا على قتال الجن فقد
حل بنا العطب قم لان يا حنا وقاتل الجان فقد برز الينا من هؤلاء الفادمين شيطان
بصورة انسان قتل مقدمنا دهقان وسبعة من الفرسان فلما سمع حنا هذا الكلام صعب
عليه وكبر لديه وقال لهم كان هؤلاء القوم ما عرفوكم حتى قاتلوكم وعلى وجه الارض
جندلوكم ولو عرفوكم ما كانوا حاربوكم وان صدقني حذري ما هذا الجيش والعسكر
الامع ابو زيد الاسد المنكر واظن انه لما خلص الاسارى سار الى العرب واتانا للطلب
والان يحل به وبهم العطب ثم انه اغار عليهم ولما وقعت العين على العين علا الصياح من
الفريقين ووقع السيف بين الطائفتين ونادى الملك حنا لئام غير كرام تظنون اني اخلي
لكم مالي وما نهبتموه من انعامي وما قتلتم من رجالي اليوم ابلغ منكم ما ربي وآمالي فلما
سمع ابو زيد كلامه عرفه وقال له ويلك يا فاجر لمثلي تفزع بهؤلاء الانذال وانا أبو زيد
مقدم الابطال ثم امر رجاله بالحمله حملوا من غير امهال ووقع بينهم القتال ساعة
من الزمان فوقع بقوم حنا الفناء والدمار وخاب منهم الامل وايقنوا بحلول
الاجل ووقعت اسنة الرماح في الارواح والمقل وجرى الدم على تلك البطاح وهطل
وضرب في ذلك اليوم المثل وبان الخطا والزلل وغليت الحرب كغليان المرجل وكان
حطبها عوامل الرماح الذبل وخاضت بنو اهلال الغبار والقسطل وابروا الرقاب
وطعنوا الصدور بالاسل وقاتلوا قتال الجبابره الاول فلله در ابو زيد وما فعل ودياب قد
استقل وسطا زيدان سطوة البطل ولم يزل الامير حسن في حملته بين تلك الامم حتى

التقى فى الامير مرقص اخو جريس فرآه ينحنى من حوله الفرسان فاقبل عليه وطعنه
فى صدره خرج الرمح بلهم من ظهره فلما نظر قوم حنا الى مرقص وهو قتيل
تصايحوا على حسن وطلبوه من كل مكان فعند ذلك حملت القومين فردكره واسعروا من
جمرة وسالت منهم الدما وعاد وجود القوم عدما وزادت نار الحرب تضرما وصارت
النعم نقما وملات الارض جماجما وخلت السروج من ركابها بعدما كانت لها حما
وكحلت الاجفان بموارد الما وثبتت عساكر الملك حنا واجتهدت وطلبت ضد اعداها
فما قدرت بل اهاها مارأت واخلت عزائمها وتفرقت ولم يزل السيف يعمل والدم
يجرى الى ان امسى المساء فعند ذلك رقت طبول الافتراق وكفوا عن الحرب وكل فريق
ذهب الى مكانه اما عساكر الملك حنا فصاروا يتامرون ويقولوا ماهم الا ابو زيد
وديات الذين شاع ذكرهم فى كل الارض وبقوا يتذاكرون فى المحاضر اعمالهم واخبارهم
وان كل الامر على هذا الشان فهذه مصيبه لا ترتد الا بكثرة الفرسان ومعاونة
الاخوان هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من بنى هلال فانهم هنوا بعضهم بعضا بهذا
النصر وباتوا تلك الليلة مسرورين ولما اصبح الصباح نهضوا للحرب والكفاح
واصطفوا ميمنة وجناح واذا بالوزير جريس بزر الى الميدان وطلب مبارزة
الفرسان فنزل اليه الامير دياب فالتقاه جريس بقلب لا يهاب وقال له ماذا بلغك من
ذلنا حتى دخلت الى ارضنا فدع عنك اللجاجه ومالك فيها حاجة ولو ما كنت
لما دخلت هذه الاوطان وطلبت ان تلاقينا فى شرذمة من الفرسان فاستدرك امرك
قبل الفوات وادخل على مقدمنا حتى يعطيك الزمام وما انهم كلامه حتى اشهر دياب
سيفه وضربه على هامه حطر أسه قدامه فلما نظر الملك حنا الى وزيره قتيل غاب عن
الصواب وصاح فى قومه اتونى بهذه العصابة القليله حتى اشفى منهم غليلى فحملوا
عليهم من كل جانب فالتقتهم بنو هلال كالاسود الواسر وانطبقوا على بعضهم البعض
حتى غطت الدما وجه الارض وابوزيد فى قلب العسكر ينتر الجماجم والقمم ويبلى
الفرسان بعد وجودها بالعدم فكانت ساعة مكدره وقد طلعت على الطائفتين الغبره
حتى وقع فى عسكر الملك حنا التقصير ولما نظر الى عساكره قد انكسرت وعصابة بنى
هلال قد انتصرت خاف على نفسه وبلاده ونادى فى العساكر وشجعهم على الثبات
فانطبقوا على بنى هلال انطباق الليالى على الايام وحملوا فى اوائلهم ونشرت

الاعلام فوق رأسه واخذ ينخي الفرسان وبيناهو على ذلك واذا التقى به ابو زيد فحمل عليه وضربه بالحسام بين العينين خرج يلمع من بين الفخذين وقطع الجوادا يضا قطعتين واما دياب وبقية الفرسان فانهم فرقوا الكتائب واظهروا العجائب ولما رأت عساكر الاعداء ما حل بملكهم من الدمار ولت الادبار وارتكنت الى الفرار والنجات الى القلعة فتبعهم ابو زيد والفرسان فعندها طلبوا الامان فاعطاهم الامان ورتبوا عليهم الجزية في كل عام ورجعوا الى مضاربهم كسبانين غنمانين وفرق الامير حسن ما غنموه من الجميع واقاموا على شرب قهوة واكل طعام مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك صمموا على الارتحال من تلك الاطلال فهدمت الخيام وانتشرت الاعلام وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وركبت الفرسان والبنات في الهوادج والعماريات وجدوا في قطع البراري والاكام حتى وصلوا الى حمص فاقاموا فيها خمسة ايام وكانت تاتيهم الهدايا من جميع الولاة والحكام ثم ارتحلوا الى بعلبك ومنها الى زحلة وقد طابت ايامهم في هذه الرحلة لانهم كانوا يصرفون الاوقات في السرور والطرب وقد زال عنهم العنا والكرب وبعد ذلك ساروا قاصدين مدينة الشام فوصلوا اليها عند الظلام ونصبوا بقربها المضارب والخيام

ان بني هلال بعد ان قتلوا ابو بشاره العطار حاكم بلاد صهيون جدوا في قطع الفلوات حتى اقبلوا على مدينة الشام والان نقول ان الحاكم في ذلك الايام على دمشق الشام كان ملكا صاحب جاه ومقام وكان من اشد فرسان المعارك واسمه شبيب التبعي بن مالك ومن الامور الغريبة والحوادث العجيبة هو انه كان في تلك الايام قد رأى حلما في المنام فقام خائفا وهو فزعان فجمع اكابر الديوان والوزراء والاعيان وقال لهم قد رأيت رؤيا الان وهي من غرائب الزمان قالوا ما هي يا ملك المصر والاوان قال رأيت في منامي ولذيذ احلامي هو انه قد اتى الى هذه البلاد سباع واسد شبه الجراد وكان كل سبع يأتي الى شجره من الاشجار يقلعها بانيابه ولا يبالي بالاخطار

﴿انتهى الجزء التاسع من تغريبة بني هلال ويليه الجزء العاشر﴾

الجزء العاشر من تغريبة بني هلال

(وهو يحتوى على ديوان شبيب التبعى)

قال الراوي وكان لهذا الملك وزير عاقل خبير افضاله شهيرة واسمه الوزير عميرة فلما سمع من الملك هذا الكلام نهض واقفا على الاقدام واشار يفسر المنام بهذا الشعر والنظام

يقول عميرة والفؤاد محسر ... من أهل عامر ياشبيب نحذر
بنى هلال بجمعهم قد اقبلوا ... مثل الجراد ياشبيب وأكثر
من نجد قد رحلوا بجمع وافر ... وفرسانهم من كل ايت قسور
قتلوا الدبيسى بعد حرب هائل ... واتو الى الكوفة بهذا العسكر
لاقام الخرمند سلطان العجم ... قتله ابو مرعى بحد الابتر
اما الفتى القمقام فارس قومه ... قتله الفتى الزغبى دياب الاشقر
قتلوا الخزاعى بن حامد فى حلب ... ثم غربوا الى حماة وسنجر
ولقد رأيت النار فى نومك تضى ... وسباع بر كالجراد واكثر
أما السباع بنى هلال وحربهم ... اما الشجر ابطالنا تتنثر
فالفرد منهم مايسلم روحه ... الابضرب السيف حتى يكسر
هذا الذى تدبان عندى ياملك ... هذا منامك ياشبيب تفسر
الرأى عندي ان تدق طبولك ... واجمع عليهم ياملك العسكر
هذا كلام الصدق قول عميرة ... شجاع يوم الحرب يشبه عنتر

قال الراوي فلما فرغ الوزير من شعره ونظامه وفهم الملك تفسير حلمه ومنامه استعظم هذه الامور والاحكام وكان قد بلغه قدوم بنى هلال الى قرب الشام فزاد ذلك الامر اهتماما على اهتمام لان ابوزيد كان عند رجوعه من تونس ومروره الى الشام كما سبق الكلام قد استخلص من داره سرية عربية واتمها فنوع العامرية وسار بها نحو بنى هلال فتاثر شبيب من هذه الافعال وكانت هذه القصة عليه اعظم بلية لاتبرح من باله بالكلية فاستدعى بنجاب وكان من الانجاب وامره ان يسير فى الحال ويكشف له اخبار بنى هلال فقال السمع والطاعة وسار فى تلك الساعة الى ان وصل الى بنى هلال ودار بهم من اليمين والشمال حتى وقف على حقيقة الاحوال

ثم دخل على الامير حسن وهو فى الصيوان وحوله الامراء والاعيان فحيا وسلم وبافصح لسان تكلم فالتقوه بالترحيب والاكرام واجلسوه في اعز مقام وبقى عندهم ثلاثة ايام ثم ودعهم وسار وجد فى قطع القفار حتى وصل الى شبيب التبعى عند المغيب فدخل عليه وهو جالس فى الديوان ومن حوله الوزراء والفوارس وارباب الديوان والجالس فاشار يشرح ويقول

يقول الفتي مسرور عما جرى له ... ونيران قلبي زايدات شرار
على ماجرى فينا وماقد اصابنا ... وصرنا بحيرة والامور عسار
ذهبت اكشف فى هلال ونزلهم ... فسرت وفى قلبي لهيب النار
ومازلت سائر فى البراري وسهلها ... حتي وصلت لنزلهم والدار
ولما وصلت ياشبيب لارضهم ... نظرت خلائق مثل موج بحار
مسافة خمسة ايام ياامير نزلهم ... و يوم وليلة عرض يامغوار
دخلت صيوان الامير ابوعلى ... مليك عظيم عالى مقدار
وقال لى هلا وسهلا الفين مرحبا ... لك الخير منى انت ضيف الدار
وامر لى حسن بخلعة سنية ... بعشر تفافيح وخمس زرار
وجدت قنوع العامرية جالسة ... ومن حولها الشبان والامار
وبانت قنوع ترفع الصوت بالغنا ... بصوت يحاكي العود والمزمار
قدمدحت بالسكر حتى تمايلت ... وقد طار عنها برقع وخمار
تميل على غصن الرياح وتثنى ... الى ان عرفتنى بغير انكار
فقالت اوصي شبيب وقل له ... يلاقى هلال فى صفا ووقار
اذا جاء ابوزيد يبغى حربكم ... يكون شبيب فى لقاه حذار
ترى عدد قوم هلال وعامر ... اربع تسعينات الوف جهار
ابوزيد من زحلان قومه عدادهم ... تسعين الفا كلهم امار
ورياب فى تسعين الف محارب ... من آل زغبي من فروع كبار
وتسعين للقاضى بدير الفايد ... قاضى هلال فارس الجبار
وتسعين الى حسن الهلالى ابوعلى ... امير حوي جاها وكل وقار
وهذا الذى ابصرت يا فخر الملا ... وقولى صحيح مابه انكار

قال الراوى فلما سمع شبيب هذا الشعر والنظام وفهم فحوى الحديث والكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وقد خاف من عواقب الامور واثارة الفتن والشرور فقال لا كابر الاعيان ومن حضر فى الديوان ماهو رأيكم في هذا الشان لان بنى هلال قد مهدوا الملوك والابطال وحضروا الآن الى هذه الاطلال بعساكر كعدد الرمال فقالوا ان الرأى هو ان نبادر بالقتال ولكن فى أول الحال ارسل واطلب منهم عشر المال فان أجابوك الى هذا الطلب بلغت القصد والارب والانحاربهم فى العسكر ونشتتهم فى البر الاقفر فاستصوب شبيب رأى القوم وارسل يطلب منهم عشر المال من ذلك اليوم وكتب اليهم يقول

يقول الفتى المدعو شبيب بن مالك ... ولى قلب اقوى من صفا الجلمود

أنا صاحب العز والمجد والعلا ... انا صاحب الصيوان والعامود

أنا صاحب الدرع الذى قد ورثته ... من عن جدودى من عمل داود

أنا صاحب السيف النقيل قرابه ... بياضه شبه المشعل المرقود

ولى خودة من عهد جدى ورثتها ... لها عشر تفاحات وخمس بنود

وياحسن قدم لنا المال عشره ... وقدم لنا من أحسن الموجود

وقدم لنا عشر الخيول جميعها ... وعشر الحرير بيضها والسود

وقدم الفين عود من القنا ... وقدم لنا الفين سيف هنود

وقدم لنا الفين عقد جواهر ... عقود ثمينة قليلة الوجود

وقدم لنا الفين طير جوارح ... ومعها ضوارى كاسرات أسود

وقدوم قنوع العامرية بخدرها ... وهاتوا عطور الورد أم الجود

وهاتوا فتاة الحى أم محمد ... صبيحة الوجه أم العيون السود

وقدم جمال الظعن بنت سلامه ... ووطفا وريا غاية المقصود

ومن بعد هذا مكثوا فى بلادنا ... وتكتفوا من شرنا وتكود

مقال شبيب اتبعى بن مالك ... وما كان عارف يفهم المقصود

واياك تهمل كل شيء ذكرته ... والا تروحوا للجبال شرود

قال الراوى فلما فرغ شبيب من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه بختمه وأرسله مع نجاب فى الحال الى الامير حسن سيد بنى هلال فاخذ الكتاب وسار وجد

فى قطع القفار الى ان وصل الى الديار فدخل على الامير حسن واعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما فتحه وقرأه فهم معناه قال لاحول ولاقوة الا بالله فكيف وصلنا الى مدينة او بلد يلاقينا ملكها بالشر والنكد و يطلب منا عشر المال فالى متى هذا الحال فقد ضجرنا من الحرب والقتال والقيل والقال ثم جمع امراء بنى هلال ومن يعتمد عليهم من الرجال واخبرهم بالكيفية وقال ماهو رأيكم فى هذه القضية فقال الامير ابو زيد والامير دياب ليس لهعندنا جواب الا الرمح والسيف والقرضاب فحينئذ قال الامير حسن للرسول اذهب الى مولاك شبيب وقل له اني سارسل له الجواب فى وقت قريب و بعد ذهاب النجاب نهض ابو زيد كليث الغاب والتقى امام الامير حسن هذا الخطاب اعلم ايها الملك الهمام ان الامير شبيب ملك دمشق الشام قد استعد لمحاربتنا وجمع الرجال لمصادمتنا ومن الرأي الصائب ان اسير مع بعض الفرسان الاحيار الى تلك الديار لاجل كشف الاخبار و لوقوف على عدد العساكر والابطال التي تجهزت للحرب والقتال وذلك فى شعراء حتي لايعلم بنا أحدا ولايدري و بهذه الوسيلة نبلغ المقصود ثم نرجع ونعود فاستصوب الامير حسن هذا الكلام وقال لقد اصبت يافارس الصدام في مسيرك الى تلك البلاد واكتشافك اخبار الاعادى والاجناد ثم استقر الرأى على مسير ابو زيد والامير دياب مع الامير عرندس والرياشى مفرج وابو الليث الكندى العارف بعلم الرمل والحساب الى تلك الديار ليجسوا الاخبار هكذا انفض الديوان وتفرقت السادات والفرسان وفى ثاني يوم استعد ابو زيد الى المسير الى الشام مع الفرسان الذين سبق عنهم الكلام فغيروا ماعليه من الثياب وتزيوا بزى فرسان الرباب ودخلوا على الامير حسن فودعوه ثم تركوا الحى وفارقوه وجدوا فى قطع البرارى والاكام حتى وصلوا الى دمشق الشام فدخلوا بسلام وقصدوا الامير شبيب فى سرايته حتى دخلوا على حضرته فسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وكان جالسا على كرسى مرصع بالجوهر يدهش العقل و يذهل البصر وحوله الاتباع والخدم فرد عليهم السلام وقال لهم من تكونون من العرب الاجواد وما هو سبب قدومكم الى هذه البلاد قالوا نحن شعراء نقصد الملوك والامراء فنمدحهم بالقصائد الحسان ونرجع بالخلع والاحسان وقد سمعنا بجودك وندالك ومكارم اخلاقك وحسن مزاياك فاتينا اليك وقصدنا

تحدثك وتنقل ثناك ونرجع بجبور بن الخاطر الى الديار وندعو لك بطول العمر على مدى الدهور والاعصار ثم ان ابوزيد بعد هذا الخطاب عدل الرباب واشار يمدح الامير شبيب بهذه الابيات ويقول

يقول الفتى المدعو الامير سلامه ... بدمع جرى فوق الخدود سكيب
ركبنا واجئنا يا امير على نقا ... من فوق شبه رمج هبيب
فقلنا لهم يا فوق ابن مسيركم ... فقالنا الى نحو الامير شبيب
شبيب بن شيبان بن مالك ... أمير البوادى والبلاد شبيب
شبيب الذى كل البلاد عياله ... ونحن بقينا من عيال شبيب
شبيب الذى ان قل ماله يوما ... فيغزى الى مال العدو يجيب
شبيب الذى لا يوجد فى الترك مثله ... ولا ربت العربان مثل شبيب
أتينا الى ملك العراق بدربنا ... فالح وصالح والامير نجيب
فجاد علينا بالمكارم والعطا ... وبالجود ايضا ثم مسك وطيب
يا امير اعطينا ولك منا الثنا ... فنشكرك عند الضحى ومغيب

فلما فرغ ابوزيد من كلامه شكره شبيب على حسن نظامه ثم انه صرف معهم هذا النهار في الحديث والاخبار ولما أصبح الصباح واضاء نوره ولاح ركب شبيب الى الصيد وركبت معه الفرسان وابنه صقر ماعدا الشعراء وابوزيد فالتفت شبيب الى الشعراء وقال لهم لماذا لا تركبون معنا فى هذا النهار فقالوا له اعلم يا بدر الممالك ان الذى يمنعنا عن ذلك هو عدم وجود الخيل لان مطايانا لا تصلح للركوب فى الوعور والسهول فامر لهم شبيب بخمسة افراس من الخيل الجياد فركبوا عليها من عدا ابوزيد فارس الطراد فقال شبيب علام لا تركب وما هو السبب فقال ان هذا الجواد لا يحملنى وهذا هو السبب الذى يمنعنى فامر السايس ان ياخذه الى الاسطبل ويختار له جواد من اطايب الافراس فذهب معه الى الاسطبل وجعل ابوزيد ينظر في الخيول فلم يعجبه سوى جواد شبيب وهو غطاس وكان ابوزيد قصد بهذا العمل الغريب هو الا كتشاف على خيول شبيب وكان السايس قد رجع على الاثر واعلم شبيب بذلك الخبر فقال له وتذزاد تعجبه اعطيه اياه ان كان يقدر يركبه فعاد السايس الي الاسطبل من قريب واعلم ابوزيد بما صمم من الامير شبيب

وقال اعلم ياشاعر العرب ونخبة الادب ان هذا الحصان هو جواد الامير شبيب القطاس الذي تضرب به الامثال بين الناس فلا يقدر احد منا ان يقرب به أو يدانيه واذا اردنا ان نطعمه ندلى له الشعير من سقف البيت الذى هو فيه فخذه ان كنت تقدر عليه فتقدم ابوزيد اليه فصهل الحصان حتى زعزع المكان لانه كان بطران فلطمه أبوزيد بالكف بين عينيه ثم سرجه وركب عليه وسار الى عند شبيب فتعجب منه كل العجب وقال فى نفسه وحق ذمة العرب ان هذا الامر مستغرب وهذه الافعال والاعمال لا تقدر عليها الشعراء بل صناديد الابطال وقد تاثر من ذلك الامر ثم انهم ساروا في جوانب البر وجعلوا يصطادون حتي صار وقت العصر ثم ارتدوا راجعين قبل دخول الليل وفى اثناء طريقهم امر شبيب ان يعقدوا ميدانا لسابق الخيل فامتثلت أمره الفرسان وجعلوا يتسابقون فى الميدان فلم ابوزيد على جميع الشجعان بالسيف والسنان حتى حير العقول واذهل الابصار وكثرت فيه الظنون والافكار فرجعوا الي البلد ونزل ابوزيد في دار الضيافة مع جماعته وكان للتبعى رمال اسمه عكرمه وكان قد خرج معه للصيد فاجتمع به فى قاعته وقال له على انفراد اعلم ايها الرمال انى فى حيرة من جهة أولئك الرجال الذين حضروا نهار أمس عند غروب الشمس وادعوا انهم من الشعراء وما أقول الا انهم جواسيس نظرا لما رأيت من أفعال أحدهم فى هذا النهار الذى لا يقدر على فعلها ابليس لانه علم على جمع الناس وهو راكب كالاسد على ظهر القطاس فاريد منك الآن ان تضرب الرمل وتعلمنى بواقعة الحال لانى قد صرت مشغول البال فقال السمع والطاعة وانا اظهر لك صحة الامر فى هذه الساعة ثم انه احضر الرمل وولد البنات من الامهات وجعل يعلمه بهذه الابيات

يقول عكرمه الرمال صادق ... خرجنا ياشبيب الى البرارى
وجدنا صيدة يانعم صيدة ... أكابر قيس من فوق المهاري
فهم خمسة كانهم أسود ... ومنظرهم عفائف كالحرارى
وفيهم سيد شهم اديب ... بكل حوادث الايام دارى
وفى جسمه رسوم كثيرة ... تدل على معانى كالدرارى
عريض الصدر مدموج السواعد ... وسيع الوجه مثل السبع ضاوى

عساه يكون ابو زيد الهلالى وترميه المنية فى الديار
تذكر فعله بنهار امس بوادى السطر عند الاعتكار
وهو يحشر جواده بين على كحملات المراهف والقطار
ورفاقته فيهم أمراء هلال محاسن وجههم مثل الدرارى
فاقطع يد ابو زيد الهلالى واقطع انفه هذا النهار
فهذا يا أمير قد بان عندى وقوى حق ليس به فشارى

قال الراوى فلما فرغ الرمال من هذا الشعر والنظام وعرف شبيب خوي الحديث والكلام غضب غضبا شديدا مما عليه من مزيد وفي عاجل الحال أحضر ابو زيد ومن معه من الرجال وصاح فيهم وقال اتيتم ايها الاشرار الى هذه الديار التجسو الاخبار ونسبتم الفسكم بانكم شعراء تمدحون الملوك والامراء فلابد من قتلكم فى هذا النهار بحد الحسام البتار ثم انه بعد هذا الكلام اشار بتهددهم بهذا الشعر والنظام

يقول شبيب التبعي بن مالك ونيران قلبي زايدات لفاح
فمن اى ارض اتيتوا بلادنا ونحن حمانا صعب ليس مباح
حمينا حمانا بالصوافن والقنا ونحميه بالسيوف ثم بالرماح
أما انت ابو زيد الذى جئت ارضنا ومعك شباب ظراف ثم ملاح
رجت وذكرك فى البرارى مشتهر تغنى له الشعار والمداح
قاصد بلاد الغرب تبغي اكتشافها ايافارس الفرسان يا جحجاح
فلما وصلتم للمغارب وارضها اسرعم ابو سعدا بدون مزاح
ونادى عليكم فى شوارع تونس فشفعت بكم سعدا وعقلك راح
رجعت تجيب المال حتى نفكهم اتيت الى ارض لنا وبطاح
أخذت قنوع المامرية بلاخفا لها وجنتين تشبه التفاح
ولما رحلتم من حما نجد وارضها وجئتم لارض الشام يا واح
والان اتيتم خمسة لبلادنا اتيتم كما الشعار والمداح
فاطعتمونى ارجعوا لبلادكم وخذوا مواشيكم وكل ملاح
والا سنلقاكم بكل جيوشنا وندعى دماكم فى الفلاسواح
ابو زيد تحسب ذاتك فارس فما انت تلقانى بسوق بطاح

فعندنا ميتين الف ومثلها ... وميتين الف من خدم ورباح
انا فارس الميدان اذا قام صوقه ... اشتت فوارسكم بطعن رماح
واخذ حلائكم وكل اموالكم ... واخذ منكم خيلكم وسلاح
مقال الفتى شبيب بن مالك ... الايام اكثرها بكاء ونواح

قال الراوى فلما فرغ الامير شبيب من هذا الشعر والنظام أمر العبيد والخدام أن ياخذوهم الي المشنقة فامتثلوا امره بالسمع والطاعة واخذوهم فى تلك الساعة ووضعوا المرس فى رقابهم ودوروهم فى منازلهم واطلالهم وبعد ذلك رجعوا الى المشنقة وأرادوا ان يفعلوا فيهم الشناعة واذا بصقر بن الامير شبيب لاقى من الصيد والقنص فلما نظر ذلك سال عن الخبر فاخبروه بذلك الامر المكر فعند ذلك نزل عن ظهر الجواد الى الارض والمهاد وخلصهم من ذلك الشان وقطع المرس من أرقابهم والاذان فوصل الخبر الي شبيب فاحضرهم الى عنده للديوان ووبخ ولده على هذا الشان وقال له هؤلاء اعدانا بنى هلال واتوا منازلنا والاطلال لاجل ان يقتلوا الرجال ويدعونا بارشم الاحوال قال له صقر يابى ماعندى خبر من ذلك الاخبار وهذا الامر قد جرى وصار وشفعنى في هؤلاء الشعار ولا تبطل كلامي وتنقص بين الشباب مقامى قال لا وفق ان تبصرلهم اهانة وتقتلهم وتدعي من الدنيا مرتحلهم والا اذا قتلتهم من دون سبب فتبقى معيرة بين العرب واذا سمعت كلامى أحضر الشعرا ان يرموا عليهم رموز واسامى واذا ماعرفوهم فحينئذ اقتلوهم قال شبيب هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم انه التفت الى ابو زيد وقال ياصنديد ما كارك اليوم يا اديب قال له شاعر لبيب قال مرادى ادعى شعرائنا واحضرهم الى ديارنا وادعيهم ان يرموا عليك رموز واذا ماعرفتهم فانى اقتلك وادعى من الدنيا مرتحلك قال ابو زيد افعل ماتريد يابن الاماجيد فعند ذلك ادعى الامير شبيب الى شعراء بلاده وكانو اربعة وعشرون شاعرا وكبيرهم يدعى صولجان بن ماهر فلما حضروا امرهم ان يرموا رموز على ابو زيد ورفقاه فاجابوه السمع والطاعة فاحتبك الديوان فى تلك الساعة فالتفت ابو زيد الى الشاعر صولجان وقال له ياسيد الفرسان مرادى قبل ان تبدى شعر وقصد ان تسير الى مرضعك

ياهمام وتاتى لنا بطعام حتى يصير بيننا و بينك خبز وملح كى لانبوق فى حقي فاجابه بما قال وصار الى بيته في ساعة من الزمان وحضر الى الديوان وقدم الى ابوزيد قطعة ملانة عصيدة وفيها ملعقة وقال له كل يابن الكرام من هذا الطعام وادعى لنا بدوام العز والاكرام فاخذ ابوزيد شقفة براس الملعقة وذ ق شيء قليل وجدها مرة مثل الحنضل قال له هذا زادك لارحم الله ابوشبابك قوم ياذليل يامهان وهات ماعندك من الاوزان فعند ذلك تقدم الصولجان واخذ الرباب وبدأ يلعب حتى أطرب ذوي العقول والالباب واما ابوزيد بدا يراقب الكواكب فنظر نجمه حاجب وهو سعيد ففرح بذلك فرحا شديدا ماعليه من مزيد فلما رأى الصولجان ينظر فى الكواكب ظن انه ينظر الى بنات نعش عندها أشار يقول

رأيتك ناظر الى بنات نعشي ... عن قبل العشي لحين تعشي
فهل عاديت نجم في سواها ... فهل تعرف من النعشات نعشى
فنحن فى حمانا كل مسا ... نقرى ضيفنا لحم ومحشى
فما ابصرك تقطع وتبلع ... وكثر الزاد فى الماكول يفشى
كانك ضفضعه فى قاع جب ... يجيها الماء رشا بعد رشى
فاذا اتاها الماء يرما تسبح ... وتسن باكل الوحل وتمشى
فقل لى كم بين السحاب باعا ... وبين الارض من شبر وكمشي
وعن عنزة تغنى جنح ليلا ... فهل جاهدت اوتعلم بدى شي
وعيناها طوال وهي عميه ... وادناها عراض والسمع طراشى
فلا فرخ ولا بيض لولدها ... ولا حبل ولا تثقل بشي
فقل لى لاتكن جاهلا غشيما ... وكم من مدعى مايعرفشى

قال الراوى فلما فرغ الصولجان من كلامه وابوزيد يسمع نظامه فاشار يجاوبه على شعره و يقول

اراك تدانش الاشعار دفشى ... وما عندك من العقل ولاشى
قولك عن ابوزيد الهلالى ... غشيما مايعرف الشعر الادبشى
فانتم تعرفون فلا تراعوا ... فقول الصدق مابه من غبشي
فكم من يوم قيس أجرعوكم ... سيم الافاعى من سمن ودقشي

فسوف ان هذا الحديث يجرى ... ويفش فى صدور الخيل عفشى
ويشيع ضمنكم حربا وطعنا ... وتبقى الروس مكدوشات كدشي
وتنظروني على حمراء طحرمه ... ارش الدم على الارض رشا
ونجزى المعتدين بالشر معنا ... وتنقش ديارهم بالسيف نقشي
وعيب عليكم اذا لم تعرفونى ... أزيح الخيل بالارماح مفشى
الله يطعمك طعنة غموسي ... من يد فارس قط مابرحمشي
تكون من يد ابو وطعاديا ... بروح الرمح فى كرشك ويمشى
لانك لاتصد ولا ترد ... ولا تلقى الضيوف ولا تعشي
انا ياطول ما اغربت ضيفى ... لخطار المسا اهدي نفاثل ومحشى
انا ابو زيد انا صور الصبايا ... ولست بفارغا منكم بلاشى
أنا حذرتكم لاتجهلونى ... يتنهشكم سباع البر نهشه
أبا صبر لجان اعلم باني ... عرفت مسائلك صنعا ونقشه
تسايلنى عن عرش عظيم ... فكم بينه وبين الارض كمشه
وعنزة تغنى بجنح ليل ... وراها بالارض عطشه ثم عطشه
تقدم اخبرني عن عشرة عشرة ... عددهم خمسة تربح وترشى
وهم من حين خلق ابوك آدم ... الى يوم الحساب ولم يموتوا
يموتوا ثم يحيوا بعد موت ... ومنهم شيء لم يتمشي
ومنهم طائفة تاكل وتشرب ... ومنهم منذ عمره ما اكل وماشى
وعن حوت وفرق الحوت حوت ... وتحت الكل بحر الماء يمشي
ودولاب يدور الشغل منه ... بجوهر فيه من صنف البلخشي
اذا لم تخبرونى عن ما أقلك ... والا انت عندى مثل جحشى
فنحن نشيع الخطار لحما ... ونحمش منهم بالزاد محمشى
وحيا الى أجاو بد الرجال ... ومن هو لكلامى يسمع شى

قال الراوى فلما فرغ ابو زيد من كلامه وشاعرطى يسمع نظامه تعجب الامارة من زكاوة ابو زيد وما عاد الشاعر يعرف يجاوبه فاغتاظ شبيب غيظا شديدا ما عليه من مزيد وحلق دقن الشاعر وطرده من عنده والتفت الى ابو زيد وقال له بقى لى عليك

ست اشياء ان عرفتهم خلصت من دهاهم واذا ماعرفتهم قتلتك انت ورفقتك فاجابه
ماهم اخبرني عنهم فقال له المصارعين والمشابكين والمدافقين ورماين النشاب وسائلين
العلم وطباخين الكيما فقال اذا ما اجبتك عن ذلك فاني لاشك مالك ولكر لاحول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح فقام شبيب واحضر كبير
المصارعين وكان بطل رزين ماله من قرين فلما رآه ابو زيد قال له ياالخا العرب دونك
والطرب لابدان اجعلك في التراب ولا تظن الصراع اكله حلو فقال له المصارع دع
عنك من شقشقة اللسان ياذليل يامهان واليوم يبان الشجاع من الجبان فقال له ابو زيد
اليوم عندي عيد بقلك يامهان ثم نهض واثبت الاقدام واسرع اليه مثل الاسد الدرغام
والتقى البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق رأسهم غراب البين قال وكان
المصارع دافر في ركن التبان حربة مثل الثعبان وهي شغل بلاد الروم مذخرها لمثل هذا
اليوم ويريد بها هلاك ابو زيد في لك البيد فرآها دياب وقال له بالك ياامير من هذا
الشيطان الرجيم وانظر هذه الحربة التي كانها نقمه فقال انا رأيتها قبلك ياامير دياب
وهذا اليوم ادعيه ملقي على التراب ثم اصطدما وافترقا وافتربا وابتعدا وما زالا على هذا
الشان ساعة من الزمان فما وجد المصارع مع ابو زيد طالع فعند ذلك هجم عليه وادخل
دماغه بين رجليه واراد يقلبه ويقصف عمره فان كان من ابو زيد الا انه طبق فيه من
صوابين ركبته واتكا على رقبة المصارع لك جوزة رقبته وما زال كامشا عليه حتى
خرجت روحه من بين جنبيه فقلبه على قفاه قدام شبيب وصاح غيره ياامير يسلم رأسك
بهذا التحرير ثم تقدم المدافق ودافق ابو زيد ساعة من الزمان فالتقاه بهمه وشان وضربة
بالصاعلى دماغه فرطش بذرخه وقال غيره ياامير شبيب قدم فارس نجيب نتقدم
المشابك وشابك ابو زيد نفرك انا له ولقطه في يده ملخها من الباط فتقدم رامي النشاب
فذهب ابو زيد ووقف في تلك الهضاب واما ذلك الرجل فرشق ابو زيد اربعين
فاستعان عليه برب العالمين فما اصابه شيء ثم ضربه ابو زيد من قفاه وعلى الارض رماه
فوقع قتيل ودمه جديل فعند ذلك تقدموا سائلين الدلم فقلبهم وكذلك طباخين الكيما
طلعت طبيخته احسن من طبيخهم ثم انه التفت الى شبيب وقال له ياامير لك عندنا شيء
ابعد من هذا التنكير فاتركنا نذهب الى اهلنا وعيالنا فعند ذلك غضب غضبا شديدا
ماعليه من مزيد وقال له لاشك انك عفريت من عفاريت سليمان وبعد ذلك امر الخدام

ست اشياء ان عرفتهم خلصت من دهاهم واذا ماعرفتهم قتلتك انت ورفقتك فاجابه
ماهم اخبرني عنهم فقال له المصارعين والمشابكين والمدافقين ورماين النشاب وسائلين
العلم وطباخين الكيما فقال اذا ما اجبتك عن ذلك فاني لاشك مالك ولكر لاحول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح فقام شبيب واحضر كبير
المصارعين وكان بطل رزين ماله من قرين فلما رآه ابو زيد قال له ياالخا العرب دونك
والطرب لابدان اجعلك في التراب ولا تظن الصراع اكله حلو فقال له المصارع دع
عنك من شقشقة اللسان ياذليل يامهان واليوم يبان الشجاع من الجبان فقال له ابو زيد
اليوم عندي عيد بقلك يامهان ثم نهض واثبت الاقدام واسرع اليه مثل الاسد الدرغام
والتقى البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق رأسهم غراب البين قال وكان
المصارع دافر في ركن التبان حربة مثل الثعبان وهي شغل بلاد الروم مذخرها لمثل هذا
اليوم ويريد بها هلاك ابو زيد في لك البيد فرآها دياب وقال له بالك ياامير من هذا
الشيطان الرجيم وانظر هذه الحربة التي كانها نقمه فقال انا رأيتها قبلك ياامير دياب
وهذا اليوم ادعيه ملقي على التراب ثم اصطدما وافترقا وافتربا وابتعدا وما زالا على هذا
الشان ساعة من الزمان فما وجد المصارع مع ابو زيد طائل فعند ذلك هجم عليه وادخل
دماغه بين رجليه واراد يقلبه ويقصف عمره فان كان من ابو زيد الا انه طبق فيه من
صوابين ركبته واتكا على رقبة المصارع لك جوزة رقبته وما زال كامشا عليه حتى
خرجت روحه من بين جنبيه فقلبه على قفاه قدام شبيب وصاح غيره ياامير يسلم رأسك
بهذا التحرير ثم تقدم المدافق ودافق ابو زيد ساعة من الزمان فالتقاه بهمه وشان وضربة
بالصاعلى دماغه فرطش بذرخه وقال غيره ياامير شبيب قدم فارس نجيب نتقدم
المشابك وشابك ابو زيد نفرك انا له والقطه في يده ملخها من الباط فتقدم رامي النشاب
فذهب ابو زيد ووقف في تلك الهضاب واما ذلك الرجل فرشق ابو زيد اربعين
فاستعان عليه برب العالمين فما اصابه شيء ثم ضربه ابو زيد من قفاه وعلى الارض رماه
فوقع قتيل ودمه جديل عند ذلك تقدموا سائلين العلم فقلبهم وكذلك طباخين الكيما
طلعت طبخته احسن من طبختهم ثم انه التفت الى شبيب وقال له ياامير لك عندنا شيء
ابعد من هذا التنكير فاتركنا نذهب الى اهلنا وعيالنا فعند ذلك غضب غضبا شديدا
ماعليه من مزيد وقال له لاشك انك عفريت من عفاريت سليمان وبعد ذلك امر الخدام

شبيب في سفرتكم فاخبروه بحديثهم من الاول الى الاخر واطلعوه على الباطن والظاهر فشكر الله على خلاصهم من الاعتقال واثنا على ابو زيد نظرا لما ابداه من حسن الفعال وهم في هذا الحال والاوفد عليهم مرسال من عند الامير شبيب يطلب الجواب لان الامير شبيب تفقد المحابيس فلم يجدهم وهذا هو السبب الذي اوجبه الى ارسال ذلك النجاب ثم انه بعد ان عرف حقيقة الاحوال وفهم ما عند شبيب من الفرسان والابطال اشار يكتب له الجواب ويقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ... فلي حربة كالمشعل الموقود
ولي همة تعلوا على كل ماجد ... اخلي الاعادي على الجبال شرود
تهيا غدا ياشبيب لحربنا ... مع كل ابطالك وكل جنود
فكم حاكم مثلك ملكنا بلادة ... من بعد حرب يشيب المولود
ونجد ملكناها بحد سيوفنا ... وزلت لنا يوم القتال جنود
تريد منا اليوم عشرة اموالنا ... فسوف ترى منا رجال اسود

فلما فرغ الامير حسن من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الى نجاب وامره ان يسير الى شبيب بالعجل فاجاب وامتثل ولما دخل على حضرته سلمه الكتاب ورجع من ساعته ولما قرأه غاب عن الصواب وفي الحال امر بجمع العساكر والابطال والاستعداد الى الحرب والقتال فاجتمع عنده مائة الف مقاتل بين فارس وراجل وكلهم يالسيف والرماح وآلات السلاح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب واستعدت العساكر للطعن والضرب وركب شبيب في اول الفرسان ومن حوله الوزراء والاعيان وسار بهذا الجيش الكثير والعدد الغفير الى قتال بني هلال وكانت بنو هلال قد استعدت في ذلك النهار واصطفت من اليمين والشمال ولما تقابل الجيشان جز شبيب الى ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان وطلب براز الشجعان فلما اتم كلامه حتى برز اليه ابو زيد وصار امامه فلما رآه شبيب حمل عليه وهو ينشد ويقول

يقول شبيب التبعي ابن مالك ... صرفت كل الليالي بالتفكير
ابو زيد يابو زيد يارد المحنا ... فانت رد الاصل ياتنجير
ذهبت لارض القيروان وقابس ... ترود الارض مثل لص حقير
رجعت الى اهلك اتيت بجمعهم ... اخذت قنوع والظلام عكير

وبسوء فعلك قد حبست رفقتك وخبثك بين الانام كثير
فوالله انى قاتلك بمهندى واجعل لدمك شبه نهر كبير
واقتل دياب الخيل ايضا بافتي واجعل حسن من لمع سيفى يطير
مقال شبيب التبعى بن مالك لاخير فى رجل يعيش حقير

قال الراوى فلما فرغ شبيب من نظامه وفهم ابوزيد فحوى كلامه اجابه على شعره يقول

يقول ابوزيد الهلالى سلامه ونيران قلبي زيدات سعير
انا ابو شيبان قهار العدى افك رموز العلم بالتفسير
فلا فخر للمرء الا فعاله وفرط السخا وكل فضل شهير
انا الرجل الذي يبرد حربته يوم الوغا فى صدر كل امير
اليوم تنظر حربنا وقتالنا وافعالنا حقا بغير نكير
وتبقي على الارض مددا ويا كل جسمك كل طير يطير

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من هذا الشعر والنظام انطبق الفارسان على بعضهما مثل اسود الاجام واخذوا فى الحرب والصدام وكان شبيب كما تقدم الكلام من جبابرة تلك الايام فقاتل قتال الاسود وفعل افعالا تشيب الاطفال فى المهود فثبت ابوزيد امامه كالجبل الراسي والتقاه بقلب اقوى من الصوان القاسي فكانا تارة يتقدمان وتارة يتاخران كانهما اسدان كاسران وقد تعجب من قتالهم جميع الفرسان وتعلمت منهما حقيقة الضرب والطعان وما زالا على تلك الحال وهما فى اشد قتال الى قرب الزوال وكان ابوزيد قد انحل عزمه وقصر فرجع الى الوراء وتاخر فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقت العساكر من ميدان القتال ورجع ابوزيد فى اسوء حال مما شاهد من الاهوال فسأله الامير حسن عن خصمه فقال انه فارس شديد وبطل صنديد وانى قد بارزت الابطال فى معارك النزال فما وجدت افرس منه فى القتال ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول واصطفت الصفوف وترتبت الميات والالوف فكان اول من برز الى ساحة الميدان وطلب برز الفرسان الامير شبيب الفارس النجيب فبرز اليه الامير دياب وهجم عليه كليث الغاب فالتقاه شبيب فى الحال والتحم بين الفارسين القتال وجرى بينهما عجائب

واهوال تشيب روس الاطفال وما زالا في قتال وصدام الى ان اقبل الظلام وكان الامير
دياب قد ابصر في ذلك النهار من قتال شبيب ما يذهل الابصار ويحير العقول والافكار
فلم يقدر ان ينال منه مرام لا بضرب الرمح ولا بضرب الحسام فارتد راجعا الى الوراء
ثم نزل الى الميدان الفاضي يدير بن فايد وجعل يتصادم مع شبيب في ساحة الميدان نحو
ثلاث ساعات من الزمان وكان الفاضي قد كل ومل وضعف عزمه وانحل فرجع وتاخر
خوفا من وقوع الخطر فبرز الامير زيدان وتقاتل معه في ساحة الميدان وبعد قتال
شديد وحرب ما عليه من مزيد ولى الامير زيدان من امامه خوفا من حربه وصدامه
ثم تقدم غانم ابو دياب واقتتل معه القتال الشديد وثبت ثبات الجباره الصناديد الا
انه لم يكن من رجاله ولا يعد من اقرانه فما لبث اكثر من ثلاث ساعات من النهار حتى طلب
الهزيمة والفرار فبرز اليه الامير عرندس كانه المفترس فجاول معه وصال وتقاتلا في
ساحة المجال وما زالا على تلك الحال الى وقت الزوال وكان عرندس قد ضعف وتتعتع
فولى وارتجع وبعد ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت عن بعضها الفرسان
والابطال وكانت بنو هلال قد اعتراها الانذهال وخافت من عواقب الاحوال فلما
فلما رجعت الى الخيام جمع الامير حسن الامراء الكرام ومن يعتمد عليهم من فرسان
الصدام واستشارهم في امر شبيب ملك الشام فقالوا له فارس جبار وبطل مغوار لا يصطلا
بنار هجماته هجمات الاسود وقلبه قوى من الجلمود ومن الصواب ان نحاربه غدا بالعسكر
ونترك براره الى يوم آخر لعله يكون قد تعب من القتال فحينئذ نرزاليه الابطال
فاستصوب الامير حسن هذا الخطاب ورآه عين الصواب وباتوا تلك الليلة على هذه النية
وفي قلوبهم نار الحمية ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح استعدت بنو هلال للحرب
والقتال فدقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح والنصول
وركب الامير حسن على ظهر حصانه وتبعه جميع ابطاله وفرسانه وكان شبيب الاخر
قد التقاهم بالعسكر فعند ذلك حمل وصاح وحملت معه فرسان الكفاح وفي الحال التحم
القتال والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال وعظمت
الاهوال وتزعزعت الروابي والتلال من صياح الفرسان وقعقعة السنان وكانت بينهم
وقعة عظيمة ومعمعة جسيمة قتل فيها خلق كثير وعدد غفير فلله در ابو زيد والامير دياب
فانهما هجما كالاسود الغاب وحكما السيوف والحراب في الصدور والرقاب ونكسا

البيارق بطعن اشده من نزول الصواعق وفعل شبيب ايضا في ذلك النهار العجب والقى نفسه على العطب وما دام واعلى ذلك الحال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت الفرسان والابطال وفي اليوم الثاني اصطفت الصفوف وترتبت الميات والالوف والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وكان يوما شديد الاهوال انتصرت فيه عساكر الشام واسرت فيه عدة من البنات والنسوان وقتلت جملة من الفرسان ولما اقبل الظلام رجعوا وباتوا في المخيام وهم في قلق واهتمام

(قال الراوى) وفي اليوم الحادى والثلاثين برز الامير حسن مع السادات والمقدمين وطاب براز شبيب وقلبه احر من نار اللهيب فما اتم كلامه حتى صار شبيب امامه واشار اليه يقول

يقول شبيب من قلب قويا ... فتيران قلبي مصطليا
الا ياغادرين فسوف تلقوا ... قتالا من عساكرنا قويا
فما تعطوا قنوع بغير ضرب ... يقد الهام والدرع القويا
قنوع ياكرام فمن رآها ... لها جبها كما الشمس المضيا
فان لم تحضروا ماقد طلبته ... ساسقيكم كاسات المنيا

(قال الراوى) فلما فرغ شبيب من نظامه اغتاظ الامير حسن من كلامه واجابه يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى حسن الهلالى ابو على ... ها قد جهلت ياشبيب بحالك
ادعى الى الله واحفظ عهده ... واريح بالى ياشبيب وبالك
ان كان عندك الف الف مقاتل ... عندى لها الفين الف قبالك
تسعين الفا آل قيس ومثلها ... تسعين الف مهيئة لقتالك
وثلاث تسعينات اخرى غيرها ... ناخذ مواشيكم وكل جمالك
نحن دا ملوك جميعنا ... فلا يغرك كثر جيش رجالك
فجيوشنا ورجالنا متحضرة ... هذا النهار لحربكم وقتالك

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من هذا النظام انطبق على خصمه مثل ليث الاجام فالتقاه التبعي بالحسام وتجاول معه في معركة الصدام حتى حجبهما الغبار عن العيون والابصار وما زال الامير حسن يحارب شبيب حتى قرب المغيب وكان قد

ابصر منه الاحوال فالتفت اليه وقال قد ولى النهار وزال فدعنا الان من القتال وفى الصباح نعود الى البراز والقتال فتبسم شبيب من هذا الكلام وقال ان شئت فانا امهلك ثلاثة ايام ثم رجع بمن معه من الجميع وفى اثناء الطريق نزع عنه الدرع وعند رجوع حسن قالت الجازية ام محمد علامك رجعت بالعسكر والعدد والعرب لها رجعات فى الوقائع والغارات فتحمس الامير حسن من هذا المقال و رجع الى خصمه وصاح فيه وطعنه طعنة قوية بهمة وحمية فاصابته فى رقبيه فانجرح ووقع على ظهر الجواد وانطرح فادركوه قومه فى الحال ونشلوه من ساحة النجال واخذوه العسكر الى داره وهوفى حالة النزاع يقاسى الالم والاوجاع هذا وقد ارتدت العساكر على بعضها البعض واقتتلوا قتالا شديدا فى تلك لارض حتى كان ذلك اليوم مثل يوم العرس كثرت فيه الاهوال وجرى الدم وسال وزاد الخوف وعظم البلا وتمددت القتلى على وجه الفلا واستمر القتال على هذا المنوال الى وقت الزوال وكانت بنو هلال قد خلصت اسراها من الاسر والاعتقال بضرب السيف وطعن النصال فعندها دقت طبول الانفصال فارتدت على بعضهما الفرسان ورجعت بنو هلال فى فرح واستبشار على ذلك النجاح والانتصار واما الملك شبيب فانه كان كما تقدم قد اشرف من ذلك الرمح على العدم فلما رأي حاله طريح الفراش زاد عليه الخوف وارتعاش وقد عظم عليه واسودت الدنيا فى عينه ولا سيما رأى الاهل والاصحاب في عويل وانتحاب فتنهد من فؤاد متبول وانشد يقول

يقول شبيب التبعى بن مالك ... قد زال عقلى ياناس وراح
انتنى جنوب تاطم على خدودها ... وهى فى عويل وكثر نواح
فقلت لها تحملى همي واصبرى ... ان طبت باكر عزك ماراح
انا ان سلمت ياجنوب الى غدا ... ترى الاعادى فى بكا ونواح
سافتل منهم كل قرم غشمشم ... في دز مزراقي وطعن رماح
وان مت امرى لالهى وخالقى ... وارضى بحكم الواحد القهار

(قال الراوي) فلما فرغ شبيب من نظامه غاب عن الدنيا لكثرة الآمه فوقع فى قومه البكا والنحيب هذا ما كان من امر شبيب واما ما كان من بنى هلال فان الامير حسن كان قد جمع سادات الرجال وقال لهم مرادي هذا الصباح ابادر الاعادي بالقتال

والكفاح فقال له ابو زيد تمهل فسوف تبلغ القصد والامل وانا ارادى عند طلوع النهار ان ادخل المدينة واكشف لكم الخبر وانا بصفة طبيب فلعلى اجتمع بشبيب فيفرج قلبي ويطيب فقال حسن افعل ما تريد ايها الفارس الصنديد فعند ذلك سار ابو زيد الى مضربه وهو يؤمل ببلوغ اربه ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح نهض ابو زيد بالعجل ولبس افخر الحلل وتعمم بعمامة كبيرة ولبس جبة قصيرة وغسل وجهه ببعض العقاقير فصار ابيض مثل الثلج وانعم من الحرير حتى لم يعد يعرفه احد من الانام ثم ركب ظهر كديشة عرجاء ودخل مدينة الشام وهو في هذا الزي والهندام وجعل يجول في الاسواق وهو ينادي انا الطبيب انا الجراح فمن كان فيه علة ازلتها عنه باذن الاله الفتاح ومازال يطوف ويجول وينادي ويقول انا الحكيم انا الطبيب حتى وصل الى قصر شبيب وكان لشبيب ولد مثل البدر يقال له الامير صقر فاتفق انه كان هناك وسمعه من الشباك فقال في نفسه ان هذا الطبيب رجل غريب ولو لم يكن من الشطار والحذاق ما كان يطوف في الاسواق فمرادي ان اعرف فيه واجعله يداوي ابني لعله يشفيه ثم طلبه فحضر وسلم فقال له انت حكيم قال نعم قال اذا شفيت ابني من هذه العلة والعرض وازلت عنه المرض اغنيتك الى الابد وقدمتك على جميع اطباء البلد فقال اني سابذل الجهد واداويه ولا اخرج من هذا القصر حتى اشفيه فقرح كل من حضر هناك بهذا الخبر وزال عن قلوبهم الغم والكدر ولم يعلموا بان هذا الطبيب هو عدوهم الاكبر ثم تقدم ابو زيد الى شبيب في صفة حكيم وطبيب وهو يترقب الفرصة لبعده الحياء عن قريب وكان رأسه معصوبا بمنديل وهو يتنهد من قلب عليل ففك العصبة ومسح الدم ووضع له المرهم وقال له لقد زالت الاكدار بان الواحد القهار فاتفق ان شبيب فتح عينيه فرأى ابو زيد حوليه نخاف ويذر وايقن بالموت الاحمر فصاح من حلاوة الروح بصوت خفيف هذا ابو زيد صاحب المكر والكيد فقال الحاضرين ما هذا الذي يقول شبيب ايها الطبيب قال يريد ان تملوا السراج زيت وتخرجوا جميعكم من البيت حتى يستريح ويزول عنه الياس لان العليل تضيق اخلاقه بكثرة الناس ففرحوا الفرح الشديد الذي ما عليه مزيد وخرجوا بالحال من القاعة ولما خلى المكان من الجماعة اخرج ابو زيد من جنبه السكين وذبح شبيب من الوريد الى الوريد وقد بلغ قصده ثم غطاه الى فوق رأسه وخرج من عنده

فسالته عن حال شبيب الجماعة فقال انه بخير وعافية فلا تدخلوا عليه الا بعد ساعة لعينا يكون قد صحى من النوم ولا بدان يشفى من علته فى هذا اليوم لانى عالجته باحسن علاج فلا تكونوا فى قلق وانزعاج فشكروه على ذلك الاهتمام ووعدوه بالخلع والانعام وبلوغ القصد والمرام ثم ودعهم وسار ولو له اجنحة لطار هذا ما كان من ابو زيد الغيار وما فعله فى ذلك النهار واما زوجة شبيب وباقى الجماعة فانهم بعد ذهاب ابو زيد بساعة دخلوا على شبيب فى القاعة فوجدوه على تلك الحال فخرجوا عن دائرة الاعتدال وعلموا ان ذلك الطبيب كان ابو زيد المحتال لانهم كانوا يسمعون عنه اشياء كثيرة فاستعظموا الامر واخذتهم الحيرة واقاموا العزا والنحيب على فقد شبيب وهم لمعنون ذلك الطبيب وكان لشبيب اخ اسمه الصحصاح وكان من ابطال الكفاح فاسودت الدنيا فى عينيه وعظم الامر عليه وقال لابد لى ان اتبع هذا الغدار واسقيه كاس الدمار لانه فجعنى باخى الحبيب واضرم فى قلبى نار اللهيب ثم ركب جواده وسار وراءه وهو يهدر كالاسد الى ان التقى به بقرب طاحون خارج البلد فلما نظره ابو زيد وراءه عرفه ان الصحصاح وانه يريد قتله وفداه ندخل على الطاحون وغير لونه بالاعشاب ونزع تلك الثياب ثم خرج ووقف على الباب فلما وصل الصحصاح اليه اشتبه امره عليه فقال له من قلب محزون اعلمنى ابن صاحب هذا الكديش فقال له فى الطاحون فنزل عن ظهر الحصان وسلمه مع الرمح الى ابو زيد فارس الميدان ثم سل سيفه ودخل الى الطاحون وهو من شدة الغيظ مثل المجنون فلم يجد سوى الطحان هناك فضربه بالسيف اورثه الهلاك وخرج فى الحال وهو يظن انه بلغ الامال وقال ابو زيد المحتال فوجد ابو زيد على ظهر الحصان فتعجب من ذلك الشان وقال له من تكون يافلان فما تم كلامه حتى طعنه ابو زيد بالرمح فى صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلا وفى دمه جديلا وسار ابو زيد بالمجل وهو مسرور على ما فعل حتى دخل على الامير حسن فى الصيوان وحوله الامراء والاعيان فاعلمه بما جرى وكان كيف انه قتل شبيب والصحصاح ورجع بالفوز والنجاح فشكروه الجميع على ذلك الاهتمام وقالوا لا عدمناك يافارس الصدام فقد هان علينا الحال وبلغنا المرام وسوف نبادر الاعداء بالحرب والمهاجمة لانهم بعد شبيب لا تقوم لهم قايمة هذا ما كان من بنى هلال واما ما كان من اهل شبيب فانهم لما علموا بقتل الصحصاح زاد عندهم النواح واحضروه لجانب

اخيه واقاموا عليها النحيب فتقدمت جنوب زوجة شبيب ترثيه بهذه الابيات وزادت عليها الحسرات

تقول جنوب الحيرية بما جرى ... بدمع جرى فوق الخدود سكيب
الايام والدنيا كذا الله شرها ... ومن عاش فيها ينظر التنكيب
فيا ضحكت الا بكت بعد ضحكها ... فيالها من حسرة بعد شبيب
الا يانجوم اللبل عالمينه ... لعل اوجاع الفؤاد تطيب
اياقصب الزرقاء مالك نايم ... ومالك لاتبكي لفقد شبيب
شبيب الذي قرقع له الرعد بالسما ... وصاحت ديوك العرش مات شبيب
شبيب الذي ماربت الترك مثله ... وما ربت الدايات مثل شبيب
شبيب الذي يلقى الضيوف بفرحه ... ومسرة ولو كان الزمان جذيب
فيا ليت من كان السبب بفراقنا ... يقتل بحد الماضيات قريب
الا ياحمام النوح نوحوا واندبوا ... وابكوا على فقد الامير شبيب
ياهل ترى الايام عادت لمثنا ... وتجمعنا به بوقت قريب
شبيب الذي بكته الناس كلها ... وصاحت ديوك العرش مات شبيب
تقول فتاة الحي على ما اصابها ... ولا عيش لي بعد الحبيب يطيب

فلما فرغت من هذه المرثية جعلت تبكي وتنوح من فؤاد مجروح وتلطم على خدودها من شدة الاسف وتقول والله لقد انهدم بعد شبيب العز والشرف فبكت الناس لبكائها وعزوها على مادهاها ثم اجلسوا شبيب على كرسي من الذهب الاصفر مرصع بالدر والجوهر والبسوه عدت الحرب والطراد وتقدمت النساء والبنات والامراء والسادات وبكوا على ملكهم حتى كثر الصياح وارتفع البكاء والنواح وتكسرت السيوف والرماح ثم تقدمت جنوب وهي ترقص بالسيف وبعد ذلك تقدمت اليه وقبلته بين عينيه وقالت له باطل عنك يا ابا الخنساء مالك نايم يامقرى الضيوف قم وانظر هؤلاء الامراء الذين قد جاؤا لضيافتك فمالك الان نايم لا تقوم لواجبهم وهي ترقص بالسيف وتقول انى من بعدك لا اريد الحياة ثم وضعت رأس السيف في بطنها وقبضته في الارض واتكئت عليه فخرج بلمع من ظهرها فحينئذ ضج الجميع في العويل وكثر الولاويل ثم دفنوه مع الصحصاح بكل احترام ومن بعد ما دفنوهم باحتفال

والاكرام اقاموا مناحة طويلة واظهروا احزانا جزيلة فنايلة بهم سائر الانام في شدة الحزن والاغمام هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من لامير حسن و بنى هلال فانهم بعد هذا الحال استعدوا للحرب والقتال فاعتقلوا بالسيوف والنصال وهجموا على المدينة بقلوب كالجبال ومكنوا الضرب على الرجال من اليمين والشمال ونهبوا ما فيها من الامتعة والاموال فعند ذلك خرجت الامراء والاعيان وابنه في جماعة من النسوان وطلبوا من الامير حسن العفو والامان فاجابهم الى ذلك الشان وارسل مناديا ينادى في الاسواق بالامان فتوقف القتال وخرجت بنو هلال واقامت في الخيام و بلغت المرام وزالت عنها الاوهام وبعد ذلك بعشرة ايام ولى الامير حسن الامير صقر مكان ابيه على تخت مدينة الشام وخلع عليه الخلع والانعام ثم امر بدق طبل الارتحال والمسير من تلك الاطلال وفي الحال هدمت الخيام والمضارب وركبت الفرسان ظهور الجنائب وجدوا في قطع الروابى والاكام حتى وصلوا الى قدس الشريف بعد ستة ايام فنزلوا خارج المدينة في المضارب والخيام وزاروا الاماكن المقدسة بكل احترام وتصدقوا على الارامل والايتام ثم رحلوا منها بعد عشرة ايام قاصدين غزه بقلوب معتزه ومازالوا مجدين في قطع البرارى والاكام حتى اقبلوا على تلك المدينة وهى مشيدة حصينة فنصبوا فيها الخيام والرايات والاعلام وفرقوا مواشيهم في جوانب اقطارها واكلوا من محصولاتها واثمارها فلما رأت الرعيان تلك الفرسان قد ملات البرارى والقيعان ذهبوا الى ملكهم واعلموه بذلك الشان (قال الراوى) وكان صاحب غزه في ذلك الزمان ملك قوي الجنان لايهاب قتال الشجعان ولا يبالى باحد مهما كان صاحب جيوش وهو اكب يقال له السركي بن زاب وكان عدد عساكره خمسماية الف من الابطال الذى يعتمد عليهم في الحرب والقتال فلما بلغه الخبر من الرعيان بقدوم بنى هلال الى الاوطان اغتاظ وتكدر وطار من عينيه الشرر فجمع الوزراء والاعيان واكابر الديوان واستشارهم في ذلك الشان وكان عنده وزير عاقل خبير ذو رأى وتدبير يقال له الامير راشد فكان كثير الشر معاند

﴿ انتهى الجزء العاشر من تغريبة بنى هلال * ويليه الجزء الحادى عشر ﴾

الجزء الحادى عشر من تغريبة بني هلال

﴿ وهو يحتوى على ديوان السركى بن نازب ﴾

(قال الراوي) فلما سمع من السركى هذا الكلام قال اعلم ايها الملك الهمام انني من اخبر الناس ببنى هلال واعرف ماعندهم من الغنم والجمال والخيل والاموال لانني قد ذهبت الى نجد من نحو عشرة أعوام واقمت فيها جملة أيام فعددهم اربع تسعينات من الذكور و بناتهم مثل البدور ومن حيث قد اقبلوا الي هذه الاطلال فمن الصواب أن نبادرهم بالحرب والقتال ونذهب ماعندهم من الاموال لاننا أشد منهم باسا وأقوي مراسا ثم انه بعد هذا الكلام أشار يصف له بنى هلال بهذا الشعر والنظام

اسمع كلامى ايها الملك الهمام ... باكر تلقى القوم فى الصدام
ونلتقيهم بالصوارم والقنا ... ونقتل منهم كل بطل همام
ثم نكسب كل بيضة ناعسة ... تسحر الشق من دق الوشام
بنت قاضيهم بدير الفادد ... تشبه النجم فى جنح الظلام
اما فتاة الحى ام محمد ... تشبه البدر عند التمام
اما عطور الجيد بنت ابو على ... مامثلها بالترك مع ارض العجام
اما جمال الظعن وطفا بعدها ... ابوهادياب الخيل في يوم الزحام
فان ظفرنا بهم وحزنا بناتهم ... يصير لنا سطوة مابين الانام
شد عزمك ثم انهض بالعجل ... من قتل ولى ومن عاش اغتنم

قال الراوى فلما فرغ الوزير من شعره ونظامه وفهم السركى فحوى قصده ومرامه استصوب ماقال وقد طمع فى بنى هلال وفي الحال كتب لهم هذا الكتاب يطلب منهم عشر المال

يقول السركى هو بن نازب ... بدمع جري فوق الخدود بسيل
ونيران قلبي كلما اتول تنطفى ... يهب لها طى الضلوع شعيل
ياساترا بالله خذلى رسالتي ... مكتوبه منى بلا تمهيل
الى حسن امير قيس وعامر ... امير البوادى فى الملوك جليل

فارسل لنا عشر الموالى مع الغنم وعشر النساء وجمالكم والخيل
وهانوا فتاه الجازيه ام محمد لها عين سودا ثم طرف كحيل
وارسل عطور الجميد ننتك بلا خفا بعيون سود مكحلات بميل
وهانو ريا ثم وطفا بعدها ليس لهم بين النساء مثيل
وان لم تجيبوا يا اماره لطابى اخلى دماكم فى الفلاة يسيل
واقتل دياب الخيل بحد صارمى وادعى الفتى زيدان بالتنكيل
واقتل ابوزيد الهلالى سلامه واقطع لرأسه فى حسام طويل
واقتل جميع هلال بحد صارمى وادعى نساكم فى بكا وعويل
مقال الفتى السركسي بن نازب حاكم بلاده بين الملوك جليل

قال الراوى فلما فرغ السركسى من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الى النجاب وامره ان ياخذه الى الامير حسن رباية بالجواب فاخذه وسار وجد فى قطع القفار ومازال يقطع الروابى والتلال حتى وصل الى نجع بنى هلال فدخل على الامير حسن وسلم عليه واعطاه الكتاب ووقف بين يديه وكان حسن جالسا فى وسط الديوان وحوله الامراء والاعيان منهم الامير ابوزيد والامير دياب وغيرهم من السادات والانجاب فلما فتح الكتاب وقرأه وعرف حقيقة فحواه انشغل باله وتغيرت احواله ثم اعرضه على الامراء وقال لهم ماهو رأيكم ايها السادات فقال الامير ابوزيد والامير دياب ليس عندنا غير الطعان والضراب فعند ذلك اشار الامير حسن يجاوب السركسى بهذا القصيد

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على بدمع جرى فوق الخدود نقوع
ونيران قلبى كلما اقول تنطفى يهب لها طى الضلوع لذوع
اسمع تري يا سركسى لمقالتى فانت تريد الجازيه وقنوع
وتطلب بنات محصنات كواعب وتريد تاخذ سيوفنا ودروع
فمالك عندى غير السيف والقنا واجمع عليكم من دريد جموع
ابوزيد والزعبى دياب بن غانم لهم ضرب يقطع عسكرك وجموع
فنحن ملوك هلال ليس مثالنا ويلما قتلنا من ملوك وجموع
وكم قطعنا من ملوك مثالكم تركنا دماهم فى الفلاة تقوع

قال الراوى فلما انتهى الامير حسن من هذا الجواب طوى الكتاب وسلمه الى ذلك

النجاب فاخذه وسار يقطع السباسب والاوعار حتى وصل الى السركي بن نازب فسلم عليه وقبل الارض بين يديه ثم ناوله الكتاب فلما قرأه وعرف ما تضمنه من الخطاب طار الشرر من عينيه وامر الوزير ان يجمع العساكر والابطال لمحاربة بني هلال فامتثل امره في العجل وجمع ثلاثمايه الف بطل وكلها بالاسلحة الكاملة والعدد الشاملة وركب الامير السركي في اول العسكر مع الامير راشد الوزير الاكبر ومن حوله الاعلام والرايات والفرسان والسادات وجد في قطع البراري والقفار قاصدا قتال بني هلال ونهب الامتعة والاموال ولما دنا من القوم وعرفت بنو هلال بقدومه في ذلك اليوم استعدت للقتال والطعان والنزال وركب الامير حسن في عاجل الحال وتبعته بنو هلال وكان الامير ابو زيد راكبا عن يمينه بفرسانه وابطاله والامير دياب راكبا عن شماله بجموعه ورجاله ولما التقت العساكر بعضها البعض وقف كل فريق في ناحية من الارض وكان اول من برز الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان السركي وهو كالليث الواثب فبرز اليه ابو زيد في الحال فالتقاه السركي بقلب كالجبال واشار يهدده بهذا المقال

يقول السركي هو بن نازب ... وناري بالحشا زادت شعالي
ونيران بقلبي احرقتني ... على ماقد فعلتم ياهلالي
طلبت المال منكم والعطايا ... وعشر الخيل ايضا والجمال
فلم ترسل لنا مالا ونوقا ... وانتم لم تخافوا من قتالي
فجردت العساكر الى لقاكم ... لاقتلكم على وجه التلالي
واقتل لك وللزغبي ديابا ... واقتل بعدكم حسن الهلالي

فلما فرغ السركي من هذا المقال اجابه الامير ابو زيد في الحال

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... والدار في قلبي تزيد ضرام
ارسلت تطلب خيلنا وجمالنا ... وتطلب بنات شبه بدر تمام
اما تستحي تطلب بنات كواعب ... اماره اصايل من فروع كرام
وراهم حسن الهلالي ابو علي ... حامي اليتامى يوم حرب صدام
فلابد عن قتلك وقتل رجالكم ... يوم الوغى عند حرب حسام

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من هذ الشعر والنظام انطبق على السركي انطباق الرعد في الغمام فالتقاه السركي كانه ليث الاجام واخذ معه في طعن الرمح وضرب

الحسام وكان السركسي افرس اهل زمانه ولا احد يعادله في ميدانه في ضربه وطعانه وكانت تضرب به الامثال وتهابه الفرسان والابطال فقاتله خصمه اشد قتال حتى اتعبه واكربه وضربه بحد الحسام قاصدا ان يسقيه كاس الحمام فاستتر ابوزيد بالدرقة فنزلت الضربة على رقبة الجواد كانها صاعقة ابرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع ابوزيد على الارض وانحصم فهجم السركسي عليه هجمة الاسد واراد ان يثني عليه بالسيف المهند فلما رأي ابوزيد تلك الحال خاف من الهلاك والوبال فطلب منه ان يعفو عنه فاجابه الى ذلك الشان وقال له اذهب من الميدان وارسل لي الامير دياب حتى اعلمه حقيقة الطعن والضرب او تحضر والى عشر الدل حتى ارقف عنكم القتال فرجع ابوزيد على الاثر وهو في حالة الذل والكدر ورجع معه باقي الجيش والعسكر حيث كان اظلم الليل واعتكر ولما وصل الى المضارب والابيات التقته النساء والبنات وسالوه عن حاله وما جرى له في قتاله وكانت امام البنات عطور الجيد بنت الامير حسن فاشار اليهن يقوله

قال ابوزيد الهلالي سلامه ... والدمع من فوق الخدود سواجم
اياعطور الجيد ان السركسي ... بشبه لذئب قد حظى بغنائم
روحي وقولي لابيك ابوعلي ... ينزل اليه باكرا ويهاجم
مادامت النسوان توله في الورى ... تظهر فوارس كالسباع تصادم
هذا السركسي ما احد يصادمه ... اذا قام في ظهر الحصان يلاطم
فامضي الى حسن الهلالي والدك ... وقولي له ابوزيد ولى هزايم

قال الراوي فلما فرغ ابوزيد من هذا الشعر تعجبن البنات واستعظمن الامر ورجعن وفي قلوبهن لهيب الجمر وعلمن ان السركسي بطل عنيد وفارس صنديد ثم ان ابوزيد ذهب الي عند الامير حسن وهو في الديوان واعلمه بما جرى وكان فتعجب الامير حسن وباقي الامراء على ما تم وجرى وقالوا مادام الامر على هذا الحال فما بقى غير الامير دياب ان يبرز الى السركسي في ساحة النجال فلعله يقضي الاشغال ويبلغ منه الامال والا تضعضعت منا الاحوال وطمعت فينا ابطال غزه دون باقي الابطال فاستصوب الامير حسن هذا الكلام واشار بحمس الامير دياب بهذا الشعر والنظام

قال القني حسن الهلالي يادياب ... انت فارس الخيل شهم منتخب
فقم وانزل لقتاله يا امير ... واسقيه بالحرب كاسات العطب

وانرك داه فوق الوطا كما فعلت بالخزاعى في حلب
بالحرب والمرجله انت مجرب ياعز قيس فى المكاره والكرب
قال الفتى امير قيس وعامر اليوم اقتله ويلفنا الارب

قال الراوى فلما فرغ الامير حسن من كلامه اشار الامير دياب يجيبه على شعره ونظامه

يقول الفتى الرغبي دياب المنتخب وحق النبي ومن بمكة قد خطب
لابد عن قتله ياامير الملا وادعي دماه على الاراضى ينسكب
واليوم تملك فى بلاده بلا خفا وتجعل غزه تحت احكام العرب
نحن ملوك هلال فرسان الوغا وليوث حرب لانخاف من العطب

قال الراوى فلما فرغ الاميرديباب من شعره ونظامه شكره الامير حسن وباقي الامراء على حسن اهتمامه وباتوا تلك الليلة على تلك النيه وقد خافوا من عواقب القضية ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح برز السركسى الى ساحة المجال فصال وجال وطلب برازالابطال فبرز اليه الاميرديباب كانه ليث الغاب وهو راكب على فرسه الخضر اركل العيون تنظر اليه وتري ولما صار في ساحة الميدان التقاه السركسى بقلب كالصوان وقال له من تكون من فرسان قال انا البطل المصادم والليث المقارم الذى شاع ذكره فى الاعارب والاعاجم الاميرديباب بن غانم فضحك السركسى من هذا المقال والتقى خصمه في ساحة المجال واقتتلا بالرماح والنصال اشد القتال وهجما على بعضهما هجوم الاسود حتي خدرت منهما الزنود وبازلا على تلك الحال الى وقت الزوال وكان السركسى كما تقدم الكلام من اشد الفرسان العظام وفى تلك الايام فاله استطال على الاميرديباب بعدان لعب عليه من ابواب الحرب اثنين وسبعين باب فهرب من امامه مع عسكره وخلانه ولم يثبت لحربه وصدامه حتى دخل المضارب والخيام وهو مقهور ورجع السركسي الى قومه وهو بغاية الفرح والسرور وبات تلك الليلة مشروح الفؤاد على نيل المراد واما الاميرديباب فرجع وهو غائب عن الصواب حتي اقبل الى صيوان الامير حسن فلما رآه قال له علامك ياامير دياب فانى اراك في خوف واضطراب فعند ذلك اشار يخبره بهذه الابيات على مسامع الامراء والسادات

قال المدعو الامير دياب والنار فى قلبي تزيد لهاب

يا حسن اسمع كلامي وافهم واصغى الى قولي ورد جوابي
السركسي ما رأيت مثله فارس يفتح على بالحروب ابواب
وقد هالني لما يروح ويرتجع نزل على مثل صيد الغاب
ماله مثيل في هلال وعامر ايضا ولا في سائر الاعراب
قوموا بنا بالليل حتى نرحل يا ابو علي الرأس مني شاب

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه واراء في هلال تسمم نظامه استصوبوا من السركسي وخافوا من الشرور وعواقب الامور وجعلوا يتخابرون كيف يكون العمل في قتال ذلك البطل وباتوا تلك الليلة وفي اليوم الثاني جمع الامير حسن الابطال والفرسان ونزلوا الى ساحة الميدان فالتقتهم عساكر السركسي في ساحة المجال واقتتلوا اشد قتال وهجموا على بعضهم البعض واشتبك بين العسكرين القتال وجرى الدم وسال حتى كلت منهم الزنود وبقيوا على هذا الحال الى نصف النهار فما كنت ترى الا رؤسا طائرة ودماء فائرة وفرسانا غائرة حتى دارت على قوم السركسي الدائرة وفيما هم على مثل هذا الحال ومتضايقين بالحرب والقتال وقد آيسوا من النجاة وكانت بنوا هلال محيطة بهم من اليمين والشمال فبينما هم في ضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات واذا بغبار من خلفهم قد سار حتى سد منافس الاقطار وبان عن عسكر جرار ليس له قرار وفي مقدمتهم الوزير راشد الاسد المعاند فانه كان قد جهز مائتين الف فارس امرد عوابس وكان السبب في قدومهم ان السركسي ارسل يطلب منهم الامداد للحرب والطراد فحضر الوزير بمائتين الف عنان فلما وصل الى ساحة الميدان ووجد ما بقومه من الذل والهوان هجم على بني هلال واحاط بهم من اليمين والشمال وخلص السركسي من بين ايدي بني هلال واقتحم هو والعساكر الى ساحة المجال بقلوب كالجبال ومازال الحرب يعمل والرجال تقتل والدم يبذل الى ان انكسرت بنوا هلال اشد انكسار وانهزم الامير دياب بني زغبي وابو زيد بني زحلان والامير حسن والقاضي بدير ببقية الفرسان وتبعهم الوزير راشد بكل بطل مغوار واسد كرار وشتتهم في جوانب القفار مسافة ثلاثة ايام وكسب منهم غنائم كثيرة واموال غزيرة ولما اظلم الظلام رجعت الفرسان عن بعضها البعض ورجع الوزير والملك وهو بحالة الانتصار وقد كسبوا من بني هلال المال والبنات والذوق والجمال وصارت بنوا هلال مشتتين

في البراري والتلال وفي تلك الليلة اجتمع الامير حسن والامير دياب والامير ابو زيد واكابر الديوان واخذوا يتشاورون في خلاص ما اخذه منهم قوم السركسي وكيف يقتلوا الوزير الذي كان في سبب هذا البلاء (قال الراوي) وكان للامير حسن بن اخت شديد الباس قوي المراس يسمى الامير عقل وكانت اوصافه ممدوحة مستحسنة وعمره اربعة عشر سنة فلما رأى ما جرى وكان وانهزام الابطال والفرسان من قتال السركسي في ساحة الميدان استعظم ذلك الشان الى عند خاله الامير حسن وتعهد له بقتل السركسي وازالة الكروب والمحن بشرط ان تذهب معه النساء والبنات ليشجعوه في الحرب والثبات ثم انه بعد ذلك الكلام انشد هذا الشعر والنظام

يقول الفتى عقل الامير بما جرى ... ونيران قلبي زايدات وقيد
اما فارس الفرسان في حومة الوغا ... اخلي الاعادي بالفلا شريد
فنادى بنات هلال يا تون سرعة ... ونادى لنا ام الامير شديد
ونادى لنا للجازية ام محمد ... وغيا وريا ثم ام الحميد
ونادى لوطفا بنت عمي وزينب ... وعليا ونجلا حسنهن يزيد
فاوريك فعلي فيه يا بو علي ... واريه طعناني المجال شديد
على ظهر حمرا ليس يوجد مثلها ... الا فوقها قرم اصيل عنيد
مقال الفتى عقل الامير بما جرى ... لا خير في رجل يعيش بليد

قال الراوي فلما فرغ الامير عقل من كلامه شكره حسن وباقي الامراء على حسن اهتمامه وقد تعجبوا من ذلك الامر وقالوا لعل الله ان ياتي على يده بالفرج والنصر ثم ان الامير حسن امر اخته الجازية ان تنتخب في الحال مائة بنت من خيار البنات الابكار اللواتي يشبهن الاقمار فحضرت بهن عند اخيها بالعجل وقالت له ماذا تريد ان تفعل قال تذهبي مع البنات ومع الامير عقل الى ساحة الميدان وتنشدونه بالاشعار الحسان كما فعلتهم مع غيره من الفرسان حتى يتحمس على قتل السركسي ابن نازب فلعله يقضي الاشغال وتنال المقاصد فلما سمعت الجازية فحوى كلامه استعظمت الحال وقالت كيف نذهب مع عقل وهو ولد صغير السن وليس هو من رجال الحرب والقتال فاذا كان ابو زيد ودياب ما قدروا على قتال السركسي فكيف يقدر هذا الصبي وربما نحن بهذه الوسيلة نقع في الورطة الوبيلة ويأسرنا السركسي بن

نازب ونبقى مسيرة بين الاعارب فلما انتهت من هذا الخطاب تقدمت وطفا بنت الامير دياب وانشدت تقول

تقول فتاة الحي وطفا التي شكت ... بدمع جرى فوق الخدود بدايد
ابو زيد وابي دياب الغشانم ... مامثلهم بين الملوك شديد
راحوا هزايم منه يا امير ابو علي ... فكيف ترسلنا مع طفل وليد
مقالة فتاة لوع البين قلبها ... فاحكم بعدل لاتكون عنيد

قال الراوي فلما فرغت من شعرها ونظامها وعرف الامير حسن فحوى كلامها اغتاظ الغيظ الشديد قال لها هذا الكلام لايفيد ثم أمرهم بالركوب مع الامير عقل وفي الحال ركبت الباريات أمام الفرسان والابطال واعتقلوا بالرماح والنصال وتصدوا ساحة القتال فلما وصلوا اصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف وكان الامير عقل مسربل بالسلاح وهو راكب على ظهر جواد يسابق الرياح فبرز الى الميدان عرض وبان وطلب براز الفرسان فبرز اليه السركسي كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل فقال له من تكون من الابطال وصناديد الرجال فاني أرى نفسك شامخة معتزة قال انا السركسي امير غزة وانت من تكون من الشبان

قال الامير عقل بن الامير بدر ثم انشد وقال

يقول الفتى عقل الامير بماجري ... بدمع جرى فوق الخدود سكايب
أنا فارس الفرسان في حومة الوغي ... اهلي دماك على الاراضي سكايب
ونحن الهلاليون ماقينا غبا ... فمن نجد نملكم الارض المغارب
ولا بد ما ادعى لشخصك مجندلا ... وتصير غزة من بعدك خرايب
ورنك موق الحرب بيني وبينك ... وتشهد بنات القوم من كل جانب
مقال الفتى عقل بقول صادق ... فلا بد من سيفي تروح شطايب

فلما انتهى الامير عقل من كلامه أجابه السركسي على نظامه

يقول الفتى السركسي بن نازب ... ونيران قلبي زايدات اللهايب
فيا ايها الشاب الذي ضر نفسه ... أظنك مجنون بلا عقل ذاهب
مالك ومال الخيل تلوى عنانها ... وتحارب أصحاب اللحا والشوارب
فان طعتني اسلم بروحك وانهزم ... وارجع الى اهلك وولى هرايب

هجمنا على عسكر هلال وعامر فساروا ولوفي البراري هرايب
فارجع عن الميدان ياولد الخنا والا دعي دمك على الاراضي سكايب

قال الراوي فلما فرغ السركسي من كلامه التقاه الامير عقل واخذ في حربه وصدامه هذا وقد التقى البطلان في ساحة الميدان كانهما جبلان اواسدان كاسران وعلا عليهما الغبار حتى حجبا عن الابصار وقدحت حوافر خيلهما شرار النار ومازالا على ذلك الحال وهما في أشد قتال الى قرب الزوال وكان السركسي قد تعجب من حرب الامير عقل واستعظم قتاله لانه رأي منه في مواضيع الطعن والضرب ماادهشه واهاله ثم ضربه بالدبوس قاصدا ان يدمغه الحياة و يجعل القبر ماواه فخلى عنها فراحت الضربة خائبة عنه ان كانت صائبة ثم ان الامير عقل ارتد على خصمه مثل الاسد وضربه بالسيف المهند فجائت الضربة على رقبة الجواد فبرتها كما يبرى الكاتب القلم فوقع السركسي على الارض وانحطم فادركوه قومه في عاجل الحال ونشلوه من ساحة القتال فمال عليهم الامير عقل بالحسام فولوا وطلبوا الانهزام حتى وصلوا الي غزه عند الظلام فرجع الامير عقل هو والفرسان من معركة الصدام وهو في فرح واستبشار ورجعت معه البنات الابكار وقد تعجبن من امره نظر لصغر سنه فدخل على الامير حسن وسلم عليه وعلى جميع الامراء الذين حواليه واعلمه بما جرى وكان وكيف ان خصمه ولى من ساحة الميدان بعد ان حاربه طول النهار وقال لولا كنت في ريب في كلامي فاسال البنات الابكار فشهدت له البنات بالشجاعة والفروسية والهمة العلية فشكره الامير حسن على فعاله وقد تعجب من قتاله وثباته واجلسه بقربه في صدر الديوان ووعده بالجميل والاحسان ورفعه الى درجة الامراء والاعيان هذا ماكان من بني هلال واما ماكان من السركسي فانه رجع من ساحة القتال وهو مشغول البال فاجتمع بوزيره واعلمه بقتال الامير عقل ووبخه بالكلام ولامه أشد ملام وقال له قد كنا في غنى عن هذا التعب والعنا لانك انت الذي أشرت علي في حرب بني هلال دون باقي الامراء وسادات الرجال حتى جرى ماقد جرى في هذا النهار من ذلك الولد الجبار والبطل المغوار فقال له الوزير لا تخاف يامالك الزمان ان شاء الله نهارغدا انزل الى الميدان وابارز هذا الولد واذيقه الاهوال والشدائد وباتوا تلك الليلة يتحارسون وفي الصباح اصطف الجيشان

وتقابل العسكران وبرز الوزير راشد الى ساحة الميدان وطلب الفرسان فبرز اليه الامير عقل فالتقاه راشد بقلب كالجبال والتحم بينهما القتال في ساحة المجال وتضاربا بالسيوف وتطاعنا بالرماح وفعلا افعالا تعجز عنها صناديد الابطال ومازالا على على تلك الحال وهما كل يوم في حرب وصدام بشبيب الاطفال قبل الفطام مدة خمسة ايام على التمام وفي اليوم السادس التقيا في ساحة الميدان ونقاتلا أمام الفرسان الى ان اختلف بينهما ضربتان قاطعتان وكان السابق الامير عقل فجائت الضربة على رأس الوزير راشد فوقع قتيلا وفي دمه جديلا فلما رأت قومه ماحل به من الوبال نشلوه من ساحة القتال واما الامير السركسي فلما نظر ما جرى كان وكيف ان وزيره قد قتل وحل به الهوان غاب عن دائرة الصواب وهجم على الامير عقل مثل ليث الغاب فالتقاه عقل وانطبق على السركسي كليث الاجام واخذ معه في الحرب والصدام فالتقاه السركسي بقلب اقسى من الصوان وتقاتل معه في ساحة الميدان حتى تحيرت من قتالهما الفرسان ومازالا على تلك الحال وهما في أشد قتال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعا عن الحرب والقتال ورجع السركسي وهو غضبان على ماقاسي من الحرب والطعان في ساحة الميدان وخصوصا على ما اصاب الوزير من الهلاك والتدمير وصمم النية ان في ثاني الايام يهجم بالفرسان والابطال على على بني هلال ويذيقهم العذاب والنكال هذا ماكان السركسي وما جرى له من الاحوال واما بنو هلال فان الامير حسن بعد رجوعه الى المضارب والابيات احضر اليه الامراء والسادات وقال لهم اعلموا ايها الرجال انه قد طال علينا المطال في هذه الاطلال ونحن جل قصدنا الوصول الى تونس الغرب لنخلص أولادنا من اسر الزناتي بالحرب والطعن والضرب والرأي عندي الان ان نهجم في الصباح بالابطال والفرسان ونحارب اعدانا بقوة الجنان حتى نبلغ الامال ونسير بالعجل من هذه الاطلال ويركب الامير دياب في بني زغبي الشجعان والقاضي بدير والخفاجي عامر مع الامير زيدان والرياشي مفرج وعرندس الزغبي والامير عقل يقصدون الميدان والامير ابوزيد يركب في بني زحلان ويقصد ابواب غزة بعد حضور السركسي الى الميدان وهكذا تم لاتفاق وصار الافتراق

قال الراوي ولما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب وركبت

الفرسان للطعن والضرب واندفعت الشجعان الى ساحة الميدان من كل جهة ومكان وطلب السركسي معركة القتال وطلب براز الابطال فبرز اليه الامير دياب وتجاول معه ساعة من الزمان ثم هجمت العساكر على بعضها البعض فى تلك البقاع كانها كواسر السباع وجعلوا يتضاربون بالسيوف ويتطاعنون بالرماح حتى جرى الدم وساح وزهقت الارواح ومازالوا على تلك الحال الى قرب الزوال فعند ذلك هجم الامير عقل وزيدان واقتلعوا السركسي عن ظهر الحصان واوثقاه بالسلاسل والقيود واخذاه الى الخيام وبلغا المقصود ولما بلغ الامير ابوزيد هذا الخبر فرح واستبشر وكان كما تقدم المقال انه محيط بالبلد من جهة الشمال فعند ذلك هجم بالفرسان والابطال على عساكر السركسي الذين انهزموا من ساحة المجال وحكم فيهم ضرب السيف النصال وبعد أن دخلت بنو هلال على غرة بقلوب معتزة فغنموا الاموال وبلغوا الامال وخلصوا سباياهم من الاسر والاعتقال وكان قد أظلم الظلام فخرجوا وباتوا فى الخيام فى اليوم الثاني اقبلت اهالى البلد والاكابر والسمد وطلبوا من الامير حسن الامان فاجابهم الى ذلك الشان وارسل مناديا ينادى بالامان والاطمئنان فاستكنت الاحوال واستبشرت بنو هلال بالعز والاقبال ثم حضرت قواد الفرسان والامراء والشجعان الى عند الامير حسن بن سرحان فشكرهم على ذلك الاهتمام وغمرهم بالعطايا والانعام ثم احضروا عقل واكرموه غاية الاكرام على ما ابداه في الحرب والصدام من مزيد الاعتناء والاهتمام وقلده الامير حسن مقام الامراء العظام والبسه سيفا مرصعا بنفيس الجواهر ثم أشار يمدحه بهذه الابيات ويعرض عليه ما يريد من بنات النساء والسادات مكافاة لافعاله ومجازاة لاعماله واشار يقول

يقول الفتى حسن الهلالى ابوعلى ... بدمع جرى فوق الخدود بديد

عقل اسمع الى كلامى وافتهم ... ياليت عمرك كل يوم يزيد

انت نصرت هلال بحد سيفك ... ومنت الى السركسى فى البيد

نحن كنا غافلين بحربنا ... نصرت قوم هلال بالتابيد

لولاك كنا الان فى حالة الردى ... سبايا عرايا فى البلاد شريد

فخذلك منى ماتريد وتشتهى ... واطلب منى كل شىء تريد

وهذه بنات هلال مافيهم خنا صبا باعليهم من خلاع جديد

قال الراوى فلما فرغ الامير حسن من نظامه وفهم الامير عقل فحوى كلامه شكره واثنى عليه أمام السادات وقال له ياخال ارجوك ان احوز الاشمال بنظرك السعيد طول السنين والاجيال لانه ماحل وقت زواجى وطلوع نجم ابراجي فتقدم الامير زيدان شيخ الشباب والتمس من الامير حسن المهاب ان يامر بعمل عرس لاولاد الامار الذين حان وقت زواجهم فى هذه الادارة حيث انه تمت الوقائع والحروب واسترحنا من الشدائد والكرب فقال له الامير حسن لا باس وركبت أولاد الامارا فوق ظهور المهارا والفوارس وعملوا عراضة عظيمة لها قدر وقيمة وبعده عملوا عرسا طافحا بالمسرات رقصت فيه امامهم النساء والبنات المخدرات ومكثوا على هذا الحال ثلاثة أيام بالفرح والسرور وشرب المدام والخمور في المزاهر حتى خلو العقل حاير وبعد ذلك أحضروا الامير السركسى مقيدا بالاغلال وهو صامت الفم واللسان وادخلوه الى عند الامير حسن فترامى على اقدامه وطلب منه العفو والامان وكان جالس الامير ابوزيد عن يمينه والامير دياب عن شماله فتهدده الامير دياب فى العقاب والانتقام على ماجرى منه فحينئذ طلب منه العفو والامان وقال له يا امير دياب الوزير غشنى وكان هو سبب الاذية والضرر وكان سببا لسب النساء الحسان وارخاء العنان فى ذلك الشان فارجوك ان تعفوا عنى فحالا امر الامير حسن فى اطلاق الاغلال عنه وقال له يا أمير السركسى اعفوا عنك اذا حفظت الشرائع الملوكية وهى أوصيك بمحبة الله وحفظ شرائعه ووصاياه مادامت في قيد الحياة ولاتكون لجوجا فى الكلام ولا مدمنا الشرب المدام بل حافظ ذمام الاحتشام متخلقا باخلاق الكرام مع الخاص والعام متجنبا كلام الهزم والهزيان واقيا نفسك من عثار اللسان لانه صدور الاحرار قبول الاجرار فمن صان سره ملك امره ومن باح به لم ينجح وزاد ندمه واحذر ياسركسى من النساء الاشرار فان مكرهن عظيم وخطواتهن تؤدى الى قاع الجحيم لانهن اصل الاذى والضرر وسلاح ابليس عدو البشر يتظاهرون بين الرجال تحت براقع العفاف والكمال وهن اغدر من الحيات ومن اعظم المصائب والبليات وبهن استعان الشيطان على ملك سليمان وكان من اعظم حكماء الزمان وافضل رجال العصر والاوان حتى غدره وطغاه ونال منه مبتغاه

ثم لما تسلط على ايوب يامر الله كما هو مذكور في التوراة واعدامه كل خيراته وفجعه
ببنيه و بناته واتخذ امرانه له سلاحا فكان يحاربه بها مساء وصباحا وهو الذي
وسوس الى حواء فاغوت آدم و بها دخلت الخطية الى العالم وبالخطية دخل الموت
الذي لامهرب منه ولافوت فبالجملة انهن مفاتيح الشرور لاتركن اليهن بامر من
الامور لان ليس لهن عهد ولااعانه ولاشريعة ولا ديانة اذا استغنى زوجهن امرضته
بلسانهن وان افتقر اكلته باسنانهن واذا شاب واكتهل عاملته بالجفاء والملل وجحدن جميله
وخيره وصاحبن خليلا غيره ولوكان فقيرا وصعلوكا حقيرا ان مات تزوجن بعده وما
حفظن بعده ولاعهده كما هو ظاهر للعيان في كل عصر ورمان والان سندعيك أيها الامير
السركسي الكي تسمع وصيتي وتصغى الى نصيحتي بحضور أرباب دولتي فقال له
السركسي انا طوع يديك وجميع امورى راجعة اليك فشنف اذناى باقوالك اللطيفة
ونصائحك الظريفة فاني لامرك سامع ولوصاياك خاضع فقال له الامير حسن متى
توليت أحكام البلاد وتحكمت على رقاب العباد فاياك ان تغفل عن احوال الرعية
وتتعدى القواعد الهلالية وتخالف قوانين وشرائع الملوكية بل كن سالكا الطريق
المرضية معاملا الكبير والصغير بالسوية رافعا لشكوى المظلوم حجابك فاتحا في
وجهه بابك واضعا الاشياء في محلها والمناصب في يد أهلها ولاسيما ولاة الاقطار
وارباب الوظائف الكبار فينبغي ان يكون هؤلاء الرجال من خواص العيال ومن
أهل الفضل والكمال موصوف بالاستقامة والامانة ومشهود لهم بالحلم وصدق
الديانة لايميزون بين الحقير والشريف ولايظاهرون القوى على الضعيف فيهابهم
جميع المامورين ويقتدى بهم باقي المستخدمين لانهم أصحاب الكلام وولاة الاحكام
و بيدهم أزمة الامور وتدبير مصالح الجمهور ولمحافظة الحدود والثغور فاذا كانوا على
هذه الحالة تستقيم احوال الرعايا و ينتشر العدل والامان في كل مكان فترعى
الذئاب مع الغنم وتبات العصافير مع الرخم اما اذا كانوا خلاف هذه الاوصاف ما
يلين الى الاعوجاج والانحراف يبالون بمنافع الخلق ولايعملوا بما يقتضيه الحق
بل يصرفون الاوقات بالملاهي واللذات وسماع الاغاني والاصوات وارتكاب
الكبائر والمنكرات و يسمعون كلام الوشاة و ينقادون لطغيان العداة فتضطرب
الاحوال ويوقع الاختلاف و يكون سببا لضرر البلاد عرض الاصلاح ونفع

العباد فيضيع الحق والانصاف ويكثر الجور والاعتساف وترفع الادنياء على الاشراف وتسلط البهائم على الا كارم بالبراطل والولائم وبذل الدراهم فتسقط المملكة الهلالية ويصير وجودها كالعدم بين ملوك الامم لان الشوكة والصولة وتمكين قواعد الدولة لا تقوم بكثرة الجنود ولا باتساع الاقاليم والحدود بل انما بالوزارة وحسن التدبير والادارة وعدالة السلاطين والملوك والتصرف باحسن سلوك فاياك أيها الاميران تسمي وزيرا وتقيمه مديرا اومشيرا الا بعد الفحص والامتحان ولو كان من رفعة وشان حتى تستقيم دولتك وتستعد به أحوال رعيتك فهذا الذى يقتضيه مقامك ويحسن به الدارين ختامك واياك ان تمتز في الدنيا ولذتها وتلتهى بافراحها ومسراتها فانها محاله غدارة جميع امورها مستعارة فلا تركن اليها ولا تثق بها وتعتمد عليها فكم افنت من الملوك وفتكت بالانبياء وماهى الا كظل الزائل والحدار المائل واعلم يا امير السركسي ان مراتب العليا وسعادة الانسان في هذه الدنيا لا تنال بالفصاحة والمهارة ولا في كثره السعي ومعاطاة التجارة ولا بالتقوي اوقوة الباس كما يتوهم بعض الناس وانما هي موهب وعطايا وعناية من رب البرايا لاناس خصصهم الله دون الغير وفتح في وجهم أبواب الخير وذلك اغايات لا تدركها العقول واسباب لا تهتدي الى معرفتها الفلاسفة الفحول فمنهم اتقياء وابرار ومنهم اشقياء واشرار كما هو ظاهر بالاختبار كالشمس في رابعة النهار ولكن يجب على صاحب الدولة ان لا يكل عن مساعدة العناية و يصرف وقته في الكسل دون ادنى عمل لكن عليه ان يسعى ويجتهد وعن طريق الشر يحيد و يبتعد فيجب على الانسان الحاذق ان يخضع لاوامر الخالق ويقبلها بالرضى والتسليم لان الله كريم وعادل وحكيم وهو الشفوق على عباده كما الوالد على أولاده فلا اعتراض اذا على ما حكم ولا فيما سمح به وارسم وسوف لتضح هذه الامور في يوم المنشور عند ما تقوم الموتى من القبور فتظهر الحقائق وتعرف الخلائق مقاصد الخالق واوصيك متى توليت تحت مملكة غزة اوصيك في الحكم والحكم والسيف والقلم وواجب عليك ان ترسل الى الجزية في كل عام فحينئذ نهض السركسي فقبل يديه وقال له انا طوع يديك وجميع امورى متجهة اليك وما انسى جميلك واحسانك مادمت في قيد الحياة فحينئذ امر له الامير بحسن في خلعة سنية وحلة ملوكية ونهض الامير ابوزيد والامير دياب والبسوه

اياها امام الوزراء والقواد وارصلوه الى محكمته فى احتفال عظيم واجلسوه على تخت المملكة وودعوا بعضهم بعض ثم أخذوا في اهبتهم للمسير الى بلاد الغرب لكي يخلصوا اولادهم من الاسر والكرب فركبت الاربع تعينات الوف وانتشرت البيارق والصنوف وضربت الطبول فى الصحارى والسهول واخذ يجدون فى السير ويسابقون فى مسيرهم الطير الى ان اقبلوا على وادى العريش فنصبوا المضارب والخيام وسرحوا مواشيهم تلك الوادى والاكام

قال الراوى انه كان فى العريش ملكا من الملوك العظام صاحب بطش واقدام يقال له البردويل بن راشد وكان فارس شديد بطل عنيد وكان بانى له قصر امشيد الاركان عالى البنان وحوله العسكر والفرسان وكان محوسى يعبد النار دون العزيز الجبار ويسجد الى الشمس فى كل نهار ويلبس طاقية الاخفا ويقرأ الطلاسم والبرهان فما يعود احد ينظره من الفرسان وبهذا الشان يقهر الابطال والشجعان ففى بعض الايام اخذ خبر بنت الملك سنبس الملك مرصاد حاكم هاتيك البلاد وعنده ثلاثمائة الف فارس مابين مدرع ولابس والبنت اسمها عليا وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال فلما سمع البردويل بوصفها ما بقى بملك من العقل ولا درهم فكتب كتاب الى ابوها مرصاد يطلب ابنته عليا على الزواج فابى الملك مرصاد ذلك فحارب البردويل وقتله وقتل وزيره وأخذ ابنته عليا زوجة له هذا ما كان من امر الملك البردويل والملك مرصاد ونرجع بالكلام الى بنى هلال فانهم لما انتهوا من حرب السركسى في غزة قصدوا وادى العريش فنصبوا فيها المضارب والخيام وسرحوا مواشيهم على تلك البوادى والاكام وكانت هاتيك البلاد يحكم عليها البردويل فلما سمع بقدوم بنى هلال الى بلاده ونزولهم في وادى العريش ضد مراده واطلق طروشهم في كرومه يأكلون الاثمار ويقلعون الاشجار اغتاظ وتكدر وشخر ونخر واقسم يرب البشر ان لا يبقى من بنى هلال لا عينا ولا اثر واستدعي بوزيره منصور اليه فتمثل بين يديه فقال له ما الرأى فى هؤلاء العربان الذى غطي سوادهم البطاح والوديان وأشار يقول

(انتهي الجزء الحادى عشر ويليه الجزء الثانى عشر

الجزء الثانى عشر من تغريبة بني هلال

﴿ وهو يحتوي على قصة البردويل بن راشد ﴾

قال الهمامى ودمعى سجامى انا بن راشد قاهر الاخصامى جونا هلالى غوق الجمالى ونزلوا قبالى وابنوا الخيامي واينوا البيوتى ثم التخوتى وهبوا الرخوتي الخيل كرامى واملوا الاراضي طولا وعرضي اليهم لامضي بجنح الظلامي معهم دروعي سيوفا وعي جملة جموعي قوما لزامى معهم رماحى بيضا صفاحى لاجل الكفاحى ليوم الصدامى باوزيرمنصور قل لى ما شور لنركب وندور ندركهم قوامي لنركب عليهم ونبلغ اليهم ونهجم عليهم وقت المنامى دولى خوارج جرنا دوارج مثل الدخارج ادفنهم امامى يقول ابن راشد للقول ناشد والاعداء حاصدا فى يوم الزحامى

قال الراوى فلما فرغ البردويل من كلامه والوزير يسمع نظامه اجابه وقال ياطويل العمر ورفيع القدر ان كنت تريد رأى وشورى ولا تقع لقول غيرى اكتب الى الامير حسن فى طلب عشر المال والنوق والجمال فان اعطي كان قتالهم حرام وان ما أعطى يكون قتالهم حلال وحلال فبعد ان تم الوزير هذا الكلام عنده طلب البردويل قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واخذ يكتب الى الامير حسن فى طلب عشر المال والخيل والجمال ويقول

يقول الفتى البردويل بن راشد ... وفارس الهيجا بيوم طرادي
ولى همة تعلوا على كل ماجد ... ولى فى ملاقات الملوك عوادى
ياحسن اسمع كلامي وافهم ... واصغى لقولي لا تكون مفادى
من أى ارض قد اتيتو لبلادنا ... وانا حاميها فوق ظهر جوادى
يا بو على وراى العريش حميتها ... بسيفى ورمحى للدما بدادي
يا بو على قدم لنا عشر خيلكم ... وعشر المواشى مع جمال بوادى
وقدم لنا وطفا و بنت القاضي ... وقدم لنا بنتك بغير عنادى
وان لم تجيبوا كل شيء طلبه ... ردوا الى نجد سريع زوادى
حاقال البردويل بن راشد ... وانا دوم سيفى للعدا عنادى

(قال الراوى) فلما فرغ البردويل من كلامه ونظامه طوى الكتاب وختمه بختمه واعطاه الى عبدة سعيد فاخذه وسار فى الحال الى ان وصل الى بنى هلال فسال عن صيوان الامير حسن فدلوه عليه فدخل اليه وكان القوم مجتمعين حواليه و بعدان وصل الرسول وسلم قدم الكتاب ولم يتكلم ففضه الامير حسن وتلاه وفهم رموزه ومعناه واطرق وافتكر ساعة ثم قال ابو زيد ما الخبر نا وما اليه الامير حسن بطرف البصر الى العبد فمضوا به الى دار الضيافة بحسن لطافة واخذ ابو زيد المكتوب قراه على روس جميع فقال الامير حسن اصغوا الى ثم انشد يقول

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على ... النار فى قلبى تزيد لهاب
اسمعوا لى يا امارا وافهموا ... من اجل هذا صار فكرى فى حساب
للبردويل اخبار شاعت فى الملا ... كم بطل ياقوم ادعاهم ذهاب
قاطع درب القوم جميعها ... وقد نهب اموال ما لها حساب
هذا بيعرف يا ملك اسما عظيم ... اذا تلاه على اصم الصخر ذاب
وان تلاه على عسكر ضده ... يقطع الاعضا منها والرقاب
وقيمة الاخفا عنده حقيق ... واذا لبسها يختفى ورا الحجاب
لو كان مثل الناس باين شخصه ... كنا جدناه سريعا فى التراب
دبر واشى رأى حطوا للغفر ... هذا شور مليح هو م الصواب
قال الفتى حسن الهلالى ابو على ... اصبحت سكران من كاس الشراب

(قال الراوى) فلما فرغ حسن من كلامه والامارا تسمع نظامه فقال الامير دياب حيث ان الامير ما حكى الا الصحيح الخبر فالواجب ان نباشر بالغفر حيث ما احد يلقى البردويل فى هذا السبيل فلما سمع ابو زيد من دياب هذا المقال وقف شعر شاربيه وقال يا امير ما كنا متاملين منك هذا الكلام وانا والله على قتل البردويل واخلى جميع العربان تشهد لى بذلك فقال له دياب لا تحسب اللعقات كلها زلابيه واشار الى ابو زيد فى هذا القصيد

قال ابو وطفا دياب الماجد ... ابو زيد خلى القول عنك والخطاب
ابو زيد ما كل الرجال على السوى ... اياك تلقاه وتنزل للحراب
تهلك وتهلكنا جميعا كلنا ... ولا الارانب يافتى مثل الذئاب

ابو زيد ما كل البحور رقيقة ... ياخذون المال مع كل الشباب
ولا الرخم مثل الصقور الطائره ... ولا الثعالب يشبهوا ديك العقاب
ولا البواشق مثل عصفور الذى ... تبقى ملان الارض ايضا والرحاب
ولا السيوف القاطعة مثل الحديد ... ولا الخنافس مثل حيات الجباب
ياحسن البردويل نعم الفتي ... قد شاع ذكره فى الاراضى والشعاب
قوموا ادفعوا رسم الجزيه واسلموا ... وانا على الدفع من قبل الشباب
نعطيه عشر المال ايضا والنسا ... ونسير اليه جميعا مثل الضباب
قال ابو موسي دياب الماجد ... قولى صحيحا ما به ادنى عتاب

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه والجميع يسمعون نظامه احمرت عينين الامير ابوزيد وقال كل هذا الذى لسيته الى فراح بتكلم فى قتال البردويل ويعاتب دياب يقول

قال ابو زيد الهلالى يادياب ... لست اخشي البردويل ولا اهاب
فكم وكم من فارس قد فاقه ... ادعيه مدفون من تحت التراب
ان كان عنده مكر عندى الف مكر ... او كان عنده باب عندى الف باب
لابد عن قتل بن راشد يا امير ... لو كان في حصن وداخل الف باب
ان كان عنده اسم عندى الف اسم ... كل اسم للبرايا لايهاب
ان كنت تخشي يا امير كفاحه ... اجلس فى صون النساضمن الطناب
وانا الذى اغدوا اليه عاجلا ... وانزل انا واياه باكر للحراب
ان كان يقتلنى فيا تعسا لكم ... او كنت اقتله فقبلوا الركاب
دياب تعرف همتى يوم الوغى ... انا صور الخيل فى يوم الحرب

(قال الراوي) فلما فرغ الامير ابو زيد من كلامه والامير دياب يسمع نظامه فقال له انا ما زحتك يا امير حتي انظر ما يكون عندك من التدبير فعند ذلك نادي ابوزيد العبد وقال له اخبر سيدك وقل له ليس لك عندهم غير طعن الحراب ورمى الرقاب فراح العبد واخبر مولاه البردويل بهذا الخبر الثقيل فلما سمع البردويل هذا الكلام صار الضيا فى عينيه كالظلام وفى الحال نادى وزيره منصور البطل المشهور وقال له اركب في ماية الف من الابطال وانزل الذل فى هؤلاء الانذال ولا تبقى فيهم ولا رضيع فقام الوزير للحال وامتثل امر سيده ونادي الاجناد والابطال فلباه ماية الف فارس

كرار وبطل مغوار ووجد فى تلك العساكر حتى بلغ ساحة الميدان ومحل الضرب والطعان فحين ما نظرت بنو هلال عساكر البردويل قد اقبلت بادروا فى الخيل واعداد العدد وكان ابو زيد تتطاير من عينيه الشرار وناداعبده ابو القمصان وقال له اسرج الحمرا فقال له دياب دعنى انوب عنك فى هذه الكرة فامر على بنى زغبى فى الركوب فركبت الجميع فاتوه مثل سباع الكواسر فدقت الطبول وانتشرت الرايات وركب الامير دياب على الخضراوانطبق على عساكر الوزير وابلاهم بالذل والتدمير وعندما انتصف النهار التقى بالوزير منصور وهو كالاسد الهسور وانطبق عليه انطباق الليالى على الايام وصالا وجالا والتحما واصطدما وابتعدا وافترقا واختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين كان السابق فى الضربه الوزير فى الرمح خلى عنها الامير دياب فراحت الضربة خالية بعدما كانت صائبة فعند ذلك عزعود الزان الامير دياب حتى التوا الكعب الى السنان وضربه بين البزبن طلع يلمع من بين اللوحين فوقع قتيل وفى دمه جديل فحين ما نظرت عساكر البردويل ما حل فى الوزير انطبقوا على الامير دياب مثل سباع الغاب فتلقوهم بنى زغبى مثل الاسود الكواسر بالسيوف البواتر والرماح الطوال وللّه در الامير دياب فانه ابو ريش الروس مثل الاكرونثر هاكاوراق الشجر فلما امسى المسى ولت قوم البردويل وهم ينادون بالعويل والثبور وعظائم الامور واخبروا ملكهم بما فعله بهم الامير دياب الاسد الذى لا يهاب فعند ذلك وثب البردويل كانه نمر جارح اوديب خاطف وركب على ظهر جواده الاشهب ولبس ثلاثة دروع وثلاث خوذ وثلاث دوارق ووضع فى جيبه طقية لاخفا ونادى بالرجال والابطال وركبوا وراه فباه اربعماية الف فى عاجل الحال وانتشروا فى الروابى والجبال فدقت طبول الحرب واستعدت نيران الطعن والضرب فجفلت بنو هلال مما رأت من الرجال والابطال ولا سيما من نظر البردويل وهو مشهور فى بدا الحسام فلما التقت العين بالعين انطبق عليهم كانه صاعقة او الحن الماحقة فحين نظروه بنى هلال اعتراهم الخوف والرعب فى الحال ولكن للّه در بعض ابطالهم فانهم اظهروا الجلد واخفوا الكمد ومع كل ما جاهدوا وعانوا استظهرت عليهم عساكر البردويل وكسرهم فى آخر النهار فرجعوا على اعقابهم مقهورين وقد كان ابو زيد غائب فى الصيد والقنص ولم يعلم ما جرى فى هذه القصص فى صيوان الامير حسن ومن بعد رجوع بنى هلال من هذه الوقعة التى كانت عليهم

اشام الوقائع اجتمعوا واخذوا يتشاورون فى دفع الجزية للبردويل واذا هم في الحديث اقبل ابوزيد فلازموا السكوت فسالهم الامير ابوزيد مالهم وعما لاقوه من حرب البردويل اجابه الامير حسن وقال له والله ان البردويل ما احد يلقاه لا انس ولا جان فقال له الامير ابوزيد والله يا امير حسن قد غراكم الوهم ولا شك انكم تتشاورون فى دفع الجزية للعدو فوالله ثم والله ما طوعتكم ابدا ولا أرسل الجزية ما زلت أقدر على ركوب الجواد وانقلد فى آلة الحرب والجلاد وراح يتكلم بقتل البردويل ويقول

قال ابوزيد الهلالى ياحسن ... اسمع كلامى انت مع من الحضر
لاتخافوا من طعان البردويل ... انى اطفى لكم منه الخبر
وغدا باكرا نا انزل اليه ... فوق مهر مثل طير اوصقر
سوف أسقيه المنية عاجلا ... ثم اتركه حديثا يتذكر
ما يشاء ربى ويركبنى الجواد ... لاتخافوا من ملوك ووزر
وكفى التسليم فى كل الامور ... وهنيئا المذى بلغ الوطر

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه والقوم يسمعون نظامه قالوا ياويلنا من بعدك يا بوشيبان يا مزيل الكروب فى وقت الطعان وقد انصرفوا من الديوان وتوجه كل أمير للصيوان ولم يبق عند الامير حسن غير دياب والقاضى بدير وطى بن مالك وابوعوف وعامر وحماد وعرندس فتشاوروا مع بعضهم وقالوا غدا نذهب ابوزيد الى البردويل فيقتله البردويل ونبقى بعده فى حزن طويل ما نكون عملنا شىء ثم نهض الى الامير ودخل الى خزنة السلام وطيلم قيد الملك وهو اربعة ارطال فضة ووضعه فى منديل راعطاه الى دياب وقال له اذهب الى عند الامير ابوزيد انت وخالك والقاضي بدير والامير طي بن مالك والامير ابوالعوف وعامر وحماد وعمك عرندس وقل له ان كنت طايع الله والامير توضع رجلك فى هذا القيد ليكره وباكر نجى نفتح لك فان حسن خائف عليك ان تذهب الى البردويل يقتلك فاخذ القيد دياب والامارا الذى قال عنهم حسن وسار الى عند الامير ابوزيد ودخلوا وسلموا عليه فقام لهم على الاقدام وترحب بهم غاية الترحيب واجلسهم فى دار الضيافة وبعده قال لهم ماهذه الجبه فقام دياب ووضع المنديل قدام ابوزيد وقال له باعث لك اياه بن عمك الامير حسن فقام ابوزيد فتحه وجد فيه القيد فقال ماهذا

يا أجاويد قالوا لاجل ان توضعه فى رجلك ليكره واخبروه بما قاله حسن فقال صبرا جميل ومهت ساعة . قال ان خالفت حسن فما يعود احد يطيعه ومن يقدر يسفه كلام الاجاويد ثم انه أخذ القيد ووضعه في رجله وقال سمعا وطاعة الله والامير ولكن لى عليكم واحدة تهيئوا وتفتحوا لي القيد بكره من صلاة الصبح فقالوا سمعا وطاعة وذهبوا اعلموا حسن فخاف حسن ان يتعوقوا على أبو زيد فبعث وراء أم مخيبر وقال لها يام مخيبر خذي مفتاح القيد حطيه معك ولما تشوفين الفجر لاح يمكن الامارة يتعوقوا على بعلك وابقى اعطى المفتاح لابنك مخيبر وادعيه يفتح لابيه القيد ويقول له توجهت واحضرت المفتاح من عند الامير حسن واياك يا ام مخيبر يعلم بك ابو زيد وتخبريه عن المفتاح فقالت له سمعا وطاعه ثم ذهبت الى عند ابو زيد وقعدت قباله هذا ما جرى على ابو زيد الدرغام ورجع الكلام الى البردويل الهمام فانه في الصباح دق طبول الحرب والكفاح وبرز الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان فانجدر اليه الامير حسن وحين التقت العين بالعين قال له البردويل أهلا وسهلا في أمير بني هلال وعامر من في الديار والخيل عليها خامر أما حسن فلما شاهد البردويل وهول جثته وكبر هامته وغلظ رقبته فقال والله ان هذا من عفاريت السيد سليمان ومن أفرس ابطال الانس والجان فانطبق عليه وأخذ معه في الصدام من الصباح الى وقت الظلام فافترقوا على سلام وكل منهم رجع الى الخيام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح برز البردويل الى ساحة الميدان فبرز اليه قاضي العربان فلما نظره البردويل قال انت قاضي تريد تحارب الفرسان فقال له القاضي اليوم أريك افعالي وابليك بنزال وهجم عليه وتكاونا وتصادما ولم يمضي عليهما ساعتين حتى ان البردويل برم الدبوس فى يده وضرب القاضي بين كتفيه ظن أن روحه خرجت من بين جنبيه فدار رأس جواده وولى هارب والى النجاء طالب فانحدر اليه الامير زيدان وانطبق عليه انطباق الغمام فطال عليه المطال حتى كل في الحال فولى هارب والى النجاة طالب فبرز اليه مخيبر وبعده عكرمه ثم مفلح وايضا عقل حتى برز اليه خمسة وعشرون اميرا من الفرسان المشهورة والابطال المعروفة فقهر الجميع وعلم على الكبير والصغير ولم يمكث الواحد منهم اكثر من ساعة الا وبولى هارب والى النجاة طالب ومازالوا هكذا حتى امضي المساء ولما أقبل الظلام

دقت طبول الانفصال أخذ كل منهم يشكر ما أصابه من هذا الاسد الريبال
وفي ثاني الايام برز الى الامير دياب الاسد المهاب وصال وجال واعب برمحه
العسال حتى حير عقول الشيخ والشبان وطلب براز الفرسان فبرز اليه البردويل
وهو بعظم جثه الفيل فالتقى البطلان كلهما جبين وحان عليهما الحين وغنا فوق
ارأسهما غراب البين واخذوا في كر وفر وانقراب وابتعاد فلما شاهد الامير دياب
أن خصمه شديد وقرمعنيد فاشار الى بني زغبي فطبقوا على قوم البردويل فتلفوهم
وانك بضرب مثل النار حتى ماعدت تنظر في ذلك النهار الا رؤوس طائرة ودماء
فائرة وفرسان غائرة واذال حائرة والروس تتساقط مثل ورق الشجر فيالها من
وقعة مهولة تشيب روس الاطفال وتحير عقول الابطال وكان ذلك اليوم على بني
هلال بئس الايام واشهر الاعوام وقد كسرتهم عساكر البردويل وارجعوهم الى
الخيام ينوحون على مصائب الايام ورجع البردويل الى قصره فرحان وهو يدمدم
كالاسد الغضبان هذا كله والامير ابوزيد مقيد قال الناقل فلما بلغ ابوزيد هذا
الخبر وما جرى على بني هلال من العبر اغتاظ وتكدر وصارت عيناه تقدح شرر
وصار ابوزيد يتقلب على الفراش مثل الثعبان فقالت له أم مخيير علامك انت
حامل كل هذا الهم وانت عندك مال اكثر من غيرك وانت الامارة مايدفعوك
غفارة لاي شيء ترمي روحك في المهالك مع هذا الساحر وانت ماسمعت مافا
عمل مع العباد فقال لها ابوزيد والله ماهو على شيء والكل من غيظي من حسن ودياب
مايعذرونني ولازم ان أروح للبردويل واقتله وانا بعون الله قده ثلاث مرات بكل
مايمكن واما البردويل قد طلب مال وخيل وجمال وعبيد وجوار وسلاح وبنات
ملاح وأول ماطلب بنتك جمال الظعن كيف تعطيه اياها قالت لايرحم الله ابوه
ولكن انت تقدر عليه وعلى طلاسمه وسحره فقال لها ان شاء الله تعالى وانت
ماتعرفي بعلك يا ام مخيير والامير حسن كل يوم عند الصباح يعطيك المفتاح ومرادي
الان في هذا الليل ان تسيري اليه وتسرقي المفتاح من جيبته وتجي تفتحي لي القيد
واتوجه الى البردويل واقتله واخذ أباحة على بني هلال واشار بقول

يقول الفتى المسمى الامير سلامه والدمع من فوق الخدود طفاحا
يا ام مخيير اصغي الى كلامي واعلمي عقلي وذهني والبصر قد راحا

روحي سيري لعند حسن بلا بطا واسرقي من جيبته المفتاحا
وائتني قيدي سريعا عاجلا حتى يزيل عني الهم ثم كفاحا
حتى اروح للبردويل واقتله وادعيه من فوق الوطا مسطاحا
واطفي خبره ثم اطفي حرقتي ويعود في قلبي هنا وفراحا
مقالات ابوزيد الهلالي سلامه يارب تفرجني ايا مفتاحا

قال الراوي فلما فرغ ابوزيد من كلامه وام مخيمر بنت عمه تسمع نظامه فضحكت وقالت له ماذا تعطي الذي يجيب لك المفتاح فقال لها ماتريدي ان انام عندك اربعين ليله فاذا كنت تريدي ان تفرحي كربتي افرحي لي القيد واطلقي البار للصيد فقالت له ان الامير حسن قد اقسم علي بان لا أفتح لك الا الصباح قال اين تريد الذهاب في هذا الليل فاني أخاف عليك من البردويل ان يقتلك و يعجل بدمارك فقال لها ان قلتي تاخذي لك رجل آخر وان قتلوك بعدي فما انت أحسن مني فقالت له يادلنا من بعدك يا بوشيبان واخرجت المفتاح وفتحت له القيد فوثب للحال مثل النمر الحردان وشد على بن الحيصا وتمنطق بخمس صفح من البولاد وليس الدرع المصفح وشد حاله بانواع آلة الحرب حتى صار قطعة من البولاد واعتلى على ظهر الجواد كانه قلة من القلل وقطعت فصلات من جبل وشلح عليه وعلى الحصان هيا كل الطلاسم والقسام وتحوط بايات الله العظام وسلم روحه الى الواحد العلام وقد جد السير للحال حتى بلغ قصر البردويل الربال ودار حوله ثلاث دورات فوجده عالي البنيان رفيع الاركان وهو منفرد عن القوم مسافة نصف يوم وكان وصول ابوزيد عند طلوع الشمس فكان البردويل نايم على ركبة عليا ومتمرد مثل العفريت من أول القصر الى آخره فكان وصول ابوزيد فتقدم الى الباب فوجده مصفح في الواح من البولاد كانه من بنيان ثمود وعاد فرفع يده وضرب الباب فيه بوس الحديد فتزعزع القصر بسكانه وكاد يزيح من مكانه فعند ذلك انكى على مزراقه وصار يتامل فيمن يرد عليه و يفتح له فما أحد رد عليه فدق الباب ثاني وثالث فاتاه سعيد عبد البردويل واطل من الشباك فرأى ابوزيد راكب على ظهر الجواد وهو كقطعة من بولاد فقال له ماتريد ايها الفارس العنيد والبطل الصنديد فقال له ابوزيد اريد مولاك البردويل يا أيها

العبد الزليل فاذهب اليه وقل له فارس على الباب طالبك الى الحرب والكفاح فاندهش العبد من هذه الجسارة ورجع وأخبر سيدته عليا بهذه العبارة فان مولاه البردويل كان نائم على ركبتها فقال لها يامولاتى ان فارس على الباب اسمر اللون بطل عنيد كانه البرج المشيد وهو قد ملا الارض بصراخه ولما رأنى قال لى قل لمولاك البردويل ان يبرز الى الحرب والكفاح فقالت له ماقال الملك عن اسمه أجابها الا ولكن هيئته تدل انه اعرابى وبينما العبد يخبرها بذلك والا سمعت صوت من خارج قصر يقصف كالرعد حتى كادت تهتز منه اساسات القصر وكان الصوت صوت ابوزيد وهو يقول قم يابردويل من نومك الان وفيما بعد اعوك تنام الى الابد فلما سمعت عليا هذا الصوت ارتعشت فرائصها ورفعت رأس البردويل عن ركبتها ووضعته على مخدة ناعمة وأشرفت الى الشباك قبل الامير ابوزيد وتاملت فيه واذا هو مثل الصقر وقلبه اشد من الصخر فلما نظرا بوزيد ذلك المنظر كانها البدر المنير حول نظره عنها فقالت له مامرادك ومن أى قبيلة أنت فقال لها انا الامير ابوزيد من بنى هلال ومرادى أحارب البردويل فى هذا النهار ودعيه ينزل الى حربى فلما سمعت منه هذا الكلام أخذت تترحب به وتخبره عن حالها تقول

تقول فتاة الحى التى شبكت ... ولى قلب من جور الزمان تلوف
ولى عين طول الليل ماتالف الكرى ... هما دمعها فوق الخدود الوف
انا كنت قبل اليوم ماأعرف البلا ... وربى بلانى والزمان ظروف
فاسمع أيا سيد منى وافتهم ... واصغى لقولى لاتكون جنوف
ان الملك مرصاد مامثله احدا ... يحكم على قوم بغير جنوف
مائة الف أمير تركب مع أبى ... ومائتين الف عسا كره وصفوف
خمسون الف من العبيد وغيره ... ماء كولهم لحم الغنم معلوف
وانا اتى قد فاق حسنى على القمر ... حتى دعاء البردويل كسوف
قتل ابوى بوسط عسكا بظالمه ... ودعاه من فوق الثرا محدوف
واباد عساكرنا وشتت شملنا ... وانا أخذنى غصب عنى عسوف
وا ثمان سنين اندب حائرة ... حتى الهى من سماه يشوف
فاراد اخذى بن راشد زوجة ... أيام سعدى قد انت سعوف

ان كنت ياصنديد تفرج همنا جبرا لقلب الخايف الملهوف
ادعوا لربه من سماة يخلصك من شر هذا الناكر المعروف
ماقالت عليا عما جري لها يانار قلبي لاتزيدى لهوف

قال الراوى فلما فرغت عليا من كلامها والامير ابوزيد يسمع نظامها أشار يجاوبها بهذا القصيد و يقول

يقول ابوزيد الهلالى سلامه ولى قلب اقوى من حديد صروف
ولى همة تعلو على كل ماجد وانا بالشجاعة والكرم موصوف
فياست عليا اسمعى ماأقوله واصغي لقولى والكلام حروف
لقد جيت نحو البردويل أحاربه بنفسى واترك قلبه ملهوف
فانا اميرهلال مقدامهم انا عونهم دون الانام سيوف
لابد عن قتل بن راشد عاجلا بزندى وكفى والقنا وسيوف
واما يقتلنى واما اقتله وانت عيونك للتنين تشوف
واخذ لك بالثار تشفى غليلك ونجم سعدك على النجوم يشوف
ياعليا ادعى البردويل بسرعة ينزل الى حربى بلا مكاوف
يقول ابوزيد الهلالى سلامه يانار قلبي مثل بحر يطوف

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه والست عليا تسمع نظامه قالت أنا خائفة عليك من البردويل ان يذيقك الحرب الوبيل لانه فارس ماله مثيل ولا يوجد مثله فى الافاق قال لها ابوزيد نبهه ان ياتينى من دون اطالة كلام واليوم تنظرين افعالى والسلام ولا بدان تذكرى افعالى على الدوام فعند ذلك توجهت عليا الى البردويل فرأته غارقا فى المنام فلما افاق قصت عليه ماسمعت من الكلام واخبرته عن قدوم البطل ابوزيد الصنديد وانه عن قتله لايحيد فلما سمع كلامها من الاول الى الاخر فقام وقعد وارغى وازيد وقال لها بغضب اكيف انا لقتينى وفى هذا الكلام ازعجتينى ثم أشار عليها بهذا القصيد يقول

يقول الفتى البردويل بن راشد وقلبي صفا منذ صرت انا مرتاح
فما لك توعبنى ووقتى ما أتى وانا فى لذيذ النوم وقت صباح
ياعليا خليني أنام بجانبك لعند صلاة العصر انا مرتاح

وقلبي بك دون الانام مولع لو كان غيري كان عقله راح
بعلك شجاع القلب ماله مناطح سمع الغلام هول حربه راح
قال الفتى البردويل بن راشد انا الفارس الفهارانا الجحجاح

قال لراوي فلما فرغ البردويل من كلامه قال لها لو ما كنت اعز من عيوني وشاع فيك غرامي وشجوني لكنت ضربت عنقك بهذا الحسام فكيف تخيفيني من فارس او من مائة فارس اومن الف فارس وانا لا أحسب لكل من دب على الغبراء وطار في السما حساب فقالت له أهل كل الرجال رجال او الثعالب مثل أسد الدحال فما زالت النساء تجيل وتلد ما على وجه الارض شاطر فلما سمع من عليا هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام وصرخ صرخة أدوت له الجبال واهتزت من هوله التلال وقال لها كفاك هزيان يا بنت اللئام والا قطعت رأسك بهذا الحسام فلما سمعه ابوزيد من خارج الدار صاح عليه صوتا وقال له اسكت يا حمار وانزل الى قبالي فسترى بلائي انزل قبالي والا اهدم عليك القصر قبل ان ياتي وقت العصر فلما سمع البردويل هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام فقام لساعته ولبس آلة حربه وعدته وافرد على بدنه درع داوودى مصفح وتقلد في سيف كانه البرق اللامع او الموت الماحق ووضع على جنبيه طاقية الاخفا ونادى على عبده مسعود وقال شدلي على جوادي المعهود للحال شد عليه واحضره اليه فوثب راكب عليه فوق ظهره كالبرج المشيد وهو كقطعة من حديد حتى صار كانه قلة من القلل اوقطعة من جبل وقال للعبد افتح لي الباب وحافظ على ما في القصر والا اذيقك العذاب ففتح العبد الباب وكان مصفحا بالحديد وحصل ابوزيد على فرح ما عليه من مزيد ولما فتح الباب تاخر الى الوراء واخذ يقرأ آيات الله العظام ويقول عوذك يارب الانام وحينئذ خرج البردويل كانه سبع كاسر او اسد ظافر واخذ يلاعب حصانه كانه فرخ جان او من عفاريت السيد سليمان وكان ابوزيد متكى على رمحه بلتفت ذات اليمين والشمال فنزل اليه البردويل وناداه قائلا تعالى يا اعرابي حتى انظر ما هو مرادك ومن الذي قادك وغربك فاخذت ابوزيد الحمية الجاهلية والنخوة العربية وهجم عليه هجمة الاسود فالتقيا البطلين كانهما جبلين او اسدين درغامين او بحرين متلاطمين كانهما كفتي ميزان او

بيضتي قبان تقلوا بالعراق الى ان صارت الخيل تحتها كالملق وكل من على رفيقه
انطبق ونمى كل واحد منهما انه ما كان خلق تارة يتفارقا وتاره يتلاسنا وعلت
منهما الصيحات حتى ملات الفلوات فعند مارأي البردويل انه تعبان من صدمات
ابوزيد ليث الميدان طلب سفة ملوك الخان وانشد وقال

قال بن راشد من فؤاد مبتلى ... والنار في قلبي تزيد وقادى
ألا يا ملوك الخان قولي فاسمعوا ... الا افهموا ماقلت من الانشادى
يا ملك شمرخ انتي بعزوتك ... عكرش وعكرش بن جرادى
كذاك باغر موس هات لعصبتك ... واقف قبالي بن سخصك بادى
وانت باغيلان هات لقومك ... مثل الجراد وار بطو بالوادي
ياشمر زان فلا تخالف كلمتي ... واشفى لقلبي مرة في مرادي
ولد راشد اليوم اقضوا حاجته ... قبل ان بروح مهزوما وينادى

قال الراوى فلما فرغ البردويل من كلامه وابوزيد رافع عينيه الى السماء غير
مكترث بنظامه بل كان يقرأ الفاتحة ويذكر كلام الله ثم بعد ذلك التفت الى نحو
البردويل فوجده لابس الطاقية فقال له اراك ياامير راشد مجهول ثم أشار بيده
الى الملوك الملوبين وقال

يقول ابوزيد الهلالى سلامه ... فانا بفعل المكرمات أنادى
أصيل من الجدين فخر قبيلتى ... شريف زكى الاصل من مجاد
وامي شريفة يابن راشد اصلها ... منسوبة الجدين ذات عماد
واسم امك صالحا يابردويل ... من لمتك كانت تشيل مرادي
ابوك افرنجى وجدك حنا ... وانت مخالف يا للعين مرادى
ان كنت ما تسلم دهبتك طعنة ... واصير لك يابن الملوك معادى
وان كان عندك قبع آخر لبسه ... وقلوسى البش مع ابادى
عندى عزائم مع مزايد كثيره ... يحكم على الحدام ثم مرادى
اسبع قبائل والملوك سبعة ... ايضا خرفوش طاع والاجنادي
والكواكب والمنازل والبروج ... هو مسندى عند المنام وسادى
والرمل عندى من زمان اسكندر ... واليوم جيتك بالمزارق أنادى

ضربت انا بالرمل أخذت علامك لقيت لك ضمار يشكل سوادى
وعزمتك بطلتها يابردويل لو صار لك اجوازمع افرادي
قلت باسم الله اول ماابتديت انى بعون الله انا معتادى
انا اسالك ربى بموسى وعيسي كذا بالنبي المختار ذى الامجاد
فارسل ملاكك يعتنى بحراسق واحفظني يارب من ذي عادى
وارسل روفائيل نحوى يعتنى ويحزي ملوك الجان عنى عادى
يارب يارحمن اسمع دعوني وغثنى بلطفك ياسميع مرادى
مقالات ابوزيد الهلالى سلامه فاليوم جاك الموت والانكادى

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه والبردويل يسمع نظامه استشاط غضبا وغيظا فاعدت تسمع الاصياح وهدير ودمدمة فى السن مختلفة وكنت تسمع الصوت ولاترى الزوال هذا والبردويل لما وجد حاله مغلوب ولم يقدران يختفى من قدام ابوزيد حيث الملائكة العلوية طردت ملوك الجان السفلية الى سابع ارض و بطلت عزيمتهم وعدمت تبعته السحرية ولم تخفه عن الاعين ندم على مافرط منه في حرب ابوزيد وكانت عليا تتفرج من الشباك فلما نظرت البردويل قد انقطع امله وحار فى امره وابوزيد غلبه فرحت وصارت تزغرط لى ابوزيد فظن البردويل ان هذا الاغتناء لاجله ولم يعلم انه لاجل عجزه وفشله فاخذته الحمية والنخوة وهجم على ابوزيد مثل النمر اذا خطر فتلقاه ابوزيد كما تلتقى الارض العطشانة وابل المطر وعلا منهما الصياح حتى ملا ملك الروابى والبطاح وصار الامير ابوزيد يدور حول البردويل وهو مشرع سيفه الثقيل ورمحه الطويل فحينئذ تيقن البردويل فى ذهاب روحه وزوال سعادته فهز ابوزيد في يده عود الزان وصرخ فيه صوت هائل وقال له خذها من يد سلامه لاجل عينين عليا مالها اليوم قردت عليه عليا وقالت له انا شاهدة ونعم شاهد وقوك ربي يامتين السواعد فلما نظر البردويل هذا تعجب واخذه الخوف والاضطراب فطلب من الامير ابوزيد الامان على مافرط منه ندمان فانشد من قلب كوته الحسرات هذه الابيات

قال بن راشد في بيوت متممي النار فى قلبي تهب وتضرمي
ياامير ابوزيد انا واقع عليك جيرنى ياريت عمرك يسلمى

قال الراوي فلما فرغ البردويل من هذه الابيات وتيقن قلبه تشتعل بالجمرات وهو متاسف على مافات قال له ابوزيد دع عنك هذا المقال ولا تطلب المحال ثم صرخ فيه صوتا مثل الرعد القاصف وانطبق عليه كالموت الخاطف ثم ضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وقرب اليه وحاداه وحك اركاب فى الركاب بقلب لايهاب ثم هز عود الزان حتى التوا الكعب ودق بالسنان وصاح فيه صيحة ارعبته ورفع يده وقال اللهم استر عن عبدك يامن رفعت السماء و بسطت الارض وطعن البردويل فى صدره خرج يلعم من ظهره ومن عظم الطعنة اصاب الرمح صخرة كانت وراء البردويل فشقها فوقع البردويل على الارض يخبط طونه بالعرض وزالت عنه النعم وحلت به النقم وذهبت روحه جهنم فقالت له عليا لاشلت يمينك ياقارس الزحام وحامي دين الاسلام وحالا نزل ابوزيد عن ظهر الجواد وسحب لسانه وازال اسنانه واخذ الطاقية والدرع والسيف والخوذة والرمح ثم تقدم الى تلك الصخرة وكتب عليها بخط واضح هذه ضربة ابوزيد الهلالى سلامه وذكر فى آخر كلامه ملعون بن ملعون كل من يمر من هذا المكان و يقرأ الكتابة ولم يمسح الغبار عنها والصخرة موجودة الآن فى عريش مصر ثم التفتت الست عليا وقالت الى الامير ابوزيد خذ هذه بدلة البردويل فانت احق بها فاخذها الامير ابوزيد وعلق الجميع فى قربوص بن الحيصا واتى نحو باب القصر وكان ذلك وقت العصر وختمه بختمه وركب على ظهر الجواد وقال خاطرك ياست عليا يابنت الاجداد فارجوك عندما تطلبين للشهادة تظهرين واقعة الحال كالعادة وتتكلمى كلما نظرت وخبرى كاشفت فقالت ارجوك ان تدخل القصر لاجل أخذ الراحة ثم تناول الطعام ايها البطل الدرغام والليث الهمام لانه قد طال عليك المطال وتعبت فى كل حال من الحرب والكفاح فى البيض الصفاح فقال ابوزيد انا لا أدخل الدار خوفا عليك من العار لكونك غريبة فيكون كلام الناس امر من ضرب السلاح واما الان اعطينى المفتاح لكي اقفل عليك القصر حينئذ حققت عليا شهامته وعرفت نخوته وا كدت انه من امارة بنى هلال فاعطته المفتاح فاخذه وقفل باب القصر ودار رأس جواده الى ناحية بنى هلال فوصل فى نصف الليل ودخل الى صيوان ام مخيبر فرأها أخذت فى البكاء والعويل والحزن الطويل فقال لها

ابوزيد مالك يا ام مخيبر حايره تذرفين الدموع فلما نظرت الامير ابوزيد شهقت من شدة الفرح وقالت له قد احرمتني نوم الليل وانا ساهر نجم سهيل وقد طالت غيبتك هذين اليومين وخشيت ان يسالني عنك احد واحرم من مشاهدتك الى الابد فقال لها الحمد لله على اجتماع الشمل وزوال الكروب قال هذا ووضع ما أتي به من امتعة البردويل في الصندوق ثم قيد نفسه بالقيد الذهبي حيث وضعه في رجليه وتظاهر بان لا له ولا عليه هذا ما كان من ابوزيد واما ما كان من الامير حسن وهو في الديوان وحواليه الامارا والاعيان فقال لهم نهارك بارح قد التهينا بالضيوف وتركنا الامير ابوزيد ولا شفنا كيف حاله والبردويل ماعاد طلبنا للحرب فقوموا واذهبوا لعنده ودعوه ياتي حتى ننظر ماهو رأيه فراح أحد الامارا واخذ معه المفتاح غير الذي كان مع ام مخيبر ودخل على ابوزيد وقال له عن الامير حسن ارفع القيد من رجلك واذهب اليه فقال له ابوزيد قد صار لي ثلاثة ايام ولا نظرت احد منكم نسيتم اليوم ابوزيد ولكن لا باس فالله يجازي كل باعماله فقال له الامير فايد والله يا امير ابوزيد ما نسيناك ولا غدرنا بك ولكن كان موجود ضيوف عند الامير حسن وهذا هو المانع من زيارتك فبعد هذا الكلام فك القيد من رجل الامير ابوزيد وقام وركب دون سلاح وما حمل معه سوي عصاه بيده وتوجه نحو الامير حسن فحين وصل الى الخيام قام الجميع له على الاقدام وحيوه باحسن تحية وسلام وقال الامير حسن لا تؤاخذني يا ابن عمي فقد غفلنا عنك بمقابلة الضيوف وضيافة الغرباء قال له الامير ابو شيبان لا باس ولكن ماذا عملتم من مصالح في حرب البردويل فقالوا نحن ارسلنا وراك لنا خذ رايك الجليل فقال له الامير ابوزيد والله يا حسن ان البردويل هو فارس من الفرسان وليس من يقدر على حربه من ملوك الانس والجان فمالي رأي الا ان ترسل له عشر المال والنوق والجمال والنساء والعيال روح جميعنا اليه والمحارم في رقابنا فقال حسن في هذا الوقت قد تكلمت الصواب والقول الذي لا يعاب واشار اليه بهذا القصيد

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي ... الآن يا ابو زيد قد قلت الحقيق
ابن راشد تراه قرم غشمشم ... مقاتل بالوغا يوم المضيق
من له يوم الطعان يقاربه ... قد دعا دمه على الغبراء دقيق

قومه ستين الف عدادهم ستين الفا دمهم راحوا محيق
لو كنت تبرز يا امير لحربه قد كنت ذقت الموت ذا امر حقيق
قال الفتى حسن الهلالى ابو على حدث يا ابو زيد عن صدق الطريق
رد ابو زيد الهلالى وقال له انت لى يا ابو على صدق الصديق
كان قصدى ان اسير لحربه وانا سكران من خمر العتيق
قلت كل الناس فى الحرب سوى ثم غاظت الهواجس والطريق
ما نزل له فارسا لا غدا ماشيا او ممسكا بلا رفيق
قال اعطيه مالا وافيا عشر ذى الاموال مع شى يليق
قال ابو زيد الهلالى سلامه قلبى شعل يا ناس بنار حريق

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه والامير حسن وبقية الامرا يسمعون نظامه قالوا بارك الله فيك واعطاك كلما يكفيك الان ارحت افكارنا واشتريت اعمارنا هذا ما كان من امر هؤلاء السادات واما سمع ماجرى من بعد ذلك انه فى صباح اليوم الثانى الذى قتل فيه البردويل اخذت الرعيان فى تسريح المواشى حسب العادة فسار منهم ثلاثة رعيان وسرحوا فى قرب قصر البردويل وكان لهم عادة يضجعوا فى ظل القصر لان البردويل ما كان يقوم الا العصر فقبل الى بلغوا المكان المقصود نظروا شخص البردويل على الثرى ممدود وهو منفوخ مثل البرميل ولم يعلموا انه قتيل ولكن توهموا بانه راصدهم ليغتالهم فقال بعضهم لبعض هذه النوبة مشئومة فتاخروا ولم يتجاسروا على الدنو من ذلك المكان خوفا من ان يسطو عليهم هذا القرنان وكان بينهم عبد اسمه مسعود فقال لهم انا مرادى اذهب اليه وانظر ما حواليه فان نظرنى اقول له انا اتيت بهذا الطرش من عند العرب واريد ان اعيش فى ظلك وانال الارب وان ماشافنى اردى ارجع واترك عنى الفزع فقالوا رأيك ناصب فتوجه مسعود الى ان وصل الى قرب القصر خائف ولهان فرأى البردويل مقتول وعلى الثرى منزول وعظم جثته كجثة الفول ورأى رأسه بعيد عن جثته ولسانه ماخوذا منه فاخذ يتفرج على ذلك الراس وهو قد رأس الثور الكبير فاخذه الرعب والفزع والقلق والجزع وصار يلتفت يمينا وشمالا وخلفا واماما فلم يجد احد فقوى قلبه وسكن روعه وجاشه وعليا تنظر اليه من الشباك فصاح مسعود هيا اصحاب علام سيدكم قتيل وانتم نيام ياحيف على

هذا الينا بترك هذا المقدام فاجابته عليا من الشباك وهي تضحك عليه تسأل عن زوجها البردويل فاشارت اليه تقول

تقول فتاة الحي عليا بما جري ... والنار في جو الحشا زادت ضرام
اسمع كلامي ايا مسعود وافتهم ... ما اتي راعي ولا قد جاء غلام
هذا بعلي البردويل بلا خفا ... من ابن اتاه السهم هل من الغمام
بان لي بانك انت غريمه ... باين عليك انت من الفوارس العظام
افتخر بقتله عند الملوك ... يبقى لك هيبة كما سبع الاكام

(قال الراوي) فلما فرغت الست عليا من كلامها ومسعود العبد يسمع نظامها ظن انه يخدعها وقال لها انا الذي قتلته وللحياة اعدمته ومرادي اخذ رأسه الى اميرنا حسن الهلالي وافتخر في قتله على جميع العربان فقالت له افعل ما تريد لانك تستاهل ان تكون سيدا على العبيد فاخذ مسعود الراس وكان هايل جدا فقدح الديبتين وربط الراس في مرسة وعلقه في كتفه وراح يترنم بقوله ما كل العبيد عبيد ولا كل الموالي موالي فلما شاهدوه العبيد قالوا له ايش هذا يا بن الحلال قال لهم اسكتوا يا طناجير واولاد الارذال انا قد قتلت البردويل وساصير سيدكم ومولاكم الجليل وها انا اخذه لعند الامير حسن واتم اشهدوا لي في ذلك قالوا له على الراس ثم العين فساقوا الجمال ومسعود العبد بعدهم بالخير ونوال الامال حتى وصلوا الى نجع وعند ذلك شاعت الاخبار بان مسعود العبد قتل البردويل فعندها اجتمعت الناس ولاقوه بالاغاني والافراح وخلعوا عليه الخلع الحسنان وأخذوا يثنون على مسعود ويحمدونه وهو يطنب مثل الديك على المزابل فقاموا الضجة والصراخ وكان العبيد حول مسعود يغنون الاغاني وينشدون النشائد وكان هو حامل رأس البردويل على كتفه حتى وصل الى صيوان الامير حسن ورمى الراس قدام الصيوان وكان كر أس مردة الحاز فخرج الامير حسن والامارة يتفرجون على ذلك الرأس الهائل والشعر فيه كالجدايل وقد تعجب الجميع من فعل مسعود البطل المعدود فقال الامير حسن والله الذي اتى براس البردويل هو بطل ما له مثيل وله مني الانعام الجزيل فوثب مسعود وقال لعينيك يا سيدي عبدك مسعود اتي بالراس واحمد من ذاك الشقي الانفاس واعدمه الاحساس فقال الامير حسن لله العجب من كان يقول ازمنية البردويل تقضى على يد عبدنا مسعود وقد كان هذا يخطف الارواح

و يتركها كالاشباح رذقنا ان حربه البلا والكرب وانواع الذل والعجب وقد خرب البلاد وهلك العباد ثم التفت الى العبد قال يامسعود كيف عملت فى قتل البردويل فقام وقبل يد الامير حسن وقال ياطويل العمر وعديم المثال فى مدى الدهر قد كان عبد دولتكم في البرية والجمال سارحه فاخذتنا هجمة النوم فنمنا فلما استيقظنا فوجدنا بوشناغا بت عن اعيننا حتى باغت قصر البردويل وذلك القفر فتوجهت بنفسى لاردها وعن عنادها اصدها فلاقانى بن راشد ونهرنى وظن انه يوهرنى ولكن لم ارد عليه وتقدمت اليها لاردها فاتانى وهو مثل السبع الكاسر ورفع في يده الدبوس واراد اعدامى الحياة و يذيقنى الممات فزحت عن الضربة فراحت خائبة غير صائبة ثم رضعت حجرا فى مقلاعى وعملت فعل داود فى جليات واذقت البردويل الحسرات لانه بالقضاء والقدر اتت الضربة بين عينيه فخرج الدم يدفق من بين شفيته وحالا تقدمت اليه وعجلت عليه وطرحته على الارض فانقطع منه النفس وخلص منه البصر وسحبت في يدى السكين وقطعت رأسه واخذت انفاسه وان هؤلاء العبيد جميعهم يشهدون لى بذلك فقالت العبيد نعم انه قد قطع رأس البردويل امامنا فقال مسعود اريد منك ياسيدى ان تجعلنى سيدا على كافة العبيد وان تزوجنى ابنة بيضاء واربع جوار سود وان تعطينى جواد من خواص الخيل وعدة حرب كاملة والف دينار ومواشي وعبيد وغلمان فقال القاضي تساهل يامسعود ازود من ذلك فالحال نهض ابو زيد على اقدامه وقال كفى لك ياعبد السوء هزبان اما تستحي انك تقول قتلت البردويل ايها الجبيل قال العبد نعم وحياة رأسك ورأس الامير حسن فقال له ياعبد السوء انت انرس منى ومن الامير دياب فقال مسعود ان لكل انسان منيه والبردويل منيته على يدى فقال ابو زيد فى اى شيء قتلته فقال حسن كيف ما كان قتله اما اراحنا منه ربما كان يلعب فى الميدان وقطر فيه الحصان ومسعود جز رأسه فقال ابو زيد تمهل ياحسن قليلا ثم قام وفتح ثم البردويل وقال اظنه كان اخرس كان ليس له لسان فاهذا اللسان وقام الجميع ونظروا ذلك وتعجبوا فقال حسن يامسعود لما طلع البردويل اليك ما كلمك ابدا فقال نعم وكان صوته مثل الرعد القاصف فبالحال وقف ابو زيد وقال له اين درعه اين طاقيته وسيفه ورمحه رجواده وبدلته وحصانه وقد اخذت من ابو زيد الحده وصار يستهزى على من حضر لتصديقه على كذب العبد وانشد يقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ... وعزمى امضى من سيوف ورماح
يا امارا اسمعوا شرح تصق ... واصغوا لقولى وقلوا المزاح
وهذا العبد مسعود يضحك عليكم ... ايضا حسن يختم له بنجاح
هذا الكلام كلام كذب ما هو صادق ... اين عقلك ياحسن والذهن راح
اين لسان البردويل ياذا القروم ... طوله شبرين يشبة للوشاح
اين درع البردويل وعدته ... اين سيفه ثم رمحه والسلاح
اين طاقية الاخفا واين الحصان ... دقاته العالى الى خد الصفاح
اين راشد كان خيالا مليح ... ما احد يلقاه فى وقت الكفاح
تحته ادهم مشمر ياحسن ... عندما يركض يشبه الرياح
كيف عبدك جاب رأس البردويل ... ما معه يا امير سيف ولا رماح
سر لنحو القصر واكشف للخبر ... زوجته تنبيك فى امر الوضاح
انما سيفى الذى قد قده ... اسال الميا زوجته سيف الملاح
آلة الحرب شهود والجواد ... وكذا الطاقية والدرع الصفاح
قال ابو زيد الهلالى سلامه ... الحق لا يخفى على قوم فصاح

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه والاماره تسمع نظامه فقام وركب جواده الى عند ام مخيمر واتى بعدة البردويل والحصان والطاقية والسيف والرمح وكل ما كان عنده من امتعة البردويل واتى بهم الى صيوان الامير حسن ووضع الجميع امام الامارة ثم رمى بلسان البردويل امام الامير دياب وقال له تفرج على هذا اللسان فبهتوا الامارا وتعجبوا من هذا الامر وامامسعود العبد فحين نظر ما جرى صار يتسحب بحرفة الى ان هرب من الصيوان لعند الرعيان اما الامارة فاقاموا من ساعتها وركبوا خيولهم وكانوا الفين أمير من الفرسان المعدودة والرجال المشهورة وقالوا الى الامير ابو زيد اركب معنا قال انا ما اروح حتى ينكشف لكم حقيقة الخبر فركبوا وفي اوائلهم الامير حسن وساروا الجميع نحو قصر البردويل وعند وصلوهم اليه وجدوه قصر عالى البنيان مشيد الاركان فداروا حواليه فوجد راقبة الباب كانه طود من الاطواد فقالوا والله ان البردويل كان فارس عظيم فتقدم حسن نحو باب القصر فوجده مختوما بختم ابو زيد فقال حسن ياهل ترى هل يوجد احد في هذا القصر فيا اتم

كلامه الا رعليا اشرفت من الشباك فشاهدت الامير حسن وامارة بني هلال قال الناقل وكان للقصر باب صغير غير الذي قبله ابو زيد وختمه بختمه فدلت عليا منه واقبلت امام الامير حسن وقبلت يديه وتمثلت بخدمته وحينئذ سالها عن قتل البردويل فحكت له كل ما جري لابو زيد معه وما فعل العبد مسعود بعد ذلك وماذا جاء به عندما سالها عن قتل زوجها (قال الراوى) فلما فرغت الست عليا من كلامها والامير حسن وقية الامارة يسمعون قولها قال الامير حسن والله ما هذه الافعال الامير ابو زيد ثم قال الى عليا وابن المفتاح فقالت له مع الامير ابو زيد وبينهم في الحديث الا واقبل الامير ابو زيد راكب على بن الحيصا نعنه ما قبل قاموا له على الاقدام ولاقوه وحيوه في الاكرام واثنوا عليه وقالوا لله درك من بطل مقدام لا تختشي واثب الايام وحينئذ قام ابو زيد واخذ مفتاح الباب المفصح بالحديد والزرد النضيد وفتح لهم وادخلهم الى القصر ليتفرجوا على حسن فرشه وما فيه من انواع التحف والمواد التي تحير العقول وتدهش للفكر هذا ما كان من هؤلاء الكرام واما ما كان من قوم البردويل عندما علموا بموت ملكهم ساروا لعند بن اخته سعيد وكان عدو خاله البردويل وكان ازل في اطراف العريش فاخبروه بقتل خاله البردويل ثم قال لهم سعيد ما الرأى عندكم في بنو هلال قالوا الجميع عر فردا ان أن بنو هلال نجم سعدهم عالى واميرهم حسن الهلالى وهذا قدار تقى ما لا يرتقى غيره من درج المعالى فانا نشير عليك أن تركب جميعنا ونسير اليه ونوقع بين يديه ونطلب منه أن يجلسك مكان خالك فاستصوب سعيد كلامهم وساروا معهم لعند الامير حسن لما وصلوا الى دار بني هلال طلبوا ان يؤذن لهم بالدخول على الامير حسن فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه واخبروه عن حالهم فترحب بهم حسن غاية الترحيب ولبس الامير سعيد خلعة سنية وحلة ملوكيه وأجلسه مكان خاله وعين عليه الجزية وكتبوا كتاب الامير سعيد على الست عليا امرأة خاله البردويل وبعد ذلك امر الامير حسن بدق الطبول وأن يرحلوا من ملك التلول فنشرت الرايات وركبت العاربات على الهوادج واعتقلوا الفرسان ظهور الخيول وأخذ يجدون السير حتي وصلوا الى مصر القاهرة

(انتهى الجزء الثاني عشر . ويليه الجزء الثالث عشر)

الجزء الثالث عشر من تغريبة بني هلال

﴿وهو يحتوى على ديوان الملك الفرمند حاكم مصر القاهرة ونزول بنى هلال عليه﴾

(قال الراوى) انه كان فى بلاد مصر ملك يقال له الملك فرمند بن متوج وكان ملك عظيم الشان يحكم على ابطال وفرسان يكل عن وصفها اللسان . ولما بنى هلال قتلوا البردويل وولوا مكانه بن اخته سعيد قاموا ونهبوا على الرحيل وساروا يقطعوا كل سهل وبرحتى وصلوا الى مصر فنزلوا فى تلك النواحى والاطراف ورعوا الزرع حتى حصدوا الحصيد هذا ما كان من بنى هلال واما ما كان من فرمند ملك مصر فانه فى تلك الليلة حلم منامها هائل المنظر فقام مرعوبا فاحضر الرمال واشار يخبره عن ذلك المنام يقول له

يقول الفتى الفرمند بن متوج ... بدمع جرى فوق الخدود سجام
ايا نار قلبي زايدة في لهيبها ... يهب لها ريحا تزيد ضرام
رأيت منامًا اخر الليل راعنى ... وقلقنى والعالمين نيام
رأيت نارا اضرمت فى بلادنا ... وقد احرقت اشجارها واكرام
واضرمت على الماء والتراب وغيره ... والشجر الاخضر فعاد حطام
ورأيت سباع ماليا السهل والفضا ... ومعهم لبوات بحسن قوام
يهبوا لى بالعين قدام ناظرى ... كغزلان زنجي فى مراح خزام
فهميت الى اللبوات اى اصيدهم ... الا وسبع اسمر على حام
ورفع الى عنقه رهم وناشنى ... فوليت منه هاربا وهزام
فوليت نحو القصر هارب مرتعب ... الا وطير ابيض على حام
ضربنى بمنقاره وحط مخالبه ... فى وسط قلبي والدما قد عام
ففزيت من هذا المنام خايف ... تحيرت يا ناس فى هذه الاحلام
ونستغفر الله العظيم من الخطا ... اله تعالى واحد علام

(قال الراوى) فلما فرغ الفرمند من كلامه والرمال يسمع منه نظامه فاشار الرمال يفسر له منامه

يقول بن بدر الفهيم الى شكي ... فسبحان ربى واحد علام
فسبحان رحمن جل جلاله ... يعلم دبيب النمل جنح ظلام

خلقنا وانشانا و يعلم عدادنا ومنه العطا والخير والانعام
عرفت مقامك ياملیك و بان لی وقد راعنی من دون كل منام
فلما رءوه حرب يصير وضجة وتعلو عجاجته وضرب حسام
هذه عرب تسموا هلال بن عامر عربان على عدا الحصا وردام
رحلوا بلاد الاعجام قبل ما اتوا ومن بعده خربوا بلاد الشام
واما السباع الذى تقول رأيتهم وهم يتزاحمون فى البلاد زحام
والسبع الاسمر هذا الهلالى سلامه امير الملا سائر بهم قدام
والطير الذى جاء من البر لا شك وخلا دماك على الثرى سجام
فهذا ابو موسي دياب بن غانم وتحته شهبا مثل طير وعام
عمرك يده ياملك فى بلادنا وتنعى عليك الاهل والالزام
فان طمعتنى ياامير لا تعرض لهم هما بوادى خيرن كرام
فما ينزل ارضك ومايقربونها ولا ينصبوا فى ذى البلاد خيام
محابيسهم عند الزناتى خليفه لهم عنده مدة سبع اعوام
وانا بنصحك ياامير لا تتعرض لهم وانا ناصحك والنصح خير كلام
وهذا كلامى ياملك مصرانهه ولله كل الامر والاحكام
ونستغفر الله العظيم من الخطا اله تعالى واحد علام

(قال الراوى) فلما فرغ الرمال من كلامه اضطرب الملك اضطراب عظيم وسار في حساب وامور صعاب وهوفى هذا الحال واذا دخل عليه المهلهل حاكم الصالحية وسلم عليه و بكى بين يديه واشار يعلمه بواقعة الحال و يذكر قدوم بنى هلال الى تلك الاطلان بهذا الشعر والمقال

يقول الفتى المسمى الامير مهلهل ايامالك اصغى الينا لقولي
بنو هلال قد اتو لبلادنا كل النواحي عرضها والطول
رعيوا مراعينا وكل زرعنا والارض اقفرا عشبها ما كول
مثل الجراد فروعهم وجموعهم والبوش والله يذهل للعقول
يا امير ماجوا ارض الاوغدت قفرا وحكم صحابها بمزول
لسادات العجم وملوكها وتغنموا بمالهم وخيول

كذا الخزاعي مثل بدر بس الملك ... قتلوه في حلب بجد نصول
اما قبرص كان فيها حاكم ... يسمى الملك هراس قرم مهول
قد اسر اميرهم دياب بحيلة ... فخلصوا وزيد من كل شدة وهول
كذا شبيب التبعي بالزرقا ... قتلوه وصار حكمه معزول
والسركسي قد راح داخل غزه ... ما سور من فرسانهم مخذول
والبردويل اسقاه ابو زيد القنا ... وكانت يده على الام بطول
ايضا بلاسكندريه راح بن عجاجه ... ذاقه الفتى الزغبي دياب الهول
واليوم قد صار الجميع بمصرنا ... والناس منهم قد غدون جفول
ان لم تبادرهم بجمع العسكر ... ملكوا لارض عرضها الطول
قوموا بنا ندهم هلال وعامر ... نهجم عليهم والانام غفول
قول الفتى المسمى لامير مهلهل ... من كان عارف يفهم المعقول

(قال الراوي) فلما فرغ المهلهل من شعره ونظامه وفهم الفرمند فحوى كلامه اشتدت عليه المصائب وخاف من العواقب فاحضر الوزراء والاعيان وعقد مجلسا بهذا الشان. وبعد جلسة طويلة وفارضة مستطيلة استقر الرأى بوجه الاجمال في ان يرسل يطلبهم بعشر المال والنوق والجمال. فان اجابوا الى السؤال كان جل القصد والمراد والا نبادهم بالحرب والجلاد فاستصوب هذا الرأى وكتب اليهم يقول وعمر السامعين يطول

يقول الملك الفرمند بن متوج ... ملك مصر من نظامه قال
ياغاديا مني على متن ضامر ... ياقاطعا فيافي سهلها وجبال
اذا جئت الى حلة هلال وعامر ... وسلطانهم حسن الامير هلال
فقول له من اين اتيتم لارضنا ... بجمع كثير وخيلكم وجمال
دخلتم بلادي باحسن بظعوكم ... الا يامارا كبكم جهال
سمعنا بكم من قبل ان تدخلوا بلادنا ... اخذتم جميع المدن والاموال
هذه مصر ليس غزه وغيرها ... وحاكمها الفرمند باعها طال
وعندي من الابطال كرات تسحب ... مسربلة باللبس للاذيال
ثلاثماية الف ايضا ومثلها ... قروم لزايم بن عم وخال

واحكم على مصر بن يعقوب يوسف ... وطاعت لحكمي سهلها وجبال
الا ياهلالي باحسن ردوا رتجم ... وابو زيد لا يعمل هنا محتال
ان كان قصدك تدخلوا البلادنا ... للغرب تبغوا في هنا واقبال
فهاتوا لنا عشر المال مع الخدم ... والبوش مع خيل لكم والجمال
وهاتوا لنا فين سيف مسقط ... والفين رمح عاليات طوال
وهاتوا بنات من الملاح كواعب ... صبا باتحاكي الغصن وهو ميال
سمعت انا بالجازية فارسلوها ... وحسن وحسنا واليها وجمال
ووطفه وفتنه حالا الى ارسلوهم ... وهاتوا لي ريا غير امهال
فان جبتم كل الذي قد ذكرته ... تبقون في امن وحسن الحال
وارعوا المراعي باكرام واوردوا ... وناتوا الى عندي ايا ابطال
وان كان ماناتوا بماقد طلبته ... والا فردوا ياهلال شمال
من قبل ماندهمكم بجيش عرمرم ... اقيم عليكم ضجة واهوال
قول الفتى الفرمند بن متوج ... ولا خير في قول بغير فعال

(قال الراوي) فلما فرغ الفرمند من الشعر والخطاب طوى الكتاب واعطاه الى حجاب ليأخذه الى الامير حسن ويأتيه بالجواب فاخذه وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى القوم في ذلك اليوم فدخل على الامير حسن وهو في الصيوان وكان عنده جماعة من الامراء والاعيان فتقدم وسلم وبانصح لسان تكلم وناوله الكتاب ووقف من جملة الحجاب بانتظار الجواب فلما فتحه وقراه وعرف رموزه ومعناه اغتاظ الغيظ الشديد الذي ماعليه من مزيد وقال لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم فان كل ماوصلنا الى اقليم يبادرنا اميره بالتهديد والتوهيم ويطلب منا عشر المال او الحرب والقتال. ثم امر الخدام أن تاخذ الرسول الي دار الضيافة فاخذوه واكرموه غاية الاكرام وبعد ذلك قرا الكتاب على ارباب الديوان واستشارهم في ذلك الشان فقال ابو زيد أري من الصواب ايها الامير المهاب ان ترسل له الجواب وتوعده باجراء الايجاب وتطلب منه مهلة عشرة ايام لبينما نكون قد اخذنا الاستعداد التام للحرب والصدام فاستصوب هذا الخطاب في الحال ارسل له هذا الجواب

يقول الفتى حسن الاميرابو على ... فانى من كثر الهموم عليل
ونيران قلبى كلما اقول تنطفى ... يهب لها طى الفؤادى شعيل
ياغاديا منى على متن ضامر ... يسبق هبوب الريح لما يشبل
اذا جئت للفرمند بن متوج ... سلطان مصر فى الملوك جليل
فقل له قال الامير ابو على ... اصبحت في قومي عليك نزيل
ونحن ضيوفك ياامير جميعنا ... يابرمكى يافخر كل اصيل
ترى الضيف له يومين مع يوم ثالث ... وفى يوم رابع نرتحل ونشيل
نحن لنا يومين عندنا بارضك ... و بعد هذا عنكم نجد رحيل
لنا بالمغارب ياامير ثلاثة ... عند لزناتى وسط قصر جميل
ونحن ترانا سالكين بدربنا ... عليكم ومانى رايد التطويل
فامهلنا ياامير عشرة ايام بلاخفا ... ومن بعدها نرسل جميع ماقيل
لنجمع من العربان عشرا موالهم ... وعشر النسا والخيل بالتعديل
وهذه مقالات الامير ابو على ... وعار على مثلى ان يكون بخيل

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه بختمه واعطاه الى الرسول فسار وجد حتى وصل الى عند الفرمند فسلمه اياه ففتحه وقراه وعرف رموزه ومعناه ففرح واستبشر وزال عنه الهم والكدر وا قن ببلوغ الوطر وظن انه سينال ماطلب من الموشي والفضة والذهب ولم يعلم بان دون هذا الهلاك والعطب ولما مضى الوقت المعين ولم يقف على افادة من الامير حسن مما غيظه وقد زاد عليه الحال كتب الى الامير حسن يطلب منه عشر المال بهذا الشعر والمقال

يقول الفتى الفرمند بن متوج ... ولى قلب اقوي من صفا الجلمود
ولى همة تعلو على كل ماجد ... وملك مصر من ابا وجدود
ياغاديا منى على متن ضامر ... اذا سار فى البيدا وجد جدود
اذا جئت الى حسن الهلالى ابو على ... فاعطيه مكتوبى على المقصود
كم جهد توعدنى بوعدك ياحسن ... كانك جاهلنى حقيق وكود
الا ياحسن قدم لفتنة بلاخفا ... وريا وغيا بغية المقصود
وهانوا الناوطفا بدرا وغيرها ... وهانوا جمال الظعن حق وكود

اذ لم تطيقوا للكلام وتسمعوا والا سنعى دماكم مبدد

(قال الراوي) فلما فرغ الفرمند من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الى النجاب وامره ان يسير به الى الامير حسن ويأتيه بسرعة الجواب فاخذه وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى بني هلال قبل الزوال فدخل على الامير حسن وسلم بافصح لسان تكلم ثم اعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قراه وعرف فحواه التفت الى من حوله من الامراء والاعيان واعلمهم بما كتب لهم الفرمند وقال ما رأيكم في هذا الشان فقال ابو زيد للنجاب سر بامان وقل لمولاك انك بانه في هذا النهار ينال المطلوب بهذا الخبر ورجع على الاثر واخبر مولاه بما سمع وابصر ففرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر وبعد ذهاب النجاب التفت الامير حسن على ابو زيد ليث الغاب وقال له ماذا عولت ان تفعل يا ابا الحيل قال مرادي ان احتال على الفرمند بحيلة يكون ما سبقني عليها احد وهو ان اختار اربعين بنت من بنات عمك من جملتهم الجازية ام محمد واحضر اربعين صندوق كل صندوق يكون بطبقتين فاجعل في الطبقة الاولى القماش والحرير والطبقة الثانية الفرسان المغاوير وتجعلهم على ظهور الجمال واركب انا مع البنات والاحمال وتسير الى عند الفرمند على سبيل تقديم المال وندخل السراية وهو لا يعلم بهذا الحال حتى اذا وصلنا الى هناك احتلنا عليه وبنجناه وبافنا منه ما تمناه ونهبنا ما في قصره من الاموال ثم ارتحلنا بالحريم والعيال من هذه الاطلال وليس لنا غير هذا التدبير ايها الامير فلما انتهى ابو زيد من هذا الخطاب التفت اليه الامير دياب وقال ليس هذا الرأي بصواب لاننا نخاف ان ينكشف الحال ويعود الامر الي وبال وتقع البنات الابكار اسارى في ايدي الانذال والرأي عندي ان نبادرهم بالقتال ونشغل فيهم ضرب السيوف وطعن النصال فتعهد ابو زيد امام السادات في النساء والبنات وانه يرجعهن سالمات فقال له الامير حسن افعل ما تريد ايها الفارس الصنديد فعند ذلك تجهزت البنات في الحال وفعل ابو زيد كما اشار وقال وكانت هذه البنات من المحسنات وكان من جملتهن وطفا بنت الامير دياب ليث الغاب وجمال الظعن بنت ابو زيد وبنت القاضي بدير والست ريما وبدر النعام وجوهرة العقول وسعد الرجا وليس ابو زيد فرزا من جلد الثعالب والذئاب وتقلد بالسيف من تحت الثياب وارخى له سوالف طوال من أذناب الكدش والبغال وجعل يقود بزمام ناقة الجازية

ام محمد وقد تعجبت من افعاله السادات الحمد وقالوا له لا يبرحسن الله درك على هذه الحيلة التي لم يسبق عليها احد ثم جعل يوصيه بالبنات بهذه الابيات

قال الفتى حسن الهلالى ابو على ... ولقد وقعت اليوم فى وسواس
اوصيك يا ابو زيد باختي الجازيه ... يافارس الفرسان يادعاس
اوصيك إني كل البنات مع النسا ... من سطوة الفرمند والجلاس
احرص عليهم عند ايل طائل ... لا يدرر الكاس ثم الطاس
ارقص والعب لا تكون مسربلا ... واطرب وغنى ثم دير الكاس
احفظ وصاتي ياامير سلامه ... ايك تغفل ياشديد الباس
اودعتكم الله ربى وخالقى ... فيجيركم من كل شر واسي
ان كنت تاتي بالبنات مهانة ... يبقي لنا معيار عند الناس
مقال الفتى حسن الامير ابو على ... ياطال مافى كل يوم اقاسى

(قال الراوي) فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه اجابه ابو زيد على كلامه يقول

قال ابو زيد الامير سلامه ... يا ابو على لا تخشوا هم البنات
سيدخلوا لمصر لعند الملك ... ويرجعوا الى عندك سالمات
انا امامه يامالك مثل الاسد ... ارعي بعيني للعيون الدابلات
يخشى الملك الفرمند يقرب منهم ... اسقيه منى يامالك كاس الممات
يا ابو على سيروا وهدوا ورحلوا ... في ليلكم ونهاركم نحو الفلات
فى يوم ثالث اجتمعوا يارجال ... هاتوا لى الفين فارس كاملات
اكون طلعت البنات جميعهم ... والمال من قصر الملك المثمنات
وان اتبعنا يامالك فسنقتله ... وتصير من حوله تنوح النائحات
يقول ابو زيد الهلالى سلامه ... لا بد هذه اليوم ما تمدى شتات

(قال الراوى) الما فرغ ابو زيد من كلامه شكره حسن على حسن اهتمامه ثم ازودعهم وسار بمن معه من البنات الابكار والصناديق الكبار ومن داخلهن الاقمشة الحسان والابطال والفرسان حتي دخل الى المدينة وطلع الى قصر الفرمند فوجدوه مزين باحسن الزينة وانواع المفروشات الثمينة وكان الفرمند قد بلغه قدومهم من الخدم فالتقاهم بالترحاب والاكرام فسلمن النساء عليه وجلسن حواليه فقال اهلا

بالكواعب والاكرام بالاصدقاء والاحباب وكان ابو زيد امام الجميع وهو يرقص ويلعب ويضحك ويطرب وكان لابسا تلك الثياب التي ذكرناها وهو على تلك الصفة التي وصفناها فسال الفرمند البنات والنسوان من يكون هذا الانسان فقالن هذا مهرج يزيل الغموم بحركاته ويفرج . فانشر غاية السرور وساله عن اسمه قال اسمي قشمر ابن منصور قال مثلك من يصلح لمسامرة الملوك لما فيك من الحركات وحسن السلوك فاملى لى هذا الكاس حتى اشرب امام الجلاس واريزول عنى الباس . فاملاه وناوله فاخذه الملك وهو مسرور الفؤاد وقد ظن انه بلغ المراد وحصل على ما اراد ولم يعلم ان دون ذلك خرط القتاد فعند ذلك غنت البنات ودقت على الآلات حتى كاد يرقص القصر ويطير من شدة الطرب والفرح الكثير وكان الملك قد وقعت عينه على الجازيه فهويها وتعلقت نفسه فيها لانها كانت كما تقدم الخبر جميلة المنظر واطيفة المحضر فاجلسها على جانبه الايسر والتفت الى ابو زيد وقال له من تكون هذه ياقشمر قال هذه الجازيه ذات الوجه الحسن واخت الامير حسن فالتفت اليها وقال غنى لى على هذا الكاس ياصاحبة الجمال فان قلبي قد مال ومازال يشدد عليها ويتذلل اليها حتى اجابته الى مقاله واخذت تغنيه بهذه الابيات حسب طلبه وسؤاله

تقول الجازيه من قلب محروق ... فنحن اليوم قد جئنا هديه
هدية من عند ابو زيد الهلالى ... امير البوادي والرعيه
اخى بن مرحان المسمي ... امير بن امير برمكيه
اياجنف الغلا ياتى بلادى ... ونجد ياملك ارض عديه
نشف مائها رقى الخير منها ... وصارت مقفرة ارضا رزيه
رحلنا نبتغى ارض المغارب ... انا فى هودجى وسط الخليه
وجئنا لمصر عند الملك حلائل ... ولا عاد فى رواح ولا مجيه
تقول الجارية من قلب محرق ... اياحيف الزمان اجنف عليا

(قال الراوى) فلما فرغت الجازيه من كلامها طرب الفرمند من نظامها واشار اليها يقوله

الا ياجازيه حنى على ... فعقلى راح كله بالسويه
الا يامرحبا فيكم جميعا ... وزال الشر عنكم والرزيه
الا ياجازيه حسنك سباني ... ومثلك مارأينا فى البرية

فعيناك كما عين الغزالة حواجبك كقوس منحنية
جزاة هلال عنا كل خير لان حسن ارسل لنا هديه
مقالات الفتى الفرمندصادق ونيران بقلبي مصطليه

(قال الراوى) فلما فرغ الفرمند من كلامه شرب الكاس عن اسمها وهو يتامل فى محاسنها وبياض جسمها ثم امر قشمر ان يملى له كاسا اخر فاملاه ونا وله اياه فاخذه وتقدم الى وطفا نت الامير دياب وقال لها غنى على هذا الكاس يابنت الامجاد فجعلت تغنى وتقول

تقول وطفا من نؤادى واكتوي بدمع جري فوق الخدود غزار
ونيران قلبي كلما اقول تنطفى بهب لها فى وسط قلبي شرار
الا ياملك سعدك على الناس دايم وطاعت لامرك سائر الاقطار
يامير حبك سكن فى ضامرى والهب حشاى يامليك فى النار
يامير مصر اشرب واسكر بالهنا وانظر بنات تشبه الاقمار
منهم جمال الظمن بنت سلامه وريا وغيا من فروع كبار
ومنهم فتنة افتنت كل عاشق ونجلا تراها نزهة النظار
ومنا الجازيه ام محمد مامثلها فى سائر الاقطار
وانظر جمالى واعتدالى وبهجتي وحسني فاق على الاقمار
وعنقى كعنق الريم اوكعنق شارد وانظر وشامى يحير الافكار
نحن الهلاليا مافى مثلنا نشبه لتفاح على الاشجار

(قال الراوى) فلما فرغت من كلامها اشرح الفرمند من نظامها وشرب الكاس على اسمها واعطاه لقشمر فاملاه وقد زاد عشقه وهواه ثم تقدم وجلس امام جمال الظمن وقال من تكونين يارية الحسن قالت انا بنت ابو زيد قال انت بغية المراد ومسرة الفؤاد وانا اسال رب العباد ان يرزقنى منك بولد يكون مثل جده كلا سد كل هذا وابو زيد يسمع الكلام ويلتفت الى وراه ويبدى الابتسام ثم قال لها وحيات رأسي ان تغنى على كاسى فاشارت تقول

قالت جمال الظمن بنت سلامه ابيات شعر لائقات غرائب
ملك مصر لك البشاره فالشرح وانظر بنات فاتنات كواعب

انظر بنات هلال يا امير نظرة الينا ونحن كلاسود نجائب
مسكين فرمند سكرت لاجلنا والعقل كانه من دماغك سالب

لما فرغت من كلامها وسمع فرمندروق نظامها طرب من كثرت شرب المدام ولاعاد يميز بين النور والظلام ثم اصرف الاعوام والخدام حتى لايكون احد حاضر فى ذلك المقام وبعد ذلك شرب الكاس على اسمها وشكرها على نظمها واعطاه لقشمر ليملاه فاملاه واعطاه اياه وجلس امام نجلاو كذلك جلس امام جميع البنات الابكار وهن ينشدونه الاشعار وهو يشرب المقار حتى فقد الوجود وصار بصفة مفقود فعند ذلك ينجه ابو زيد حتى غاب ونهض مثل الاسد الوثاب ونزع ما كان عليه الثياب حتى عراه وجعله عبرة لمن يراه ولفه بحرام عتيق ثم فتح الصناديق فخرجت الابطال مثل الاسود الدحال فنهبوا ما فى القصر من الاموال والتحف الغوال ولم يتركوا قيمة عقال فعند ذلك انشد ابو زيد وقال

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ومثلى من يدخل عميق المطارح
تعالوا انظروا الفرمند فتروه بالقصر مبنج سقيته كاس طافح
قوموا واملوا ماله فى عدولكم سيوف مسقطة واملوا الصفائح
ولا تبقوا فى القصر شيئ والمدو غير الملك خلوه . بالظلط شالح
وسيروا بجنح الليل الى عند اهلنا على كل شاهين من الال جارح
قول ابو زيد الهلالى سلامه انا صاحب الهمات اذا صاح صايح

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه وفهمت الابطال فحوى قصده ومرامه شكروه على حسن تدبيره واهتمامه وكانوا كما تقدم الكلام نهبوا ما فى القصر بالكمال والتمام وكانت وطفا قد اخذت خاتم الفرمند وهو على تلك الحالة التى تنشمر منها الابدان ولو اراد واقتله لقتلوه واسقوه كاس الهوان وساروا حتى وصلوا الى باب البلد فاعترضهم الحارس قارته وطفا خاتم الفرمند وقالوا نحن من جملة الخدام وقاصدين الآن اهله لاجل المنامه فعند ذلك فتح لهم الباب ولم يعرف حقيقة الاسباب فساروا فى سرور وافراح وقد استبشروا بالفوز والنجاح الى ان وصلوا الى بنى هلال ففرحت بقدومهم جميع الرجال ودخل ابو زيد على الامير حسن بن سرحان واعلمه

بما جرى وكان فالتقاه بالترحاب والاكرام وشكره على ذلك الاهتمام ثم سأله عن واقعة الحال وما فعله من الفعال فاجابه وقال

يقوله ابو زيد الهلالى سلامه ... يابو على جيت البنات وجيت
وجيت لك مال كثير وعده ... تحف وجواهر يالك عبيت
وجيت دروع ثم طرش مذهبة ... دبابيس مع اطيار لك لميت
وجيت معادن مع سيوف مسقطه ... ودياج معركة مع كتان لك شديت
دخلت الى قصر الملك يابو على ... واركانه يامير لك هديت
رقصت الملك وطيبت خاطره ... ومن بعد ذلك كله اسقيت
انقلب مردون على الارض واقع ... نقمت انا من ساعتى فزيت
جئنا بعون الله ياأمير كلنا ... فلاتحسبونى نمت وانسريت
وضمنت انا البيض من كل ريبة ... وقمت بقولى ياحسن ووفيت
وجيت البنات مع الموالى جميعها ... وهذه فعالى والذى سويت
قول ابو زيد الهلالى سلامه ... وقط يوم الروغ مازليت

فلما فرغ ابو زيد من شعره ونظامه شكره الامير حسن على حسن مساعيه واهتمامه واشار يشكره على مافعل بهذه الابيات امام الامارا والسادات

يقول الفتى حسن الامير ابو على ... لمثل هذا اليوم لك خبيت
ولولاك ماسرنا الى الغرب خطوه ... ولا كنت من نجد اتيت
ياليت عمرك الف عام على المدا ... اما عدوك من حسامك ميت
حميت البنات بمصر بل انت عزهم ... وقد جبتهم يانعم ماسويت
فانت امير هلال يابو مخيمر ... ومثلك انا والله قد حبيت

قال الراوى فلما انتهى الامير حسن من كلامه وفهمت الامرا فحوى مرامه قالوا عن فرد لسان ان الاوفق لنا ان نرحل من هذا المكان قبل ان تدهمنا الابطال والفرسان فاستحسن الامير حسن هذا الخطاب ورآه عين الصواب وفى عاجل الحال امر بدق الطبول للمسير والارتحال فدقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول وارتحلوا من تلك الاطلال بالحريم والعيال حتى ابتعدوا مسافة يومين عن البلد خوفا من امر يتجدد وكان الامير دياب وزيدان فى أول الظعن بباقى الفرسان هذا

ماكان من بني هلال وماجرى لهم من الاحوال اما ماكان من وزراء الفرمند واكابر الاعيان فانهم كانوا قد استبطأوا حضور ملكهم الى الديوان فلما فات الوقت ولم يحضر أخذهم القلق والضجر وقالوا لابد لهذه العاقة من سبب وكان له بن أخت اسمه محمود النضنفر وكان وزيره الاكبر وقائد العسكر فصعد الى القصر في جماعة من الحجاب وقرع الباب فلم يجبه أحد بجواب فخلع الباب ودخل الى القاعة فوجدها خالية خاوية ووجد خاله ملفوف بذلك الحرام ومطروح على الزاوية فغاب عن الصواب واستعظم هذا المصاب فارسل واحضر ارباب الديوان فلما دخلوا الديوان ونظروا ملكهم على تلك الحال واعتراهم الاندهال ثم ان بن اخته اعطاه ضد البنج فحس وخرج مثل القلق العدس فقاق وهو على آخر نفس فوجد ذاته ملفوفا في ذلك الحرام وهو في حالة لذل والهوان ولم يجد أحد من البنات والنسوان فزاد مصابه وعظم اكتئابه فبادر بن أخته بالعجل وأتي بحلة من أفخر الحلل فلبسها وقد اعتراه الخجل لاسيما لما رأى حاله على تلك الحال وهو بين الوزراء وسادات الرجال ولكنه تصبر والتفت من حوله من الوزراء وقواد العسكر وقال لهم اتعلموا من فعل بي هذه الافعال واحتال على بهذا الاحتيال حتى بلغ القصد والامال قالوا ومن يكون بامالك الزمان فانت اخبر بهذا الشان فعند ذلك أخبرهم بواقعة الحال وطلب منهم ان يكونوا مستعدين للحرب والقتال وختم الكلام بهذا الشعر والنظام

يقول الفتى الفرمند بن متوج ... أنا لم يلمني بالهوى قط لائم
وعقلي شرد من دماغي بسرعة ... وقد جرت لي بجاري عظائم
هنيئا لمن شاف الى بنت قائد ... وشاهد الى الزينات نسل الاكارم
وانظر الى وطفا وغيا ونجلا ... والجازية من نسل قوام أكارم
لهم أوجه كالبدر عند اكتماله ... والشعر على الاكتاف كرش النعائم
ابوزيد أحرمني منهم نظرة ... ابوزيد أخذ عقلي وهد القوائم
ابوزيد انا في اسم قشمر ... ولابس لاقبع وشال البهائم
ابوزيد شاكك لاندب الثعالب ... واجرا مع حس رايتهم ملائم
فلو انني ادري لكنت قتلته ... ولكن فات الوقت واضحيت نادم
ولكن انا يابن أختي بهمتي ... اذيقه طعام الموت ثم البهائم

واقتل حسن ورياب ثم القاضى ... واجعل عجاج القوم للجو قائم
وافنى قبائلهم وشتت جموعهم ... واكسب بنات البدو ثم الغنائم
يابن اختى اجمع المال واركب ... نلحق هلال قبل يفدوا هزائم
ونبه على كل العساكر بركبوا ... نجيب غنائمهم بحد الصوارم
واشفى غليلى من ابى زيد بينهم ... وافعل به قصدى وذا الامر لازم
واشويه فوق النار وادرى رمده ... قد غاب عنى وقد صرت ولمان هايم

مقالات الفتى الفرمند عما جرى له ... فلا بد ابقيهم جميعا هزايم

قال الراوى فلما انتهى الفرمند من شعره ونظامه وفهم بن اخته وفى الامراء فحوى كلامه استعظموا القضية واستغربوا تلك العملية وكيف انا او زيد جائة بتلك الوسيلة وانطلت عليه الحيلة فقالوا الامر اليك وها نحن طوع يديك فامر بدق طبول الحرب والاستعداد للطعن والحرب فدقت فى الحال واجتمعت الفرسان والابطال وكانت نحو مائتى الف مقاتل بين فارس ورجل فركبوا فى الحال واستعدوا للقتال وركب محمود فى مقدمة الجنود وخفقت على رأسه الرايات والبنود وأشار الى خاله يقول

قال محمود بن اختك يامك ... انا مريع الخيل يوم الغارا
انا وزيرك صاحب الرأى الرشيد ... نركب عليهم قوم جند الفسارا
نهجم عليهم ثم نقطع اثرهم ... نفنى اكابرهم وكل صغارا
انى مريع الخيل فى سوق الوغى ... ادعى الروسى من السيوف ثارا
واقتل أكابرهم وافنى جمعهم ... بالاسمر البولاد والخطارا
انى شبيه الزبر حين احارب ... فى صولتى ومعاركى رشرارا
واشبه لعنترعبس يا امير الملا ... وادعى الفوارس ميمنة ويسارا

قال الراوى فلما فرغ من شعره ونظامه شكره خاله الفرمند على حسن اهتمامه وقال سر بماية الف من الابطال واتبع بنى هلال الاذذال وامنعهم عن المسير والارتحال واقم فيهم ضرب السيف الفصال من اليمين والشمال وانا اتبعك بباقى العساكر والرجال فى عاجل الحال ثم سار الوزير بالفرسان والابطال وجد فى قطع الروابى والتلال حتى ادرك بنى هلال فلما رأت بنى هلال العساكر المصرية قد اقبلت من

تلك البرية استعدوا للحرب والقتال وركبت الفرسان والابطال والتقت بعضها البعض فى تلك الارض وخرج ابوزيد محمود من بين الابطال فصال وجال فى ساحة المجال وطلب براز الفرسان والابطال وقال لهم هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز لي لا كسلان ولا عاجز اليوم يوم الهزاهز ثم أشار يقول

يقول الفتى محمود عما جرى له ... الايام والدنيا تريني الهوائل
فمن اين اتيتم ياهلال بجمعكم ... رعيتم مراعينا وكل المحاصل
بعثنا نريد المال منكم بلاخفى ... وعشر النساء والخيل ثم الاصايل
فارسلت بنات هلال ثم موالكم ... ومعهم ابوزيد ردى الخصايل
بنج لخالى ثم رجع بنائكم ... فهذ الردى ينزل الى يقاتل
اريه كيف يكون غدره بلاخفا ... واجعل دماه على الارض جدايل

قال الراوي فلم يترك ابوزيد الوزير يتم كلامه حتى صار امامه واطبق عليه وحمل واخذ فى الطعان والصدام والمهاجمة والاقدام والمفارقة والالتزام واختلف بينهما الطعن فى ذلك المقام حتى تحيرت من قتالهما العربان وتعلمت منهما حقيقة الضراب والطعان واستمرا على تلك الحال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فانفرقا على سلامه ولم يعلم أحدهما على الاخر بملامه وعند رجوع ابوزيد الى الخيام سأله الامير حسن عن خصمه فقال هو بطل همام وليث درغام فقال الامير حسن لابد فى ثاني الايام ان نهجم عليهم بالمواكب ونبليهم بالويل والمصائب لان الحريم والعيال قد سبقونا مع الامير دياب وفى ثاني الايام استعدت العساكر للحرب والصدام فنفخت الزمور ودقت طبول الحرب وركبت الفرسان ظهور الخيل واعتقلوا بالسيوف والنصول وهجمت المواكب على المواكب والكتائب على الكتائب وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالقواضب وعظمت الاهوال والمصائب وزاد الامر على الناس فوق حد القياس وتضايقت الانفاس وتقطعت الدروع والانراس واشتد الصدام والكفاح وعملت أسنة الرماح فى الصدور والاشباح وضجت الفرسان من ألم الجراح ونعق غراب البين وصاح وبان شخص الموت ولاح فلله در ابوزيد فارس الجحجاح ودياب ليث البطاح فانهما اشفيا بقتالهما الصدور وفعلا فعلا يذكر على مدى الايام والدهور وكذلك فعل الامير زيدان وباقى الابطال

والفرسان فانهم قاتلوا اشد قتال ونازلوا اعظم نزال وما زال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان صار وقت الزوال فعند ذلك دق طبول الانفصال فارتدت عن بعضها الابطال ورجعت بنى هلال بالعز والاقبال والعساكر المصرية فى وبال (قال الراوى) واستمر الحال على هذا المنوال مدة ثلاثة أيام على تمام والكمال وفى اليوم الرابع انكسرت عساكر الوزير وأصابها الفناء والتدمير ولم يعدها ادنى ثبات فولت فى جوانب البرارى والفلوات واتفق لها فى ذلك الوقت قدوم الفرمند بباقى الجند فلما أشرف الى ذلك المكان ورأى ماجرى وكان اغتاظ الغيظ الشديد الذى ماعليه من مزيد وحمل على بنى هلال بمن معه من الابطال وأحاط بهم من اليمين والشمال فنكس بفعاله الميامن والمياسر وحكم الطعن فى الصدور والخواصر وتبعته ابطاله مثل الاسود الكواسر وقاتلوا أشد قتال ونازلوا اعظم نزال وكانت العساكر المنكسرة لما رأت جماعتها ظفرة منتصرة ارتدت الى معركة الصدام وقاتلت بعد ذلك الانهزام وكان الملك الفرمند قد التقى بالامير حسن فى ساحة الميدان وهو ينخى الفرسان والابطال ويحثهم على الضرب والطعان فتقدم اليه وهجم عليه وانشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الفرمند بن متوج ... ونيران قلبى زايدات شرار
أنا ملك مصر وحاكم بلادها ... أنا فارس الفرسان بالبتار
الا ياحسن ماتخجلوا من فعالكم ... أيا بايقين السيط يافجار
بعثتم لنا مالا صحبة سلامه ... ومعه بنات مفتنات ابكار
دهانى واخذ مالى بحيلته ... فلو علمت انه هو ذلك المكار
وقد أتيتكم بجيش كالقضى ... ونسبى حلايلكم وكل جوار
ويبقى فعل الله بينى وبينكم ... وتقتل أكابركم وكل صغار
وتنظر اسودا فوق خيل ضوامر ... وصوت طبول تزعج الاقطار
واضرب سيوف ثم ضرب بواتر ... وهجمات خيل معرفنا وغبار
أنا جيتكم قدجاكم الشر والبلا ... فرمند خلفه عسكر جرار
يقول الفتى فرمند بن متوج ... اليوم أطلق فى جموعك نار

قال الراوى فلما فرغ الفرمند من كلامه أجابه حسن على شعره ونظامه يقول

وعمر السامعين يطول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ... لا شك عقلك من دماغك طارا
الا فاستمع لي يا امير وافهم ... واصغى الى قولي بنظم شعار
نحن ترانا سائرين مغرب ... عند الوناة خليفه المختار
لما وصلنا يا ملك لبلادكم ... ارسلت تطلب ما انا وجوار
فارسلنا لك من بنات قومنا ... فوق الهوادج بغية النظارا
وارسلنا معهم ابو زيد صانعهم ... ورجع بهم شبه الاسد هدار
لو زاد قتلك كان جز لرأسك ... ولكن ماهو خاين غدار
وكيف تريد بناتنا مع اموالنا ... وتاخذ حلائلنا فهذا عار
وكم ملك مثلك دعيناه على الوطا ... قتيل ولا يؤخذ نظيرك نار
ولو كان خلفك سبع كرات فما ... يحمونكم من سيفنا البتار
انجا بروحك قبل ما تفنى عساكرك ... وننثركم يا ناضيات نثار
نصحتك انا من شفقتي بدارم ... وما أصعب الفرقا بعد الدار

مقالات الفتى حسن الهلالي ابو علي ... يا امير فرمند الفلك دوار

قال الراوي فلما انتهى الامير حسن من كلامه وفهم الفرمند فحوى شعره ونظامه انطبق عليه وحمل فالتقاه حسن العجل وانصب عليه انصاب الغوث اذا هطل وتطاعنا باطراف الاسل وتضاربا بالسيوف على القال حتى حارت منهما المقل وارتفع عليهما الغبار وحجبهم عن العيون والنظار ولم يزالا على تلك الحال وهما في أشد قتال حتى اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الفرمند فراحت خائبة بعدما كانت صائبة اما ضربة حسن فالتقاها الفرمند في درقة البولاد فسقطت على رقبة الجواد فبرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع الفرمند على الارض وانحطم وصار وجوده كالعدم فعند ذلك هجمت نرساه مثل سيل المطر وخطفوه وخلصوه من الخطر وفي الحال التقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وتقاتلوا أشد قتال حتى جرى الدم وسال وعظمت الاهوال ومازالوا على تلك الحال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت العساكر عن بعضها ونزلت كل طائفة في ارضها ولما اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح جمع الامير حسن

أكابر الديوان ومن يعتمد عليهم من الفرسان وقال لهم مرادي انا اكتب الان واستدعي بالامير دياب ليحضر الى هذا المكان و يساعدنا على الحرب والطعان والا طال الحال وقتلت الرجال لانه كما تقدم المقال ان الامير دياب كان قد سبقهم بالحريم والعيال فاستصوبوا رايه وقالوا لقد أشرت بالصواب فاكتب الى الامير دياب فعند ذلك كتب اليه يقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ... ونيران قلبي زايدات لهاب
على ما جرى فينا وما قد أصابنا ... وصرنا بحيرة والامور صعاب
ايا غاديا مني على متن ضامر ... فقل الى الزغبي الامير دياب
اتونا جموع كالجراد كثيرة ... قروم شداد مثل سيل سحاب
نزل من الميدان فرمند وانتخى ... وقال كل ينزل من الانجاب
فاين المسمى أمير سلامه ... واين حسن ثم الامير دياب
فقلت له لبيك يا فارس الوغا ... ونزلت انا لحربه يا امير دياب
ضربته بالفرضاب يا امير ضربة ... فقتلت جواده وكاد هو ينصاب
والتقت الجيشان في ساحة الوغا ... وبا ما قتلنا من شيوخ رشباب
قدامنا بحرين يا امير زاخرة ... النيل ورجال مثل اسود الغاب
مقالا الفتى حسن الهلالي ابو علي ... انا شعر راسي قبل وقته شاب

قال الراوي فلما انتهى الامير حسن من هذا الخطاب ختمه وسلمه الى النجاب وامره ان يسير به الى الامير دياب و يعود بسرعة الجواب فامتثل وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى مند دياب في وسط النهار فسلمه الكتاب وطلب منه الجواب فلما فتحه وقرأه وعرف ما حواه احمرت عيناه وزاد بلاه وامر بدق الطبول فدقت في الحال وقبلت اليه الفرسان والابطال فاعلمهم بجلية الاحوال وقال لهم استعدوا لمساعدة بني هلال قبل ان يحل بهم الوبال وتسبي الحريم والعيال فلو لم يكونوا في أشد الاهوال ما كان كتب لي حسن هذا الكتاب وارسله مع النجاب فلما سمعوا منه هذا الخطاب تحمست منهم جميع الجهال والشباب وركبوا في ساعة الحال طالبين معركة الصدام وفي مقدمتهم الامير دياب ليث الغاب والامير زيدان شيخ الشباب حتى اشرفوا على بني هلال عند الغياب فالتقوهم بالاكرام والترحاب وشكروهم

على ذلك الاهتمام وفى ثانى الايام ركبت الابطال والفرسان وطلب معركة الطعان وكان اول من برز الى ساحة الميدان وطلب براز الشجعان الوزير محمود بن اخت الفرمند قائد الجنود ولما صار في ساحة المجال قال هيا يابنى هلال اين فوارسكم المشهورة اين ابطالكم المذكورة ابن الاميرديا ب الذى تلقبوه بليث الغاب فما اتم كلامه حتى صار دياب امامه فعند أشار يتهدده بهذا القصيد ويفتخر بنفسه على الابطال الصناديد

يقول له الفتى محمود عما قد جري له	انا ناطح الابطال يوم نكيد
ابا بن غانم صرت انت غنيمتى	فسوف ترى منى قتال اكيد
فلا تظن بانى منك خايف	لاولا عن حربكم عمري لا احيد
فاسال الابطال مثلك كم قهرت	لابد لى عن قطع راسك ياعنيد
ان طعتنى اسلم بروحك يادياب	واخلع لدرعك وما عليك من حديد
وارمى لسيفك ثم رمحك والثياب	واترك الحضرا ولا تكون عنيد
قول محمود الوزير الماجد	لابد عن قتلك واخذ ما اريد

قال الراوى فلما انتهى الوزير من كلامه اجابه دياب على شعره ونظامه يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى المسمى دياب الغانم	فارس الفرسان انا قرم شديد
انى دياب الخيل فى حومة الوغا	قاتل الابطال وكل قرم عنيد
كم فارس جندلته بمهندي	وجملته من بعد عزه فقيد
محمود لا تصلح تسوس لخيلنا	من كان مثلك نجعله بين العبيد
لابد ما أضرب لرأسك بالحسام	واترك دماك على الفلاه بديد
مقال ابو موسي دياب الغانم	اسمع كلامي يا امير ولا تزيد

قال الراوى فلما فرغ دياب من هذا الشعر والنظام انطبق على خصمه مثل صاعقة الغمام فالتقاه الوزير كسبع الاجام واخذا في العراك والصدام وما زالا فى قتال شديد وضرب يشيب الطفل الوليد نحو ساعة من النهار وقد شخصت نحوهما الابصار ثم اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الاميرديا ب ليث الغاب لانه كان اشجع واقدر واعرف بمواقع الطعن واخبر فجاءت الضربة على رأس الوزير

فعمل به الهلاك والتدمير فوقع على الارض يخبط بعضه ببعض فلما رأت العساكر المصرية ما حل بوزيرها من المنية وكيف انه شرب كاس المنية عظمت عليهم الامور وانقضوا على بني هلال مثل الصقور واحاطوا بهم من اليمين والشمال فالتقتهم بنو هلال بقلوب كالجبال وتقاتلوا أشد قتال حتى جرى الدم وسال وعظمت الاهوال وما زالوا على تلك الحال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت العساكر عن ساحة المجال واما الفرمند فابه بات مشغول البال في قلبه نيران الاشتعال على ما فقد له من الرجال ولا سيما قتل محمود بن اخته فانه كان عنده أعز من مهجته فلما صدق ان يطلع الصباح حتى برز الى ساحة الكفاح كانه ليث البطاح ثم صال وجال في ساحة المجال وقال لا تبرز لي من الابطال غير ابو زيد المحتال فما اتم كلامه حتى صار ابو زيد أمامه فالتقاه الفرمند في الحال وانشد وقال

قال الفتى الفرمند قرم مهولا ... اليوم تبقى يافتى مقتولا
انى مربع الخيل يوم الغاره ... سيفي ترى بدم العدا مبلولا
دخلت الى قصري عملت مهرج ... جبت البنات وجيت كالبهولا
شكيت في راسك ذناب ثعالب ... قد كان لعبك عندنا مقبولا
لو كنت اعرف حيلتك وفعايلك ... لقطعت راسك ياردى بالطولا
جيناك يا ابو زيد بكل مدرع ... مسربلين ومجردين نصولا
دياب قتل الوزير بضربه ... وجعل دماه في الفلا مهطولا
قول الملك فرمند عما جرى له ... اليوم يبقى جيشكم مقتولا

قال الراوي فلما فرغ الفرمند من هذا القصيد اغتاظ ابو زيد الغيظ الشديد وانطبق عليه بقلب أشد من الحديد وأخذ معه في الحرب والجلاد بدون جواب ولا انشاد فالتقاه الفرمند بقلب كالجبال وأخذ معه في الحرب والقتال وقد هان عليه الاجل وبلوغ الامل فقاتل قتال من استقتل فثبت ابو زيد لقتاله وفعل كفعاله وما زالا في حرب وصدام مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر ظفر به ابو زيد واستظهر فهجم عليه هجمة جبار وضربه على عنقه بالسيف البتار واذا براسه قد طارت فوقع على الارض قتيلا وفي دمه جديلا فلما رات المصريون تلك الاحوال خابت منهم الامال وايقنت بالهلاك والوبال واجتهدت ان تخلص جثة ملكها فما قدرت وقد اهالها

طارات وابصرت وانجات عزائمها وتاخرت واشتد عليها الحصر وخاب املها من النصر فرجعت طالبة مدينة مصر وهي على اسواء حال لا تعرف اليمين من الشمال وقد بعثهم بنى هلال على الاقدام وفى مقدمتهم ابوزيد والاميرباب والاميرزيدان شيخ الشباب وحكموا فيهم ضرب السيف القرضاب على الاجسام والرقاب حتى دخلوا البلد وهم فى حالة الذل والنكد فلما رأت اكابر المدينة والاعيان ماجرى وكان وكيف ان الفرمند شرب كاس الهوان خرجوا الى عند الامير حسن بن سرحان وطلبوا منه العفو والامان فاجابهم الى ذلك الشان واوصي الابطال والفرسان ن لا ينهبوا شيئا من امتعة المدينة لا رخيصة ولا ثمينة بل يكونوا فى هدو واحتشام اكراما لمزارات الاولياء ومقامات العلماء العظام وكان للفرمند ولد مقتدر اسمه الامير منذر فاحضره اليه وقبله بين عينيه ثم رلاه مكان ابيه بحضور اكابر البلد والذوات العمد بعد أن أوصاه ان يتصرف بحسن السلوك ويتخلق باخلاق الملوك ثم انشد وقال بحضور سادات الرجال

يقول الفتى حسن الهلالي ابو على ... وسبحان ربى حاكم ديان
خلق الخلائق ثم احصى عدادهم ... له الحكم والتدبير والاحسان
لا يا اهل مصر اصغوا لقصتى ... وكل واحد منكم يكون فهمان
قمت انا المنذر عليكم حاكم ... فلا يعترض له منكم انسان
وكونوا بطوعه ثم اصغوا لقوله ... فهو لكم حاكم وهو سلطان
وانت يا منذر فكون عليهم ... شفوق ولا تظلم منهم انسان
واحكم بقانون النبي محمد ... نبي الهدى من آل عدنان
مقال الفتى حسن الهلالى ابو على ... ومن كان له فضل بيان

فلما انتهى حسن من هذا الشعر والنظام وسمعه الخاص والعام قالوا عن فرد لسان قد رضينا بمنذر علينا سلطان ثم قامت الافراح وزالت الهموم والاتراح وكان الامير حسن قد استحسن مصر كل الاستحسان نظر الكبرها وما فيها من الابنية الحسان فصمم ان يبنى فيها على اسمه جامعا ليكون ذكرا له على طول الزمان فامر البنا بين وجماعة المهندسين ببناء الجامع المذكور فى ظرف ستة أشهر فاجابوه الى ذلك المرام وبعد ان تم بالتمام امر ان يفرشوه بنفيس الفرش وينقشوا حيطانه باحسن النقش

فامتثلوا امره في الحال وفعلوا كما ذكر وقال فكان جامعا عظيم المثال يزهو كالهلالي وكان مكتوب على بابه بماء الذهب هذا جامع الامير حسن الهلالي سيد العرب وبعد ذلك بثمانية ايام امر الامير حسن بهد المضارب والخيام فهدت في الحال وركبت الابطال ظهور الخيل والجمال وسارت العماريات بالنساء والعيال امام الفرسان والابطال وجدوا في الترحال قاصدين بلاد المغرب والامير ماضي بن مقرب ومازالوا يقطعون الفقر العريض الطويل حتى وصلوا الى مكان يقال له المخاضة

(قال الراوي) والان نقول انه اتفق بالامر المقدر ان الماء في ذلك المكان المسمى المخاضة كان في ذلك الوقت ممتدا في السهول والبساتين والحقول وكان الاميرزيدان والنساء والعيال سائرين أمام الفرسان والابطال وكان ابوزيد خلف جميع بني هلال فمتدوصولهم الى ذلك المكان تضعضعت احوال الرجال والنسوان والاطفال والشبان لان الماء كان جاريا في تلك السهول كالطوفان فوقعت لاحمال عن ظهور الجمال وصاحت النساء والعيال وصرخت الاطفال خوفا من الغريق ولم يعودوا يعرفون الطريق وقد عدموا السعادة والتوفيق فلما شاهد الامير حسن تلك الحال خاف على الحريم والعيال وتضعضعت منه الاحوال وايقن بالهلاك والوبال فقال لبعض القوم اين هو ابوزيد في هذا اليوم فقالوا هو مع عمه حسين الجعيري في آخر الظعن مع حريمه وعياله فارسل واستدعاه اليه فدخل وسلم عليه فقال له الامير حسن واشتدت علينا المحن وانا خايف الان على الحريم والعيال من الغريق والوبال ثم انشد وقال

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ... تفكرت في الدنيا وكل حوالها
رحلنا من نجد السدية بلادنا ... نريد بلاد الغرب نبغي وصالها
هل هو حلال يا ابو مخير انه ... تغرق لسانا مع جميع طفاها
ابوزيد هلال على الماء زاحمت ... كثير من العربان غرقت جمالها
ترى ان كان لك حاجة تريد نوالها ... خذلك ثلاث حاجات مني بدالها
وان كان صابك يا امير مصيبة ... بعلم القلم يا امير عندي زوالها
وان كنت خايف ان عليا تفارقك ... فاجعلها قدام وامشي قبالها
قول الفتى حسن الامير ابو علي ... ونيران قلبي زايدات شعالها

انتهى الجزء الثالث عشر ويليه الجزء الرابع عشر

الجزء الرابع عشر من تغريبة بني هلال

وهو يحتوى على غريق بني هلال فى ارض المخاضة وزعل عليا مع الجازية ورحيل حسين الجبرى الى ارض نجد وديوان الماضى بن مقرب حاكم بلاد الصعيد وما جرى لبنى هلال معه

قال الراوى فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه وفهم ابو زيد نحوى كلامه أشار بقول وعمر السامعين يطوله

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ... فكم جهد قلبى ما يقاسى غبائن
من قال لكم يا مير تمشون بالعرب ... وتمشون وسط الماء وانتم ظمائن
انا ناخرت مع ظعن عمى الجبرى ... حسين ابو عليا وبعض الظمائن
تقول بانى يا امير مكدرا ... علامك على يا بن سرحان كاين
فاقف قليلا حتى اعود بسرعة ... واتى بعليا مع باقى الظعاين
وجيب الى عمى فيمشى بقربنا ... هذا غريب الدار يا مير حازن
مقال ابو زيد الهلالى سلامه ... من حزن قلبى صرت يا مير جاتن

قال الراوى فلما انتهى ابو زيد من شعره ونظامه وفهم الحاضرون معنى كلامه قالوا له عن فرد اسان نطع يا ابو زيد العربان فلكز الحصان وبين لهم طريق الامان لانه كان يعرف المكان قبل ذلك الاوان فجعلت تتوارد العرب وقد استامنت من العطب وكان اول من عبر الجارية وعليا زوجة الامير ابى زيد الغضنفر فاتفق ان هجنها تزاحمت بعضها ببعض تربة كان يقعن على الارض فتشاتما بالكلام وتخاصما اشد خصام وكانت الجازيه ازدرت فيها وتكلمت معها كلام لا يرضيها فاغتاظت عليا من كلامها ورجعت الى الوراء واعلمت ابيها بما نام عليها وجرى ثم اشارت تقوله

قالت عليا ونار قلبي تسعرا ... اسمع كلامى يا ابى وتبصرا
ولقد جرى لى يا ابى مشاجرة ... من بنت سرحان كلاما منكرا
عند المخاضة هودجي زاحم لها ... وتحطمت اطرافه فتكسرا
نادت وقالت يا عشيقة عبدنا ... ردى لهودجك بغير تغيرا
رديت للهودج لاجل كلامها ... والدمع من عينى غدا يتفجرا

أرجع ابي عن هلال لارضنا ولا تروح الى المغارب تخسرا
لاتحمل المعيار ياامير الملا القلب مني والفؤاد تسعرا
عليا تقول وليس قولي كاذب ماعادلي جلد به اتصبرا

قال الراوي فلما فرغت عليا من شعرها ونظامها وفهم ابوها فحوى كلامها اغتاظ الغيظ الشديد الذي ماعليه من مزيد وعلم ان ذلك كان من الجازية عدوان وافتراء وامر عربه في الحال ان ترد الظعن وترجع الى الوراء فامتثلوا امره في الحال ورجعت العرب بالنوق والجمال في عاجل الحال فلما رأى ابو زيد بان الظعن راجعه وهي وراء بعضها متتابعة اندهش وتعجب وسال عن السبب فقالوا اعلم بانور العين هذه ظعن عمك حسين وهو قاصد ان يرجع الى الاطلال بالحريم والعيال فلما سمع قال ابو زيد هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام ثم ركب فرسه الحمرا قاصد عمه حتى التقى به في تلك الصحراء وقال له مالك راجع الى الوراء فبكي حسين من فؤاد متبول واشار ينشد ويقول

قال الامير الجميري بماجرى العرض مني هتك بين الملا
اسمع كلامي ياامير سلامه النار في قلبي تهب وتشعلا
عند المخاضة اجتمعت نسائكم وبناتكم فوق الهوادج انجلا
فتزاحمت عليا وجازية المها عند المخاضة والمياه ينحدلا
شتمت لعليا الجازية بكلامها وعلت عليها المصائب والبلا
قالت لها عليا ماهذا الامل منك ايا بنت سرحان الملا
أنا زوجة ابو زيد الفتي هو ابن عمك في الرجال مجملا
قالت فروحي ياعشيقة عبدنا ساقطع لرأسك ماأخاف من الملا
زادت على عليا كلام بغيظها كسرت لحرمتها التي ترفلا
فبكت وشكت ثم قالت ارتجع فرديت ظعني ياسلامي عاجلا
وحيات رأسك مابقينا نرتجع للغرب وحياة النبي المرسلا

فلما فرغ حسين الجميري من كلامه وفهم ابو زيد فحوى شعره ونظامه وكان ذلك عليه أقوى من ضرب السيف واشد ولكنه اخفى الكمد واظهر الصبر والجلد وقال له اعلم أيها العم المحترم انه ليس على كل النسا ارتباط والتفت الى زوجته وقال اعلميني

يا بنت الكرام بما جرى بينك وبين الجازية من النفور والخصام فاعلمته بواقعة الحال واوقفته على جلية الاحوال وكيف انها قابلتها بوجه الغضب وشتمتها بدون سبب وجعلتها معيرة بين نساء العرب فقال اخزي عنك الشيطان وقومي بنا حتى نرجع الان قالت اذا رجع ابي رجعت انا ولا اجعل نفسي عرضة للاهانة والعناء واسمع كلام اولاد الزنا فجعل يتلطف بخاطر عمه ويطلب منه الرجوع فقال ان كلامك على الرأس والعين الا في هذا الامر فانه غير مقبول ومسموع الا بشرط ان تقطع رأس الجازية وتعدمها الحياة فعند ذلك ارجع واكون قد بلغت ما اتمناه فقال ابشر بما طلبت ياعماه فعندذلك رجع ابوزيد على الاثر والسيف في يده مشهر حتى دخل على الامير حسن وهو في الصيوان وحوله الامراء واكابر الاعيان فسلم عليه وهو عابس فقال له الامير حسن علامك يازين الفوارس فاني اراك عابس غضبان فاعلمه بما جري وكان وقال له في آخر الكلام ان مرادي أقتل الجازية بحد الحسام واسقيها كاس الحمام مابدا منها وجرى من كلام الذم والافتراء وحدثه بما قيلت من الاول الى الاخر فقال الامير حسن دع عنك كلام النسوان ولا تغتاظ من هذا الشان وقم بنا الان حتى نتعطف بخاطر عمك ونعود ولا نجعل لشماتة العدو والحسود فاجابه الى ذلك للمرام وركب هو واياه وعند وصولهما الى المضارب والخيام استقبلهما حسين الجعيري بالترحاب والاكرام فاخذ حسن يستعطف خاطره بالكلام ويقول له ارجع يابن الكرام ودع عنك كلام النسوان ولا نشمت بنا الاعداء في هذا المكان لاننا غرباء عن الاوطان ولا يجوز ان نختلف في هذا المكان فقال وحق الواحد الاحد اني لا أرجع الا برأس الجازية فقال ابشر بما طلبت وارجع بالعجل فاني أبلغك القصد والامل فعندذلك أجاب وامتثل ورجع معهما في الحال بمن معه من العيال ولما بلغ الجازية هذا الخبر اخذها القلق والضجر وخافت من الخطر فسارت الى عند القاضي بدير وسلمت عليه ونزلت على قدميه وقالت انا في جيرتك وقد وقعت على حضرتك لانك كهف الانام ومن يأتي اليك فلا يضام فقال لها ابشري بالسلامة والخير فقد صرت في جوار القاضي بدير ثم انه أخذها الى عند الحريم وزاد لها في التكريم والتعظيم لانها من أشرف نساء العربان ولا سيما انها اخت الامير حسن العظيم الشان ثم رجع الى الديوان وهو يتعجب من ذلك الشان وحوادث الزمان بينما هو كذلك اذا قبل الامير حسن وابوزيد فارس المعارك فالتقاهما بالبشاشة والترحاب

وأخذ معهما في الحديث الخطاب وقال لهما ما بالكما متكدران فاعلماه بذلك الشان وان مرادهما قتل الجازية دون باقي النسوان فقال نفسي فداها فكيف يمكنني ان اسلمكما اياها وقد دخلت الى داري وصارت في زمامي فهذا لا يصير ابدا ولو شربت كاس حمامي فقال ابو زيد لا بد من قتلها على وقاحها وفعلها نتقدم حسن الى القاضي بدير سرا وقال أخاف من رجوع ابو زيد الى نجد اذا ما بلغناه غاية القصد ونقع في هذه الديار ويحل بنا الهلاك والدمار فقال القاضي من الصواب ايها الانجاب ان نحشر عليا والجازية للمحاكمة الاستنطاق فالتي تكون مذنبة منهما تستوجب للقتل والاستحقاق ولا يعود يلومنا أحد من الناس لان هذا الامر خارج عن حد القياس فلما انتهى القاضي من هذا الخطاب راوه عين الصواب وهكذا استقر الحال ورجع ابو زيد الى عند عمه واعلمه بواقعة الحال وارجعه مع ابنته عليا الى الديوان وكذلك حضرت الجازية المرافعة في ذلك الشان فجاست خلف الستار خوفا ان يقتلها ابو زيد بالسيف البتار فعند ذلك سالها القاضي عن سبب اهانتها لعليا وما هو الداعي الموجب لذلك المقال الذي يورث القيل والقال فانكرت امام الحاضرين بانها ما قالت كلاما على سبيل العتاب كما جرت عادت الاحباب

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها وفهم القاضي بدير فحوى نظامها التفت الى عليا وقال يظهر من هذا المقال بان الجازية لم تتكلم في حقك بشيء يورث القيل والقال فان كان معك شهود فاحضريهم لكي يشهدوا عليها فذهبت عند البنات اللواتي كن في ذلك الوقت حواليها واعلمتهن بما قد جرى وكان رطلبت منهن ان يحضرن معها الى الديوان فقلن نحن لا نذهب معك ولا نترك الجازية وتبعك فعادت على الاثر واعلمت القاضي بذلك الخبر فقال هي بريئة ليس عليها ادنى حق ولقد تكلمت بكلام الصدق ثم دخلت عند الحريم ورجعت عليا لعند ابيها وهي في غم عظيم فلما رآها ابو زيد راجعة تنهد من فؤاد قريح وقلب جريح وقد عظمت عليه المصيبة وقال لو لم تكن معي عليا في هذه التغريبة ما كنا امتلكنا بلدا ولا ظفرنا باحد ولو كنا أضعاف هذا العدد لاني كنت اذا انظرتها وهي في الميدان يشتد مني الجبان ولا اعود اشبع من الطعان وقتال الفرسان ثم انه تاوه وتنهد وبعد ذلك انشد يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه الى الغرب قد سارت جميع الفوارس

انا ثالث الاثنين ان جد سيرهم ورابعهم وان احوجت كنت خامس
انا مزعج الفرسان في ساحة الوغى وأتى قوى العزم صعب المرابس
ويوم اتونا الملوك وجهزو وقد اسروا الزينات ثم النواعس
وقالت علينا يا ابو زيد غيثنا ايا امير لا تخشى حديث المجالس
ثمانين بنتا من هلال اسارى بنات الامارا لابسين الاطالس
وقلنا لبنا يا هلال انجدونا غدينا سبايا مع الوجوه العوابس
ابو زيد انجدنا واستر عروضنا فمثلك من يصلح لحرب الفوارس
فلما سمعت القول هاجت ضمائرى وقد ثار مني هادساواي هادس
فشجعت نفسي ثم كريت على العدا ومكنت ضربتي بالدروع اللوابس
وكانوا يجوني من هناك ومن هنا فردتهم شبه الجراد المحابس
ولما رأت عليا هجومي على العدا فخافت ان اكون على الارض ناكس
نادبت اياز غبي فانجد سلامه احاطت به الفرسان مثل الاشاوس
اتاني الفتى الزغبي دباب الغنائم يطارد الاعدا كالليث عابس
فخمسة منا طاردوا خمسمائة وفيهم اماجد ثم فيهم فوارس
فاولنا كان الخفاجي عامر وثانينا القاضي يكيد الفوارس
وثالثنا الهلالي ابو علي ورابعنا الزغبي وانا كنت خامس
مقال ابو زيد الهلالي سلامه انا راجع الى نجد دون الفوارس

فلما فرغ ابو زيد من هذا الانشاد ركب ظهر الجواد وقال والله لقد مليت من الحرب وليس لي بعد حاجة في بلاد الغرب ثم راته الامراء والفرسان قد رجع الى الوراء اردافا واغماكدرا واستعظموا الحال وعملوا انهم بدونه لا ينفعون في القتال فعند ذلك تقدم الاميز يدان وقال للسادات وارباب الديوان نحن والله بدون ابي زيد لا نقدر على عمل حيلة ولولاه ما كنا قطعنا كل هذه المسافة الطويلة ثم اشار يقول

يقول الفتى زيدان عما جرى له ارى ابو زيد الهلالي راح
اذا راح ابو زيد الهلالي مشرق ما عاد لكم بين الانام نجاح
والنيل حايطكم ومانع ظعنكم بوسط الخاصة مثل بحر طفاح
ابو زيد ماله بالمغارب حاجة حتى يسير له بجد رواح

وان رجعتم يهلكوا أولادكم ... ويبقوا على وجه الاراضي طراح
ولنجد مانقدر نرود بظعننا ... يوجد لنا أعداء بكل بطاح
فاسكندرية والعريش وغزة ... والد والرملة وكل نواح
فوالقدس ثم الشام وحمص بعدها ... اما حلب ابطالها فرجاح
هؤلاء جميعها مبغضين لقومنا ... ذاقوا منا بالحروب كفاح
فانا رجعنا يقتلون كلنا ... يدعونا فوق الرمال تراح
ابوزيد ان عاد يذهب بينهم ... فى حيلة منه وضرب صفاح
قوموا اليه وادركوه بالعجل ... بكباركم وصغاركم وملاح

فلما فرغ زيدان من هذا الشعر والنظام وسمعه الامير حسن وباقى الامراء الكرام قالوا لقد تكلمت بالصواب واشرت بامر لا يعاب لان أبوزيد سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل وقال الامير حسن مرادى اذهب اليه واخ بالكلام عليه فعساه ان يسمع ويرجع والا بدونه فلا نصلح ولا ننفع ثم ركب فى الحال واخذ معه جماعة من الابطال وسار الى عند الجمبرى وقد علم ابوزيد بحق فى رجوعه وغير مفترى فالتقاه بالتعظيم والاحترام وأكرمه كل لاكرام وبعد ذلك قال له الامير حسن ان كل غاية مرادك ان ترجع الى ارضك وبلادك فدع ابوزيد يوصلنا الى بلاد الغرب ولا نشتت شملنا وتهنا عن الدرب ثم اشار يقول من فؤاد متبول

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على ... ولى قلب بين الجوانح طار
أيا امير قد جيناك نرجو الهمتك ... أياليت عمرك أطول الاعمار
فاولادنا بالقيروان وقابس ... رهاين وهم فى قلعة وحصار
تريدك تردا بوزيد يا ملك ... يدلنا للقيروان جهار
قادخل عليه لا بد بقبل عزيمتك ... يابرمكى يامقرى الخطار
حتى نروح الى البلاد نحييهم ... ونجعل بلاد القيروان دمار
ففابى على مرعى قد ذاب وانكوى ... وشبت بقلبى والضمائر نار
لان سلامه خاضها لا وا.رك ... وانت معى ارجع ولا تتدار
وخلى كلام الجازية ام محمد ... فلا بد اتركها تروح نثار
على شان مرعى منت حالى رجيتكم ... واتوك هلال كبارهم وصغار

فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه فهم حسن الجميري فحوى كلامه قال انا لابد لي من الرجوع الى ديارى وتلك الربوع ثم انه التفت الى ابو زيد وقال بحياتي عليك ان ترجع الى قومك بني هلال وتذهب معهم الى بلاد الغرب وتلك الاطلال فقال سمعا وطاعه ثم انه ودع زوجته وعمه ورجع من تلك الساعة وكان قد تاثر على فراق عليا لانها كانت اعز عليه من نساء الدنيا فبكى بدمع مهراق ألم الفراق فلما اشتدت عليه الاحزان اجتمعت الامراء والاعيان ودخلوا على الامير حسن في الصيوان وقالوا ماهو رأيك أيها السيد المحترم قال ابو زيد كثير القلق والغم فقال عرندس والامير دياب وجماعة من اكابر الجهال والشباب انه من الصواب ان يتزوج تنزول عنه الشدة ويحصل على الفرج فصار كل واحد منهم يقول انا ازوجه ابنتي واشاركه في مالي ونفسي ثم انهم جمعوا بنات امراء القبيلة وزينوهن باحسن الثياب الجميلة وكان من جملتهن ثمانين بنت من بنات الامارا وهم بنت الامير دياب ليث الغاب وبنت الامير حسن وبنت الرياشي وبنت عرندس الاسد المفترس وبنت الليث الكندي والقاضي بدير والجازية أم محمد التي بسببها حصل هذا النزاع والنكد وأحضروهن امام ابو زيد واعرضوهن عليه واوقفوهن بين يديه وقالوا له اختار لك واحدة من هذه البنات لك زوجة عوض عليا فان كل واحدة منهن اجمل منها واحلى وانت احق بهن واولى فلم يرضى ولم يقبل احد منهن ثم تقدمت الجازية الى بين يديه واعرضت نفسها ايضا عليه وكان كما تقدم عنها الخبر جميلة المنظر ومحبوبة من جميع البشر فقال لها ارجعي ارجعي على مرتين والا جعلتك بسيفي قطعتين فانتظت من هذا الكلام وكانت تظن ان يتزوج بها ويبلغ المرام ثم خرجت هي والبنات الى المضارب والابيات وفي اليوم الثاني عبرت بنو هلال نهر النيل وقد استراح بالهم من هذا القبيل وما زالوا يقطعون البراري والبيدا حتى وصلوا الى بلاد الصعيد

﴿ هذا ديوان الماضي بن مقرب ﴾

وكان الحاكم عليها في تلك الايام رجل صاحب قدر ومقام وفضل واحترام عديم المثال بين الرجال قد اتصف بالجود والكرم وحسن الشيم وبجوده كانت تضرب الامثال في المشرق والمغرب واسمه الماضي بن مقرب وكان صاحب حسب ونسب واصله من بلاد العرب وكانت اقامته في بلاد نجد المدة الى ان تملكها بنو هلال

بالقوة الجبرية وقتلوا ملكها الهيدبي بن عطيه واستوطنوا فيها وانتشروا في جميع نواحيها فاصطحب الماضي مع الامير حسن وسادات بني هلال غير انه لكثرة الرجال وازدحام المراعي بالنوق والجمال ارتحل الماضي من تلك الارض وسار بأهله وعياله وفوقه وجماله ومن يلوذ به من رجاله واتي الى بلاد الصعيد وسكن في تلك البيد وكان ملكها رجل جبار صاحب بطش واقتدار وهيبة ووقار يقال له نصار فائتلف مع الماضي اشد ائتلاف وجعله نائبه في تلك الاطراف ثم زوجه ابنته وشاركه في ماله ونعمته وبعد موت الملك نصار تسلطن الماضي على الديار وكان محبوبا من الكبار والصغار فلما وصلت بنو هلال الى تلك البلاد كما تقدم الايراد التقاهم الماضي بالترحاب والاحترام واظهر لهم مزيد الاكرام نظرا لما بينه وبينهم من الحب القديم والوداد المستقيم وانزلهم في بلاده مع رعاياه واجناده واخذ الامير حسن ومن يلوذ به بحضرته من اعوانه وابا كابر عشيرته الى حرايقه واجلسهم في أعز مقام وذبح لهم الطيور والاغنام وجعل يترحب بهم بهذا الشعر والنظام

قال الفتى الماضي بن مقرب ... يا مرحبا فيمن انوا الصعيدنا
يا مرحبا بك يا امير ابو علي ... يا ابن حازم كان جدك سيدنا
انتم اقاربنا ونحن أقاربك ... حاشا نكيدلكم وانت تكيدنا
رحلت من نجد وجيت لارضنا ... ارض الصعيد وملكها في ارضنا
قد كنت ابكي دائما لفراقكم ... حقا وما وعاد البكا يفيدنا
اضات منازلنا بكم يا بو علي ... والله من فضله علينا يزيدنا
يا مرحبا بك يا امير سلامه ... انت الامير فخر العباد وسيدنا
يا ميت اهلا وسهلا يا امير بقربكم ... انت قليد هلال ثم قليدنا
اهلا وسهلا في بدير الفايد ... وديار زغبي طاب فيه نشدنا
اهلا وسهلا في هلال جميعهم ... مع كافة العربان حلوا بيدنا
جولوا وارعوا في البلاد ظعونكم ... واستوطنوا في ارضنا وصعيدنا
قول الفتى الماضي بقلب فارح ... قلبي فرح فيكم وزال نكيدنا

(قال الراوى) فلما انتهى الماضي من شعره ونظامه شكرته الامراء على حسن اهتمامه ثم اخذهم الى ابيانه واقام الامير حسن في ضيافته مع اهله وسادات عشيرته مدة عشرة ايام في اعزاز واكرام وشرب مدام واكل طعام وبعد ذلك تفرقوا في بلاد الصعيد وانتشروا في البيد وهم في سرور وافراح وبسط وانشراح فاتفق في بعض الايام بينما كان الماضي جالسا على الطعام قال له احد الاعوان اعلم ياملك الزمان قد بلغني من بعض الندمان انه يوجد في بني هلال امرأة بديعة الجمال عديمة المثال في الحسن والكمال والقد والاعتدال وفصاحة المقال لا يوجد مثلها بين الخلق لا في الغرب ولا في الشرق واسمها الجازية كانها الشمس الضاحية خطبتها منهم حصلت على السرور والافراح لان طلعتها تنعش الصدور والارواح فقال الماضي ياقوم ما لها وجه وان طلبنا منهم يقولوا الماضي بد حق ضيافته منا بنت من بنا تنا فقال له الوزير ياملك الزمان الزواج بين الناس ماهو عيب والذي يتقرب من الناس خير من الذي يبعد عنهم فلما سمع الماضي كلامه اشار يقول

يقول الفتى الماضي بن مقرب ... قلبي الى نحو الزواج يزيد
وفي خاطري ارسل كتاب لبوعلي ... اطلب منه اخته بوكيد
ولكني خايف يقولوا بذاتهم ... عزمنا الماضي للديار عميد
عطانا وحيانا وحيا ركابنا ... وارسل الينا بالمكتاب يريد
يريد فتاة الجازيه ام محمد ... وهي بنت سيد يا امير وسيد
ويبقوا بافكار وعظم وسواس ... سكاري حيارى بالفؤاد حقيد
ودولا ضيوفي طالبين مغرب ... الى تونس الخضرة بلاد بعيد
ياقوم مالي عين ارسل لبوعلي ... وانا مستحي والرب على شهيد
انا عملت المعروف ياقوم معهم ... من الخير اكافهم وكون سنيد
يجنا الثنا ياقوم خير من العنا ... تري الكل يثنوا والاله مزيد
فلو قعدوا عندي اعوام كثيره ... وجبت لهم رزق يسد سديد
فما اكرم قدر ربع ابو علي ... ولا قدر ابو زيد الامير وكيد
وعمر وعامر والامير بن غانم ... وايضا بدير والامير سعيد
غدا يرحلوا عنا ويروحوا مغرب ... ولا يتركوا في ذا البلاد وليد

فهذا الكلام قط مانيه فايد ورد جوابى فى كلام مفيد

فلما فرغ الماضي من كلامه وقومه يسمعون نظامه فقال بعض الحاضرين وكان من الوزراء المتقدمين لقد سمعت انا ايضا بخبر هذه الصبيه وما فيها من المحاسن البهيه ولكن اعلم انهم لا يزوجونها باحد ولو من الملوك واعاظم العمد فاذا كان ولا بد لك ايها الملك من ذلك فاطلب اولا فرس دياب الخضرا التى لا يوجد مثلها فى جميع الممالك وانا اعلم انه لا يعطيها لاحد لان نفسه فيها معلقة وبهذه الحيله يصير لك وسيلة على ان تطلب الجازية وتنال المراد بعون رب العباد فلما سمع الماضى هذا الكلام تعلق قلبه بالجازية وهام وكان استحسن هذا الخطاب ورأه عين الصواب فكتب الى الامير حسن يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الماضى بن مقرب ودمعي جرى من فوق خدى عايم
ياغاديا مى على متن ضامر تسبق هبوب الريح ثم النسايم
اذا جئت الى عند الامير ابو على حسن بن سرحان وافى الزمايم
فقل له بن عمك وصاحبك وقلبه يحبك من سنين القدايم
وقوله له اسمع يا امير مقالتى وانهم من الماضى معانى لوازم
فقد بلغنى يا امير بانه موجود في قومك خيول اكارم
الا فارسلوا من خيار جيادكم اريد انا خضرة دياب بن غانم
وان كان تعطوني يا امير نظيرها فابقوا عطيتكم الا يا اكارم
فرد جوابى يا امير ابو على واسرع في الجواب ان كنت فاهم
مقال الفتى الماضي على ماجرى له انا مستحى منكم والله عالم

(قال الراوى) فلما انتهى من هذا الخطاب سلمه الى نجاب وامره ان يسير في الحال الى بنى هلال ويسلم الكتاب الى الامير حسن ويأتيه بالجواب فاخذه وسار وجد في قطع الفلا حتى وصل الى بنى هلال قبل الزوال فدخل على الامير حسن وسلم عليه واعطاه الكتاب وتمثل بين يديه فلما فضه وقراه وعرف حقيقة فحواه اعتراه العجب واحتار من هذا الطلب ثم انه تلى على ابو زيد الكتاب وقال له كيف عاد الرأى عندك انا اعلم ان دياب مايطلع عن الخضرا ولو ذهبت بنى هلال فلما سمع ابو زيد هذا الكلام اشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه هذه امور مشكلات صعابى
احضر اكابرنا وكل شيوخنا ونسير الى عند الامير دياب
طلب الخضرا منه يامالك وان ابى لاتكون مرتاب
ترسل عوضها الجازيه في هودج تجزي بها الماضي ياحبابى
وتقول له رحنا لعند الزغبي من اجل خضرته بجمع ركابى
واعطيه مال وخيل سوابق واعطيه خدم وهودج رقابى
ابى فارسلنا اليك الجازيه هى بنت عمك افخر الانسابي
قول الفتي المسمى سلامه يابو على هذا جميع جوابى

فلما فرغ ابو زيد من كلامه والامير حسن يسمع نظامه فقال ابو زيد ان الرأى عندى ايها الملك المهاب ان اذهب انا وانت مع القاضى بدير الى منازل الامير دياب ونسلمه بمانم وجرى ونطلب منه ان ينعم بالخضرا وندفع له عوضها مهما اراد من الاموال والخيول الجياد والاسات احوالنا واشغل بالنا فقال الامير حسن دبر يا ابو زيد برأيك الحسن فركبوا وساروا فى الحال حتى اشرفوا على تلك الاطلال فالتقاهم الامير دياب بالاكرام والترحاب وارحم لهم الولائم وقال اهلا وسهلا بالسادات الاكارم وبعد ان جلسوا قليلا التفت الامير حسن الى دياب بن غانم وقال له لى عندك حاجة اريد ان تقديها وتبلغ امانيها ثم اشار يخاطبه بهذه الابيات امام الامراء والسادات

قال الفتي حسن الهلالى ابو على يا امير زغبى افتهم اعلامي
اتانا من الماضى كتاب يقول به سلام ومن بعد السلام كلام
يقول اريد خضرا دياب الغانم امير في زغبى ابو غنام
اتينا اليكم يا امير جميعنا ومن يقصد الاجواد لا ينضام
الا يا دياب خذ خيولى جمعهم وبوشي ومالى يافتى وغنام
وخذ لك منى يا امير حملة واسترنا يابن خير كرام
مقال الفتى حسن الامير ابو على انى دخيلك يا ابو غنام

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من كلامه وفهم دياب فحوى قصده ومرامه قال له بحضور السادات يا امير حسن كل شيء عندى في قبضة يدك الا الخضره مافيها تفريط لان روحي وروحها سوا ثم ان دياب اشار الى حسن يقول

قال الفتى الزغبي دياب الغانم ... انا صاحب الجودات والاكرام
يا ابو علي اطلب موالي جميعها ... واطلب لبوشي يا حسن وسوام
واطلب بناتي والعبيد وابلنا ... واطلب الى موسي مع غنام
اما خضرتي فـلا تذكرونها ... وليس بهـا دستور يادرغام
انا رابط الخضره جوات منزلي ... وخافظها من كل قرم همام
وقيدين فيها باليدين مقيده ... ومفتـحها عندي بغير اوهام
بيدي ارعاها بيدي اسوسها ... واطعمها لحم القديم دوام
واسقيها لبن اللفاخ على المدى ... وافرش لها فرش الحرير تنام
وربيتها مهرة صغيرة بحينا ... الى مابقت فرس عذيل تمام
وعلمتها طبعي تعلمت طبعها ... وفيها خصائل يا امير فهام
اذا نمت في ارض الفلاة مع الخلا ... وكنت فريد في البر والا كام
تفضل على رأسي يا امير واقفة ... وتنظر لنحو البر يادرغام
اذا نظرت الزوال تضرب بيدها ... وتندهني سريعـا افز قوام
وان كان تروبني واعود مشولج ... توقف بجنبي ماتريد هزام
وعند ماركبها انال مطالبي ... شبهتها بالبر طير حمام
فوالله لو جابوا العرب كل خيلهم ... واموالهم من نجد لارض الشام
فما ينظروا الخضره يا امير نظره ... لو ملكت الدنيا باسرا تمام
ولا الماضي فارس ولا من رجالها ... ولا هو يشابه لا ابو غنام
مقال الفتى الزغبي دياب الغانم ... واقصر عنا يا امير كلام

فلما فرغ الامير دياب من كلامه التفت اليه خاله القاضي بدير وقال له هتكتنا الامارة وكيف يجوا الى عندك وما تقضي غرضهم فقال دياب يا خالي ان الخضرا اعز على من البنين والبنات فخذ عوضها مهما تريد من الخيول السوابق لاني لا اعطيها ولو اجتمعت على كل الخلائق فاغتاظ جسن من هذا المقال وعول على الرجوع الي بني هلال فمنعه الامير غانم عن الرجوع واضافه عنده بمن معه من الجموع وذبح لهم الاغنام واكرمهم غاية الاكرام وفي ثاني الايام دخل على ابنه الامير دياب وعاتبه اشد عتاب وغلظ عليه في الخطاب وامره ان يعطيه الخضرا رغما عنه وجبرا فاجابه الي ذلك المرام

ولم يقدر يخالفه بالكلام ثم انه امر الخضر في الحال رقادها الى الامير حسن وانشد

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم ... انا صاحب الهمات يوم طرادى
يا ابو علي لست بخيل ولا ردى ... ولا انا بين الملا مرصاد
ولكن جيتم يا امير لنحونا ... تريدوا الى الخضرا يا اجواد
وما طاق قلبي يا امير فراقها ... وربيتها احسن من الاولاد
وقلت انا ماهي عطيه لابو علي ... وليس له فيها الامير مراد
ولكن سنرسلها لابن مقرب ... انا احق في فرسي من الابعاد
وقدرك كبير عندنا يا ابو علي ... ونحن عبيدك كلنا بوكاد
ترى المال ثم الابل يا ملك ... الى حضرتك يا ابو علي تنقاد
انا تحت ظلك يا اميرا بو علي ... فافعل بنا ماتفعل الاجواد

مقال الفتى الزغبي دياب الغانم ... روحي فدتكم والحشا تنقاد

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه شكره الامير حسن على حسن اهتمامه واشار بجيبه بهذه الابيات على مسامع الامراء والسادات

قال الفتي حسن الاميرا وعلى ... اجاد الفتي الزغبي دياب اجاد
اجاد ابو وطفا دياب الغانم ... امير على كل الاكابر ساد
فدوك عني يا امير قبالها ... ثمانين فاطر تعجيب النقاد
وخذ لك ميتين بكره عديله ... وميتين درعا من شغل بغداد
وخذ لك ميتين عبد وعبده ... ملاح المعاني عندنا تنقاد
وخذ ميتين حمل من الذهب ... وحملين عنبر ثم حمل زباد
وخذ لك بنتي يا امير عطيه ... يابن قوم جيدين جواد
وانت عمرك ماتخلت بحاجه ... وانت دياب سيد الاسيادى
ياليت عمرك الف عام على المدا ... تعيش ولا تنظر الم ونكاد

مقال الفتى حسن الهلالي ابو علي ... اتانا ابو وطفا بلا ميعاد

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من هذا المقال وقال له ابو زيد اكتب كتاب الى الماضي وارسل له الخضرا في الحال فكتب اليه يقول

يقول الفتي حسن الهلالي ابو علي ... خشا لمثلي ان يكون بخيل

ايا ماضي ارسلت الينا تقول لنا اريد انا خضرة دياب عجيل
ارسلت لك خضرة دياب سرجها والدرع والدبوس والتكميل
وما مثلها عند الملوك جميعها وليس لها عند الملوك مثيل
ابالتها بابن عمي مباركة فوكل عليها يا امير وكيل
مقل الفتى حسن الهلالي ابو علي تمنيت عمرك ان يكون طويل

فلما انتهى حسن من هذا الخطاب سلمه الى نجاب وامره ان يسير بالخضرا لعند الماضي ويعطيه الكتاب فبكي دياب على فراقها وتقدم اليها وعانقها فاخذها النجاب وجد في قطع الاراضي حتي وصل الى عند الماضي فقدم له الفرس واعطاه الكتاب فلما قرأه رأي الخضرا تعجب من كرم الامير دياب ثم انه سلمها الى اثنا عشر سائس ووكل بها جماعة من الفوارس والتمت من حوله اكابر قومه وهنوه من نحو الخضرة ونظروا اليها فلما راوا لها نظير بين الخيل فقالوا له يا امير ماضي هنيا لك بهذه الفرس الله يجعلها مباركة فقال لهم الماضي اركبوا خيلكم ودعونا نطلع على الصيد ونجرب فقالو نعم الرأي ثم انهم ركبوا خيلهم والماضي شد على الخضرة وركبها وساروا الى ان وصلوا الى المكان للصيد فاطلقها الماضي مشوا فطلعت الخضرة لقت الخيال ماهو خيالها وكان تشيله من ظهرها اكثر من خمس اذرع فوقع على الارض مثل عدل الحنة وتمت الخضرة مشوارها الى ان اخذت حدها وعادت الى فوق رأس الماضي ووقفت فوق رأسه وصارت تهتز برأسها هذا والماضي غشيان فلما افاق من غشوته لقا الخضرة واقفة فوق رأسه نقام على حيله وقادها من رسنها وما قدر عاد ركبها وسار الى عند قومه فقالوا له كيف يا امير فعل الخضرة اشار يحكي لهم ويقول

قال الفتى الماضي بن مقرب الرجل لا يامن هموم الدهري
اسمع كلامي يا امير وافهم قد حرت ياذا الوزير بامري
جتنا ترى الخضرة فرحت بشوفها وانشرح مني الحشا والصدري
وركبتها حتى اشوف لركبها طارت شبيه الطير يم الوكري
وراحت كالغزلان غابت بالفلا وقعت فوق الفلا عند الصخر
غبت عن نفسي وحيلي انقطع وتكسرت جنابي من الظهري
وزير مالي قلب اركب لها اخاف ترميني ازور القبري

فكيف يتواها دياب وعزمها شبهتها للقلع وسط البحرى
هذه فما تصلح اكون خيالها الله يعلم بالامور ويدرى
انا برسلها غدا لاهلها لعند ابو مرعى طلوع الفجرى
ماذا يكون الشور عندك يا وزيرى اسرع برد القول يا بو عمرى

(قال الراوى) فلما فرغ الماضي من كلامه والوزير يسمع نظامه فقال له الوزير يا امير ماضي بلكى ماهى حضرة دياب يا ما عند بنى هلال من خيل خضر كثير يمكن ارسلوالك غيرها فقال الماضى لا يا وزير هذه خضرة دياب فقام من بين الامارة امير من جماعة الماضى يسما سرور فقال يا قوم انا بعرف الخضره ولى فيها علائم فقالوا العرب ما تكون علايمك فيها فقال الخضراء اتاكل القديد الضان ولا تشرب الا لبن الجمال ولا تنام الا على فرش الحرير وان رمت راكبا توقف فوق رأسه وان شافت زوال تضرب بيدها على الارض وتضربه برأسها حتى يقوم فان كان هذه الخصايل فيها تكون خضرة دياب وان كان هذه الخصايل ما فيها تكون ما هى الخضرة فقال الماضى نحن نجربها هاتوا شعير فجابوا شعير وحطوه في مخلابة وحطوا المخلابة في رأسها فما كلت منه فقال هاتوا القديد فجابوه وحطوا قدامها ما كلت حتى شبعت فقال هاتو ميه فجابوها وحطوا قدامها فما شربت فجابوا لبن الجمال شربت حتى ارتوت فقال هاتو وار بطوها قدامى نربطوها قدام منه فصارت تنام وتقوم ولا كانت تنام فقال هاتوا لها خام فجابوا الخام ومدوه تحتها فما كانت تنام فقال هاتوا فراش الحرير فجابوه ومدوه تحتها فنامت الخضرا ومدت كل اجر من ناحية فقال هذه خضرة دياب بن غانم بعينها فقال الماضي يا قوم دياب ما اعطا فرسه الا غصب عنه من حسن ونخاف نقع بينهم عداوة ونكون نحن سببها فبينما هم بالكلام واذا بنجاب مقبل من صدر البر وهو قاصد الماضي لم يزال حتى وصل الى باب صيوانه فخول على باب الصيوان وسلم كتابا وتمثل واقفا بين يديه ففتحه الماضي وقرأه امام السادات والعمد واذا به من عند شكر الشريف بن هاشم زوج الجازيه ام محمد يتضمن عن سلام وافر وشوق متكاثر ومن اعجب ما تضمنه وحواه وهو تنازله عن الجازيه وتقديمها له لتكون من جملة نساه وكان السبب الذى اوجب الى ذلك الامر المستغرب الذي لم يسمع مثله في العجم والعرب هو ان بنى هلال عند وصولهم الى مدينة الشام وحروبهم مع شبيب

التبعى كما سبق الكلام كانت الجازيه ارسلت الي بعلها المشار اليه كتابا تسلم عليه وتعلمه عن مسيرهم الى بلاد الغرب وانهم سيجتازون في طريقهم على الامير الماضى بن مقرب وانه بالكادان ترجع اليه وتراه فلما اطلع زوجها على هذا التحرير وقراه وعرف حقيقة مرماه أوجبه الحال ان يكتب الماضى ذلك المقال لانه كان يحبه ويود قربه فتنازل له عن زوجته نظرا لفرط مودته وارسل له أيضا صورة الكتاب على سبيل العهد والميثاق وهذه صورته

قال افتى شكر الشريف بن هاشم ... ولى قلب من وسط الحشا مرجوع
وعينى لا تنام ولا تالف الكرى ... جري دمعها فوق الخدود نبوع
وخضت بحور العاشقين جميعها ... وانحط لى فى وسطهن قلوع
وهذه مقاذيف المراكب في يدى ... وابكى على فقد الحبيب دموع
مليح سبا قلبي روحى ومهجتي ... واصبح قلبي والحشا مصدوع
نعم ايها الغادى على متن ضامر ... يجد السري فى سهلها ورعوع
اذا جئت الى الماضي بن مقرب ... فاعطيه مكتوبى وكون خضوع
امير الملا سلطان كل بلاده ... ومقرى اليتامى فى سنين الجوع
اياماضى جاك العرب من بلادنا ... وانت تراهم سائرين نجوع
عرب ان احتاجوا اليك تخاضعوا ... واذا استغنوا ماينفعك نقوع
فيهم فتاة الجازيه ام محمد ... عليها ثياب الطيلسان لموع
اذا خيط الخياط وضيق ثوبها ... تقول ياخياط زيد وسوع
ارسلت لك يابن مقرب حليلتى ... ياصاحب الصيوان العالى المرفوع
يازخرة المحتاج ان قل ماله ... ياحاكما على بلدانه وجموع
اهديها لك فاتخذها زوجة ... وادخل عليها لاتكن جزوع
فهذه تكون منى لك عطيه ... فهى تحت تصرفى بلا ممنوع
وان عصوا فلم عليهم يامير جموعك ... وجرد عليهم فى كثير جموع
نعم هكذا قال الشريف بن هاشم ... سلامى عليكم ثم كل جموع

فلما فرغ الماضي من قرائة الكتاب وفهم الحاضرون ماحواه من الخطاب اعتراهم العجب واخذهم الطرب وقالوا وحق علام الغيوب لقد جاء هذا الكتاب طبق المرغوب

لانه قط لم يخطر في بال احد بان شكر الشريف يتنازل عن الجارية ام محمد فاتفق رأي الجمهور بوجه الاجمال على ان الماضي يرسل الخضرا الى بني هلال ويعلمها بواقعة الحال ويطلب منهم الجارية بدون اهمال فاستصوب الماضي هذا القرار وايقن ببلوغ الاوطار وكتب الى الامير حسن بهذا الصدد وارسل الخضرا وطلب منه الجارية ام محمد وهذه صورة الكتاب وما تضمنه من الخطاب

يقول الفتى الماضي بن مقرب ... بدمع جرى فوق الخدود بداد
ياليت عمرك الف عام على المدا ... تنال الهنا والخير والاسعاد
ارسلت لك خضرة رياب بن غانم ... وابذلت موال ثم جياد
وسامح بها ماراد منك جزاتها ... ولكل قلبه فيه كثير حقاد
تورث العداوة يا أمير و بغضه ... وتجرى امورا هائلات شداد
انا قصرت الشر والخلف بينكم ... واطفيت نارا مضرمة بوقاد
ونحن نعرف يا امير مكارمك ... وكفك سخي طول المدا مداد
وانت نعم الطلب عالي الحسب ... أريد منك النسب بلا ميعاد
أريد فتاة الجارية أم محمد ... وهي بنت عمي بغيتي ومراد
فخذ لك مني ميت حمره اصيله ... وميت حصان اعوجي شداد
وميت حمل حرير من صنعة اليمن ... وميت حمل من عمل بغداد
وميت عبد يا أمير وعبدة ... وميتين سرية من الاعباد
وميتين مملوك من الترك اصلهم ... والفين سيف صنعة الهناد
والفين حر بدقة صنعة ابو جباره ... مركبه يا أمير على اعماد
وميتين درع يا امير وخوذة ... والفين دبوس من البولاد
وخذلك ثمانين الف من الدراهم ... ذهب مصرى يعب النقاد
مقال الفتي الماضي بن مقرب ... وانت لنا يا ابو علي اسناد

(قال الراوي) فلما فرغ الماضي من هذ الخطاب طواه واعطاه الى النجاب وسلمه الخضرا فرس الامير رياب وأمر أن يسير بها الى عند الامير حسن ويأتيه بالجواب فامتثل وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى عند بني هلال قبل الزوال فدخل على الامير حسن وسلمه الكتاب وطلب منه الجواب واتفق بالامر المقدر ان

الامير دياب كان حاضر في ذلك المحضر فلما فتح الكتاب وقراه قال الحمد لله فقد زال العنا والكرب وقد حصلنا على بلوغ الارب ثم التفت الى الامير دياب وقال له امام الامراء والاعيان هافرسك قد رجعت اليك فقم وخذها بامان واشكر الاله الرحمن على هذا الجميل والاحسان فقال دياب انى ماوهبت قط حاجة فى حياتى وعدت استرجعتها الى ابياتى فابقيها لك واجملها من جملة خيولك فقال هذا لايكون كتر الله خيرك قامت صاحب المعروف واحق بها من غيرك فعند ذلك اخذها دياب وسار وهو فى غاية الفرح والاستبشار وبعد ذهاب الامير دياب استدعى الامير حسن باخته الجازيه اليه فاتت ودخلت عليه وقبلت رأسه وبين عينية وقالت له ماذا تريد ايها الملك السعيد فاخبرها كيف ارسل الماضى بطلبها ومراده يتزوج بها فلما سمعت هذا الخطاب غابت عن الصواب وقالت كيف يتم هذا الامر وبعلى وهو شكر الشريف وابو اولادى محمد وعمر ثم انشدت تقول

تقول فتاة الحى الجازيه ام محمد ... بدمع جرى فوق الخدود بداد
الا ياخى استمع شرح قصتى ... واسمع اقولى لاتزيد عناد
ترى الحرمة ماتاخذ اثنين يافتى ... باى مذاهب حل وباى اسناد
انا بعلى شكر الشريف بن هاشم ... سلطان مكة من اب وجداد
وفارقت اولادى بغير ارادتى ... وطاوعتك ما كان لى بمراد
وما فرقة الاولاد الا مصيبه ... فما يدخل عينى قط سهاد
وما شفت عمرى من شكر قط نكبة ... كلاما مغلظ ثم زود عناد
وما طلقنى حتى اريد بداله ... وصار يقلبى لهيب ووقاد
فوالله است للشريف رايده ... ولكن ترى لى عنده اولادى
مقال فتاة الجازيه ام محمد ... وهكذا حكم ربى على عاد

(قال الراوى) فلما فرغت الجازيه من كلامها وفهم الامير حسن وابو زيد محتوى شعرها ونظامها كتب الامير حسن هذا المكتوب يعتذر للماضى عن تقديم المطلوب

قال الفتى حسن الامير ابو على ... اضحيت من كثر الهموم مقلقا
كنا بخير وفي سرور وفى هنا ... لما يجينا الضيف تفرح باللقا
امرجرى فيما جرى ياماجرى ... ياامير ماضى جا كتابك واللقا

طالعته وفهمت كل رموزه ان المقدر من الاله الخالق
ان كنت طالب للزواج بلا خفا فبنائنا مثل البدور المشرقا
يا أمير خذلك ما تريد وتشتهي لكن اختي بالشريف معلقا
ولها ثلاث عنده يا ملك ماهي اياماضي حقيق مطلقا
لولا ذلك كنت تحظى بقربها وتجيك في هودج وتفرح باللقا
قول الفتى حسن الهلالي ابو علي لست هزيلا بالرجال مزرقا

(قال الراوى) فلما انتهي الامير حسن من هذا الخطاب سلمه الى نجاب ليأخذه الماضي ويأتيه بالجواب فامتثل وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى الماضي فاعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قراه وعرف معناه كتب الى الامير حسن بذلك الصدد. وكيف ان شكر الشريف قد تنازل له عن الجزيره ام محمد ثم ارسل ذلك التعريف مع الرسول الذي حضر من عند شكر الشريف فلما وصل اليه دخل وسلم عليه وكان جالسا في الديوان وعنده جماعة من الامراء والاعيان وكانت الجاريه ايضا من جملة الحاضرين في ذلك المكان فلما فتح حسن الكتاب وقراه وعرف رموزه ومعناه تعجب وانبهر من ذلك الخبر الذي لم يخطر في فكر بشر ثم التفت الى النجاب القادم وقال له كيف احوال شكر الشريف بن هاشم فقال الحمد لله بخير وعافيه وهو يهديكم جزيل الاشواق الوافية فعند ذلك اخبر الحاضرين بذلك التعريف وما كتبه الي الماضي لشكر الشريف فلما اطلعت الجازيه على هذا الحال اعتراها الانذهال وخرجت عن دائرت الاعتدال وقالت هذا لا يكون ابدا ولو شربت كاس الرداء فقال لها ابو زيدا نه من الصواب يا بنت الكرام ان نرسلك الى الماضي بكل احتفال واكرام لان له علينا جميل واحسان ولاسيما ان زوجك قد رخص له بهذا الشان فمتي صرت عنده حارلية بامر الزواج وانا أخلصك من هذه القضيه ونذهبين معنا الى الغرب بالسويه وهكذا انقضت الاشغال وتمت الاحوال واغتسلت الجاريه بالاطياب ولبست احسن الثياب وكانت كما تقدم الخبر بديعة المنظر زهو كالقمر فازداد حسنها عن الاول لما تزينت بافخر الحلل ولبست الجواهر التى تذهل البصائر ثم ركبت في هودجها بجماعة من البنات والنسوان وركب معها ايضا الامير حسن وعدة من الفرسان وجدوا في قطع الاراضى طالبين الماضي وارسلوا نجاب يعلمه بقدوم الجازيه

والامير حسن عليه فاخذ الكتاب وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى عند الماضي فاعطاه اياه فلما فتحه وقراه زادت افراحه وكثرا نشراحه وايقن بلقا الحبيب في وقت قريب وامر أحد وزرائه العمدان يركب بالعساكر والعدد يلاقي الامير حسن والجاريه الى خارج البلد فركب في الحال بثلاثة لاف من الابطال وسار يقطع الفلوات بالاغاني وسماع الاصوات وسارت معه ايضا جماعة من البنات والنسوان الذين لهم قدر وشان فكانت النساء تدق بالدفوف والمزاهر والابطال تلعب بالرماح والسيوف البواتر الان التقوا بعضهم البعض في تلك الارض فزادت بينهم الافراح وجدوا في قطع البطاح حتى دخلوا البلد نصف النهار وكان يوما يستحق الاعتبار ولم يسمع في سالف الاعصار وكان الماضي قد زين القصر بانواع الحرير والقماش الفاخر وعند وصولهم استقبلهم أحسن استقبال واحتفلهم أعظم احتفال واجلس الامير حسن في صدر المقام وجلست من حواليه الامراء الفخام ونزلت العروس عند الحريم وهي في تعظيم وتكريم ثم دارت الحلويات وكاسات الشراب على مائدة الامراء والسادات وبعد ذلك حضرت سفرة الطعام وفيها من جميع انواع اللحومات كالضان والدجاج والحمام وبعد أن اكلوا وشربوا ولذوا وطربوا اشتغلت النوبات ورقصت النساء والبنات وغنت المغنيات بانواع الاصوات فكانت ليلة لم يسمع بمثلها ولم يفعل أحد كشكلها واستمر الحال على هذا المنوال والقوم في فرح وسرور وغبطة وحبور مدة ثلاثة أيام على الكمال والتمام واتفق في اليوم الرابع استاذن الامير حسن من الماضي بن مقرب بالمسير الى بلاد الغرب فقال الماضي من الصواب أيها الملك المهاب تقيم عندي في هذه الاطلال فبلادي واسعة وكثيرة المراعي والاوفق أن تبقى معنا ثم أجابه بهذه الابيات بحضور الامراء والسادات

يقول الفتى الماضي بن مقرب ... يا بو علي مالي أراك ضجور
أراك تريد السير يا أمير أبو علي ... فاسمع كلامي يا أمير وشور
ابقى عندي بالصعيد وأرضها ... واسكن مدائنها وكل قصور
واعمل بها سلطان يا أمير الملا ... وأنا وزيرك في البلاد أدور
اتيك باموال من كل جانب ... وتبلغ مناك وما تشوف كدور

فوالله ماعاد لى قلب يفارقك حتى أموت وأوارى بالثرى مقبور

(قال الراوى) فلما فرغ الماضى من كلامه شكره حسن على حسن اهتمامه واشار بقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى حسن الهلالى ابو على وحولى عساكر مثل موج بحور
فبلادك وسيعه ياأمير زهيه وفيها فواكه زاهية وزهور
ولكن لاتحمل ظعون سلامه وأيضا ظعن دياب ست شهور
فلابد عن سوق الظعون مغرب وتملك مدائنها وكل قصور
ونخرج الى مرعي ويحيي ويونس من حبسهم ويحظو بعد العنا بسرور
لنا عندكم ياأمير ميتين ليلة ذبحت بها ياأمير الف جزور
فاقى بخير ياأمير بنعمة تنال بها الافراح وكل سرور
مقال الفتى حسن الهلالي ابو على وانى على جور الزمان صبور

(قال الراوي) فلما انتهى حسن من هذا الشعر والانشاد وعرف الماضي بان لابد لهم من المسير الى تلك البلاد بكي بدمع كالمطر من شدة ماجرى عليه من القلق والكدر ودعى لهم بالتوفيق وبلوغ الوطر ولما صممت بنو هلال على الذهاب والرحيل جعلت الجازيه تبكي بدمع جزيل لانه لم يكن لها صبر ولا سلوان على فراقهم ساعة من الزمان فلما زاد عليها الحال واكثرت من النحيب والاهوال الزعج الماضى من تلك القضية وسمح لها بالذهاب معهم الى الديار القربية ففرح بذلك الامير حسن وحالا امر الفرسان بالركوب فركبت الفرسان ظهور الخيول وساروا قاصدين بلاد المغرب وتلك الديار فعند ذلك ركب بالفرسان وسار بصحبتهم مسافة ثلاثة ايام ومن ثم حلف عليه الامير بالرجوع فترجلت حينئذ جميع الفرسان وودعوا بعضهم بعض فدعى لهم الماضى بالتوفيق والانتصار وسارت بنو هلال لبلاد تونس لخلاص مرعى ويحيي ويونس

﴿ انتهي الجزء الرابع عشر من تغريبة بنى هلال ﴾

(ويليه الجزء الخامس عشر وهو الجزء الاول من قصة الزناتى خليفة)

الجزء الخامس عشر من تغريبة بنى هلال

(وهو يحتوى على ديوان الزناتى خليفة)

محاكم تونس الغرب ونزول بنى هلال عليه وماجرى بينهم من الحروب والاهوال

(التى تشيب رؤس الاطفال)

قال الراوى وما زالت بنى هلال تقطع السهول والبوادى من بعد رحيلهم من عند الماضى حتى وصلوا الى بلاد الغرب ودخلوها ونزلوا فى وادى يقال له وادى الرشاش وكان ذلك الوادى بن جبلين واحد من اليمين والثانى عن اليسار فلما نزلوا فى هلال فى ذلك الوادى سدوه من جبل الى جبل وكانت الوحوش تجفل منهم وكان الزناتى له بن أخت يقال له العلام بن غضية فالتفت الى الزناتى وقال له ياعلام اخرج للصيد وانت بما تقتنص فاجابه سمعا وطاعة فقام العلام وركب واخذ جماعته ومعهم الكلاب والصقورة وطلع على الصيد فما مشوا الا قليلا واذا بالوحوش من كل جنس بين ارجلهم فاصطادوا حتى حملوا خيلهم ورجع هو ومن معه الى عند الزناتى فلما دخل العلام ومن معه والقوا الصيد امام الزناتى قال له ياعلام ماهذا انا ارى خير لان ماجاب هذا الصيد الا العجائب فقال العلام وانا اقول ان ذاك العبد الذي حبست رفاقه راح وجاب لنا البلا وعند ذلك أشار العلام يقول

يقول الفتى العلام ابن غضيه ... الايام والدنيا تسبب عجائب
ونيران قلبي كل ما اقول وتنطفى ... يهب لها جو ضلوعى لهايب
حكمنا بلاد الغرب بالسيف والقنا ... وطاعت لدينا الغرب واهل الجنايب
وشبابنا تسرح للصيد والقنص ... يصيدون اولاد الوحوش القصايب
مرة نصيد اثنين مرة ثلاثة ... وفي بعض مرات نرى الصيد غايب
وكنا نصيد الوحش مع واسع الفلا ... صرنا نصيد اليوم جوا المخارب
رأينا وحوشا تذهل العقل يامليك ... تدعى لعقل الناس يامير ذاهب
جتنا وحوشا ماحصينا عدادهم ... جتنا ذرافات الهو والمراتب
أجا الثعلب والنمس والدب جملة ... والديب املا ارضنا والجنايب
وسبع الذى كان ماواه الفلا ... سكن عندنا اليوم جوا المخارب

فلما وجدنا الصيد بالقرب يا لك ... كثيرا واجناس الوحوش غرايب
فمنها كالتمساح يزحف عا للثرى ... وذيله على الارض يسحب سحايب
ومنها مثل القط والنمر مثله ... براثيميه ترنح فوق المخالب
ومنها مثل الطور يقرون لاوى ... يسمى ابو القرمندراخى الشوارب
ومنها كمان الانسان شبه بن آدم ... بيدين بعينين بارع حراجب
ومنها يا ناس مثل الفول واكبر ... وذيله على ظهره شبيه الذوائب
ومنها مثل الضبع فى لون اصفر ... وخشمه ثلاث اشبار على الارض ساحب
ومنها مثل الفار يدعي مقشمر ... فتغدى وحوش البر منه هرايب
والوحش املا ارضنا واوطاننا ... وعدا نصيد جوا الخرايب
يا ابو سعدا لا تفرحوا بهذا كله ... ماجلب هذا الوحش الا العجايب
فلا بدان قوما انت لبلادنا ... الى حد بحر النيل جتنا نشايب
أخاف من ذاك انه راح إوارتجع ... وجلب قروما جائت الينا تحارب
لاجل رفقاه الذين حبستهم ... جتنا ملوك الشرق لارض المغارب
ماقال الفتي علام ولد غضيه ... لابد ما تجرى امورا صعايب

فلما فرغ علام من كلامه والزناتي يسمع نظامه عاد فى حساب وامور صعاب ثم انه فك الديوان وكل من طلب محله والاوطان والزناتى نام فوأى فى منامه ولذيذ أحلامه ان اتته عربان مثل الجان ولهم سلطان كبير الشان ومعهم العبد لذي اتى الى عنده وراح وخلى رفاقه وشاف فارس اشقر مثل السبع الغضنفر على اسم الديب وقاضى العرب فى حكمه وملكوه بلاده وقتل اجناده فقام من منامه طايش العقل واستعوذ من الشيطان وراح من باله هذا المنام واستدعي بابن عمه العلام وقال له قد رايت منام فقال العلام ما يكون فشار الزناتى يقول

يقول ابو سعدا الزناتى خليفة ... أنا اصبحت يا اجواد كما الكسوف
انا كنت من رغد سليما من النيا ... وحكمي على كل البلاد يطوف
ان شا رب العرش اهلاك طائفه ... يسط عليها طاغيا وعروف
ويهملهم حتى يضلوا ويكفروا ... وارواحهم منهم تروح الوف
علام يا بن العم فسر منا منا ... انا اصبحت من هذا المنام رجوف

رايت ان عربانا انت لبلادنا فقطوا الاراضى سهلها وحروف
واما ملكهم كالاسد فوق ضامر حوله جمع كالجراد زحوف
وقد جاء معهم العبد كالاسد فدامهم والقلب ليس مخوف
ومعهم فتى رايته فوق خضرة واسمه على اسم الوحوش موصوف
فكانت انا واياه فى حومة الوغى وهو ذهب وانا قدامه كخروف
وقلت له خذ ملكنا مع بلادنا وانا لك على طول الزمان سعوف
فقد شاوروا ابو زيدان يطيع له وجانى على غفلة وهو ملهوف
وقال وحق البيت والركن والصفا وحق الذي اليه العباد تطوف
لا بدلى عنك يا زناتى خليفة اسقيك ضرب المرهفات سيوف
هذا رايته فى المنام وراعني واصبحت منه مختشى ملهوف
عسى ان يكون هذا المنام لغيرنا يناديكم بالعالمين زحوف
يقول الزناتي والزناتى خليفة فدر مناحي يا امير وشوف

فلما فرغ الزناتى من كلامه والعلام يسمع نظامه استحضر الرمل وخطه قدامه وحرر الاشكال على شرح البال وولد البنات من بطون الامهات فبان عنده اهوال وضرب ومال ونصاله من عرب كالرمال وفيهم كل امير يكثر الجيش الكثير فقال

يقول الفتى العلام ولد غضيه لقد بان عندى يا امير حروف
كلاما صحيحا ما به قط بيعة وعلما صحيحا ما به مكاوف
فهذا عربان الهلالى ابو على عليهم الذهب وكم عاقدين دنوف
وهذا ملكهم بن سرحان يا ملك امير بن امير سيد معروف

فلما كمل العلام كلامه والزناتي يسمع نظامه تعاد الزناتى فى هم وتنكيد واذا بالهصهيص قد اقبل واخوانه بصحبته فقام الزناتي ومن فى المقام لملاقاته واستقباله وانزله فى اعز مقام ثم جلسوا على الطعام واخذوا يتفارضون بالكلام فقال الهصهيص يا اخوان مالى اراكم مغير بن الاحوال فاخبره الزناتي بما حلمه من الاهوال فقال وانا حلمت بمثل ذلك واشار يقول

منا ما حلمت باخر الليل راعنى بنارين من حولى تزيد لهيب

وقد احرقت ذيلي وهبت بارضنا ... وصارت تحرق كل أرض خصيب
وقد احرقت شجر النخل وغيره ... وعادها بالغير وان دبيب
ومن بعدها قد راعني ديب ابيض ... فما مثله بين الكواسر ديب
ومن بعدها قد شفت فارس احمر ... تحاربت انا واياه حرب صعيب
ضربني زماني عالوطا بازناتي ... وراح جوادي من وراي جنيب
فما هذا الديب الذي قد رأيته ... وما لنا من اهل مربع هريب

فلما فرغ الهصيص من كلامه والزناتي خليفه يسمع نظامه فعاد في حساب وامور صعاب من هذا الاعراب وكان حاضرا رجل اسمه سليمان خبير في طرق واراضي تلك البلدان فقال لهسليمان اذهب واكشف انا هؤلاء العرب واتنا باخبر عن حقيقة امرهم وان فعلت يكون اك عندنا جزيل الاحسان ورفعة الشان فاجاب سمعا وطاعة وركب جواده وخرج من تلك الساعة ومازال يقطع الفيافي والاوعار والمعامع والاقفار حتى وصل الى وادي الرشاش فوجدهم قد كسوا تلك الارض فتخيل له يوم العرض ورايانهم تخفق بين الوف بيوتهم كالبحر الزاخر ولا ينظر لها أول من آخر فسال عن بيت أمير العربان فارشدوه فدخل على الصيوان فرآه مثل زهر البستان وصاحبه الامير حسن يترحب في كل من جاء ويودع من ذهب وأدهشه كرم بن مرحان وما رأى في بيت القاضي من الاموال فعاد الى اهله الى ان وصل فدخل على الزناتي وسلم عليه وتمثل بين يديه فقال الزناتي يا سليمان سمعنا عما خرجت اليه وانشد يقول

يقول الفتى سليمان عما جرى له ... ارى الهول يا اجواد من ذرا القبائل
والهول ثم الهول من كثر جمعهم ... جموعا انت مثل حمل الرمايل
الا فاسمعوا الى يا ملوك بما جرى ... انا جيتكم يا عزوتي بالرعايل
حضرت الى وادي الرشاش وارضها ... نظرت لقوم كانهم بحر جايل
يقولون منهم مية الف مدرع ... ومية تين الف ناقلين الزوايل
ومية تين الف بالصوارم والقنا ... عليهم من الحشمة لبس الكوامل
وتنظر الي وادي الرشاش عند المسا ... لها ضوء زاهر مثل وقد المشاعل
وخيمة ملكهم مية ذراع علوها ... على ضوها تلفى جميع القبائل

وفيهم قروم يقطع القلب حسها ... كما موج بحر في تواليه جايل
قالوا اتوا من نجد واقصى بلادها ... قد جابهم منها شديد المحايل
هم طالبون الغرب والخصب والصفا ... الى ارض فيها البر والخير حاصل
وقالوا لنا اولادنا عند خليفة ... بالحبس اولاد الملوك الاصايل
ونحن قد جينا نخلص أولادنا ... من تونس جينا اليها نوازل
وقد طلب سلطان مصر موالهم ... ففاموا اليه بالقنا والسقايل
ومنهم قلم ابو زيد الف قلعة ... وخلا دما الابطال على الارض سايل
ونزلوا بارض الماضى بن مقرب ... قدم لهم خيرات عادت لهم جزايل
ورحلوا من أرض الصعيد لاجلنا ... وهذا خبر تحقيق مافيه زلايل
وان نزلوا بارض لكم يرودوها ... قوموا اليهم لاتكونوا غوافل
لملم لاد الغرب واجمع ملوكها ... وميلوا عليهم شلايم شلايل
تعالو اليهم بالظلام واكسبوهم ... وخذوا جميع موالهم والحلايل
لان معاهم كتب ادهج نواظرى ... ومعهم زينات ملاح النفايل
ابعث ورا كل القروم جميعها ... على الحرب يتهيوا لضرب النصايل
وفرق سلاحك على الرجال حملة ... وحافظ بلادك ثم قيم المحافل
انا اوصيك ياهصهيص بالحرب والقنا ... وحضر قومك لايكونوا غوافل

فلما فرغ سليمان من كلامه والزناتى واخوه يسمعون نظامه فصاروا فى حساب وافكار صعاب وتغيرت من الزناتى الالوان وعاد فى بلاء واحان من هؤلاء العربان فقال له الهصهيص علامك ياأخي تغير لونك وارتعب كونك وانت سلطان هذه البلاد وتحكم على نواس واجناد وتحت يدك اربعة وعشرين اميرا وكل امير يحكم على مية الف عنان فقال الزناتى اكتب ياأخى الى ملوك بلادنا فاستدعى الهصهيص بقلم وقرطاس واشار يكتب الى ملوك بلادهم ويقول

يقول الفتى الهصهيص قام الحربى ... والنصر بالله والسيوف الحدب
ياحاضرين اسمعوا نم انهضوا ... قوموا وسيروا بلاد الغرب
وانت ياعلام روح الاندلس ... اياك تحكى اوتنادى بكسبى
وانت يامنصور روح لتارس ... هات لهم الابطال هم من صحبى

وانت يا زيتون روح لقاعة ... قول لهم ياقوم ابوكم ركبي
وانت ياغضروف روح لناسه ... حتى يقفوا كلهم بالدرب
وانت يادرغام روح لغسيرة ... ايضا بلاد الكرج قوم النجب
وانت يامندار روح للمندرة ... واض ذيلالي يحسونا لقربي
وانت ياشمعون روح لاكرة ... وقول لهم القوم عادت قرني
وانت ياطلهام روخ لباجه ... وقول لهم اسرعوا جري النجب
وانت ياعمادروح لاغمداس ... ولجيل ولد يرم بن المتبي
وانت ياجفال روح لسكرة ... مثل الهبوب وقيل لهم ياعصبي
وانت يارداح روح لفزاة ... للمير وسلمان الغربي
وانت يافراج روح وانهض ... ونادي لكركر ثم بلاد العنب
وانت ياعجاج روح لتغرب ... لارض مراكش ثم لارض السلب
وانت يابلهيس روح لتورس ... الى ارض مفرق ثم أرض القصب
وانت ياحماد روح وبادر ... لارض مكناس و بلاد الشهب
وانت يابولاد روح لحربة ... ودور كل ديرة المنتهبي
وانت ياشداد روح لقابس ... دعهم يقيموا عند باب الدرب
وانت ياعبود روح لمن يجبي ... ونادي باعلا الصوت حاكم كربي
وانت يحماد روح مقصد ... واركب جوادك لبلاد الهيدبي
وانت ياسلمان اظهر للخبر ... في قيروان وقابس والغربي
واظهر الاخبار باعلا صوتك ... في الجهر ايام العلا تغبي
قوموا بنا ميتين الف مدرع ... مهماية الف بالسيوف الحدب
نكد عليهم بالظلام جميعنا ... بالمرهفات الماضيات القضب
يا أمير قومك ينتخبون بحبهم ... يامايذر قوا من حروب صعب
الحرب ساعة والثبات شجاعة ... من ذله راحت روحه بالكتب
ان الشجاعة للرجال غنيمة ... والذل يصيح للنسا والعجب
الجروب تريد قلب ثابت ... مثل العقاب على الطيور النهب
يااهل قابس ارغبوا في كبسهم ... انتم جميعا كلكم من حزبي

النصر بالله والسيوف مع القنا والخيل والتبان عندى تسبى
قال الفتى الهصهيص كونوا سلى حضر وانذالكم ياحاضرين تتغربى

فلما فرغ الهصهيص من كلامه والزناتى يسمع نظامه فبحث الزناتى الى جميع الامراء واعلمهم بهؤلاء العرب الذى مثل الجراد ويرجع الكلام الى الهصهيص فركب هو والعلام وجردوا قوم نحو ثلاثماية الف وقال الى اخيه ابقى مكانك وانا ارجع أفكارك وكل ماجاك فرعه ارسلها حتى ماتخلى العرب تدخل جدارنا وسار الهصهيص فى القوم وفى ايام قلائل قد وصلوا الى وادى الرشاش الهصهيص الى ابن عمه العلام روح قدامنا بالف فارس واكشف لنا العرب اين نازلين فاخذ العلام الف فارس وسار قليلا واذا مقبل عليهم فرسان مثل الجراد الزحاف وكان عقد القوم ابوزيد ومعه من الاماره الخفاجى عامر وزيدان بن غانم فلما نظر الامير ابوزيد الى ذلك القوم قال الي رفاقه احترسوا من هؤلاء الابطال هذا العلام بن عم الزناتى فوصلوا الى بعضهم ووقعت العين على العين ونزل العلام للميدان وعرض وبان وسقط اليه ابوزيد مثل سبع الحردان فقال له العلام من تكون من الفرسان حتي جيت الى هذه الاوطان انت عبد المحابيس المردان قال نعم هو ياجبان فقال له اين المال قال ابوزيد انا معى الف والباقون خلف وانا ابوزيد الهمام فلما تحقق العلام هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام واشار يقول

يقول الفتى العلام ياعبد مالك عدمت عقلك كنت للقول كاذب
فلابدانى اليوم اشيل لرأسك ماجبتنى ذا اليوم بالقوم ضارب
ياعبد ياز ربول ماأكثر كلامك سيدك تخبى وانت المحارب
والله لولا العتب طيرت رأسك وخليت دمك على الارض ساكب
ومن انت تخرب الارض ياردي يا انذل السودان هل انت غايب
ترى الغرب تحميها سباع كواسر مذخرة للحرب يوم الكرايب
اولهم العلام ولد غضية وثانيهم الهصهيص كف الغرايب
اما خليفة حاكم الارض كلها وحامى المغارب من جميع المغارب
مقال الفتى العلام ولد غضية لابد ماأسقيك كاس العطايب

فاجاب ابوزيد يرد عليه و يقول وعمر السامعين يطول

يقول ا و زيد الهلالي سلامه ... الايام والدنيا تسوى العجائب
الايام والدنيا كفى الله شرها ... تدعيك ماشي بعدما كنت راكب
انا عبد للضيفان وهم بمنزلى ... أضيفهم من غاليات الغصايب
فتحسب انى عبد ماتعلم انى ... مقدم تسعين الف والجمع راكب
أما حسن سلطاننا وأميرنا ... له منسف عالى لحد الركايب
أما بدير قاضى البدو كلها ... يقاد على الفرسان من كل جانب
وفينا فتى يسمى دياب بن غانم ... من فرع عالى من خيار القرايب
وحيات راسي نم البيت والصفا ... لادعى بلاد الغرب تبقى خرايب
تقول لمثلى عبد ماتعلم انى ... اميربن امير صاحب للرحايب
وأمى شريفة سيدة بنت سيد ... الاشرف ماترضي ببعد النسايب
ماقال ابوزيد الهلالى سلامه ... ولى عزم امضى من رهيف الارايب

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والعلام يسمع نظامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤسهم غراب البين وابتدر بينهم ضربتين قاتلتين وكان السابق في الضربة الامير ابوزيد في ذلك الحسام فاخذها العلام فى ترس البولاد فسقطت على رقبة الجواد فابرتها كما يبرى الكاتب القلم فوقع العلام على الارض فادركوه وقاموه من قدام الامير ابوزيد أخذوه فمال ابوزيد عن اليمين والشمال واذرى واهلك من الابطال وولوا هاربين والى النجاه طالبين ووقعوا فيهم بنى هلال حتى ادخلوهم في الجبال وعادت حالتهم فى أسوأ حال وعادت عنهم بنى هلال كاسبين الخيل والمال ولما اقبل العلام وقومه على الهصهيص وهم فى تلك الحالة فصاح فى الفرسان اعلموني بما جري من هذا العربان وطلع الهصهيص ومن معه الى الجبل مثل السيل اذا سال والبحر اذا جال حتى اقبلوا الى بنى هلال فنظر ابوزيد واذا غبار قد حجب الابصار فقال الى قومه كثرت عليكم القوم ياشجعان فقالوا نحن فداك ونلقى اعداك ونزلوا الى الارض وكربوا حزم خيلهم وجالوا فى الطول والعرض وشتوا على الاعدا غارة وغاصوا فى القوم والامارة وارموهم فى الذل والخسارة والغبار قد ملا الاقطار والهوادج تالاقمار والعاريات تنخي الفرسان

على قتل الدشمان واول من أدرك ابوزيد الامير دياب ووراه اقبلت جميع العربان فلما نظر ذلك الهصهيص وقومه اعطوه كسرة وأرادوا الهرب فما تكاملت العربان الا ابوزيد كان كسرهم في آخر النهار ورد الخيل الشاردة والعدد المبددة وعاد الهصهيص الى موضعه كمن الى الليل وركب هو وقومه وكبسوا بني هلال واقاموا فيهم الرعبة فقامت من العرب الصيحات وعلت الضجات من كل الجهات واخلوا بني هلال الابيات واخذوا اقوم الهصهيص خيلهم والبنات والنوق وطلبت المغاربة الرواح فكان ابوزيد حلا جمع اربع كرات وركبت معه العماريات وسبق القوم ومسك لهم الطريق واذا قد اقبلت عليهم العدوان فتلاقوا بالفرسان على الجازية مع أولئك البنات فرد عليهم الامير دياب فتلقاه الهصهيص مثل فرخ العقاب وضربه دبوس على الطاسه فحرك خضرته وولى من الهصهيص هارب والى النجاة طالب ولحقه قومه بني زغبي فرعلى البنات فنظروه فنادته بنته وطفا علامك يا ابي هارب فما رد وراح وخلاها واذا بالقاضي بدير مهزوم هو وقومه فنادته الجازية لاتروح وتخلينا فقال وراي اخوك واذا حسن وقومه هاربين فنادته الجازية لاتروح وتخلينا فقال لها ابوزيد يخلصكم من الاسر فاذا ابوزيد قد اتى عليهم فلما نظروه البنات ضجوا عليه وقالوا له لاتقول ما نظرتنا فلما رأى ذلك ابوزيد عادت نيرانه مشعلات ورد هو وقومه واطلق العنان وحشم الفرسان في اثر العدوان وحيث ظهره الشجعان فالتقاه الهصهيص في الميدان فوقع فيما بينهم ضرب شديد ينفك زرد الحديد فقام ابوزيد في عزم الركاب وضرب الهصهيص في الرمح فشك في درعه نثره ورماه وعلى الارض رخ فهجمت قومه وخلصوه وصار طعن شديد ينفك زرد الحديد والبنات تنادي وتنخي قوم ابوزيد وتزغرط لهم وابوزيد في أولهم وولوا قوم الهصهيص شرايد وأخذوا منهم بني هلال خيلهم واموالهم وعادوا الي اهلهم فلاقتهم الامارة والبنات بالدفوف والضجات وراحوا قوم الهصهيص شتات واما بني هلال فاجتمعوا في صيوان الامير حسن وحضرت الجازية تشتم وتسب وتوبخ من هرب وتمدح من حضر وأشارت تقول

تقول فتاة الحي ام محمد بدمع جرى من فوق خدي سجايم

يابو على افهم كلامى وقصتى وجو الحشا نيران قلبى ضرايم
ياأمير ما كنا نظن هذا منكم ولا كان فى حسبان الحشائم
تخلوا العذارا عند قوم تهينها وتغدوا شرايد خائفين هزائم
لما انا الهصهيص عالمضعن غاير غشاكم على غفلة غشى الظلايم
وولوت البنات من عظم ماجرى وعاد عجيج الخيل للجو قائم
على موقف الرشراش قدمة واقفة وصفقت بالرحات فوق النعائم
وناديت باعلى صوت ياآل عامر ويا للهلاليين يا للحشائم
ولاميرمنهم سامع الصوت جانى وكل ليوث الحرب ولت هزائم
واول مين ولى دياب وقومه وقلت دياب اليوم مالك هازم
قف عند خدرى يافتى واطعن العدى اقف واختشى من قول كل الولائم
ياحيف خضرتك ياحيف سرجها ياحيف سيفك خلقوك القدائم
وراح وولى واسكر القلب حسرة وخاب ظنى فى دياب بن غانم
وثانى من ولى بدير بن فايد اصابعه ميرى كبرى القلائم
فقالت له يافارس الخيل كلها سياج الهلاليات يابو العزائم
فقال العز يا أم محمد مالى أصابع امسك الرمح دائم
ولكن ورای فارس الخيل ابوعلى بيده حسام مثل مشهاب ضارم
وثالث من اجانى حسن بن والدى وجمع الدر يدمثل سحب الغمائم
وقلت له ياحسن يابن والدى مالى اراك منهزم لاتقاوم
قف عند خدرى يافتى واطعن العدى ونهرب وماتخشى كلام اللوائم
فقال وراى بن رزق سلامه ابو زيد صور الخيل يوم الزحائم
ايا جارية تعالى فى ذيال وهو بن عمك من خيار اللزايم
وراح وولى واسكن القلب حسرة وراح وخلى ذايلات الوشائم
ولا عتبى الا على بن والدى و باقى هلال ماعليهم لوائم
الا ياسميا راح ابوك وخالك وكل ليوث الحرب ولواهـ زائم
فقالت رجائى فى بن رزق سلامه ابو زيد صور الخيل يوم الزحائم
ابو زيد صور الخيل يوم ازدحامها امير الهلاليات ماضى العزايم

وجانى سلامه والرشاوي بكفه ... فقلت سلامه مالك اليوم هازم
قف عند خدري ياقتي واطعن العدا ... واحمي هوادجنا بضرب الصوارم
فكم افرجنها ياسلامه ... ياأشجع الشجعان يايا الحشائم
ففى الحال لبانى ابو مخيبر ... وهو فارس الفرسان مدرى الجماجم
اناصوركم يابنت سرحان فى الوغا ... بسوق المنايا بايع الروح سائم
دعو هودجى رمانة زاد حملها ... مدلية الاثمار تحت الكمائم
ظعن دون خدرى ار بعين ومثلها ... جماجم بالسيف راحت قسائم
واسمع بين الخيل هرج سلامه ... كفرخ العقاب وعاد الصيد حائم
وحمره ابوزيد تلوح وتختفى ... وكان فى بحر من الدم عائم
ويظعن لعين الجازية ام محمد ... ويثنى لاعين دابلات الوشايم
وثالث لعين الجازية ام محمد ... ورابع محبة فى دياب بن غانم
وخامس لعين الجازية أم محمد ... وسادس فى محبة دريد الاكارم
وسابع لعين الجازية أم محمد ... وثامن محبة فى حسن والاكارم
وتاسع لعين الجازية أم محمد ... وعاشر محبة فى هلال والحشايم
وطعنات ابوزيد بعيني رأيتها ... كما النار تشعل بين يبس الهزايم
ابوزيد حامينا بكل كريهة ... ابوزيد صور البيض من كل ظالم
ماقالت فتاة الحى ام محمد ... على حالها تبكى دموعا سجايم

قال الراوى فلما فرغت الجازية من كلامها تقدمت سميا واشارت قولدوتوبخ الامارة بهذا القصيد

قالت سميا ودمع العين ردفى ... ريقها ناشف والقلب لهافي
من هول يوم لعد الخيرين به ... فى بلقع خالى من بعض الاشرافي
وياهلال اسمعوا ماأقول لكم ... من بحر فكري حديث مرتب شافى
فلو نظرت ولد سرحان قول له ... حيف على سيد فى الكون خوافى
وياحيف لبس التقليف ومجلس العالى ... وشاشك الحلو وسط الجمع رفرافى
تمر على الجازية يا أبى منهزما ... ولونها منكسف من بعد اشرافى
دياب ذليت ذل الله سابقتك ... لمن غدا كانه جلمود حدافى

تمر على البيض كانك ما بتعرفهم ... والقنا خلفهم سافى وغراق
والمير خداش مثل الليث منصبا ... خارى على خصمه كالطير خطاف
واما الامير معيقل انه بطل ... مهذب لدرب الحرب طوافى
واما ابو زيد زايد وصفا ... وفي مهنده للروس قطاف
الله اكبر من ضربات صارمه ... على الجماجم بشبه سيل طوافى
وانتم هربتم وخيلتم حلايلكم ... فوق الهوادج وسط الجمع ياخافى
والجازية كانها بدر على جمل ... بنت الملوك وغنج الكحل رافى
فاعاد تصلح زينات العيون لكم ... ايضا ولا تحظوا اليها باطرافى
وتقلكم لسيوف الهند مقبحة ... وسلبكم للقنا من فوق الاكتافي
مامنكم فارس يذكر حليلته ... ونومه عندها فى مطرح دافي
وريحة المسك مع الند والعنبر ... مع كل غطوسة تسمو باوصافى
ايا هلال اذل الله شواربكم ... من دون ابو زيد ذلك السيد الوافي
يستاهل الحمد رجل ضل حامينا ... يوم الكريهة وهو حمال اكلافي
وحظ خداش والخيلين كانت ... ودبه من سنان الرمح نظافى
وردنا بعد ما كنا لهم طمعا ... والليل راخى علينا ذيله وافى
لولا ابو زيد ما كنا حلايلكم ... ولا نظرتم عيون السود منعافى
شاباس شاباس يا بو زيد يا بطل ... يا حامى البيض انزل الاضيافى
تستاهل الحمد منا كل ما طلعت ... شمس النهار وعليت فوق الاشرافي

قال الراوى فلما فرغت سميا من كلامها والامارة يسمعون نظامها انغضب الامير دياب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وقال يا سميا اتو بخجني بقولك وانا ما خليت معركة الا وقمت فيها ولكن ابو زيد زايد علينا انم نحن نعرفه بغير قولك واشار الامير دياب بهذا القصيد يمدح الامراء و يقول

يقول الفتى الزغنى دياب بن غانم ... ولى عزم امضى من حديد المبارد
ولى عزم امضى من حسام اذا سطا ... ولى همة تعلوا على كل ماجد
واما ابى سبع تملى بلبوة ... وجابتي ضيغم وكم لى عوائد
وجابتني مقياس من الحروب بن غانم ... ان تغتاظ تخشاه القلوب الحمايد

اذا مالت الثريا والنوازين غربت ... وهب نسيم في دجى الليل بارد
التي خطاطير الفلا بعد نومه ... ومانى ردى الخال في البيت لابد
ولى منسف لا يلحق الرمح قارعة ... مرتب للخطار واللحم راجد
ولى بيت مرفوع الستارات متسع ... اذا ما غداطير فايجي طوف وارد
ولا افرس منى فارس ينقل القنا ... انا افرس في يوم الوغى من بطارد
ولكن عندى ياهلال شهادة ... يا من حضر في الجمع من كل ماجد
افرس منى بن رزق سلامه ... انجب منه قرم يعاند
واشجع منى عند خيل تكاسرت ... اذا نادت الزينات يا بو العوايد
واكرم منى بن رزق سلامه ... وانا اسرع عند جر الموايد
نحن عصافير وابو زيد باشق ... نوالى من الباشق اذا جا يطارد
بيوم تصيح الجازية ياسلامه ... مفرسة ماهي من العوائد
يلبيها ابو زيد قرم مجرب ... يجيها على حمرا من الخيل جايد
يقحم جلاميد المنايا حصانه ... كما يزحف البولاد ماضى البواتر
ابو زيد زايد عن هلال وعامر ... كما زاد كانون الشتا في الرعايد
واكرم اهل الشرق والغرب ابو على ... اذا ما حك فصل السنين الشرايد
سميا تزمبنى وانا ولد غانم ... وعزمى بهذ الشاخات الرواكد
والله لولا العيب طوحت رأسك ... وخليت دمك عا لاعادى برايد
انا الفتى الرغبي دياب بن غانم ... ومانى من اصحاب القلوب القلايد

قال الراوى فلما فرغ دياب من كلامه والامارة يسمعون نظامه ومى ابوزيد الى الجازية فاخذت البنسات وراحت والتفت ابو زيد الى الامير دياب وقال من الزم الناس الى المسبة سبوه بالحق واشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد المكنا سلامه ... وكل فتي عند الكلام يقاس
ومن كان حرا صادق في كلامى ... له في أساليب الحديث قياس
ربى الناس من هؤلاء بلوى كلامه ... ليبيت على مايحمدون الناس
ومن لا يجود اليك بجود لغيرك ... حقيقا ولا ناس تشابه ناس
ولا كل من بطلب ينال مراده ... فكم واحد قد ذل حطه وخاس

ولا حيط مبنيا عميق أساسه ... يشابه الى حيط بلا اساس
ولا عمنا هذا يشبه الذى مضى ... ولا ليلة القمرة كا الاغلاس
ولا سكر حلو يشابه حنظلا ... ولا ذهب الناقى بسعر نحاس
ولا أى من مسك القنا يطعن العدا ... ولا كل من اسلف العمامه راس
حشد علينا جوا قل الغرب ياحسن ... بالخيل والشبان والافراس
غزوانجمنا صبحا وكبسوا ضعوننا ... وكانت غنيمة والظلام غلاس
وأميرهم يوم الوغا يندهونه ... يسمونهم بلسانهم غلماس
سيوا ما لكم وجدا لكم مع باتكم ... بضرب المواضى والخود عالراس
جرد والهم ميتين الف ومثلها ... وعليه من الزرد المنيع املاس
وبثنا نراقبهم وهم يراقبونا ... الى الصبح عينى ماغفت بنعاس
وصل علمنا نحو الزناتى خليفه ... وجمع عساكره وكل الناس
وقتلوا منا المعيقلى بن ثعلب ... أميرله بالحرب سيط وباس
وعادت بنت المعيقلى تكثر البكا ... ودموعها على الخدود تملى الطاس
فقلت بشرى ثم ابشرى باكريمة ... الا وابشرى بالثار دون الناس
كسرت عساكرنا وشتت شملهم ... ورديت انا لحريمكم وحواس
وانهم هربتم يا ابن غانم جميعكم ... ونار الحرب من خلفكم مقياس
وهذا بعون الله ثم بهمتى ... وتحمد على يادياب اتقاس
ماقاله ابوزيد الهلالى سلامه ... غرست من الجد الحميد اغراس

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه شكره الخاص والعام على هذا الكلام فقال لهم ابوزيد ياجاويد هلال لاتحسبوا ان الهصهيص قد انكسر وراح فلموا بعضكم واعطوا بالكم الى حالكم والذي وراه ماله هدوا فاجعلوا حرس يحرس في الليل واما ابوزيد كان تعب من الكون وعرق وبرد فى الليل وهو دايرفى الحرس فاعتراه وجع فى جوفه وماعاد يقدر يجلس على ظهر الجواد فوقف الخفاجى عامر موضع ابوزيد وبقى ابوزيد سبع أيام ضعيف هذا ماجرى الى بنى هلال وأما ماكان من الهصهيص اخو الزناتى فجمع قومه وقال لهم والله انا اريد اعمل لهم حيلة تسوى قبيلة وارمى الاسمر بينهم حتى ننال مرادنا منهم ولو يدرى ان ابوزيد

نايم اغار عليهم بالنهار جهرا ثم قال الى قومه اركبوا والحقوني واتى الى بني هلال من ناحية الشرق وأرسل الى الامير حسن يخبره ان الزناتي عدونا ونحن جايين نجدة معكم عليه وسمي روحه الامير مقلد وأشار يقول

يقول الفتى المسمى الامير مقلد ... من ارض كوج والكبار جميع
أتينا نفدى ياحسن مع قومكم ... امارة هلال كل كرم شجيع
اريد أسلفكم جميلا طيبا ... ومن ساف الاجواد ليس يضيع
لما سمعنا بسيطكم جينا لكم ... ونكسب غنايمهم وكل نخت رفيع
فلا تحملوا هم الزناتي خليفه ... انا لكم عونا سريع مطيع
ولا بد نملك ارض تونس بلادهم ... وندعى خليفة في المجال يضيع
هذا كلامي يا أمارة افهموا ... انا مقلد بالطراد وليع

قال الراوي فلما فرغ مقلد من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وارسله الى الامير حسن فقرأه وعرف معناه وكان ابوزيد له ثلاث أيام مريض وكان حاضرا الامير دياب و بني هلال جميعهم فقرأ عليهم حسن الكتاب واعلم بني هلال مافيه فقال دياب اتونا في وقتهم واشار حسن يكتب الى مقلد ويقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ... واخبارنا في كل امر تشيع
فيا مرحبا فيما اتانا جميعهم ... لكم فضة الدنيا وكل وقيع
فيا مقلد اقبل اليوم عاجلا ... واركب معانا ثم اتى سريع
لان الفتى الهصهيص يا أمير هانا ... بحرب شديد يا أمير شنيع
كبسنا بجنح الليل ارعب قلوبنا ... وذقنا مرار الهول والتقشيع
فاجا سلامه والتقا بالقنا ... والروح في سوق المجال تضيع
وضربه ابوزيد ارماه عا الوطا ... فمن كان معه ادركوه جميع
فولى مخوفا في جموعه هارب ... من حرب ابوزيد الامير شجيع
ولكن سلامه قد انقص يامقلد ... وقد عاده من فوق الفراش وجيع
والحمد لله جيت الينا عاجل ... وصرت لنا أخا رفيق تبيع
وان ملكت الغرب لاعطيك نصفها ... وتصير عندي في مقام رفيع
هذا ما قال الهلالي ابو علي ... يامرحبا فيمن أتانا وضيع

قال الراوى وركب الامير حسن [ودياب والقاضي بدير وأكابر بني هلال نحو الف فارس يلاقوهم من غير عدد سوى المزاريق لان البدوي اين ماراح رمحه على كتفه فلما قاربوا الهصهيص ركب ولاقاهم ودق طبله ونشر الاعلام وشهر الحسام وهجم على بني هلال مثل السبع الغضبان وتفرقت قومه من كل مكان وغاروا على البيوت ونهبوا الاموال ومالوا يمين وشماله واخذوا الخيل والجمال ومايه بنت غايقات الجمال واخذوا البيوت من أهلها وساروا نحو قومهم فرحانين كاسبين وقال الهصهيص انا مانظرت الاسمر ولاسمعت صوته امله يكون قد قتل اليوم وأما ابوزيد فكان نايم من الضعف فسمع الضجة [فقام من نومه وقال ما الخبر بهذه الصرخات خبروه بحيلة الهصهيص وما فعل مع بني هلال وكيف نهب البوش والمال وسبى النساء والعيال وكيف هربت الرجال وحال فيهم الحال فصاح من قلب جريح وفؤاد قريح ونهض من ساعته وركب حمرته ودق طبله وعدل رأيته فاجتمع الى عنده بني هلال اثنى عشر الف فارس والباقي كانوا مارين على رؤوس الجبال واخذ الحاضرين وساروا الى القوم وربط لهم الطرق وصاح فيهم يومكم فرقرقت النساء على ابوزيد مثل رف الحمام وقالت الينا ياصور الحريم فقال ابشروا يابيض وقوم بيده عامود الحديد فصاح في القوم وقال خلوا الحريم والمال وهجم عليهم الحسام فدعاهم رمام وكانت ساعة تحير الانس والجان وغار على الفرسان كفرخ الحمام وهو يميل على اليمامن والمياسر قالى الهصهيص الى ناحية ابوزيد مبادر وهو كالسبع الكاسر وتقابل مع ابوزيد واصطفت الجيشين ووقعت العين بالعين وقاله الهصهيص انت باقي حى وفى كل موضع أراك وقال ابوزيد في هذا الوقت اريك افعالى واشار يقول وعمر السامعين يطول

قاله ابوزيد الهلالى سلامه ... لى همة للضد انا مخيلها
انا ابن رزق الخيل قرم قاتلك ... صور العذارى في الوغى حاميها
هصهيص اسمع لكلامى وافتهم ... انا خصمك جئتك لارميها
ياندل يابواق بقت بقومنا ... لازم علامك ياردى اخفيها
تريد تاخذ مالنا ورجالنا ... مزهو الذي لاحريمنا يدنيها
واليوم ياهصهيص لازم اقتلك ... بين الحوافر جثتك القيها

ولا بدعن قتلك وأخذ جوادك لى حربة بالسم انا ساقيها
لاهلك اهلك ياردى من بعدك بحد سيفى ماأحد يحميها
قال ابوزيد الهلالى سلامه اليوم افنى عصيتك وادريها

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه أشار الملك الهصهيص الى ابوزيد يقول

قال الفتى الهصهيص قوله صادق فى همتى نيران هبت فيها
أنا لى زمان اربدحربك والصدام لى همة لاجلك انا مخبيها
انت ابوزيد الذى قد جيتنا رواد جبت لرنقتك تسميها
وحبستهم حتى جبت فكاكهم ومدامعك من أجلهم تجريها
شفعت بكم سعدا وكانت غاوية من أجل مرعي حبه كاويها
ورحت يابوزيد نحو بلادكم وجبت قومك والندل غاشيها
وجيتم وارميتم وسط الفضا شورك علم فى البلا بالبها
لابد عنكم ياهلالى اهفيكم وحريمكم لابد ماسبيها
مافى المغارب قوم ياتى سطوتى ابطال قومي يشهدوا لى فيها
دونك يا ابوزيد سوق مجالها روحك بسيفى فى الوغا اشتريها
قال الفتى الهصهيص فيما قد جرى سوق المجال متعود احميها

قال الراوى فعندها التقوا البطلين كانهم جبلين وطار من تحتهم الغبار وقدحت حوافر الخيل نار هذا والفريقين تنظر الى نحوهم وحريم بنى هلال تزغرط على ابوزيد من وراء لكى يخلصهم من اعدائهم فعند ماصرخ الهصهيص صوت ادوت له الجبال وقام باعه فى المزارق وطوحه الى ابوزيد فاخذه بالسيف ابراة كما يبرى الاقلام وابوزيد ضيق الهصهيص ولاصقه وسد عليه طرقه وطرايقه وهز بيده عود الزان حتى دق الكعب الى السنان وطعنه بين بزيه طلع من بين لوحيه ثم ثنى عليه بالسيف فطير رأسه ولما نظروا جماعته ماصار ولوا الادبار وتبعهم قوم الاخيار وقتلوا مقتلة عظيمة وما ابقوا لهم قيمة وعاد ابوزيد الى الخيل الشاردة والعدد المبددة واذا بالامير دياب والامير حسن والقاضي وقومهم كانوا قد سمعوا ان ابوزيد لحق الهصهيص برجال قليلة فتلاحقوا ولحقوه وكان

السابق الى عنده الامير دياب فقال اين الرجال يا ابو زيد فقال اكفيت بعون الله قدونكم خيل اعدائكم فقال دياب يا ابو زيد انت من طول عمرك تفرج عن بني هلال غمهاتم عادوا بالمكاسب الي البيوت والنساء تزغرط الى ابو زيد واما هو فانه جلس في صيوان الامير حسن واشار يقوله

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... حرام على عين المحب تنام
اذا لم يجبها ما تريد وتشتهي ... عليها بلا شك المنام حرام
ينام الذى قلبه سليم من النيا ... وقلبا شظاه البين كيف ينام
وكيف يجيه النوم والحب فارقه ... له عند زينات الملاح غرام
يا ابو علي اسمع وخبرك ما جرى ... وجمع الزناتي باللقا هجام
جانا اخوه المحنجل بدرس الحصا ... غماما ومن فوق الغمام غمام
كبسكم طلوع الشمس يا امير باكر ... بقوم طشم قد يعبدن اصنام
وحلفوا لكم بالله يمين معظم ... وقالوا نحن لاجلكم حشام
وقد هجم الهصيص وسط حينا ... ومن حوله قوم خبات لئام
ودق طبوله طلعة الشمس باكر ... على راسه قد انشد الاعلام
وقد جالت الفرسان من كل جانب ... وكم حظ منكم بالطراد غلام
وجال على الزينات والطعن كله ... وحاش جياد الخيل من قدام
تقي واخذ من قيس ماية مليحة ... وعشرين من طي بنات دهام
وانا كنت موجعا عل الزاد ... اقاسي آلام الضر والاسقام
جاني الخبر ارعب جميع مفاصلي ... وشق الحشا والقلب يا ضرغام
فدعوت الى ربي يفرج كربتي ... سبحان ربي كاشف الاوهام
نهضت ولم أشعر بشيء بعيني ... كسبع على جمع الغنم قحام
اسرعت للحمرا وشدت سرجها ... ولبستها سرجا رفيع نتام
ودقيت طبلي عاجلا ولحقتهم ... بقومي بني زحلان وكل همام
فسبقت انا اول خيلهم وحبستها ... أشابه لسبع حابس الاغنام
فزعقت انا فيهم بصيحة قوية ... وطلعت نسانا مثل رف حمام
وقالوا نسالم يا اهل قيس جميعكم ... يا للنخا يا جملة الاعمام

فناديتهم يابيض قد زال همكم ... أنا ابو مخير بالطراد همام
نصحت العدا خلوا الحريم واسلموا ... وفوزوا بارواح لكم وأجسام
فلاقاني الهصهيص مسرع من القضا ... على ظهر ادهم مثل برج حمام
وقال ياسلامه حاك الشر والبلا ... يزندى وكفى والقنا وحسام
ضربني أخذت الرمح بحد صارمي ... وقد كان سيفي باللقا صمصام
طعنته بزرقا من يمين سلامه ... بهاغنت الشمار طيب كلامي
طعنت عنيد القوم بين بنوده ... فخرجت حشاه والزرد وقتام
وجبت بنات البدو من قبل سبيها ... وخفت العتب والعار ياطنام
وكنا اثنى عشر الف يابن مزيد ... مجربة في كل يوم زحام
ولا فارس الا وقد فاز بطعنه ... لها في صدور المدرعين سهام
راحت جياد القوم منا هزايم ... ولا يعرفون خلف من قدام
وجاني دياب والامير ابو علي ... وجاني بدير والامير خزام
وقالوا يابوزيد اين عساكره ... فقلت لهم اراحت بحد حسام
فقلت لهم حوشوا العدا ثم خيلهم ... بهمة ابوزيد الاميرسلام
دياب أخذ مائة وخمسين سابق ... من الظهر حتى غربت بظلام
بدير أخذ مائة وعشر قلايع ... عرندس أخذ مائة جواد تمام
وحسن أخذ ميتين قاصة ... وغنمت انا لرفاقي الاكرام
ماقال ابو زيد الهلالي سلامه ... هنيئا لمن عند الصباح ينام

قال الراوي فلما فرغ ابوزيد من كلامه مدحوه الاماره على ما فعل وقالوا لنا من بعدك يابو شيبان وعند ذلك أشار القاضي يشكر ابوزيد ويقول

يقول الفتى بدير بن فايد ... ترى الحرب هناك الرجال الفوارس
ترى الحرب هناك لرجال بكونها ... اذا طارت الهيجات جونا عوابس
على أول بلاد الغرب جانا قرومهم ... على وادي الرشاش والضد عابس
وكنا معايا نائمين مغفلة ... فجانا عساكر شبهون الاباطس
كسبوا غنايمنا وأخذوا مواليا ... واستاسروا مناقروما فوارس
وقام صياح القوم من كل جانب ... وعاد ريق الفم بالحق يابس

فقام ابو زيد الهلالى سلامه ... وصاح باعلى الصوت والليل عابس
وعاد عليه الهصهيص فياضى القنا ... طعنه بزرقا زال منه المناقس
ورد على الفرسان اهلك جموعهم ... خلى دما الابطال مثل البواطس
ورد الينا المال والبوش كله ... وكل العذارى مع ملاح العرايس
وجاب الاسارى من وراه مكتفه ... تلاتين الفا قادم بالمرايس
طلعت نسا نا من الخبايا وهلهت ... باصوات تفرح كل قلب عابس
ابو زيد رد الخيل عنا وصدها ... وساق العذاري تجلى كالعرايس
وخاض بوسط القوم قطع روسهم ... كالليث ضرغام على الصيد غاطس
وهذه فعايل بن رزق سلامه ... وقد قل من ساواه يوم المعابس
ماقال الفتى المسمى بدير القاضي ... وهذا كلامى ياقروم العناطس

قال الراوى فلما اتم القاضى كلامه والامارة يسمعون نظامه فقال ابوزيد كونوا على حذر لان الذين حاربناهم نقطة فى بحر لان قوم الزناتى اربعة وعشرين سلطان وكل واحد يحكم على كرة ماية الف وانا فى هذه البلاد أخبر منكم ولكن البوش نخاف عليه من العدا لئلا ياخذوه ومرادنا نبعث معه أمير فقالوا من يروح مع البوش فارسلوا وراه الحازية أم محمد لان كان لها ثلث الشور فاتت وارمت السلام فردوا عليها السلام واجلسوها فى أعز مقام ثم بعد مادارت القهوة وكاسات الشراب التفت الامير حسن نحو الحازيه وقال لها قد أرسلنا وراك لكى نشاورك فى أمر البوش لانه ليس لنا مرعي لبوشنا فى هذه الارض فمرادنا نرسله لغير موضع غشورى علينا من يروح مع البوش ابوزيد مالنا بعده تدبير وان أكون انا لا يصلح لانى امير ونخاف ان تطمع بنا الاعادى ويقولون ان اميرهم راعى والقاضى بدير أصابعه مقطعة وما يصلح الا الاميرياب لانه يحميه من الاعادى فاخبرينا ماهو الشور فقالت له هذا راس الشور فاشار السلطان حسن بنخيه ويقول

قال الامير حسن والقلب فى حرقة ... من أجل بوش لنا ياخيرين يسيب
نحن نخاف الزناتى غد يشغلنا ... ويصير مابيننا طعن وتخريب
والبوش تاتيه ابطال مسر بله ... وياخذو البوش منا وينهبوا نهيب
دياب ياامير زغبى اليوم هم بنا ... وارع لنا المال واحميه من الذيب

وادى الغبا والغبا بين اقصدوه غدا ... فى ست الاف عوج كالمواقيب
واقعدوا فيه شهرين متتابعة ... حتى نبرد تونس و بلاد المغارب
نملك مدانيها و نقتل فوارسها ... أما الزناتى فنتركه الى الذيب
و نسقيه كاس الموت من قبل يلنا ... ندعى قصور العدا تغدى مخاريب
والقبب العاليه لابد نكسبها ... وكل من جا الينا راح تقصيب
مرعى و يحيى و يونس ان نخلصهم ... نجيب سعد نثور ينا السرادیب
تنظر لنا مال ابيها مع خزاينه ... واللبس ايضا و اموال المغاريب
يصير مرعى الى سعدا لها بعلا ... قولا ايد ترى من غير تكذيب
دياب من بطل يحمي الفلا غيرك ... اليوم يوم الحشيمة كن كالديب
السيف ماينظر الا لحزته ... يوم الكريهة تظهر الاعاجيب
ياليت عمرك طويل زايد الافراح ... اما عدوك يرى عكسا و تنكيب

قال الراوى فلما فرغ الامير حسن من كلامه والامير دياب يسمع نظامه عرف أنها مكيدة من الجازية ولكن أخفى الكمد واظهر الجلد وأشار يطيب خاطر حسن فى حماية البوش بهذا القصيد

انا دياب بن غانم ياحسن طيب ... ولا تخافوا على لوسطى الذيب
طيبا لقلبك على بوشك ياملك ... ولا تخافوا على فى المخاريب
والمال مالى مايدنو اليه أحد ... انى مجرب باذن الله تجريب
انا بن غانم وكل الناس تعرفنى ... فعلى شهودى وتعرفه الاقارب
وانتم كونوا حذار نحو انفسكم ... وحافظوا على حريمى والمراكب
ثم احضروا الزناتى حين يطلبكم ... كونوا قروما عوابس بوقت المضارب
انتم هلال النقا ما احد يقهركم ... حكمتم الارض تشريفا و تغريب
كم من ملك غدا ملكه قهرا ... ودعيتم قومه شرقا و تغريب
الهند والسند ثم المرو واليمن ... كل الملوك بقو منا مهاريب

قال الراوى فلما فرغ الامير دياب من كلامه والامارة يسمعون نظامه فشكروه وقالوا له انت علينا صاحب المغارة وترد عنا القوم في كل غارة وأشار ينشد و يقول

قال ابوزيد المسمي . كلام اكيد من جدى . خذ البوش وروح ارعاه . وسيره الى اقصى الجردى . تسلم مال ملوك هلال . كذ الرعيان مع العبدي . ومنلك من يحمى ذا البوش . همام مثلك ماحدي . ان كان توقى ذا البوش . ياامير أنا لك كالعبدى . تسود علينا ياعوننا . ويبقى لك فخر المجدى . احفظ نفسك والرعيان . من ابطال ومن يردى . اخاف عليك من الغارات . يجوم ليلا باليردى اياك . بالليل تنام اياك . فخلى النوم مع الرقدى وا كرم من جالك قاصد . اياك يقولك ترتدى . ومن يثبت منكم معنا . ينال الخير مع القصدى . غدا خليفه يلقانا . وأكون له انا الجندى . نخاف يروح مال هلال . وياتي الهم مع النكد ابوسعدا قرم مجرب . وهديه مثل الرعد . هذا الزناتى . وضربته لاترتدى . باكر يصبح يلقانا . في البولاد وفي الزرد . ومعه جيش ياتينا . على خيل ضامر كالجراد . وانا بالاجواد احضركم . انا ابوزيد انا السند غد اغنمكم منهم . مكاسبهم لاتعدى . وتفرح كل هوادجنا . يفوح المسك مع الندى . انا اوصيكم يافرسان . كونوا عصبة مشتدى . غدا ابوسعدا ياتينا . لابخشي ضربة حدي لاتزعل ياأمير دياب . فكون بعزمك مشتدى . خذ البوش واسرع فيه . بالف غلام تعدى . والفين فارس خياله وثلاثين الف من الجندى . واصبر على الاهوال . ولاتاتونا على البعد . اسمع يا ابو وطفا دياب يابن عائم اجتهدى . لولاك هلال ماسكنت . بلاد الغرب ولانجد . المال تكفل فيه . وزغبي حولك كالاسد . كم وقعت اشفيت هلال . انت ياذكى الجدى

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه ودياب يسمع نظامه اشار برد عليه ويقول

يابوزيد انت السيد . وفيك الخير مع السعدى . حسن ياامير . انت خبير دياب مشير كالاسد . اتيكم دوم . لهذا اليوم . انا الغشوم . كما العبد . لو قام الحرب . بيوم الكرب وطعن وضرب . اعمل جهدى وخيل تجول . ودم يسول . وكم مقتول . ومعدى ابوزيد هوش . ولم جيوش بوجه بشوش . بلا حردي . واخاف جودك . بليل دهرك جميع ملوك لهم جلدى . ان اقام حراب . اياك تهاب . اسمع لدياب لما يبدى . وان جاك صدق . كون شفيق . وانت وثيق . وكم نفدى . اسمع لدياب سمع الغاب . انت

(انتهى الجزء الخامس عشر ويليه الجزء السادس عشر)

الجزء السادس عشر من تغريبة بني هلال

وهو يحتوى على مقتل الخفاجي عامر وما جرى الى بنى هلال مع الزناتى من الحروب والاهوال التى تشيب رؤس الاطفال

مهاب. انت السند. او فى الصحبي. ابنى زغبي. لهم رعبي بجلب الشده.. وان تكون. لهم بالعون. كون حنون. ولا تغدى. ابشر يا خال. فى حفظ المال. واهل هلال تشوف رغدي لفعل دياب وسبع الغاب. فلا برتاب. من العدد. ارعى البعران بكل مكان. تبقى الرعيان بها تغدى. وانا حاميه ومن يدنيه. ومن يانيه من الضد. ولى ديوان. مع صيوان به الضيفان. على الابد ولى تذكار. ولى مقدار. ولى أسفار. ولم فهدى ملوك الغرب. ان جاؤا للحرب. اوريهم الضرب. كما الرعد راعى البعران. بذى الوديان بهود الزان ومشتدى. ودعت هلال واخذت المال. ودمعى سال على خدى. ابوزيد سعيد. وانت السيد وانا العبدي ماقاله دياب. كلام صواب لا كذاب ومعتدى

قال الراوى فلما فرغ دياب من كلامه والامارا يسمعون نظامه فشكروه على هذا الكلام وركب الامير دياب مع قوم بنى زغبي تسعين الف فارس وكل الف راية بيضاء وسار ابو زيد يدله على وادى الغبا والغبائن وساقو البوش والرعيان وكانوا ست آلاف راعي وساروا الجميع الى ان وصلوا الى وادى الغبا والغبائن فلاقوا فيه الزهور فائحة والمياه سائحة فنزلهم ابوزيد في الوادى وأوصاهم من الاعادى وعاد الى بنى هلال واما الامير دياب فنصب صيوانه فى الوادى ووقف رقباه على الجبال اربعة الاف خوفا من العدا ويرجع الكلام الى امير بلاد الغرب فانه لما علم بقتل اخيه غضب وللوقت جرد عسكره وركب هو وقومه الى ان قاربوا العربان فنظر ذلك ابوزيد وكان فى هم شديد فنظر فيه الزناتى وقال له من انت ياقرتان حتى تنزل الى السلطان اما انت عبد الحابيس قال نعم فقال الزناتى اين المال قال معي الف والباقى خاف قال انت رحت تجيب مال او رجال فعندها أشار يقول

يقول ابوسعدا الزناتي خليفه ... لى عزم امضى من رهيف حسام

ولى همة تعلوا على كل ماجد ... ودائم على خيل العدا هجام

وهذه بلاد الغرب الف مدينه غير الذين هم ناصبين خيام
وجاؤا جميعا طائمين لكلمتى غصيبة وقهر قد اتو ارغام
فاين تروحوا ياعرب وتسلموا اليوم تندروا فى البرارى هزام
ابوزيد اما تذكروا نت بحبسنا وعينك تدرف بالدموع سجام
وقلت انا عبد لكل رفاقي ونحلف بحق الله والاقسام
فاطلقتك حتي تجيب فكاكهم فجبت انا فرسان ياهجام
ياحيف ذاك اليوم كنت قتلتك وكنا استرحنا من عنا وسقام
ولكنكم جبتم الينا غنيمة وندعيكم تغدو شقا ودمار
واين ابو مرعي واين ديابكم واين بدير قاضي الدرغام
انا هو الزناتى حاكم الارض كلها وحرب فيكم ياهلالى سلام

قال الراوي فلما فرغ الزناتي خليفة من كلامه وابوزيد يسمع نظامه فاشار ابوزيد يرد عليه الجواب وهو شاهر بيده السيف القرضاب

يقول ابوزيد الهلالى سلامه الا يازناتى انت في أحلام
ألا يازناتي حاقك الشر والبلا اظنى بنومك قد رأيت منام
فلوكنت تعتقنا ما كنت جبتكم ولا كنت جبت القوم الاحشام
فما كنت تذكر يوم اتينا بلادكم ونحنا ببستان لكم ومقام
ونادبت للجلاد حالا فقدنا اتحت المشانق فى حبال برام
فلولا الصغيرة قلت راحت رواحنا ومالك علينا عفة وذمام
لمكنني قد جيت اوريك فعلنا وادعى قرومك فى البلاد هزام
واريك حربا من يمين سلامه وطعن يفك الدرع والالحام
وانتم تروحوا مثل ماراح غيركم بحد الصوارم ماترون سلام
وتونس تري تخت الاميرابوعلى حلالا له لكن عليك حرام
انا هو ابوزيد الهلالى سلامه انا ماحق الابطال والاخصام

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه والزناتى يسمع نظامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤوسهم غراب البين وراح بينهم ضربتين قاطعتين فكان السابق بالضربة الاميرابوزيد أخذها الزناتى بطارقة لبولاد فشطحت

على رقبة الجواد أبرتها كبرى القلم فوقع الزناتي على الارض فركضت القومين على بعضهم البعض وقاموا الزناتي وخلصوه والتقوا الجيشين والتحم الفريقين وقاسوا الاهوال و بطل القيل والقال حتى اقبل الزوال ودقت طبول الانفصال وقمدوا القومين الى الصباح فاعتدوا بني هلال ونزلوا طابو الكفاح ونزل الزناتي مع قومه للميدان فحملت الشجعان على الشجعان وظهر الشجع وولى الجبان وطارت الروس عن الابدان وهجم ابوزيد وقجم حتى خلى القوم عدم و بقوا على هذا الحال الزوال ودقت طبول الانفصال وكل منهم طاب الاهل والاوطان فلما عادت بني هلال جلسو في صيوان الامير حسن بن سرحان فقال الامير حسن لماذا يا بوزيد تقاتل القوم انت بنفسك وما تعطيني خبر وانت والله ما عدت تركب معنا وامر بقيده وقال يا بوزيد ان كنت طائع الله والامير توضع رجليك في هذا القيد قال ابوزيد سمعا وطاعة وانا اتبع كلامك كل ساعة فحط القيد في رجليه و بقي في بيت الامير حسن فلما أصبح الصباح دقت بنو هلال طبولهم ونزلوا الى الميدان فنزل الزناتي فما رأى ابوزيد معهم فطمع فيهم وغار عليهم مثل الاسد الضرغام وقتل منهم كل جبان ومحق الفرسان ودخل فيهم في باب من ابواب الجان وشتتهم بين الروابي والاكام ونزل موضعهم وقام وتعدل عليهم وكسرهم حتى رحلهم سبعة مراحل وفي آخر مرحلة حمل عليهم وقام الرعب فيهم وقتل الرجال وأخذ الخيل والجمال والحريم والاطفال ابوزيد مقيد فقالت بني هلال الى متى ابوزيد مقيد في الحديد وقالوا له فك القيد من رجليك فاشار ابوزيد يقول

قال ابوزيد اسمعوا. يامن لقلبي ارجعو. والقوم منكم يشفعو. اليوم يوم الحربي. حسن دق صقولك. ثم شد على خيولك. قوم الزناتي حولك. فرسان قوم الغربي. ياعبد هات الحمرا. وقلم طواسي للسمرا. وهات بنت القمرا. بسرجها وركابي. وسيف اليماني عندي. من عهد ابي وجدي. محفوظ دايم عندي لاجل الوغى والحربي. هلال هلال ياشجعاني يامنية الاعيان. عدوكم جباني نقيم فيه الرعبي قوموا بنا للقاهم. بسيوفنا نضحاهم. ونفوز كسب غنايم. في طعننا والضربي شوفو الزناتي جاكم. يريد سفك دماكم هذا العدو أتاكم. قيموا عليه الحربي. حطيتني في القيدي. وما كان رأيك جيد. مثل اميري وسيدي. وانا حاكم في السرب

قال الراوي فلما فرغ ابوزيد من كلامه والاماره يسمعون نظامه شكروه وقالوا له ياويلنا من بعدك يا ابوزيد ثم انه اشتد واعتد حتى صار كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل ودق طبوله ونزل فسمع الزناتي دق طبول بني هلال ونادى على الابطال لا ينزل الى الميدان الا الامير حسن بن سرحان أم القاضي بدير اما ابوزيد فما اتم كلامه الا ابوزيد قدامه فقال له أين كنت متخبي يا بوزيد يا صاحب المكر والكيد فقال كنت غائب واليوم جئتك محارب فالتقوا البطلين كانهم أسدين درغامين ورف فوق رؤوسهم غراب البين حتى تعبت منهم الساعدين وكلت من تحتهم الجوادين وداموا في قتال وجدال حتى قرب الزوال دقت طبول الانفصال وكل من طلب حيه والاطلاله وباتوا يتحادثون الى ان اصبح الصباح فركب القومين واصطفت الجيشين ووقعت العين على العين وصار قتال واهوال الى قرب الزوال وبقوا على ذلك الحال سبعة أيام حتى كلت منهم الزنود وذابت منهم الكبود وفي آخر النهار ولى الزناتي هارب والى النجاة طالب فغار عليهم الامير ابوزيد بقومه وبقى غاير خلفهم حتى ارجعهم اربعة عشر مرحلة الى الوراء وادخلهم البلد فلما قارب الزناتي الى المدينة دخل ابواب تونس سمكرها وراه وقال أنا ما بقيت اقاتل ابوزيد ثم استدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص وأشار يكتب الى الامير حسن ويقول

خلق الزناتي طاره. يامعشر الخطاره. من أهل قوم جونا. خلوا البلاد دماره. انا الزناتي عندي ابطال ما تعد . والحرب حاكم غبي. يشبه لهيب النار. يا بوعلي القاني في جوة الميدان. واريك طعن الزان. يامن قتلت اماره. يا بوعلي في بالك. ان الدهر يصفالك لابد ما تشوف حالك. وتشوف شي ما صاره. وتشوفني بالنومي. وتقول جاني. قومي مرعوب دائم. دومي عقلك وذهنك طاره. ارحل بظعنك غادي في عزوتك وبوادي. هذه البلاد بلادي ماهي لغيري داره . اياك من ابوسعد. يجيك مثل الرعد . نجمه خدمه سعد انجمك عليه غباره. جاك الزناتي غابر. من فوق ادهم طاير. بيده حسام شاهر. ان صاب رأسك طاره. والله انا لافتيكم. وبناتكم تنعيكم قصاب لاعمل فيكم واعمل بكم جزاره. كم فارس مقتولي. من طعننا المعزولي. وابطال تاتي جور يا العزلى تذكاره. يا العز والناموسي. ثوب الفخر ملبوسي مايوم يخطي قوسي. دائم كسبه ناره يا ابو علي انهير للحرب لا تتغير عند اللقا تتحير. في طعن مثل الناره

فلما فرغ الزناتي من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه وأرسله الى الامير حسن فاخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه وأشار يرد عليه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

مقال الفتى حسن المسمى ... كريم الجد من فرع أصيلا
كريم الجد من فروع أصيلا ... أمير صاحب القدر الجليلا
نحن ما أتينا اليك عمدا ... ولا جزنا بلادك من قليلا
فلولا حبستك يحي و يونس ... ومرعي ذاك الى روحي عديلا
فلو أطلقتهم نلت الغنائم ... وتكسب يا ملك منا الجميلا
ولا كنا اتينا الى بلادك ... ولا للغرب ابوزيد الدليلا
وكم جبار من حربي نجي ... وكم امير من سيفي قتيلا
خذني لك يا كر لاتواني ... غدا مابيننا يوما طويلا
ونسقي الشار بين وهم سكارى ... وأرواح الملوك وهم نزيلا
أنا واياك يابحر المكارم ... بميدان الحروب لنا هويلا
أنا أمير قيس وآله عامر ... معز الجار حامي للنزيلا
وكم امير أخبرنا دياره ... وكم صنديد خضع لي ذليلا
ملوك الارض خافت من لقانا ... بلاد الهند مع ارض الخليلا
وفي كل الملا قد صار حكمي ... حكمت و كنت في حكمي عديلا
ولولا الحل ماجينا بلادك ... ولولا ابوزيد مابعثنا دليلا
ولانحنا مطايانا بارضك ... ولا السمر العوالي لك تميلا
حبست أولادنا وقد عبث فينا ... وتهدد علينا ياهزيلا
غدا مابيننا سوق المنايا ... و يبقى النصر من رب الجليلا
أما تاخذوا يا زناتي أما نحن فيكم قد نميلا
ونملك أرضكم ونشيح فيها ... ونحكم بعدكم دهرا طويلا
ماقال الفتى حسن الدريدي ... ونيران القلوب لها شعيلا

قال الراوى فلما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه وارسله الى الزناتى فلما وصل لبين يديه قرأه وعرف رموزه ومعناه شق الكتاب ورماه وصاح بمن حداه وامر بدق طبول والركوب على الخيول ثم ركب الامير حسن ودق طبول الضبوح وطلب من الله النصر والفتوح ونزل هو وقومه الى الميدان فنزل اليه الزناتى وعرض وبان وقال لا ينزل لى ردى ولا جبان ولا يبرز الا امير العربان فلما تم كلامه حتى صار حسن قدامه فقال له الزناتى انت مثلى وانا مثلك فعندها التقوا البطلين كانهم جبلين وجال عليهم الحين وغنا فوقرؤ وسهم غراب البين وداموا فى قتال حتى ولى النهار ودقت طبول الانفصال وعاد كل الى مكانه ولما أصبح الصباح نزل ابوزيد الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه الزناتى وقال له من أمرك ان تنزل لحربى انا طالب الامير حسن حتى اذيقه طعنتى فقال الامير ابوزيد انا خصمك جيتك فعند ذلك أشار الزناتى يقول

انا الزناتي في الحروب مجرب ... صعب المراس ومهلك الابطال
جيتم تريدون تملكون بلادنا ... الله يعلم انكم جهال
ابوزيد جيتم الضعن الينا عاجل ... غطى الاراضى سهلها وجبال
ذا الوقت ارمى جثتك بسيفى ... وانزل عليكم لزلة الزلزال
واقطع انا لرقابكم بسيفى ... بين الصفوف أدوسها بنعالى
الشر حاقك ياسلامه منى ... وقعت فى بحر عزيم مجال
طعنات رمحى فى الملا مشهوره ... مثل الافاعي برأس رمحى غال
ابوزيد لك منى نصيب وافر ... لا لفيق منها وافر وزلال
اليوم يا ابوزيد تنظر منى ... طعنا يشيب المرد والاطفال
كيف جيتم ياردى لبلادنا ... زدتم علينا الجور يا انذال
ارجع بقومك ياسلامه ارجع ... جاك الزناتي مثل سبع صالى
قال الزناتى من فؤاد موجع ... اسلم بروحك واختشى لقتالى

فلما فرغ الزناتى من كلامه أشار ابوزيد يرد عليه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

قال ابو زيد الهلالى صادق كل الامارة يشهدوا لفعالى
من نجد الى تونس قهرت ملوكها فرسانها وشجعانها الابطالى
اولهم الديسي ابن مزيد قد راح مني على الوطا ورمال
وثانيهما الخرمند امير العجم اسقيته كاس الفنا وزوال
وقبله الصنصيل راح بجندل من فوق بحر السرج سرعة مال
امير مصر بحربتى ادهكته لى معجبات تحير الابطال
ومثله غدا غنام بن عجاجه كان حربه يشيب الاطفال
وكما ترى الهصيص اخوك قتلته وانت تلحقهم غدا بعجالى
ولا ملك الا ملكنا بلادة وخربتها وخرجت منها المالي
انا ابو زيد بن رزق سلامه بنو قريش عمومي واخوالى
ان طعنتى خلى الجواد ولبسك الدرع والخودى وباقى المال
يبقى حسابك من الذين قدمضوا ماعدت ارنى لك ولا ترنالى

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه والزناتي يسمع نظامه انقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤوسهم غراب البين حتي كلت منهم الساعدين وتعبت منهم الزندين وبقوا في القتال الى وقت الزوال وفى ثانى يوم نزلوا الى الحرب والكفاح فاما ابو زيد زاد فى الحرب على الزناتي خليفه ولكن الزناتى مالتقى آرب فدار رأس جواده وولى هارب والى النجاة طالب وانكسرت قومه فدار كه ابو زيد حتى وصل الى مدينة تونس ففتح البواب الى الزناتى حتي دخل وغلق الباب فى وجه ابو زيد فقام ابو زيد من عزم الركاب وضرب الرمح فى الباب فان كعاب وعاد الى قومه والاصحاب من بعد ما فرق قوم الزناتى وقتل منهم كل قرم عاتى الى ان وصلت بنى هلال لبيت الامير حسن ودار فيما بينهم الكلام وشكروا ابو زيد الهمام ومن بعد ذلك مدلهم الطعام حتى اكتفى الخاص والعام و بعد ذلك اشار ابو زيد يقول

قال ابو زيد المسمى بقلب قاسي ليس يلين . ابومرعى اسمع قولى وافهم قول القوالين . انا ابو زيد سياج الضعن . غفير البيض حمي المسكين . وكم امير لقد اهلكت وجبت لخيله عندى هين . ملكت الشرق بحد السيف وعدنا فيها حاكمين . ملكنا نجد بحمد السيف

وهد حصون البنائين . سبع قبائل ستنا ولوا منا فزعانين . ملكناها بعزم دياب امير زغبي المضمونين . أما حسن فيها سلطان حاكم فيها بالتمكين . وسيفه طال فى الابطال وغم اموال قسامين . وطلب العيش وراق البال بطيب الكاس وقصاصين . بنات هلال جمال ظراف . كما الغزلان العطشانين . لما غاب السعد وراح . جانا الحمل ودام سنين خمس اعوام علينا دام . عام وعام متوالين . جانى مرعى مثل السبع . ويحيي ويونس كالشهين . ثلاث شبان كما العقبان قالوا لتونس مشتاقين . بسرعة ودعنا السرية . وفاضت دموع البكايين قطعنا جبال بجنح الليل . سلكنا ارض الرواضين . ثلاث شهور نمشي بسهول . لتونس جينا عيانين . نزلنا نمنا في بستان . اجتنا عبيد غضبانين . ربطونا وقد ساقونا . عدنا منهم فزعانين وجابونا امند الامير . نهرني وقال لى يامسكين . كيف قد جيتونا يامكار انتم جيتم جاسين . قلت له اسمع ياسيد نحن جينا طالبين سمنا بذكرك ياجيد . انك تكرم عالمسكين . غضب ودعا للجلاد . وجانا شيخ الجلادين ضربنا ضربا مثل النار واشفى فينا الحسادين . وقال اشنقهم ياجلاد ودار غمز الغامزين شفعت فينا بنته سعدا وعاد الاعادى حيرانين وقال خليفه ياسعدا خذيهم سجن السجانين راحت اخذتنا سعدا . بقينا بها فرحانين قالت مرعى محبوبي حبيبي دون الحبابين . ركبت هجين انا وسربت الهجانين . وجيت لنجد بهذا الوقت لقيت . هلال منضاقين قال حسن غربت الضعن وحط لضعنك ضعانين ملوك الارض دهكناها بضرب وطعن الطعانين دخلنا الغرب وقام الحرب وحميت نار الشعالين . وقام السوق ابو سعدي ونادى ابن الثعرابين . وحسن يبرز الى لقاه . حسن سلطان بلا توهين برزت لحربه يابن العم تقوله سباع وغضبانين بعدك جيت للميدان لقيت البنايين . قلت لنا ابو زيد . البيض النعسانين على حمرا جيتك للحرب . اشجع من سبع كمين . وهاج الحرب وقام الكرب واصله

نار الوقادين وجانى غاير مثل الفول . ومثل فهد الفهدين . طعنته طعنة بعزمي وطعنته طعن القتالين . ثانى طعنة بالمرفان . قطعت له الدرع المنين . وثالث طعنة يافرسان مشهاب نار الشعلانين . وتبايعنا فى الارواح تجار الحر البياعين . شربنا ما بعنا منه دليل البيع الشرابين . وغدا مرعوب ابو سعدا . وحاله دون البوابين غلق الابواب خلفه وكانوا اربعة بوابين ضربت الباب . يعود صلاب يسمى عود الثلاثين حديد قديم يقيم سنين وكم حداد يجي اليها . تعود عينيه متقشمين فراح بالباب ثمان كعاب . وهيك زلود الضاربين

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه والامارة تسمع نظامه فقالوا ياويلنا من بعدك يا ابو شيبان و ياحامي الاظعان ثم يرجع الكلام الى الزناتى لما تخرق الباب من ضربة ابو زيد جاءت قومه الى عنده وقالوا له عن الضربه الذى ضربها ابو زيد خرقت الباب ثمانية كعاب فعاد الزناتي فى حساب وامور صعاب وجمع قومه وقال لهم كيف الرأى ثم باتوا فى بلادهم اما ابو زيد ثانى يوم دق طبله ونزل الى الحرب وطلب اللقا فدخل البواب الى عند سيده الزناتى وقال له من ينزل الى الميدان فقال ياحضرة الارباب من ينزل الى عزرائيل قباض الارواح ثم اخذ يكتب الى الامير ابو زيد يقول

قال ابو سعدى الزناتى خليفة ... لى همة بالجود والمعروف
لى دار دائم للضيوف من يجي ... وخطار تاتينى صفوف صفوف
وكل بلاد الغرب طاعت سطوتى ... واحكم بهم من غير حكم جنوف
عشر بن اميرتحت امري وقبضتى ... والفين سنجق تحتها والوف
والف مدينة يرسلوا لى اموالها ... واعدادها ياتى ذهب موصوف
ولا كان في عصرى ولا فى زمانى ... مثل عيشي صافيا وذروف
ولكن هلال قد اتوا لبلادنا ... ومعهم الاسمر كامل المعروف
واشار شور السوء فى حبس رفقته ... وقد قال دعنى في البلاد اطوف
اروح اجيب المال اخذ رفاقتى ... واطلقت انا العبد راح رهوف
انا احسبه عبد وهو اميرهم ... كريم المزايا دوم سخى كفوف

قاريه امير وابن امير واميرة هلالى مسما سيد وعفوف
وقد راح لبلاده وجاب لقومه شبيه الجراد الطارشات زحوف
ومن بعد عامين انوا لبلادنا بضرب القنا ومجردين سيوف
واميرهم حسن الامير ابو على وابو زيد يقدمهم لنا ويطوف
نزلوا بلادى سهلها مع وعرها وعادوا علينا بالحروب صفوف
جردنا عددهم تاه منا حسابهم كما رمل العاصفات نسوف
وفى يوم الجمعة كان اول حربنا الى السبت عاد الدم نقع تشوف
رحلتهم فى يوم سبع مراحل وقومى عليهم زاحفين زحوف
وكم من امير راح في ذر القنا وكم من زنود طايرات كفوف
كسرناهم سبعة بسبعة قبالها وكم أصيل راح منا تلوف
حضرونا في تونس واخذوا اموالنا ولا امير منا بالمجاج يشوف
ولا شفت بالجيشين مثل سلامه ولا اظن مثله فارسا موصوف
تكاونت انا واياه فى حومة الوغى وعاد لنا بالحرب عظيم رجوف
ثمانين رمح تكسرت ما بيننا وعشرين طير بالارض صار تتوف
وسبعين سيفا انحطم بذراعه والكل كانوا من الجياد رهوف
وتحته حمرا يقطع العود عزمها مسربلة فى لبسها وزعوف
ثلاثين الف امير جز رقابهم وخلى دماهم على الوطاء زروف
وما هكذا الاجواد يابو خير تكون بحكمك طاغيا وجنوف
وانت مقدمنا وانت اميرنا وانت حمانا تنجد الملهوف
اسعفنا يا أمير ياطيب الثنا وقلبي يحبك ليس منك صروف
فارفع عنا الحرب ياامير الى غدا وارفع عنا شرك المعروف
واعطيك من خيلى جياد سوابق عشرين الفا سلايل وعروف
واعطيك ميتين حمل حرير احمر وميتين كاس مذهبات نحوف
وميتين الف من سيوف مسقطة بيض اليماني كلها مرهوف
واعطيك ارض القيروان وقابس بلاد الغرب سهلها وكهوف
ابو زيد خذ مالى وملكى جميعه وانا عبدك على الدوام معروف

بالحرب مابلقاك يافارس الوغا واسمح ترى عنى وكون عفوف
وكل بلاد الغرب تستلمونها وتجنوا بساتين لنا وظروف
ابو زيد اقسمها ولم خراجها واقبل دخول الطائف الملهوف
عدد عسكرى ميتين الف ومثلها وميتين الف مثل بحر يطوف
وتسعين الفا فوق ماحررتهم يركب معي في معركات الخوف
ابو زيد بالبيت الذى قد زرته ان تعفنى من حربك الموصوف

(قال الراوي) فلما فرغ الزناتى من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه وارسله مع الوزير لعند ابو زيد فلما وصل اليه اخذه وقرءه وتوجه نحو صيوان الامير حسن واعطاه الكتاب فقال بحيث أن الزناتى ذل من حربنا ابعث له ان يعتق اولادنا من الحبس ويرسل لنا اياهم فراح ابو زيد يكتب الي الزناتي يقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ولى قلب اقوى من حجر صوان
ولى عزم بالهيجا اذا قام سوقها ولى طعن ماكن يكسر السندان
وكم من ملك مثلك كان بحرب بطعن سهد العزم راح مهان
من الشرق الى الغرب راحت ملوكها وكم ذل لسيفى امير من سلطان
خليفة تبعث بالكلام تقول لى هذا كلامك زور مع بهتان
ان كان ماقلته صدق مؤكد اطلق لنا اولادنا فى الان
هذا مرادنا يكون منك ياملك ونامنكم من ضرب عود الزان
فلو تزرع الجودات ياولد صالح حصدت بداله اربع ونمان

(قال الراوي) فلما فرغ ابو زيد من كلامه طوى الكتاب وختمه واعطاه الى المرسال فسار الى ان وصل لعند الزناتى اعطاه الكتاب فحمد الله الذى رضوا فى فكاك الاولاد فبعث الزناتى الى بنته سعدا قال لها اطلق المحابيس حتى نرسلهم الى اهلهم فلما وصل اليها الخبر اتت لعند ابوها وقالت له ياحيف عليك يااابى انت صدقت كلام العرب هؤلاء العرب مابقوا يفارقوا هذه البلاد فقال لها الزناتى والله لقد صدقتى ولوعدمنا الحياة ماعدنا نرسلهم وكان تلك الساعة مرعى عندها فقال لها عماق هكذا ومارضيت نروح لعند اهلنا فقالت ابن ياحبيب القلب الم تعلم انى متى اطلقتكم تذهب روحى برفقتكم ثم اشارت تسليه بهذه الابيات تقول

تقول سعدا بنت امير تونس وجرح الهوى قد علقني حبايله
جرحني الهوى فى قلب احشائي ومشعال نار الوجد اشعل فتايله
انا ماضناني غير مرعى وذلي فيارب تجمع شملنا واوصله
طوله مايشابه للرديني اذا مشي متي تسمح الايام وانظر جمايله
انا خايفه يطلقكم ابي وترحلوا لان سلامه كل يوم يزاعله
فان كان يرسلكم تروحوا لاهلكم وينظركم حسن وتشفى نجايله
انا خايفه يابطل حربنا مع قومكم يفرح بمرعى حين ينظر جمايله
ويامر حسن بالشيل سرعه لارضكم وترحوا الى نجد العدية حمايله
ماقالت سعدى الهوى قداضامنى على حب مرعى فى فؤادى عمايله

فلما فرغت سعدى من كلامها فانشد مرعى يجاوبها يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتي مرعى بعين وجيعه لها بعد نوم الهاجعين دراف
لان حبك ياماليحة ذابنى وجاني هواك والغرام صداف
ولكن ابوك ياماليحة اهاننا بالحبس صرنا موجعين ضعاف
وان كان يطلقنا فلا تمنعيه حتي نروح لاهلنا وسلاف
واخبر حسن بما فعلتيه معنا ابوك بين الملا اعرف
ونرسل الى ابوك نخطبك منه ونعطيه خيالامع اموال ظراف
هذا مرادى ياماليحة ومنيتى نريد الحلال وما نريد خلاف
واما الخنا فليس فيه نطابق لاني انا من نسل قوم اشراف
ولابد نملك ارضكم و بلادكم واخدك حقا بغير اخلاف
فلا تحملى الاحزان ياغاية المنى يدار كنا الرحمن بالالطاف

(قال الراوى) فلما فرغ مرعي من كلامه وسعدا تسمع نظامه فبقيوا على ما كانوا عليه فى الاول فى النها تنزله الى الحبس وفى الليل تجيبه الى عندها وتنام هي واياه واما ما كان من بنى هلال لما القوا اولادهم ماطلعوا من الحبس قام ابو زيد ودق طبوله ونزل الى الميدان فما احد نزل اليه فغار فى جواده ودق باب تونس فردعلية البواب فقال له من تكون فقال ابو زيد اريد سيدك حتي آخذ روحه من جسده فراح البواب لسند سيده واشار يقول

قال خضر اسمع امير الملا قلبي احترق من الامور بنار
جانا سلامه كانه سبع كاسر من فوق حمرا مثل طير طار
وقاله لي حارس لا كسر راسك اسرع الى سيدك وهات أخبار
قوم انحدر اليه وكن صارم واسقيه كاس حنظلا مرار
وان كنت ماتنزل اليه الا له أجيب لك راسه مع الاخبار
هات لي خرده ودرعا مانعا وهات لي سيفا يكون بطار
ان عانني ربي لاقطع راسه واقيم انا من فوق رأسي صار
قال خضر في كلامه صادق في وسط قلبي اليوم هبت نار

(قال الراوي) فلما فرغ خضر من كلامه والزناتي يسمع نظامه فاعطاه الجواد والدرع والسيف والخوده رآلة الحرب وقال له يا خضران كنت تقتل ابو زيد اعطيك مدينة معاف واعطيك سعدا فقال له ياسيدي انا اكفيك شره فبرز الى ابو زيد فقال ابو زيد من تكون من الفرسان حتى تنزل الى الميدان قال له انا خضر بن موسي فحضك ابو زيد ووقف يشوف ماذا يريد فاشار خضر يقول

يقول خضر بن موسى الذي شكا انا الزناتي يافتى بواب
ترى خليفة ماعاد ينزل لمثلك ولا يلتقيك يافتي بحراب
اوعدني اذا جبت له راسك يعطيني سنجق بغير عقاب
وجيت انا اليوم لكي اقاتلك ولا بد مني ماتذوق عذاب
والايام كلها ماتجي معك سعاده يوم به خير ويوم نكاب
والا بطال يابو زيد ما كلها سوى هذا فارس وهذا صعب مراب
انت ابو زيد الي خضر بادر لاشك في انك قتلت صواب
رد ابو زيد الهلالي بقوله احترقت بنار القلوب احراق
حرقني الزناتي من فعاله بحقنا وكان علينا باغيا مراق
نزلت لميدان الزناتي اقاتله لابد مني مايروح محاق
يا ايها الرجل الذي جاء لحربنا غرقت في بحر ماله رفاق
ان كنت فارس خيل بين حربك لانك انيت الى القبر مشتاق
انا ما يلتقيني الا خليفة اميركم لان الزناتي فارسا سياق

تكاونت انا واياه في حومة الوغا لو مادخل قصره راح محاق
قد ارسلك لا يريد الا هلاكك تضحى قتيلا تحت تل طياق

فانطبقوا على بعضهم فقام ابو زيد وحرك الجواد ولاطف الى ان حصره وطسه بالدبوس ارماه بين ايادى الحصان فقال خضرا نا بجيرتك يا بن الاجواد فقال له ابو زيد قم اشلح عدة الحرب ما نستاهل القتل لان ما عليك مقدره فقام البواب وعاد وهو يبكى حتي وصل الى عند الزناتى فقال له كيف حالك مع ابو زيد فقال يا ملك الزمان كانى رأيت منام لا لى كنت احسب الحرب مثل فتح الباب وغلقه وراح يخبر الزناتى يقول

يقول الذي قد شاهد الحلم في الدجا وارماني في فارس جحجاح
فغار على مثل ليت اذا سطا ضربني كان الراس مني طاح
واراد قتلي طلبت منه الجيرة فقلت له العفو فقال سماح
ياسيدى انزل اليه وبادر لانه فارس للعدي ذباح
انا يا ملك بواب في الباب واقف ولا اعرف صنعة سوى الفتاح
افتح في الباكر واسكر في المسا وانا قاعد في صنعتي مرتاح
قال الفتي خضر الذي شاهد العجب ويا ما نظرنا من ليالى افراح

(قال الراوي) فلما فرغ من كلامه والزناتي يسمع نظامه فالوقت استدعى بقلم وقرطاس واشار يقول

قال ابو سعدى الزناتي خليفة فزادت همومي اليوم ثم النكايد
جفتنا ليالى العز صارت رزيه ولا عاد تاتينا ليالى السعايد
انا دل عندى بخراب بلادنا من وقت اجانا ابو زيد رايد
فمتقته عفوا وحالا فقد غدا وجاب الوفا من قروم حشايد
حصرني سلامه حصرة وهى حصرة ولا لى على حرب الهلالى جلايد
اياغاديا مني على متن ضامر تجد الثرى في قربها والبعايد
اذا جئت الى الهلالى سلامه فاخبره عني اكيد النشائد
وقل له ياعز قيس وعامر ويامن على الاجواد في الجود زايد
سالتك بحق الله يا امير جيرني بدينك اذا ما كنت المدين رايد
لا لك تعفو عن قتالى وترجع ينالك طرى من طيبات الفوائد

وانا عتيقك ياامير سلامه وكسب الثنا والجود هولك عائد

(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى من كلامه طوى الكتاب وارسله مع عبده الى ابو زيد فاخذه وسار الي ان وصل فركع وباس يد الامير ابو زيد واعطاه الكتاب فاخذه ابو زيد وقراه وعرف رموزه ومعناه واخذه لعند الامير حسن فقراه ايضا وهم فى الحديث والاعبد من عبيد الامير حسن اسمه غازى كان راح ردار بلاد الغرب الجواني من يوم دخل الزناتى لان بلاد الغرب الجوانى تسمي الشقور وفيها سبعة ملوك وكل ملك يركب بماية الف خيال رجع وابتدى يخبر الاسياد يقول

ماقال الفهاد غازى ياملك جتكم عساكر مثل بحر طانح
اجونا ملوك المغارب كلهم من فوق خيلا صافنات قوارح
قد رحت بلاد الغرب انا ورأيتهم فانهم كما رف الجراد السامح
ارسل الزناتي اليهم جابهم اتوه نجدات من بعيد المطارح
من لا يقاتل عنده عرضه يقتل الجيد مايرضى فعل القبايح

(قال الراوي) فلما فرغ غازى من كلامه والاماره يسمعون نظامه قال ابو زيد ارتاحوا انا على جميعهم وحدى ثم انه نبه فرسانه وراح الى صيوانه فقام الامير حسن وراح لعنده وقال يا ابو زيد انت راح وانا خايف من الزناتي يجينا وياخذحق الله منا فقال ابو زيد انا احط لكم راية حمرا على باب توس اللا يطلع اليكم مادام الهوي يلوح بها وتمشي بالليل ولا اندق طبل حتى نلاقى القوم ونرمى فيهم ثم عاد الامير واما من ابو زيد صبر الى الليل وركب هو وقومه بنى زحلان ومشوا نحو ذاك العدوان مقدار سبعة أيام حتى وصلوا الى موضع فيه ربيع ومياه فقال ابو زيد حولوا فحولوا وفرشوا له الحرام فنعس ابو زيد ونام وتوقع ان ذلك على وكر ثعبان فطلع وضرب ابو زيد فى فخذه رقلب وارمى سمه فقاق ابو زيد من ضربة الثعبان وصاح صوت من صميم الفؤاد يا اجواد فركضت عليه اخوانه فبحثوا على الثعبان قتلوه واذا هو عشرة اشبار وعاد فى قلب ابو زيد لهيب النار وعاد القوم فى اكبرهم فحملوه وعادوا به الى البيت فقامت عياله البكاء والنواح على هذا الاسد المسموم وصار النكاب فى بنى هلال فعرف الامير حسن وخاف من الزناتى واما من الزناتي فلما عرف ان ابو زيد

ملسوع وديّاب غايب قوى عزمه وفرح وبات معتمد على حرب بنى هلال
واشار يكتب الى الامير حسن يقول

يقول ابو سعدى الزناتى خليفه ... وقلبى عليكم ياهلال حقود
قتلتم رجالى فى الجبل غصيبه ... وعاد دماهم في البلاد بدود
قتلتم اخي المصمهص غدرو برقة ... وهو كان ضد الظالمين عنود
ولى طار سالف من عهود قديمة ... وطارى عندكم من زمان جدود
والله لاجرد عليكم عساكر ... واحشد عليكم بالانام حشود
واسبي حلايلكم واخذ اموالكم ... وابدل لطيب عيشكم بنكود
انا ابو سعدى انا قاهر العدا ... ولى فى فعالى ياكرام شهود
شهودى زنودى والقائم صارمى ... وبيض الدمارى راخيات جمود
يابو على قوم التقينى بلا بطا ... وتروح من سيفى طعام الدود
خمسماية الف عدة جموعنا ... عليهم من الزرد المتين بنود
يابو على ارحل بضعنك من ارضنا ... وفوز بنفسك تبلغ المقصود
مالك عندى الا الطعن والقنا ... وضربا شبيب هامة المولود
فان عانى ربى سريع اهلكتكم ... واعقد عليكم كل يوم عقود
انا ابو سعدى الزناتي خليفة ... هنيا لمن خالى عنا وحقود

(قال الراوي) فلما فرغ الزناتى من كلامه طوى الكتاب وارسله الى الامير حسن فلما وصل اليه كتب له الجواب فانشد وجعل يقول

يقول الفتي حسن الهلالى ابو على ... مضى العمر منا بشدة ونكود
مضى عمرنا بالطعن والضرب والقنا ... زمان المضي ماعاد ظن يعود
من نجد الى تونس قهرنا ملوكها ... وكم جيش سلطان غدا مطرود
ماعاد غيرك يازناتي مصادم ... كم واحدا مني غدا مطرود
غدا الله ينصف ما بنى وبينك ... اجيك بدرع من عمل داود
وجرد لسيفى والقنا صارمي ... وحوله شباب يشبهون فهود
جالد وغازي يابن مدكور فيهم ... على خيل ضمر للاعادى نجود
انا حسن المسمابن سرحان ابو على ... الا للاعادي حنظلا مبرود

انا شوكة انا لوعة البلا بيوم يصير الريق منه جمود
وانا ماانسيك يازناتى خليفه ولا عن قتالك عاجز مطرود
غدا نظر الزينات فعل ابو على له فى الصدور المدرعين قيود
ماقال الفتى حسن الهلالى ابوعلى ياسعد من لاشاف يوم نكود

(قال الراوى) فلما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب واعطاه الى النجاب فاخذه الى مولاه واعطاه اياه فقراه وعرف رموزه ومعناه ولما اصبح الصباح دق طبوله وركب واطلق الغارة على بنى هلال فركبت بنو هلال خيولهم ودقت طبولهم فالتقى الفريقين وانحطت العين على العين فبرز الزناتى الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الامير حسن والتقوا البطلين كانهم جبلين وطار من تحتهم الغبار حتى سد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل نار وتكسرت بينهم الرماح الطوال والسيوف النقال وكلت منهم الزنود وزهقت منهم الجنود وبقوا على هذا الحال حتى دق طبل الانفصال فافترقا على سلامه وباتوا الى الصباح يتحادثون فلما صبح الصباح واضاء بنوره ولاح طلعت الشمس على روس الروابى والبطاح فبرز الزناتى للميدان ومحل الضرب والطعان فاراد الامير ينزل اليه فمنعوه قومه والامارة وقالوا له نخاف عليك من الزناتى وابو زيد ملسوع وديباب غايب وان صار لك حادث يتروح بنى هلال شرايد فى الجبال فقام الخفاجى عامر وطلب الزناتى فمنعه حسن وقال انت تزيل عندنا والنزيل ماعليه حرب فقام الخفاجى واقسم يمين عظيم انه لم يبرز الزناتى يرحل بقومه عن بنى هلال فتركوه وثانى يوم دق طبل الزناتى ونزل الى الميدان فبرز اليه الخفاجى عامر فالتقوا البطلين كانهم جبلين وزعق فوق رؤسهم غرابه البين وفى اليوم الثالث كل الزناتى وولى هارب من قدام الخفاجى وكان عند الزناتى خطيب يسمى مطاوع فقال الزناتى باكرانت انزل اليه واذا انحنى بين الورد وانت انكسر قدامه فليحقك حتى نفوتنى فاجيه من وراه واطعنه من قفاه واعدمه الحياة واما الخفاجى فانه رأى مناما ان قدام بيته شجرة طويلة اجاها نجار قطعها وحفر شلوشها فقام من منامه مرعوبا واستدعى بنيته دوابه وامرأته قال لهم عن منامه

يقول الخفاجى والخفاجى عامر رأيت مناما منه عقلى طار
رأيت شجرة نابتة وسط دارنا قطعها سريعا يوسف النجار

وقدم منكوشه وحفر شلوشها وقطعها بالقدوم والمنشار
وامس ارسل الزناتى يقول لى كلاما اكيداً واضح الاسرار
يقول لى ياأمير اترك قتالنا وبطل عنا جملة الاضرار
وعدنى بالمال والملك والعطا ترغبنى في معدن وبهار
فما ردت فى هذه العطايا يادوابه وارميت في قلبي لهيب النار
انخاف انهم حسبوا حسابي جميعهم وقوم الزناتى كلهم مكار
لان منامي يادوابه راعنى وارى فى قلبي لهيب النار
ولكن مهما يفعل الله جائزا الله تعالى واحدا قهار
قال المسمى الخفاجى عامر من ذا المنام بقيت كالمحتار
ردت دوابه بنت عامر تقول له اترك خليفة لاتزيد اشرار
انا خائفة من ذا المنام يعيبنا يرمى لنا بالهم والاضرار
نخاف عليك من الزناتى خليفه لانه امير بالملا غدار
لهسطوه بالحرب ماشفت مثلها يشابه لسبع الفلا غدار
ماشفت قوم هلال فيما جرى لهم خلى دماهم على الوطا فوار
فاهجم ولا تطع واقعد واهتدى يامصعب الفرقه وبعد الدار
ماقالت دوابه والبكا هد حيلها ياحصرتى ان راح عز الدار

(قال الراوى) فلما فرغت دوابه من كلامها وابوها يسمع نظامها قال لها يابنتى اذاركبوا بنى هلال ماذا يكون الجواب وانا حالف يمين باتى احارب الزناتى عشرة ايام فقالت له اعملى حالك ضعيف يعذروك اما بنى هلال دقوا طبولهم وركبوا خيولهم وفقدوا الخفاجى عامر فما وجدوه فسال عنه حسن فقالت الجاز به انا اروح اليه فراحت تلاقي دوابه قائمة تبكى فسالتها عن الخفاجى قالت اصبح مريضا فرجعت اخبرتهم فقال حسن الخفاجي فسم يمين انه محارب الزناتى عشرة ايام وكان له ثلاثة ايام بقى عليه سبعة ايام فكان حاضر امير اسمه ظريف محب الى الخفاجى فقال انا بروح اليه و بنظر معاتيه فراح الى عند الخفاجى فلما وصل كان نائم فجلس على حيله وقال له حول ياأخى فحول عن جواده فساله عن حاله فاشار الخفاجى يقول

قال الخفاجى ولد درغام عامر ياظريف حول تعال اضيف

وحيلي ارتخى مني يا امير وانقطع ... وعاد جسمي يا امير تليف
مرعوب مما نظرته في منامي ... وقد عهدت من هذا المنام رجيف
رأيت شجره طالعة وسط دارنا ... لها كل غرس نائف وظريف
اجانا نجار وقطع غصونها ... واحرقها بمنشاره تحريف
وشفت الزناتي راح مني هزيمه ... وكنت عليه بالطراد جنيف
خايف يكون دبر علينا حيلة ... ومهما تشوره ما ه مخيف
فرد الفتي المسمي الظريف وقال له ... الا يا خفاجي لا تكن مخيف
شد واركب الزناتي وصادمه ... اخاف تصبح بين الانام مخيف
يا امير ان العمر من رافع السما ... مكن علينا ليس منه مخيف
مادام لك اجل ماقط تقتل ... ولو كنت نازل وسط بحر مطيف
خيار الفتي موته بظهر جواده ... بيوم يكون الريق فيه نشيف
يقتل ويقتل يكسب الحمد والثنا ... يبيض لعرضه وثناه نظيف
انهض ولا تخشى المنايا جميعها ... ولا عيشنا بالذل والتخويف

(قال الراوى) فلما فرغ ظريف من كلامه والخفاجي يسمع نظامه وثب كالاسد وشد على جواده وتقلد بآلة الحرب والجلاد وسار مع ظريف فعندها زغرطت البنات ودقت الطبليات وحين شافه الزناتي انشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزناتي من فؤاد معمر ... نيران قلبي زايدات وقودها
انا خليفة بالحروب مجرب ... لي سايفا بالخيل انا ردادها
التقي الوف الخيل ماني خايف ... ابطال تعرفني بيوم طرادها
اجول في حربي وحين طرادي ... وتزيد في حربي ترى انكادها
ابشر بقصر العمر جالك واكيد ... لابد ماتسكن عميق لحادها
رد الفتي المسمي الخفاجي وقال له ... نار الحروب انت قائم شرارها
ارسلت لي مكتوب كون صديقي ... واعطيتني تونس وكل جدارها
ماردت درب العيش يا بوسعدا ... اخاف ترخص عندنا اسعارها
من ماكون الخفاجي عامر ... في جاه عند كبارها وصغارها
اصبح هزيله في هلال ممسح ... ويكشفون عروضها وسطورها

لكن هذا اليوم جيت الى حربك لابد ما اسقيك كاس مرارها

(قال الراوى) فلما فرغ الخفاجي من كلامه التقوا الفارسين فى حرب وصدام وصاروا فى حرب شديد يفك الزرد النضيد فانفك عرم الزناتى من شدة حربه فولى هارب وللنجاة طالب وحكم دربه نحو جنائن الورد وكان الخطيب كامن بين السياحات وماسك الرمح بيده وذبالزناتى والخفاجي لاحقه فطلع الخطيب وطعن الخفاجى بين كتفيه خرج يلمع من بين لوحيه فرماه قتيل وفى دمه جديل ففار الفريقين والتحموا الطائفتين وصاح على رؤوسهم غراب البان واما ظريف صديق الخفاجى فقد شوش عليه فلحق الخطيب وطعنه بالرمح اصاب الجواد ارماه على الارض فرد الزناتى اليه وخلصه من بين يديه وركبه الجواد ولا زال بينهم القتال حتى ولى النهار فانفصلوا عن القتال واملئت الارض من القتلى واخذوا الخفاجى عامر الى بيته ومددوه واشارت بنته تقول من فؤاد متبول

قالت دوابه دموعى من اماقيها نيران قلبي من يقدر يطفيها
جادت علينا سليما من نوائبها واسقت لعامر شربة من اوانيها
فابكت دوابه دموعا لاجل والدها بنت الخفاجي من يقدر يبكيها
ياحيف رحنا ماشفنا منازلنا ياحيف يا بدر دار العز تخليها
انا دوابه ابوى عامر الماجد انشا المكارم وقد شيد مبانيها
قد كان ملك فى ارض العراق له كم كربة من هموم الدهر يجليها
البين يا ربع بارض البين شتتنا جور الليالى تجهزنا لياليها
جاله مطاوع على شهبا مبرشمة تشبه لربع الفلا السرج محليها
طعنه بحربه طول الليل يسقيها وراح عامر طريح الفراش ساليها
جاله ظريف صريح من فوق سابقه ضرب مطاوع ضربه جاهده فيها

واضحى الخفاجى بارض الغرب منطرحا
ماظن عدنا لارض الشرق نقتيها

من هو الذي يوصل الاخبار لديرتنا وعلام عامر ترى من عاد يحميها
ماقالت دوابه ونار القلب مشتعلة على ابوها وغربتها وتاليها

فلما فرغت دوابه من كلامها فاق ابوها الخفاجي من غشوته وعيونه تدفق بالدموع واشار يقول

يقول الخفاجي بن درغام عامر ... بدمع جرى ماظن مثله مدامع
نيران قلبي كلما اقول تنطفى ... يهب لها جو ضلوعى لدايع
انا مثل صقر رابيا تحت عشة ... من المحل جابته بروق اللوامع
نعى وكره لمن طلع من بلاده ... وخلا في وكره فروخ الجوازع
يبات ويسرى طالب الصيد والفلا ... يمنع حتي ماترای لوفد جامع
وان كان هـذا الطير ضيع وكره ... وراح على ذكره مديد الوسايع
اذا ماجفاك الدهر يوما بقربه ... اسال عن الاجواد ان كنت ضايع
ولا تنزل الا في بلاد رئيبه ... بلاد العدية حولها السم ناقع
وشبابها تنقل السيف مع القنا ... على كل طافح برعب الخيل قارع
وشيوخها ترمى العدا في المهالك ... بالروح ماهو بالسهمات القوانع
قولوا للطير الذى في بلاده ... ايضا طيورا قد تجينا نواجع
ماجاك الا يكسب الحمد والثنا ... تجيني وتاتيني بعقل رواجع
دوابه ان كانت دنت منيتي ... فاوصى ظريفا يجعل القبر واسع
وبعد موتى ابشوا الكتب لاهلنا ... عسي الخبر منهم يجيكم مسارع
ولا ظن خير ياتيكم من بلادنا ... بلادى بعيده سهلها والبقائع
ابى وامي ترى كيف حالهم ... يستنظرون رجوعي ولست براجع
ولا ولد من بعد مني بقى لهم ... دعوهم من بعدى يسكبون المدامع
وقولوا لهم عن عظم الله أجركم ... ولدكم عامر عند ربه مطاوع
بوصيك ياحسن الهلالى ابو على ... دول اليتامي مالهم من مدافع
وانت شفوقا على اليتامى ومحسن ... فعطيك ربك عاليات المواضع
ياايها الطير الذى طار بالفلا ... تسما الى الدهر الذى بك مطالع
تاكل ربيع بارض مصر وررعها ... وتبيض في ارض العراق المواضع
سلم على ابي وامى قل لهم ... برضوا علينا في صلاة الجوامع
واشهد ان الله لارب غيره ... فهو واحد وماله من ينازع

وان محمد عبده ورسوله نبي اتى برحمته عاد شايم
اودعتكم الله ربي وخالقي وفاني دنت ماعادلها من يمانم
وهذه مقالات الخفاجي عامر والروح من رب الخلائق ودايم

(قال الراوي) فلما فرغ الخفاجي من كلامه والامير حسن يسمع نظامه شهق شهقة واحدة وسلم الروح فقام عليه الصياح والتمت عليه العربان من كل ناح حتى املوا الروابي والبطاح وكسروا عليه السيوف والرماح وغسلوه وكفنوه ووارورة التراب يرجع كلامنا الى الزناتي فانه دق طبله ونزل الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فما جاز اليه احد فقام حنش وقال علامكم يا بني هلال ما احد يبرز الزناتي فما احد رد الجواب عليه فقال القاضي مرادي اكتب اوراق ونوضعهم في جراب والذي تطلع ورقته ينزل غصب عن رقبته فقال هذا هو الرأي الصواب والامر الذي لا يعاب فكتبوا الاوراق ووضعوهم في الجراب ومد القاضي يده وشالها فقال لهم ورقتي فقالوا انزل اليه فقال ياقوم احفروا لي قبر حد الخفاجي لاني اعلم انه دنى اجلي وحل ارتحالي من هذه الدنيا ولكن امر الله مامنه مهرب فقالوا له اذا لزم الامر ما لها لا زيد ولا عمر فقام واشمر واعتد وارمى العمامة عن رأسه ونزل الى الميدان فقال له الزناتي ياقرنان من تكون من الفرسان قال انا قاضي العربان قال له انت القاضي تعرف الحق من الباطل وتجهل والى حربي تنزل فاشار يهد عليه يقول وعمر السامعين يطول .

قال الزناتي من فؤادا نكرى سيفي تحنى في رقاب الظالمين
كل الفواس هنتها يوم الوغى جميع قوم هلال مني خائفين
خافوا جميع هلال من طعناتي سن رمحي يفسخ الحجر اثنين
جونا هلال يملكون بلادنا ايضا وقد كانوا منا مستهزئين
لاقيتهم سرعة بجيش عرمرم ودعيتهم بالعصى البراري تئهين
وهفيت منهم كل قرم غشمشم عادوا الامارة من حسامي هالكين
الا يا بدير انت رجل قاضي كيف تتبع للرجال الجاهلين
انت قاضي الشرع ما بين العرب تقرأ كلام الله والعلم المبين
كيف حال قطانا في شرعكم نحنا واتم يا امارا مسلمين

(انتهى الجزء السادس عشر . ويليه الجزء السابع عشر)

الجزء السابع عشر من تغريبة بني هلال

(وهو ثالث ديوان الزناتى خليفة وفيه ديوان عقل بن هولا)

ورجوع دياب لحرب الزناتى خليفة

قال الزناتي ماعادلك مسلك ... وقعت في حربي وماعادلك معين
رد الفقي القاضى بدير وقال له ... ياخليفة كن فى قولك رزين
نحن بشرع الله نحكم دائم ... نهدى جميع الخلق للحق المبين
لما اجانا المحل زار بلادنا ... وقدغشانا المحل في جد السنين
سبعة سنين ماانجانا قطرة ... ولا زارنا برق ولارعد مبين
قمنا بعثنا الامير سلامه ... رفاقه ثلاث شباب مجربين
صاروا يدورا فى البلاد جميعها ... كل البلاد انوا اليها زائدين
ماحد تعارضهم فى كل الطريق ... الا انت حبستهم يامتين
فارسلت تطلب من ابوزيد فكاكهم ... جمال ودراهم مع ذهب ثمين
مارضينا الذل نرسل لك اموال ... جينا لارضك يازناتى راحلين
وانت تخوفنا بحربك والنزال ... ابن قائدكم غدا منى طعين
قال الفقي المسمى بدير العايد ... لابد ادعيكم جميع مجندلين

(قال الراوى) فلما فرغ القاضى من كلامه والزناتى يسمع نظامة وقع فيما بينهم حرب شديد وضرب يقطع الزرد النضيد مقدار نصف النهار فقام الزناتى فى عزم الركاب وضرب القاضى بدير على كتفه الايمن وشقه نصفين الى الخاصرة فوقع القاضي قتيل وفى دمه جديل فلما رأوا بنى هلال قاضيهم قتل التقت الرجال بالرجال حتى جرى الدم وسال وفاضت الروابى والتلال ولازالوا على تلك الحال حتى ولى النهار واقبل الليل بالانسدال ودقت طبول الانفصال فانفصلوا الطائفتين عن القتال وحملوه الى بيته وقاموا عليه من كل ناح وصار عزاه كانه يوم القيامه ووقعت الحسرة والندامة فقال حسن ماينفع الميت هذا العدد لكونه شيء لايفيد فغسلوه وكفنوه وفى التراب وارورة واشارت بدنه فتنة تقول وعمر السامعين يطول

ما قالت فتنه بنت قاضي العرب ودموعها فوق الخدود درشوش
على فقد صناديد الرجال وعزها بدير بن فايد ليس فيه غشوش
هذا بي وعزى وفخرى وذخرى على فقده عقل الرجال بطيش
ما كان مثله في هلال وعامر ولا عمره لفظ كلام وحيش
تقي تقي ما يعرف العيب والخنا ولا يرتضى بالنقص والتغشبش
ولا عمره حط انسان في ذمته ولا يريد كثر الشر أو التوحيش
يحسن على الايتام بالقحط والغلا وكل الارامل في حماه تعيش
قتله بو سعدا بحد حسامه وعاد لاجله بالفؤاد تشيش
تلاطم هو واياه في حومة الوغا تقول سبعين القوا في هيش
وتزاحموا الفرسان يوم بن فايد وصاحوا الهلاليات ما منهيش
قبرناه بارض الغير وان وقابس وقمنا على قبره ضلال عريش
وقديت قمصاني وكل ثيابي وعدت شبه الطير من دون ريش
عشر بن الف فرس قد مزقونها وكانت ثمينة حسن التلبيس
وسابوا بنات البدو بعد موته واصبح فؤادي منده ش تدهيش
الله لا يتلى المخاليق بلوتى من ابتلى مثلي ليس يعيش

قال الراوي فلما فرغت فتنة من كلامها اخذوها عن القبر وعادت بنى هلال في حسرة على القاضي وثاني يوم دق الزناتي طبله وبرز للميدان وطلب مبارزة الفرسان فقال حسن هانوا الجراب فجا بوه فتقدم مفضل اخو القاضي بدير ومد يده طلعت ورقته ولبس آلة حربه وبرز الى الزناتي واشار يقول

يقول الفتى المسمي الامير مفضل ونيران قلبي زايدات اللهايب
يهب سناها بين رأسي ومهجتي لهبا لها جوا الضمير تلاعب
كيدم أخذ ا أخي بن والدي وزادت فينا معظمات المصائب
اتيت أريد الثار منك بلا خفا فبادر الينا يازناتي وحارب
اليوم يوم طال فيك نهاره وتنظر ما تقضي اليك النوائب
قتلت لنا القاضي بجازيك ربك الى جانب المولى فلا كنت راقب
أنا مفضل كاسب الجود والثنا الا ياخليفة جئت لاجلك محارب

وهذا كلامي يازناتي وافتهم ... لابد ماأدعي دموعك سكايب
فرد عليه ابو سعدا وقال له ... سعد الفتى ماهو الدهر غالب
وعمر الفتي مكتوب من رافع السما ... اذا فرغ يفدى لتحت التراب
الايام يامفضل صارت سوية ... يوم به سعد ويوم صعايب
أخوك بدير تمنا في قتالنا ... وحلل لقتلي في جميع المذاهب
وهو اعقل العقال مابين قومكم ... واصبح لنا دون البوادي محارب
لما رأيته جن ماله هدى ... وطلوع هلال ثم اضحى يضارب
قلت له ماعاد فيها حشيمة ... والعود ماله منزل ولا صاحب
لا أيتم النسوان بضرب صارمي ... يجي بينهم يلسع كلسع العقارب
ضربت بدير يامفضل قنته ... وقد صار مني جيفة التراب
وانت اخوه بتريد تاخذ بثاره ... وغربت نفسك بالبلا والمصائب
روح بحالك يامفضل واهتدى ... لاني خبير في أمور الصعائب
فهذه نصيحة من الزناتي فافتهم ... وان كان ماتسمع كلام المعاطب

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه التطمو الفارسين في جومة الميدان وبدوا فيما بينهم الحرب والطعان ومازالوا في كر وفر حتي طار عليهم الغبار وسد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل نار وقد داموا في الحرب والصدام مقدار خمسة عشر يوما حتى انذهل الزناتي من حرب مفضل فضرب ديوان وقال لقومه من منكم يقتل الامير مفضل واشار يقول

يقول بن مهران الزناتي خليفة ... ويامانظرت عيوننا من نكادها
والسعد قد رلي وراحت أرواحنا ... وقد راح من طيب الليالي رقادها
ليالي قطعناها بخير ونعمة ... حكمت المغارب مع بلادها
ولكن رد الشور بالرأي ضرني ... لزمنا و بلغنا الاعادي مرادها
وجانا ابوزيد بجيش كما مجرد ... من الشرق جونا للمغارب فصادها
واضحى يطاردني بميدان حربه ... لقيته على كل البوادي سنادها
و بعده قتلت قروم هفيتها ... واخذت نسوان لها مع اولادها
انا كل ماجاني امير أكيده ... واقول غدا ماعاد فيها رواحها

ايصبح يقاتلني امير بداله امارة شبيهة النحل بالوكر اجادها
ياقوم اعجزني مفضل بحربه طعنانه بالحرب مافي مثلها
كنت اقول ما مثل ابوزيد بينهم تاري ماهو نقطة بحر أسيادها
ان كان فيكم ياقوم من يحاربه يذوق الاعادي والفوارس شرادها
ينزل الى الميدان يقهر مفضل ينال العطا مني و ينال مرادها
اعطيه منى ما يريد ويشتهى ويعلى مقامه بين قوم أسيادها
ماقال الزناتي والزناتي خليفه اذا ابيضت الدنا جدد سوادها

قال الراوى فلما فرغ الزناتى خليفه من كلامه والخطيب مطاوع يسمع نظامه قال انا انزل اليه وما لمفضل الا الخطيب ولما أصبح الصباح لبس الخطيب آلة الحرب والقتال وبرز الى الميدان فنزل اليه مفضل وقال له اين الزناتى فقال انا جيت أكون عنه وأشار الخطيب يقول وعمر السامعين يطوله

قال الفتي المسمى خطيب مطاوع قد جيت أرميك بحرب لدائع
سمعت بالقاضي يهدد اقومنا وعادفى حرب الزناتي طائع
يامفضل روح روحك راحت وعود الى قومك سريع راجع
وادعى اقومك برحلو من ارضنا ويقصدوا واسع الفلا والبقائع
ان قامت الهيجا ونار عجاجها كم قرم منى بالمعامع واقع
لى فى محاربة الرجال سوالف واخبارى شاعت فى كل المواضع
أتيت لحربى يافتي لانهرب وكن لحربى يافتى قرم مانع
مقال الفتى المسمي مفضل رقلة لا ياخطيب اسمع وكن لى مطاوع
قد جيت انا لحرب الزناتى عاجل لاخذ منك الثار مانى قازع
انا أخى الى الزناتى قاصده دعاه ابوسعدا قتيلا واقع
يتم اولاده وهم فى صغار حينا جميع النساشقت عليه البراقع
فغضبت انا من فعل ابوسعدا به وجيت أنا له يامطاوع سارع
كافحته بالحرب أول وقعة وجار فى قصره رفيع المواضع
خمسة عشر يوما قمت بحربه وراح جافل من قتالى قازع
كيف انت اليوم جتنى مهرج ماأنع خصمى بالحروب ممانع

ان كان ابو سعدا هرب من صولتى ... وهو شديد الباس قرم مصارع
انت خطيب ليس تسمى فارس ... تحسب انت الحرب خطبه بجامع
ياخطيب الحرب البحر طافح ... ان خضته ما أظن انك راجع
لا تروح غريق فى بحر الفضا ... والصوت يبقي من حريمك واقع
لا بد نملك ياخطيب بلادكم ... تبقوا لنا طول الزمان توابع

قال الراوى فلما فرغ مفضل من كلامه التحم هو والخطيب ووقع بينهم الحرب والطعن والضرب وقد تقطعت فى ايديهم الرماح واختلف بينهم ضربات قتاله فكان السابق الخطيب ضرب مفضل بالحسام على هامه حط رأسه قدامه فلما رأت بنى هلال قاضيهم قتيل وفي دمه جدبل التحم الجيشين وزعق فوق رؤوسهم غراب البين واما بنو هلال فاخذوا مفضل قتيل من بعد ما راح منهم قوم كثير واما الزناتى فعاد فى غايه الافراح وزالت عنه الهموم والاتراح لكن بنته سعدا ماهان عليها بقتل مفضل وكان عند ابوها حكيم اسمه فتوح فاستدعته لعندها وقالت له بدى منك دوا يبري السقم من لسع الثعبان لان عندى جارية انقرصت فاجاب لها دوا يقطع أثار السم فاستدعت عبد من عبيدها وقالت له خذ هذا الخنجور اعطيه الى ابوزيد واياك تخلى احديدرى فيه ولك منى كلما تريد فاخذه العبد واعطاه الى ابوزيد ورجع فشرب منه ابوزيد شيء قليل فبرى لوقته وفى ساعة الحال دقت الطبول وزعقت الزمور وذهبت عن بنى هلال الهموم والكدور فسمع الزناتي وعرف ان ابوزيد قد طاب من لسع الثعبان فوقع في قلبه الخوف والارتعاب وقال باكر ينزل ابوزيد الينا من يبرز منكم فقال الخطيب انا له والى الف فارس من مثاله فبرز الخطيب الى الميدان وعرض و بان وطلب الفرسان فبرز اليه ابوزيد وأشار يقول

قال الفتى المسمى خطيب مطاوع ... ارميت قوم هلال فى حراني
وقت البقا طعن القنا بيناتنا ... والشوش عاكفة شبيه دياب
أين ابوزيد كنت مخبا ... من أمس ماشفناك ردجواب
والخيل تصهل بالمجاج كانها ... رعد تحدر من أعالى سحاب
وحريمكم تندب لفقد رجالها ... فوق الجنايا ماتريد نقاب

ولا لكم قرم عاد يبرز ... وقد خاف كل شيوخكم وشبابه
ماردها غير الامير مفضل ... قد جاء الينا مثل فرخ عقابه
وطعنته بسن رمحي طعنة ... سنها يلمع كبرق شهابه
وغدا مفضل من قناتي واقع ... وحريمه شقت عليه ثيابه
واليوم يا اوزيد تبقي مثله ... مرمى على وجه الوطا وتراب
رد ابوزيد الهلالي وقال له ... قولك مافيه خطيب صواب
تحقيق انك ياخطيب مقرقع ... وقمت بالاشراك والاطناب
مسكين عقلك مابقا لك ملجا ... انا سلامه قاهر الطلاب
كم قد قهرت من الفوارس بالوغا ... كل الملوك أنا لها قصاب
خضت وقائع بالطراد شديدة ... لم فارس مني غدا قلاب
انت قتلت الى مفضل بوقته ... هذه المنايا كلها أسباب
كيف الذي كاد القروم جميعها ... وادعى منازلهم تصير خراب
تحسب خطاب الحرب جيت تخطب ... تعلم الاولاد بالكتاب
قال ابوزيد الهلالي سلامه ... ايا مطاوع لاتكن هراب

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه التقي البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق على رؤوسهم غراب البين مقدار ساعتين قام ابوزيد بعزم الركاب وضرب الخطيب بالسيف على هامه حط رأسه قدامه فلما رأت قوم الزناتي ان مطاوع قتيل وفي دمه جديل ولواهار بين والى النجاة طالبين فلحقهم ابوزيد و بني هلال ودعوا منهم مقتلا تلول وجابوا خيلهم وعددهم وعادت بني هلال لعندحريمهم العز والاقبال وماهل الغرب توقع عليهم الذل فعندذلك ارسل الزناتي الاعلام الى سلاطين الشقور وكانوا سبعة سلاطين وكل سلطان يملك على مائة الف عنان وأرسل يقول لهم انه قد انا ناعساكر وعربان ومعهم مكاسب لايمكن يصفها لسان فبادر الآن لناخذهم بحد السيف والسنان فلما وصل الخبر اليهم جردوا عساكرهم بالحال ومشيوا من يومهم فتواردت أخبارهم الى بني هلال فقال ابوزيد على فيهم وحدي بعون الواحد القهار وأشار بهذا القصيد يقول

قال ابوزيد الهلالي سلامه ... اصغو لقولي ياجميع هلالي

طمعوا بنا الاعداجميعا واعتدوا ... وجاهدنا فيهم بحرب طال
قتلوا أجاويد الدريدى وعامر ... فرساننا راحوا بحد نصال
وانا كنت ملسوعا عن الحرب قاصر ... اقاسي وجع فى الضر والانكال
لما الفرج قدجاء من رافع السماء ... ذهبت عنى الاوجاع والاهوال
نزلت لميدان الزناتى أصادم ... من الصبح باكر قاصد الابطال
اسرع وبارزني الخطيب مطاوع ... فغدا مطوح فوق تل رمالى
وجبت فرسه خلف منى جنيبة ... والدمع منها على فراقه سال
ياقوم هموا ثم قوموا واركبوا ... مبتين الف ثابتة في الحال
نقصد ملوك الشقور نبيدهم ... قبل ان يضيقوا على هلال بحال
لابد ما أقهر جمع ملوكهم ... وننهم جميع جمالهم واموال
وانت ياحسن الهلالى ابو على ... هذا الزناتى جار في الاهوال
قرم عنيد فاحزر من حربه ... ولانولوا من القتال زلال
وان زحمكم ارسلوالى بلا بطا ... اجى وادمى للقتول تلال
ماقال ابوزيد الهلالي سلامه ... لى قلب يشبه صخرعا وجبال

قال الراوى فلما فرغ ابوزيد من كلامه دعوالله بنى هلال بطول العمر والبقا مع قومه بنى رحلان وأخذ أولاده معه مخبير وشيبان وأخذ معه من بنى رغبى القين عنان وساروا الي ملتقى الملوك ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى وصلوا الى وادى التمور وكمنوا للقوم في الليل ولما أصبح الصباح أقبلت عليهم الجيوش مثل الغمام فعندها التقت الفرسان وركب ابوزيد فى أولهم والتقى القومين فعندها صاح ابوزيد بصوت ومال فيهم على الميمنة وشيبان وباقي القوم على الميسرة حتى خلوا القتلى تلول والدم نهور وقتلوا السم ملوك وجيوشهم وكسبوا خيرلهم واسلابهم واجمعوا فيهم نساءهم فعندها لما ابوزيد عسكره ونزلوا ربطوا فى الوادى خرقا من غيرهم فهذا ماكان من ابوزيد ورفقاه وماجري لهم فيرجع الكلام الى الزناتى فلما بلغه الخبر دق طبله وبرز الى الميدان فبرز اليه زيدان بن غانم شيخ الشباب فقال له الزناتى من انت من الفرسان فقال انا الامير زيدان بن غانم وأشار يقول

يقول الفتى زيدان انا ابن غانم ... امرعب الابطال والفرسان

ولا اني غبي في المـلا ياخليفه ... ولا يلقي مثلي بذا الفرسان
ولكن علينا اعتديتم بحكمكم ... وفعلك بنا قد شاع في العربان
قتلت أجاويد لنا وقرومنا ... وراحوا منك في التراب دفان
قتلت لي خالي بدير القاضي ... واخوه مفضل قد غدا منهان
ولا رافعة الا يكون زعيمها ... وفعله معنى يازناتي بان
أخذته بالحيلة بيوم الغـاره ... غدرته بوقتها يا خوان
واما جيت الآن أخذ بثاره ... على فقد عامر صرت أنا وهمان
اتيت الى حـربي ولا تعزز ... في الوقت تبقى منطرح منهان
حالك سوي شيخ الشباب غريمك ... اسمع انا المعروف في زيدان
رد بن مهران الزناتي وقال له ... اسمع لقولي يافتى زيدان
انا يافتى ماجيتكم لبـلادكم ... ولا أرضكم قاصد ولا بلدان
جيتم بلادي تملكوها وارضنا ... مليتم فلاها السهل والوديان
وهذه ترى صعبة عليكم أخذها ... انا دونها كالسبع يازيدان
ومن قبلكم انتم قروم كثيرة ... هزمتهم بحد سيف يماني
ولا قط قابلت العـدا في ذله ... الا بضرب السيف والعيدان
وانت افتهم يا مير زيدان واعلم ... انا خليفـة راجح الميزان

فلما فرغ الزناتي من كلامه وقع بينهم الحرب الشديد حتى ذاقوا الجهد الى آخر النهار حتى دقت طبول الانفصال وثاني يوم وثالث يوم وكذلك فجاد الامير زيدان بالطراد فولى الزناتي هارب وزيدان وراه طالب الى باب المدينه فقفلوا الابواب في وجه زيدان وكانت خطيبة زيدان معه وهي بنت عمه واسمها ضيا فلما زاحمت القومين جفل هودجها رماها فاخذوها قوم الزناتي ولما رجعوا من الحرب امر الزناتي ان تحضر ضيا الى عنده وامر سعد ان تبقي ضيا عندها وتحفظها وأشار يقوله وعمر السامعين يطول

يقول بن مهران الزناتي بلا خفا ... اماني المدامع قرح الجفن لونها
على ماجرى بيني وبين اهل عامر ... فرسانها لو قاتلوا في جنونها
كل يوم أدل أمير وأكيـده ... واقول ماعاد أحد يصونها

يصبح يكلونى أمير وثانى ... وزادوا علينا واكثروا فى فنونها
جانى الفتى زيدان من صبح باكر ... ضربا ته بالدرع اروت سنونها
زيدان يشبه الى ابوز يد بالوغا ... وطعناته تلك التى تعرفونها
ولا نظرت مثله فى هلال وعامر ... يشابه لفرخ الباز عند شبونها
تلقاه بحر السرج يقلب على الوطا ... يبقي يشابه للذى يحسبوا بها
يرجع لبحر السرج كانه حمامه ... مبرقعة ما بان منها عيونها
ولى ثلاث ايام اقاسي حربه ... من الصبح حتى الشمس يصفر لونها
ضربنى ضربة من يمين صميدع ... قطع زرد درعى بطعن سنونها
انطرحت في قصري على حالة الردى ... وسعدا نرش الدمع سود جفونها
ياسعدا ردى ضيا لابن عمها ... لزيدان يصلح قدها وعيونها
ولولا سحبت السيف ماشفت وجهها ... ولاشفت منها غير - ود عيونها
ماقال ابوسعدا الزناتى خليفه ... ياما تقاسى من هموم غبونها

قال الراوى فلما فرغ الزناتى من كلامه و بنته سعدا تسمع نظامه فحلا ارسلت ضيا لابن عمها واوصلها لعند أهلها واما الزناتى فقال الى قومه جاو بوكيف رأيكم يافرسان من منكم يلقى طراد زيدان وكان للزناتى بن أخت يسمى مطاوع فقال ياخال انا على فيه فقال الزناتى من انت من رجاله ولا نقدر تلقاه فى مجاله فقال صدقت ياخال ولكن دعنى اعمل مابدا لى فاخذ مطاوع أناس وحفر ثلاث حفائر وغطاها حتى لاتعرف ومن الغد دق الزناتى طبله و برز الى الميدان فخرج اليه زيدان فالتطم الاثنين كانهم أسدين كاسرين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤوسها غراب البين فاراد زيدان ان يضرب الزناتى بالرمح فولى الزناتى من قدامه وهرب الى نحو الحفائر ففار وراه زيدان فوقع فى الحفيرة هو والحصان فرجع له مطاوع وهو في الحفيرة ضربه على هامه أرمار أسه قدامه وأرسل رأسه صفة من روس الاماره على سور تونس فاشتبك القومين واطبقوا على بعضهم الفريقين حتى ولى النهار ودقت طبول الانفصال فرجع الفريقين وباتوا الى الصباح وثانى يوم برز الزناتى الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه بدر ابن غانم أخو زيدان فالتحموا في الحرب أى التحام وصار بينهم ضرب شديد يقطع الزرد النضيد الى

نصف النهار فوقع أيما بينهم ضربتين قاطعتين وكان السابق في الضربة الامير بدر ضرب الزناتي بالرمح فخلا منه وثنى عليه بالسيف فاخذها بدرقة البولاد وثاث عليه بالدبوس فخلا منه ببراعته وكثرة شطارته فاعتدل الزناتي على ظهر الحصان وضرب بدر بالسيف فقطع رأسه وارسله الى تونس فوضعوه بجانب رأس اخوه زيدان وكان لبدر ولدين واحد اسمه عقل والثاني نصر وكانوا افرس أهل زمانهم وأجمل أهل عصرهم واذاهم فقال عقل لابدان أبرز الى الزناتي وكانت أم الاود أخت الامير حسن وأسمها هولا فسمعت عقل يقول هذا الكلام فمزقت الدنيا في وجهها وفزعت عليه من الزناتي لانه أولا بطل مغوار وثانيا متى انقلب يدبر حيلة في قتل من نازله فابتدت هولا عن حرب الزناتي وتقول

تقول فتاة الحي هولا الحزينة ... ودمعي جرى من مقلتي سخين
جسمي انضنى من لوعة البين والنيا ... ولي من جور الزمان حزين
أياعقل ارجع عن مقالك واهتدي ... واصغى الى قولي وكن فطين
أنا خائفة عليك يا بني من العدا ... تعمي عيوني من البكا ونين
انت صغير السن ماذقت لوعة ... وأما الزناتي في الحروب متين
له سطوة في الحرب ماشفت مثلها ... كم فارس قد راح منه طعين
خليفة تري صعب المراس مجرب ... وما أحد له يوم الحروب مهين
ما أنت يا ولدي أراك قبالة ... بينك و بينه يافتي خمسين
أما ابوك غدا وراح بيومه ... انا خائفة افقد اثنين بجين
بالله عليك ياعقل رد كلامك ... وقلبي بقى من ذا الكلام حزين
ماقالت فتاة الحي هولا الحزينة ... قلبي انقطع من علة وعنين
رد الفتي عقل الذى ماعاج به ... لو قلب من فقد الزمان طعين
طعين من فعل الزناتي خليفة ... قتل والدي وزيدان عمي دفين
ياأمي أنا بالحرب باكر أكرله ... بسوق المنايا ما أحد لي يعين
مهما قضى الله على العبد صابه ... وعمر الفتى يا اماه حصن متين
غدا ينظر الزناتي فعل بن هولا ... اذا مابقى للصافنات غبين
وتبقى الصبايا بالمطاف دوالع ... فوارع جوالس كالبدور رضمين

ويزغرطوا قد هاج عقل على العدا ... وعقل بصوت الغانيات دهين
وشورك أنا يا امي ما أريده ... شور المذلة للرجال يهين
فلا بد عن قتل الزناتي خليفة ... بقول حقيق وأكدى بيقين

قال الراوى فلما فرغ عقل من كلامه رأت أمه بان كلامها معه لا يفيد راحت عند أخوها ووقعت عليه فركب حسن واتى لعند عقل وأشار ينهيه عن حرب الزناتى ويقول

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على ... ياعقل اسمع لى وكن عروف
ما ترك كلامك يا بن اختي واهتدى ... خليفة ترى صعب المراس جنوف
قتل من ابطالة الدريدى وعامر ... أبضا وزغبى حالهم متلوف
ولا عاد له ياعقل فينا مقاتل ... ولو كنا مائتين الف ألوف
يتم لنا أطفالنا فى محلنا ... ويبكوا عليهم بالدموع ردوف
فى سوي عمك دياب بن غانم ... ونحن عجزنا وحالنا متلوف
فكيف ياولدى انت تقابله ... ونلقي لضربات القنا وسيوف
لا تقرب النيران توقع بوسطها ... فاقصر عن قولك وكن عروف
فانت صغير السن لا ينسخى عليك ... ترى الزناتى ديب وانت خروف
فاعقل الا ياعقل يكفى تمادد ... أمك لاجلك عقلها مخطوف
رد الفتى عقل بن هولا وقال له ... لا بد ياخالى غدا ما نشوف
اقحم كراديس المنايا بهمتي ... وسيفى وزبانات العيون تشوف
هناك برد الخيل عقل وينثنى ... وكم فارس مني غدا محزوف
أنا ياخال ما أريد الا معاركة ... يوم الوقائع ما أريد وقوف
وانت تقول ياخالى قوم وارتجع ... وكن عن حرب الزناتي مخوف
وشورك لى ياخالى ما أريده ... أنا أخاف قدرى يرتجع مخسوف
أكون بدر الخيل ابى على نقا ... وانت خالى ياحسن معروف
يصبح بن اختك ذليل من اللقا ... ويغدى قدرى منخفض مخسوف
فلا أرتضى ان اكون هزيلة ... لو كنت اغدى بالسيوف نتوف
وغدا لا بد ان اخذ الثار منهم ... واتى الى حرب العدا وتشوف

فلما فرغ عقل من كلامه علم حسن انه ماله خلاص قال له الله ينصرك عليه فلما اصبح الصباح ابس عقل بن هولا آلة الحرب والكفاح وركبت العاريات والعات قارعات ينخوه على الحرب والثبات وصار عقل فى الميدان وعرض ربان وطلب مبارزة الفرسان فبرز للزناتي خليفة وقال له من أنت فقال الزناتى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم نقتل كبارهم يجوني صغارهم فصار عقل يهدد على الزناتى بهذا القصيدو يقول

قال الفتى عقل بن هولا صادق ... لي عزم أقوى من متين جباله
انى انا بالحروب مجرب ... منسوب من زغبي رقوم هلال
بدر ابى اسم جدى غانم ... أما الفتى حسن الدريدي خال
عمى دياب الفارس المتغطرس ... سبع الفلا حامى لظعن هلال
اسمع كلامى يازناتي وافتهم ... انى أصيل من فروع طوال
جيتك لاخذ الثار منك عاجل ... ايضا لثار عمومتى وخوال
زيدان عمى كان خيال الوغى ... غدرته وأدعيته على الرمال
ابوى قتلته بعد عمي بالوغى ... ومات فينا ميمنة وشمال
وهفيت منا كل قرم غشمشم ... ويتمت من بعد الرجال اطفال
وقد جيت اليوم أخذ ثارهم ... وادعيك مقتولا بغير محال
عقل اسمي قط مافى غبي ... اليوم تنظر همتي وفعال
رد بن مهران الزناتى وقال له ... انا مريع الخيل فى يوم النزال
ياعقل راح العقل منك شارد ... انت صغير السن مالك حال
زيدان عمك كان أكبر منك ... قرم مجرب قاهر الابطال
وابيك من بعد قتلته في الوغا ... أذقته كاس المنية مال
كذا الخفاجي راح منله بالوغا ... قد ذاقني يا عقل كل هوال
طع لشوري وردلاهلك عاجل ... وحط عقلك ياصبي بالبال
وان كان ماترجع دهيتك طعنة ... تروح منا تحت تل رمال
أنا الزناتى بالحروب مجرب ... ماشبيهي بالوغى ومثال

قال الراوى فلما فرغ الزناتى من كلامه فالتطما الاثنين كانهم جبلين أو أسدين

زائرين حتى حمل وحمى عليهم الزرد فعرف الزناتي عقل انه فارس لا يطاق وامر العلقم ومن صغر سنه خبير بطعن السنان وضرب اليمان وصار يا الزينات ينخوا الوحى ياحامى الزينات وعقل قد زاد حربه وأشبع الزناتى من ضربه وحمى الميدان بفعله لا زالوا في قتال وجدال لحين الشمس مالت الزوال فدق طبول الانفصال ولما أصبح الصباح ركبوا القومين والتحموا الفريقين فبرزوا الى الميدان وصاح على رؤوسهم غراب البين وأما الزناتى كل ولد وضعف فواه وانحل فالوى عنان جواده وولى هارب الى النجاه طالب متبعه عقل واطلق له من بحر اراق وقلب مشتاق ولحقته الطعنة للجواد وأما الزناتى على الارض فادركوه قومه وخلصوه فانحدف عليهم عقل وبنى هلال وعظم الحرب والاهوال ولم يزالوا بالقتال حتى ولى النهار لزوال واقبل الليل بالانسدال فدقت طبول الانفصال فعاد الزناتى مرهوج ومن حرب عقل مزعوج وصار يوحى فرسان قومه على قتل عقل ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو سعدا الزناتي خليفه ... ونيران قلبه زايدات ضرام
حرب الاعادى طال على مجاله ... وكل نهار طال فيه قتام
أيا حبتى واهل الحشيمة فاسمعو ... وكونوا يا كرام فهام
ومن منكم ينزل الى عقل بقهره ... ويدعيه فى وسط اللحود ينام
أعطيه تونس ثم تورس وأرضها ... وأعطيه بصره ملكه وازام
واعطيه سعدا ان تكون حليلة ... ويكون عندي فى أعز مقام
ويشتفى متى الفؤاد بقتله ... يا للحشيمة يا ملوك يا كرام
هذا مقاله الزناتى خليفة ... حزنى من كيد العدي سجام

قال الراوى فلما فرغ الزناتي من كلامه رقومه يسمعون نظامه قام بن أخته مطاوع وقال يا خال أنا له ان كان ماقتلته فى حومة الوغى وأجيب سابقه يحرم على نقل الرمح عادمه سالم ويحرم على الفرح والعز والهنا ويحرم على انشر فوق راسى أعلام فقال الزناتي الله يعينك عليه ولما أصبح الصباح ركب مطاوع جواده واعتدل فى عدته وجلاده، ودقت طبول بنى هلال وركبوا الخيول الاصال وركب عقل اولهم وهو ينادى اليوم لا كل اليوم فلما شافوه الزناتيه ولوا هاربين والى النجاة طالبين وفي اولهم مطاوع فقال له الزناتى لماذا انهزمت يابن اختى فقال انهزمت

قومنا وماضل احد قاما عقل وصل تحت سور تونس فطلت بنت الزناتي الثانية وكان اسمها بسما فنظرت الى عقل وقع هواه في قلبها وملك فؤادها وانشدت تقول

تقول فتاة الحي بسما التي شكت ... ونار الهوى لوع ضميري لهيبها
وحبك بقلبي عقل اضنى لحالتي ... فانت من روحي وانت عديلها
خليفة لم اولاد مذكور كلهم ... بني مذكور كبيرهم مع صغيرها
وقال لهم ياعزوة الجود والسخا ... رعونا العدا في حرب زائد نكيدها
فمن منكم يبرز الى عقل بالوغا ... ويسقيه من كاس المنايا عليلها
فنهض مطاوع وقال يا خال انا له ... واسقيه كاس الموت طافح بذيلها
وبقوا على هذا الشور يا بن هولا ... وان خليفة لروحك لازم يشيلها
وانا علمتك يا عقل شفقا عليك ... لانك صغير الوقائع جهلها
وانا ارى يافتى رد لاهلك ... وخلي البلايا كثيرها مع قليلها
وهذا الخبر يا عقل اصحى وافتهم ... وحبك زاد الروع بي غليلها
فقالت فتاة الحي بنت خليفة ... بسما اشتهت ان عقل يكون حليلها

قال الراوي فلما فرغت الست بسما من كلامها فاشار الامير عقل يقول وعمر السامعين بطول

يقول الفتى عقل بن هولا المتيم ... جرح الهوى خلا الفراد نحيل
جرحني الهوى يا بسما على صبا ... ولا يلتقي لي بالغرام خليل
وقد عدت يا بسما من الوجه هائم ... ركبت الهوى عسفا بغير دليل
وانا ما احب الاهوى كل كاعبة ... بنات الامارة للعقول تزيل
أحب طراد الخيل والحرب واللقا ... اذا اصطلت نار الحروب شعيل
اخوض غبار الخيل داري عقيدها ... ويرمق لحوى كل طوف كحيل
أيا بسما قلي كلامك واقصري ... أنا عقل مالي بالشباب هزيل
لاتحسبي اني اخاف من العدا ... ولا أنا من حروب الرجال جفيل
سايل عني يا مليحه قرومك ... ينسبونك عني والقروم تميل
أبوك غدا مهزوم مني فاختشي ... وقد ذاق من حربي بلا تكليل
وراح ربن حشم اخته مطاوع ... ويريد قتلي بالطراد عجيل

فلو جاب لي بسما الف مطاوع لادعيه من فوق الوطا قتيل
وانت تشوفي ياملايحه فعائلي و بيض العذارا بالعطاف تميل
و بابسما ودى الامير مطاوع فاليوم يوم الحرب والتنكيل
وهذا كلامي ياملايحة فاسمعي ولاتنكثري لى الفال ثم القيل

قال الراوى فلما فرغ عقل من كلامه و بسما نسمع نظامه فعاد عقل لعند العاريات وعقل نوقهم وقال رد نهافلما شافه مطاوع عقل نوق العاريات فبرز الى الميدان واشار بيده على عقل و يقول وعمر السامعين يطول

جاك مطاوع من بطيق حروبه مضرم الفرسان في نار الحريق
جانونا قوم الهلال ذاقونا البلا قاسي من اجلهم دايم حميق
قتلنا منهم كل قرم غشمشم بسيوفنا راحوا منا محيق
ماعاد غير أولادهم يطلبونا ثاراتهم يريدوها منا حقيق
ان كان الابطال ما كادونا كيف الذى بالحرب مايعرف طريق
أنا مطاوع للعدا كايد حقيق بيوم المعامع انسى بحر عميق
اين يغدي عقل من طعانا قالون انه بالوغا شب وثيق
انت صغير السن ماذقت الوغا ولد جاهل تسمي مانك عتيق
انا قتلت قرومكم راحوا هفا ما منهم فارس الى حربي يطيق
شيخ الشباب قتلته راح مقطع وانت من بعده تكون لحيق
اليوم يومك يابن هولا واكد وتشوف مني ياولد عظم مضيق
هذه مقالات الامير مطاوع ماينفعك اليوم خل ولا صديق
رد الفتى عقل المسمى وقال له يامطاوع مابقي لك من صديق
انا الفتى عقل بن هولا المتيم مفرج الشداة في وقت المضيق
انا بن بدر الخيل خليفة غانم عمي دياب الفارس الزغبي حقيق
اما حسن خالي الامير ابو على سلطان قيس واسمه على حقيق
ايا مطاوع لاتجد روحك انى انا باللقا نابت وثيق
اسايل خليفه يوم عارك حربنا راح مني هارب ودمعه دفيق
ما اظن انك انت اقوى منه ذاك فائق وانت نائم ما فيق

ابشر بقطع الرأس مني عاجل اليوم على سيفي اما تفدى محبق
ما عاد فيها يامطاوع عفة لى عندكم ثارات سابقها عتيق
حيث ما استوفيتها من دون خفا ماعاد غير الطعن والسيف البريق

قال الراوي فلما فرغ عقل من كلامه سحبوا الحسام وانعقد الغبار والقتام حتى سد منافس الاقطار وهم فى حرب وصدام وافتراق والتحام وتحريع الموت الزوام قدحت حوافر خيلهم نار وطار من سلاحهم الشرار فيا لها من اسدين درغامين وبحرين متلاطمين اما مطاوع فراى قدامه فارس كرار واسد مغوار وشاف من عقل حرب حير عقول الاطفال فعول على الحرب والفرار فاشتاق عليه الزمان فغار على عقل والثاني راح الى عند مطاوع والثالث قدامه وحط وعقل بن هولا مواسطه نالفت عقل وضرب واحدا منهم ارماه وغار على الذى قدامه فلا زالوا الجميع من قدامه مارين فنزل عقل عن جواده وعقل نوق العماريات واشار يقول

يقول عقل الشجيع الفارس عقلون جمالكم ياذا البنات
عقلوها وانظروا لفعائلى وانتم من خافى والعات
ولا تخافوا من مصادمة العدى كل من قرب اليكم ذاك مات
هل اليوم يوم لاريد حلافه انا سياج البيض عز المحصنات
جبار موت القوم فى سوق اللقا اذا بقت طعناتهم متخالفات
يموت الفتى فى عزة يكتب الثنا ان المضرة فى ضهور الصافنات
لا عاش من هو بالرجال مزرق مصفصفا غاوي بابس الفاخرات
ما يرى في الحرب يوم مجالها يهرب ولا يخشى حديث المعيرات
انا ابن بدر الخيل ما في غبا خالى حسن عز الملاح المفتنات
عمى الفتى زغبى دياب الماجد حامى الزينات عز المحصنات
ياجازية فعقلوا جمالكم وانظروا عقل بن هولا يابنات
هذا مقال بن هولا صادق كونوا لقولى ياعذارا فاهمات

قال الراوى فلما فرغ عقل من كلامه والبنات يسمعون نظامه فاشارت الجازية ام محمد تقول

قالت الجازية ياعقل اسمع واصغى الى قولى وكن خبير

انت صغير السن ماذقت لوعة ... ولا بمعرك ماخضت بحر كبير
ياعقل لاتجهل ولايغريك الطمع ... خليفة تراه فارس وذو تدبير
تريد تعقل النوق بجهلك ... بهذه المعامع ليس شور خبير
اخاف تعقلهم فياتوك العدى ... يدعوك تبقى بالرمال دمير
ويسبون بنات البدو امنك غصيبة ... ويبقى عليك العار والتدمير
من قال انا دوم الدهر غالب ... هذاك عقله ناقصا وحقير
يوم به نصر ويوم مذلة ... والدهر دولاب يضل بدير
وتحذر ياعقل من ذا الثلاثة ... والرابع المذكور راح غفير
منهم فارس لابس توب احمر ... هذا خليفة مابه تنكير
واحذر منه كم قتل من فارس ... وكم ذل منه بالطراد امير
قد وصفت الكل لك يابن هولا ... وانى نصحتك نصح راى مشير

قال الراوى لما فرغت الجازية من كلامها وعقل يسمع نظامها فا قبل بل عقل النوق وقال انا دونكم وغار على قوم الزناتى وكل فارس وقع امامه زوره المقابر والبلا فنزل اليه الزناتى ومطاوع والعلام وعلام بن نجدة اثنين من قدام واثنين من وراه وغدره مطاوع بطعنة في قفاه ارماه فقال الزناتي خذوه حى فتزاحمت عليه الرجال حتى جرى الدم وسال فراح جسم عقل تحت نعال الخيل ما بان له اثار وانكسرت بنى هلال ودقوا طبول الانفصال فرجعوا القومين الى الاطلال وكان لى عقل اخ يسمى نصر فقال غدا انزل الى الميدان اخذ ثاري من هؤلاء الاعداء الغدارين فلما سمعت امه هولا بكت بكاء شديدا وتحسرت على عقل واشارت تقول

مقالات فتا الحى هولا الحزينة ... وفى القلب نيران تزيد لهاب
وحزن عقل الخيل اضنى لحالتي ... فتى من جميع العالمين يهاب
فتى خليفة الاجواد قرم مجرب ... له فعل بالهيجا كسبع الغاب
غدره مطاوع والزناتي خليفة ... وخلاد موعى جاريات سكاب
فيانصر انظر اخوك بن والدك ... هفوه العدا تحت نعال وتراب
فراح المسمى قتيل مطاوع ... ابى الردي من امس فيناعاب
اريد له يانصر تاخذ لثاره ... وتزيل عنى العار ياحباب

اريد بانصر تقتل مطاوع وتدعى دمه على الوطا سكاب
الزم تجيب شهبة مطاوع جنيبه يحكون فى عرضك كلام عتاب
ولا يكون خالك الهلالى ابوعلى ولا عمك المسمى امير دياب
ولا اخوك عقل ولا بدر والدك ولا يصح لك من البيض رشف رضاب
ياولدى ان الفتى عز الثنا ولا يرتضى بالذل عرضه ساب

قال الراوى فلما فرغت هولا من كلامها والامارة وولدها نصر يسمعوا كلامها اشار يقول

يقول الذى قدفتت الحزن قلبه يا ام لاتبدي على عتاب
فلا تحسبي انى اخاف من العدا انا نصر اقاهر الطلاب
فان كان اخي قدراح راح ببومه وليس الاجل يبعد ولا يعتاب
وموت الفتى بعزه مثل عرسه اذاقام سوق الصافنات طلاب
وان لم اجب شهبة مطاوع جنيبتى فلست عز البيض بوم حراب
وان كنت لم اخذ بثار بن والدى اكون ردى الاصل والانساب
غدا تنظرى شهبة مطاوع جنيبتى ودماه من فوق التراب سكاب
ولا بدعن قتل الزناتى خليفه بثار شيخ ابطالها وشباب
انا نصر الزغبي الاصل مافى غبا ابوعلى خالى وعمى دياب

قال الراوى فلما فرغ نصر من كلامه قد طيب خاطر امه وثانى الايام برز نصر الى الميدان ونادي باعلى الصوت وقال ابرزوا يا ابطال فبرز اليه الزناتى وقد ظن انه عقل ما كان يعرف احدهما من الاخر فقال الزناتى لقد عاش عقل ورجع للحياة عاد يوكد فيه نصر يهد عليه ويقول

جاك هولا ونصر قرم ثابت يقتل مطاوع والامير زناتي
موجوع من غدراتكم وفعالكم وقد جعلتم نار فى أحشادي
ايا ابن مهران عمرك قد نرغ بصارمى المنقول ثم قناتى
انت قتلت ابي وعمى قبله واسقيتهم صرف المنيا كاساتى
وبعد ذلك قد غدرتم عزمنا عقل بن هولا فارس الثبات
حرقت قلبي والفؤاد مهجتى وحرمت عيني النوم اليها ياتى

فكيف انسى عقل واخذ ثاره ... واليوم كلكم تصبوا موات
يا امير ارسل لى مطاوع بالعجل ... لكى اقتله واكتسب السمعات
قال الفتى نصر بن هولا صادق ... نيران قلبى زايدات لهبات
رد بن مهران الزناتى وقال له ... يا نصر جاك الموت والشدات
كم فتى قبلك وابوك بعده ... من راس رمحى بجملة الاموات
عمك غدا قبلك وابوك بعده ... واخوك عقل راح من حملاتى
تحت الحوافر مابان له خبر ... ما انحطفى كفن ولا حفراتى
واليوم أنت تروح مثله هالك ... وتذوق منى أوشم الموتات
ما جاء بكم الا نصيبى منكم ... أرزاقكم والبوش انحوا بياتى
قال الزناتى من فؤاد معظم ... ياما تركت جيوش راحو الشتاتى

فلما فرغ الزناتى من كلامه صدمه الامير نصر صدمة جبار لا يهاب فالتقاه بقلبه قوى من الصران والتطموا البطلين كانهم جبلين واختلف بينهم ضربتين قاطعتين كان السابق نصر للزناتى بالسيف فالتقاه بالدرقة فشطح السيف على رقبة الجواد براها كما يبرى الكاتب القلم فوقع الزناتى على الارض فادركوه قومه في جواد واركبوه ومالت الكواكب وهاجت الكتائب وما اديعرف العدو من الصاحب وكان يوم مذكور كانه يوم النصر المنظور وبقى السيف القرضاب يعمل على الرقاب حتى ولت الشمس الى الغياب فدق واطبول الانفصال وباتو الفريقين يتحادثون الى الصباح فركب نصر وبرز الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه مطاوع فانشد نصر يهدد عليه ويقول

قال الفتى نصر بن هولا صادق ... اليوم جيتك يا أمير مطاوع
قتلت عقل الخيل غدر ايا ردى ... ودعيت رمحك من بدنه طالع
أحرقت قلب امى عليه ياردى ... عادت تنوح وتسكب المدامع
اليوم بومك فيك أخذ ثاره ... ماعدت انت الى اولادك راجع
اليوم أخذ ثار ابى وعمي ... وثار عقل منك يامطاوع
أتيت لحربى لا تكون مقرنع ... ان كنت ما بين الامارة شايع

لاسمع الاسباط فى حربك تزي وادى حسامى هام رأسك قاطع
اليوم يوم الفارس المغطرس فلا تكون في القتال مخادع
هذه مقالتى فاسمع يا ردى يامغربى يابن كلب جايع

قال الراوى فلما انتهى نصر من كلامه ومطاوع يسمع نظامه فاشار يرد عليه ويقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى المسمى أمير مطاوع النار فى قلبى تزيد لدايع
يانصر روح بين الاولاد العب انت ماتقدر الى تسارع
أخوك عقل كان أفرس منك على الوطا غدا قتيل ينازع
اليوم انت جيت تاخذ ثاره روح الى أهلك وكن منى سامع
ان كان ماترجع جيتك بضربه تروح ميت من حسامه واقع

فلما انتهى مطاوع من كلامه انطبقوا بالحرب الشديد حتى حمى الوردالنضيد فاختلف بينهم ضربتين وكان نصر السابق فوقع رمحه فى صدر مطاوع فاطلع السنان يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيل وفى دمه جديل فعندها غارت قوم الزناتى وحملت أيضا فرسان بنى هلال وزادت المصائب والاهوال والتحموا الفريقين فى المجال وصار الزناتى وفرسانه يحاولوا نصر وأمر الزناتي أناس تهانله واناس تحفر له حفاير وما زالوا بالحرب والصدام حتى وقع نصر فى الحفيرة ففار عليه الزناتي وضربه بالسيف على هامه حط رأسه قدامه فاخذوه وامران يحطوه على صورة تونس جنب راس عقل فغارت القومين وتزاحمت الفريقين وزعق فوق رؤسهم غراب البين ولم يزالوا فى القتال حتى ولى النهار وزال واقبل الليل بالانسدال رجعوا عن الحرب والصدام واخذوا نصر يدفنوه بجانب ابيه والحق بعمه واخيه واما امه واخته قصواشعورهم وقامو احزانهم واشارت امه تقول

تقول فتاة الحى هولا الحزينة بدمع جرى فوق الخدود بنار
على ماجرى فينا رماقد اصابنا والفكر ثم العقل منى طار
على عقل عقلى راح من مستقره وبا نصر مالى بعدكم انصار
ونزلت دموعي كالهور الجارية وجانى البلا قاصدا لربع الدار
فيا دمعى جودى واجري صبابة على اخوين كانوا كلاقمار

فلوان نهر النيل بالقلب يجرى ... وسيحون مع جيحون والابحار
ونهر الفرات ودجله والشط كلها ... وعاصى وحما وكل نهر دار
على نار قلبي ليس يطفى لهيبها ... وتزيد فيه حرقة وشرار
على شان عقل ونصر اثنان جملة ... كانهم قلبي مع الابصار
ولا عاد لى حيل ولا قوى ... تجرعت صبر حنظل المرار
ايا ليتنى قدمت قبل فراقهم ... ورحت انا تحت التراب وحجار
مين بعدكم صان العذارى من العدي ... ويزيل عنا الضيم والاضرار
يا ابنتى قومى اندبى طول عمرك ... على اخوتك كانوا حماة الدار
فيا طول حزنى كلما دست بالحيا ... ان جاء دياب الحي وسط الدار
ينادون عقل ونصر اولاد ولادك ... يزيدوا علينا الحزن والاضرار
فهاتى وجودى يا دموعى واسكبي ... ويا حيف اعمار الجياد قصار
فنوحوا على هولا وماجرى لها ... فان عيون مثل كى النار

قال الراوى فلما فرغت هولا من كلامها اشارت بنتها فتنة تقول وعمر السامعين يطل

قالت فتنة بدمع جرى اسجامى ... يجرى على الخد شبيه السيل طفاحى
ابكى على دارنا قد اصبحت قفرا ... فيها طيور النيا والبوم صياحي
كنى اجاريدها من اظن تلقهم ... والدار من بعدهم زادتها انواحى
كنا بخير وعز قبل فرقتهم ... وفارحين برغد ثم افراحى
ودوم عقل الى الخطار يكرمهم ... للسيف والضيف موقف دوم دباحى
ونصر مثله ولاعب بخالطهم ... هم غطاريف عدات الحرب وكفاحي

فلما فرغت فتنة من كلامها قاوموها الناس هي وامها عن القبور فقال غانم انا من بعد اولادي لا اريد حياة ومرادى انزل للزناتى واحاربه اما اقتله واخذ الثار واما يقتلنى واستريح من الاحزان وكان غانم صار اختبار فبرز الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اولا الزناتى قدامه فاشار غانم يتهدد الزناتي ويقول

يقول الفتي على ماجرى له ... بدمع جرى فوق الخدود دوغار
الا يا زناتى استمع شرح قصتي ... وكون لحربي نارسا هدار

اتاك غانم يازناتى خليفة ... يشبه الى ليث ارغا امهار
قتلت اولادى يازناتي كلهم ... واولادهم اثنان كالاقمار
وتسعين اميرا ياخليفة قتلتهم ... وقمنا عزاهم ليل ثم نهار
وجيت انا اليوم اخذ بثارهم ... فما يغلب الا زايد الاعمار
انا فارس الفرسان ابو دياب بالوغا ... اليوم انا اخذ منك الثار
قال الفتي المسمي بفعله غانم ... حمل البعير ماهو كحمل حمار

قال الراوى فلما فرغ غانم اشار الزناتى يقول

قال الزناتى بن مهران صادق ... ولى قلب اصلب من حجر صوان
انتم علينا يا امير اعتديتم ... زرتم بلادى واخربتم البلدان
قتلت اولادك راحوا بذاتهم ... بدر الفتى المسمى اخو زيدان
واولادهم بزر يريد واقتالنا ... عقل واخوه زينة الشبان
قاتلهم راحوا بغاض الثرى ... وصفيت راس الكل على الحيطان
تسعين اميرا صار راس رؤوسهم عندى ... ورملت من بعدهم ترى النسوان
ماعاد الا انت يا مير جيتنا ... فانت شايب بالكبر وزمان
فروح يامسكين ماقل عقلك ... مايلتقى حربى سوا المردان
فارج روح صلى واعبد ربك ... واخترم لهم في صورة الرحمن
انا ما قتلك وحط خطاك برقبتى ... قتلك تراه ضد ثم عدوان

قال الراوى فلما فرغ الزناتى من كلامه فالتقوا البطلين كانهم جبلين ولم يزالوا فى قتال وجدال الى ان اشمس ولت بالارتحال فدقت طبول الانفصال فرجعوا عن الحرب والكفاح ولم يزالوا على ذلك مدة شهر على التمام وبعد ذلك كل الامير غالم وما عاد له عزم على الحرب ومن غيره فما عاد احد ينزل الى الزناتى فضرب الزناتي ديوان وقال لقومه ماعندكم من الراى نتقدم بن عمه العلام واشار يقول

(انتهي الجزء السابع عشر ويليه الجزء الثامن عشر)

الجزء الثامن عشر من تغريبة بنى هلال

وهو يحتوى على ديوان مكحول وابوخريبه اخوة الزناتي خليفة وماجرى لهم مع دياب من الحروب والاهوال التى تشيب رؤوس الاطفال

يقول الفتى الملام ولد غضية ... اوصيك انت عارف ثم فاهم
اوصيك لاتامن زمانك ولوصفا ... وافعل فعال الخير مادمت سالم
ولاتامن من الدنيا الغرورة ولوصفت ... ورجل يعاندها تخليه نادم
وتمضى ليالى الطيبات بطيبها ... وتعرض ليال مظلمات قتائم
ماذا لك يادنيا ومن يقتنى بك ... تخليه فوق الارض غرقان عائم
تفكرت أنا فى حالنا وماجري لنا ... وشفت أمورا مزعجات همائم
أيا نار قلبى كم يزيد لهيبها ... يزيد شعيلها فى فؤادى ضرائم
على أيام ابوسعدا الزناتى خليفة ... زمن اجتماع الشمل كنا ملايم
فلانعرف الشدة ولانعرف الرخا ... وكنا فى نعمة والخير دائم
ولا الليالى قد سعت بفراقنا ... وطير النيا فوق الديار حايم
يوم اتى ضعن الهلالى ابوعلى ... بار بع كرات الوف بلغوا العمائم
تسعين الفا للهلالى سلامه ... وتسعين للزغبى دياب بن غانم
وتسعين الفا الى بدير ابن فايد ... وتسعين الى ابوعلى بالسعد دايم
تسعين الف توابع وقدم ... يراعوا جميع البوش ركل الفنايم
يدل بهم ابوزيد فى ارض تونس ... وفيهم أمارة كالجبال الصدايم
بهم كل قرم ينطح الف وحده ... أجاويد شجعان بوقت اللزايم
صبرنا لهم قلنا يقوموا يرحلوا ... وهم اتوا قد طالبين الغنايم
زحفوا علينا كالجراد اذا زحف ... وتلاحت نار البلا بالسمايم
أول نهار لاعلينا ولا لنا ... وثاني نهار كم تقطع جماجم
وثالث نهار كان يوم عرمرم ... ورابع نهار بقى علينا ملازم
وخامس نهار الشمس مابان ضوها ... وعاد السواد شبه ليل الظلائم
والسادس احمرت الارض بالدما ... تدوس الخيل على الجثث الجماجم

وسابع نهار عقد لينا غبارها ... وما خاضه الا القوي الغرايم
وثامن نهار خاضت الخيل بالدما ... وعاد عجاج الخيل وقت الظلايم
وقالت عز برزه يازناتي خليفة ... أنا حلمت حلما ماحلم فيه نائم
رأيت منامانى قد رأيت ... سهرت وغيري خالي البال نائم
رأيت طيور الشرق اتوا لبلادنا ... طردوا طيور الغرب ولوا هزايم
وفيهم طير مثل برج مشهر ... ومن فوقه قوم قوى المزائم
دخل قرار البيت وارمى عموده ... قمت ضربت الرمل بان له علايم
فذاك العمود انت هو بلا خفا ... والطير هي خضرة دياب بن غانم
فقم ياخليفة شد واركب ... على سابق أشقر من العتب سالم
واطلق عليهم غارة أي غارة ... وقل ارفعوا ياعرب للزمايم
انا لا اشبع للعربان والنوم والرخم ... بضرب مايرشيه سلك الملايم
قالت بنات هلال اين سلامه ... ينادون ابوزيد كل الحرايم
فكوا يديه من القيد جانا مطوح ... على ظهر حمر مثل برق الظلايم
كسرنا سبعة ثم سبعة نظيرها ... وعاد علينا مثل سبع يزاحم
ولا يعتق الا بكل مجرب ... ومن يضربه يبقى على الارض نائم
ابو زيد ماسك جنبها مع يمينها ... وزيدان على اليسرى يسوى العظائم
ومن يضرب زيدان ما يعود يثنى ... يعود على أعلى المدرجات حايم
تلوح عليه البيض من كل جانب ... يظلوا نسانا سابغات الهدايم
وعقل بن هولا لا يرمح الخيل لو رمح ... من لحسته يعرف جميع اللمايم
ميتين طعنه لابن هولا حسبتها ... ولا طعنة الاوترمى الجماجم
ينادي بن عشرة لا يموت بن تسعة ... ولا بد ما يقضى جميع اللوازم
يضل ورانا حتى نخش قصورنا ... ونغلق البساب ونحن المخارم
فياليت حصانه عند أولاد تونس ... من الصبح لثاني يوم وقع الظلايم
فسكروا شبابيك القصور بنا كذا ... ودامت لاجله ذا بلات الوشايم
سياج العذارا ولو كان يقلع خيارنا ... فيدعوا له بالنصر يرتد سالم
وطابت بسما بنت سلطان تونس ... تنظر الى عقل الشجيع المخاصم

وقالت له ياعقل انى نصحتك ... وانا اخبرك بما صار بين الاكارم
خليفة جمع اولاد مد كور كلهم ... واظهر لهم خبرك وكل العلايم
وقال لهم ياعزوة الجود والسخا ... يا اهل المروه يا كبار الحشائم
من منكم يقتل عقل ويجيب سابقه ... اعطيه نصف الحكم مادمت سالم
واعطيه بصرائم زرقا وتونس ... واعطيه سعدا بنت ماغى القوائم
وولية أسواق المدينة كلها ... واعطيه يا ناس كل الغنائم
مادام شاشي يحوله مع الهوى ... لاجعل فرسان الجواد هزائم
تنبه مطاوع للزناتى وقال له ... ياخال انا افديك بعقلى باعلى اللوازم
ان كان ما اقتل عقل واجيب سابقه ... يحرم على والعات الوشائم
يحرم على السرج والعز والهنا ... يحرم على الزواج بين العوالم
اما يقتلنى ويأخذ ساقى ... أما اجيب حصان عقل المخاصم
وصوت الزناتى يرعب الخيل بالوغا ... يلاطم كراديس المنايا يلاطم
نادى في الميدان عقل وقال له ... مالك ومال الخيل فيه تخاصم
فتلاطموا الاثنين فى حومة الوغا ... وعاد عجاج الخيل للجو قايم
فثار الزناتى والفتى عقل رامح ... انا مطاوع مشيد برج النعائم
دزه بطعنة من قناه أرماه ... وصاح بخاله اين ياخال هازم
رد الزناتى الى عقل وطعنه ... دعاه مسكو با على الارض نائم
حلفوا الهلاليات ما نخلى قتلنا ... نخرج عليه دابلات الوشائم
حلفوا الزناتيات ما ناخذونه ... لو كان تفدى بالمواضى قسايم
بيتنا طول الليل والحرب بيننا ... وتزاحمت خيل الجياد الصوادم
الى ثانى الايام والقنا يوقع القنا ... وخيل تقرقع فى حديد للجايم
وراح بن هولا بالحوافر واختفا ... وما بان من جسمه رسوم العلايم
يوم بن هولا خاضت الخيل بالدما ... وصارت لها مثل التلول الجماجم
وتلاطموا عنده وطال عجاجهم ... وعاد النهار يشبه لليل الظلائم
قال الزناتى سلمنا بن هولا ... وقلنا بعده ما عاد فارس يخاصم
وجانا ثانى يوم نصر بن والده ... طالب لثار الفتى عقل هايم

نزغرط الزينات من فوق قصورنا ... وقام بحر الحرب و بدا يلاطم
قال له حسن الهلالي ابو علي ... فلا تقحم الحلبين يا ابن الاكرام
انت صغير السن ما تقهر العدا ... يصيدوك أصحاب اللحا والعمايم
رد الفتى نصر بن هولا وقال له ... يا خال ماني من قليل العزائم
لا خش في الخيل الاعادي ودوسهم ... واقهر أنا اذا الكل جبار ظالم
طلت هولا من الهوادج وزغرطت ... حين شافت نصر على الخيل قاحم
وقالت يا نصر الموت خير من الحيا ... عمرك ما جليت عني الهمايم
انت واخوك اثنين جيتم جملة ... في بطن واحد قد جئتم نوائم
لا أنا ولا ابوك ولا احد هانكم ... بمدة خمسة عشر سنة في الحشايم
ولا شافت الجيران بهجت وجوهكم ... حتى ركبوا الخيل وصرتم عظايم
وخيلكم يا نصر ما في مثلها ... سلايل من خيل شداد العزائم
حصان عقل احمر من خيل ابو علي ... اعطاه حسن بزمكه من القدايم
ومهرك يا نصر من خيل والدك ... وابوه من خضرة دياب بن غانم
لما سمع نصر قولها مال نحونا ... يشابه عقاب الجو في الصيد حايم
مرة لثارات عقل الفتى ينتخى ... ومره لعين دابلات الوشائم
اتى الى مطاوع بالطراد وصده ... وصار عليهم عظم البلا والقتايم
ضرب نصر لمطاوع برمح محكم ... رماه تحت المرج على الارض نايم
وراحت معه شهبة مطاوع جنيبه ... وأخذ لثار عقل وافى الزمايم
عمامه وابوه اجواد كاسبة الثنا ... نم هو قرم من نسل الاكارم
قبل مطاوع زادنا عليه حسرة ... و بعد مطاوع ما عاد لنا غنايم
أنا أقول ان الدهر فينا قد لوى ... و بعد مطاوع عيشنا دوم تايم
وقوم هلال نعلهم دوم زايد ... أجاويدهم طلابة الحرب دايم
قوم الهلاليين ما فيهم غبا ... ملاعين ضرابين للشر دايم
أنا أخاف يا بنوا للشور بينهم ... يودوا يجيبوا لك دياب بن غانم
وقد صار لهم عندك ديون كثيرة ... يريدوا وفاها ما يرد لك غنايم
وهو الفارس ما في البوادي مثله ... قد بان لي عنه بالكتب علايم

اباخليفة ان سلمت منه فهان علينا الصعب يا بو الهمايم
فهذا حسابي والذي دوم حاسبه سهران من كيد العدا انت نايم
ما قال الفتى الملام ولد غضية ويا نار قلبي زايدات الضرايم

فقال الزناتي دياب ماقتل مع الذين قتلناهم فقال السلام دياب ماهو حاضر وهو في وادي الغبا بين مع بوش بني هلال قال الزناتي كان مرادنا نرسل له من يقتله ويجيب البوش منه والتفت الى واحد من اخوته وكان يسمى ابو خريبة وهو فارس صنديد فامره الزناتي بالركوب الى وادي الغبا بين ويجيب البوش منه فقال سمعا وطاعة وركب من ساعته واخذ معه عشرين الف فارس قروم عوابس ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى وادي الغبا بين وغاروا على بوش بني هلال وعلقوا ضرب السيف فيهم فقامت الرعيان بالعياط والصراخ فلما سمع دياب ركب جواده وطلعت فرسانه وراه فلما وصل اشار ابو خريبة بيده عليه ويقوله

ابو خريبة قال ياراعي الجمال فوز بنفسك وخلي لي الجمال
لست تعلم اني أكيد العدى أخي الزناتي حاكم والحكم طال
كل ارض الغرب حاكمها اخي حوله ابطال تشبه الرمال
وانا حارس سائر للحمى فارس الفرسان مامثلي مثال
انت تعلم ان ذا الوادي انا م القبلة للغرب الى قاع الشمال
أنا خريبة بالف فارس انحسب كم مدينة غلت مني تلال
هذا البوش أسوقه بالقنا الى ابو سعدا يبقى له حلال
ثم ناخذ خيلكم وابوسكم والبنات المحسنات مع المال
رد ابو وطفا دياب المنتسب من حسامي مابقى لك انفلال
افهم الى قولي وكون على حذر وان عصيت الامر تنظر للوبال
قال ابو وطفا ياناذل الرجال اين تغدى مابقى لك احلال
ان هذا البوش محمي بالننا من يريده الرأس عنه تزول
أما سمعتم في دياب وذكره فارس الفرسان مامثله مثال
قال ابو وطفا دياب الماجد عدمت نفسك من حسامي لاحال

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه التحم الحرب بينهم بطعن يقصف الاعمار

وصار بينهم ضرب مثل النار فعندها قام دياب بعزم الركاب وضرب خربة بالسيف على هامة حط رأسه قدامه فوقع على الارض يخبط بدماه طولا وعرض ولما شافوا قومه أميرهم قتل ولوا هاربين والى النجاة طالبين فلحقوهم بنى زغبى ومدوا السيف فى اعناقهم واعدموهم احبابهم وأصحابهم حتى وصلوا الى عند الزناتى وخبروه عن قتل أخيه فاستدعى أخاه الثاني وكان اسمه مكحول وقال له خذ قومك وامضي الى دياب بن غانم خذ ثارك منه وانهب بوش بنى هلال ومهما جيتم من هؤلاء يكونوا وهبة منى اليك فركب بسائر عساكره مقدار خمسين الف همام وسار حتى وصل الى الوادى وكان دياب وقومه فى الصيد ومابقى مع البوش الا مقدار الف فارس فغارت عليهم الخيل ومكحول فى أولهم وساقوا البوش جميعه فراح للصوت الى الامير دياب واعلموه بالخبر فعندها غار حتى وصل الى القوم وبرز الى مكحول وأشار يهد عليه ويقول

قال دياب اني حصرتك ياهبيل ... ميل عن ذا البوش او تغدى قتيل
ان هذا البوش محمى بالقنا ... كل من جا طلبه يغدى ذليل
يامكحول خربة كان افرس منك ... جا يريد البوش ياعجيل
قد ضربته من يمنى ضربه ... ادعيته فيها على الغبراء جديل
صحت فى قومه فولوا هاربين ... فى البرارى دمه جاري يسيل
خمسة آلاف قد غدوا فوق الوطا ... والامارة قد غدوا منى جفيل
وانت جيت اليوم تاخذ بوشنا ... كان اعقلك شارد أما هبيل
غار عمرك من حسابات الذى مضوا ... زارتك منى الرزية ياهبيل
انحدر عن ذا الجواد بلا بطا ... واصفى لقولى واقلع الدرع الثقيل
كم فارس مثلك راح بصاري ... وكم نظرنا من كثير ومن قليل
فارس الهيجا أنا الزغبى دياب ... ان راسك راح من سيفى عذيل
رد الفتى مكحول ياذا الهبيل ... فلا تظن بانى فارس قليل
أخى الزناتى جالك ماعادلك نكاك ... قدر ماك الدهر ماعادلك مثيل
تونس الخضرا وقابس ديرنى ... الى بلد سكناس الى ارض النخيل
هابت الفرسان من حربى أنا ... كم ملك منى غدا رأسه عذيل

ميل عن ذا البوش واسم ياجبان أما أنا أدعيك على الغبراء قتيل
كيف جيتم أرضنا و بلادنا جابكم حفظ الزناني ياهبيل
قال مكحول الذى كاد العدا جاك منى السم فى قلبك عليل

قال الراوى فلما فرغ مكحول من كلامه التحموا فى الخصام وتجرعوا كاس الحمام فضرب مكحول دياب بالرمح فقام دياب رجله من الركاب وأخذها من تحت فخذه ثم قام بعزم الركاب وطعن مكحول بالرمح فاراد ان يخلى منها مثل دياب فجاء الرمح فى صدره طلع يلمع من ظهره فوقع قتيل وفى دمه جديل فاخذ درعه وجواده وغار على قومه و بدا يذبح فيهم حتى قتل مقدار خمسة الف فارس وهربوا الباقين حتى وصلوا لعند الزناتى واعلموه بقتل أخيه فغضب غضبا شديدا ثم فى ثانى الايام برز الى الميدان عرض و بان وطلب مبارزة الفرسان ما أحد رد عليه فقال الامير حسن الى قومه كيف الراى فاشار الى ابن عمه عرندس يقول وعمر السامعين يطول

يقوله الفتى المسمى عرندس الهم جانا وكثر الضيق
يابو على هذا الزناتى كادنا من عاد ينزل الى حر و به يطيق
افنى أكابرنا وبتم أطفالنا وخلى دماهم على الوطى دقيق
وولوا أجاويد الرجال جميعهم تسعين أمير روحهم تحيق
فما عاد له الا دياب الماجد دياب له عزم شديد وثيق
أنا الراى عندى تنادوا دياكم لانه عم القوم هو نم صديق
قال الفتى المسمى عرندس ما كنت أوجد الزمان صديق
رد الفتى حسن الهلالى وقال له اترك كلامك ما به توفيق
فوالله أنا قتلنا جميعنا ورحنا بجد الماضيات رحيق
ماقلت للزغبى دياب يعيننا ولا انظره يانى الينا بطريق
دياب الينا خاين العهد باتى ولو نقصده مالنا صديق

قال الراوى فلما فرغ حسن من كلامه واذا بالغبار قد علا وطار حتى سد منافش الاقطار و بان من تحته فرسان على خيول غزلان واذا هو الرياشى مفرج الذى كان مع ابو زيد فى غزوة ملوك الشقور فخيل وسلم عليهم فسألوه عما جرى له فصار يخبرهم

وفي الكلام واذا ببيارق حمرا قد طلعت وابوزيد في أول الخيل فلاقاه الامير حسن وتهنى هلال وهنوه بالسلامة وفرحوا في ملقاه وطلعت النساء مع الاولاد واهالي القتلى الذين قتلهم الزناتي وقعدوا على المقابر لابسين السواد هاتكين الستور باكيات ناياحات ووصلت الخيل التي اتى بها ابوزيد من الاعداد والمكاسب والغنائم واخبر الامير حسن ابوزيد بما فعل فيهم الزناتي وكم اباد من الفرسان فلما سمع ابوزيد كلام حسن صار الضياء في عينيه كالظلام وحزن حزنا شديدا على من قتل من الفرسان وعندها قام وسر على المقابر وشاهد النساء والبنات فلما شافوا ابوزيد رفعوا اصواتهن في البكاء وصاروا يشكوا اليه بما اصابهم فطيب خواطرهم وقال لهم ان اراد ناخذ لكم بالثار واترك ديار الزناتي خراب فعند ذلك دخل لعند عليا وبات الى ثاني الايام وقسم الغنائم والاموال واعطى حسن جزء وشال الى دياب قسم وثاني الايام برز ابوزيد الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان وتعرض تحت ابواب تونس ونادي اين الزناتي يبرز الى الحرب والطعان واين رجال الحرب اصحاب الطعن والضرب فما احد رد عليه فوقف تحت زغلة الباب والابواب مسمكرة لا احد يخرج ولا احد يطلع سوى النسوان من فوق الاسوار يتفرجون فعندها صاح بالبواب افتح ام ارسل مولاك فصار البواب الى عند الزناتي قال له قم كلم ابوزيد واقف على الباب يريد يواجهك فقال الزناتي يا بواب من يقدر يشوف عزرائيل حتى يقبض روحه فقال له البواب افتح له الباب لكي يواجهك فقال الزناتي دبر بالك لحالك يا مقصوف العمر وهات المفاتيح التي معك فعند ذلك اخذ مفاتيح ابواب تونس ووضعها عنده وخباها وقال روح اقعد خلف الباب ولا تفتح لاحد واذا احد سالك عن سيدك فقول له ما بيطلع فعاود البواب واعلم الامير ابوزيد بذلك الكلام يرجع الكلام الى الامير حسن التفت الى ابوزيد وقال له مادامك جيت ما بقى الزناتي يفتح الباب ولا يطلب قتال وفي غيبتك يا ما عمل بداع ثم ان الامير ابوزيد قال لهما قصدي اعمل حيلة تسوى قبيلة فقال له الامير ماتكون فقال له ابوزيد اندهوا الجازية ثم انهم ندهو اليها فحضرت الى بين ايديهم فالتفت اليها الامير ابوزيد فقال لها مرادي تجمعي ماية بنت من احسن بنات العرب واحضريهن في الليل فمن ساعتها احضرت ماية بنت الى الامير ابوزيد

قام ابوزيد ولبس ثياب بيض مثل النسوان ولبس درعه واحتزم بسيفه وسار هو والبنات والجازية وكان سار نصف الليل الى ان وصلوا الى بوابة تونس فقال ابوزيد اقرعي الباب فنادى البواب من يقرع باب تونس في هذا الليل فقالت الجازية نحن كم بنت من بنات العرب جايبين معنا بضايع لكي نبيع ونشتري من عندك على قدر احتياجنا فقال لها البواب روحوا ما أنتح الباب في الليل ثم أنها تدخلت على البواب فا فتح وانما راح الى عند الزناتي واخبره بالذي صار على الباب فقال له روح أبلك تفتح انا قريت كتبهم قبل ماحضروا الى هذه البلاد لان هذه حيلة من حيل ابوزيد ثم ان البواب رجع الى عند البنات واخبرهم بما قال له الزناتي ثم ان الجازية ابتدأت بالمنادمة هي والبواب وأشارت تقول

يابواب صاره افتح للعذارى. حنا ما مشندر. الى حد السواره و روحي باظريفة تشاوري خليفة . له حربة رهيفة. تقسم الحجارة. يابواب منصور. افتح لي باب السور. تا ندخل بدستور. رنبيع العطارة. المفتاح ماهو بيدى. تاروح شاور سيدى ذا الباب الحديدى. في ايده مشارة. افتح وكن طايع. جينا لك بضايع. وتحف بدايع تصلح للامارة. لا افتح ولا شي. ولا عقلي بلاشي. وان كنتم عطاشى روحوا على البيار. يابواب افتح. هل الباب المصفح. بالزات تصبح. وتنظر للعذاري. قل لها عندى ثريا تم هندى. نجلا أم سعدى. تصلحوا لهم جوارى. قال سلامى واراها قرما في علاها. خايف من بلاها يجي على الخيل غاره افتح لي شوية. وشوف الحسن في. تجيك الرزية قديشك حماره. روحي ياملحية. اا اخشى الفضيحة. وانت مستريحة. واقع بناره. افتح يايهودى. لزينات الحدودى. حمره كما الورودي ذا افتح بداره ليس الشور لي. لاهله ياعليه. اخاف من البلية. وتصطلى بناره. افتح لاتبالى ما معنا رجالى جينا لك محالى وحزما للمهارة وحق الله ربي وعنك مابخبي وفتح الباب الصعبي مالى اقتداره افتح ياحبيبي. وجودك لانغيبي ترحم للغريبة كلتنا بكاره أنا السلطان حكالى لاتفتح ولا لى. دولى قوم هلالى. من قوم مكاره افتح خاب ظنك خلى المرج عنك. ونحن البيض جينالك. يابن صاره. أخاف يفتح بجينا. رجالا طالبينا. يجوا غاير ينا. على ظهور المهاره. افتح يامعتر. ولا تعتبر كباره. عالة بنت تحضر قدامك مهارة لاكون عاتب والامير غاتب. ومن طلب المكاسب

وقع فى الخسارة. افتح يا بن عمى. حتى يزول غمى. خرامى فوق تمي. تاره فوق تاره روحي ياحامى لاتزيدى الكلامى. من سلامه. حيلانه كتاره. افتح ياغاتى لاتزيدو اللغاتى. وجملتنا بناتي. مافينا ذكاره. سلامه سعاكم. سامع للغاكم. هو واقف هداكم. مع بنات الامارة

قال الراوى فلما فرغت الجازية هي والبواب من المناغمات والبنات يسمعون كلامهم أخذهم الامير ابوزيد ورجع الى ربعه يرجع الكلام الى مرعى وسعدا صار مرعى يبكى فقالت لسعدا لاأبكا الله لك عين فقال لها ياسعدا الى متى الانتظار وقدطال علينا المطال وابوك لايطلع الى محاربة ابوزيد ولايفتح الباب فضحكت سعدا وقالت أنا أفض هذا المشكل لان يامرعى مايقتل ابى الاديباب ابن غانم ولايقتله أحد غيره لان بان عندي فى الكتب ولكن انا بروح هذه الليلة لعند ابوك وادعيه يجيب الاميرياب فلما دخل الليل استعدت سعدا على اربعين بنت من بنات الامارة مثل الاقمار فلما حضروا قبلوا أياديها وقالوا ماتريدين منا فقالت لهم اريد اخذكم معى تتفرجوا على بنات هلال والاميرحسن ابو المحابيس الذين عندنا ونرجع فى هذا الليل فقالوا لها سمعا والف طاعة ثم امرت لهم باربعين خلعة من خاص الحرير والديباج الملون وامرت باربعين جواد من خيل الجياد فصاروا ياخذوا العقول وركبت سعد امامهم مثل البدر المنير لانه ما كان يوجد فى عصرها اجمل منها وتقلدت البنات بافخر السلاح وساروا حتى وصلوا الى باب البلد وقالت للبواب افتح الباب اياك تتكلم قدام احد فاعدمك الحياة فقال لها ياستي مافى تعب من فتح الباب ان اردتى تروحى أو تعدى ولكن المفاتيح مع ابوك اخذهم منى فقالت لا لااحتاج اليهم وتقدمت للباب رضربته فانفتح فى وقته وخرجت هى والبنات وامرت عبدها الطواشي يقعد على الباب لحين رجوعهم فقفل الباب وقعد ينتظرهم الى الرجوع فعند ذلك سارت هى والبنات حتى وصلوا لعند الحارس فقال العبد ماهذه الخيل فى هذا الليل فقالت له سعدا ضيوف فقال لها مرحبا بالضيوف فقالت اين مولاك الامير حسن فقال لها نايم فقالت له ادخل عليه وقل سعدا بنت الزناتى تريد تواجهك وترجع في الليل فقال لها استنظرى وراء الستار ودخل لعند جارية اسمها امباركة وقال لها اعلمى مولاك

ان بنت سلطان تونس حضرت لعندنا فدخلت واعلمت مولاها حسن فتعجب حسن من حضورهم فى الليل ثم خرج وقال ياسالم مالك فانشد يقول

يا امير جانا سرية خطارة ملوك متقطرين قطاره
يا امير جونا من بلاد بعيدة وانا باسرى يامالك محتاره
ارتاع قلبي من نظرهم يامالك شبهتهم يا أمير شعلة ناره
ماراعنى الا الخيول وليسهم وكلهم يابو على عا مهاره
وليسهم ديباج بلون واحد من الذهب فوق الصدور زراره

قال الراوى فلما فرغ العبد من كلامه والامير حسن يسمع نظامه فرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقال للعبد اعزمهم فراح العبد عزمهم ونزلهم عن خيولهم وربطها ومشى قدامهم فسلمت سعدا على السلطان وعرفته بنفسها وبرفاقها فسلموا عليه وسلم على سعدا ومن معها من الحريم واما ام مرعى لاقتها وضمتها الى صدرها وقالت لها دخلك ولدى مرعى كيف حاله وقبلتها بين عيونها وسلمت عليها سلام الاحباب واما حسن سلم على سعدا وصار يبكي ويقول

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على وفى قلبي نيران تزيد ضرايم
على ماجرى فينا وماقد اصابنا من المحن صرنا فى امور عظائم
ارسلت اولادى وابو زيد اعندكم يدور لنا ارضا بها الخير دايم
مسكهم ابوك يامليحة رهانهم واجنف عليهم كان بالحكم ظالم
وجانى ابو زيد وجا بلى خبرهم فعديت انا بالليل جنح الظلائم
ياسعدا بالله كيف احوالهم مرعي عديل الروح والرب عالم
وابو زيد احكى لى عن احوالهم واخبرنا عن افعالك والملائم
وانت شفوقه باصغيرة عليهم وخلصتيهم من جميع الوهائم
مقال الفتى حسن الهلالى ابو على على فقد مرعي ودمع عينى سجايم

قال الراوي فلما فرغ حسن من كلامه وسعدا تسمع نظامه فقالت يا بو على لايكون عندكم افتكار لنحو مرعى ورفقاه لانهم فى اعز مكان وانما الراى عندى ان ترسلوا تجيبوا دياب بن غانم لان ما احد يقهر ابى الادياب وانشدت تقول

تقول فتاة الحي سعدا التى شكت كلامى صدقا بين كل العوالم

حوت الذكا والفهم والعلم كله ... الي الرأى والتدبير رأيي دائم
واعرف معاني الحرب وابن تتصل ... تفاسير كتب خلفوها القدايم
عرفت يوم الذي رحلتم بضعنكم ... من نجد العدية جا ابوزيد هايم
سافر الفق مرعي ويحيي ويونس ... وابوزيد مقدمهم وعندى علايم
واعلمت سلطان البلاد واخبرته ... انانا غريب الدار للحي قادم
وارسل ساع سريعا اتى بهم ... وامر بشنق الكل والرب عالم
شفعت فيهم غصب عنه وجرتهم ... لاكرام مرعي ذاك وافى الزمايم
واطلقنا ابوزيد الهلالي سلامه ... وراح واخبركم بكل الفلايم
وهذا الكم عامين والحرب معتلق ... وستة شهور فى حروب الهمايم
وحين وصلتم ارض تونس بظعنكم ... جهلتم أصحاب العقل الفهايم
قتل أمارتكم ابو خليفة ... تسعين أميرا من كبار العايم
يا بو على ان الزناتى بحرب ... ملك ملوك الارض بالحكم ظالم
ان مرعى عيني ومرعى سروها ... ومرعى عدبل الروح يا بن الاكارم
انتم زليتم يا امير لا ابو على ... ولاعاد فيكم من قروم تصادم
دبروالكم رأى يخاص نفوسكم ... ويسقى الزناتى كاس بالسم عايم
خليفة عليه يا بوعلي ماتقدروا ... مايقهر الزناتى الا دياب بن غانم
وحاكم ابى يا هلال جميعكم ... يشتتكم بالبراري تغدوا هزايم
وانا الرأي عندى يا امير ابو على ... ابعثوا جيبوا دياب بن غانم

قال الراوى فلما فرغت سعدا من كلامها والامير حسن يسمع نظامها فشكرها واثنى عليها وارسل الى ابوزيد حالا حضر وحضرت لعنده سعدا وسلمت عليه وشرحت الكلام اليه وودعت حسن وابوزيد وخرجت عليهم ان يرسلوا ورا دياب وذهبت هى والبنات معها حتى وصلوا لقصرها هذا ما كان من سعدا يرجع الكلام الى حسن وابوزيد بعد ماذهبت سعدا قال حسن كيف الرأى يا بوزيد فقال كلامها صدق ولكن أنا ان هلكت بني هلال ما ارسلت ورا دياب قال حسن وانا كذلك لم أرسل وراه ولا أريد عيني ان تراه فقال ابو زيد أحضر البنات وامرهن ان يكتبوا الى دياب ويستدعوه الى أخذ الثار فاول ماتقدمت دوابة

بنت الخفاجي عامر كتبت مكتوب وقصت شعرها فيه وحطته قدام غانم ابوذياب ثم تقدمت بعدها وطفا وكتبت مكتوبا وقصت شعرها وعلوته ووضعته قدام جدها غانم قالوا اكتب مكتوب الى ولدك لكي يفرج همنا لانه مايخلصنا من السبي فانشد غانم يكتب الى ولده ويقول

يقول القتى غانم على ماجرى له ... بدمع جرى فوق الخدود سكيب
ونيران قلبي كلما اقول تنطفى ... يهب لها جوا الضلوع لهيب
على ماجرى فينا وماقد أصابنا ... وامر جري فينا تراه عجيب
يامن يودي الى دياب رسالتي ... الى أمير بالوغا غريب
وقول له يا فارس الناس كلها ... و ياعر من نقل القنا وقضيب
وفي نقدأمك مية جلفا دفعتها ... ومية بن عجديه والف جنيب
وغلوا علينا نقدها يا ابن غانم ... وانا كنت فيما بطابون اجيب
والفين اميرا من هلال وعامر ... مشيتهم لبيت مفضل وخطيب
وامك هذه بنت مفضل بلا خفا ... لها فرع منسوب وجد حسيب
جابتك امك وقد زال همنا ... وجاء السرور وجبت قرم نجيب
انت الندى ابن الندى جابك الندى ... فيك الندى ومجرب تجريب
وانا كبرت مابقي لي حيلة ... وعزمي غدا مني وراح ذهيب
وعمك سلم عم الشيب رأسه ... ما عاد له عزم ولا ترتيب
عمك عرندس فارس الخيل بالوغى ... وابوك انحنا وما عادفيه نصيب
وبدر وزيدان اميرين أخوتك ... قتلهم خليفة امس وقت المغيب
عقل ونصر أولاد اختك قتلوا ... وقد دعاهم فوق الوطا سكيب
وأخرب ابوسعدا جميع ديارنا ... وما عاد فينا سامع ومجيب
داير كما الدولاب ياولد غانم ... ينادي دياب من لقانا هريب
قد طاردته ثلاثة ثم أربعة ... وشمس الضحى بعد الطلوع تغيب
قتلت جواده طلعت الشمس باكر ... وقد جاء من قومه سريع نجيب
الا ياديا الخيل أسرع نحونا ... واقتل خليفة يا اميرغصيب
وان كان ما تقتل خليفة برمحك ... ترى البيض تلفظ بكلام معيب
وتبقي الهلاليات جميعا مع العدا ... بعدا بو وطفا مع كل ذل معيب

قتل خليفة بن عمك زامل ... وأخوك غدا ما عاد فيه نصيب
وخالك مفضل بن مفضل محق ... وكان مفضل الحروب دريب
كان خليفة أيام خمسة وستة ... من الصبح حتى ابد النهار يغيب
ثلاثة عشر يوم والحرب بينهم ... وراح الزناتي من لقاه هريب
يوم الرابع عشر ارسل خليفه ... خطيب لقد كان قرم نجيب
ضرب مفضل ضربة أباده ... وراح على وجه التراب يخيب
ياما جرى ابنت الامير مفضل ... لها كل ما حاز الظلام نحيب
ثمانين أميرا من هلال وعامر ... دهاهم ابو سعدا برح كعيب
لا أسقى الا وعلى بدر مهجتي ... وزيدان راحو يا دياب غصيب
قتلهم ابو سعدا الزناتي خليفه ... ادعي دمام على الوطا سكيب
وضيق علينا يا دياب وذاقنا ... وحط علينا بالظلام رقيب
وعاد بجينا باول الليل غائر ... بيده حربه مثل نار لهيب
يصيح باعلى الصوت اين امراكم ... حسن بن سرحان ونعم نسيب
وابن الفتى الزغبي دياب الغانم ... وما عاد فينا يا دياب نجيب
ونزل معيقل للزناتي وحده ... ورن سيفه والقنا والقضيب
تباشر بالنصر يوم حرب معيقل ... وقلنا معيقل بالطراد لبيب
انحدر على جميع الزناتي خليفة ... تلقا ابو سعدا كنار لهيب
وثالث نهار جرى الكون بينهم ... من الصبح لما طيبت المغيب
ورابع نهار طار رأس معيقل ... ومن رجفته راح ممزق كيب
عليه الزناتي بعدما كان غالبه ... معيقل نعجة والزناتي ديب
ضرب معيقل ضربة عامرية ... لقاه على الوطا قالبا وقليب
ونادوا على الابطال اين أميركم ... وما عاد فيكم يا هلال نجيب
نزل يا امير خالك بلا بطا ... بدير ابن فايد عاجلا وقريب
ضربه الزناتي ضربة شال رأسه ... غارت خوزته والدرع منه كسيب
وجتنا سعدا آخر الليل بالدجا ... ومعها بنات أربعين نجيب
وهم لابسين بزى مردان كليم ... بخلوا عقول العالمين تغيب

ونزلت بصيوان الامير ابو علي ... ونادت على ابو زيد جاها نجيب
وقالت لهم ان الزناتي خليفة ... على مجموعكم يا امير عطيب
ولا يقتله الا دياب الغانم ... وهذا كلامي ما به تكذيب
الينا الينا يا دياب الغانم ... ولا أنت عنا يا دياب غريب
قانت عامود البيت ونحن طنابه ... وما جينا ملاح وقت مشيب
وجينى نساهم والبنات جميعهم ... وألغ فوارع والدموع سكيب
جاني حسن للبيت يمشي على نقا ... وابو زيد جاني صاحب الترتيب
دعوك الامارة يا دياب جميعهم ... دعوك الامارة يا دياب أجيب
ورهنت لساني للبنات بلاخفا ... بنات لهم بنيات بنات نخريب
يا ال الوحي تجد هلال وتصونهم ... تنال العلا والفخر والترتيب
وان لم تفرج همنا بعد كربنا ... تقول بك الزينات قول امعيب
قال الفتى غانم على ما جرى له ... ولي قلبي طول الليل باتعذيب

قال الراوي فلما فرغ غانم من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه ووضعه في مكاتيب البنات وقال لعبده خذ هذه المكاتيب الى مولاك دياب ولا تجي الا وهو معك وان رجعت بلاه أعدمك الحياه فعندذلك أخذ المكاتيب وسار طالب وادي الغبابين فوصل ووجد مولاه دياب على الطعام والعرب حوله من كل جانب فصبر حتى رفعوا الطعام فدخل على مولاه وقبل أياديه ووضع المكاتيب بين يديه فقال له يا سعد أرى وجهك أصفر ما عندك من الاخبار فأشار يسأل العبد ويقوله

يقول الفتى الزعبي دياب الغانم ... الايام ما توقى احد من حذارها
علامك ايا سعد الدعى مغير ... كان المنايا ساقيتك كاس مرارها
اسالك عقل ونصر كيف أحوالهم ... فما بعد لحقوا الوقائع قرارها
وبدر أخي زيدان كيف أحوالهم ... بخير والا المنايا مرارها
أيا سعد أنا بعقلي وفكري وخاطري ... بان فوارسنا علاهم شرارها
فان كان يا سعد قد قتلوا الجميع ... فوارسنا قد غاب منها قمارها
اعرف أنا ان قام حرب مع العدى ... ما يسطليها غيرهم عند نارها
لانهم جهال لا يعرفوا للقا ... وكم جاهل جرله رماه بنارها

فان كان راحوا اخوتى ذاك يومهم وان عشت أنا ياسعد أخذ بثارها

قال الراوى فلما فرغ دياب اشار العبد يخبره ويقول

يقول الفتى سعد الذى فاض مابه تسال عن أولاد الملوك وحالها

زيدان وبدر ونصر معهم راحوا بيوم كان مقدم بثارها

بيدى مسحت الدم عن حسن وجوههم ومسحت عن تلك المحاسن غبارها

ويوم الثلاثاء كان أول حربنا ويوم الاربعاء اضرمت حربنا

وقد طلوا بنات الرئيس تى خليفة وطلون معها بنات جمارها

ونزل له اخوك زيدان بلاخفا وسار وافي وسط المحافر غبارها

طعنه مطاوع بالرمح غدرا ولا عاد يعرف حالها وافتكارها

وعليه حسن بن سرحان قد بكا وعادت دموعه فوق خده انتشارها

وبعد زيدان زاعت الناس كلها أمير مسمى من خيار رجالها

وميتين بكره عرقبوا فوق عامر يفور الدما منها شبيه انفجارها

واحوالنا ضاقت من كل جانب وراح الخفاجي زار اعلى قفارها

ومن بعده قتل الامير معيقل وعمى معيقل كان أفرس هلالها

صرنا كما الزرزور وفى ظلمة سرد تلوز فى حمار يلظي حرارها

الينا الينا ياديا الغانم أجاويد غى راح منها خيارها

واخوك زيدان صونا فقد حاله حفرت له قبرا على باب دارها

فقال الدمى سعد الذى فاض مابه يجيرك الهي من جهنم ونارها

(قال الراوى) فلما فرغ سعد من كلامه ومولاه دياب يسمع نظامه بكى على اخوته واولاده وعلى بنى هلال وبدا ينظر المكاتيب واحد بعد واحد حتى انتهي الى الاخير فقال انى ارى مكاتيب البنات ومكتوب والدي فاين مكاتيب الامير حسن والامير ابوزيد قال يامولاى هذه ثمانين مكتوب ما بيعجبوك حتى يرسل لك حسن وابوزيد فقال دياب انا ماجيت هذا المكان الا برأيهم وماجيت بشور البنات نكيف اروح على كلام البنات حتى يقول حسن وابوزيد الى اين جيت ومن ارسل وراك وحساب حسن وابو زيد قريته وحيته من زمان فقال العبد البنات ماكتبوا الا بامر الامير حسن وابوزيد وبحضورهم فقال دياب ياسعد ان رحت على كلام البنات

وقلت الزاني ما يعد والى اياها وان تكلمت يقول لى من بعث وراك وماذا يكون جوابى لهم وهذه اخر الوقعات بينى و بين الزاناى وماهو الا قليل ومرادى املكهم الغرب كما ملكتهم الشرق و بعد ان اكون سيدها طبل في عرسها فان كان مقصد بنى هلال حضورى هات لى مكتوب بين وحجتين من حسن وابوزيد حتي اروح وجاب نار واحرق المكاتيب وانشد يقول

يقول الفتي الزغبي دياب الغانم ... وتيران قلبي زايدات التهابها
ولى عين عادمة لذة الكري ... يزيدها دمعا كثير انسكابها
بكيت على قوم هلال وزغبي ... اياما قاسوا عظايم مصابها
حسبنا خليفه خايف من مثالنا ... وهو قرم قاسي باللقا مايهابها
ولا اسفى الا على بن رالدي ... زيدان في حرب العدا اغوابها
وبدر اخى ياناس اضنى لحالتى ... غدا فى مجال الحرب يوم اضطرابها
واولاده عقل و صر لقد غدوا ... وهولا عليهم شاقة لثيابها
وخالى بدير العامرى بن فايد ... لقد ضرنى حزنه وانا باطرابها
ياسعد قلى كيف حال اولادهم ... غدوا يتامى ما ردوا جوابها
اياحزنى طوله الزمان لاجلهم ... الى حين اسكن حفرتى وترابها
انا مثل طير كان طائر بالفلا ... قصوا جناحه وضاق البابها
ترى الاخوة جناحين التى ... طير بلا جناح فلا يعتنى بها
ولكن كثرة النوح والحزن للنسا ... وان حزنت الابطال على احوالها
مادام رأسى معلق فوق جثتى ... لاسقى الزانى بالقنا من شرابها
اياسعد اناقصدى قتل خليفة ... ولكن خايف على البوش انتهابها
وجانى اخوه يدعى خريبه قتلته ... ومكحول منى ذاق عظم مصابها
وانا داير على البوش اصونه ... اخاف يجينى من الزاناتي طلابها
واليوم الى الزينات زاد نكابهم ... فما اسمع قول النسا مع خطابها
مالم حسن وابوزيد يرسلوا ... اجيبهم على خضر اسعيد ركابها
ثمن غدا يرسل حسن فاجيبهم ... ومهما قضى عالروح فهو نصيبها
مقال الفتى الزغبي دياب الغانم ... عاود اليهم يرسل لى كتابها

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه وعبده يسمع نظامة فقال العبد انا ان وحت وما انت معى يقتلونى البنات اما بقيت اروح اقعد هنا وانشد وقال

يقول الفتى سعد الذى فاض وجده ... ودمعى جرى من مقلة العين هامل
ثمانين عدرا من هلال ارسلوا ... اليك مايدرون ماانت عامل
واخوتك ياامير حزا انقدم ... طعنوهم العدا بالمرهفات الصقايل
وانت حامى البوش فى وادى الغبا ... ياريت عمرك مع جميع وجودك طائل
واذا لم تجينا ياديا ب بن غانم ... هربنا لعندك مع جميع القبائل
ياامير انهض بالعجل ثم انتخي ... لاك من فرع ذكى الاصايل

فلما فرغ العبد من كلامه وسيده يسمع نظامه عند ذلك تهدده بالضرب فخاف العبد وقال يامولاى اكتب لى الجواب فاشار الامير دياب يقول

يقوله ابو وطفا دياب الماجد ... والدمع من عينى على الخد سيول
ان جيت ياداعى غانم والدى ... اعطيه هذا الخط من قبل النزول
وقل له ياامير غانم استمع ... من ابو وطفا وما يبدا يقول
ياانت مالك عقل تركن للنسا ... وتزيد كلامك ياغانم والفضول
كتب النساء ياانت جوتى حقيق ... وكتاب وطفا من حضرتك وصول
والله لو قتلوا هلال جميعهم ... مارحت اليكم وما ارجع اقول
لو ان ابو مرعى يرسل لى كتاب ... قد كنت اسمع لكلامه بالمجول
وكنت اركب خضرتى السريع ... واترك خليفة وجمعه يغدوا قتول
ياابى قد ضرني حزن اخوتى ... دمعي لاجل فراقهم يجرى هطول
وبشروا ذاك الفارس الرغبى دياب ... يخوض في العدى عرضا وطول
قول الفتى الرغبى دياب الماجد ... والنار فى قلبى تزيد شعول

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه واعطاه للعبد فاخذه وسار طالب بنى هلال فوصل لعنده ولاه غانم واعطاه الجواب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فاستدعى البنات وقرأ عليهم المكتوب وقال مايجي عالم يرسل حسن وابو زيد له مكاتيب واذا ما ارسلوا له مايجى ولو انقطعوا بنى هلال فرجعو البنات وراحوا لعند الامير حسن ومن باكيات صارخات وقالوا ياابو على

ارسل لنا وراه بهذه الساعة لكي ياخذ لنا بالثار ويكشف عنا العار وان ما ارسلت لنا وراه نروح كلنا عنده فعند ذلك استدعى الامير ابو زيد وقال له انظر هؤلاء البنات وما مرادهم واكتب لهم مثل ما يريدوا واسترنا منهم فقال ابو زيد يا حسن انا ما بكتب ولا ارسل وراه لاني ما احبه ولا اطيق ذكره فقال حسن وانا كذلك حتى نرسل ورا ابوغانم وندعيه يروح وراه فعند ذلك ارسلوا ورا غانم فحضر وحيا السلام فتاموا له على الاقدام فقال الامير حسن يا غانم مرادنا منك ان تروح ورا ابنك دياب تجيبه فقال غانم يا حسن ابني ما يجي ما لم تكتبوا له انت وابو زيد فلما اصبح الصباح عول غانم على السفر واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص وحرر مكتوب عن لسان حسن وابو زيد الى دياب وحطهم معه وركب هو وحرمته وساروا طالبين دياب الى وادي الغابات وارسل عبده يعلم ابنه بقدومه اليه هو ووالدته فطلب دياب لملاقاتهم وتوجه الى امه وانزلها عن الهودج وقبل رأسها ويدها وقال لها ما الذي جابك الينا فاشارت تخبره وتقول

تقول فتاة لوع البين قلبها ... ارجع الى قومك واصل الزمايم
ونحن يا امير جينا لعندك ... فما هذا الرجا منك يا ابن الاكارم
ضعيت حق من رباك ووالدك ... وسفهت قولي يا قليل الحشايم
ولو كنت يا ابني حافظ مقامك ... فما كان العدا دعونا هرايم
اغظت غانم يا امير وغظتني ... وعادت دموعي فوق خدي سجايم
ترى الونائي قد قتل من رجالنا ... قتل اخوك يا امير راحوا رمائم
وخالك بدير مع اخماحي عامر ... ومن غيرهم كثرة اماره اكارم
فقم بنا نرجع الى نجد ارضنا ... نعيش بها من غير فضل بن غانم
ما قالت فتاة لوع البين قلبها ... ونيران قلبي زائدات الضرائم

(قال الراوي) فلما فرغت ام دياب من كلامها اشار دياب يقول

يقول اتفق الرغبي دياب الغانم ... غضبتم علينا يا جوه الاكارم
انا لاجلكم اقتل خليفة بساعدي ... وادعي دماه فوق الارض عايم
واخذ لثار زيدان بسيفي والقنا ... وادعي خليفة بالثرى عاد عايم
وانت يا امي افرحي ثم ابشري ... انا جيتكم ما عاد فيها نهايم

فلا بد انصركم واشفى قلوبكم ... من فوق خضرا مثل طير العايم
واقتل انا خليفة حقيق وكد ... انا سيد الفرسان عند الازايم
وتعرفني الفرسان في حومة الوغى ... اذا جئت الميدان ولوا هزايم
فلا بد ان اخذ لثارات اخوتي ... وثارات خالي والقروم الاكارم

(قال الراوي) فلما فرغ دياب من كلامه وامه تسمع نظامه فطاب خاطرها وتوجهت الى الخيام واتى بعد ذلك ابوه فلما وصل اليه سلم عليه وقبل يده وقال السلام يا ابي فقال له غانم لا تكلمني لانا اولك ولا انت ابني وانا بريء منك يا دياب لو كنت ابني كنت سمعت كلامي واخذت لي ثاري من الزناتي الذي قتل اخوتك واولادي واحرق فؤادي واكبادي واشار يقول

يقول الفتى غانم على ماجرى له ... بدمع جرى فوق الخدود سكيب
ياولدي هذا الزناتي خليفة ... اهلك فوارسنا وكل نجيب
ثمانين اميرا من قرومنا مضوا ... وادعاهم طعم الرخم والديب
وجتنا نسلم يا امير فوازع ... بعثهم حسن نحوي بلا تكذيب
وجاني ابو زيد الهلالي سلامه ... ابو زيد هو لك يا امير حبيب
يا امير كيف ماجيت بالعجل ... وخليت هذا البوش دعه يسيب
تخلي اخوتك واولاد والدك ... بدر مع زيدان يغدو ذهيب
وارسلت لك يا امير تحضر لثارهم ... وما اظن من قصد الملوك يخيب
وظنيت فيك ظن بلا خفا ... وقلت ابشر ويا ذا البنات قريب
ولما اتاها سعد يا امير خائبا ... فقد زادني الحي البكا ونحيب
وجاني الفتى حسن الهلالي ابو علي ... وجاني ابو زيد والامير مصيب
اتوني الامارة يا امير خواضع ... وقالو روح الى دياب وجيب
ووطفا لها مكتوب كتبت بخطها ... تقول الوحا قبل الحريم تسيب

(قال الراوي) فلما فرغ غانم من كلامه وولده دياب يسمع نظامه قال دياب لابيه اذا كنت ماجيت مكاتيب ماروح ولو ما نضل احد من بني هلال فاعطاه ابوه المكاتيب فقضها وقراها وعرف رموزها ومعناها وعزم على الحضور من بعدها وامر بذبح الاغنام وعمل الولائم والضيافة ثلاثة ايام فقامت ام دياب وابنها تمشي خارج الخيام فقالت لولدها يا ابني ابوك خرف ماعاد له عقل وقد دعا عليك قدامي وماهان

على وحلفت ان اقول لك فقال يا اماه والدى محزون ودعا على مافى باس لانه من حزنه على اولاده وثانيا مقهور من الزناتى وثالثا من فراقنا ولكن ان اراد الله تعالى اروح معكم واطاب رضاكم وماعدت اخالفكم واخذ لكم بالثار بعون العزيز الجبار وانشد يقول وعمر السامعين يطول

على ماقال ابو موسي دياب شربنا الخمر فى صافى القداحى
وكم نذل اتي وقت المعارك يبقا هاربا يطلب رواحى
اسالك يا الهى اكون طيرا عقابا كي اخفق بالجناحي
اطير بهمتي وانزل سريعا واهدى مشتبك الرماحى
لاخذ الثار عن خالى بدير و بدر واخوه زيدان الرباحى
وما نعل الزناتى بالامارة فطار العقل من غانم وصاحى
ابى معذور يامى حقيقة دعيه يقول فى عرضي قباحى
غدا ارضيه بقتل الزناتي وابدل حزنكم بالانشراحى
قولى لهلال النصر جاهم نهار الاحد اعزم على الراحى

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه وامه تسمع نظامه فرحت وقالت ياغانم مرادنا نسير لان بنى هلال فى انتظارنا فقال تاهبوا حتي نسير ونلم بنى هلال ان دياب يحضر يوم الاحد لعندهم فركبوا وساروا حتى وصلوا الى بنى هلال فطلعوا الجميع لملاقاتهم فكانت ضجة قوية فنظروا غانم وحرمته وحدم فقالوا اين الامير دياب فقال غانم ابشروا بالغنيمة يا بنى هلال نهار الاحد يصل الى عندكم واما الامير دياب بعد ماراحوا والديه من عنده امر الرعيان لم البوش من كل جانب ومكان وساروا الجميع قدامه وسار طالب بنى هلال يا بطاله وفرسانه الذين معه ثم قلعوا الصيوان وامر العكام يسبقه و ينصبه على ابواب تونس في نصف الميدان ثم دق طبوله ونشر اعلامه وسار حتي بقى بينه و بين بنى هلال يوم كامل وكانوا جميعهم في انتظاره وثاني يوم الاحد خرجوا الاربع تسعينات الوف وتوابعهم ولاقوه وما فضل من بنو هلال لا كبير ولا صغير حتى طلع الى ملتقى الامير دياب وخرجوا بالطبول والنوبات السلطانية وزالت عنهم الهموم والاتراح و بدلوها بالافراح بقدوم الامير دياب

وادخلوه الى الحي بنوبة سلطانية عظيمة واما اهل القتلى فانهم اجتمعوا على التراب وهم في السواد واثواب الحداد لكي يشكو الى دياب ما فعل الزناتي بهم واما حسن وابو زيد ضلوا في الصيوان ما خرجوا الاخارج الخيام واما دياب لما وجد حسن وابو زيد عرف المضمون وانما احمد الكدواظهر الصبر والجلد ولم يزل سائر في ذلك الموكب العظيم حتى وصل الى ابواب تونس فرجت منه تلك الارض بالطول والعرض وطلعت الحريم على الاسوار للفرجة على الزينة وارتعدت من الزناتي وجميع من عنده القلوب وانحلت المفاصل وقال الله يعيننا على حربه واما دياب رفع رأسه الى محوسورة تونس فوجد روس الامارة وهم ثمانين رأس مشكوكين على الرماح فسأل من يكونوا هؤلاء فقال له عمه عرندس هؤلاء روس بنو هلال الذين قتلهم الزناتي وهم اخوتك واولاد عمك فقال دياب كل هذا جرى في غيابي وضل سائر الي التربة فلاقوه اهل القتلا والبنات وشالوا البراقع وحدقوها لي دياب فطيب خاطرهم وانشد يقول وعمر السامعين يطول

قال ابو موسى دياب المفتخر ... فارس الهيجا وخيال الوغر
حامي الزينات سور المحصنات ... مفرج الكربات في يوم العسر
منية الخطار في سن الفلا ... مشبع الجيعان زاكي منتشر
زال عنكم همكم ياذا البنات ... والزناتي حل في عمره قصر
واخذ الثار من ابو سعد احقيق ... وجميع قومه من حسامه تنبهر
واخبروني يابنات بما جرى ... واعلموني بحقائق تتذكر
مالكم على القبور جوالس ... وشعوركن على الكتاف انتشر
كم من اميرة شفت توب الحيا ... وقبل هذا اليوم كانت تتستر
لمن هذا القبر يابنت الكرام ... من هو الذي تحته قد انظمر
اهل ابو زيد او الاميرحسن ... كم ربع هدموه واصبح مندمر
الا بدير العامري خالنا ... ياحيف وجهه بعد نور ينفطر
فابشروا بالثار انتم يابنات ... ياضي الحدين بولاد الذكر
انا عليهم مثل سبع كاسر ... من عد اليهم ياعذاري انحدر
وانظرو فعل دياب يابنات ... بعون من امره علينا قد قدر

افرحو اليوم يابنات وابشرو وخاطر المكسور مني ينجبر

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه تقدمت فتنة بنت خاله بدير تقول

قالت فتاة الحى بنت القاضى ودمع عينى فوق خدى منحدر
اصبحت حيران وعقلى زائل والقلب منى ياجماعة انفطر
والبنات جميع حالي مثلهم انظره بعينك فينا وافتكر
من فعل ابو سعد الزانى خليفة قتل الابطال بسيفه سكر
وان كان تاخذ تارنا بسيفك يبقى ثناك على العوالم مفتخر

(قال الراوى) لما فرغت بنت القاضى من كلامها طيب بخاطرها وسار مع الموكب حتى دخل بين البيوت فمر على صيوان الامير حسن والامير ابو زيد فلقام يتفرجوا فلما وصل الامير دياب الى عند الصيوان حوله وسلم على حسن وابو زيد فقاموا له على الاقدام وحيوه بالسلام واكرموه غاية الاكرام وبعدها قام دياب وركب الى بيته وتفرقوا كل واحد لمحله ارجعت بنت الامير حسن وصارت تخبره تقول

قالت فتنة بنت سلطان الملا اسمع كلامى انت يامير العرب
طلعت بنات هلال وجميع النسا الجازيه طلعت وارخت للنقاب
بجنب الوادى لقد وقفوا الجميع ينظروا لدياب قرم منتخب
لما طلع ضوء النهار وانجلى اقبل دياب الخيل من حوله سرب
والخيل شهبا يابوي اقبلت وفوقها من كل فارس منتخب
اما الفتى الزغبي دياب امامهم الفين طبل من وراه قد ضرب
والحمل لخيولهم خاص الحرير وكل من خلفه حصانه تدسحب
لما رأته بنات قيس يابنى قرعت كل العذارى على التراب
وولولو ومسكو ركابو يافتي انجد لمن قد جاك قاصد للطلب
ان الزناتى قد اباد قرومنا ودمهم فوق الاراضي قد سكب
ونريد اخذ الثار يابو موسي ونحنا عدنا نايحات كالعطب
قال لهم يابيض غدا فابشروا والهم عنكم ياعذارى قد ذهب
لابد عن قتل الزناتى يابنات قد زال بيت العز عنه وانخرب

(انتهى الجزء الثامن عشر من تغريبة بنى هلال . ويليه الجزء التاسع عشر)

الجزء التاسع عشر من تغريبة بني هلال

(وهو يحتوى على قتل الزناتى خليفة)

انا دياب الخيل طعان العدا انا مريع الخيل فراج الكرب

فلما فرغت فتنة من كلامها وابوها يسمع نظامها فقال كان مرادنا من يروح لعند دياب ويكشف لنا الخبر كيف يقول فى حربه للزناتي دايه فقامت الحريم وقالت انا اكشف لك عن ذلك وسارت الى الصيوان وصلت اليه فوجدته نائم وله بنت صغيرة اسمها نجيبه وهو يلاعبها ويقول لها اين اطعن الزناتى فقالت له بعينه فقال قولك مبارك وحياتك ماطعنه الا بعينه فرجعت الداية عند الامير حسن واخبرته عما رأت من دياب ثم انه افتكر واطرق رأسه الى الارض ساعة من الزمان وفاق وتنهد وانشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتي حسن الهلالى ابو على الاجواد تختبي ليوم النوائب
وما سندنا الا دياب بن غانم لانه صميدع من خيار القرائب
ونرجو من الرحمن يفرج همنا لان العرب وقعو بعظم المصائب
عسى من الزغبي يجينا غاية و يقتل خليفة بين جمع المواكب
دياب امير وبن امير واميرة ولا مثله فى شرقها وللغارب
قال الفتى حسن الهلالى ابو على وقلبي فرح فى ملتقى الحبائب

(قال الراوى) فلما فرغ حسن من كلامه وامرأته تسمع نظامه وكان اسمها خوفلة وهى اخت دياب فاشتاقت على حسن انه خلها الحسد من اخوها فعند ذلك انشدت

ماقالت التي نالت رجالها ودمع عيني فوق الخدود سجايم
سعدنا فى بني زغبي دياب شبيه البحر موجه جايلاطم
فلما اقبلت خيله علينا ففرحو البيض دقاقين الوشايم
طبوله حوله ياامير تضرب شبيه الرعد بوسط الجو قايم
وخافوا الاعادى حين شافوا بني زغبي وهم نسل الاكارم
وقد قال الزناتى لاهل تونس يصيرو اهلها لنا خدايم

قالت التي نالت رجالها وسعدك ياحسن في بن غانم

(قال الراوى) فلما فرغت نوفلة من كلامها والامير حسن يسمع نظامها قال لها يانوفلة عسى الامير دياب يقتل الزناتي ويملك تونس وارضها ونخلص اولادنا فهذا ماجرى الى الامير حسن ونوفلة فيرجع الكلام للامير دياب فانه التفت الى قومه واصرفهم الى المنام وقال لهم باكرا رجعوا احضروا جميعكم قالوا سمعا وطاعة ولما اصبح الصباح نهض الامير دياب وطلب مبارزة الفرسان ولاعب الخضرا في اربعة اركان الميدان وجال وصال ولعب بالرمح حتى حير عقول الشيوخ والشباب والابواب مسكرة لا احد يخرج ولا احد يدخل فتقدم الامير دياب الى ابواب تونس ودق بمكاز الرمح فارتج منه السور فقال البواب من داخل فرد الامير دياب وقال روح اعلم سيدك الزناتي ليخرج الى حربي لاجل ان يوفي للناس ديونها وان سالك عني فقل له الامير دياب قاتل اخوتك ابو خريبة ومكحول ابرز اليه وخذ ثارهم فمضى البواب واعلم مولاه الزناتي فضاقت في وجهه الدنيا وماعاد يعي على حاله لان المنية لها اسباب والزناتي منيته على يد الامير دياب فارسل احضر ابنته سعدا وقال لها ياباغية ما احد جلب لنا هذا البلا غيرك فلو من الاول تتركيني اقتل المحابيس وابوزيد كنا ارتحنا من بني هلال ولا نظرناهم وانا لا اخاف الا من دياب بن غانم فقالت له سعدا يابي لا تحمل هم دياب ولا غيره انا ارده عنك ثم انها مشت على شراريف القصر لفوق دياب فنظرته يلاعب الخضرا فنظر اليها وكشف وجهه عنها لحسن صورتها وقال ما اسمك وما تريد بن قالت له سعدا ابنة الزناتي خليفة وانت من تكون وما تريد فاشار دياب يخبرها يقول

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم ولي قلب يشبه بيضة البولاد
وعزمي كسبع الغاب في حومة الوغا رأسي بوازن شامخات جبال
الا ياصاح الخير ياوجه البها وياشبه ريما بالفلا شراد
الا ياصغيرة اسمعي نظم قصتي وردي جوابي بعد كل مراد
واليوم يوم الكون بيني و بينكم واليوم نار الحرب تزيد وقاد
دياب جاكم اليوم يخرب ديارکم وقد كان ملأ قاتم الاطراد

ولا خائفا منكم ومن جمعكم ... بدون المهيمن صاحب الايجاد
وقد جيت اليكم طالب شركم ... والبسكم بعد البياض سواد
الا ياصغيرة اندهي لى ابوك ... وقولى دياب الخيل قدجاوعاد
وقولى له ينزل لحربى بلا بطا ... ويلبس الدرع المتين وزراد

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه عادت سعدا تجاوبه تقول

تقول سعدا بنت امير تونس ... الا يادياب الخيل ياصنديد
حسبنا حسابك قبل ماجيتنا ... جتنا علامك وانت كنت بعيد
وتشهد لك الابطال في كونها ... بانك صميدع فارس صنديد
فاعفى عن الزناتى خليفة ... وخذ منا ماتشتهى وتريد
وخذ ملكنا ثم الرزق كله ... بسانين تونس قربها و بعيد
فبطل عنا الكون يابن غانم ... فتبلغ من الخيرات كل مزيد
ماقالت بنت امير تونس ... الله يفعل كل مايشاء ويريد

(قال الراوى) فلما فرغت سعدا من كلامها اشار دياب يقول

قال الفتى الزغبي دياب بن غانم ... ولى عزم يقطع للصفا الجلمود
ولى همة تعلو على كل ماجد ... بيوم الوقايع للقروم اصيد
وكان كلامك قبل الان واجب ... وانا في غريب البر كنت بعيد
ابوك خليفة قد اباد قرومنا ... فوارس امارا بالطراد تريد
فلا بد عن حرب الزناتى خليفة ... لوكان جوا الف حصن حديد

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه وسعدا بنت امير تونس تسمع نظامه قالت له قف عندك حتى ارسل لك ابى وعادت لعند ابوها ونخيه على حربه فاشار الزناتى يقول

يقول ابوسعدا الزناتي خليفه ... ونيران قلبى زايدات وقيد
وعيني تبلت عادمة لذة الكرى ... لان بها نبل الحديد جديد
الا ياصغيرة قد دنت منيتي ... حين اتى دياب حق اكيد
اياسعدا حربة دياب بن غانم ... لها طعنات بالطراد تزيد
اياسعدا حربة دياب بن غانم ... سمعت لها باقصي البلاد رعيد

اياسعدا حربة دياب بن غانم لها سن يفلق للصفا الجليد
اياسعدا حربة دياب بن غانم تغني بها الشعار نعم قصيد
اياسعدا حربة دياب بن غانم فما قط ينظرها احد ويعيد
اياسعدا حربة دياب بن غانم بها السم ناقع والقتال شديد
اياسعدا حربة دياب بن غانم بها تقتل الابطال حقا اكيد
اياسعدا حربة دياب بن غانم كم راح منها بن ست وسيد

(قال الراوي) فلما فرغ الزناتي من كلامه ركب جواده وبرز الى الميدان واشار بيده على الامير دياب يقول

يقول بن مهران الزناتي خليفة ولي قلب اقوى من رهيف صقال
فما شفت ماقد صار بتونس قتلت فوارس من ملوك هلال
قتلت القاضي بدير بن فايد وبدر مع زيدان والابطال
وقتلت ايضا الحفاجي عامر وعقل ونصر والفتى سرحال
ثمانين اميرا قد قتلت بصارمي ودعيت دماهم في البوادي سال
انا فارس الهيجا اذا قام سوقها اخلي البوادي على الوطى وتلال
رد الفتي الزغبي دياب الغانم انا ولد غانم انا الذلال
انا تعرف الفرسان عزمي وهمتي انا فارس الهيجا بيوم قتال
اجاني اخوك ابو خريبه قتلته وارميته مطروح فوق جبال
من بعده مكحول جاني مطوح طعنته بحربة عن جواده سال
واليوم يومك يازناتي خليفه وحل الوفا واشتقت انا للسال
قال الفتي الزغبي دياب الغانم فلا بد من سيفي تروح شلال

(قال الراوي) فلما فرغ الامير دياب من كلامه والزناتي يسمع نظامه فالتطموا البطلين كانهم جبلين وتصادموا صدام الابطال وضربت بحروبهم الامثال وقلق الزناتي من حرب دياب ورأى منه ابواب ماكانت تخطر له بحساب ورائه بحرا ماله قرار وقبان ماله عيار فاحتار الزناتي بامره وغاب وعيه ورشده ومازالوا في الحرب والطعن والضرب وهم في اشد ضيق وقتال وكون ونزال الى نصف النهار فزاد الامير دياب على الزناتي بحربه وعاد يقتل حوله على الخضرا مثل الصاعقة

فخاف الزناتى وانحل عزمه وولى من قدام دياب هارب والى النجاة طالب الى ابواب تونس ودخل هو وعسكره وفتحوا له الطريق ودياب لاحقه مثل الاسد الكرار فهجم دياب وعسكره على قوم الزناتى والتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وولى الجبان وراح صاحب الجلاد اصوب الحرب والكفاح فيالها من وقعة تشيب رؤس الاطفال وراح من الفريقين عدد كثير من الفرسان والشجعان وكان لتونس ثلاثة ابواب داخلة فى بعضها باب صاره وباب منصور وباب حضره ففتحوا حتى دخل الزناتي الابواب وسكروهم فى وجه دياب فضرب الباب بالرمح ففرق اربعة اكعاب فاطبقت قوم الزناتى على قوم دياب فالتقاهم دياب بسيفه القرضاب وجندله منهم الشيوخ والشباب فهجموا بنى زغبى وعظمت الاهوال وبطل القيل والقال الى ان ولت الشمس للغياب ردقت طبول الانفصال فولت قوم الزناتى من خارج السور هاربين والى النجاة طالبين ورجع الامير دياب وقومه الى بنى هلال فهنوه بالسلامة وكلوا وشربوا وحضر الامير حسن والامير ابوزيد امند الامير دياب وعانقوه وهنوه بالسلامة وجلسوا معه فى المنادمة والكلام وامر بالذبائح وعمل الولائم فسالوه عن حرب الزناتى فتبسم الامير دياب من كلامهم وقال يا ابوزيد هل خوفكم الزناتى وارعب قلوبكم بعناية البارى تعالى انا اكفيكم شره واقصر عمره فقالت الامارة اجارك الله يا دياب غدا التى الزناتى واقتله وملكنا الغرب كما ملكنا الشرق فقال ان اراد البارى تعالى ولكن ياحسن الذى يقتل الزناتى يكون سلطان الغرب فقال الامير حسن نحن اولاد عم وما بين الاهل لا يوجد فرق والرزق واحد والحكم واحد وبعد ذلك انصرفوا الى حالهم ولما اصبح الصباح برز دياب الى الميدان فبرز الزناتى وانطبقوا على بعضهم انطباق الغمام وطال بينهم الطعن والصدام من شروق الشمس الى وقت الظلام فدقت طبول الانفصال وانفصلوا الفريقين عن القتال وكل منهم عاد الى محله واطلال واما الزناتى فعاود فى سوء حاله وعرف حاله مع دياب مقهور وايقن بالانزعاج فضاق صدره واحتار بامره فطلع الى قصره يقلب على الفراش فذهب من عينيه النعاس فجلس وفتح شباك القصر وناادى على بنته سعدا فاتت وجلست قباله فى شباك اخر فتنهد الزناتى من فؤاد متبول وصار يعاتب ابنته سعدا ويقول وعمر السامعين يطول

يقول الزناتى والزناتي خليفه تونس مدينتنا ونحن كبارها
من نسل حمير واهل تبع نسبتى ونتلو كتاب الله جملة سورها
وكنا بخير سالمين من النيا الى ان جاءا بوزيد للغرب زارها
حكمت على ابو زيد وجملة رفاقه قصدت انا اخفيه واطفى خيارها
ناديت للجلاد جرد ثيابهم ونادي عليهم فى شواع حدادها
ربط مرسهم بالرقاب وساقهم لعند المشانق اراد يقطع جدارها
الا وسعدا مثل شمس منيرة لما رأت مرعى ارخت عذارها
وقالت يا ابى ترفق بحكمتك ترى الظلم يقطع للبوادى ديارها
امسك جياد القوم واترك عبدهم ويجيب لنا خلعات نتبع بكارها
اطلقت عبد القوم وهو كبيرهم وما علمت عبد القوم هو من خيارها
وجاب لنا ميتين الف مدرع نزلوا الى تونس واملوا جدارها
وراح جاب الظعن من نجد الى هنا بنات الامارة ذالعات خمارها
وضاقت علينا الارض من كل جانب رعوا زروع الكرم حتى ثمارها
ياحيف اهفوا النخل والكرم كله بساتين تونس جردوا اثمارها
كونتهم جندلت منهم فوارس ثمانين اميرا قد غدوا فى غيارها
ولا انا خايف من هلال جميعهم ولو كانوا بعددا لحصا في بحارها
ولا انا خايف الامن دياب الغانم له حربه كالنار ترمي شرارها
تغنى بها الشعار فى كل محضر وطعناته خش المسامع خبارها
الا ياسعدا حربة دياب بن غانم كسهم رمى من كف عامر وتارها
اياسعدا اجتني من الخيل ساق تشبه لريح طائر فى قفارها
ان عانى ربى ومسكت بن غانم لاذيقه طعم الموت واسقيه مرارها
واجعل حكمي على البلاد جميعها واقتل اكابرها وايتم صغارها
ولكن هذا حكمها مع شورها فلا تامن الا تى لدار جارها
ماقال ابو سعدا الزناتى خليفه قتلتنى سعدا برود مكارها

(قال الراوى) فلما فرغ الزناتى من كلامه وابنته سعدا تسمع نظامه فقالت له يا ابى انا ما عملوا نام الليل من اجلك ودائما اطلب الى الله ان يهدى بالك و يتولك

مرامك ولكن انا بنت فما يطلع مني اكون ثم انها انصرفت وهي موهومت من كلام ابوها وحزنت عليه ولكن الهوي غالب عليها لانه يذل الاسود ويهين العزيز الجبار ثم الزناتي غاق شباكة وانبكى وهو مرضوض من التعب وهو يبدى الانين من قلب حزين فلما اصبح الصباح طلعت بنى هلال من خيامها وركبت سوابقها واما الزناتي سكر ابواب تونس وماعاد يفتح ولا عاد له قلب للخروج الى الميدان لخوفه من الامير دياب واما دياب قام من نومه وتقلد سلاحه وركب الخضرا وبرز الى الميدان فحين نظره الزناتي تحركت في رأسه مروة الرجال وهانت المنية عليه اسباب فبرز الزناتي لدياب وصدمه صدمة الجبار لا يهاب نزل الاخطار وهاش الزناتي كما الجمل وطلعت الردة على اشداقه لانه تذكر رزقه واملاكه فهانت المنية عليه فالتقاه دياب بالسيف القرضاب وقصد ان يفتخرا بقتله على الشيوخ والشباب فحملوا على بعضهم وطار فيما بينهم الغبار حتى سد منافس الاحجار وحجب عنان السماء والقوا الحرب والصدام الي الظلام ودقت طبول الانفصال وافترقوا على سلامة واستقاموا على هذا الحال شهرين وفي اخر الايام برزوا الاثنين الى الميدان فغضب دياب وزاد به الغضب فقام في عرم الركاب وطعن الزناتي بعود السنان حكم في الجواد فرق السنان من جانب الى اخر فمال الجواد على الارض وبقى الزناتي مطروح وقد ايقن بذهاب الروح فادركوه قومه بجواد من الخيل وركبوه ومال عليهم الامير دياب بالسيف القرضاب وزادت نار الحرب التهاب وقطعت منهم الزنود والركاب وساقهم دياب سوق الغنم حتى دخلوا المدينة وسمكروا ابوابها فطلع الزناتي الى قصره وايقن بزوال عمره فنام على فراشه وهو غارق الافكار انصف الليل فقام مرعوب في جسمه مكروب فنادى ابنته سعدا فاتت الى قباله في الشباك فاشار يدعى عليهم وينشد لها وصار يسمعها ويتهدد بهذا القصيد ويقول

يقول ابو سعدا الزناتي خليفه ... الايام والدنيا قريب زوالها
الايام والدنيا كفى الله شرها ... تخفض عزيز القوم ترفع انذالها
وروحي تفارقني بطعن وغيره ... ويعرف مجالي مع امارة هلالها
أياما الى عين الزناتي خليفة ... كمطروقة قد الف النوم حالها

ثبات على ضر وتصبح على نقا ... ونيران قلبي قد كوانى شمالها
انا ابوكى ياسعدا انا قاعر العدا ... أنا صور الزينات أنا حامى عذارها
أنا أمير تونس وسيد مغوارها ... وبيدى أميلها وبيدى اعتدالها
وبيدى أسيرها وبيدى اميلها ... وبيدى اسنفها اذا شح مالها
ولى رمح ياسعدا وقوس ملون ... ولى درقة ما أظن امير نالها
ولى سيف ماضى السفرتين مجرب ... اذا صاب صخر الصم قطع وصالها
ولى خودة باربع مفاتيح من ذهب ... لقد عجزت الصياغ تصنع مثالها
ولى درع حارت فيه صباغ تونس ... ان راح منها زردة لبالها
ولى حربة من عهد المرحوم والدى ... مسقية سم الاقاعى دوالها
ما تصلح الا لابن رزق سلامه ... ولا أحد بالترك والعرب نالها
انا شفت ياسعدا مناما أراعنى ... وقدرمي بالقلب اعظم هوالها
حلمت أننى غارقا فى بحر من الدما ... وحولى رجالة واقفة مع ابطالها
قد غرقنا والمقاذيف تكسرت ... ترى كيف عقلك يازانى صفالها
ياحيف بنتى قد رمتنى بحيلة ... وعقلى انا دون الملا قد صفالها
قد قربوا منى العدا ونزلوا ... على أرض مصر فكنكوا حبالها
بنوا خيام عاليات وشيدوا ... على دار قابس تحت عتم ظلالها
يريدون منا الملك ان ياخذوه ... ذل رجال البدو ما اكثر هبالها
وبيدى اعدلها واما أطعن العدا ... تروح أطعان البوادي جفالها
جموع هلال جاؤوا من الشرق وغربوا ... تقول جراد المنتشر فى جبالها
على دار قابس حاصروا يظعنهم ... اماره اصايل من فروع طوالها
وقد زينوا بالبيض الفين هودج ... عليها من قصب الغوالى جلالها
وفيهم صبية يسلب العقل حسنها ... كشمس الضحا رلت عليها جبالها
لها خد أحمر والعيون نواعس ... وارمت بقلبي علة لا دوالها
تلالى لهم نحو العدان يثبتوا ... تصفق بايديها توحى رجالها
يجونى على الخيل كما الريح جريهم ... وأسرع البرق من اليماني نقالها
ومعهم ابوزيد الهلالى سلامه ... يجينى على حمر اقصير شكالها

انا ابوكي ياسعدا الزناتي خليفه اذا ثقلت الاحمال انا اشيالها
رحلتهم في يوم سبعة مراحل رحلني ابوزيد سبعه بسبعه قبالها
وانحدر الى الميدان بدر بن غانم فولت سوابق خيلنا مع فعالها
توجه بيض هلال والخيل غائرة ويبقى لها بدر الخيل خيالها
فبارزني للحرب بسرعة وقال لي ايا حيرى نحن امارة هلالها
طعنته بيدي وهو بين قومه واضحي طريحا في فيافي رمالها
وأخوه زيدان بعده قد قتلته زيدان قد أرعبني في مجالها
بدروز يدان والخفاجي قد غدو وراح الفتى القاضي باسو أحوالها
ثمانين أميرا من هلال قتلتهم ملكنا الهلاليات حتى رجالها
ابوزيد جاب لنا جموعا كثيرة قبايل غزيرة مذكر هنازوالها
وأميرهم حسن الهلالي ابوعلي أمير عامر ثم جملة هلالها
والكل قدها بواقتالي وسطوتي واخلي قروم هلال مني وجالها
طبق رأيهم جا بو اديات بن غانم يريدون اخذ الثار لاجل اجالها
وجاني دياب بن غانم فوق خضرا تطير جلاميد الحصى من نعالها
تجاولت أنا وياه في حومة الوغا عشرين يوما حيرتني مجالها
أيا سعدا كره دياب وذكره كما تكره النساء أولاد رجالها
أيا سعدا خضرة دياب بن غانم تزين الفرس من سرجها لنقالها
أيا سعدا خضرة دياب بن غانم ماشفت أنا خيال راكب مثالها
أيا سعدا خضرة دياب بن غانم فلا بالشرق والغرب يوجد مثالها
أياسعدا خضرة دياب بن غانم جميع البوادي شاهدت لفعالها
أياسعدا خضرة دياب بن غانم على دور باب المدقاسوا نعالها
ايا سعدا خضرة دياب بن غانم رطلين باليزن وزنوا لجامها
عليها دياب الخيل ارعب مفاصلي طعناته بالرمح تفك قفالها
ولولم تكن عن يد ديب منيتي لكان امس المصر ابوزيد نالها
أيا سعدا حربة دياب بن غانم تشابه شعاع الشمس نور شعالها
أياسعدا حربة دياب بن غانم أرمت بقلبي رعبة لادوالها

أياسعدا حربة دياب بن غانم بعيني نظرت الموت واقف قبالها
اياسعدا حربة دياب بن غانم جميع ملوك الارض ها بواقتالها
أيا سعدا حربة دياب بن غانم انا خائف منها لروحي تنالها
أياسعدا حربة دياب بن غانم أنا بان لي بالرمل عندي دلالها
وما صنعت الا لاجل منيتي ومن بعدا بوسعدا دياب ينالها
أيا سعدا خنت ابوك وبالدك ولا منية الا وابوها دلالها
أيا سعدا انت ربيتي سعيدة و بعدهذا العز تقضى دلالها
أيا سعدا انت ربيتي سعيدة وهذه السعادة لاغنى عن زوالها
اياسعدا انت بقيتي يتيمة و بعدالزاي باترى من هوالها
جهول عقول من يامن للنساء ومن يستمع للنساء مع سوالها
اياسعدا خنتي رجالي وعزوتي وخنت ابوك لاجل مرعى نعالها
ان عانني ربي وقالت بن عانم لاعمل لك بكره وعلى حبالها
أنا ابوك ياسعدا قرم عشمشم حرام على عيني البكرا ان تنالها
وسيجت حول الدار خوفي من العدا ترى ياسياج الدار غير رجالها
أياقوم هذا الدار عادت لغيرنا وهم يملكون تونس وكل مواليها
وخلوا لهم قابس وباقي بلادنا واقطعوا الرجا من بعدكم كرمالها
ادخلوا ارض القيروان وقابس ولا تنزلوا الا باعلى جبالها
والله العظيم ربي وخالقي اله تعالى ذو الجلال جلالها
فما خوفي الا من دياب وقومه لو كانوا بعددا لحصى مع رمالها
اياسعدا لقد بعت ابوك خليفه بفرسان بدوان الفيافي رجالها
ولا بد تشكي الضيق من فعل ابوعلى يدوس رجال الغرب تحت نعالها
هنيا لهم بالاخذ والحكم والعطا تخوت المعالي ابوعلى ارتقالها
ويملك تونس وللبلاد جميعا وأميرهم كل السعاد ينالها
ولكن من شور سعدا مشيربي عليها غضب ربي وتعدم خصالها
وهذه شكايات الزناتي خليفه هنيا نفس لاغليها ولا لها

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه وابنه سعدا تسمع نظامه فعزتها الدنيا

وبكت وندمت حيث لا ينفعها الندم وصارت تشجع والدها على حرب دياب
وثانى الايام برز الى الميدان فبرز اليه الامير دياب فاشار الزناتى يقول
وعمر السامعين يطول

يقول بن مهران الزناتي خليفة ... ولى قلب من جور الزمان جريح
تسعين أمير من هلال عامر ... وكل امير بالوغا رجيح
أسقيتهم كاس الحمام بلا خفا ... نسام عليهم بالظلام تصيح
ساقطع لرأسك يابن عاتم بهمتى ... واشرح لحمك والحشا تشرح
واخذ الخضرا ورائى جنيبة ... واسكر بدمك كالمدام وأسبح
فاعطوا عشر المال والخيل والنسا ... وتبقوا رعايانا على التوضيح
واجرى بساط الصلح بينى وبينكم ... ومن يطلب الصلح عاد مليح
رد الفتى الزغبي دياب وقال له ... ترى الهرج بين العالمين قبيح
لى ثار عندك يازناتى خليفه ... وقد باق فى قومى بكي وتنوح
قتلت عامر والقروم جميعهم ... وقتلت منا كل قرم رجيح
تسعين أميرا من هلال وعامر ... عدوا وتطلب ان أكون سميح
وتطلب انى يازناتى أصالحك ... أنا والنبي بين الرجال سميح
ثمن يعتق الحية يضره سمها ... ويضحى فؤاده بالسموم طريح
اين بدر العامرى ابن فايد ... ابن اخوتى زيدان وبدر مليح
اين سلطان الخناجى عامر ... قد كان في يوم الطراد رجيح
وتحتى خضرا يقطع العود عزمها ... متسربلة فى أماكن التوسيح
ماظن يلحقها الطير بالسما ... انا بها بين القروم نطيح
وانا لك مناطح يازناتى خليفة ... على سرج خضرا ثم فيك أصيح

قال الراوى فلما انتهى دياب من كلامه والزناتى يسمع نظامه التقوا البطلين
كانهم أسدين كاسرين وما زالوا فى الحرب والصدام الى حين اتى الظلام
ودقت طبول الانفصال وثانى الايام برز البطلين الى الميدان وانشد الزناتى
يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزناتى يادياب الغاره ... جاك الزناتى مثل شعلة نارا
جاك الزناتى فوق أدهم ضامر ... لو كان فيه جناحين طارا
تسعين أميرا من هلال قتلتهم ... صفيت روس الكل عالاسوارا
زيدان مع بدر الامير قتلتهم ... أيضا وخلك كان عز الجارا
واليوم لازم أدبحك بمهندي ... وأسقيك يازغبي كاس مرارا
ان طعتنى انزل وبوس ركابى ... وادخل على لكي تكون بجارا
رميت نفسك فى حروب خليفة ... قصاب عامل فيكم جزارا
رد الفتى الزغبي دياب وقال له ... الا يازاتي لاتكون فشارا
من نجد حتى أرض تونس كلها ... وملوكها وابطالها وأمارا
لى ثار عندك يازناتى خليفة ... أحرقت قلب رجالنا بالنارا
أتيت الى سبتى وسن قنانى ... لانى أمورك بالملا تذكارا
واملك لنصرك والبلاد جميعها ... واخذ حريمك كلها وجوارا
عنك فالى يازناتى عفة ... لابد ما اضرب لهيب النارا

قال الراوى فلما فرغ الاثنين من الشعر والنظام ولم يزالوا فى حرب وصدام لحين اتى الظلام فدقت طبول الانفصال وثانى يوم برزوا البطلين فانشد الزناتى يقول من فؤاد متبول

يقول الزناتى والزناتي خليفة ... لى عزم فى البيدا كسبع الغاب
انا اللقرم انا الضرغام انا قاهر العدا ... انا مهلك الابطال يوم حراب
انا البطل المسمي الزناتي خليفه ... كم من ملك جانى وظنه غاب
حكمت على كل الملوك جميعهم ... وتركت كل الخلق تحت ركابي
يادياب الخيل انظر همتى ... لاوربك منى اعجب الاعجاب
كم من ملك مع جيوشه قهرته ... عاد دماهم عالوطا سكابي
انا اليوم خصمك يادياب بن غانم ... لابد عن قتلك تروح ذهابى
ماعاد غير الطعن في سمر القنا ... والضرب بسيف اليمان طلابى
ما قال ابو سعدا الزناتى خليفه ... لابد اذبحك يادياب عذابى
رد الفتى الزغبي دياب الماجد ... ولى عزم امضى من سنان رماحي

كم من ملوك قد قهرت بصارمي ... وكم من مشالك يازناني راح
فراح بحد السيوف مجندل ... خليت دمه على الوطا سياحي
وراح المنجد والهيدبي ومفرج ... والخذاعي في حلب قد راحي
وان كان ما استق غليلي منك ... بحرم على وصال بيض ملاحي
قال ابو موسى دياب بن غانم ... لا انا مهذار ولا مزاحي

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه والزناتي يسمع مقاله واخذ في الحرب والصدام حين اتى الظلام فدقت طبول الانفصال وثاني الايام برز الامير دياب الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الزناتي واشار يقول

يقول الزناتي افرش الفرسان ... في القلب مني زايدة نيران
بليت فيكم ياهلال بلية ... ربي بكم دون الملا املاني
قتلت منكم قوم مالهم عدد ... راحوا طعام الوحش والغربان
صافف رؤوس رجالكم انظرها ... على الصور منشورة كالصيوان
انا خليفة يادياب تحضر ... ياما قهرت ابطال مع شجعاني
انزل عن الخضرا وبوس ركاي ... واسلم لروحك لاتكون ندمان
تبقي بظلي يادياب وقومك ... وتعيش بخدمتي تحت امان
ان طعتني وخدمتني بنصاحة ... اعطيك توزملك على سطاني
وان لم تطعني اقتلك بسيفي ... واسقيك كاسا طافحا مليان
واوضع لراسك فوق سور بلادي ... واقول راس دياب قد اكفاني
رد الفتى الزغبي دياب وقال له ... اقصر كلامك لاتكون وهمان
انا دياب والدما مشربي ... كم كاس شربته الى الفرسان
معتاد سيفي للدروع بقدها ... رمحي وسيفي في الدما غرقان
بكفي تنهد على دياب وتعتني ... ان كنت فارس بالحروب القاني
لي ثار عندك يازناني قاصد ... تسعين بيضا بالدجا مهران
خالي بدير والخفاجي عامر ... مع بدر اخي والفتى زيدان
اولاد هولا يازناتي خنتهم ... في ماضي الحدين ضرب بماني
واسقى غليلي منك يا وسعدا ... خوفي من الزينات لانساني

قال الراوى فلما فرغ دياب من كلامه التقوا البطلين فى الحرب والصدام وذاقو اعظم البلا والكرب حتى كل الزناتى وملّ و بعد عزه ذل وعرف حاله مع دياب انه فارس مغوار و بطل كرار لا يصطلى له بنار فبقوا فى الحرب والقتال الى ان ولى النهار وقبل الليل بالاعتكار ودقت طبول الانفصال فافترقوا من المجال ورجع الاميرديا ب الى قومه والزناتى الى قصره وقد ذل بعد العز سبحان من ذل الجبابرة بقوته القادرة فمزته الدنيا وقد بكى على احواله وملكه وبات فى تلك الليلة فى هم واتراح الى وقت الصباح فنهض الزناتى من نومه وطلب دواية وقرطاس واشار يكتب الى الاميرديا ب بالصلح ويقول

يقوله ابو سعدا الزناتى خليفة ... حرام على عينى المنام حرام
وحملى ثقيل ابهر الناس كلها ... بسيفى ورمحى ارعب الحكام
حكمت وحكمى طال فى الغرب كلها ... على صالح التوفيق والاحكام
بنيت بيوت الضيف للمدح والثنا ... وضيوفنا شبه الحجاج دوام
واقرى اليتامى والارامل جميعها ... واكسى العرايا واسعف الايتام
ومالى ورزقى فيه لله حصه ... اقريها فى كل دهر وعام
ولاخت منه طول عمرى بنصرة ... ولو كان زمة اوحقير اسلام
انا ابوك ياسعدا الزناتى بلاخفا ... اذا طارت الهيجا يوم زحام
انا صون طعن العذارى بالوغا ... بطعن يشيب كل راس غلام
الا واستمع لى يادياب بن غانم ... اصغى لقولى واترك الاوهام
واجر والامر الصلح بنى و بينكم ... وسامح وصالح يا ابو غام
واقبل دخولى يادياب وجيرنى ... وسامح بما اذنبت من الاثام
اقبل دخولى يادياب طاعتك ... عبدك انا داخل على الاقدام
اقبل دخولى يادياب المنحسب ... عبدا لديكم خادم الخدام
سامحنى فيما مضى لاتلومنى ... ودفن الخطا بين الملوك حرام
ابعد عن الشيطان هذا عدونا ... ماتفتكر فيما تبعه حرام
دياب اخزى الشيطان ياولد غانم ... وارح الذى ذا قلبه بقى منضام
وادعى خليفة يادياب صديقك ... يعينك اذا طال الزمان ودام

وخذ ملكنا والتخت يالمالكه وخيل السوابق والرزق وقنام
وقابس وتونس والنخل وكرومها بساتين تزهو بالثمر اعوام
وانيل دخولي يادياب بن غانم وسامح وصالح يابن نسل كرام
فواجب عليكم يا امارة تصالحوا ترى الصلح عند سيد الاحكام
وان اردتموني جيتكم لحدكم اقبل اياديكم مع الاقدام
وحق النبي ما انا بقول كاذب وحق الذي حجت له الاسلام
وحق المنا والزائرين الى المنا وحق النبي مع جملة الاسلام
وحق الحرام والبيت والركن والصفا ومكة وزمزم ومن لهم خدام
باني وقيع الصلح يا امير واكد وما مضي من تخلفه الايام

قال الراوى فلما فرغ الزناتى من كلامه طوى الكتاب وارسله الى الامير دياب وكان دياب قد برز الى الميدان وجميع امارة بنى هلال راكبة معه فلما وصل النجاب واعطاه الكتاب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فعند ذلك ارى لجام الخضرا وتوجه لعند الامير حسن وعرض عليه كتاب الزناتي فقراه حسن وابوزيد على رؤوس الامارة وجميعهم بهتوا ساعة طويلة فقال الامير ابوزيد يا امارة الزناتى باعث طالب الصلح ماتقولون فقالوا الجميع راينا عند حسن يادياب وعندك يا امير ابوزيد فقال ابوزيد رايت انكم تصالحوه ومن ابى عن الصلح يغلب واما الجازية لما سمعت هذا الكلام من امارة بنى هلال التفتت الى الامارة وقالت اذل الله الحاكم من بنى المربان ذليتم عن حرب الزناتى وديابايضا من بعد قتل اخوته واولاد عمه يذل معكم دياب شاطر في ركوب الخضرا ونعريض الصدر وحالا نادت على النسوان دونكم الخيل ونحن نقهر الزناتى وناخذ ثارنا منه والتفتت الى دياب وقالت له حول عن الخضرا حتى اركبها واحارب الزناتي واشارت تقول

تقول فتاة الحى ام محمد وانا على حرب الزناتي جهاد
انا بنت سرحان الامير بلا غبي اخي حمن سلطان على القوم سايد
على ادرى الخيل وحدي وا كيدها بسن القنا والماضيات الهنايد
الا ياعذراى شدوا الخيل واركبوا على سوابق منسبات جرائد

ونلبس خودهم والدرع وخيلهم ... ونحن نكاون بالمرور الهلامد
ونقتل الزناتى خليفة وقومه ... ويبقى لنا التذكار بين الاجاود
خذوا براقعنا وغطوا وجوهكم ... وهاتو ملاسكم وكل العوايد
ونحن نطلقكم وناخذ بدالكم ... ونحرم عليكم ذابلات الهنايد
الا يابنات اسمعوا شرح قصتى ... ودقوا طبول الحرب مثل الرعايد
ذليتم من حرب الامير تونس ... اجاويدكم راحوا وولوا شرايد
تريدون صلحا بعد تسعين اميرا ... حريمهم عليهم قائمين العدايد
وفرحوا فيك العذارى ياولد غانم ... وقالوا دياب الخيل يابوا العوايد
ماقالت فتاة الحى ام محمد ... فلا بد من حرب الزناتي اكايد

(قال الراوى) فلما فرغت الجازية من كلامها والاماره يسمعون نظامها فعند ذلك تبادرت البنات الى الخيل وكل واحدة مسكت لجام فرس وقالت لراكبها انزل واركب موضعي فى الهودج وانا اركب جوادك واما الجازيه فغارت على دياب وقالت له انزل انا اركب موضعك احارب الزناتى فعندها غضب الامير دياب وقال لها لمثلى يقال هذا الكلام فاناكم مرة خلصتك من السبى وما خليتك تنهتكى يابنت الاجواد لو صالحوا كل بنى هلال ماأفوت ثار اخوتي واولادهم ولا صالحت الزناتى قومي وارجعى الى الوراء وردى هؤلاء البنات واشار دياب يرد على الزناتى يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ... وذم الفتى بعد الفعال حرام
وحمد الفتى بعد الفعال مذمة ... وحمد الفتى بعد العفال تمام
انا دوم ممدوح بفعل الاكارم ... بخير وجود بالقلا وخصام
كم فارس انا بقناتي قتلته ... وادعيه جوا اللحود ينام
من نجد الى تونس ابدنا قرومها ... سلاطين ابنو للضيوف خيام
واخذنا الى اموالهم وظعونهم ... واخذنا مكاسبهم وكل غنام
وماعاقنا من نجد الى ارض تونس ... عوايق ولا خيل بها هجام
سواك ياامير الملا ياخليفة ... فتكت فينا بقنا وحسام
تسعين اميرا من هلال قتلتهم ... وراحوا طعام الوحش والاوهام

وباعت تصالحني من بعد عزوتي فهذه امور مبعدات عظام
اتينا بلادك يازناتي خليفة اصبحت تكاوننا بغير لزام
تسعين اميرا نت ناسي عدادهم اريد الوفا منك بحد حسام
غدا التقيني طلعة الشمس باكر يوما طويلا ابرك الايام
انا عنتر التداد اناولد غانم انا الزير ابو ليلى انا الهمام
فمن يمدحوه الناس يزيد قدره ومن يمدح نفسه عدم الافهام
ولابد عنك يارناتي خليفه ولو كان حولك مايةالف غلام
وان طرت اوغرت ولابد عنك ولوكنت جوى الف برج رخام
اذا اصطفت الخيلين واشتبكت القنا ونصرت الاسلام بيوم زحام
فانزل الى الميدان من غد باكر لاوريك طعنا يقطع الاوهام
وخذ من يمينى طعنة قوية يغنوا بها الشعار نظم كلام
ويظهر خبرها فى البلاد جميعها تشق الحشا طعنات ابو غمام
وترحل بلاد الغرب عالها ودونها وتبقى امارتنا بها حكام
انا فارس الشرقيين والغرب واليمن وذكرى ملامصر وارض الشام
فلا بد ماامالك بلادك كلها وقومك يصيروا عندنا خدام
ماقال الفتى الزغبي دياب بن غانم غدا التقيني الى وقا الاذمام

(قال الراوي) فلما فرغ دياب من كلامه طوي الكتاب وارسله الى الزناتي خليفة فلماوصل اليه فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وانخمدت انفاسه وزاد وسواسه ولما اصبح الصباح دقت طبول بني هلال للحرب والكفاح وبرز الامير دياب الى الميدان فنظر ذلك الزناتي فاشار يكتب الي دياب ويقول

يقول ابو سعدا الزناتي خليفة والهم قد جانا مع الوسواس
يادياب الخيل ياطيب الثنا ياامير حامى حومة البرجاس
فاصفح عن حربى وخذلك ماتريد اموال خذ منى وكل اجناس
واعطيك منى القيروان وقابس تونس وقابس ودر المكناس
وبالحال ارسل للمغارب جميعها ونادى اسمك فى جميع الناس
واحكم انت فى بلادى وارضها على الخلايق كلها والناس

وتقيم لك الرايات في كل محضر واذكر لجودك طيب الانفاس
اقسم عليك بجاه ربي تجيرني وبحق اله العرش رب الناس
واصير عبدك وعبد عبدك للابد وفضلك على اهيانتا والراس
وبطل الحرب عني ولا تلومني ودبني بقولي ماانا دلاس
ماقال ابوسعدا الزناتي خليفه دياب ترفق ياشديد الباس

(قال الراوي) فلما فرغ الزناتي من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه وقدمه للاميرديباب فلما قراه مزقه ورماه وصرخ في الخادم صرخة ارعبته وقال له لولا مايكون قتل الرسول حرام لادعيك على التراب مقتول ولكن ارجع الى مولاك وقول له مالك عنده جواب الا السيف القرضاب فرجع النجاب واعلم مولاه بذلك واما دياب فانه بات تلك الليلة الى الصباح فهب من نومه ونزل الى الميدان وعرض وبان وطلب برازالفرسان فما احد ردعليه جواب فعند ذلك عاد دياب الي صوب بوابة تونس فحكمت طريقه على خندق كبير فلما نظره حول عن الخضرا وقاس الخندق فطلع عمقه خمسة رماح ووسعه ثلاثة نعرف ان الخضرا تقفده فعند ذلك تعلى بظهر الخضرا وارجعها الى الوراء وابتداء يلاعبها حتى صارت اربعتها تنحط في المسد ودار رأسه صوب الخندق حتي وصلت الى حفته وحشكها بالركاب فقفزت الى جانب الاخر وظل غابر الى الباب لقى البواب نائم فلكزه بكعب الرمح ففاق البواب فوجد فارس فوق رأسه قال له الامير دياب يا واب روح ارسل سيدك لينزل الي الميدان وان كان ما ينزل قل له الامير دياب اليوم قفز الخضرا فوق الخندق غدا يقفزها السور فراح البواب واعلم مولاه ودياب رجع الى قومه فعند ذلك نزلت دموع الزناتي وصار يبكي على حاله وارسل وراء سعدا ابنته لكي يودعها وكان قصده يقتلها ولكن ليس اليها وصول وكانت سعدا ضربت الرمل فعلمت ان منية ابيها قد قربت فاتت الى الشيخ قباله وقالت له طب نفسا وقر عينا لان بان عندي بالرمل انك منصور على دياب وفي ثاني الايام دق طبله وبرز الي الميدان فبرز اليه الامير دياب فاشار يهد عليه ويقول

قال ابو سعدا ملكت الغرب بعزم ابطالي وشدة حرب
ملكتها غصب عن اميرها ودعيت جميع القوم مني هرب

يابن غانم جيت لاجل منيتك ذا الوقت تسقى من منايا شربي
واخذ الخضرا ودرعك عاجل الله اكبر يادياب الزغبي
تسعين فارس يادياب قتلتها فرسان قومك قروما عصبي
شوف القراعى كلهم قدامك على السور مسفوفين شرق وغربي
بيبضة الدبوس اكسر راسك واصحن عظامك وادفنك بالترابي
انا الزناتى فى الحروب مجرب بحد سيفى قد حميت الغربي
رد ابو وطفا دياب وقال له يا امير انا ما احد ياتى ضربي
جيتكم على الخضرا كما البازه والا بدما تروح منى بالحربي
واقتلك بهذا اليوم واقطع راسك واشرب لدمك يازنانى شربي
واصيح فى قومك اشتت شملهم واحفر لهم بالارض ترى
ولا بد اخذ ثار قومى منك بدبر مع زيدان قاضى العرب
قاله بن غانم فارس الزغبي دياب ستر العذارى يوم كشف الحجبي

(قال الراوى) فلما فرغ الامير دياب من كلامه التقوا البطاين كانهم جبلين وغنى فوق رؤوسهم غراب البين فوقع بينهما ضربتين قاطعتين كان السابق فى الضربة الزناتى طعن دياب بها بالرمح فاخلى عنها فاصابت الخضرا فوقعت على الارض ووقع دياب كانه طود من الاطواد فطمع الزناتى فيه وسحب السيف من غمده وهجم عليه ليعدمه الحياة فكانوا بنى هلال ادركوه وقدموا له جواد من الخيل الجياد فعندها ركب دياب وانغر على الزناتي بقلب لا يهاب ومازال السيف بينهم الى وقت الظلام فانفصلوا على سلامة من الحرب والقتال اما الامير دياب فانه حزن على الخضرا كثير وامر ان يغسلوها ويكفنوها بشقق الحرير ويدفنوها وبنى على قبرها قبة عظيمة وذبح على قبرها الف ناقة وفرقها على الفقراء ذكاء عن سلايلها واولادها وثانى يوم نهض دياب واعتد بعدة جلاده وركب على بن الخضرا وكان مهر رباعي طويل الباع ابن الطباع وبرز الى الميدان كانه فرخ جان وطلب مبارزة الزناتى فبرز اليه لانه فرح بقتل الخضرا وظن انه يملك اربه من دياب ويقتله كما قالت له سعدا واما حسن وبني هلال تحقق عندهم ان دياب فى هذه المبارزة يقتل الزناتى لا محال لاجل ثار الخضرا فركب الامير حسن مع سائر

بنى هلال وركبوا العاريات الهوادح اصطفت العساكر قبال بعضها البعض هذا والزناتى ودياب في خرب شديد يقطع الزرد النضيد من الصباح الى ان صارت الشمس فى قبة الفلك الاعلى فتارت فى رأس دياب نخوة الرجال والهمة الكافية العلية وولاه مولاه على الظفر على من عاداه فسحب الدبوس من تحت فخذه وبرمه في يده وضرب الزناتي على رأسه فطير جميع اضراسه وفخت طاسة البولاد ونزلت على هامه فدار الزناتى رأس جواده وعول على الفرار من عظم الالم فما عاد يدرى كيف يتوجه فلاجل نفوذ الاحكام فلما هرب الزناتى قام الامير دياب فى عزم الركاب واطاق به الرمح لان الزناتى كان هاربا فالتفت لكى ينظر دياب ان كان لاحقه فاصاب الرمح عينه ونفرت الحربة من قفاه فتذكر الامير دياب وقت قول بنته نجيبه حين قالت له اطعنه بعينه فمال الزناتى عن الجواد وعول على الوقوع فسحب دياب من فخذه سيف الركاب وضربه على هامه ارمي رأسه قدامه فاخذ الامير دياب الرأس على راس السنان وغار هو وبنى هلال على قوم الزناتى فبددلوا افراحهم بالكدر فلما شافوا الزناتي على الارض مطروح وهو جثة بلاروح كثرت عليهم المصائب والاهوال وماعادوا يعرفون الين من الشمال فولوا هاربين والى النجاة طالبين واما قرايب الزناتي وقومهم فانهم صاحوا بالامان ودخلوا واقفين على دياب ورموا سلاحهم وسلموا الى الموت ارواحهم وطلبوا من دياب الامان واولهم كان العلام وطلبوا من دياب مكان يقيموا فيه ويلجئون حريمهم فاعطاهم مدينة الاندلس وما حولها وهم على ثبات الاقوال ورحل العلام وقومه بالحريم والعيال وقطنوا بذلك المكان ورجع الامير حسن والامير ابو زيد وبنى هلال نحو تونس لينظروا كيف فعل اما دياب فانه ملك تونس وبالحال نادى عبده خليل واعطاه الرمح وامره ان يوضعه فوق باب تونس وينادى ان مافى امير الا الامير دياب وكل من لا يدخل تحت هذا الرمح يقتل تحت الرمح ففعل العبد كما امره مولاه وصار ينادى بنداه فلما سمعت سعدا بقتل ابيها البست افخر ملبوس وصارت تلبختر كانها العروس اتت لعند الامير مرعى وهو يتمشى بجنابن القصر عند العصر وهو لابس ملابس الحرير وعلى رأسه طربوش مغربى حسب عادت اهل الغرب ومنتظر الفرج والتيسير من هذا الامر العسير ثم دخلت عليه سعدا وقبلت يديه

وقالت اعلم ايها الامير وسيدي الخطير قد جاء الى الفرج بعد التعسير وتعاهدت هي واياه ان لا ياخذ غيرها من النساء ووعدته ايضا ان لا تاخذ غيره من الرجال ولو قطعت بالسيوف الصقال وبعد ذلك ودعوا بعضهم البعض وكل واحد ذهب الى حال سبيله . يرجع الكلام الى الامير دياب بعد قتل الزناتي امر بتعليق رأسه على الصور وامر بتنزيل رؤوس امارة بني هلال ليدفنوهم وملك دياب تخت الزناتي خليفه وحاز الملك والمال والنوق والخدم قدامه وامر باطلاق مرعي ويحيى وبونس وخلع عليهم وارسلهم لعنداهلهم وجلس دياب على تخت الزناتي ولبس التاج على رأسه وكان ذلك التاج مصنوع من قديم الزمان من ايام مهران خليفه ابو الزناتي ومرصع كله بالمرجان الاحمر والياقوت الاخضر ومنسوج بالدر والجوهر والذهب الاصفر واجتمعت حوله بني زغبي صفوف صفوف ميات والوف واتوا الجميع حبوا يداه فلما سمعت سعدا بجلوس الامير دياب على كرسي ابوها خافت وارتعدت فرايصها وخاب ظنها بمرعي وندمت حيث لا ينفعها الندم وتوجهت لعند الامير دياب وحبت يداه وترجته في دفن ابوها فانشد دياب يقول

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم ... ولا فخر في الانسان الا فعايله
ولا فخر بالانسان الا بما عمل ... وفعل الردي الحال ينشي قنايعه
اياسعدا انتي علمت باني ... خصيم ابوك قاطعا لشقايقه
طعنته في وسط العين في نصف وجهه ... فاضحى قتيلا واقعا في مصارعه
اركزت رمحي فوق باب تونس ... وقلت حسن يختشى من خدايعه
عندي حسن يوم الوغى مثل خادمي ... اما دياب ما احد عاد يصارعه
قتلت ابوك والقنا يقرع القنا ... وقد كان يحسبني باني لا كمه
اياسعدا قد راح ابوك خليفة ... واخذت تاجه وتختة وتوابعه
انا تعرف الفرسان عزمي وهمتي ... وسيفي بدم العدا انا ناقعه

فلما فرغ الامير دياب من كلامه اشارت سعدا تترجاه وتقول

تقول سعدا بنت امير تونس ... الا يا دياب الخيل يا ابو الهمايم
انا اليوم دخيلتك وبجيرتك ... تجيرني اجارك رب العرش دايم
قومي غدوا يا امير من تحت الوطا ... وكانو زناتيه وراحوا هزايم

الا يازناتيين وقوم خليفة والسعد منكم راح عدنا رمائم
اياحيف ياخليفة تسكن بالثري وتبديل قصور العز بالتراب دائم
الا ياديباب الخيل ياكاسب الثنا ياطويل الباع ياولد غانم
ارجوك ان ابى تواريه التراب وامر بدفنه يامير تحت الردائم
وادفنه يااامير بجانب اخوتك تنال الخير والثنا وكسب الغنايم
لقد كان خلك ياامير وصاحبك وكان يعزك دون باقى العوالم
وكان يحبك دون كل قرائبه وياما مدح فيك بين الاكارم
كم مرة قال لى دياب بن غانم ماشفت افرس منه قرم ملاطم
يامير جيرنى بالنبى المصطفى يجيرك الهي من جميع النهايم

(قال الراوى) الما فرغت سعدا من كلامها امر دياب ان يدفنوا ابوها بين قبور اخوته بدروز يدان وطيب خاطرها وادخلها بين حريمه فاكرموها غايه الاكرام هذا ماجرى الي دياب واما ماجرى الى حسن وابو زيد وهم راجعين الى تونس سبق منهم ناس وشاهدوا رمح دياب والمنادى ينادى باسم دياب والعبد خليل حين رأي الامير حسن والاميرابو زيد مقبلين ارتعد فداه ورجع شاور مولاه فقال له دياب ارجع نادى كما امرتك فرجع العبد وصار ينادى ان لاسلطان الا دياب وكل من لايدخل تحت رمحه يعدمه الحياة انحين سمع حسن هذا الكلام قال كيف الرأى ياابو زيد ندخل ام لا فقال ابو زيد هينه ياحسن ندخل وان ماشال الرمح فكان عبدالامير حسن وراه ضرب الرمح قطعه نصفين فضربه العبد خليل قطعه كما قطع الرمح واما حسن هجم على ديوان الزناتى فوجد دياب جالس على التخت وحوله اكابر بنى زغبى والخدام والعبيد بين يديه والتاج على راسه فلما نظروا حسن هجم مثل الجمل الهايج وقال ماهذه القعدة ياديباب ما كفاك مرقتنى من تحت رمحك وتلبس التاج على راسك وتريد تورثنى واماجي وتعزلنى عن منصبي ورثة جدى وابى ونحن من الذى قصر منا عن حرب الزناتى لا بد عن قتلك يانجس بعد هذا العمل وانحذف على دياب فوقف ابو زيد والرجال بوجه حسن وقبلوا ايادية وقالوا له يامولانا ان دياب خطى ومنك المسامحه فهذا كله جري ودياب جالس على الكرسي ماهو مفتكر فيه ولا كلامه فزاد بحسن الاضرام وقال اتركوني حتى

اقتل هذا الغائب فقال له دياب يا حسن انت يعدفيك الشطاره فلماذا ماقتلت الزناتى وملكت مملكة ولاي سبب ارسلت تدخل على انت وابو زيد وكل بنى هلال حتى قتلت الزناتى ومهدت لكم البلاد فقال حسن انا والامير ابو زيد ماارسلنا وراك ولا احد من جميع بنى هلال الا البنات وابوك غانم فقال دياب المكانيب عندى فقال حسن كذبت وحق البيت والحجر والركن المطهر لابد عن قتلك وهم فى هذا الكلام فتقدم ابو زيد وقال

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ... فمالك ياحسن سرحان هايش
تريد تقتل دياب يابو على ... وهو حامى ظهرنا من كل هايش
لانه جعل رمحه على باب تونس ... فهذا ماهو ذنب يامير طايش
حرمنا بعثوا البراقع لدياب ... ايدعى ابو سعد بدمه يشالش
وجانا على خضرا وجندل عدونا ... واخذ ثارنا بماضيات الطرابش
قوموا بنا نقسم بلاد الزناتى ... ونادوا بالاطمنان والعيش عايش

(قال الراوى) فلما فرغ ابو زيد من كلامه تقدم الى دياب وقال له يابن العم العين لاتعلو فوق الحاجب قوم حتى نركب حسن على الكرسي ونقسم البلاد فعند ذلك قام دياب ومسك حسن واخذه ابو زيد بباطه وقاموه على التخت واجلسوه وتقدم الامير دياب واشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم ... والنار من جوا الضلوع شجونها
ايا بو على لولا دياب بن غانم ... غدا ظعنكم بحرب الزناتى رهونها
ولما قتلت الهيدبي وانت شاهد ... وابو زيد حاضرها كيف تنكرونها
طعنته رميته والقنا يقرع القنا ... وبيض العذار شاخصات عقونها
وملكتم نجد البديه وارضها ... وقفت بها بيض العذارا يفتنونها
تكاونت انا والزناتى خليفه ... وما تعلم الارواح من هو زبونها
وقد راحت الخضرا وشتت بها النيا ... من طول عمرى للعدا اصونها
وجاؤني بنى هلال وعامر ... وجاؤنى بنات هلال يندبونها
وجابوا القماش الحرير الغالى ... وجاؤا الى الخضرا يكفنونها
حفرت لها فى الارض قامة ومثلها ... خايف وحوش البر ينهشونها

ان مت بالله ادفنوني بجنبها في وسط روضة موضع ان دفنونها
عسى نلتقي يوم القيامة جميعنا واقبل الخضرا وامسح عيونها

(قال الراوي) فلما فرغ دياب من كلامه فاعتذر له الامير حسن وقال له يا امير دياب الخطا يقع من قلب الصواب والخضرا خذ عوضها مدينة تونس من غير حساب واقسم لك ثلث الغرب الذي تريده وانا مثلك وابو زيد مثلي فحضروا جميعهم الديوان تقاسموا الجميع بالاسوة من دون تونس الى الامير دياب من غير حساب وانصرفوا على هذا الحال اما الامير مرعي فانه اجتمع مع ابوه وسلم عليه ووقعت الافراح وذهبت الاحزان وعملوا الولائم وذبحوا لاغنام الى الخاص والعام ونادوا بالامان في جميع البلدان وسلطنوا العلام على قابس ومكناس وتلك البلاد وبعد ذلك امر الامير حسن ببناء قبة عظيمة على قبر الزناتي وامر باحضار الحفارين والنجارين والمرخمين والدهانين وجميع ارباب الصنايع ان يبذلوا المجهود في تزيين تلك القبة على قبر الزناتي وان يكتبوا عليها اسماء الله الحسنى فزخرفوها بالفضة والذهب وصنعوا له مشهدا ومزار. هذا ما كان من امر بني هلال واما ما كان من قوم الزناتي وهم الامراء وائل ومحمود وزائد وغيرهم من الحكام الذين يحكمون على سبعة نخوت بلاد الغرب والاربعة عشر قلعة لما سمعوا بتسلطن العلام وقتل الزناتي هاجوا وماجوا والتمت القروم من جميع جزائر الغرب وانوا الى ملكهم وكان يدعى ناصر وهو اخو الزناتي وكان حاكم على الاربعة عشر قلعة وعلى سبعة نخوت بلاد الغرب فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه واخبروه عن بني هلال وعن قتل الزناتي خليفه اخوه فهاج وماج ورغرغ وضاج واسودت الدنيا في عينيه وحالا امر في تجهيز العساكر والابطال وارسلهم الى عند العلام لتهيا الى حرب العربان فلما وصلوا اليه ودخلوا عليه قبلوا الارض بين يديه وبكوا على ملكهم الزناتي واظهروا له الحزن والهم والكدر والغم وانهم خسروا ملكهم الزناتي وقالوا ياذلنا من بعده والله لناخذ بالثار ونكشف عنا العار ونرجع تونس بالسيف البتار لانه ارسلنا اليك الامير ناصر اخو الزناتي حتى تتهيا للحرب والقتال

(انتهى الجزء التاسع عشر. ويليه الجزء العشرون)

الجزء العشرون من تغريبة بني هلال

(وهو يتضمن على قصة الامير صبرا بن الامير ابو زيد)

وقتل العلام بن عم الزناتي وتملك سبعة نخوت بلاد الغرب والاربعة عشر قلعة

(قال الراوي) فكان جواب العلام للقوم انني كليت من الحروب والاهوال وليس لي عزم على ملاقاة الابطال والرجال فافعلوا مابدالكم وانا امدكم بالاموال وهكذا قر رأيهم وارسلوا يعلموا ناصر اخو الزناتي ولما بلغه هذا الجواب اخذ في تجهيز العساكر في الحال من الغرب الحواني ومامضت مدة من الزمان حتى تجهز ستماية الف مقاتل بين فارس وراجل فنهض بهذا العسكر الجرار الذي هو مثل موج البحار وقصد بني هلال ومازال سائر حتى قارب اطراف تونس . هذا ماكان من هؤلاء واما ماكان من الامير دياب فانه دخل يوما على قصره اي قصر الزناتي فوجد سعدا تبكي وتنوح من فؤاد مجروح على فقد ابيها وعلى فراق مرعي ويحيي ويونس لما كان عندها لهم من الحب والهيام ومزيد الشوق والغرام فلما نظرها الامير دياب على هذا الحال حياها بالسلام فمال اليها وزاد غرامه فيها واراد ان ياخذها زوجة له فقال لها طيبي نفسا وقري عينا حيث انك صرت في ملكي وتحت حكمي فاريد ان اخذك لي زوجة مطيعه ولا وامري سميعة واشار اليها يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو موسى دياب بن عانم ... ولي عزم في الهيجا كليث رهيس
ولي عزم امضى من حسام اذا سطا ... ومانى ردى الاصل لست خسيس
الا فابشري ثم ابشري يابن غانم ... انا صرت حاكم في دريد وقيس
الا ياسعدا قري وافرحي ... وانا صرت بعلك دون كل ئيس
عليك امان الله مادمت سالم ... على ظهر شهبا قائمة البرجيس

فلما فرغ دياب من كلامه وسعدا تسمع نظامه اغتاظت الغيظ الشديد ومالت عليه مزيد واشارت اليه تقول

تقول سعدا بنت سلطان تونس ... سطا البين وتعدي علينا ومال
يازمان المضى وراح وانقضى ... تعالى الينا يازمان تعال

يا من يرى سعدا وابوها خليفة ... زمان اعتدال الدهر قبل ما مال
انا كنت اميرة بنت امير واميرة ... وقصري على شرافتين طوال
ذنبي برقبتك يا دياب بن غانم ... قتلت والدي بالصارم الفصال
تقتله وتريدني لك حليلة ... فهذا منك يا دياب ضلال
فان اخذتني يا ميمع عميت نواظري ... فاني اعجل لروحي بشنق حبال
ولا الناس يقولوا اخذت عدوها ... ولا انسبك لي يا دياب رجال
ولا اريد الزغبي دياب بن غانم ... الا مقطع فوق روس جبال

(قال الراوي) فلما فرغت سعدا من كلامها والاميرديا ب يسمع نظامها فاسودت الدنيا في عينيه كالظلام وقال لها على تتجاسري في هذا الكلام يا بنت اللئام وحينئذ امر عبيده بضربها وان يشغلوها الاشغال الشاقة ويطعنوها الملح ويلبسوها الملابس الخشنة وتركها ومضى ففعلوا كما امرهم به وبقيت على هذا الحال مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر دخلت عليها نافلة اخت الامير دياب فلما رأتها على هذا الحال سالتها عن حالها وماجري لها فاخبرتها سعدا عن ظلم الامير دياب وكل ماجرى لها واشارت سعدا تخبر نافلة بهذا القصيد تقول

تقول سعدا بنت امير تونس ... وتجري دموعي فوق خدي عوابر
ابكي على ابوبي الزناتي خليفه ... وعلى قومنا راحوا بحد البواتر
اميرنا وعوننا يوم حربنا ... وفارسنا عند اختلاف المسائر
يوم التقى يا نافلة بن غانم ... ولبس ملبوس كثير المفاخر
وتصادموا الاثنين في حومة الوغا ... وصار غبار الخيل للجو طاير
اصيب بحربة من يمين بن غانم ... فحكمت له بين العيون النواظر
ولما قتل ذلت اجاويد قومنا ... وراحوا كما الطير في الجو طاير
ودياب يريدني اكون له حليله ... ويقتل ابوبي فوق خيل ضوامر
فوالله ليس بخاطري ان اقابله ... ولست انا ارضاه والرب حاضر
بكيت على دهري الذي قد خانني ... ومن حين ولو ماجبر لي بخاطر
ويا ماجرى من بعدكم يا خليفة ... طحنت الملح مساه وباكر
ويا من بعزني على فقد والدي ... ويوضع سعدا في لحود المقابر

فما اتمت سعدا من كلامها الا والامير دياب صار امامها وكان قد سمع منها الخطاب لانه كان واقف خلف الباب فامر غلمانه ان يزيدوعليها الاشغال ففعلوا كما امر وبقيت على هذا الحال مدة خمسة عشر يوم وهي تبكي وتنوح من فؤاد مجروح وكان اكثر بكاها على مرعى نسيبها وما عاد افتكر فيها وكان عندها عبد من جملة العبيد اسمه مرجان كانت تعرفه لانه من عبيد ابيها فاستدعته اليها وقالت له مرادي ان تاتيني بقلم وقرطاس ودواية من نحاس لان مرادي اكتب الى الامير حسن كتاب فقال لها على الراس والعين واتاها بما طلبت فاشارت تكتب تقول

تقول فتاة الحي التي خاب ظنها ... سعدا التي خانت أبوها وراح
ياغاديا مني على متن ضامر ... اذ ماشي يسبق هبوب رياح
حين وصولك للهلالي قول له ... يا كامل المعروف والاصلاح
نسيت الصغيرة يا علالي أبو علي ... ومعكم ترى ما فعلت قباح
الا فاذكروا يوما اتونا أولادكم ... الى الغرب رادوها براي فلاح
أراد الزماني ان يشيل لروسهم ... ويريد يخطف منهم الارواح
تشفعت بهم ثم جاؤوا بنعمة ... ولولاي كانوا قد غدونا شرح
قد قال لي مرعى آخذك لي حليلة ... وحياة راسك جد غير مزاح
نظرتم أبويا كيف باد جموعكم ... وكان عليكم بالوغى نطاح
فجاز بيه بالقتل يا امير لاجلكم ... وسرى بكم بامير صار مباح
فانا التي ملكتكم ارض تونس ... وخنت أبويا ذاك مات وراح
فقال دياب اخذك حليلة ... فايت أمره ياحسن وقباح
فاخذني دياب وحطني في مذله ... وتصرني عبيده في مسا وصباح
واحمل على ظهري الحطب يا ابو علي ... وأملي جرار الماء بالانراح
وذاك اليوم اذري حالتي ابن غانم ... يعاملني بالشر كل صباح
رميتموني يابن سرحان ابو علي ... فكيف تجازون المليح قباح
نسيتموني والنبي ما نسيتكم ... وفيت بعهدي جد غير مراح
مرادي اكون بقربكم يا ابو علي ... واخدم لتختك في مسا وصباح
تقول فتاة الحي سعدا التي شكت ... وفي القلب نيران وهب رياح

فلما فرغت سعدا من تحرير الكتاب طوته واعطته الى النجاب فاخذه وسار الى الامير حسن ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فحينئذ اغتاظ من الامير دياب وارسل وراء الامير ابو زيد فحين وصوله اعلمه بما حصل لسعدا من الاول الى الآخر فقال له ابو زيد ما تقدر تجيب سعدا الا بواسطة قسمة البلاد وفى ثانى الايام ركب الامير حسن والامير ابو زيد مع جماعة من الفرسان وتوجهوا نحو الامير دياب ولازالوا سائرين الى أن وصلوا اليه فسالوا خاطره وسلموا عليه فالتقاهم الامير دياب بالترحاب والاكرام وأجلسهم باعز مقام وأشار بترحيب فيهم وقول

يقول الفتى الزغبى دياب ابن غانم ... أهلا وسهلا باصحاب الدار
أهلا بمن قد شرفوا محلنا ... ابو زيد والسلطان والامار
اهلا بسلطان الاعارب جميعهم ... مقرى اليتامى فى سنين عسار

فلما فرغ الامير دياب من كلامه شكروه الامارة على نظامه وبقيوا فى ضيافته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال الامير حسن للامير دياب مرادنا نقسم بلاد الغرب فقال دياب الامر لابو زيد فقال ابو زيد انتم مرادكم قسمة بلاد الغرب فان قسامكم مصاعب ومتاعب كثيرة فانكم ملكتم تونس وهى من جملة المملكات والباقى سبعة نخوت يجلس عليها سبعة ويحكمون على أربعة عشر قلعة ثم اشار بشرح لهم وقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامة ... الاجواد ما تنقل كلام معاب
تونس ملكتوها بحد سيوفكم ... ملكتوها من سائر الاجناب
فكيف يكون الراى يا امير ابو على ... قابدى لنا رأيا يكون صواب
فهذه اربعة عشر قلعة يابو برقع ... مدابن وتسعين لها نواب
اولهم كوج انا ابيك عن الخبر ... وبرج الدمع عالى حصين الباب
واجدو برنجه وطنجه وطبنجه ... تجدد الى من شعر راسه شاب
هؤلاء سبعة يابن سرحان ياحسن ... وانبيك عن الباقي من الاعجاب
اولهم قاس مع سرت ياحسن ... وفى مغرواه شغب الاحباب
باتيب ما خازوه الا لذين مضوا ... بروج وحصون لها نواب
ترى لقيروان ما تشتهي النفس ... من الخوخ والرمان والاعناب
والاندلس يامير ما شفت مثلها ... وفيها حصون مغلقة الابواب

يوجد فيها درر كلها من نحاس ... ومرصع الابواب والاعتاب
على الصور صورة طير يا امير جالسة ... وهي ذهب من اعجب الاعجاب
بمنقار متخلص بمخلاب منفرد ... وطابق عالى دا الصور بالمخلاب
وان اتت اقوام تطلب حربهم ... يدور بعسكره كما الدولاب
وان جاء يزعق ولكن زعقته ... تزلزل مدينتهم مع الاعتاب
تطلق مدافع من على السور ياحسن ... وترمى بنيران تزيد لهاب
فالفرس والعربان عنها عاجزة ... سلطانها حماد قوم مهاب
وكان السبب باصل تاسيس ملكها ... عجب من عجب اعجب الاعجاب
وكان الملك يسمي سليم مرعي ... عالى عماد المجد والاعتاب
هذا خلافة كان في العرب قائما ... فى العرش نحسبه كسبع الغاب
على الزناتى صار حتى خانه ... وحتى الملك ولى على الاعتاب
يلاقى الرصد يملو السور كالجبل ... علما بان هذا دليل عجاب
غاروا على القلعة و بطشوا بالملك ... ثم بعده داروا على النواب
وقطعوا امارتهم وقتلوا كبارها ... وملكوها من سائر الاجناب
وقلعة زواره قط ما شفت مثلها ... ملكها الملك حماد كليث مهاب
وتراه وسط الحرب قلا راكبا ... وتارة يركب لسبع الغاب
فذا الاربعة عشر قلعة اعطيتكم ... ووصفتها اليكم بحسن خطاب

فلما فرغ ابوزيد من نظامه والامير حسن والامير دياب يسمعون كلامه و بينهم فى مثل هذا الخطاب والا مقبل عليهم العبد مرجان ابن ابو القمصان مخضب بالدماء ومهشم الاعضاء فسالوه ما الخبر ماذا جرى عليك فقال لهم ان الشباب قد هلكت وقد نزلت عليهم قوم الامير ناصر اخو الزناتى الذى من تحت يده سلاطين سبعة تخوت بلاد الغرب وان كان لا تدركوهم بسرعة الحال والا ذاقوا الوبال وجعل يخبرهم بهذا القصيد عما جرى له وقول

يقول الفتى مرجان والقلب ذايب ... لفقد الامارة مع شباب هلال
سرحنا بعون الله للصيد والقنص ... نقنص وحوشا بالفلا وجبال
نلاقي الى قوم الامير ناصر ... ومعهم الفتي العلام والابطال

نزلوا علينا ثم رادوا لقتلنا فحاطوا علينا يمين ثم شمال
وان كنتم لاندركوهم بالحال والا راحوا تحت تل رمال
فهذا ما اخبرتكم ياهلال وقلبي انا صاير له بلبال

فلما سمع الامير حسن هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وكذلك الامير ابوزيد والامير دياب اغتاظ الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد وفي الحال دقت طبول الحرب واجتمعت عند الامير حسن فرسان الطعن والضرب فاخبروهم بهذه الاخبار واعلموهم بما اجرته التقادير فهاجت الابطال واستظمت تلك الاحوال وركبت جموع بني هلال للحرب والقتال وفي مقدمتهم البدمرجان ابن ابوالقمصان وخلفه الامير دياب والامير أبوزيد ليث الغاب وما زالوا سائرين يقطعوا البراري والقفار فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من شباب بني هلال وهم موسى ابن الامير دياب وصبره ابن الامير أبوزيد واخوته شيبان وخيبر فانهم كانوا خرجوا للصيد والقنص ومعهم عشرة من اولاد الاماره وبقوا مدة ثلاثين يوم يجولون في البراري والقفار والسهول والاوعا يقتنصون من الوحوش والاطيار وبسبب التقادير ينامو بالصيد اذ وصلوا الى عين يقال لها عين توزر فنزلوا عن خيولهم لانهم كانوا تعبانين وجلسوا على شاطيء النهر فقام البعض منهم يوقدون النار والبعض يذبحون الغزلان وهم في ارغد عيش واهنا بال والا يقوم الامير ناصر والعلام مقبلين عليهم وهم مثل الجراد المنتشر لا يعرف لهم أول من آخر وكان السبب بقدوم ذلك العسكر الجرار هو أن الامير ناصر والحايل ابن مقرب اتو الياخذوا بثار الزناتي وأخذوا معهم العلام بالحيلة لانه كان مختبر تلك الاراضي ولسبب التقادير صادفت طريقهم على عين توزر فالتقوا شباب بني هلال فاحاطوا بهم من يمين الشمال فحينما راي الامير صبره والامير موسي ابن الامير دياب تلك الاعداء احاطت بهم من كل جانب ومكان صاحوا على رفاقهم يا شباب اركبوا ودونكم ريشة الخيل من امام قبل ما ندر كنا الاعداء والهشمان فحينئذ ركبت الاماره ظهور المهارة وتقلدوا بالسيوف والنصول وهجموا على تلك الفرسان وابلوهم بالذل والهوان ونزلوا عليهم بضربات قاطعات تهدد الجبال الراسيات وفرقوا الميامن والميامر حتى ما كان الواحد منهم يعرف الاخر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة جسيمة وبقوا على هذا الحال لحين الزوال فافترقوا عن بعضهم البعض

والامارة جمعوا حالهم في تلك الاراضي فوجد صبره مجروح وشيبان اخو صبره مقتول ومرجان ابن أبو القمصان مفقود لا له غير وجود و بقيوا يحرسوا بعضهم بعض الي أن أصبح الصباح واضاء نوره ولاح واشرقت الشمس على روس الروابى والبطاح فلما نهض الامير صبره من النوم وجد عساكر لاعداء حايطينهم من كل جهة ومكان رصاروا يشجعوا بعضهم البعض فركبوا على ظهور الخيول وتقلدوا بالرماح والنصول وهجمت عليهم قوم الامير ناصر فالتقوا الابطال والجنود كانهم الاسود ولازالوا فى اخذ ورد وقرب و بعد وضرب شديد يشيب رؤس العبيد ولازالوا على هذا الحال مدة عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر هجموا الجهال عليهم من كل جهة ومكان وابلوهم في الذل والويل ونزلوا عليهم فى طعنات قاطعات وضربات ماضيات وحرب شديد يشيب الطفل الوليد حتى ان الجهال قتلت من عساكر الامير ناصر مقدار خمسة آلاف فارس وفى الثانى كلت الامارا وملت وقل عزمها واضمحلت فاحاطتهم عساكر الامير ناصر من كل مكان ونزلوا عليهم بضربات مثل زخ المطر كانت واقعة عظيمة ومقتلة جسيمة لان قوم الامير ناصر كانت دائما تاتيهم النجدات من العلام ومن السبع تخوت وقتل بتلك الواقعة ثمانية من جهال بنى هلال وقبضوا على الامير صبره وقادره بالسلاسل والاغلال وأحضروه قدام اميرهم العلام فلما رأى صبره هذه الاحوال وانه وقع مع الاعداء فالتفت الى العلام وقال لقد ضيعت العهد والميثاق وصرت من أهل الشقاق وأنشد يقول

مقالات صبرا عند ما عجل القضا ... ولله كل الامر والتدبير

يدبرنا مهما يريد ويصنع ... ومنه العطاء والخير والتيسير

فاسمع كلامي اليوم يا بو غدية ... وكن حليما لا تكون مجير

ولا تتبع الشر الردى مع فعايله ... تندم وتخسر يامير كثير

آه ياعلام لو كان جوادى ... اركب على ظهره واجيك مغير

وتاتونى واسم الجمال مع الضحى ... بضرب الصوارم مثل برق منير

انا خايف خبرى يصل لاهل عامر ... يقولون صبرا في عداه مجير

فبالله لا ياعلام لاتقتلونى ... خلفى فوارس في الحروب تغير

فبالله ياعلام لا تقتلونى ... قتلى يقيم الشر والتكدير

وخافى يحيى حسن الهلالى أبو على ... ربيع المعايا والسنين عكير
وخافى أبو يا ابن رزق سلامه ... ودياب أبو موسى زعيم أمير
باكر يجوكم طالقين سروعهم ... ويبذل زمان العز بالتكدير
وتبقى السلاسل ما لها من يلمها ... وتبقى الفوارس لى عنا ومجير
يبدوا امارتكم ويفنوا جموعكم ... ويخلوا دماكم على الاراضى بسير
تبدى غلام الزناتى وقال له ... وانا فى مقابلة الرجال خبير
يا ما فعلت من الجميل مع ولدك ... وانقذت من كل أمر خطير
واطلقته من قوم زناته وحمير ... من بعد ماقاسى بلاء خطير
واوعدنى بالمال والخير والعطا ... وخاص الذخاير مع لبوس حرير
فراح يجيب المال جاب رفقاته ... اربع تسعينات الف أمير
نزلوا على ارض لنا وبلانا ... وقتلوا بن عمى كان زعيم امير
فوالله ياأهل البنى لا اقتلكم ... واجري دماكم على التراب تسير
واحرمكم قعدة على عين توزر ... وانا اليكم فى الحروب اغير
ما قال الفتى الغلام ولد غضية ... وقمت ولا لك من خلاص مجير

فلما فرغ الاثنين من كلامهم أمر باطلاقه لانه كان معاهد مع الامير ابوزيد فلما لحظ الامير الجابلى نعل الغلام فقال له ياغلام لماذا هذه المطاولة فاخذوا بثار الزناني لانه بن عمك وهو من لحمك ودمك وقد قتلوا منكم أضعاف فسحب الجابلى الخنجر بيده وضرب صبره فى صدره طلع يلمع من ظهره وقال للفرسان الذين حواليه دونكم وارفاقه الذين فى الميدان فوجدوا موسي ابن الامير دياب واقع مع جملة من الفرسان ونازلين عليه بضرب مثل زخ المطر وهو يدافع عن نفسه من حلاوة الروح ويقول يا ابوزيد يا حامى الميدان لو تكن حاضر اين عينيك يا ابوى دياب ترانى وتخلصنى من هؤلاء الانذال وبينما هو فى ذلك الحال ورايحين يقتلوه والا بيارق بنى هلال هطلت والسيوف لمعت والعساكر نقذت وفى أولهم الامير دياب فى بنى زغبى رخلف الامير ابوزيد مع بنى زحلان وكان السبب فى مجيئهم بان مرجان بن ابو القمصان أخبرهم بذلك اللسان وعند وصولهم نظروا العساكر قد ملات تلك الارض فى الطول والعرض فوجدوا الامير موسي بن الامير

دياب بينهم على حالة الردى فلما نظر الامير دياب هذا الحال صاح على الابطال وهجم على الاعـدا من الميمنة وابوزيد من الميسرة و بقيـة الرجال هجموا على أعدائهم بقلوب قوية وهمم عليه وتقدم الاميرسرور بن الفاضي بدير نشل الامير موسي من بين الاعداء وقبله بين عينيه وهناه بالسلامة ثم أخبرهم عما حصل لهم من الاول الى الاخر وعن قتله صبراوشيبان ثم ارتدوا على الفرسان بالسـيف والسنان فما كنت ترى الا الخيل غايرة والرؤوس طايرة والدما فايرة والفرسان بانفسها حايرة ودارت على قوم الامير الجايلي الدايرة وبقى الكرن عاقد وابليس راقد والريق جامد وما تسمع الا قعقعة السـلاح ودق الرماح و بقوا على ذلك الحال الى ان اقبل الزوال فباتت بنى هلال فى تلك الارض يحرسوا بعضهم الى ان أقبل الصباح وأضاء بنـوره وراح وأشرقت الشمس على رؤوس الروابي والبطاح فوجدوا الاعدا حايطيهم من كل جهة ومكان ومرادهم ان يكبسوهم لان قد اتتهم النجـدات من جزائر الغرب وتلك الجهات وسقطوا على بنى هلال من اليمين والشمال ونزلوا عليهم بطعنات قاطعات وضربات ماضيات وكثرت الاهوال على بنى هلال وشتتوهم فى تلك الروابي والجبال حتى انكسر بنى هلال سبعة مراحل الى الوراء فحين أمسي المساء اجتمعت الفرسان عند الامير دياب وقالوا له كيف الرأى يا امير دياب فقال لهم الراى عند الاميرا بوزيد فحينئذ افتكر ابوزيد بقتل ابنه صبرا فهاجت برأسه الحميه ونخوة العرب الجاهلية وصاح على الفرسان ن شاء الله غدا ننزل اليهم بالسيف البتار ونحقهم الدمار وناخذ منهم ثار الامير صبرا وصار يحمسهم على قتال الابطال و يقول

يقول ابوزيد الهلالى سلامه ... بدمع جري فوق الخدود وسال
الآن وقت الطعن فى سمر القنا ... ضرب الشوا كر وسيوف نصال
الا فارجعوا ردوا الاعادى بعزمكم ... بعزم قوى يهلك الابطال
ولاقوهم بالسيف و بيدوا جموعهم ... وخلوا دما الاعدا كسيل سال
وخذوا بثارات الامارة جميعهم ... بقوتكم يا ماير الابطال

فلما فرغ ابوزيد من كلامـه ثارت فى رؤوس الابطال نخوة الرجال وفى الصباح اصطفت الجيشين والتقى العسكرين و نصبوا سوق لجال فانحدر ابوزيد

الى ساحة الميدان وطلب مبارزة الفرسان فسقط اليه الامير الجابلى كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وصدم ابوزيد صدمة تزعزع الجبال فاشار ابوزيد يتهدد الجابلى ويقول

ألا ما قال ابوزيد الهلالى ... أنا ليث المعامع والجدال
أنا ليث الحروب بكل وقعة ... اهرجها اذا وقع القتال
ألا يا جابلى اسمع لقولى ... ورد على شعرا مع مقال
واعلم انى ليث قدير ... عريس الخيل هزام الرجاله
هالى قلب كما الصوان ثابت ... أكيد الخصم حقا ولا ابالى
الا ياجابلى دونك هماما ... تقطع همته صم الجباله
الا يا جابلى صبرا قتلته ... وشيبان الفتى حامى المجال
وبن ابوالعوف مع كامل ومكمل ... نقد سيوفهم جثث الرجال
وحق الله خلاق البرايا ... إله دائم في الملك عال
لاقطع حمير واسبى نساهم ... وابلى القوم فى يوم القتال
واقطع جنسكم يا آل حمير ... ولا ابقى رجال ولا عيال
واخذ ثار شيبان وصبرا ... واجرى دمكم فوق الرمال

قال الراوي فلما فرغ الامير ابوزيد من كلامه انحدف عليه الجابلى من غير رد جواب وصاروا يتجاولوا فى الحرب والصدام مدة من الزمان حتى زاد الجابلى على ابوزيد في الحرب والصدام كما زاد كانون الشتاء فى الرعد وكلما فتح ابوزيد باب من الحرب يسده عليه الجابلى حتى سد عليه اثنى وسبعين باب من ابواب الحرب وبقوا على هذا الحال الى وقت العصر فصاح الجابلى على ابوزيد وضربه بالرمح راحت الضربه خايبة بعد ما كانت صايبة فتنى عليه بالسيف فاخذوا بطارقة البولاد فانكسر السيف شقفتين فحينئذ تعدل الامير ابوزيد على ظهر الحمرا وقال خذها من يد الامير ابوزيد صاحب المكر والكيد فارس العرب والعجم والترك والديلم وضربه بالرمح فقلب الجابلى تحت بطن الجواد فراح الضرب خايب فتنى عليه بالسيف القرضاب فحكم على محكم الرقاب فاخذ الرأس والخاصرة سوى وسقط السيف على الجواد فقطعته قطعتين فمالت الابطال على الابطال من اليمين

والشمال حتى ضعفت قوم الجابلي لما رات ملكهم قتيل وفي ذمة جديل فحل بهم الدمار وارتكنوا الى الهزيمة والفرار ولا زالت بنى هلال تضرب بهم بالسيف البتار ولا حقينهم في تلك البراري والقفار حتى كادت ان تمحى منهم الاثار الى ان أوصلوهم الديار وكان قد ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فباتوا الفريقين يحرسوا بعضهم البعض الى وقت الصباح ونزلوا الى الحرب والكفاح فنزل الامير دياب الى الميدان وعرض وبان بقلب اقوى من الصوان وطلب مبارزة الفرسان فانحدر اليه الامير ناصر واخذ في الحرب والصدام الى نصف النهار فغار الامير دياب على الامير ناصر وضربه بالسيف فخلا منه فانت على رقبة الجواد فبرته كما يبرى الكاتب القلم فوقع ناصر على الارض فانحدر العلام امام الامير دياب بقلب لا يهاب فنزل الامير ابو زيد الى العلام خوفا من ان يقتله الامير دياب لانه كان معاهد هو واياه في سنة الزيادة نصار يتجاول هو واياه فضرب الامير وزيد راس جواد العلام فاوقعه على الارض فانت قومه واركبته جواد آخر وصار يتجاول هو واياه الى وقت الغياب وفي ثاني الايام نزلوا الى الحرب والكفاح وبقوا على هذا الحال مدة عشرة ايام وكان كل يوم يقتل له جواد يحاربه الى آخر النهار حتى ضجت العرب من قتالهما فحينما افترقا عن القتال وانت الجازية الى امارة بنى هلال والامير ابو زيد وقالت له لماذا هذه المطاولة ايها الامير وصبرا قد قتل بواسطة العلام وقد قتلوا منا تسعين امير من امارتنا وحينئذ التفتت الجازيه نحو امارة بنى هلال واشارت تقول له

تقول فتاة الجازية ام محمد ... الا فاسمعوا لى ياهلال الاكابر
ابو زيد للعلام ينزل يحاربه ... من الصبح لما الليل يسود عاكر
فينزل يحاربه ويقتل جواده ... ويترك العلام على الارض حاير
لانه حالف عمره ما يخونه ... ومتعاهد واياه والعهد ظاهر
ولو يحاربه مدى العمر يا بطل ... ما يقتله ابدا ولا له يقاصر
ولو مات منا كل يوم قبيلة ... فما زال ابو زيد على العهد سابر
وربى علمت القوم كامل بما جري ... فانى اقول الحق والحق ظاهر
الا فاسمعوا يا امارة جميعكم ... ويكره ان اتى العلام للحرب غابر
ورايتم ابو زيد الهلالي يجاوله ... فصيحوا على العلام وادعوه شطاير

وادعوا علي الغبره قتيل مجندل في ثار صبره عز قيس الا كابر

فلما فرغت الجارية من كلامها والامارة يسمعون نظامه فانتبهوا الى ما كانوا عنه غافلين فحينئذ اجتمع عشرة من امارة بني هلال وضربوا الرأى بعضهم على انه في الغد اذا نزل ابوزيد للملام فيجتمعوا العشرة ويضربوا العلام بعشرة رماح سوى حتى لا يوقع اللوم من ابوزيد على احد الامارة لانه معاهد هو والعلام ففي ثاني الايام نزل العلام الى الميدان فبرز اليه الامير ابوزيد فلما رأت الامارة من ابوزيد هذه الاحوال هجمت على العلام من اليمين والشمال وضربه بالعشرة رماح فوقع قتيل وفي دمه جديل فحزن الامير ابوزيد عليه ورجع الفرسان من حواليه وتقدم اليه وقبله بين عينيه وكان اقبل الظلام ودقت طبول الانفصال فاخذه الى الخيام ورجع الامير ناصر وقومه حزنا بين خسرانين على فقد العلام واما ابوزيد حمل العلام الى الخيام فحينئذ فاق العلام من غشوته وانشد يقول

يقول الفتى العلام ولد غضيه فهذا الذى قد كنت به موعود
واخبرك هنا الا ياسلامه سنة الريادة حين اتيت ترود
بضرب ملاحم ناطق الشكل صابره ورضيت باحكام العلى المعبود
عرفت ان ذا يجرى الايا سلامه وحق الذى قد لان له الحلمود
الايا سلامه الغرب عادت منازلك واحكم بحكم الله ليس عنود
وانا الذى خاين وعايب على العرب وخنت مواثيق بيننا وعهود
جزانى ربي الاله بما حصل وأمسيت من فوق الثرا ممدد
فانى اوصيك وصية يا سلامه اذا مت غسلنى بماء برود
وادرجني بالقطن والطيب والكفن واورنى بيدك عمبق لحود
وانا رحت ما عاد الرجوع بخاطرى وأمسيت من بعد الحياة مفقود
واشهد ان الله لا رب غيره اله تعالى واحد معبود

فلما فرغ العلام من كلامه تنفس الصعداء وسلم الروح فحزن الامير ابوزيد عليه وبعد ذلك دفنوه بالاكرام وعملوا عليه مناحة عظيمة اكراما لابوزيد فلما سمع الامير ناصر وقومه بموت العلام ودفنه حزنوا حزنا شديدا فولوا الادبار واركنوا الى الهزيمة والفرار فما زالت بني هلال تابعتهم مدة عشرة ايام حتى شتتوهم في

البراري والقفار وبعد ذلك اجتمع الامير ابوزيد مع الامير دياب وبقيت الامارة وعملوا مشورة في تلك الليلة فقال الامير ابوزيد يا امير دياب ان قد صرنا في نصف بلاد الغرب وقد بعدنا عن حريمنا واوطاننا وحولنا جزائر بلاد الغرب وقد كثرت اعدائنا ربما انا معين على المغاربة لان ليس لهم قرار لانهم كثيرون في الديار ونخاف ان يعملوا علينا حيلة ويهلكونا لاننا وحدنا بهذه الديار وامامنا أربعة عشر قلعة محصنين فماذا يكون عندك من التدبير ايها الامير فقال الراي عندي يا امير ابوزيد ان نعلم الامير حسن بهذا الشان ونوصيه في المال والعيال لانه قدامنا اربعة عشر قلعة وسبعة تخوت بلاد الغرب فقال ابوزيد لا باس بذلك ايها الامير حينئذ ارسل الامير ابوزيد كتاب يعلم الامير حسن بقتل ولده صبرا وارفاقه وعن قتل الجابلي وكيف ان الملام خان العهد والميثاق وكيف طغاه الامير ناصر اخوا الزناتي وعن الحروب التي حصلت لهم من الاول الي الآخر وسلم ذلك الكتاب الى النجاب فاخذه وسار يقطع البراري والقفار الى ان وصل الى الامير حسن وسلمه الكتاب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وقال انا لله وانا اليه راجعون حينئذ استحضر بقلم وقرطاس وجعل يخبرهم بهذا القصيد ويقول

يقول حسن الهلالي ابو علي ... والنار في قلبي تهب وتشعل
حركت عندي ياهلال سا كنا ... وأصبحت من هذا الكلام في وجل
فان احببت لدياب بالعجل ... تاتيه يجي لك مثل قطعة من جبل
وان احتاج اليك انت فروخ له ... في عسكر من فوق خيل بالعجل
وانتم سيروا ياسلامه فانى ... داعي لكم طول الزمان ولم أزل
ان شاء الله العرش ان ينصركم ... وينجيكم باللطف وبلوغ الامل
الله يفعل مايشاء بخلقه ... ويجيب دعا عبد احقيرا اذا ساله
ياهل ترى ان عاد الزمان بلمنا ... وتعود لمة وشمل مشتمل

فلما فرغ الامير حسن من تحرير الكتاب ارسله الى ابوزيد فحين وصوله قرأه الامير ابوزيد على رؤوس الامارة والفرسان ثم قال الامير دياب انت يا امير تتوجه نحو كوج وتلك القلاع وانا اتوجه نحو قابس وتلك القلاع بشرط ان يكون علمكم معي وعلمي معكم فاذا اراد وملكت أنا قابس لا أرحل الى ان

أرسل اعلمك ويكون الاتفاق على هذه الحالة حتى تملك الاربعة عشر قلعة فحينئذ قرأت الفواتح وامر الامير ابوزيد والامير دياب بدق الطبول ونفخ الزمور فركبت الفرسان الخيول وتاهلت بالرماح والنصول فركب الامير ابوزيد بتسعين الف من بني زحلان وركب الامير دياب بتسعين الف من بني زغبي وودعوا بعضهم البعض فتوجه الامير ابوزيد بمن معه الى فاس والامير دياب بمن معه نحو كوبج وسار الامير دياب في بني زغبي يقطعوا البراري والقفار والسهول والاوعار الى ان وصلوا الى تلك الديار فنصبوا الخيام ورفعوا الاعلام فاستدعى الامير دياب بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص فاشار يكتب الى الملك وائل ملك كوبج ويقول وعمر السامعين يطوله

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ... ولي عزم أمضى من سنان حراب
نعم ايها الغادي على متن ضامر ... فسلم على أوائل بحسن خطاب
و بعد السلام قله دياب يقول لك ... حماة العذاري بكل يوم حراب
ان كنتم تجدوا السلام نجاتكم ... وتكفوا شرور حرب الامير دياب
تجوني وانتم مطرقون بروسكم ... تبسوا ركابي وتقصدوا الاطناب
وان كنتم تابوا فقوموا لحربنا ... حرب يشيب رأس من لا يشاب
فان قامت الهيجا وطار غبارها ... وجابوا مها عاقد كمثل ضباب
أجي فوق شهبا يسبق الريح جريها ... اخلي الدماء تجري كسيل سحاب
فكم من امير بن امير وأميره ... اسكنته بيدي عفير تراب
سلاطين نجد اردتهم بعد عزهم ... وخليت منازلهم يكونوا خراب
وقتلت ابو سعدا الزناتي خليفة ... وخليت سعدا في بكا ونحاب
فان طمتموني تسلموني جميعكم ... والا تهبوا الحرب الامير دياب
مقالات ابو موسى دياب الغانم ... اسرع وجاوبني بحسن خطاب

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من تحرير ذلك الكتاب طواه واعطاه للنجاب وطلب منه رد الجواب فتوجه النجاب نحو الامير وائل فلما وصل اليه وتمثل بين يديه واعطاه الكتاب فاخذه الامير وائل وقرأه وعرف مضمونه ومعناه لكن اغتاظ الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد واستحضر قلم وقرطاس ودواية من الذهب

الخاص وأشار يكتب الى الامير دياب ويقول

يقول الفتى وائل بعين وجيعه ... وتيران قلبي أشعلت بالضرايم
أيا غاديا منى على متن ضامر ... فسلم على الزعبي دياب بن غانم
وقل له وائل ارسل لك كتابه ... يقول به شعر اباحسن نظايم
ترسل تهددنا وترسل تقول انا ... تعالوا حفانا با أخشيت الملايم
وترسل تهددنا بقتل جموعنا ... ولهلس بين الناس مثل العلاقم
نحن أمارة عندنا خيل مثمنة ... ودروع مكنونة وسيوف صوارم
ونحمل على الفرسان فى حومة الوغى ... يخلى دماء الاعداء كما بحر هايم
فكم من امير جاء يدحر وبنا ... فيفدي مقتولا بحد الصوارم
انا طالب منك لثار خليفة ... لانه بن عمى من خيار اللوازم
غدا نلتقيكم نحن فى حومة الوغى ... نخلى دما الفرسان كما بحر طامم
فان قتلتك أخذت ثار خليفة ... وندعي دماكم فوق الارض عايم
وان كان تقتلني ولك سعد بالوغى ... فامرى لمن هو مالك الملك دايم

قال الراوى فلما فرغ الامير وائل من نظامه طوى الكتاب واعطاه الى عبده كليبس بن ابليس وقال له أنبى بالجواب فتوجه العبد وسار وجد في قطع القفار حتى وصل عند الامير دياب فاعطاه الكتاب وطلب منه رد الجواب ففضه الامير دياب وقرأه وعرف رموزه ومعناه ثم التفت نحو العبد وقال له اخبر سيدك ان ليس له عندنا جواب غير السيف القرضاب وغدا نلتقى فى ميدان الحرب فى الحال توجه العبد واخبر مولاه بما أجابه الامير دياب فلما سمع وائل بذلك الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وفي الحال امر بدق طبله وتحصين بلده بالمدافع والابطال ونشر رايته فى الحال ولبس درعه الماتم وتقلد بسيفه القاطع وعلا فوق ظهر الحصان كانه فرخ من الحان او عفريت من عفاريت سيدنا سليمان وذلك ركبت الفرسان ظهور الخيول وتقلدت بالرماح والنصول وتاهبت الابطال للحرب والقتال وكل من رفيقه صاح كانه عزرائيل قباض الارواح وبعد ذلك انحدر الامير وائل الى الميدان وعرض وبان وطلب مبارزة الفرسان الفحول وهو يصول ويجول كانه الغول فبرز اليه الامير دياب حداف الرقاب فاشار اليه الامير وائل تهدده بهذا

القصيد و يقـول

يقول القنى وائل على ما جرى له ... ونيران قلبي أشعلت فى لهيبها
أنا فارس الفرسان فى يوم الوغا ... بيدى أسقى القوم كاس عطيبها
قائم تعديتم وجيتم بلادنا ... الى ارض كوبج قصدكم تملكونها
فحولى فوارس بقطع الظهر عزمهم ... تقول سباعا زائدة فى عصيبها
فارجع والا ياديباب قتلتكم ... بطعنات وائل ثم ضرب حديدها

فلما فرغ لامير وائل من كلامه والامير ديباب يسمع نظامه اغتاظ الغيظ الشديد الذى ماعليه من مزيد حتى صارت عيناه تقدح مثل نار الوقيد وأشار يتهدد بهذا القصيد و يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو موسى ديباب القائم ... حماة الخيل فى يوم الهوائل
فكم قوم انت ترغب قتالى ... الا قيهم بفرسان جحافل
وأشتت شملهم وافنى عددهم ... واخذ خيلهم مالهم وخيلا سلائل
وان تهتنى وتطلب رجوعى ... الى تونس بفرسان يواصل
لابد ما أقتلك واملك بلادك ... واقطعكم بضربات النصابل

فلما انتهى الامير ديباب من كلامه انطبق عليه الامير وائل كانه فرخ العقاب وابتدوا فى الحرب والطعن والضرب وقتال بشيب رؤوس الاطفال الى ان تناصف النهار فانهزم الامير ديباب من امام الامير وائل وارتد الى الوراء هو وقومه وتبعوهم بقوم الامير وائل بطعن الرماح وضرب السيوف والسفاح وانطبقت الجيوش على بعضها البعض وانتشب الضرب والطعان من كل جهة ومكان حتى جرى الدم وسال وصارت القتلا كالتلال فكانت وقعة مهولة لا يعرف بها الابن اباه ولا الاخ اخاه ولكن لله در الامير وائل فانهم هجمـوا على قوم الامير ديباب وابلوهم باعظم مصاب وما زالوا منهزمين وقوم الامير وائل لاحقينهم بضرب السيف حتى شتتوهم فى تلك الاوعار الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وارتدت الفرسان عن بعضها البعض ونزلت قوم الامير ديباب المنهزمين فى قطعة من تلك الارض وساروا يجمعون بعضهم البعض فحينئذ قام الامير ديباب وجمع أكابر قومه وكل من يعتمد عليهم واشار بحمسهم بهذا القصيد و يقول

يقول ابو مرسى دياب الغانم ... أمير الخيل فى مايعيبها
انتم فوارس ثم قرومها ... حميها فى يوم يورث عطيبها
وسلطاننا حسن الهلالى ابوعلى ... تضرب له امثال مايثنى بها
ثمانين قلعة قد حضرت فتوحها ... ولا قلعت حتى هدمت حصونها
ملكنا من نجد الى قاع تونس ... بطعن يورث للاعادى عطيبها
فردوا اطعنوا الاعدا بالسيف والقنا ... كمثل سباع زايدات غضيبها
واحوهم بالسيف و بدراجيعهم ... وخلوا دماهم على الاراضى سكيبها
والاهل كتوا فى البراري جميعكم ... بسيف الاعادى ثم ضرب جريدها
وتبقوا عارا بين قيس وعامر ... ونشمت بنا الاعدا سوء مصيبها

فلما فرغ الامير دياب من كلامه والامارة تسمع نظامه هاجت برأس الابطال نخوة الرجال وكثرة القيل والقال وفي ثانى الايام برزوا الطائفتين الى الميدان ومحل الضرب والطعان وهجموا على بعضهم البعض فكثرت الضجات وعلت الصيحات فكانت موقعة عظيمة ومقتلة جسيمة وماعدت تنظر الى الرؤوس طايره والدما قايره والفرسان غايرة ودارت على قوم الامير وائل الدائره حتى قتل منهم عشرة آلاف ومن قوم الامير دياب مائة وار بعين و بقية قوم الملك وائل ولواهار بين والى النجاة طالبين فتبعوهم قوم الامير دياب وشتتوهم فى البرارى والهضاب وادخلوهم البلد وهم في حالة الذل والنكد وذلك من سيف الهمام الاسد الضرغام فارس الاعارب والاعاجم الامير دياب بن غانم ومازال القتال على هذا الحال الى قرب الزوال فدقت طبول الانفصال فدخل الامير وائل المدينة حزين ليس له معين وخاصة لما نظر عساكره مجدله وعلى الاراضى ممتده فتقدمت اليه الحجاب والوزراء والنواب وتقدم اليه الوزير الاكبر وقال له غدا ان شاء الله انزل الى الميدان وابليهم بطعن السنان واكفيك شرهؤلاء العربان بعون الله الواحد الديان واما قوم الامير دياب دخلوا عليه وسالوه عن خصمه فقال لهم انه فارس شديد وقرم عنيد ولكن غدا ان شاء الله انزل اليه واخذ روحه من بين جنبيه وفى ثانى الايام لما أصبح الصباح تقلدت الجيوش بالرماح ونزلوا الى محل الكفاح فانحدر الامير دهقان الى ساحة الميدان كانه فرخ جان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه أمير من امارة بنى هلال

وكان اسمه المهاب فقال له الامير دهقان من انت من الفرسان وما اسمك فقال اسمي المهاب وصنعتي حداف الرقاب فحينئذ انطبقوا على بعضهم البعض كالاسود بقلب كالجمود وتجاولوا مدة من الزمان حتى كلت منهم الزندان وطارت منهم ضربتان ماضيتان وكان السابق المهاب فضرب الامير دهقان بالسيف اخذها بطارقة البولاد فانت على رقبة الجواد برته كما يبري الكاتب القلم فاتاه الامير دهقان على جواد آخر وسقط عليه بالسيف وضربه على رأسه شقه الى دكة لباسه فنزل اليه فارس آخر فقتله والثاني جندله والثالث محقه ومازال يجندل فارس بعد فارس حتى جندل خمسين فارس واخيرا نزل اليه الامير دياب وكان ذلك الحين قبل الغياب فتجاول هو واياه ساعة من الزمان حتى عرف دياب قوة الامير دهقان فلاصقه وضايقه وضربه بالسيف على هامه ارمى رأسه قدامه وحينئذ دقت طبول الانفصال ورجع الملك وائل في حالة الغم والاسف لفقد اخيه الامير دهقان وحين وصوله الى الديار سالوه قومه عن قوة الامير دياب فاجابهم بهذا القصيد

يقول الفتى وائل بعين مريضة ... ونيران قلبي زايدات لهيب
على ماجرى فينا وماقد أصابنا ... ولكن تصاريف الزمان عجيب
سقانا الزمان خمرة عتيقة مكررة ... سكرنا بها من بعد عز وطيب
كنا بخير في سرور وفي هنا ... ولابس الصبايا من حرير رطيب
لنا بعد ذاك العز ذل وحصرة ... وحزن يخلي الطفل منه يشيب
تقلب علينا الدهر باسوء ما فعل ... بقى الزادنم الشهد سم زؤب
أنتنا فوارس ماعرفنا صفاتهم ... وقادمهم اسمه على اسم الديب
يسمي ابو موسى دياب بن غانم ... فلله دره من همام نجيب
تلاقيت انا واياه في حومة الوغا ... تاويه في يوم الطراد صعيب
يهمز علينا همز في حومة اللقا ... كما سبع كاسر في اللقاء صعيب
يخيب ضرباتي ويعطي نظيرها ... بطعن يورث في فؤاد عطيب
غدا التقي واياه في حومة الوغى ... بطعن يحير كل فكر لبيب
ان قدر الرحمن لاخطف روحه ... وادعيه من فوق الجواد قليب

قال الراوي فلما فرغ الملك وائل من كلامه وقومه تسمع نظامه فرقع الوهم في

قومه من الامير دياب واما ما كان من امر دياب لما رجع الى الخيام فسالوه قومه عن
عن الملك وائل فقال لهم لله دره من بطل شديد وقرم عنيد فقالوا له قومه هل يكون اشجع
من الزناتي فقال لهم ان الزناتي ما وجد على أرض فارس مثله لكن الملك وائل اقدر
واخبر وفي مواضع الضرب أشطر واجسر وما زالوا في هذا الحديث الى ان اصبح
الصباح واضاء بنوره ولاح فدقت الطبول ونفخت الزمور وركبت الفرسان وانحدر الى
ساحة الميدان طالبين الحرب والطعان فلما وقعت العين على العين التقى الامير دياب
بالامير وائل فتطبقوا البطلين كانهم جبلين وحام عز ئيل فوق رؤوس الفريقين
فتكسرت بايديهم الرماح وسحبوا السيوف الصفاح ولعبوا بهم الحراب حيرت عقول
الشباب حتى زهقت منهم الارواح فضربوا بعضهم الاثنين فطارت في أيديهم
السيوف الحربية فسحبوا الدبابيس فتكسرت بايديهم من شدة العزم وما زالوا الاثنين
في عيطات مرعبات وصرخات مرجفات وضربات هائلات فيالها من بطلين درغامين
واسدين كاسرين تعلمت منهم الفرسان ابواب الحرب والطعان وبعد ذلك خرج
من الاثنين ضربتين قاطعتين فكان السابق الامير وائل ضرب الامير دياب بالرمح
فخطس تحت بطن الشهباء فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة حينئذ تعدل
الامير دياب وضرب الامير وائل بالسيف على هامه حط رأسه قدامه فوقع الامير
وائل قتيل وفي دمه جديل. قال الراوي فلما رأت قوم الامير وائل ملكهم قتيل ولوا
الادبار واركنوا الى الهزيمة والفرار فتبعوهم قوم الامير دياب وجردوا فيهم السيف
القرضاب الى ان دخل الامير دياب البلد وجمع الاكابر والعمد وجلس على كرسي
المملكة ونادى الامان في جميع المدن والبلدان وبعد ذلك استدعى بقلم وقرطاس وكتب
الى الامير حسن يخبره بما جرى وصار فلما وصل الخبر الى الامير حسن وقرأ كتاب
الامير دياب على رؤوس الاماره والسادات وحينئذ فرحوا فرحا شديدا وعملوا
عراضه عظيمة لها قدر وقيمة اكراما لدياب لانه ملك تخت كوبج أرسل نائب من
قبله لعند الامير دياب أما ما كان من دياب فانه سلم على تخت كوبج الى نائب الامير
حسن وتوجه من كوبج وما زال سائرا الى ان وصل الى ناحية برج الدمع فهناك
امر عساكره بالنزول ونصب الخيام ورفع السناجق والاعلام وحينئذ احضر قلم
وقرطاس ودواية من الذهب الخالص واشار يتهدد الامير بكار ملك برج الدمع بهذا

القصيد و يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابوموسي دياب بن غانم ... ونيران قلبي زايدات فى اللهاب
نعم أيها الغاوى على متن ضامر ... اذا جيت الى بكار عالى المراتب
فقول له دياب الامير يقول لك ... حامى العذارى من البلا والنكائب
اذا زادت الهيجا وزاد غبارها ... اجيكم بطعن مثل لسع العقارب
اذا كان تريدوا للسلام فسلموا ... ولا أبادبكم بعظم المصائب
وأخرب مدينتكم كما صاب قبلكم ... وادعى دماكم عالاراضى سكايب
فياما جرى فى ارض كوبج وماوقع ... واقتلت وائل كان قرم محارب
فان طعتموني نلتم الخير والرضا ... ونرتاحوا من شر حرب الاعادى

فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وارسله الى الامير بكار صحبه النجاب فهذا ماكان من الامير دياب وأما ماكان من الامير بكار سلطان برج الدمع فانه كان جالسا فى الديوان واذا بجملة نرسان من كوبج الذين سلموا من القتل دخلوا عليه وقبلوا يديه فقام لهم الامير بكار على الاقدام وسلم عليهم غاية السلام وسالهم عن سبب قدومهم اليه فاجابه أحدهم وكان يسمى الامير فايد فاشار يقول بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول الفتى فايد على ماجري له ... ونيران الحشي زادت شعال
سهور الليل لانوم لعينى ... أبات أبكي على ماقد جرى لى
على ماصاب قلبي من هموم ... أمور مارأيت لها مثال
أمير بكار اسمع لى وافهم ... واصغى لقصتي واسمع مقالى
اتانا قوم مايحصي عددهم ... يهزوا فى الرماح وفى العوالى
ركبنا والتقيناهم جميعا ... بطعن يورث الاعدا خبال
كبير القوم يسمي بن غانم ... امير دياب شيال الحمال
قتل وائل والقاه جريحا ... وقد اردى الوزير بلامحال
فولينا لزاما من لقاهم ... ولا طقنا لهم ابدا قتال
فهذا ماجرى خبرت عنه ... وهذه قصتي وآخر مقالي

فلما فرغ فايد من نظامه والامير بكار يسمع فحرى كلامه وحزن الحزن الشديد الذى ماعليه من مزيد خصوصا على قتل الامير وائل لانه بن عمه ومن لحمه

ولكن استغاث بالله الجبار على قتل هذا الانسان النهار و بينما يمثل هذا الخطاب اذا أقبل عليهم نجاب الاميرديباب و بيده الكتاب فدخل وسلم للامير بكار فقضه وقرأه وفهم جميع ماحواه فكثر عليه الحزن وازداد عليه نيران الغضب وامر القوادوالعساكر ان يكونوا تحت الطلب وحينئذ امر باحضار قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص وأشار يتهدد دياب و يقول

يقول الملك بكار والنار فى الحشا ... ونيران قلبي زايدات اللهايب
سقانا الزمان خمرة عتيقة مكدرة ... سكرنا بها من فوق عالى المراتب
سكرنا بها باللحظ واللهو والغنا ... وزينات تخطر فى حرير الرطايب
فيا ايها الغادى على متن ضامر ... اذا جيت المزغبي دياب المطاب
فقول له بكار ارسل قول لك ... اتانا كتابك ياديباب المحارب
على ماجرى بارض كوج وماوقع ... قتلت وائل كان عز الصحايب
فلا تغتر الا ياديباب بقتله ... ولا تطمع فى ملك ارض المغارب
فطاوعنى وارجع بعزوتك ... والا نباديكم بضرب القواضب

(قال الراوى) فلما فرغ الملك بكار من كتابه ارسله مع نجاب الى عند الاميرديباب فلما وصل النجاب اليه سلمه الكتاب فضه وقراه واطلع على رموزه ومعناه فزادت الحقد والغضب وعند الصباح امر بدق الطبول ونفخ الزمور وامر الرجال بالتاهب للحرب والقتال فتحضرت الفرسان وركبوا ظهور الخيول وساروا قاصدين الميدان ومحل الضرب والطعان هذا ماما كان من هؤلاء واما ما كان من الملك بكار احضر جميع العساكر والقوادوساروا بهم الى خارج البلد لاجل المحافظه من الاعداء والدشمان و بينما هم على هذا الحال والا اقبلت عساكر الاميرديباب فلما وقعت تعين على العين ماظروا الاعرض وبان الى حومة الميدان الملك بكار فصال وجال على اركان المجال ونادي باعلى صوته هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لى لا كسلان ولا عاجز فما اتم كلامه حتي صار الاميرديباب قدامه فاشار الملك بيده عليه يقول

(انتهي الجزء العشرون . ويليه الجزء الحادى والعشرون)

الجزء الحادى والعشرون من تغريبة بنى هلال

(وهو يتضمن على تملك سبعة نخوت بلاد المغرب والاربعة عشر قلعة)

على ماقال الملك بكار المسمى ... سياج الخيل في يوم يلاطم
فاذا انتصب سوق المنايا ... اشبل الروس من تحت العمايم
ابيد الخيل في يوم المصادم ... يطعن الرمح مع ضرب الصوارم
اياز غبي فاسمع الى كلامى ... وكون لقصتي ياامير فاهم
مرادك تملك ارضنا مع بلادنا ... فما هى سايبه يارند غانم
نحنا قرينم فى يوم الكريهة ... نبيع الروح يوم الزحايم
قدونك يادياب اثبت لحربى ... وافعل ماتشا وانزل تصادم
فلا بد عن قتلك وقتل رجالك ... وادعى دمكم على الارض عايم
واخذ ثار وائل محسامى ... وابو سعدا انا عن الزايم
واشتت شملكم وافنى عددكم ... واخذ خيلكم وكل العنايم
فرد عليه ابو موسى بن غانم ... سياج البيض فى يوم الزحايم
انا الدرغام في يوم الوقايع ... اكيد الضد بحد القواضب
اجرد فى يدى هندى يمانى ... يقولوا جا ابو موسي المحارب
اياكار اسمع لكلامى ... واقبل للنصيحة ان كنت راغب
فارجع يافتى واسلم بروحك ... وكون مطيع لسلطان الاعارب
وان خالفتنى تندم وتخسر ... وتبقى منطرح عالارض عاطب

فلما فرغ الامير دياب من كلامه هجم على الملك بكار وصدمه صدمة جبار فالتقاه الملك بكار واصطدما صدام الابطال وتطاعنا بالرماح والنبال وتضاربا بالسيوف والنصال فضرب الملك بكار الامير دياب بالرمح المجرح جرح بليغ فوقع دياب على الارض طريح فجرد الملك بكار الحسام واراد ان يكمل عليه فحمل الامير محمود بن الامير دياب وخلص ابيه من ساحة المجال وبقى في معركة القتال الى قرب الزوال فرجع لامير محمود الى عند اباه وسالا عما جري عليه فاجابه قد استحضرنا

الحكيم الهندي واعطاني شربة تمرهندي واليوم الجرح خفيف بعون الاله اللطيف
فعند ذلك توالى الفريقين الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح نبرز الامير محمود
الميدان فبرز اليه بكار وما زال هو واياه في حرب وصدام من الصباح الى وقت الظلام
فرجعوا الى الخيال وفي ثاني الايام نزلوا للحرب والصدام وبقوا على هذا الحال
مقدار سبعة ايام وبعد ذلك اغتاظ الامير محمود وقال وحياة رأس ابي لازم ان اشيل
رأسه واخمد انفاسه بهذا النهار والحقه البوار فما دقت طبول الحرب نزل الامير محمود
والامير بكار الى ساحة الميدان فتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالسيوف الصفاح حتى
زهقت منهم الارواح ومازالوا في اخذ ورد وقرب وبعد وكسر ونصر لقرب العصر
فاشتهروا الاثنين من تحت الغبار فتطاولت لهم الاعناق وشخصت لهم الاحداق
الى ان راح من الاثنين ضربتين قاطعتين فكان السابق الامير بكار فغطس الامير محمود
تحت بطن الجواد فراح الضرب خائب بعدما كان صائب فاعتدل الامير محمود على
ظهر الجواد وضرب الامير بكار بالسيف على رأسه نشقه نصفين والقاه الى الارض
قطعتين فوقع قتيل وفي دمه جديل فصاح الامير دياب لا شلت يداك ولا شمتت بك
اعدائك يا امير محمود وهجم بهنى زغبي على عسا كر من الاعداء من كل ميل وابلوهم
بالذل والويل ودخلوا البلد وجلس الامير دياب على الكرسي واستلم اموال القلعة
وامر ينادي بالامان في سائر المدن والبلدان وبعد ذلك اشار يكتب الى الامير حسن
يعلمه بكل ماجرى له يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو مومى دياب بن غانم ... وسعدى معي في طول عمري سعيد
له الحمد عن سبعة خصال احتوى بها ... عطية ميهمن في علاه وحيد
السعد والاقبال والعز والهنا ... وحرمة وقيمة وقول تفيد
ملكنا الى برج الشمع بقومنا ... واخذنا مكاسبهم بضرب هنيد
وبددنا قوم الاعادي بعزمنا ... واخذنا قلعة وهي بصور مشيد
فارسل لنا نائب نقيمه ونرتحل ... الى ناحية برنجيه امير عميد
ونرجوا الدعا منكم على طول المدا ... ونرجوا النصر من اله مجيد

فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه واعطاه الى
نجلب فاخذه وسار يقطع الفيافي والقفار الى ان وصل الى الديار فدخل على الامير

حسن وقبل الارض بين يديه واعطاه الكتاب فنضه وقراه وعرف رموزه ومعناه. فارسل الامير غصاب نائبا على كرسي برج الدمع فعند ذلك ودعه الامير غصاب وودع بني هلال وصار يقطع الفيافي والقفار الى ان وصل الى برج الدمع فسلم على دياب وعلى جميع بني رغبي فحالى وصوله اجلسه الامير دياب على كرسي تخت برج الدمع بحضور اكابر البلد وسلمه الاحكام وامر المنادي ينادي في البلد بالامان والسلام وجعل يوصيه على الرعايا يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو موسى دياب الماجد ... ولي قلب اصلب من حجر الصوان
اوصيك ياغصاب فاسمع وانتصح ... واحكم بشرع الله وكل امان
فلا تترك حقوق الناس تطلب ... بهم امام الحاكم الديان
وانا قاصد الى برنيجه عاجل ... لاملك مدابنهم مع البلدان
واملك منازلهم واخذ اموالهم ... واكتب كتاب اعلم ولد سرحان
يولي عليهم نائبا يحيهم منالك ... يحكم بهم شريعه الرحمن
ماقال ابو موسى دياب الغانم ... الله يبلغنا الى الاوطان

(قال الراوي) فلما فرغ الامير دياب من كلامه امر العساكر بدق الطبول وركب الخيول فركبت الفرسان وركب الامير دياب وودعهم وسار قاصد برنيجه وتلك الاقطار فما زال سائر الى ان وصل تخت برنيجه فنصب الخيام واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص وجعل يطلب عشر المال من الملك زايد بهذا القصيد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ... حماة المذاري من عنا وسقام
قرم مجرب ماله من مناطح ... يخلي الفوارس نايحات دوام
سلاطين نجد قهرتهم بعد عزهم ... واخربت منازلهم مع الاكام
كسرت الخزاعي في حلب وقومه ... وبرجيس مرمى فوق تل ردام
واشتت العساكر بحسامي ... وياما جرى لما اتينا الشام
قتلنا شبيب بوسط قصره ... وكان شديد العزم بيوم صدام
ولما جينا مصر اتقنا ملوكها ... ومصر انخرمن حلب والشام
ورديت عقيد القوم بن متوج ... وكم قتلنا من ملوك عظام

يوم تونس ياما قد جرى وكم راح منا فارسا مقدام
جاء ابو خريبه الينا واعتدى ساروا الذين لهم فى القبور اعوام
الزناتي قتل ثمانين امير محرب خلا نسانا نايحات دوام
بعث لى حسن الهلالى ابو على كتاب يخبر عن امور عظام
ركبت على الخضرا رجعت لنحوهم كالذيب هاجم على الاغنام
نزل لى خليفة فوق خضرا مبرسمة وجاء كسبع لصيده حام
بقينا عشرة ايام والحرب بيننا تاهت الفرسان من ضرب الحسام
ضربته من فوق مهرة محجلة وخليته وسط اللحود ينام
و بعد الزناتى اسمعونا ياما جرى فى حرب كوبج من رنين حسام
ملكها وائر من قروم غشمشم مناطح الفرسان يوم صدام
فقلته ودعيت دمه على الوطا وملكنا اراضيه وكل مقام
الا ايها الغادى لمع بما جرى لزايد واخبره بصدق كلام
يدفع لنا عشر الموال بلا خفا وعشر الجمام وجملة الاغنام
وان كان لا تقبل جهز بالعجل والقو لطعناتى وضرب حسام
وتملك قلعتكم وكل براجها وناخذ الاموال مع الانعام
ما قال ابوموسي دياب المسمى عضيد الفوارس فى نهار صدام

فلما فرغ دياب من الكتاب ارسله صحبة نجاب الى الملك زايد فهذا ما كان من امره واما ما كان من امر ملك برنيجه بينما كان نايم فى بعض الليالى اذ رأى منام مزعج فنهض من الرقاد مرعوب خافق الفؤاد فاستدعى بالحارس وامره باحضار الرمال مسرور فذهب واحضره فساله الرمال ما الخبر ايها الملك السعيد فقال له انى قد نظرت منام مهول واشار يقول

يقول الملك زايد بقول صادق كلام يورخ فى الكتاب سطور
لنا مده فى ارغد العيش والهنا بركب خيول ثم نفخ زمور
دها الدهر قلنا ما بقى الدهر ينقلب فقارى هذا الدهر باغيا وغدور
رأيت منامًا ابدل العز والهنا بغم وحزن دائما وكدور
حلمت انى بواسع البر والخلا ملقى طريحا دمائى يفور

وفوقي ذيب مثل سبع كاسر وبقيت معه في الخلا ماسور
ضربني ضربة جاءت على كانها مدفع خرج من وسط برج وصور
فرحت مرمى عالارض منطرح واضحى دمائي على التراب يخور
فاضرب يارمال رملك بالعجل وخبر كلام الصدق يامسرور

فلما فرغ الملك زايد من كلامه والرمال مسرور يسمع نظامه نفتح كتاب الرمل وولد الامهات من بطون الامهات وحرر الاشكال والمفردات ثم التفت الى الملك وقال له اعطيني الامان ياملك الزمان فقال له عليك الامان امان على بن ابي طالب امان من لا يخون فاشار الرمال يخبره يقول

يقول الفتى الرمال فيما قد جرى وعبرات عيني على الخدود حدور
تفسر منامك ياامير فافهم وهذا المنام جدد على امور
تقول انك كنت في البر والخلا وسبع كاسر قد اتاك يغور
فارس عرمرم يقرح الخيل بالقنا يخلي الدما جاري شبيه نهور
يسمى ابو موسى دياب بن غانم فارس صميدع في اللقا مشهور
بجينا بقومه وينزلون بارضنا ونبقى معاهم في بلا وشرور
وتتكاون انت واياه في حومة الوغا وتمسي معه ياملك ماسور
ويظفر علينا ياملك برجاله ويدعي الفوارس في عميق قبور
ويملك قلعتنا وياخذ اموالنا ويسبي حلايلنا وكل قصور
فهذا منامك ياامير مؤكد ومن يستطيع ان يدفع المقدر

فلما فرغ الرمال من كلامه والملك يسمع نظامه فتوجه الى الديوان وجمع الاكابر والاعيان واخبرهم بالمنام وعن الامير دياب وقال لهم كيف العمل في هذا الفارس القادم علينا والواصل الينا فنهض اكبر وزرائه وكان فارس مشهور مذكور يقال له الوزير ماجد وقال له ايا ملك الزمان انا سمعت ان هذا الفارس دياب قد قتل الامير وائل ملك تخت كو بج وقتل الملك بكار حاكم برج الدمع وهو قاصد الينا فالاوفق ان نسلم له المال والخيل والجمال والا يبيد عساكرنا ويملك ابطالنا لانه معه تسعين الف فارس من بني زغبي كلهم شجعان كانهم مردة الجان فلما سمع الملك زايد هذا الكلام قلبت الدنيا بوجهه ظلام وقال ويلك ياكلان تخوفني من رجال وفرسان التي هي عندي

شبيه النسوان فوحق ذمة العرب وشهر رجب ماترك احدا ينزل الى حربهم وقتالهم بل انا انزل اليهم واشتت جمعهم وجذب بيده الحسام وضرب الامير ماجد على هامة حطر أسه قدامه ثم انه اشار ينشد قومه بهذا القصيد يقول

على ماقال زايد فى قصيد ... ونيران الحشا زادت شعايل
قاصغوا الى يااماره وافهموا ... واتم الى من اعز القبايل
ماجد يهددني بقوم يجونني ... وانا فى قتال مثل سبع جافل
اذا صح الكلام واتوا الوغابة ... فما منكم احد للقوم نازل
ولا ينزل سوانى والتقيهم ... بضرب الرمح مع ضرب النصايل
فسوف تروا قتالى مع فعالى ... لاخلى الدمع شبه النيل سايل
وانتم تعرفوا عزمى وفعلى ... وطعنى حين تجتمع القبايل
وان كان دياب مقبل علينا ... يكون مغرور فى عقله وجاهل
انا زايد وانتم تعرفونى ... بيوم الحرب ماالخشي مقاتل
فانثنيهم عن بكرة ابيهم ... واترك خيلهم تغدي جفايل

فلما انتهى الملك زايد من كلامه والحاضرون يسمعوا نظامه شكروه على شجاعته وسطوته وبينما هم فى ذلك الحديث واذا بنجاب الامير دياب دخل ومعه كتاب فقبل بين ايادى الملك وناوله الكتاب فلما فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه اغتاظ الغيظ الشديد وقال للرسول اذهب الى مولاك وقل له لم يوجد عندى جواب سوي السيف القرضاب ولو لم يكن عار قتل النجاب لقطعت رأسك بالسيف الاحدب فذهب الرسول واخبر مولاه دياب فاغتاظ الغيظ الشديد وامر بدق الطبول ونفخ الزمور فاستعدت الفرسان الى الحرب والنزال وساروا قاصدين الميدان واما الملك زايد بعدما رسل الكتاب الى الامير دياب تجهز الى الحرب والطعان وسار بهم الى خارج البلد فبينما هم فى ذلك والا حضرت فرسان الامير دياب كانها اسود الغاب فلما التقت العين بالعين نزل الامير زايد الى الميدان فصال وجال على اربع اركان المجال ولعب العاب تحيرت منها الشيوخ والشباب وطلب براز الفرسان فانحدر اليه الامير دياب كانه اسد الغاب وصدمه صدمة عزع الجبال فقال له الملك زايد من تكون من العربان يا ابذل الفرسان فقال له لا تويدني الخطاب

فما قدامك الا حداف الرقاب الامير دياب فاشار يتهدد عليه بهذا القصيد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الامير زايد ونارى بالحشا ... والدهر وافانى وسعدى مقبلى
اليوم جيتوا لناخذ ثاركم ... وندعى دماكم عالاراضى سايل
واخلى سروج الخيل من ركابها ... وتبقى الاراضى تحتنا تتزلزلى
اثبت لحربى يادياب رهمتى ... لاجعلك رجالك من حسامى مجندلى
وابيد قومك بالحسامى جميعهم ... واسقيهم كاس القضا المنزل
فوز بنفسك وارتحل من بلادنا ... بقومك والا عن قريب تقتل

فلما فرغ الامير زايد من كلامه والامير دياب يسمع نظامه فقال له دياب يا زايد ان خصمك لا يروعه كلام ولا ينهزم من صدام فوحق الملك العلام لابد ما افنيكم بهذا الحسام وادعيكم مشتتين على رؤوس الروابى والاكام واشار يرد عليه يقول

يقول الفتى الزغبى دياب ابن غانم ... انا فارس الفرسان يوم زحام
فما أطعن الا كل قرم ماجد ... واجعل دماه على التراب سجام
يازايد اسمع كلامى وافهم ... واصغى الى شعرى وحسن نظامى
ان اردت تسلم من حروبى والقنا ... وتفوز بنفسك ولا تنضام
تنزل وتاتينى ليلا خاضعا ... واعطيك منى اليوم حسن زمامى
واكتب العشر من مال العرب ... وتكون مرتاحا مدى الايام
وان كان تخالفنى وترفض نصيحتى ... اثبت قبالى والتقى لصدامى
فانى سافنى جموعكم فى مهندى ... وادعى الفوارس فى عنا وسقام
وتنظر الى عزمى وتعرف همتى ... وتسكر يازايد بغير مدام

فلما فرغ الامير دياب من كلامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا على رؤوسهم غراب البين كانهم كفتين ميزان أو فرسين رهان تارة يتباعدوا وتارة يتقاربوا وما زالوا فى هرل وجد واخذ وردلى وقت الظلام فدقت طبول الانفصال وفى ثانى الايام اصطفت الكتايب وترتبت المواكب فنزل الامير دياب الى الميدان فبرز اليه الامير زايد كانه قلة من القلل او قطعت فصلت من ذيل جبل فالتقوا البطلين

كانهم جبلين وحان على رؤوسهم غراب البين وصاحوا باصوات مزعجات تهد الجبال الراسيات فيالهم من بطلين درغامين واسدين كاسرين تعجبت من قتالهم الفرسان وتعلمت منهم ابواب الحرب والطعان وكان الملك زايد قد استظهر على الامير دياب فجذب الحسام فى يمينه حتى حك الركاب بالركاب وضرب الامير دياب بالطارقه فراحت خائبة بعدما كانت صائبة فاعتدل الامير دياب على ظهر الجواد واراد ضربه فتلقاه زايد بالعمد بيمينه واطلق عليه الضرب فخلى دياب من الضربه اتت على قصعة السرج من خلف طيرتها ووقع العمد من زايد فغار الامير دياب واخذ العمد بيمينه وحمل على الملك زايد وقال خذها من يد الامير دياب حداف الرقاب واطلق عليه الضرب اتى على راسه فطير جميع اضراسه واخمد انفاسه والقاه على الارض قتيل وفي دمة جديل ثم انه صاح بقومه وهجموا على قوم الاعداء وارتمى الامير دياب كانه صاعقة نزلت من السماء وما مال على طابور الا وفرقه وجيش الا ومزقه فقلب الميامن مياسر والمياسر ميامن وتظاهرت افعال الامير درغام والامير محمود وكسروا الرايات والبنود وصيروا وجوه البيض سود وقتلوا الفرسان والجنود وقحمت بنى زغبى ورياح واشتد الصياح وضربوا بالسيوف الصياح وطعنوا بالرماح وكان اكثر الشغل بذلك اليوم على عرر ائيل قباض الارواح فاعدت تري الاروس طائرة وادمية فائرة وخيول غايرة فبينهم فى ضرب شديد يفك الزرد النضيد واذا التقى الامير دياب بوزير الملك زايد وكان اسمه نافع فتجاولا بساحة الميدان وتطاعنا بالسنان الى ان لامير دياب ضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرابقه وضربه بجلباب درعه اقتلعه من سرجه كانه العصفور في يد الباشق الجسور وضربه بالارض ادخل طوله بالعرض وارقعه وحمل على بقية العساكر فلما نظرت قوم الامير زايد هذه الاحوال ولوا الادبار واركنوا الى الهرب والفرار فتبعوهم قوم الامير دياب بالنصال والسيوف الصقال وفتكوا بهم فتك الذيب بالاغنام ودخل الامير دياب الى البلد واحضر الاكابر والعمد واستلم الاموال والذخائر وجلس على كرسى المملكة فبعد جلوسه أشار بخبر الامير حسن بهذا القصيد

يقول الفتى الزغبى دياب ابن عانم ... ورمحى كما البولاد طايرشرارها

الا ايها الغادي ابلغ رسالتي ... لحسن الهلالى عز قوم هلالها

اخبرك يابو على فيما جري ... بارض المغارب من عظيم هوالها
اتينا برنيجه ونبغى أخذها ... تارى بها زايد كشعلة نارها
اتانا الى الميدان يامير بواعلى ... كابرج مبنى افوق على سوارها
تلاقيت انا واياه فى حومة الوغا ... عشرين يوما اتعبونى مجالها
ضربنى بيده ياهلالى بالعمد ... لو جاء على قلعة لهد حجارها
ضيعتها وخليت عنها بهتي ... فراح عمده من يمينه وطارها
فاخذت انا للعمد حالا وجئته ... وسديت عليها يمينها وشمالها
ضربته على رأسه فراح مجندل ... وادعيته ملقي باعلى جبالها
ملكنا اموالهم وحصونهم ... واخذنا قامتها وكل عمارها
انى اخبرتك على ما قد جري ... واطلعتك على جميع اسرارها
فارسل لنا نائب يجينا بلامهل ... وادعى لنا بالنصر يامغوارها
لكى نذهب ونقصد خلافها ... ونطلب من المولى الكريم انتصارها

فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب واعطاه الى النجاب فاخذه وراح يقطع الفيافي والبطاح حتى وصل الى الاوطان فدخل على صيوان حسن وسلمه الكتاب ففضه وقراه على روس الامارة والسادات فشكروا فعل دياب ودعوا له بالنصر واما الامير حسن استدعى الامير رضوان واخلع عليه وقلده وظيفه قائم مقام على قلعة برنيجه وذلك الاوطان فعند ذلك أخذ الامير رضوان مائة امير من عشيرته للمسير بصحبته ولما اصبح الصباح ودع الامير حسن وقبل يديه وطلب منه الرضا فقال مرادي أرسل الى دياب كتاب وأخذ يكتب اليه بهذا القصيد ويقول

يقول ابن سرحان الهلالى أبو على ... ونيران قلبى دوم ويكثر وقيدها
نعم ايها الغادى على متن ضامر ... كفرخ حمام في البرارى فريدها
سلم على الزغبي دياب وقول له ... يافارس الفرسان يوم طريدها
وليت لك رضوان قائمقامنا ... فاوصيه باحوال الرعايا جميعها
وتتوجه منها وتطلب خلافها ... بضرب الصوارم ثم طعن حديدها
والله ينصرك دوم على العدا ... بحرمة نبي خير البرايا وسيدها
ماقال حسن الدريدى ابو على ... وقوم الاعادى فى حسابك تكيدها

فلما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب واعطاه للامير رضوان فعند ذلك ركب وتوجه الى ناحية برنيجه ومازال سائرا الى ان وصل اليها فدخل على الامير دياب فاستقبله واكرمه غاية الاكرام واجلسه على كرسى المملكة وامر المنادى أن ينادى فى البلد باسم الامير رضوان ويكون الحاكم عليها ثم بايعه الاحكام وسلمه الاموال وأمر بدق طبل الرحيل وودع أهالى البلد وتوجه من هناك الى أن وصل الى ناحية قلعة فضرب هناك الخيام وركز الاعلام واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب وأشار بكتب الى الملك حمود يطلب منه عشر المال ويقول

ماقال أبو موسى دياب ابن غانم ... كبير القوم قيدوم النواجع
الا ياغاديا من فوق ضامر ... تجد السير فى وسط البلاقع
الا ارصل كتابى المسمى ... الفتى حمود قيدوم الربابع
وقول له نريد العشر منك ... فقدم ماتريده وكون خاضع
فاوزن عشر مالك والغنايم ... وعشر الخيل مع عشر البضائع
وان خالفتنى فابرز لحربى ... والقى الطعن فى يوم الهيازع
وجرد فى يده هندى يمانى ... واجى راكب على ادراع
وأفنيكم على بكره أبيكم ... أخلى دمكم مثل القواطع

فلما فرغ الامير دياب من شعره طوى الكتاب وختمه بخاتمه واعطاه الى النجاب فاخذه وسار يجدفى قطع القفار حتى وصل امند الملك فقبل الارض بين يديه وسلمه الكتاب فاخذه الملك وقراه وعرف رموزه ومعناه فقلبت الدنيا بعينيه ظلام والتفت الى الرسول وقال له اذهب امند مولاك وقل له ان ماله جواب الا السيف القرضاب ورمى الرقاب فسار الرسول الى ان وصل امند مولاه واخبره بما جاوبه الملك فاغتاظ الامير دياب من هذا الجواب ولما أصبح الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح من الفريقين ولما وقعت العين بالعين حملت على بعضها الطائفتين فقام الحرب على ساق وقدم وشابت اللمم وجار ملك الموت وحكم وجرى الدم وانسجم وصار وجود القوم عدم وجرى للقوم وقعة عظيمة تشيب الاطفال وتقصر الاعمار الطوال ومازال الواحد على هذا الحال مدة خمسة عشر صباح وكان قد هلك من قوم الفريقين عساكر مالها عدد حتى دارت على قوم حمود الدائرة فدخلوا البلد وسكروا الابواب والامير دياب محاصرهم

من خارج السور وعند المساء جمع الملك حمود اكابر الديوان وقال لهم كيف العمل مع هؤلاء العربان الذين كانهم مردة الجان فانا مرادى ان اطلب منهم الامان فقال له الرأى رأيك ونحن سامعين مطيعين لاوامرك فحالا استدعى بقلم وقرطاس وجعل يكتب الى الامير دياب ويطلب منه الصلح ويقول

قال الفتى حمود من قلب وجع ... لهبات قلبي زايدات نيران
نيران قلبي كلما أقول تنطفى ... بهب لها جوا الحشا دخان
اسمع كلامي يا ابن غانم وافقهم ... ياعز قيس وجملة العربان
انى اتيتك طايعا ياسيدى ... فاقبل خضوعي وأعطيني الامان
واملك الى اجه وكل ابراجها ... واملك مداينها مع البلدان
ونبقي عبيدك يا الميرعلى المدي ... ونعيش ظلك بكل أمان
فاعفوا عنا يادياب وسامح ... فانى أتيتك طايعا منهان

فلما فرغ الملك حمود من الكتاب ارسله الى الامير دياب وفي الحال امر دياب بالامان فى جميع البلدان ودخل البلد واجتمعت اليه الاكابر والعمد ومن بعد ما استلم الخزائن والقصور ولى الملك حمود على تخت اجه بشرط ان يدفع الجزية فى كل عام وارسل اعلم الامير حسن بما جرى وصار من الاول الى الاخر فقال له افعل ما تريد أيها الفارس الصنديد ووفق الله رأيك السديد فحينئذ ودع الملك حمود وسار قاصد قلعة طنجه وتلك الامصار وما زال يطوى الفيافى والقفار والمهامى والاوعار الى ان اقترب الى قلعة طنجه وتلك الديار فامر بنصب الخيام وتركيز الاعلام وجلسوا لاجل الراحة وارسل الامير دياب من يكشف له خبر أهالى طنجه وقعد فى اكل وشرب مدة ثلاثة ايام الى أن رجع الجاسوس فقال له ما معك من الاخبار فقال له اعلمك ان ملك طنجه يقال له نايل وهو فارس شجاع وقرم مناع وأما اسوار المدينة فهي عالية متينه وعساكره لا تعد ولا تحصى وقد علم بخبر وصولنا من الرعيان وقد جهز عساكره للقتال والحرب والنزال فلما سمع الامير دياب هذا الكلام دق الطبول ونفخ الزمور وركبت الفرسان الى ساحة الميدان فلما نظر الملك نايل قوم الامير دياب أمر بدق طبوله فتجمع بالحال عنده ثلاث مايه الف من الابطال فخرج بالعساكر الى خارج الصور الى ان التقت العين على العين نزل درغام الى معركة الزحام وطلب براز الفرسان فما لام كلامة حتى

صار الملك نايل أمامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال وقال من تكون من الابطال فقال له اعرفني مادونك الا الامير درغام ابن الامير زيدان وأنت من تكون من الفرسان فقال انا فارس من القبائل وملك الجحافل حاكم مدينة طنجه وملك نايل ثم التقوا البطلين كانهم أسدين وقام الحرب وزاد الضرب واشتد الكرب الى تناصف النهار فرجع نايل على خصمه الدرهم قنطار فلاصقه وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وضرب يده الجلباب درعه اقتلعه من بحر سرجه وحدفه الى الوراء فخذوه قوم الملك نايل اسيرو قيدوه بالاغلال والجنازير فبرز الى الميدان الامير زيدان فلاقاه الملك نايل واخذوا في ضرب الصفاح وطعن الرماح حتى زهقت منهم الارواح فصرعه الملك نايل بعقب لرمح فقلبه وسلمه لقومه أسيروقاد ذليل حقير فبرز اليه آخر اراده وثاني أعدمه الحياة وثالث بدد امعاه ورابع غرقه بدماه وما زال يقتل فوارس حتى قتل عشرين واسر ثلاثين الى أن اقبل الظلام دقت طبول الانفصال فاردت القبائل الى الخيام ورجع الامير دياب وهو غائب عن الصواب من عظم ماجرى عليه من فرسانه وعلى من قتل منهم ثم شجع الفرسان على الحرب والطعان وتخليص الاسرا من الذل والهوان فلما أصبح الصباح ضربوا طبول الحرب والكفاح وجردوا بايديهم السيوف الصفاح فبرز الامير نايل الى ساحة الميدان كانه فرخ جان اوعفريت من عفاريت السيد سليمان ونادى وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز للميدان لا كسلان ولا عاجز فما تم كلامه حتى صار الامير دياب ابن غانم قدامه وقال له ابشر بالهلاك فقد اتاك الامير دياب فتشاتموا بالكلام وردت ايديهم الى الحسام وانطبقوا انطباق الغمام فراح بينهم ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير دياب فوقعت الضربة في صدر الملك نايل ارماه قتيل وفي دماه جديل فولت قومه هاربين والى النجاة طالبين فدخل الامير دياب البلد وقد خلص الاسري وجلس على تخت طنجه وأمر ان ينادى في البلد الامان وجمع الاكابر واستلم الاموال والذخائر ولما استولى على الملك استدعى باميرعقل واجلسه نائبا على البلد وخرج قاصد مدينة طنجه وما زال سائر الى ان وصل الى سهل واسع الجنبات فيه العيون جاريات فسرحوا الاغنام ونصبوا الاعلام مدة خمسة ايام قال الراوي هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملك مزيده ملك قلعة طنجه فانه كانت قد توارت عليه الاخبار بما فعل الامير دياب من الحرب واهوالها فاستدعى وزيره الاكبر وكان اسمه عمر

فقص عليه هذا الخبر وكان هذا الوزير قلاخبير وصاحب رأى وتدبير فاخبره الملك
بما فعل الامير دياب بالقلاع وهم كوبج وبرج الدمع وبرنيجه واجه وطنجه فلما سمع
الوزير هذا الامر صار قلبه مثل لهيب الجمر وقال للملك الاوفق ان نخلى لهم البلاد ونحجب
دماء العباد ونرتاح من حرب هؤلاء الاوغاد فقال له الملك رأيك ليس هو بالصواب
والملك خايف من حرب هؤلاء الانذال فبالغدا نشاء الله اترك قلاعهم كالتلال وفى الحال
أمر بدق طبول القتال لتحضر للحرب والنزال فتحضرت العساكر والفرسان فلما
كان اليوم الثانى عند الصباح برزت الط ثفتين للحرب والكفاح فاستطفت الصفوف
وترتيبت الميمنات والالوف واذ الملك مزيد وهو مضبق اللثام كانه قطعة من غمام راكب
على جواد أشقر عالى مضمر طويل القامة عريض الهامة فبرز الى ساحة الميدان وطلب
مبارزة الفرسان فبرز اليه الامير دياب وهو راكب على الشهباء وقال له من تكون أيها
الفارس فاجابه مادونك بحومة الميدان الا الملك مزيد فارس عشيرته وحامى قبيلته
وانت من تكون من الفرسان يا انذال العربان فقال له انا الامير دياب ابن غانم فارس
الاعارب والاعاجم والليث المصادم مفنى الاعادى بالصوارم واشار يشهده وبقوله

يقول الفتى الزغبى دياب ابن غانم ... وسعدى أعلا فوق كل سعيد
وسعدي مساعدنى عالدوم والمدا ... وعزمى في يوم اللقا شديد
ملكت الى كوبج بعزمي وهمتى ... وقتلت بكار بطعن حديد
وزيد ونافع قد عدوا بهندي ... وعمر مع نايل غدون فقيد
ملكنا قلاعهم وأخذنا أموالهم ... وجينا نطلب منك العسر ياصنديد
فادفع لنا عشر الموالى مع الخدم ... فى كل عام ترسلوه اكيد
وان ابيت اليوم تخسر وتندم ... وتبقى طريحا على التراب مديد
رد الملك مزيد عليه وقال له ... والنار فى قلبى تهب وتوقد
اسمع كلامى يا ابن غانم وافهم ... اظن عقلك من دماغك شاردى
أعاود بجندك من بلادى وارجع ... من قبل روحك من حسامى تفقدى
انا فارس الفرسان فى يوم الوغا ... مردى الاعادى وكل قرم امجدي

فلما فرغ الملك مزيد من كلامه والامير دياب يسمع نظامه حملوا البطلين كانهم
جبلين وحان عليهم الحين وغنا فوق رؤوسهم غراب البين . فشخص لهم الاحداق

وامتدت لهم الاعناق . وتبلا عليهم الخلاق . واخذوا الاثنين على بعضهم بالانطباق وضربوا في البيض الرقاق حتى كلت من تحتهم الخيل وصارت حالتهم بلو بل ومازالوا في حروب واهوال . تشيب روس الاطفال مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن عند الصباح تقلدوا بالسيوف الصفاح وحضروا لمحل طعن الرماح فعظمت الاهوال وزاد القتال الى ان تناصف النهار فزاد الامير دياب على خصمه الدرهم قنطار فلاصقه وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه حتى حك الركاب بالركاب وجذب الحسام وضربه على رأسه فهوى السيف الى بطن الجواد فالقاه على الارض اربعة اقسام وحمل على العساكر ومن وراه بنى رغبى ورياح وفتكوا بهم فتك الذيب بالغنم واوهم بالذل والعدم حتى خرس اللسان وولى الجبان وهالت الدما كالغدران فولت عساكر الملك مزيدها ربين والى النجاة طالبين فتبعوهم بنى زغبى وقد أخلوا منهم الديار بعد ما ولى العدد المبددة والخيل الشاردة ودخلوا البلد وجلس الامير دياب على الكرسى وضبط الاموال وجمع الاغلال ووضع عليها أمير يسمى الامير خليل وقال له أنت تكون نائب على مدينة طنجه وتقوم مقامنا بالاحكام وترسل لنا الجزية في كل عام وحينئذ أمر المنادى ينادى بان هو الحاكم على قلعة طنجه فانقادت اليه القواد وطاعت له العباد وحينئذ امر الامير دياب بدق طبل الرحيل وجد المسير الى قلعة الحائجة وكان الملك عليها اسمه سليمان فعندما علم بقدوم الامير دياب أمر حالا بتجهيز العساكر للحرب فحضرت العساكر وتجهزت الدساكر واصطفت الجيوش خارج البلد فبينما هم بالانتظار والاغبار غبر الصفا تكدر وبان من تحته فرسان كانهم العقبان على خيول أخف من الغزلان وفي مقدمتهم الاسد الكرار والبطل المغوار فارس الاعارب والاعاجم الامير دياب ابن غانم فلما وقعت العين على العين ونظرت بعضها الطائفتين فهجمت الفرسان على الفرسان واصطدما الفريقان وتضاربا بالسيوف وتطاعنوا بالسنان حتى جرى الدم كالغدران وما زال القتال على هذا الحال مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادى عشر برز الامير دياب الى الميدان ومحل الضرب والطعان فبرز اليه الملك سليمان كانه فرخ جان وانطبقوا على بعضهم انطباق الفرسان حتى كبت الخيل بالعرق ورمت سيوفهم على الدرق وكل واحد على

رفيقه طبق مقدار ساعتين من الزمان فطلع من الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الاميرداب فاستلب الرمح وطعن الملك سليمان في صدره طلع يلمع من ظهره فوقع الى الارض قتيل وفي دماه جديل فلما نظرت عساكر الملك سليمان الى ملكها قتيل انحلت ظهورها وولت الادبار واركنت الى الهزيمة والفرار فتبعها ابطال بني زغبي وهم يضربون باقفيتهم السيف البتار حتى شتتوهم في البراري والقفار هذا ورجعت عساكر الامير دياب الى البلد وجلس دياب على كرسي المملكة واستلم زمامها وأموالها وانقادت الي طاعته فرسانها وحكامها فعند ذلك ولى الامير عبد الله الجليل الرياحي نائب من قبله واوصاه باحكام البلاد وراحة العباد وبعد ذلك حضرت عند الامير دياب جميع بني زغبي وذبحوا الذبائح وعملوا الولايم ودروا الافراح لخلوصهم من الحرب والكفاح وقد انقادت لطاعته العباد وسكان تلك البلاد فهذا ما كان من أمر الامير دياب في تلك سبعة قلاع بلاد الغرب قسمته

هذا حرب الامير ابو زيد مع اهالي الغرب واخذه السبعة قلاع

واسمع ماجري للامير ابو زيد بعدما ودع الامير دياب حينما قروا الفواتح توجه كل واحد لاجل تملك قسمته فتوجه الامير ابو زيد من هناك قاصدا بلاد قابس ومازال يجد السير في النهار والليل حتى وصل الى أرض قابس عند الظلام فنصب هناك الخيام واحاط البلد من جميع الجهات فلما أصبح الصباح قامت اهالي البلد ونظرت عساكر بني زحلان كانهم مردة الجان فارتعشوا من هذا الامر واخبروا الملك فياض وكان شديد البأس قوي المراس فلما سمع منهم هذا الخبر هدر وزمجر وصاح على الفرسان والرجال وأمرهم بالخروج الى الحرب والقتال فركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول وركب الملك فياض بمقدمتهم وخرجوا خارج البلد وصاحوا على الدشمان ونزلوا عليهم بطعن كاسنة النعبان فلما رأى الامير ابو زيد وقوم الزحلان العساكر اقبلت تعدو على ظهور الخيل وصاروا يعددوا الفرسان بالعرض والطول وبينهم في حروب متينة تهد القلاع الحصينة اذ التقى الامير أبو زيد بالامير فياض فتشاتموا بالقوم ووقع بينهم القتال والتقوا الفارسان واخذوا في الضرب والطعان ولكن لله درهما من بطلين درغامين واسدين كاسرين فشخصت لهم الاحداق وتطاولت اليهم الاعناق وتعلمت منهم

الفرسان ابواب الحرب والطعان فما تناصف النهار حتى صار الدم جاري كالانهار هذا والامير ابو زيد وفياض بقضار با بالسيف البتار فقام الامير فياض بعزم وضرب الامير ابو زيد تخلى عنها فراحت الضربة خائبة بعدما كانت صائبة واعتدل الامير ابو زيد على ظهر الحصان كانه فرخ جان وضرب الامير فياض بالسيف على هامه حط راسه قدامه وهجم هو وقومه على الدشمان وارمى كانه صاعقة نزلت من السماء وكحل معاصر الاعداء بالدماوما ولى النهار حتى عسكر الملك فياض ولت الادبار واركنت الى الهزيمة والفرار فتبعوهم قوم الامير ابو زيد الى أن أدخلوهم البلد وملك الامير ابو زيد القلعة واسلم ذخائرها وأموالها واطاعت لهم جميع مكانها وطلع الامير ابو زيد الى الديوان وجلس على كرسي السلطنة واحضر امير من بني زحلان اسمه الامير حمزة وولاه قائمقام على تخت قابس ثم ودعه وسار قاصد قلعة سوت وكان الحاكم عليها ملك عظيم الشان ذو جند واعوان يقال له البهلوان وكان قد وصلت له الاخبار بما جرى للملك فياض من الامور عن يد ابو زيد الفارس المشهور فجمع العساكر والابطال ونصب خيامه خارج البلد وهو منتظر قدوم الامير ابو زيد قال الراوي وما مضى ثلاثة ايام حتى الغبائر غبرت والخيل اقبلت والطبول ضربت والزمور نفخت والرايات انتشرت والاعلام لمعت والابطال زعقت وقوم الامير ابو زيد على الاعداء حملت والرجال زحفت والرماح للصدور خرقت والسيوف للرماح قطعت والدما دفقت وضربات ابو زيد للفرسان محقت وصرخاته للجبال زلزلت ومنه الفريقين برب الخلق توسلت حتى اهلك الابطال بطعناته وافناهم بضرباته وابهرهم بصرخاته وشتتهم بحملاته فبينما هو يصول ويجول ويجندل الفرسان عرضا وطول واذ التقى بالملك البهلوان فتجاولا في ساحة الميدان وصرخوا صرختان ارتجت من عظم صرختهم الوديان وصاح ابو زيد على خصمه وفاجاه وضربه بحسامه فبدد امعاه واعدمه الحياة وجعل القبر ماواه فلما نظرت عساكره هذه الحال وان ملكها تمدد على الرمال ولوا الادبار واركنوا الى الهرب والفرار فتبعهم الامير ابو زيد ودخل البلد وملك ابراجها واسوارها وولى عليها امير يقال له الامير همزان واجلسه على كرسي المملكة وارسل اخبر الامير حسن بما جرى ورحل من هناك طالب قلعة مغراوه هذا ما كان من

امره واما ماكان من امر المنهزمين من قوم الامير البهلوان فانهم مازالوا سائرين حتى وصلوا مغراوه فدخلوا على ملكها واخبروه بما جرى لهم مع الامير ابو زيد وكيف قتل ملكهم وملك قلعتهم واخبروه ان هؤلاء العربان هم الذين قتلوا الزناتي وملكوا البلاد وسبوا العباد فلما سمع الملك منهم هذا الكلام قال لهم ياقوم الرأى عندي ان نترك لهم البلد ونذهب الى مدينة القيروان لعند الملك زهير لان ارضينا لاتحمينا من هذه العساكر وذلك من كثرة الخوف والرعب فذهبوا وتركوا البلد وقصدوا مدينة القيروان فلما وصلوا اليها ودخلوا على ملكها الامير زهير واخبروه بواقعة الحال وماجرى لهم من الاهوال فقال لهم ان هذه الارض لانكفينا فالاوفق ان نذهب الى الاندلس لانها واسعة حصينة وبها قلعة معينة فاستصوبوا رأيه وسارت الرجال والاحمال الى الاندلس لعند الامير حماد واخبروه بواقعة الحال وماجرى لهم فالقاهم بالاكرام وانزلهم باحسن مقام وامر بتحصين البلد وتبريز الخيام الى الخارج وجلسوا بانتظار الاميرابو زيد هذا ماكان من امرهم واما ما كان من الامير ابو زيد فانه مازال سائرا الى ان وصل الى قلعة مغراوه فخرجوا اهالى البلد وهم رابطين محارم الامان فى رقابهم فسالهم عن ملكهم فقالوا انه لما سمع بقدومكم خرج هو والعساكر من البلد وهربوا الى مدينة القيروان لعند الملك زهير فحينئذ اعطاهم الامان ودخل البلد وضبط الاموال وولى الامير مروان على تخت القلعة ورحل طالب مدينة القيروان ومازال سائرا الى ان وصل اليها فاستقبلوه الاهالى وفى رقابهم المحارم فسالهم عن ملكهم فقالوا له بانه ذهب الى الاندلس فحينئذ اعطاهم الامان وضبط اموال القلعة وولى عليها الامير مسعود واوصاه بالاحكام ورحل طالب قلعة الانداش ومازال سائر حتى وصل الى البلد فنظر العساكر كانها قطع الغمام فامر بنصب الخيام وكان قد اقبل الظلام فباتوا الفريقين يتحادثون تحت مشيئة الرحمن الى ان اصبح الصباح ضربوا طبول الحرب والكفاح وركبوا الجرد القداح وتقلدوا بما يلزمهم من السلاح واعتقلوا بالسيوف والرماح فبرز الامير حماد الى ساحة الميدان ولعب بالسيف والسنان حتى حيرة ول الفريقان ثم طلب براز الفرسان فبرز اليه الاميرابو زيد كانه عفريت من عفاريت السيد سليمان فاشار الامير حماد بهذه على بهذا القصيد يقول

يقول الفتى حماد والقول صادق ابو زيد اتى همتى وطرادى
انا فارس الخيلين والزان مشتبك اذا اظلمت والهول فيها زاد
انا الاسد الربال فى حومة الوغى فكم قرم اردته بضرب حداد
مرادك تبيد القوم بحد صارمك وتملك الى ارضى وكل بلادى
فقد خاب ظنك والذى انت طالبه وبقيت خالى العقل وارشادي
تبدى له الهلالى ثم قال له انا هزام فرسان الطراد
فياحماد كف القول واسمع ودع للحرب واترك للعناد
واوزن عشر مالك والمواشى والا دعيتكم فوق الجماد
وان خالفتنى فالقى لحربى وسوف اوريك ضربات الحداد
فمن قبلك غدا المعصبص هازم وادعيته مطرح فوق الجماد
وقتلت الملك فياض حقا بطعن الرمح مع ضرب الهناد
انا ابو زيد مهلك للفوارس سامهلك ارضكم ثم البلاد

فلما فرغ ابو زيد من كلامه والملك حماد يسمع نظامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا فوق رؤسهم غراب البين وتضاربوا بالسيفين وتطاعنا بالرمحين وصاح الاميرابو زيد على خصمه وفاجاه وضرب الحسام واناه حتى حك الركاب بالركاب فلاح الحسام بيمينه وفرغ الضرب على الملك حماد فاتت الضربه على رأسه شقته الى تمكة لباسه فلما رأوا قوم الملك حماد ملكهم قتيل ولوا الى الهرب ورجعوا قاصدين البلد فهجم الاميرابو زيد وهجمت من وراءه بنى زحلان الشجعان وتبعوا الدشمان بضرب السنان حتى ادخلوهم البلد ونزلوا عليهم بضرب العمد وجردوا بهم السيف البتار حتى صار الدم فى المدينة كالانهار و بعد ذلك رجعت عنهم الفرسان وجلس ابو زيد على كرسى المملكة وحينئذ طابت منهم الاهالى الامان فاعطوهم الامان وطاعت لهم سكان الاندلس والقيروان وحينئذ الاميرابو زيد ولى طوى ابن مالك قائقمقام تلك القلعة ووصاه بالاحكام وساروا قاصدين مدينة مركاش فلما وصلوا اليها نصبوا الخيام من حواليها وركزوا الاعلام فيها فلما بلغ مالك قدوم العربان جمع اكابر دولته وسالهم عن سبب قدومهم فقال احدهم انهم من قوم بنى هلال الذين قتلوا الزناتى والعلام وملكوا جميع البلاد وهم رفقات الذين تملكوا السبعة

قلاع ناحية المشرق وقد اتوا الينا ليملكوا ارضنا وبينما هم بالحديث واذا برسول مقبل عليهم فدخل وقبل الارض بين ايادى الملك وقال له ان سيدى الامير ابو زيد يقريك جزيل السلام وهو يقول لك ان تسلم البلد والا يحل بك كما حل بغيرك من ملوك البلاد فلما سمع الملك من الرسول هذا الكلام خاف الخوف الشديد والتفت الى اكابر البلد وقال لهم ما عندكم من الرأى فقالوا له الرأى عندنا ان تصالحهم وتسلمهم البلد فالتفت الى العبيد وقال لهم خذوا الرسول الى بيت الضيافة وجهزوا حالهم وخرجوا الى ملتقا الامير ابو زيد والاماره وضربوا طبول الملاقات فلما رأت بنى هلال القوم مقبلين بدون سلاح عرفوا انهم سلموا البلد فلاقوهم بنى هلال احسن ملاقات وسلموا على بعضهم البعض وضافوهم قوم الامير مالك واقاموا بواجبهم احسن اقامة مدة ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع طلب الامير ابو زيد البلد فحالا قدموا له الدفاتر والاموال فاستلمهم الامير ابو زيد واجلس الامير مالك على كرسيه بشرط ان يدفع الجزيه فى كل عام وبعد ذلك ودعوهم وساروا وما زالوا سائرين اول يوم والثانى وفى اليوم الثالث بعد الصباح وصلوا الى مدينة حصينة بالخيرات سكينة فيها ابراج وانهار واطيار تسبح الملك القهار ونظروا خارج البلد خيام منصوبة ورايات مركوزة وسرادق مضروبة واسمها قلعة نرواوه وكان يحكم عليها ملك عظيم الشان ذو جند واعوان يدعى الامير كامل وكانت قوم الامير مالك المنهزمين قد اقبلوا عليه فى عشرة وعشرين واخبروه بما جرى عليهم من الحروب من الاول الى الاخر واخبروه بانهم قاصدين اليه فبالحال امر بتجهيز العساكر والمهمات والذخاير وان تحضر الاطال الى ملاقات الحرب والقتال واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخالص واشار يتهدد بنى هلال يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى كامل على ما جرى له ... ونيران قلبى شاعلات الضرام
فيا ايها الفادى توصل رسالتى ... الى حسن سلطان قيس الاكارم
وقول له الملك كامل يقول لك ... باى سبب الى ارضنا جيت قادم
فان كنت تطلب للسلامه فارتجع ... وعد خيامك ثم ارتد سالم
مرادكم قلعة نرواوه وملكها ... فيها قرو ما ليسو يخشوا الصوارم
نهار احتباك الحرب فى الوغى ... اجيء كما سبع للصيد حايم

فلما فرغ كامل من نظامه أرسل الكتاب صحبة النجاب فلما وصل لعند الامير ابوزيد فضه وقرأه وعرف ما حواه فامر بدق طبول الحرب ونزات الفرسان لمحل الطعن والضرب فلما سمع الامير كامل صوت الطبول امر بدق طبوله وتحضرت الفرسان الى ساحة الميدان فلما التقت الطائفتين ووقعت العين على العين وبرز الامير كامل الى الميدان كانه الاسد الغضبان وكان يعد فارس من الفرسان وبطلا تبطل عند ابطاله الشجعان فبرز اليه الامير ابوزيد فتقاتلوا بالميدان حتى كلت منهم الزندان وقدحت لهم الاعيان وتعلمت منهم الفرسان ابواب الحرب والطعان ومازالوا في حرب شديد يفك الزرد النضيد ويشيب الطفل الوليد مدة عشرة أيام حتى ضجرت الابطال من هذا الحرب والقتال وفي اليوم الحادي عشر برز الامير ابوزيد الى الميدان فصال وجال وطلب براز الابطال فبرز اليه الامير كامل كانه قصاص المحادل فالتقوا البطلين كانهم قلعتين حصينتين وابتدوا بضرب السيوف وطعن يوتر بكل قلب ملهوف حتى تحيرت من فتالهم الفرسان وتعلمت منهم الحرب والطعان ومازالوا على هذا الحال الى قرب الزوال فطح من الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير كامل فضرب بها الامير ابوزيد فراحت خايبة بواسطة الحيل والتقوى فقام الامير ابوزيد بعرم الركاب وضربه بالسيف على هامه حطر أسه قدامه وحينئذ هجم وهجمت من وراه الفرسان وغاروا على الاعدا من كل مكان ومازالوا عليهم بطعن السنان وضرب يكسر الصوان الى ان أدخلوهم البلد فبالحال جلس الامير ابوزيد على كرسي المملكة وضبط الاموال واستلم جميع الاحوال واحضر الامير هادي ووضعه قائمقام على قلعة زواوه وامر باشهار المناداة باسمه وهو الحاكم عليها بكل حفظ ومكان وامان وبعد ذلك جهز الامير ابوزيد الاموال وحملهم على الجمال وامر بدق طبل الرحيل وساروا الجيوش والمراكب والفرسان والكتايب ومعهم الاغنام والمكاسب ومازالوا سائرين يطووا الفيافي والقفار حتى وصلوا الى عين توزر وهي بنصف الطريق فجلس هو لاخذ الراحة وامر بذبح الاغنام وشرب المدام وبينما هم على هذا الحال ولا اطلعت عساكر الامير دياب من ناحية مغرب الجنوبي فلما التقى الامير ابوزيد بالامير دياب هنوا بعضهم بالسلامه واخبروا بعضهم بما قاسوا من الحروب والاهوال وجلسوا ثلاثة ايام وقاموا وجدوا بالمسير الى ان

وصلوا الى تونس فلما علم الامير حسن بقدومهم خرج لملتقاهم بالنساء والرجال
وجميع الذين كانوا بالاطلال وعند ملتقاهم هناهم بالسلامه ودخلوا بموكب عظيم
ودارت البشائر في رجوع بني هلال وفرحت في قدومهم النساء والرجال وبعد
ما استراحوا سالهم الامير حسن عن الاحوال التي جرت لهم فخبروه من الاول الى
الآخر بما قاسوا من الحروب والاهوال في تلك سبعة نخوت بلاد الغرب اى الاربعة
عشر قلعة وحينئذ امر الامير حسن بعمل وليمة كبيرة و بذبح الاغنام وترويق
المدام ودعى اليها الخاص والعام و بعد مدة من الزمان قسموا بلاد الغرب بينهم
بالسوية أي ان الامير ابوزيد أخذ الثلث والامير حسن الثلث وديات الثلث واما
تونس لدياب من غير حساب لانها عوض الخضرا ثم رحل الامير حسن الى القيروان
وجعلها عاصمته والامير ابوزيد جعل الاندلس عاصمته وحينئذ جلس كل واحد
بمملكته بكل أمان ولنرجع الآن بالكلام الى سعدا ابنة الزناتي فانها بقية
في قصر ابيها عند حريم الامير دياب تقاسي الذل والعذاب وهي كما ذكر الكلام
ولما رأت ان الامير حسن نسيها وما عاد افتكر فيها راسلا ابوزيد انجملت تكتب
الى الامير حسن وذكرته بخلاصها من الامير دياب وانها مظلومة عنده للغاية
وارسلت الكتاب صحبة نجاب فلما وصل الى الامير حسن أعطاه الكتاب ففضه
وقراه وعرف رموزه ومعناه فتغيرت منه الاحوال ولعب به الغضب بالحال
وحينئذ أرسل عبده جوهر الى الامير ابوزيد واخبره بالقضية فلا حضر ابوزيد
ومعه خمسة آلاف فارس من بنو رحلان كانهم مرده الجان فلاقاه حسن وسلم عليه
و بعد ما ارتاح ابوزيد قال للامير حسن ما الخبر حتى أرسلت وراي فحينئذ أعطاه
كتاب سعدا فلما قراه أمر باحضار النجاب فلما حضر لبين يديه قال له اخبر
الست سعدا انا بعد ثلاثة أيام نكون عندها فسار العبد واخبرها بانهم آتين لياخذوها
ففرحت وقامت تنتظر قدومهم واما حسن وابوزيد ركبوا في ثاني الايام وساروا
حتى دخلوا الي تونس الغرب فلما نظرهم الامير دياب نزل ولاقاهم بالترحاب والاكرام
وادخلهم القصر وذبح لهم الذبائح واقاموا بضيافته ثلاثة أيام

(انتهى الجزء الحادي والعشرون و يليه الجزء الثاني والعشرون)

الجزء الثانى والعشرون من تغريبة بني هلال

وهو يتضمن على قتل سعدا بنت الزناتى خليفه ووقوع الفتنة بين بنى هلال وحبس الامير دياب وشنق الزغابا

وفى اليوم الرابع قال لهم الامير دياب لقد شرفتونا بمنازلكم وكان الواجب ان ارحل انا بالاول اليكم وأقدم الواجب على فقال له الامير حسن نحن ما أتينا الا لامورهم ثم أشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على ... ولى قلب من جور الزمان كواه
ولى عين طول الليل ما تالف الكرى ... ودمعي يجرى فوق خدى سجاه
الا يا دياب الخيل اسمع مقالتى ... واصغى لقولى وافتهم معناه
أتينا الى نحو الزناتى خليفة ... وقمنا لسوق الحرب وسط فلاه
بقينا قدر عامين والحرب بيننا ... وقد راح منا كل قرم عتاه
ومن بعدها قد جيت يا ولد غانم ... على ظهر خضرا مثل سبع فلاه
قتلت الزناتي كان هذا مقدر ... من عند ربى من أعالى سماه
وحطيت رحلك فوق باب تونس ... وقصدت تدخلها بغير حياه
ومن بعدها قد قمت حاكم مكانه ... وكل هذا الفعل ساحناه
أعطيناك ثلث الغرب ومهما تريده ... انت وانا وابو زيد بالسواه
أخذت تونس بدل خضرا أصيله ... وما عاد لك قط حق سواه
وسعدا بقيت عندك وديعة لبينا ... يروق منا البال نقيم هناه
طلبت منها ان تكون حليلتك ... هذا فعال العيب لا نرضاه
وجعلتها عند الجوار لخدمتك ... وتطحن للحك والحطب ومياه
عيب ترى هذه الفعال جميعها ... وما هى مروءة الرجال تراه
سعدا مرادى أخذها لضعوننا ... وزوجها مرعى باحسن جاه
وهى يتيمة يا دياب ابن غانم ... ابوها قتلته انت وسط فلاه
ما قال الفتى حسن الهلالى ابو على ... قلبى تحمل جور ثم أساه

قال الراوى فلما فرغ الامير حسن من كلامه والامير دياب يسمع نظامه اغتاظ دياب الغيظ الشديد الذى ما عليه من مزيد ولكنه أخفى الكمد واظهر الجلد وقال

ان سعدا باقية كما هي واما قولك انى طلبت ان أتزوجها فهذا كذب فقال حسن هذا كتاب سعدا اقرأه فقرأه فقر أه دياب واغتاظ اكثر من الاول وقال ياحسن هذه سعدا بواقة وخائنة فالتى تخون ابوها لا يكون فيها خير لاحد فالواجب ازالها فقال حسن هذه خطية انى برعى فاطلب ان اسلمنى اياها والا يهم ما بيننا أسباب ماهي فى حساب فعندها أشار الامير دياب يجاوبه ويقول هذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول الزغبى دياب بن غانم ... ولى عزم امضى من حسام شظاه
ولى همة فى الحرب ان قام سوقها ... ادعي دما الابطال شبه قناه
ايا بوعلى اسمع كلامي وقصتى ... اصغي الى قولى وافتهم معناه
لما دخلنا الغرب يا امير ابوعلى ... نسيتم فعالى واخترقتم علاه
فقلتم دياب الخيل يرعى جمالنا ... ونحن نكاون للزناتى بلاه
فتحتم ميادين الوغي مع خليفة ... نم ابو سعدا شديد لقاه
رجعتم عملتم بالزغابى حيلة ... دعاهم ابو سعدا بسيفه هفاه
قتل بدير الخيل خالى واخوتى ... ثريدان مع بدر الامير سواه
تسعين اميرا من قرابى قتلهم ... وابو زيد ناظر لا يدطفياه
قتل عقل سلطان الفوارس كلها ... فياالهفى ياعتل روح هفاه
فوالله ارض الشرق والغرب كلها ... باظا فير عقل الخيل لا أرضاه
مضي عقل مع نصروا ما كنت غايبا ... عرايس بسوق الخيل وقت لقاه
ولما عجزتم عن خليفة وحربه ... وقلتم غير دياب لا يلقاه
بعثتم براقع مع شعور بناتكم ... وماجيت الا بحجتين سواه
منك ومن ابوزيد فيهم تقولوا ... يا للوحي يا امير زغبى تعاه
وجيتكم من فوق خضرا كرعة ... لها جري يسبق برقها ولعاه
لقانى ابو سعدا الزناتي خليفه ... من فوق أشهب مثل طير الاه
ثلاثة شهور الكون عاقد بيننا ... ويا ما جرى بيننا ودهاه
قتل خضرتى تسوى المداين كلها ... وقمت على الخضرا كثير بكاه
طعنته بحربة مثل نار تنطفى ... فى وسط عينه نفذت من قفاه
وراح ابوسعدا قتيلا على الوطا ... وراحت الخضرا عيونى معاه
تقول عطيتونى لثلث ملكه ... اخذته بضربة السيف ثم قناه

تو بخني من اجل بنت خليفة اذا كنت ارضاها كبعض نساه
طحنتها للملح هذا جزاها وهذا جزه من كان يخون اباه
وتقول تاخذها لعندك ياحس وهذا تري مايصير لا والله
انا قلبي انكرى وانت خاليا والجمر تحرق في مكان رماه
ملكتكم للشرق والغرب كلها وما بان لى معكم جميل تراه
فهذا ابوزيد حاكم بيننا واني لحكمه ياحسن أرضاه
ماقال الفتى الزغبي دياب بن غانم ومن يعاندني الحسام دواه

قال الراوى وما انتهى الامير دياب من الخطاب الا وفرحسن واقفا على قدميه وقد احمرت أماق عينيه وقال لدياب والله لو ما كنا ضيوفك لكنت ضربتك بهذا الحسام وأذيقك كاس الحمام كيف تقول ملكتنا الغرب والشرق وتظهر فضلك علينا كل وقت فقال دياب نعم انا ملكتكم الغرب لانكم عجزتم عن الزناتى ولولا فرسان بنى زغبي ما كنتم بقيتم يوم واحد بحرب الزناتى لانى أشهد انك انت وابوزيد من الفرسان وأما عساكرك وبنى زحلان كلهم مثل النسوان وما طلع منهم فارس يعرف بين العربان وأما بنى زغبي كلها ابطال معدودة ثم أرادوا يهجموا على بعضهم فمنهم ابوزيد وقال لهم ماهذه الفعال تتقاتلوا على شان بنت وانا عندى رأى احسن واوفق فقال الامير دياب ماهو فقال ابوزيد نحن نوضع سعدا فى مكان بعيد بآخر الميدان ونقف نحن راكبين خيولنا بأول الميدان ونطلق الاعنة فالذى يوصل الى سعدا بالاول تكون ملكه وياخذها وقصد ابوزيد ان ياخذ سعدا من عند دياب وقال بنفسه ان دياب خضرته ماتت وبنتها صغيرة ماهي مثل خيلنا لانهم عتاق وماهي معودة على الجرى فنحن نسبق واذا أخذتها اعطيها الحسن وينخصم الشر لانا ضيوف عند دياب ولا يليق ان ناخذها غصبا عنه فقال حسن رضيت بذلك وقال دياب وانا رضيت ايضا ثم اتفقوا على هذا الحال وفى اليوم الثاني أخرجوا سعدا الى الميدان ووقفوها فى آخره ووقفوا هم فى أوله واعطوا لبعضهم الاشارة فخرجوا كلهم نشاب وكان دياب راكب الشهبا ابنه الحضره وكانت أحسن من امها فراحت امام الجميع ومن خلفه أبوزيد على الحمرا وخلف الكل حسن على الحيصا وكانت المسافة مقدار ساعة فلما وصل اليها دياب قالت له أنا اختك يادياب وكان ابوزيد علمها على ان تقول ذلك فلما سمع دياب وعرف المضمون فشهر حسامه وضربها به فجرحها جرح بليغ فصاح فيه حسن وقال

لماذا عملت هكذا يا دياب قال انتم قلتم الذى يسبق اليها تكون ملكه وهي صارت ملكى فاتصرف بها كيف ماشاء وبما انها خاينة لا اريد انا بقيها عندى ثم ارى عنان الشهبا وعاد راجع واما ابو زيد نقال الى حسن صدق دياب هذا حقهم نزلوا الى سعدا وجدوا نيها روح حملوها وساروا حتى دخلوا القيروان واجتمعت البنات والنسوان لما عرفوا بقتل سعدا وكذلك مرعى فانه مزق ثيابه ونتف شعره وصار كالمجنون واما سعدا فانها فتحت عينها واشارت من حلاوة الروح تودع الدنيا وتقول

تقول فتاة الحى سعدا التى شكت ... بدمع جرى فوق الخدود سجام
وعيني تبات الليل ما تاتلف الكرى ... عليها لذيذ النوم عاد حرام
انا لا بمة روحى ولا لوم غيرها ... ومنها كسيت الضر والآلام
تبعت هوى نفسي وخنت لوالدى ... مربينا من خمسة عشر عام
ومحجوبة بالقصر ما احد يشوفنى ... عن الاهل والاخوان والاعمام
ابيت على فراش الهنا لا اعرف العنا ... مسيرى من قصرى الى الحمام
اذا سرت للحمام ترتج تونس ... جوارى من خلفى ومن قدام
انا كنت سعدا أسعد الناس كلهم ... شبيه القمران بان تحت غمام
مولعة بالغنى والعز والصبا ... انا وانى فى لذة وانعام
فلما اتي ابو زيد للغرب رادها ... ومعه امارة خيرين كرام
علمت بهم من قبل ياتوا بلادنا ... ضربت بنخت الرمل والافهام
جاء والى بستان قابس بالضحي ... وابو زيد من سهر الليالى نام
اتوهم عبيد السوء وقفوا حولهم ... وهم ساحبين خناجر وحسام
وشدوا أياديهم كتافا الى ورى ... واخذوا صوارمهم مع الانعام
وقد عرضوهم للزناتى خليفة ... ملك من ملوك الارض كالضرغام
نهرهم وقال جيتم تردوا بلادنا ... فقالوا شعارا لقصد الاكرام
فقالوا شلحوهم يا عبيد ثيابهم ... وامضوا بهم للمشنقات قوام
ونادي عليهم فى شوارع تونس ... ودلوا حبالا ما كنات برام
فطلعت من شباك قصرى أشوفهم ... أنا مثل بدر مستهل تمام
تعلقت بمرعى لما نظرته ... سلب مهجتى والقلب لاجله هام
وقد اصطلت ار الغرام بضا مرى ... وقد هاج بالي وزاد غرام

نهضت انا من منزلي نحو والدي ... وقلت ابوي لا تكن ظلام
فما ذنب شعارا أمرت بقتلهم ... مساكين فقرا كلهم أيتام
فقال لي جاءوا يرودوا بلادنا ... لكي يملكوها في قنا وحسام
أشرت على ابوي بشورا طاعني ... ومن يامن الانثى يروح عدام
لبست من الصندوق ثوبا مذهبا ... وارخيت من فوقه رفيع كام
وفي وسط قصري يا امير وضعتهم ... وابو زيد قد راح يجيب غنام
وقلت لهم لا تحملوا هم والبي ... عليكم مني الف الف زمام
وجبت لهم من كل شيء يشتهونه ... من اللبس والشاشات والهندام
اذا ف مرعى بالشاش من فوق راسه ... فيقطع حيلي ما أطيق قتام
أشوف وجهه كالهلالي اذا بدا ... وجبهته تضوى كبدر تمام
مضي ما مضى والا ابو زيد عائدا ... ومعه جموع مثل فيض غمام
وعددهم تسعين الف ومثلها ... وتسعين في تسعين الف همام
زرعوا ارض تونس والبساتين كلها ... وابنوا بيوتا عالية وخيام
قتلتم ابوي ثم أخذت بلادنا ... قتله الفتى الزغبي ابو غنام
تملكتم تونس وقابس وارضنا ... ولا تحفظوا لي يا كرام مقام
وما نلت من مرعى مناي وبغيتي ... نسبني ولم يرعى الى زمام
أيا ليت من كان السبب بفراقنا ... يموت وفوق الارض دمه عام
لقد احرموني لذة العيش والهنا ... وشمل تفرق ما بقى يلتام
فلا تلمون الصغيرة اذا بكت ... ابكي على أهلي وكل عمام
زرعت جميلا قابلوني بضده ... وكيف الذي زرع الجميل يضام
أيا بوعلي قد كان مني نجاحكم ... وملكتكم عشرين تخت عام
فما عاد غير الموت يا امير ابو علي ... ذهبت عن الدنيا بغير مرام
ايا بوعلي هات لي مرعى اشوفه ... واودعه قبل ان أذوق حمام
ايا ليتني ابقى لمرعى خديمة ... واكبس لرجليه بوقت منام
ايا أمير جازى لدياب بفعله ... ولا تتركه يرتاح يا صمصام
فاذبح لاولاده عن صحن صدره ... ومن بعدها يعمى بذوى سقام

ايارب جازى من تسبب موتى وانا بعز عمرى ما بلغت مرام
تقول الصغيرة بنت سلطان تونس عليكم مني الف الف سلام

قال الراوي فلما فرغت سعدا من كلامها حتى شهقت شهقة واحدة وماتت فقاموا عليها الصياح والبكاء والنواح ثم غسلوها ودفنوها وصار حسن فى قلبه من دياب نار الالتهاب واما دياب فانه طغى فى الحكم وبغا وصار يظلم في الناس لانه صار ملك في آخر عمره وكان يبغض أهل الغرب وهم كلهم يبغضوه وما عرف كيف ينصرف بالملك فافسد أهل الغرب عليه بنى زغبى وصاروا يوشون لهم حتى صاروا أكثرهم يبغضوه ولكن ما أحد منهم قدر ان يحكى كلمة لانهم كانوا يخافوا من بأسه وسطوته ودامت الاحقاد بين دياب وحسن وابو زيد ولكن في الظاهر كانوا يظهروا المحبة والمودة ويخفوا ما في قلوبهم . هذا ما كان من الامير دياب و بنى هلال واسمع ما جرى الى زعيمة ست الغرب اخت الزناتى فانها لما علمت بانه وقعت البغضة فى بنى هلال قصدت ان ترمي الفتنة بين الامير دياب والامير حسن وفي الحال جمعت عشيرتها واخوالها وقالت لهم ياقوم لقد فقدنا اخى الزناتى والسلام والحمايلى بن معقرب و فتحوا بنى هلال الفتوحات وملكوا سبعة نخوت بلاد الغرب وما خلوا لنا ملجاء نسكن فيه وقد حزنى موت سعدا ابنة أخى وكسرت ظهرى وكان كل املى فيها ان تعزينا وتكون ملجانا فالان مرادي ان اتوجه الى بنى هلال وارمى فيهم الفتن بالحال والقيهم فى الشر والنكال واشارت اليهم تقول

قالت زعيمة الحميرية التى شكت ولى قلب من جور التفاريق دايب
جرت دمعتى من مقلتي فوق وجنتي ومما جرى لى اصبح الشعر شايب
على فقد اخوانى وكل عشيرتى ماتوا وسكنوا فى لحود التراب
الا ياعباد الله مما اصابهم سهم المنيا والبين جاهم موارب
اياريت نجم البدو وماجاء لبلادنا ونزلوا على تونس نصبوا المضارب
مالوا على البلدان من كل ناحية بساتينها وكرومها والغصايب
قتلوا اخويا الزناتي خليفة سلطان حاكم فى بلاد المغارب
قتلوا ابو موسي دياب بن غانم وادعاه ملقى في لحود التراب
ولا بد ارمى فى دريد العداوة وارياح معزحلان يبقوا غرايب

وارجع الى أهلى ويرتاح خاطرى ﴿ واقتل دياب من بين تلك المواكب

قال الراوى فلما فرغت زعيمة ست الغرب من كلامها قال لها أخوا العلام ياستنا زعيمة نخاف عليك من ابو زيد لانه حيال مكار ومكره غلب مكر المغاربة فقالت لا تخافى على من هذا القبيل وانشدت تقول

تقول فتاة الحيمر يه التي شكت ﴿ بدمع جرى فوق الخدود سكيب

رمتنا الليالى بالتجافى و بالنيا ... وصرنا حيارى دون كل طبيب

أخوي الزناتى ذاك مات وانقضى ... وولى الفتى العلام بوقت قريب

أنا لوعة البين انا حية البلا ... انا من لدغته لم يعد له طبيب

أنا بدعت المكر والسحر والحيل ... اسانى على رد الجواب لبيب

انا الحية الرقطا لها سم ناقع ﴿ وسمى باكباد العدو يديب

سارحل لنجع هلال وفرق شملهم ﴿ وادعيهم فى البر أكل الذيب

اذا لم أفرق شملهم بعد لمهم ... لا يرحم الله للعجوز مشيب

قال الراوى فلما فرغت ست الغرب من كلامها شدت وحملت وودعت قومها وسارت الى عند بنى هلال بصفة شاعرة لكى ترمى الفتنة بينهم فما زالت سائرة الى ان وصلت الى تونس الخضرا فدخلت على الامير دياب خبت يديه وسلمت عليه وقالت له جئت لاخذ عطاك وانقل ثناك واشارت بخبره وتقول

تقول فتاة قد لمت بحيكم ... الا ياصباح الخير دوم الصبايح

ايا امير ياجحجاح يا كاسب الثنا ... وخيرك على الورادطامى وطافح

يا امير قصدى اليوم اسكن بحيكم ... اشاهد لكم وقت المساوالصبايح

وكل العرب يا امير تاتى لحيكم ... لان حماكم هو وسيع الفسايح

ولما قضي ربى بمحل بلادنا ... وماتت مواشي الارض من كل سارح

اتيت لكم قصدى اعيش بظلكم ... وانثى عليكم بالمساوالصبايح

مقالات فتاة الحى نازله حيكم ... قتلها الغلا والجوع يا اهل السماح

فلما فرغت ست الغرب من كلامها والامير دياب يسمع نظامها فاشار الامير دياب يترحب بها و يقول

يقول الفتى الزغبى دياب بن غانم ... خذى العول منى يا عجوز بالنصايح

انا حامى الابطال فى ساحة الوغا اكيد اعادينا بضرب الصفايح
انا شيخ زغبى مع رياح وغيرها وياما قتلنا من فوارس جحاجح
ردبت ابو سعدا الزناتى خليفة وخليت عياله في ديارة نوايح
ملكنا بلاد الغرب بعد خليفة بضرب لردينى والسيوف الصفايح
سبعة وسبعين من المداين ملكنها وفيها هلال تحكم امارة رجايح
ايا مرحبا بك عندنا يامضيفة لكى عندنا الاكرام مسامع صبايح
عبيدك هم اسيادى عبيدى جميعهم وماخاب من جاز حينا والمطارح
لكي عندنا الاكرام يامضيفة واكسيكى خاص الحرير الوشايح
ارى الجود يظهر ذكرنا فى قبورنا ومن لا يجود بالمال ماله مادح

قال الراوى فلما فرغ الامير دياب من كلامه وسمعت العرب اخت الزناتي تسمع نظامه قالت له ياامير دياب قد مرتنى سلامتك وفرحت بقتلة الزناتي لانه اكبر اعدائي وقتل اهلى ويتم اولادى واخذ مالى ونوالى وعدت حزينة غريبة فى اقصي البلا فلما دريت انه مات ركبت ناقتى وقصدت منازلكم العامرة فانا عندى فى هذه الارض والبلاد عين تسمى عين سلوان وغيظ البهرجان وانا خاطرى اقسم لك هذه البلاد ويكون لك الغيظ من قسمتك فانه يكون لتمام حظك وجعلت توصف الى الامير دياب عن سلوان وغيظ البهرجان واشارت بهذا القصيد تقول وعمر السامعين يطول

تقول عجوز الشوم من آل عامر بدمع جرى فوق الخدود وساح
الا يادياب كثر الله خيرك ياشيخ زغبى كلها ورياح
قتلت ابو سعدا فكان عدونا وابدلت احزانى بكثر فراح
ان شئت اوصف عين سلوان يافتى ففيها جنينه تنعش الارواح
وفيها غصون الزهر يا ابن غانم احمر واصفر لونه وضاح
والجوز واللوز فيها والعنب والخوخ والرمان والتفاح
وفيها عنب من الدوالى معكب ومشمشها قد هزته الارياح
وفيها من الاطيار اشياء كثيرة وفيها الكنار والبلبل الصياح
وفيها من الاعشاب يا ابن غانم وغدرانها تنعش الى الارواح

وبركانها بارع مزاريب من ذهب ... وياقوت وزمرد لونهم وضاح
باربعة عشر سبع من ذهب ... والماء ملء انوارهم سياح
صنعة ملوك الغرب يا بن غانم ... وصاحبها قد ترك الجميع وراح

قال الراوى فلما فرغت زعيمة من هذه الابيات فرح الامير دياب فرحا شديدا وقال لها يكون هذا الغيظ في اى بلاد فقالت له غدا صباحا نتوجه واريك اياه وبقوا يتحادثان عن الغيظ الى ان اصبح الصباح فركب الامير دياب فى جماعته والعجوز وجدوا بقطع القفار الى ان وصلوا الى ذلك الغيظ فانبسط الامير دياب وانشرح لما نظر تلك الغدران التى تدهش البصر وتلك القصور العامرة والاشجار الفاخرة والامير دياب في غيظ البهرجان وعين سلوان يجنى الاثمار ويقطف الازهار واما العجوز قالت الى الامير دياب ارجوك ان تسمح لى ان اذهب الي عند اولادى واخذ لهم حمل من الفواكه فقال لها افعلى ما بدا لكى ولكن لا تطولى علينا غيابك يا اماه فحينئذ اخذت ست الغرب من افخر اثمار الغيظ وذهبت الى عند الامير حسن والاميرا بوزيد وجدت فى المسير وسابقت الطير الذي يطير حتى وصلت اليهم فسلمت عليهم وقبلت ايديهم وقدمت لهم الهدية واشارت ترمى وتصف لهم الغيظ والبهرجان وعين سلوان بهذا القصيد وتقول

تقول عجوز الشوم من آل فارس ... بدمع جرى فوق الخدود وساح
الا ياصباح الخير يا امير ابو على ... ياعزنا يا فارس جحجاح
الا ياصباح الخير يا اميرا بوزيد ... ياحامي الرينات بحرب كفاح
يا بو على الزغبي دياب بن غانم ... اليوم في عز وفى افراح
اعطاه الله العرش عز وهيبة ... وهو صاحب القندبلى والمصباح
وانت سلطان لا تعرف ايش جرى ... دياب تملك يا حسن ورتاح
عنده جنينة يا ابوزيد لو رايتها ... روضة زهية تنعش الارواح
فيها العنب والجوز يا ابوعلى ... ورمانها وفيها كذا تفاح
وفيها كمثرى ونارج فالح ... وفيها ترنج اصفر وضاح
وفيها برقوق ونبق وبندق ... واللوز والتين له سواح
والمشمش الزاهى طلع من غصونه ... وفيها من العناب والتفاح

والفوز والقصب العراقى رايته والقسطل الرومى بعصره فاح
وفيها سوسان ونعمان زايد وفيها من المشموم والافاح
والفاغيات وبعثران وسنبل والياسمين ابيض له ارواح
وفيها الخزامي والبنفسج يشوقنى شذاها برح تنعش الارواح
وفيها غصون الند والشيخ نافع لها عند هبات النسيم رياح
وفوق الشجر اطيار لله ذاكره تسبح الها واحدا فتاح
وفيها هزارات وفيها جوارج وفيها نسورا تنسر الارواح
وفيها الحضارى ثم عصفور بعده وفيها ابو نيلوح وابو صحصاح
وفيها بلح وفيها شميطه وفيها بواشق تشق الارواح
وتحت الشجر طاووس صنعة مهيمن والبيض لهاله هلعة بهزجناح
ومن شافها يسمع حنين طيورها اذا بان من شرقها وصاح
اذا هبت السما باعلى غصونها يفوح شذاها ينعش الارواح
تجى الف فدان اشاها خليفة وسيجها قبل الممات وراح
وكانت مخبية عن الناس كلها أصبحت لكل الناظرين مباح
وفيها من اجلك يا ملك مية رتبة وماتين كرسى مذهبات ملاح
مطعمة بالعاج فيها معادن ولولو وجوهر والحرير وشاح
وفيها جواهر متمنة لو رايتها جددت لك بعد الجلوس رواح
وفيها طواويس ذهب صنعة اندلس والماء من افواههم سواح
وفيها من التفاح والعرق مائس واما القرنفل للشفاري راح
وشحرور مع حسون فوق غصونها وفاحت حدا قمرى بصوته ناح
وفيها قصور للزناتى خليفه عليها ياحسن قد راحت الارواح
غداشوفها انت وابو زيد باكرا واجلس فيها ياحسن وارتاح
وانظر بما فعل الزناتي خليفه وصاحبها خلى الجمع وراح

قال الراوى فلما فرغت العجوز من كلامها والامير حسن والامير ابو زيد يسمعوا نظامها وقع الحسد فى قلوبهم من الامير دياب ثم انعموا على العجوز واصرفوها فى حال سبيلها وقال الامير حسن والله يا امير ابو زيد ان الامير دياب

حاز اخر ملك الغرب ومرادنا نركب فى الابطال ونقصده فى عاجل الحال وننظر
هذا الريض وصار حسن يخابر امراء الغرب على الفتك فى دياب وفى ثاني الايام
جمعوا الفرسان والابطال وركب هو والامير ابوزيد وما زالوا سائرين الى ان
وصلوا الى عند الامير دياب ودخلوا غيظ البهرجان وعين سلوان ولما نظر الامير حسن
وابوزيد هذ المنظر وعلو القصر وجميع ماذكرت عنه العجوز تعجبوا غاية العجب
ولما علم الامير دياب بحضورهم لاقاهم وقال له الامير ابوزيد يا امير دياب نحن
ماسكين البقرة من ذنبها وانت تحلبها فقال الامير دياب اذا الله اعطى من يمنع
واذا منهم من يعطى فقال الامير ابوزيد فان شئت يا امير دياب تعطي هذا الغيظ
الى الامير حسن فما قبل الامير دياب بذلك فانغبن الامير ابوزيد من دياب
وساق الجمال اهجم على البعض فهدموا الاسوار وردموا الابار وكسروا الاشجار
ولما نظر الامير دياب هذه الفعال غضب فى الحال وجمع بنى زغبى وفى نصف
الليل احضر ثلاثمائة نعاب ودهنهم بالزفت والكبريت وشعلهم من أذانهم واطلقهم
بين زرع بنى هلال وكان أيام الحصاد فاشتعل الزرع ولعب فى بعضه البعض فوصل
الخبر الى الامير حسن فخرج هو وقومه ليطفوا الحريق ولكن كان احترق اكثره
وما بقى الا القليل فغضب الامير حسن وعرف ان هذا الفعل فعل الامير دياب
فجمع قومه وراح يستشيرهم على حرب الامير دياب فقالوا الجميع الارفق ان
نرسل وراه فان اطاع السلطان يحرم قتاله وان ابى نركب جميعنا اليه وفى عاجل
الحال ارسل نجاب لكى يستدعى الامير دياب فلما وصل النجاب اليه فابى
ولم يحضر وأشار يكتب الى الامير حسن ويقول

يقول ابو مومى دياب بن غانم ... صحيح كلامك يا امير صواب
لكنك قلت حظي وقيمتى ... واصبحت فى قلة وقول وراب
ثارى فكرك ضاع يا امير ابو على ... وعقلك ورأيك ما يكون صواب
تبعت لى راعى الجمال يجيبنى ... كان عقلك من دماغك غاب
تملى بالملك والارض كلها ... ولبس القطاني نوقها سنجاب
وخربت أرض البهرجان ياحسن ... وعقلك خرق ماعاد فيه صواب
اذ لم تجى الفين والفين مثلها ... مشاة وركابه مع الركاب

ماجيت لك ولو كنت من ماتكن لا والله مالك الا وطاب

قال الراوى فلما فرغ الامير دياب من الكتاب اعطاه الى النجاب وقال له خذ هذا الكتاب واعطيه الى الامير حسن بن سرحان فاخذه وسار الى ان وصل الى الامير حسن فقرأه على روس الامارة والشباب فقالوا له الجميع افعل ماتريد فعند ذلك اشار الامير حسن بهجمهم على حرب الامير دياب وقتله و يقول

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على ولى قلب من جور الزمان ملان
فى قولكم ياقوم فى ولد غانم دعانا بلا قدر كما النسوان
قتل الى سعدا وخان عهودنا فلا خير فى للصحاب خوان
فقول ما الرأى يا ابو مخيبر وما العمل ياقاضى العربان
كم مره نحنا غفرنا ذنوبه الكيل ياقوم قد بقى ملان
دياب خايب يا امارة بفعله عدوانه قد صار ظاهر للميان
فقوموا دقوا طبولكم حربونا ناخذ لنا ثارات بسنان
ماقال الفتى حسن الهلالى ابو على وقلبى غدا مهموم من فعل الزمان

قال الراوى فلما فرغ الامير حسن من كلامه و بقية الامارة يسمعون نظامه قالوا كلهم الحق معك دياب غدار وما عالج الغدار الا ضرب البتار كل هذا وابو زيد ساكت فقال له الامير حسن لماذا يا بوزيد انت ساكت فقال انا لا ارى من الموافق ان نقاتلوا الامير دياب لانه منا وفينا ولا احب ان نفنى بعضنا ونحن كل عمرنا عايشين سواودائما انا وهو نتعاون على الخير والشر فاذا حاربته فاما ان اقتله وما ان يقتلنى ومن قتل منا تخسره بنى هلال وانا الرأي عندى أن نصلح بينكم و يذهب كل شيء الى حاله فقال حسن انا لا ابد عن قتاله لانه ما كفاه خرج عن طاعتى ووضع رجله فوق باب تونس ليمرقنا من تحته لانه استخف بناجدا وقتل سعدا خطيبة ابنى اماني وهي صارت من حريمنا وقد طمع فينا واراد ان ياخذها فقالوا ابو زيد أنا اروح معكم ولكن لا اقاتل بل أصالح بينهم انهم جموا قومهم وذهبوا الى قتل الامير دياب فلما وصلوا اليه وعلم بهم خرج بقومه لقتالهم فلما التقوا الجيشين برز حسن الى الميدان فبرز اليه دياب فالتقى البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنى فوق روسهم غراب البين وثار الغبار وسد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل

نار وكات منهم الزنود و زهقت منهم الكبود واطلقو الاعنة وقومو الاسنة وعدت تسمع لهم ضربات مثل مطرقات الحدادين مقدار ساعة من الزمان طلعت من الاثنين ضربتين قاطعتين كان السابق بالضربة الامير دياب وقعت ضربته على ترس الامير حسن نزلت على جواده فبرتها كما يبرى الكاتب القلم فوقع الامير حسن الى الارض وانحطم وصار وجوده كالعدم فادركه الامير ابوزيد وخلصه وأما مرعى فانه لما نظر الى ابيه قد وقع الى الارض اراد ان يهجم على الامير دياب فزجه الامير دياب بالحربة اجت على لبة فخذه فارماه الى الارض ثم ان الامير دياب بعد ذلك ألوى عنان جواده ورجع قاصد بلاده وما احد تبعه ثم اجتمع بقومه وقال لهم عرفتم ما قد صار بيننا وبين حسن فما الرأى عندكم قالوا الراي عندنا ان ترحل وتغيب لك مدة من الزمان الى ان تصلح الاحوال وبروق البال لانك تعديت على الامير حسن وعلى ابنه مرعى وربما حشد له الامير ابوزيد فتوقع الحروب والاهوال ونفنى بعضنا وتشمت الاعادي فينا فقال لهم دياب اني لا ارحل من هذه البلاد ما لم اقتل حسن ومهما قدره الله يصير فهذا ما كان منه واما ما كان من الامير حسن فانه قام من وقعته وجد ابنه مجروح فحمله مع قومه واخذوه الى القيروان وصار ابوزيد يلوم الامير حسن و يقول له انت تعديت على الامير وكان مرادك ان تقتله وهذا اخونا ومن الموافق ان تصفحوا اقولى وترفعوا الحقد من بينكم ثم ان ابوزيد اصلح بين الامير حسن والامير دياب ولكن بقيت البغضة كامنة في قلوبهم الى يوم من الايام جمع الامير حسن قومه وسادات عشيرته وقال لهم ان مرادى أزف ابنى مرعي وكان شفى من جرحه على عطر الجيب بنت الامير ابوزيد فنادوا على جميع العربان ان مدة العرس شهر تمام لا احد يا كل ولا يشرب الا عند الامير حسن فذبح حسن الذبائح وعمل الولائم ثم استدعى بعشرين فارس من اولاد عمه وقال لهم ان مرادى ارسلكم الى تونس لكي تعزموا لنا الامير دياب ثم استدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخالص وأشار يعزم الامير دياب و يقول له

يقول الفتي حسن الهلالي ابوعلي الا يا دياب الخيل يا نطاح
ايا دياب الخيل شرف محلنا شرف محلك واحضر الافراح

واحضر زفاف مرعى فيسر خاطرك ... ربى يديمك فى هنا وافراح
اذا ماحضرت العرس ياولد غانم ... اختك يجيها الهم والا كلاح
واحضر الذى تريده يا امير ... مع اخوتك لكى تكمل الافراح

قال الراوى فلما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وسلمه الى امير من اولاد عمه وقال لهم لا ترجعوا الا والامير دياب معكم فاخذوا المكتوب وساروا يقطعو الروابى والهضاب قاصدين الامير دياب واما ما كان من الامير دياب فانه بتلك المدة حلم حلما هائلا فاستدعى بابن عمه الامير مسلم فلما حضر بين يديه سأله ما الخبر فاشار يعلمه بهذا القصيد

يقول ابو موسى دياب بن غانم ... الايام ماتبدى بيوم سعيد
رايت منامًا يا امير مسلم ... نكد علينا غايه التنكيد
ورأيت خلخالا على الساق فضه ... يدور على الرجلين بالتوكيد
ورأيت جماعة من رجالى عدمتهم ... وما شفتهم بالعين ياصنديد
ورايت انى فى وسط قاعة مربعة ... وحصنحا ابوابها بحديد
فسر منامى ياامير مسلم ... واشرح منامى ياامير وفيد

قال الراوى فلما فرغ الامير دياب من هذا الكلام وابن عمه مسلم يسمعه على التمام فاشار يخبره و يقول

يقول الفتى المسمى الامير مسلم ... وكون انى ولى فاهم التحديد
ان طمتنى اترك هلال وعامر ... فتعالا عليهم ياامير وتسيد
فالطوق هذا الذى يدور بعنقك ... فذاك جنزير ياديباب حديد
واما الاساور بين الزنود المزنده ... يدور على يديك بالتوكيد
والخلخال الذى يدور برجلك ... هذا قيد ياديباب حديد
وأما الرجال الذى تقولها رأيتهم ... أمارة يصيروا فى تراب لحيد
والقاعة حبس الزناتى خليفة ... تقاسى بها أيام بالتعديد

قال الراوى فلما فرغ الامير مسلم من هذا الكلام فاجاب زيان الى عمه الامير دياب وقال لا تفتكر ياعم لان هذه أضغاث احلام ماهو الا من ثقل الطعام و بعد مدة من الزمان اقبلوا عليه عشرون امير من عند الامير حسن فدخلوا عند الامير

دياب وسلموا عليه وبلغوه عزيمة الامير حسن واعطوه الكتاب فلما قرأه وعرف رموزه ومعناه انسر وانشرح وسالهم عن صحة الامير حسن والامير ابوزيد وعن أخته نافلة وعن بقية نجع بني هلال فقالوا الجميع بخير يهدوك السلام والتحية والاكرام وكان الامير دياب سمع بهذا الخبر فما ظن بسوء فقال لهم اتنى بعد ثلاثة أيام أكون عندك فسلموا على الامير حسن واهدوه منى جزيل السلام ولما تاكدوا مجيئه رجعوا واخبروا الامير حسن فذبح حسن الذبائح واولم الولائم واجتمعت القبائل عنده وهم فى بسط وانشراح الى ان كان اليوم الثالث نظروا الغبار من جهة تونس فارسل حسن من يكشف الخبر فرجعوا واخبروه ان هذا الامير دياب ومعه الف فارس من بني زغبي الانجاب فخرج الامير حسن للتلقاهم. ولما وقعت العين على العين سلموا على بعضهم البعض وكان الامير دياب شيخ جليل لابس جبة من الحرير والاخضر وشال على كتفه برنس احمر وعلى رأسه عمامة من البرفيل والارجوان ثم دخلوا على سيوان الامير حسن فترحب بهم غاية الترحيب وجلس دياب على كرسى من العاج كانه الذهب الوهاج رقومه من حواليه ثم امر الامير حسن باحضار القهوة وكاسات الشراب واحضر مائدة من الطعام مصحوبة بالف فارس ضرغام فلما جلسوا على المائدة وجدوا المناسف مغطاة فرفع الامير دياب الغطاء عن المنسف وجده فارغ من الطعام وفيه قيودا من الحديد فقال الامير ما هذا ياحسن فقال له الواجب ان تتقيدوا الى السلطان بالاطاعة ولو انه ساعة نعندها وضع الامير دياب القيد برجله وفعلت باقي الامارة كفعله وبينما هم كذلك والا اندفقت فرسان دريد لداخل المكان بيدهم الخناجر والسيوف ومن جرى ذلك صار دياب كالملهوف فعندها امر الامير حسن بنصب المشانق والحبال وقال اشنق جميع هؤلاء الرجال والتفت الى الامير دياب واشار يقول

الا ماقال من نظمه الدريدى ... يا امير دياب انست الديارا
دياب الخيل انست المنازل ... وظهر النور بعد الاعتكار
رماكم جهلكم وانتم طغيتم ... وفى اشراكنا عدتم حيارى
دياب مناع تحسبنى نسيته ... وقطعت الطرق للناس والتجارا
ابو فردوس على المشانق ... واشنق الرجال مع الامارا

وانا ان مشت لاشتق آل زغبي واقطع الكبارا مع الصغارا

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه والامارا تسمم نظامه فذبحوا ستين اميرا على ركبة الامير غانم ورباب والبقية أمر بشنقهم أما الامير غانم وولده رباب كادت تنفطر مرارتهم من كثرة الحزن ولكن ماطلع بيدهم شيء بحيث أنهم ماسورين وخالين من السلاح فتقدم السباق اميرا من بني زغبي وكان المقدم عليهم زيان ابن الامير زيدان وتقدم الى الامير يترجاه ويقول

يقول الفتى زيان والنار في الحشا ونيران قلبي زايدات اللهايب
الايام والدنيا كفا الله شرها وتاخذ مالها من مطالب
فلا تامن لها من نعالها تجي لك عجوز شمطاء شعرشايب
وكم خزلت امير من بعد عزه واصبح أنيس القبر تحت الترايب
اسكندر ذو القرنين اين ياحسن وقارون مع هامان راحوا ذهايب
ولوا ونحن بعدهم لاحقينهم ولا يبقى مخلوق يابن الاطايب
ولو دامت الدنيا ودام نعيمها لكان رسول الله في الملك راكب
وملوك نجد الهيدبي وغيره ذهب واخوه الجيشمي في الترائب
وكامل ونوفل والدها مفرج وحنظل ومفرج في العنا والتعائب
قتلهم ابو موسى دياب بن غانم واخذ لكم ملكهم والمراتب
وما تفتكر في مصر لما تزاحمت يوم تقى تشابهاك المرايب
رأيناك ياحسن الهلالي نهارها يا ابو علي على كل عائب
نسيتم جمايلنا يا امير ابو علي فعادوا حزانا ما لهم من يطالب
ستين من زغبي يا امير قتلتهم ولا تعلم على الباغي تدور النوائب
اتوصى باولادنا يا امير ابو علي فعادوا حزانا ما لهم من يطالب
فتقدمت الى زيان امه تقول له يا ولدي والقلب فيه لهايب
فلا تبكي أسفا على ما اصابك فذا الدهر غدراته تحاكي السحايب
تصبر لحكم الله والصبر نافع ومن يصبر للحكم نال المكاسب
بكت ام زيان الامير وعددت حزنت لها العربان من كل جانب
وقالت ايا زيان ياذل امك حزينة من بعدك لها شعر شايب

غريبة كئيبة غير الدهر حالتى ولالى بعدك حاجة من العرايب
ايا ولدى لا اوحش الله منك ايامن عليك القلب مقطوع ذايب
يالله بالله اهلال ابو على تشفق على الحرمة من ذى التعائب

قال الراوى فلما فرغت ام زيان من كلامها فعندها صرخ الامير حسن اشنق فعندها شنق الامير ابو الفردوس فقاموا عليهم نسائهم الصياح والبكاء والنواح حتى ارتجت من صرخهم تلك الزوايا والبطاح وبينما هم فى تلك الاحوال دخل القاضي سرور الى الديوان فاول ماراته اخته بزلا فسلمت عليه واشارت تقول وعمر السامعين يطول

تقول بزلا عند ماشطها النيسا يا امير عزى نم سعدى راح
بات طول الليل قاسى حزينة ودمعى يجرى مثل سيل ساح
فاول حزنى فقد بدر بن غانم غدره خليفة الفارس الحجاج
و يامافعل فيكم الزنانى خليفة وعانه عليه الواحد الفتاح
طعنه دياب فى وسط عينه وعاد فيكم بعد التعب مرتاح
وملككم عين الخطيرة وتونس وقابس ومقراره وكل بطاح
اسرت امارتكم وفرحت جيادكم وقد زاد فيكم الانس والافراح
وكله بسعد الامير ابن غانم قيدوم زغبى كلها ورياح
وهؤلا اولادى معلقين على بكر وحيل القضا تلعب به الارياح
شنق الفتى زيان وهدار يا بطل تشفع لنا بنزولهم ياصاح
تاويهم يالمحمود يا بن فايد واجرك على رب كريم فتاح

فلما سمع سرور كلام عمته اغتاظ ودخل لعند الامير حسن واستاذنه بتنزيل القتلا عن المشانق فامر الامير حسن بتنزيل المشنوقين فانزلوهم واخذوهم فى رغبى وواروهم التراب وبعد ذلك صاح حسن على ابو الفردوس اشنق دياب فقال له القاضى الشفاعة فى دياب فقال الامير حسن مافى شفاعة ياقوم لانه حرق الزرع وقتل سعدا وعصى وقطع الطرقات ومشى في امور ماحد مشاها واشار يقول

يقول بن سرحان الدريدى ابوعلى وجرح النيا نغص علينا مخاطر
اكم اسامح لك يادياب بن غانم وانت علينا موحش العقل ظافر

جذا الامر جاريتك وانا قاهر العدا ... شنقت اخوتك بعينك ناظر
الا ياسرور اصغى لقولى وقصتي ... تحتار فيها كاتبين الدفاتر
انا لى ثلاث دعوات وثلاث مثلها ... حل الوفا وانا على الحق صابر
اول دعوة خان اخوى بن والدي ... قتله وسكنه لحود المقابر
ساعناه وصبرنا وصفيت قلوبنا ... على ماجرى فينا ونحن نكابر
وثانى دعوة بارض نجد دهيتنا ... بحرق الحديقه صرت خوان فاجر
حرقت جميع اشجارها بعد ظلها ... واهلكت طيرا كان الله ذاكر
وثالث دعوة اردیت المناع بالقنا ... مناع مناع العدا بالبواتر
ومن قتل مناغ ماارتاح خاطرى ... لانه ربيع الليل والضيف عاكر
وجبت لنا شكر الشريف بعزوته ... راكبين من فوق خيل ضوامر
قبلنا سياقك يادياب بن غانم ... ولاخير فى الاجواد اذلم تكابر
ورابع دعوة نصبت ومحك بلاخفا ... على قصر ابو سعدا تنهى وتامر
وخامس دعوة هنت سعدا خطيبتي ... برايك اياجنون هنت الاكابر
وقتلتها من بعد عز على إنني ... من اجلها اصبح القلب فاطر
وسادس دعوة قد تعديت يافتى ... وعليك شهود من هلال وعامر
اياقاضي العربان احكم واقول لى ... بحكم الشريعة لاتكون قط جائر

(قال الراوى) فلما فرغ الاميرحسن من كلامه قال القاضى لدياب انت قتلت اخوته وحرقت الزرع وقتلت سعدا ابنة الزناتي خليفه ونصبت الرمح فقال له دياب نعم قال القاضى الله يلقيك يادياب انا ماقلت لك لاتغير على احد فقال دياب انا لى ثمان دعوات واشار يقول

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ... ولى عزم امضي من حسام البواتر
امراء نجد ذليتهم بعد عزهم ... وادعيتهم تحت الاراضي دوامر
وكان يجى لك هلال كتابهم ... تحت الجزيل وانت مغلوب صابر
بيدى قتلت الهيدبى بن زايد ... وللان عليهم باغيا نم ظافر
دعوانك ستة انا لى ثمانية ... شرحت منها واحدة من الضماير
ثاني دعوة قتلت العقيلى حنظل ... ووليت منه باحسن وانت حايز

وفي حلب الشهباء نصبتم خيامكم ... وجاكم خزاعي فوق عربيد ضامر
واردى ابو زيد بن رزق سلامه ... وخلصته والسوق مسود عاكر
وها ثالث الدعوات يا ميرا بو علي ... والله عالم بجميع السرايز
ويوم مصر حميت قيس جميعهم ... وتشهد بها سايز هلال وعامر
في يوم قتل خمسة وخمسين فارس ... وافنى فوارسكم بضرب الشواكر
ورابع دعوة ياامير ابو علي ... قتلت الفتى فرمند والحق ظاهر
وخامس دعوة ياامير ابو علي ... سلمتوني البوش برسم الدفاتر
اتى ابو خريبة معتدي يابو علي ... فارديته لما اتى على البوش غابر
واكلوه سباع البر يابو علي ... ومن مالكم ماغاب ولا فرد فاطر
وسادس دعوة ذلكم مع خليفه ... وانتم معه كالغنم في الحاور
ركبت وجيته فوق خضر امبرشمة ... وجاني على اشهب اقب الحوافر
ضربته بحربة سلم الله مقاتل ... ومن حربتي قدصار اعمى للنواظر
وسابع دعوة تالت حظي وقيمتي ... وغارت على مالي دريد وعامر
وثامن دعوة يابن سرحان هنتي ... اخذتم غيظي كان نامي وزاهر
فهذا مقدر ياامير ابو علي ... ومن لايموت اليوم يموت باكر

فلما فرغ الامير من كلامه والاماره يسمعوا نظامه فقالوا الى القاضي بماذا اصدر الحكم على دياب فقال ان الشريعة تحكم على دياب بحبس سنة كاملة فلما سمع حسن ذلك الكلام استدعي بزحزاح السجان وقال له خذ دياب الى السجن واشار بقوله

يقول الفتى حسن الدريدي ابوعلي ... ولي عزم امضى من سنان رماح
تسلم ياسجان منى بن غانم ... وتقل قيوده في مسا وصباح
وسير به للسجن بالف فارس ... من كل ليث فارس جحجاح
ومن جاءكم يطلق دياب بن غانم ... بطعن العوالي اوثقوه جراح
ومن كان عنيد من هلال وعامر ... قطعت اخلاعه بحد صفاح
واجعله في السجن يبقى مثاله ... انا شيخ عامر ماعلى جناح
ان عانني ربي وقتلت بن غانم ... لافني اكابرهم بضرب صفاح

(قال الراوي) فلما فرغ الامير حسن من هذه الابيات سار الزحزاح بدياب

الى السجن ووضع قيود الحديد فى رجليه وعنقه (قال الراوى) ولما وصل الخبر الى الامير ابو زيد الى من الاندلس الى عند الامير حسن فسلم وترحب به غاية الترحيب ثم ساله الامير ابو زيد ما فعل فاخبره فاغتاظ منه واشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ... نيران قلبى زايدات ضرام
يابو على اسمع كلامى وافتهم ... واصغى الى قولى وكن فهام
عملت فى قومك عمايل شنيعه ... ماكان لازم هذه الفعال تعام
طغيت فى حكمك ياامير ابو على ... الظلم يدعى للقصور هدام
الله تعالى اوصى بالعدل ياحسن ... يوما به قد تظهر الاثام
و ينصب الميزان عن كل فعله ... ملهجا يجازى بالمليح قوام
ومن كان فعله فى القبيح فانه ... يجازى بنار زايدات ضرام
ماكان واجب شنق الذين شنقتهم ... هؤلاء قرايبا بنى الاعمام
اخطى دياب الخيل قاصصت غيره ... فهذه فعال ياامير حرام
صار الذى قد صار مافيه فائده ... وامر الهى نافذ احكام
قيموا عزام ياامارا جميعهم ... فهم مثلكم فى رفعة ومقام
ولا تنسوا فعايلهم وطيب جميلهم ... ومن يذكر المعروف ليس يضام
ماقال ابو زيد الهلالى سلامه ... حرام على عينى المنام حرام

(قال الراوي) فلما فرغ الامير ابو زيد من كلامه فقال له الامير حسن ماعملت مع دياب الا ما استحقه فان كنت قتلت اولاد عمه واخوته هو قتل اخى وخطيبة ابنى وجرح ولدي مرعى وقد جرح قلبى عليهما فقاتلته بمثل ماقاتلنى جرحت قلبه عليهم ثم ان الامير حسن بعث الف فارس الى تونس وامرهم ان يحضروا له خزانة تونس سلاح الامير دياب واثاث بيته وكل ما فى قصر الزناتى يحضروه فالا ذهبوا الى تونس واحضروا ما امرهم به الامير حسن واما ما كان من الامير دياب لما مضى عليه سنة من الزمان يقاسى الذل والهوان وانتكر فى ايام عزه وخطر عليه اولاد عمه وتذكر الشهبا ابنة الخضرا فاستدعى الزحزاح وقال له ائتنى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخالص فاحضر الزحزاح ما امره به دياب فاخذ الامير دياب يكتب كتابا الى والده الامير غانم يقول وعمر السامعين يطول

على اولاد عمي احرقوني بنارهم فيا حيف اعمار الجياد قصار
اتوني الى السجن يريدون مذاتي بخمسة قيود ما كنات كبار
كذبوا وذلوا ياامير بقولهم ولو كنت ماتي في حرابق نار
انا ابو موسى صنديد من حديد اذا ضربت الصوان يقدح نار
تسلم اياالزحزاح مني رسالتي الى عند زغبي سادة الافطار
وقول لهم قاله الامير بن غانم كلام وفي عنقه حديد قنطار
ياادلاد زغبي لاتوطوا نفوسكم لاتبطلوا بين الاعادي نار
ولا تبطلوا الافراح بالنجع دايم تشمت بكم الاعادي بوسط الدار
واوصيك ياغانم وصية وحوزها انا انبيك ياوالدي واكد الاخبار
واوصيك على الشهبا حقيق ركوبتي تكرمها باللحم ليل ونهار
وانصب لها خيمة تقيها من الشتا ورتب لها ما يبس من الشطار
ان عشت ما اترك لثارك على المدا وان مت ما يبقى علي ثار
عليك سلام الله ياعم والدي في كل آن على مدى الادهار

فلما فرغ الامير دياب من كلامه طواه وختمه بخاتمه واعطاه الى الزحزاح فاخذه وسار لعند غانم واعطاه الكتاب ففضه وقراه وعرف ما حواه فاستدعى بقلم وقرطاس وانشد

يقول الفتى غانم بعين وجيعه ونيران قلبي زايدت وهاج
تصبر اياغبي على الهم والبلا واياك بين القوم تكون لجاج
وان لم تصبر يادياب بن غانم يبقوا الزغابي شقا وهجاج
قدامهم يوم طويل وشدة وحرب طويل بحره عجاج

فلما فرغ الامير غانم من الشعر طوى الكتاب واعطاه الزحزاح واوصاه ان يكتم سره واعطاه خمسمائة دينار وايضا خمسمائة لولده الامير دياب فاخذ وسار الى ان وصل الى الامير دياب اعطاه الامانة والكتاب ففضه وقراه وعرف خبراه وقد اترك الامير دياب من الجميع وما عاد يفتكر فيه لاشريف ولا وضيع غير اهله والخلان وابوه غانم ليث الميدان هذا ما كان من هؤلاء واسمع ما جرى للامير ابو زيد والامير حسن فقد طابت لهم الاحكام وراء لديهم الزمان ونسيتهم صروف الحدثان

(انتهى الجزء الثاني والعشرون . ويليه الثالث والعشرون)

الجزء الثالث والعشرون من تغريبة بني هلال

وهو يتضمن على قصة عزيز القوم بن اخت الامير ابوزيد
ورجوع عليا مع ابوزيد من نجد العدية الى بلاد الغرب
وخروج دياب من السجن وقتل الامير حسن من الامير دياب

تقدم فى الجزء الاول من قصه اليتامي ان الامير حسن سجن الامير دياب وقد طابت له الاحكام وراق له الزمان

(قال الراوي) ففى ذات يوم من الايام بينما كانوا مجتمعين الامير حسن والامير ابوزيد فى الديوان ومن حولهم السادات والاعيان وامامهم الابطال والفرسان والادخل نجاب وبيده كتاب فسال عن الامير ابوزيد فاهدوه عليه فتقدم وتمثل بين يديه فساله ابوزيد من اين ياوجه العرب فقال له من نجد من عند الست علينا بنت الامير حسين الجعبرى ام شيبان وهى تهديك السلام والتحية والاكرام ومن حين فراقك هي تطابها الامراء والاعيان والسادات والفرسان والان مدورين عرسها على الامير نوفل فارس الميدان وقد قامت الافراح فى الحى من كل مكان وعليا غير راضية بهذا الشان غير ان نوفل كتب كتاب ماعادلك بعليا مارب ولاعدت ترجع من ارض المغارب فزوجها لمن تريد وعندما بلغ عليا هذا الخبر تنغص عيشها وتمرمر واخر الكلام اخرج الكتاب وباسه واعطاه الى ابوزيد ففضه وقراه ولما وقف على معناه رغرغت عيناه بالدموع فلما نظر السلطان حسن وبقية السادات ضاجو وماجوا وقالوا ماجرى عليك يا بوزيد وماهذا الكتاب فانا نصرنا باندهاك عظيم فبالله عليك تطلعنا على فحواه ولك منا ماتتمناه فحينئذ ناول الكتاب الى بن اخته عزيز القوم لانه كان بجانبه فاخذ يقرأ الكتاب عليا على روس الامراء والشباب يقول

تقول فتاة الحى عليا التي شكت ... ونيران قلبي زايدات الشمايل
وعيني تبات الليل ماتالف الكرى ... انوح كما ناحت طيور البلابل
اقول وفى قلبي من البين لوعة ... من أجل ابوزيد اللطيف الشمايل

ابو زيد عمري ما نظرت لغيره ... وحبه غدا جوا فؤادي ملايل
وحب أولادي احرق القلب والحشا ... وما عاد لي حيل يطيق المحائل
ياغاديا مني على متن ضامر ... تطوي الفيافي برها والسهائل
تهدى هداك الله خذلي رسالتي ... الي توانس الخضرا وتلك الطلائل
وأوصل سلامي للامير سلامه ... وقبل لرأسه ثم حب الانامل
واقريه مني الف الف تحية ... وسلم على أولادي ظراف الشمايل
وسلم على شيبان ابني وقل له ... سلامي وقبل وجهه والجدائل
وسلم على زايد وزيدان وأخته ... تسمى جمال الظعن أم الجمايل
ابو زيد مالك قد هجرت بلادنا ... وركنت بها رغبان بين الاصايل
ابو زيد في علمي بانك تزورني ... وترجع لعندي باظريف الشمايل
اربع سنين ما الى منك خبر ... ولا بان منك ياسلامه رسائل
ابو زيد قلبك عن هواك تغير ... وملت الى غيري رضيت البدائل
ابو زيد لا تلهيك حسنا وغيرها ... ولا بنت القاضي ولا بنت نائل
هؤلاء بنات هلال ما في مناهم ... بنات الامارا من فروعا أصايل
ابو زيد المودة شروط كثيرة ... وحفظت عهودك من زمان الاوائل
ها تذكر يوما اتيت لحينا ... واعطيتك الحيصا بلبس الكمايل
وتممت بها المربان يا أمير كلهم ... وذكر الفرس قد شاع بين القبائل
ابو زيد ما تذكر ليالي التي مضت ... ونحن بارغد عيش والعز طائل
ابو زيد جاني قول مع ميعقل ... وجاني جاره والفتى بن كامل
انو يخطبوني يا أمير منعتهم ... رديتهم عني وزدت الهوائل
ولا طابوا في عني ولا اردت قربهم ... ولا ارتضي الانذال بعد الاصايل
ابو زيد انهض يا امير بلا بطا ... واسرع الى عندي واخلي المنازل
ابو زيد جد المسير ياغاية المني ... وارحم فتاة قلبها فيك مايل
وان كان ما تاتي فاذهب بغيبتك ... واقطع عنك يا أمير الرسائل
تقول عليا من فؤاد موجع ... فارقت اولادي وناري شمايل

(قال الراوي) فلما فرغ عزبز القوم من قراءة تلك الابيات وسمعتها جميع الامراء

والسادات فقال الامير حسن والله ياأمير ابو زيد ان الحق مع عليا لانك قطعت عنها المخابرات وقد استمرت رؤية اولادها وانت ماعدت ذكرتها من اليوم الذى تخاصمت هى والجازيه ورجعت من مصر مع ابيها حسين الهبرى الى نجد ليست هذه افعال الامراء الكرام فاجابه ابو زيد هذا هو الحق والصواب ثم التفت الى العبد الذى احضر المكتوب من عند عليا واشار يترحب به يقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ... يامرحبا فى من أتانا قريب
وسريت منى القلب واللب والحشا ... واصفيت من قلبى لظى ولهيب
فكيف حال علينا التى تركتها ... دامت على عهد القديم نجيب
وهل حافظت العهد الذي مضى ... وتلك المحبة فالزمان عجيب
فعليا منى قلبى ولبى ومهجتى ... وان شافها قلب المريض يطيب
ولا بد ماأذهب اليها وجيبها ... واقتل لراغبها برأس قضيب
ومن ذا الذى يذكر لعليا بغيبتى ... ويخشى حماها ان يكون خطيب
مادام شاشتى يهب بها الهوى ... لارميه بسهم والحسام يصيب
واولادها عندى اسود كواسر ... تخضوغبار الحرب يوم صعيب
أنا أبوك ياشيبان انا قاهر العدا ... فانى بيوم الكائنات مريب
فاقعد عندى ثلاثون يومايافتى ... الى ان يروح الحج للتغريب
واعطنى منى كتاب لعليا ... سلام محب من فؤاد حبيب
وانا بعدك اغدى اليها بعزوتى ... واجيبها من فوق ظهر نجيب
واجمع بها شملى وشمل اولادها ... وكل الامور عند لاله تسيب
يقول ابو زيد الهلالى سلامة ... ونيران قلبى زايدات لهيب

قال الراوى فلما فرغ ابو زيد من كلامة واولاده والامراء يسمعون نظامه فنهضوا وسلموا على العبد وسالوه عن والدتهم وعن صحتها فقال لهم الحمدلله بكل خير وهى تقبل وجناتكم فاخذوه وصاروا يتضاحكوا ومدة الثلاثين يوم نعندها نحرك حج الغرب للزيارة فنهض العبد لعند الامير ابو زيد واخبره بالمسير الى بلاد نجد صحبة الحجاج فاعطاه ابو زيد مطيه وثلاثمائة دينار ثم استدعي بقلم وقرطاس واشار بخير عليا ويقول

يقول أبو زيد الهلالى سلامه ... وطير النيا حكم بقلبي مخالبه
من البعد والفرقا ياما صابنا ... وكيف حال شخص فارقوه حبايبه
ايا غاديا منى على متن ضامر ... تجد الثرى في البر تجرى ركائبه
اذا جيت الى جد العدية وارضها ... فسلم على عليا وباقي قرايبه
وقول لها يامنية القلب والحشا ... شخصك مصور في فؤادى نصائبه
ولا عاقنى الا خليفة وحربه ... سقيناه كاس الموت مرمشاربه
قتله ابو موسى دياب بن غانم ... وادعي دماه على الاراغي سكائبه
اخدنا بلاده والقصور جميعها ... واموالة تلفت وذهبت ذهائبه
واميرنا حسن الهلالى ابو على ... بكل بلاد الغرب حلت ركايبه
كتبت على صدرى مسائل كثيرة ... خيام وسلطان وقاضي ونايبه
ولا بد من قاضى يشرع الحكم بيننا ... ويبان للمغلوب من كان غالبه
تعذبنى بالبعد والبعد خيبة ... اذا طاله عمر المره تكثر متاعبه
ماقال ابو زيد الهلالى سلامه ... وانا عبد من يحفظ على البعد صاحبه

قال الراوى فلما فرغ ابو زيد من انشاده طوى الكتاب وختمه بخاتمه وايضا شيبان واخوته كتبوا مكاتيب الى عليا والدتهم واعطوهم الى النجاب وساروا معه سفر يومين الى أن وصل من الحج للقدس الشريف ومن هناك الى مكة والبيت الحرام وبعدها فتركهم وسار يقطع الروابى والتلال الى ان وصل لنجد ودخل على عليا فترحبت به وسالته عن ابو زيد وعن اولادها فاجابها بكل خير وناولها الكتاب فلما قرات كتب اولادها نزلت دموعها وطلبت من الرحمن أن يفرج همومها هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الامير ابو زيد فانه من بعد ذهاب العبد زادت بلابله واشواقه لمشاهدة عليا ودام على هذا الحال شهر كامل وفى اليوم الحادى والثلاثون طلب البعض من جنودة واصحابة ليرافقوه للبلاد نجد فابو وقالوا نحن ماصدقنا اى متى وصلنا للغرب واسترحنا من الطعن والضرب فحينئذ انشد ابو زيد ينحى قومه على المسير معه ويقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ... ودموع عينى زايدات الهائل
ونيران قلبي كلما اقول تنطفى ... يزيد لها بين ضلوعى شعائل

ايا من يسعفني ومن يعينني ... و يامن يرد الحمل اذا كان مايل
ويسعل جميلا مع الهلالي سلامه ... ويا من يرافقني لتلك الطلال
حتى نجيب عليا نهي غاية المنى ... وهي نور عيني كبار القبائل
فلا يلتقى فيهم امرا ما جدا ... خنتوا عهودي يا جميع الكبايل
عند الرضا تبقون الكل عزوتي ... وعند الشدايد ما يلتقى لي معادل
ولا بد ما اذهب الى نجد وارضها ... واجيب عليا من بين تلك القبائل

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه فما احد من الامراء اجابه على نظامه فاغتاظ الامير ابو زيد وطار من عينيه الشرر فحينئذ قام الامير عزيز القوم فارس الفرسان وحامي الايدان الذي شهدت له الاقران بالحرب في بطايح الحولان وهو بن خالد بن شيحا اخت الامير ابو زيد واوه قتل في مصر بغريبة بني هلال بوقعة الملك فرعند وربي عند امه يتيم في حما ابو زيد الكريم الى أن اشتدت اوصاله ورافت احواله فصار فارسا عظيما وشيطانا رجيما هابته الفرسان في الحرب والطعان وكان ابن سبعه عشر عاما امرد لا نبات بعارضيه وكان يوضع برقع على وجهه خوفا من النساء تطرح من حسنه فتقدم الى ابو زيد وقال له ياخال انا رفيقك لنجد ثم بعد هذا الكلام واشار يقول

يقول الفتي عزيز يدري له ... اسمع كلامي يا امير يا ابو زيد
انا رفيقك ياسلا... لا تخفى ... الى ارض نجد برها وصعيد
ونقصد الي عليا حقيق نجيبها ... ويرتاح بالك يا امير أكيد
وتبلغ مرامك يا سلامة وغايتك ... ويكثر خيرك يا امير و يزيد
وانت تعرفني في حومة الوغا ... الالف والالفين وحدي بكيد
وتعرفني جملة هلال وعامر ... ويشهد بفعلي كل قرم عنيد

قال الراوي فلما فرغ عزيز من كلامه والامراء وابو زيد يسمعون نظامه فاغتاظ الامير يونس وقال ياعم انا رفيقك بهذه السفرة ففرح ابو زيد فاستبشر وايقن ببلوغ الوطر وفي ثاني الايام ودعوا اهاليهم وجدوا في قطع الروابي والاكام مسافة تسعون وما وفي اليوم الواحد والتسعون وصلوا لصحرا وارض قفر خالية من الماء فحرقهم الظماء من شدة الحر في ذلك ففي اليوم الثاني نظروا على بعد بئر

ماء له علامه بتلك البيد فقصده يونس فوجد دلو وحبل على جانب البئر راد صعوده فانقطع بوسط البئر فهم عزيز القوم بالنزول فمنعه الامير بوزيد وقال له هذا بير مملى من الحشرات المسمة فدعوا نسير الى ان يفرجها الله تعالى فقال الامير يونس وحيات راسكم يا امارة لا بدلى من النزول الى البئر لاني صرت على التلف من كثرة العطش فقال ابوزيد الروح ماهي حشيشة حتى ينبت موضعها والاقاعي لا يعرفوا لا امير ولا سلطان فقال يونس دعك من هذا الكلام ما احد ينزل غيري ولو سقيت كاس الحمام فقال له ابوزيد افعل مرادك فحينئذ اخذ الحبل ونزل الى البير فلاجل نفوذ القضاء والقدر فشرب واملى الدلو وهم بالصعود فخرج عليه من جانب البير ثعبان ازرق اللون شنيع المنظر وضربه بفخذه فلما احس يونس بضربة الثعبان غاب عن الوجود وزعق صوت ارتج منه ذلك المكان فغاب الثعبان عن عيونه وكان ابوزيد واقف على جانب البير فقال له مابالك يا امير يونس وما جري عليك فقال له لدغني ثعبان في هذا المكان فحينئذ نهض لخارج البير وحس ان قلبه قد احترق بنار السعير وشكا حاله لابوزيد وعزيز فنزلت دموعهم حرقة عليه وحينئذ اشار يوصي ابوزيد ويقول

قال الفتى يونس على ما جرى له ... بدمع جرى من مقلة العين عايم
بكيت على عزى وجاهي وهيبتي ... تذكرت ايام مضوا من قدايم
ركبنا وجدينا المسير على عجل ... لنجد العدية طالبين الغنايم
وكان سيرنا بالبر تسعين ليلة ... الى ان وصلنا لنجد وقت الظلايم
وصلنا الى بير عتيق معتم ... كبير وفيه الماء زايد وعايم
اتى عزيز ينزل البير عاجل ... منعه ابوزيد كثير الفهايم
حلفت ان انزل الى البير قال لي ... ابوزيد ارجع او تقع بالندايم
منعني وانا خالفته في كلامه ... جازيت بفعلي والجزا لي ملايم
نزلت وانا ظمان والحر كاني ... شربت وارويت الحشا والزلاعم
مليت الدلو وانا سايم من النيا ... وهميت ان اطلع لعند اللزايم
والا بثعبان اتاني على عجل ... ضربني بفمه ثم ارمي السمايم
ضربني بفخذي ثم ارخي مفاصل ... وقد غاب مني العقل والذهن عامد

اياعم هذا اليوم آخر كلامنا واخر عهدى اليك يا بن الاكارم
ترى الموت كاسا لاغنى شرابه ولوعاش مهما عاش ذاق الحمايم
ولوعاش عمر النسر ياعم يالفلا الفين عام والله عالم
ياعم خالتك وجرى ماجرى وقد كنت لنفسى ياامير ظالم
ياامير البدو دانت منبتى وانا عدت ضيفك يا وفى الزمايم
ياعم احفر لفيري ووسعه اهله يبقى قاضي المخارم
ابوزيد اقري السلام لاهلنا وقول لهم يونس قد عاد نايم
واقرى سلامى لامى الحزينة وقل لها سلام رمن بعد سلام علايم
وقول لهم يونس توفى وقد غدى رهين رمدعى تحت تل الردايم
مقال الفتى يونس على ماجرى له ابو زيد ماعدنا نرد الكلايم

قال الراوى فلما فرغ يونس من كلامه والامارة يسمعون نظامه بكوا عليه بكاء شديد فنظر كالموضع ورغرغت عيناه بالدموع وشهق شهقة واسلم الروح فشقت الامارة ثيابهم وزادوا فى بكائهم وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه وقبروه وعقروا ناقة على قبره ثم ساروا حتى وصلوا احجد عند المساء ودخلوا لحي الامير حسين الجعيرى فوجدوا فيه نفخ الزمور ودق الطبول والحي يهوج ويموج مثل ايام ياجوج وماجوج فابتوا متعجبين ولامرت من امامهم عجوز شمطاء لابسة حلة بيضاء فحياها ابو زيد بالسلام فردت عليه سلامه وبالغت فى اكرامه فقال لها ابوزيد ابوجد عندك محل للمنام يانخبة العرب الكرام فقالت لاهلا وسهلا بكم يا شعراء العرب وسارت بهم الى منزلها . وبعد ان جلسوا واخذوا لانفسهم الراحة فقال لها ابو زيد مالى ارى الحي بفرح وسرور وبهجة وحبور فقالت له اعلم ياوجه العرب ان هذا عرس كريم وزفاف عظيم وهو عرس الامير نوفل فارس الحجفل على الست عليا ابنة الامير حسين الجعيرى المشهور وكانت سابقا زوجة الامير ابو زيد فارس زحلان ودريد وكان ولدي راعى لابله والان متحرقين لمشاهدته من حيث انه ترك نجد وسكن بلاد المغارب ولاعادله بعليا مارب . لو كان يصل خبر زفاف عليا اليه لكان يحضر وياخذ روح نوفل من بين جنبيه فقال لها ابوزيد هل عندك للسر موضع فقالت بير عميق ماله قرار وصندوق متقفول ضايع

مفتاحه خارج فقال لها انا ابو زيد واعلمها بجلية الخبر فلما سمعت ذلك الكلام قالت له اهلا وسهلا بعزنا وحامينا ولكن كم يحرق بعليا من القرى لو بلغها خبر قدومك بالسلامة فقال لها ابو زيد وكيف نقدر بالوصول اليها وهي بين تلك الجهور الغفير فاجابته عند المساء نلبس عزيز هدوم ابنتي مايسه ونأخذه عندعليا وعندما يفرغ النزل من الجميع نلبس عزيز ملبوس ونجلسه عروس مكانها واحضرا الى وعليا لهنا ولا يعلم بنا احد فاستصوب ابو زيد هذا الرأي وعند ما اظلم الظلام قامت ولبست عزيز هدوم ابنتها واخذته برفقتها الى ان دخلوا المنزل عليا فترحبت بهم وبالغت في اكرامهم وعند ما انصرف الجمع تقدمت العجوز لعليا وبشرتها بقدوم ابو زيد وهذا عزيز القوم فلما نظرت الى عزيز وحققت الخبر تقدمت وسلمت عليه وحبت يديه فقالت لها الان ليس وقت سلام بل المراد منك تنزعي ثيابك وتلبسيهم الى عزيز القوم لانه نظيرك بالحسن والجمال والقد والاعتدال وهو يليق ان يكون مكانك ثم اذهب انا وانت لعند الامير ابو زيد لانه بانتظارنا فنى الحال نزعت ثيابها ومشت العجوز امامها وساروا لعند الامير ابو زيد فلما راهم ابو زيد مقبلين ونظر عليا لم يعد يملك روحه من السرور فخرج للاقيهم وقبلها ما بين الاعيان واخذها ملوه الاحضان وتشاكيا من الفراق وشكر الله على التلاق هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من عزيز القوم فانه بعد ذهابهم اخذ يستنظر قدوم العريس وبينما هو بهذه الافكار والادخل الامير نوفل فقام ولاقاه وجلس بجانبه فمد يده اليها فعثرت منه وقالت له ليس هذه افعال العرب ياقليل الادب فقال لها ما السبب حتى تبادني بهذا الكلام يانخبة العرب الكرام فقالت له اعلم ان العروس لها على العريس نقوط وانا يوم الذى اخذني ابو زيد اعطاني الف دينار وانت تكون امير وابن امير وياحيف البخل من طنجير فلما سمع منها هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وقفز واقف على الاقدام واراد ان يضربها بالحسام فقامت العروس ومسكت الى نوفل ورفعته على زندها وضربت به الارض كادت تدخل طوله بالعرض واوثقته بالحبال وربطته بالعامود يقضي الوبال وهو يذوق العذاب الاليم الى ان اصبح الصباح العليم فاطلقت سبيله ودام على هذا الحال ياتي بالظلام طمعا بالوصال ولا اطلع احد

على امره الى اليوم الرابع بينما هو خارج من الدار فالتقي بعمه الحدار وكان رجلا اختيار عليه سيمة الوقار فحياه بالسلام فرد عليه سلامه وبالغ فى اكرامه وقال مبارك ياعريس ان شاء الله تكون نلت مبتغاك وقهرت مبغضيك واعداك فتنهد نوفل من فواد حزين وصاح ياجواد يا كريم فصاح به عمه وقال قول لى من اتاك ومن هو بشره دهاك فقل لى ولا تفزع واياك ان تجزع فقال له اعلم ياعم ومن كاشف الهم والغم ان كل يوم اذهب الى العروس ابنة الحرام طمعا ببلوغ المرام فتوثقنى بالحبال والقيود وتربطنى على العامود وها قد اطلعت سرى عليك واركنت امري اليك فاجابه الشيخ ياعريس هل من يقدر عليك بالقوه وافنى منك بالفتوة فقال له ايها السيد الجليل انه لا يوجد احد يقدر ان يكتفنى الا عزيز القوم وهو الان فى بلاد المغارب فهل يمكن أن يأتى به لهذه الاجانب ولا سيما يقاسون الاهوال والمتاعب فاجابه الشيخ ايها الاميران اردت تكشف عنك الغم وتزيل عنك هذا الهم اصنع لك شيشين احدهما من دم والاخر من سم فحينما تذهب وتطلب منها الوصال وتريد ان تكتفك بالحبال فاضربها بشيش الدم فان كانت انثى تذل وتغر واذا كانت ذكر يعوس ويتقدم فاذا رأيتها بادر اليك اضربها بشيش السم فتذل ويوقع بالسم فاربطه بالعامود وقيده بالسلاسل والقيود فحينئذ شكره العريس على هذا العمل وايقن ببلوغ الامل. فذهب للبيت ومعه الشيشين المعهودين فلما نظرته العروس فقالت له هل احضرت الفلوس. فقال لها ما عندنا مال يا ابنة الانذال. وعندما تقدمت اليه لتكتفه فضربها بشيش الدم فهاجت فلما نظرها بهذا الحال اتى عليها بشيش السم فحينئذ تقدمت اليه وربطته من حلاوه الروح وحينئذ غير عزيز ملبوسه وتركه بحاله وذهب لعند ابو زيد وابتدى يخبره بهذا القصيد ويقول

يقول الفتى المدعو عزيز ما جرى ... ودموع عيني زايدات السكايب
ونيران قلبي كلما اقول تنطفى ... يزيد لها جوا ضلوعى لهايب
من الغرب قد جينا حقيقا بلا خفا ... لنجد العديه طالبين المكاسب
فقدنا الفتى يونس وكان رفيقنا ... ومن بعد يونس ماظن نباغ مارب
واتينا الى نجد العدية وارضها ... وجدنا بها الافراح من كل جانب
وقالوا عرسا دابرا فى بلادنا ... عرس الامير نوفل عز القرايب

فقلنا لهم من هي العروس واسمها ... قالوا علينا راخيات الذوائب
فلما سمع القول ابو زيد اضطرب ... وعادت في قلبه منار تزيد اللهايب
لبسني مثل عليا وذهبت لعندها ... وعرفتها بحالي وكل الطلايب
فلما عرفتني بسرعة قد انت ... لعند الاميرابو زيد شيخ العرايب
ولبست ملبوسها حقيق بلاخفا ... وتزيت بالزينات ام المصايب
اتاني نوفل عند مغرب الضحي ... يريد وصالي كالذما ياعرايب
ربطه على العامود وحدي بهمتي ... ودعيته للصبح يقضي العذايب
وفي ثاني الايام اتاني بلا خفى ... فادعيته مرمي على الارض غايب
وفي رابع الايام اتاني على نقا ... ضربني بشيش الدم بابن الحسايب
ضربني فما باليت انا ضربته ... تنى على بالشيش من السم ذائب
جرح القديم ياخال انا ضامني ... جرح الجديد يشد عليه المصايب
وقد اخبرتك ياهلال سلامة ... هيا بنا انرجع لارض المغارب

قال الراوي فلما فرغ عزيز من كلامه والامير ابو زيد وعليا يسمعون نظامه فوقع مغشيا عليه لان السم اصاب في بدنه فحزن ابو زيد وتكدر وطار من عينيه الشرر ورشوا على عزيز الماء حتى فاق من غشوته وصارت عليا تمزق القمصان الحرير وتربط بها جروحات عزيز القوم فالتفت ابو زيد الى عليا وقال لها اذا مات عزيز لا اقدر ان اخذك معي لان الطريق مخطرة والمسافة بعيدة فقالت لابد لي من الذهاب معك وان مت اموت ولا ادع تشمت بك اعداك فافتكر ابو زيد مدة من الزمن ثم غوث علي اخذ عليا معاه لكي يطفي خبرهم ولا احد من القوم يقتفي اثرهم ثم بدت عليا تمسح جروحات عزيز وتدهنها بالمراهم وتعتني بشفائها وعند نصف الليل قبل ظهور نجم سهيل قام عزيز من منامه فراى عليا وابو زيد امامه فعند ذلك راقت احواله وسكن الله وقال له قم بنا ياخال نسير قبل الصباح لئلا نعدم التوفيق والنجاح والحمد لله قد راقت احوالي وقام وركبوا مطاياهم ودعوا العجوز واعطتها عليا عقد من الجوهر يسوى ملك بني الاصفر وجدوا قطع الروابي والقفار يسيروا بالليل ويكمنوا بالنهار مقدار تسعون يوم حتى قطعوا حدود نجد وتلك الديار ومازالوا سائرين الى ان وصلوا الحدود غزة وتلك البلدان. لاراضي خالية

من السكان . وفرغت منهم الماء واشتد عليهم الظماء . فحاروا في أمرهم في تلك البيداء . فقال عزيز ياخال انى معاهد ثر بهذه الاطلال وهو قريب من تلك التلال فالحال قصده ابو زيد ومعه القربة ولما نزل الى البير وجد ثمه يختبط بذلك المكان وله صريخ كصريخ الجمان فجفل وخفق فؤاده فارتد راجعا اليهم وقال لهم أن البير منشف من الماء في عهد القدماء فتعجب عزيز غاية العجب وقال له ياخال انى اعاهد هذا لايخلو من الماء لاصيف ولا شتاء ثم أخذ الرمح بيده والقربة وتوجه ونزل الى البير فوجد شيء يختبط فضربه بالرمح ونهضه على السنان واذا هو جدى ماعز عرقان . فشرب واملى القربة وذهب لعندخاله وقال لهم هاهوذا اتيتكم بالماء فتفضلوا واشربوا واطفوا بها الظماء فاخذوها منه وشربوا وذبحوا الجدى واكلوا والتذوا وانطربوا وكان يوميا ابو زيد يغير جروجات عزيز القوم عند مساء ذلك اليوم فبينما كان يغير جروحاته فحلل الرباط حتى انه يموت باغلب الاوقات لانه انخجل من عليا وفكر فى نفسه وقال متى وصلنا لتونس وتلك الاطلال يخبر عزيز قصتى لكامل الرجال فتنحط منزلتى عند الفوارس والابطال ولما اتصف النهار حس عزيز قلبه بالنار . وحقق أن السم وصل لقلبه ولا فائدة بطبه فعندها بكا ابو زيد وتحسر وندم على فعله المنكر . رأى عزيز على حاله التلف فقال له سلامتك ياخال . فقال له مابها سلام يازينة الابطال ثم رغرغت عيناه بالدموع واحضر دواية واشار يكتب الى امه شيحة ويوصي خاله ويقول

يقول عزيز القوم والنار بالحشا	ودموع عيني زابدات السكايب
اسمع كلامي ياامير سلامه	يافارس الفرسان مذرى الكتائب
فان اتيت لارض المغارب وشلها	سلم على الاخوان ثم الحبايب
وسلم على الدربدى ابو على	وقبل اياديه وحب الركايب
وسلم على اولاد خالى جميعهم	وسلم على القاضى سرورا بوالحسايب
وسلم على زيان الامير وامه	وسلم على الزغبى دياب المحارب
وسلم على امى الحزينة وقول لها	تبكى عليا بالدموع السكايب
وان سالوك ياخال عنى فقول لهم	غدي رهين المرت تحت الترايب
هذا ترى ياخال اخر كلامنا	والله يساعدنى وقت الحسايب

(قال الراوي) فلما فرغ عزيز القوم من كلامه وابو زيد وعليا يسمعون نظامه بكوا عليه بدموع سجام ثم ان عزيز شهق شهقة واحده ورغرغت عيناه بالدموع ونظر الى ابو زيد كالمودع واسلم الروح فقاموا عليه البكاء والنواح حتى ارتجت من صريخهم تلك الروابي والبطاح ثم غسلوه وذبحوا ناقة على قبره ودام ابو زيد وعليا يندبون عزيز القوم مدة من الزمن ثم رحلوا طالبين الاهل والاولاد والديار يقطعون البراري والقفار وقضوا في طريقهم الاهوال من عثرة الطرقات الى ان اشرفوا على بلاد الغرب فذهبوا الرعيان واخبروا الامير حسن وبقيه الامراء بمجيء ابو زيد فركبوا لملاقاته جميع رجال الحي فلما وقعت العين بالعين فترجل الامير حسن وباقي الامراء على ابو زيد وعليا وكان افرح الجميع شيبان واخوته بملاقاة عليا اما الامير حسن فسئل ابو زيد عن الاماره يونس وعزيز القوم وما جرى لهم فعندها نزلت الدموع من عيني الامير ابو زيد وانشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... احس ضميري شاعلات بنار
وان انطفت ناري تفيض مدامعي ... على صحن خدي جاريات غزار
اتاني كتاب من حما نجد وارضها ... وجابه الى نصور بن نصار
بخط فتاة الحي عليا حليلتي ... وتقول نوفل اراد يخص الدار
فناديت يونس حقيقا بلا خفا ... وعزيز اتانا مثل سبع غار
فسرت بهم عشرون ليلة ومثلها ... وعشرون بعدها ليل ونهار
اتينا الى نحوه ونحنا على ظما ... والقلب مني فيه شعلة نار
لقينا على بير عتيق ومهجر ... بالي ومن حوله رجوم حجار
قال الفتى يونس هذا مرامنا ... فهاتوا الى حبلا يكون مدار
فقلت له هذا قديم ومنترك ... وفيه الافاعي ساكنة بديار
فنزل يونس الى البير وارتوي ... وايضا ارتوينا نحن مع الابكار
قليلا والا صار في البير رعده ... كسبع كاسر على الفوارس غار
اتاري بجنب البير حنش بشوفه ... لدعه بفخذه يالمارا وغار
نشلناه واصعدناه الى ان وجهه ... ازرق غدى يشبه الى الزنجار
وقال لي ياعم قربت منيتي ... وعاد يقلب ميمنة ويسار

حفرت له قبرا عميق بساعتى ... وكفنته بالشاش ياحضار
بكيت عليه انا وعزيز بن خالد ... وصار بقلبى علقما ومرار
اتينا الى نجد العدية وارضها ... والى المخارم منبع الانهار
رأينا عجوزاً كبر الله شانها ... وقالت لنا اهلا بذى الخطار
وقالت لنا موعودعرس بالعرب ... الى الامير نوفل حماة الدار
وانا ماشطة الى عليا بلاخفا ... من وقت سلامه في ظعونه سار
واخبرتها بحالى سريعا بلا بطا ... وقلت لها انى اكتمى الاسرار
فقالت شرف ياأمير لنحونا ... ونيخ مطايا كم بوسط الدار
وقد لبست عزيز ثياب بنتها ... ووضعت برأسه برقعا وخمار
واخذت عزيز لعند عليا بلا نقا ... واحكت لها بجملة الاخبار
وقد اتت عليا لمندى بلاخفا ... وعزيز خلته بوسط الدار
وقد اتاه نوفل يطلب وصاله ... فاوثق اياديه باشد زيار
وهذا فعال أربع ليالى كوامل ... فقام انتبن وخلقه ثار
فجاب له شيئا طويلا مسمما ... ضربه بكتفه اورثه اضرار
فاتي وقال ياخال انهض لترجع ... فان المنية قاربت للدار
فجئنا الى قرية نظرنا بارضها ... تسمي بعزة زينة الاقطار
وقال لى ياخال قربة منيق ... دنا اجلى ماعاد منى فرار
بالله عليك ياخال على لتربق ... على تل عالى وعمره بحجار
حتي اذا هب النسيم وانجلى ... نتذكر الاحباب ثم الجار
وعند غياب الشمس مات وانقضى ... وقد صرت انا في حالتى محتار
وقد اتينا الى تونس على عجل ... نقطع فيافى برها وقفار
وقاسيت فى دربى امورا شدايد ... وشعر رأسى شاب ياحضار
فيالينى ماكنت جئت وشفتكم ... وكنت غديت ومت تحت حجار
وياليت يومي كان قبل يومهم ... ولاذقت حسرتهم وذقت مرار
مقالات ابوزيد الهلالى سلامه ... والدمع من عينى غدا قوار

(قال الراوي) فلما فرغ ابوزيد من كلامه والامير حسن والاماره يسموا نظامه

فوقع عندهم الصياح والبكاء والنواح وكسروا السيوف والرماح . وجزت شعورها البنات والنسوان. وعادوا بالهم والاحزان وصار عندهم يوم كاخر الزمان وذهب ابوزيد لمنزله وتبعوه الرجال والشبان . والبنات والنسوان وصاروا يعزوه بفقد أولاد الامارة و يهنوه بعودته بالسلامة وعليا ودامت الناس تتقاطر الى عند ابوزيد مدة من الزمن هذا ما كان من هؤلاء واما كان من الامير دياب بن غانم بعد ذهاب ابوزيد الى بلاد نجد يجيب عليا فانه كتب كتاب الى جميع الامارة لكي يشفعوا له عند حسن فكان تعبه سدي وقدمضي عليه بالحبس ثلاثة سنين يقاسي العذاب المهين وفي السنة الرابعه اشار يكتب الى حسن يقول

يقول ابوموسى دياب الغانم ... ولى مجلس بين الرجال شديد
اياغاديا منى على متن ضامر ... فسلم على حسن الفتى الصنديد
وقول له ياعز قيس وعامر ... اياامن بسيفة ذل كل عنيد
انا قتلت مناع ماهى عداوة ... وانت فى تلك الامور شهيد
ضربته فى الميدان والسوق منتصف ... وقد كان فى ذاك النهار عنيد
مشينا لك بالصاح بالفين ناقه ... والفين تتبعها خدم وعبيد
ومن بعد هذا نوفلة بنت غانم ... شبيه الثريا فى الظلام تقيد
ومن بعد هذا المحلت نجد وارضها ... سبع سنين كاملة وتزيد
بعثوا لكم رياد منكم وسافروا ... وكان ابو سعدا لهن رصيد
حبس الفتى يحيى ومرعى و يونس ... وابوزيد قد وفاه بالتنكيد
وقالوا ارحلوا ماعاد فى نجد عيشة ... ولا عاد فيها ياهلال مفيد
رحل نجعنا من ارض تونس كالدبا ... تقول بحارا طاميه وتزيد
وسرنا ملينا الارض من كل جانب ... وابوزيد قيدوم لنا وقليد
وطابت لنا من نجد الى قاع تونس ... الى ان اتينا الى بلا حديد
وجاء ابو خريبه ينهب لمالنا ... وقد كان جنى بالطراد عنيد
ضربته بحد السيف ارميت رأسه ... وخليته تحت التراب لحيد
فجانى سعيد العبد فى الحال قال لى ... اعزبك فى اجوادنا ياسيد
ركبت على ظهر الجواد كانني ... احاكي سكران بغير نبيد

وجيت الى حرب الزناتى خليفه ... وجتنى قنوع ودمعها يزيد
مايعين عزرا ياهلالى سلامه ... ولا واحد الا وقال قصيد
يقوله الزناتي اليوم اهنى لقومنا ... دهانا وخلانا فى تعديد
وانت ان اخذت الثار يا ابو موسي ... نعطيك ماتشتهي وتريد
ونعطيك اخت الهلالى ابو على ... مع عين توزر للشراب بريد
وندخل نحنا الكل من تحت طاعتك ... نجور ولا يبقى على ايدك ايد
فقلت لهم منى ابشروا زال همكم ... وفي ظنى ماخاب فيكم قصيد
وجانى ابو سعدا الزناتى خليفة ... على ظهر اشهب بالطراد يكيد
ضربته بحربه سنها يخرق الحصا ... وخليته تحت التراب وكيد
وملكتكم كل المضارب بصارمي ... ولا عاد لاشر ولا تنكيد
جازيتنى بالحبس ياامير الملا ... وهذا منك مايكون مفيد
شنقت اخونى واولاد عمي وخنتنى ... وخليت نسام فى بكا وعديد
شكيت الى الله ياحسن من يوم شنقتهم ... لوكنت خالص من قيود وحديد

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وارسله الى الامير حسن فلما قراه وعرف ماحواه اشار يرد جوابه يقول

يقول الفتي حسن الهلالى ابو على ... نيران قلبي زايدات وقود
اياغاديا منى على متن ضامر ... كشبه نعام فى الجبال شرود
اذا جيت الى الزغبي دياب فقل له ... وقمت وما عاد للكلام نفوذ
علامك بترغى يادياب وبتزيد ... ومن بعدها انك تكون مفقود
خيار الفتى يا امير اذا اتاه النيا ... يكون صبور أعلى الامور رجلود
فاصبر على حلو الليالى ومرها ... حتي يجود الدهر بالمقصود
وحيات رأسى يادياب بن غانم ... وانتم على يا كرام شهود
لابد ماافنى جميع رجالكم ... وخلى نساكم باكيات شرود

فلما فرغ الامير حسن من الكتاب ارسله الى الامير دياب فعلم ان تعبه مع حسن بالمحال ولا يابت منتظر الفرج من الله حتى مضت عليه السنة الخامسة فاشتهى يقلم وقرطاس واشار يكتب الى صديقه شبل الدريدى ويترجا به بهذا الخصوص يقول

يقول ابو موسي دياب بن غانم ... بدمع جرى فوق الخدود حدور
كنا بنجد في سرور وفي هنا ... تجينا الفواكه من جميع زهور
وكنا نصيد الوحش من واسع الفلا ... وهم في البراري شاردين نفور
ومن بعدها انداحلت نجد وارضها ... سبع سنين كاملات شهور
فجينا الى ارض الزناتي خليفه ... وقتل منكم كل قرم جسور
وتحاربت انا واياه في حومة الوغا ... وادعيته مرمى بوسط قبور
جازاني حسن الهلالي ابو علي ... في حبس مظلم والزمان قهور
فبالله يازحزاح بلغ رسالتي ... لشبل بن قارسا وغيور
امير الملاحسن الرجال من العدا ... يشيل الاسارى من حبوس عكور
يسير الى حسن الهلالي ابو علي ... يقول له دياب في بلا ميسور
لعله يقبل ياامير شفاعتك ... ويطلعني وتنال انت اجور
تخلت عني الناس ياامير كلهم ... ولا عاد ياتيني خليل يزور
وقد ارسل حسن يثقل قيودي ... ولا يعلم ان الزمان غرور
متي ترجع الايام ونرجع لاهلنا ... ويحدث من بعد الامور امور
واقتل حسن الهلالي ابو علي ... ويمسي في الوادي ظمام طيور

فلما فرغ دياب من تحرير الكتاب ارسله مع الزحزاح الى الامير شبل فلما وصل الكتاب اليه قراه وفهم ماحواه وتوجه لعند الامير حسن وسلم عليه بكلام حسن واشار يتشفع الامير دياب يقول

يقول افتى شبل الدريدي باجرى ... الوم نفسي ومالي احد لايم
وجيتك ياحسن فاقبل حديثي ... اياهمام يابن الاكارم
الا يابن سرحان انت زخري ... فحن من الاقارب واللزايم
فسامح عن دياب وفك قيده ... وسامح ذلته واعف الجرائم
وان دياب في الحبس ياامير قل حيله ... وحالاته تشابه حال خادم
ووطفا واخته قلقا حزينه ... ينوحوا ومالهم في الحي راحم
وامه ضرها سهر الليالي ... وابوه صار هذا اليوم نادم
على من شاف من نجد العدية ... زمان العز ولى وراح هازم

فلا تامن صروف الدهر يامن غدى بالجود للعربان حاكم
انا جيتك دخيل اسمع كلامى وفك قيودابو موسي بن غانم
لانك بالسخا والجود كامل فاسمح عن ذنوبه والجرائم

فلما فرغ الامير شبل الدريدى من كلامه وحسن يسمع نظامه فقال له حسن ياامير شبل انا ماانسيت قتل اخي مناع وحرق الحدائق فى نجد وما فعل مع سعدا خطيبة ولدي مرعي وحرقة الزرع فى تونس وروض البهرجان وقطع الطرق على العرب وبعد ذلك اشار بخبر الامير شبل الدريدى بهذا القصيد يقول

يقول الفتى حسن الهلالى ابوعلى والهم ما بين الضلوع شديد
اياشبل جيت شفيع فى بن غانم ياامير ترك دياب عاد بعيد
وقتلت اخي مناع انا ماانسيتها وهو كان فارسنا فتى صنديد
وحرق حديق البهرجان وغيره وخلى جميع هلال بالتنكيد
واخذ سعدا من قصرها يعزها فجازها بالضرب والتشديد
نهيناه بالمعروف عن جرم فعله عصاوانفرد عنا وعاش فريد
يمكن نوي ان يملك العرب كله ويبقى على امراء هلال يسيد
فان عانى ربى قتلت بن غانم وادعيت اهله في بكا شديد

فلما فرغ حسن من هذا القصيد فرجع لمحله واخبر الزحزاح بما قاله حسن فرجع الزحزاح لعند دياب واخبره بالذى صار حينئذ قال الامير دياب لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد دام دياب بهذا الحال يقاسي الاهوال حتي مضت عليه السنة السادسة فاستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واشار يكتب الى الامير سعد الرياحى ويترجاه ان يتشفع له امام حسن ليطلعه من السجن يقول وعمر السامعين يطوله

يقوله دياب من قلب موجع ونيران الحشى متوقداتى
على زمن مضى ماعاد ياتى وعلي فقد الليالي السالفاتى
بليت بالذل من بعد المعزة وعدت يسير فى حبس الزناتى
وابن سرحان مايرفق بحالى وقد امر بضربي بالعصاتى
فيازحزاح ارفق بابن غانم انا المملوك وانت الملكاتي

فروح وصل كتابي المسمى ... الى الامير سعد نسل الطبياتي
ويذهب نحو سلطان البوادي ... امير القوم عز لمحصناتي
وقول دياب قد امسى حقيرا ... فكك قيود يابو الصفاتي
اما تذكرونى فى سوق المنايا ... على الخضرا فى يدى قناتى
وقد سلمتونى البوش كله ... ليرعى في البراري المشباتي
وسار الظعن من وادى لوادى ... نصبتوا خيلكم بارض الزناتى
قتل يوم الوغى تسعين قرما ... وسكنهم قبور المظلماتى
وعدتوا ترسلوا نحوى الرسائل ... براقع الدماء مخضباتى
رحلت وجيت من فوق شهبا ... عليها قتلت ابو سعدا الزناتى
قتلته والعذاري يشهدوا لى ... واولاده ينوحوا مع البناتى
تجازيني بحسبك ياهلالى ... وان الدهر دوما فانياتى
واجازي الى حسن من سوء فعله ... واذوقه كما ذاق الزناتى
وخلى عياله بعده حيارى ... ويندبه النساء مع البناتى
فمن جاني يبشر بالسلامه ... كسوته من ثياب المثمناتى
فيا امير سعد يا حصن الامارة ... اخبر لى حسن بطلق حياتى

(قال الراوى) فلما فرغ دياب من تحرير الكتاب ارسله صحبة الزحراج فلما وصل الى الامير وقراه وعرف ماحواه نحينئذ توكل على صاحب العز والجاه وسار طالب الامير حسن فلما وصل اليه وسلم عليه وقبل يديه واشار بتوصل اليه بخلاص الامير دياب يقول

يقول الفتى سعد الرياحي بما جرى ... ونيران قلبي زايدات قداح
كنا بنجد فى سرور وفى هنا ... بنعم واحسان واعب ومراح
وكان بها عنب الدوالى مكعب ... والخوخ والرمان والتفاح
جفتنا اراضى نجد من بعد عزها ... سبع سنين كاملات شحاح
سبع سنين ماتى نجد عارض ... وعادت حبوب الارض بالاكداح
جفل منها وحش الفلا غاب بالفلا ... والطير من جدب الاراضى راح
رحلنا من نجد العديه وارضها ... وقلنا من الشدة عمي نرتاح

ولما اتقا القيروان وقابس ... اتونا الزناتة جازبين إسلاح
وجاكم أبو سعد الزناتي خليفة ... على ظهر أشهب مثل طير راح
قتل منكم ياقوم تسعين فارس ... وخلى العذارى فى بكاو نوارح
وارسلتوا الى دياب البرافع ... اخذهم سعيد على الهجين وراح
انا نادياب الخيل من فوق خضرة ... وقتل الزناتى ذاك مات وراح
وملككم ذك البلاد جميعها ... واربعة عشر قلعة ياجحجاح
جازيته لحبس ياامير ابو على ... فما كان واجب حبسه ياصاح
فاقبل حديثى فى دياب بن غانم ... فى شيخ زغبى كلها ورياح

قال الراوى فلما نزع الامير سعد الرباحى من كلامه والامير حسن يسمع نظامه فقال يابن عمى اطلب منى ملكى فلا اعزه عنك ولا تفتح لى سيرة اطلاق دياب وأشار يقول

يقول الهلالى نادي الوجه ابو على ... ولى عزم فى الهيجا لمن جاء يعاركه
انا ضد خصمى يارياح ومهتدى ... وانا مذهبى ينبى عن الشيخ مالك
دياب يعاندنى على الغرب بملكه ... لما نصب رمحه فى عين المهالك
وحق الصفا والمصطفى سيد الوفا ... واقسم لمن للانس والجن مالك
الزغابه لابد بالحسام ابيدهم ... واخلى امير القوم فى الارض بارك
ايا سعدلو مالك مقام رهيبه ... وانت على الاقران تقر المناسك
رميتك بشوري فى بحور عميقة ... لكن انا ياسعد للعهد ماسك
وخلى دياب فى السجن يرتاح خاطرى ... ان قام هو جملى وان ضل بارك

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من هذه الابيات ذهب الامير سعد الى عند الزحزاح واخبره بما قال حسن وكذلك اخبر الاميرة بذلا بما كان من امره مع حسن فرجع الزحزاح فى الحال واخبر دياب عما بينهم من الخطاب واما الاميرة بذلا فقد اخذت معها جملة من نساء العربان وتوجهت نحو صيوان حسن واشارت تتشفع بالامير دياب وتتذكر الاهل والاحباب الذين شنقهم حسن على الاخشاب وتقول

قالت بذلا عند ما مال سعدها ... وعبرات عينى زايدات هدارها
وعينى تبات الليل مالها لف الكرى ... ونفسى حزينة من فراق حبابها
يكون الفتى فى طلعه الصبح سالم ... تاتيه عسرى فى توالى نهارها

غدوا الا لادكبدى هالكين على البكر ٤٨١ جرى دمهم على الاراضي غزارها
سبيهم دياب الخيل مرشوم فعايله شنق اخوته وجلب لنفسه عارها
اولاد موسى شنقـوهم جميعهم وعلوا مشانقهم ووطوا بكارها
وخلوا نساهم باكيات حواسر من الخيش لابسين حقارهـا
وزيان مع بدران مع زيد فاضل وغنسام قارسنا بيوم حصارها
ومنذر ومالك ثم همام واخوته وريان مع صغران كانوا سعارها
طرف مع مناع ومحمود بعدهم سليمان كان يركب لغالى مهارها
وسالم وماجـد مع سعيد وابنه وهدار مع مروان عادوا دمارها
عيـار مع بكار وابنه سايق وشاكروشكار من امارة خيارها
وزاهر وماهر مع عقيل وفايـد لهم سطوه بالحرب يوم شرارها
ثمانين من اولاد زغبي تذبحوا غدوا من البراري ماكلا لغرابها
وهم فداك اليوم يا امير ابو على ياعزنا ياحصننا ياخيارهـا
وهم فداك اليوم ياسيـد الملا ياعز قيس وعامر ياخيـارها
غدون بحـد المرهفات ذبائح مضت سعادتهم واقبل دمارها
اتوك بنات البدو ياسيد الملا حفايا عرايا هالعات حمارها
هدية وزها بنات مرعى وشمـا وزهيا ونجلا مع ظريفه وقارها
وطفى بنت دياب تبكى حزينة ونهيا وعليا لابسات حقارها
وبازق بنت دياب واختهم حسيبة وحسنا وست الاهل تندب رجالها
جنوب وخالتها جزع وبثتهـا وزهره وبدرة زادات وقارها
حسيبه وزهر البان ابنة مهـذب بنت الامارة مع نساه هلالها
نهبا وسعده مع امينه ونافلة بنات العذارى راخيات شعارها
وعين الظبا مع بدران هالعـة تقطع من القمصان غالى سعارها
ايا ابو على شرف البنات مع النساه ولا واحده الا وشقت ستارها
ومثلك ما يرضي الحـريم بذله ياما حزنا محروقات بنارهـا

قال الراوي فلما فرغت بذلا من كلامها والامير حسن يسمع نظامها فقال لها انا ما امنت على نفسي حتى حبست دياب والان اتركه من السجن فهـذا لحديث بطال وكلامك كانه المحال فارجعي الى الاطلال ودوك من المقال وكوني من هذا القبيل براحة بال فحينئذ توجهت مع النساء الى محلها وأما الامير دياب

فانه مازال يقاسي من العذاب وهو منتظر الفرج من الملك الوهاب حتى انه بلغه خبر قدوم الامير ابو زيد من بلاد نجد العدية فقال والله ما احد يقدر على خلاصي الا الامير ابو زيد فحينئذ استدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واشار يكتب الى ابو زيد ويقول

يقول ابو موسى دياب ابن غانم ... ونيران قلبي زيدات ضرام
بالله يابو زيد بلغ سلامنا ... الى حسن سلطان قوم كرام
وقول له يا عز قيس وعامر ... اطلق لنا الزغبي ابو غنام
يا ما حمانا والقنا بقرع القنا ... والاجواد من تحت العجاج هرام
لو قد علمت ان هذا يصيبنا ... من نجد ما اتينا بلاد الشام
ويوم الزناتي حيث كل ظعونكم ... وقتله اولاده وراه يتام
وملكتكم هذه البلاد بصارمي ... في حد مرهف بالوغا صمصام
تجازيني بالحبس يا سيد الملا ... وقد صار لي بالحبس سبع عوام
ومازال شاش الجيد يلعب به الهوا ... يشيل الاساري من سجون ظلام
اتيتك يابو زيد قاصد شفاعتك ... وما خاب من جاءك يريد سلام

قال الراوي فلما فرغ دياب من كتابة ختمة بخاتمه واعطاه للزحراح وقال له سر الى نجع ابو زيد وعطيه هذا الكتاب فاخذه وسار وجد في قطع القفار الى أن وصل لصيوان الامير ابو زيد فدخل اليه وسلم عليه وناول الكتاب لابو زيد ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فتكدر ابو زيد من حسن واتفت الى الزحراح وقال له بشر الامير وقول له متى انهت الزيارات عني اذهب لعند حسن واترجاه بدعوة دياب واذا بي ان بطلقه فاخرجه غصبا عن رقيته فقبل الزحراح ايادية وسار الى أن وصل لعند دياب فاخبره بكلام ابو زيد ففرح دياب واستبشر. وايقن ببلوغ الوطر. هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من امر الامير حسن وبني هلال الاسود الدحال يوم من ذات الايام. كان عيد عند العربان والامارة مجتمعة عند الامير حسن في الديوان فاخذوا يذكرون الوقائع المشهورة والفوارس المذكورة. وصار يمدحوا فروسية دياب وكيف انه ملكهم نجد بالسيف القرضاب وحمى البوش من الدشمان. وقتل الزناتي في الحرب والطعان ويستحق ان يذكر فضله مع الفرسان وكان موجود بالديوان اولاد الامارة والشبان. الذين لم يسمعوا بذكر دياب الا باللسان فتشوقوا الى مشاهدته وهاموا

فقبل السلطان حسن رجاهم وامر أن يأتى بدياب مغلولا بالقيود والحديد فلما الحال احضروه والجنازير قيدوه وامام السلطان اوقفوه واذا هو اصفر اللون بهيئة الموتى فصاروا ارلاد الامارة يضحكوا عليه واصلوا الاذيه اليه فقال له السلطان حسن كيف تري امورك الان بالذل والهوان فقال انى بخير ماذام حسن على راضي وبعد مداولة طويلة ارادوا ان يرجعوا الامير الى السجن فقال الامير دياب فما انا مشمشة تهزني ولا قمح تكدني بغير بالك فان كان الديب يصفى الغنم انت تصفا لى وانا بصفا لك فصاح حسن ويلكم دياب امسكوه والى السجن ودوه فعندذلك اخذ دياب يرتجف مظهرا على ذاته الخوف الشديد فوقع على الارض مغشيا كمن قارب النزاع فعند ذلك ترجوا الامارة الامير وقالوا له ان دياب فى حالة النزاع فامر أن يدخلوه دار الحريم عند اخته نوفله وما اتم كلامه الا وحضرت الرجال ورفعوا دياب بكل اكرام الى بيت اخته فلما نظرته على هذا الحال وهو محمول على ايادي الرجال فصرخت بالبكاء ومزقت ثيابها واخذت تقول

حرام لقد جاروا العداوة وقد بغوا ... علينا ونحن بالكروب نسير
لقد كنا فى عز وكنا بنعمة ... وكنا برغد ما عليه عسير
فبتنا نقاسي الهم والويل والضنا ... وتجرى الدموع على الخدود غزير
وقد كنت يا امير الامارة وسيدهم ... كسيح الفلا فى الفاضيات نشير
اذا هاج سوق الحرب كنت اميره ... تكر على الاعدا مثل الزير
وتحتك خضرا مثل فرخ نعامة ... تدق الثرى في رجلها وتطير
ما كان ظنى يادياب ابن غانم ... اشوفك بهذا الحال والناخير
تشال على ايدى الرجال كميت ... وتبقي تقاسى الذل والتحقير

وما زالت نوفلة تردد الاشعار وتسكب العبرات الى ان فقدت الاكباد واحنت الاجساد فبكي معها كل من حضر وقالوا والله يحق لها أن تعمل اكثر . لان الامير دياب فارس مشتهر وبطل غضنفر واخذوا يطيبون خاطرها وبسلامة الامير دياب يطمنونها فما نشفت دمعتها ولا زالت نكبتها وما خفت مصيبتها بل اسرعت ومدت الى اخيها فرشة من ريش النعام واخذت ترش عليه ماء الخزام وهو ينتفض ويرتعش مما به اهان وبقى على هذا الحال ثلاثة أيام لا يذوق طعام ولا يقابل منام

(انتهى الجزء الثالث والعشرون ويليه الجزء الرابع والعشرون)

الجزء الرابع والعشرون من تغريبة بني هلال

وهو يتضمن على قتل السلطان حسن ورجوع لامير دياب من عند الملك جوهر ملك بلاد الحبش

وهو يستقيم الفرص حتى تاصف ليل اليوم الثالث فدخل على الامير حسن وهو غريق المنام فعند ذلك سحب الشفرة التى كانت معه فى أيام حبسه وبسن فيها وهو محضرها الى مثل هذا الوقت فاطرح على الامير حسن وذبحه من الوريد الى الوريد وتركه يختبط بدمه وسار يجد السير تحت ظلام الليل حتى وصل الى قومه وعشيرته عند الصباح ففرحوا به غاية الافراح وانسروا كثيرا برؤيته واخذوا يسالوه عن قصته وعن كيفية اطلاقه من سجن الامير حسن واخذ يقص عليهم القصة ويخبرهم كيف صار من البداية للنهاية ويقول

يقول دياب قاهر للشداة ... وكل مقدارا لابد ياتى
ومن يعمل جميلا قد يجازى ... عليه بمثله فى الانباتى
انا ناقى لقيس وآله عامر ... يحد السيف يوم الكماتى
سبع سنين لى بحبس بن شما ... سبع سنين عدة كاملاتي
نهشنى الفمل مما قد دهاني ... والنحل عشش فى عبائى
فلا حسن ارثي لا مصابى ... ولا ابوزيد يسعي فى فلاتى
أنا بالسجن قاسيت البلايا ... ولكن قلت صبرا ياحياتى
أولاد الامارة قد انونى ... يشوفوا دياب عز المحصناتى
لما شفت ان السجن قصرى ... اتيت المكر من بعد الفواتى
جسمى قد صبغته بماء تين ... وصرت امشى وعكازى عصاني
فى استهزؤا كل الاماة ... مع اولادهم حتي البنات
والسلطان حسن لما رآني ... دعانى كيف حالك طيباتى
ونادى يادياب ذليت قلى ... من الجنزير خال السابقاتي
وكيف الحبس أخبرني حقيقا ... وهل أتاك ليل مظلماتى
اجبتوا ياحسن والله انى ... بالفين خير ياأكبر عداتى
ان كان الذيب يصفى للغنايم ... يصفا لك على طول الحياتى
انا ان عانني رب البرايا ... تا فنيكم يضرب المرهفاتى

لما قد سمع للقول زجره ٤٨٥ كسبع الغاب فى ارض الفلاتى
ونادى بصوت سياف اتاني بيده سيف سيف الزاعقاتى
لما شفته استعملت مكرى وفوق الارض انا رميت ذاتى
والسلطان حسن لما رآني نادى شيل رأسه عاجلاتى
انى ابوزيد مثل الغول يرمى و بصوت مثل النايحاتي
وهجم بالسيف للسياف لما رانى على الثرى مثل الموتى
للسلطان نادى يا ابن شما فعال الغدر ليس بصالحاتى
ونحنا ياحسن لسنا نطاوع بقتل دياب بن المكرماتى
فالسلطان حسن بالحال نادي يشيلوني لاختى بعاجلاتى
شالونى على الايدى وساروا لبيت اختى وروحى ذايباتى
لما نوفله شافت اخوها بدت تبكى بدمع الساكباتى
مدة على الثرى من الفرش سبعة وفوق اللحف اقعدت لى عباتى
ثلاث أيام ابقيت المنامة ونار المر فى شاعلاتى
بنصف الليل قمت بكل عزمي وللسلطان قصدى بالمماتي
ذبحته ذبحنا قد راح فيها واسكتنه بدار الزابلاتى
وسرت الليل امشي بكل سرعة حتي وصلت ارض ومفرجاتى
هذا ماجرى يا اولاد عمي شدوا للرحيل الصافناتى
وخلونا نسير بكل همة ونوسع بالفلا بالشايلاتى
هدوا كل خيمة واحزموها وشدوا الخيل قبل المدركاتى

قال الراوى هذا ماكان من الامير دياب وهو يقص ماجرى له على أولاد عمه فلما سمعو ماقاله دياب وعلموا انه قتل الامير حسن انقلبت افراحهم الى اكدار واظلم فى وجوههم النهار وما منهم أحد الا وكبر ولعلامات الحزن والاسف اظهر قالوا والله يادياب لقد فعلت فعلا منكر وركبت طريقا ضيق المسلك والجناب وسديت فى وجوهنا الابواب بقتلك الامير حسن بن عمنا فكيف تجاسرت على هذا العمل وهو صهرك واميرنى هلال وكاشف ضرك والان قد أصبحنا عيرة عند العرب الكرام الذين يحفظون الزمام فسوف يصير بنا كما صار مع جساس بن مرة والامير كليب ومن الان أصبحت عداوة كبيرة بين عشائر بنى هلال وسوف يصلون الينا أوشم حال هذا وما زال بمثل هذا الكلام للامير دياب حتي كرهت نفسه الحياة

وقال يا ابناء عمي وزراقين نعمي وعلمي وقد صار ما قد صار وبقي الندم
فالندم على مافات من أشد الحسرات والان الاوفق لنا ان نرحل من هذا المكان
ونوسع بالبر والقيعان قبل ان تدركنا جموع بني هلال وتلعب بيننا و بينهم السيوف
الصقال والرماح الطوال فلما سمعوا كلامه وفهموا مرامه قالوا ان هذا الاحسن
لنا لئلا تدركنا جيوش بني هلال و يتسابق بيننا القنا فما لساعة هدموا الاطناب
وادعوهم ظهور الجمال واركبوا النساء والاطفال وصاروا بعاجل الحال وكانوا يجدون
بقطع الروابي والبطاح و يوسعون بالبر بتلك النواح . هذا ما كان من امر الامير
دياب واولاد عمه واما ما كان من آل قيس وآله عامر فان عطور الجيد انبتت
من رقادها وشاهدت الامير حسن قتيل وفي دمه جديل فصاحت باصوات البكاء
ومزقت ثيابها على هذا البلاء وناحت وولولت بما يذيب الاكباد و يفتت حجر
الجماد فترا كضت جموع بني هلال على بكاها واسرعوا لينظروا ما قد دهاها فوجدوا
ان الامير حسن مطروح على الارض قتيل وفي دمه جديل فعلت منهم الاصوات
وسكبوا العبرات واكثروا التنهدات فسمع ابو زيد الصراخ فوثب بعاجل الحال
وخرج يستقصي الخبر فنظر جموع بني هلال مزدحمة على صيوان الامير حسن فصاح
صياح الثكلاء وزاد النحيب والبكاء ورمى شاشه عن رأسه ورضع عليه
التراب واخذ ينتف لحيته وتقدم الى الامير حسن ووقع عليه يقبله ومن عظم ما اعتراه
وقع على الارض مغشيا عليه فترا كض الناس واخذوا يرشوه بماء الخزام و يطيبون
خاطره بالكلام وهو يئن من قلب جريح و ينوح و يصيح وما زال على مثل هذا
الحال حتى جرح القلوب فوق جرحها فتقدم اليه أولاد الامارة واخرجوه الى خارج
الصيوان واخذوا بخاطره من هذا الشان وقالوا له يا امير ابو زيد ان بقيت على هذا
الحال تفقد حياتك بدون محال فتيتم على فقدك الرجال و بمثل هذا الكلام كانوا
يخاطبونه حتى سكن روعه فالتفت الى النافلة وقال لها يا نافلة اين كنت لما فعل
اخوك هذه الفعال وحين قتل سيد الابطال وسلطان العرب والعجم والترك والديلم
فزادت بالنحيب والعويل واخذت تخبره بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

تقول فتاة الحي ام بريقع ... ولي هم في قلبي لمن اشكيه
وبي علة طي الفؤاد مقامها ... ونار الجوى في ضاحري تكويه
وان كنت اشكي الحال تشمت بي العدا ... وان ما شكيت الحال كيف اخفيه
وما شكوتي الا لربي وخالقي ... ذاك الذي للسر قد يدريه

لامهر للمره من حكم القضا ... لا يمنع الانسان ما ياتيه
اهدي لربي الحمد ما طير شدا ... سبحي وشكري خالقي اهديه
ربي قضاه بفراق عرى وسندى ... عن ناظري يامقلتي ابكيه
ابكى معى ياطير طاير بالفلا ... ابكى حسن واليوم قوم ارثيه
ابكى معى يانجم ابكى ياقمر ... ياشمس ابكي ودمعك ابديه
ابكى معى يا غم ساير بالفلا ... يارعد ابكى عا البطل الفقيه
زيد البكا يارمح لفراق الحبيب ... راح القضي ياعين لا تسليه
بالله ياوحش القفار ابكي حسن ... وزيد البكا بصوت الاسف ناديه
ياغصن يانع قد ديل لا يرتجم ... ياحصرتى صار القنى طاريه
يا آل قيس اندبوا شبل الاسد ... نور الهدى ليل الردي كافيه
سيفه المهند ياماح ابكوا معى ... يادرع سيدك ان تفدى فيه
خيل الاصايل ادمعوا وزيدوا معى ... كثر البكايا يامقلتى زيديه
ابوزيد اسمع لى كلامى وافهم ... ركني انهدم من لى بقى بنيه
لما اتانى دياب فى حال الردى ... ظنيت ان القبر قد يفنيه
ناديت باوشم نار ياقلبي اكتوى ... دياب بن غانم بالحشا افديه
لكن انى والمكر لم ادريه ... ابدى الحيل نحوى بلا تشبيه
لما الدحي ارخي علينا حباله ... دياب بن غانم يسرى فيه
ادعى لسلطان البرايا مجتدلا ... فوق الثرى ياحيف من يشفيه
ياليت أخى بالعمر ما يلقى هنا ... وفى كل شدة ربنا يبليه
يدعيه في حال الضنا وحال القنا ... بين العدي بالذل قد برميه
شمت بنا الاعدا وشتت شملنا ... يارب طول العمر ما تهنيه
اكتب له كل المخاطر والكروب ... عن ما فعل يارينا جازيه
ياحيف ياسلطان حسن فوق الثرا ... تبقى قتيلا والدما تجريه
لك صيت فوق الشمس يا بدر الرفيع ... لك ذكر غيرك ما احد حاريه
ابوزيد ابكى قد مضى السلطان حسن ... ياعين سيدك اى متي تلاقيه

قال الراوى فلما فرغت ام برقع من كلامها وابوزيد وجموع بنى هلال يسمعون

نظامها كثرت منهم الاصوات وزادت بينهم الصرخات وعلت التنهيدات وظهرت الانات وقامت الحصرات وجزت شعورهن النساء والبنات وهطلوا الدموع كالامطار الكبار والصغار واقبلت اخته الجازية وهي تصيح من قلب جريح وتبكي بدموع غزير على مصابها وتنتف شعرها وتمزق ثيابها وتضرب رأسها بالحصى وهي تئن انات الحساء وتندب اخاها الامير حسن وتقامى لاجله المحن وتقدمت ووقعت عليه تقبل قدميه ومن عظم ما اعتراها انطرحت على الارض كالاموات حتى ظهر انها فارقت الحياة فتراكضت النساء ورشقوها بالماء وقاموها على الثري وهي تولول وتصيح حتى دعت منها كل قلب جريح قال الراوي عند ذلك طافت الارض بما سقط عليها من الدموع واجتمعت الاصوات سائر عربان تلك النواحي والربوع فكان يوم حزن يالله من يوم اظلمت شمس الافراح واشرقت شموس الاتراح وكثر البكاء والنواح والجازية تزيد بكاها وتندب اخاها واشارت تقول

تقول فتاة الحي ام محمد ... دمعي جرى فوق الخدود وساح
في طي قلبي النار زاد لهابها ... تبكوي الحشا ولدعاتها تجرح
يا لوعتي من يا ترى قد ذاقها ... يا نوح قلبي من كنوحي ناح
ابكي على اخ تركني وقد غدا ... يا حسرتي ما عاد لجسمي جناح
يا حيف يا سلطان حسن فوق الثرا ... تبقى تجندل بالدماء سياح
يا حيف سبع الغاب عنا اليوم سار ... لاجل بعد السبع عقلي اليوم راح
يا دمعتي ماظن من عيني تزول ... والله نقضي العمر بالاتراح
عامود ركني قد هبط يا نكبتي ... طول المدى ما انظر الا فراح
طير الغراب يصيح في صوت قبيح ... واليوم فوقي قد اتى بصياح
من بعد عزي صرت ابكي ودمعتي ... زادت على وما لها من ابراح
الله يجازي من سعى بفراقنا ... من كان لسلطان حسن ذباح
شلت ايادي ذاك الواغدين ... ولى وخلى دمنا طفاح
يدعى عليه ما طار طير بالفلا ... يدعي عليه ما الفصن فيه الرخ راح
ابكي معي يا آل قيس يا كرام ... زيدوا معي يا آل عامر يا انواح
يا جمع هلال سافر سيدكم ... ما عاد يرجع قصفوا الارماح
سيوف الهنا اكثروها بالعجل ... ادعوا الخيول تروح للاسراح
ها نوا العايم اصبغوها اليوم سود ... بحر الاسف موج الحزن قد لاح

حاكم الاقطار سلطان العرب ٤٨٩ ومدبر الفرسان يوم الطعن ناجح

يابين ماهذا العمل فينا رميت ... سهم النوى ياحيف اطلقت الجاح
ياسامعين صوتي معي اندبوا ... ظهري انقطع عقلي ذهب فكري كدح
قد قل حيلي انهدى جسمي ياري ... مثلي بكل الناس صابته جراح
تسعين في تسعين الف ومثلها ... قد كنت حاكم ياحسن قوم ملاح
واليوم فارقت المنازل والربوع ... خليت كثر الهم بعدك والكفاح

قال الراوي فلما فرغت الجارية من رثاها وجموع بني هلال ناظرين ماقد دهاها ومن الهم والغم قد اعتراها صاحوا عن فرد لسان الله اكبر على من بنا غدر فما هذا المصاب الذي أصابنا وما هذه النكبة التي بها نكبنا وما هذه البلية التي كاس مرارتها شربنا. قال الراوي وكنت تشاهد جمع بني هلال بالحزن الشديد الذي ما عليه من مزيد والكل شاخصون ناظرون الى جثة الامير حسن ودموعهم تهطل على الارض كالامطار لما هم به من الكروب والمحن وما كان الا وتقدمت مريم ابنة زهر البان الافرنجية زوجة ابو العرف ووقفت فوق رأس الامير حسن واشارت تقول

دمعي جرى من فوق خدي وانسكب ... والنار في قلبي تزيد كثر اللهب
يا بين شمت العدا فينا وما ... كان العهد سيف الغدر قد بنسحب
شمس المعارف اظلمت انوارها ... والليل أصبح بالمخاوف والكرب
بدر العلى ياحيف من فوق الثري ... يبقي طريحا والغراب فينا نعب
ياكوكب الاقبال يا امير حسن ... ياعزنا يافخرنا يامنتسب
ياحيف هذا الوجه يعلاه الكدر ... ياحيف هذا القد يفنيه التعب
فارقتنا ياحل يوم فراقنا ... ماذا جرى لفراقنا ماهو السبب
اصحوا ايجموع هلال شخصك خاسرين ... صبحوا يتامى في الضنا واكثر الشحب
الله يجازي دياب في حال العمى ... الله يجازي دياب في هم وتعب
ارمى قلوب هلال في نار اللظى ... وادعي الدموع تسيل من حر النوب
والله تقضي الليل في امر النحيب ... وساهر الغرار في قول العتب
ياصور مانيح كان ظني مالا يغيب ... واليوم اضحي الصور فقرا انقلب
ياشبع الجوعان يامعزي الحزين ... ياسيد المكروب يامولى العرب
آواه ناري بالحشا ماتنطفى ... يانكبتي ياحسرتي ركني ذهب

الله يلقي البين شتت شملنا ٤٩٠ الله يسلب عمر من عمرك سلب
غاديا عنا معك خذ للقلوب ارواحنا تفداك ياحاوي الاداب

قال الراوي فلما فرغت مريم من قصيدها والكل يسمعون تعديدها هطلت من عيونهم لدموع كالمطر وكل منهم علاه الاصفرار واصبحوا كالاموات. لما سمعوا من مريم هذه العبارات وصاحوا بالبكاء والنحيب والولولة والصراخ ثلاثة أيام يبكون على جثة الامير حسن ويرسوها بالقصائد العربية ويقصفون لفراقه الرماح الرديني ويكسرون السيوف المحنية وفي اليوم الرابع اجتمعت مشايخ زحلان ودربد وتقدموا الى الامير ابوزيد وقال له اعلم ايها الامير انما قد صار لنا بكا ونواح وان بقيتم على هذا الحال لاشك يموتون كل جميع بني هلال فاحسن رفع جثة الامير حسن ودفنها الان كرامة الميت ماواه في التراب وبذلك امر رب الارباب فاجابهم ابوزيد الى ماطلبوا ووافقهم على مارغبوا وتقدموا الامارا بكل وقار واحترام ورفعوا جثة الامير حسن وغسلوها وبرواح المسك والطيب رشوها وضمن التراب وضعوها وذبحوا على قبره من الجزور والاغنام ما يكل عنه وصف اللسان ثم اقاموا قبة على القبر وزينوها بكل زينة وكتبوا عليها بماء الذهب اسم الله الاعظم وتحته اسم الامير حسن ثم رجعوا كل العربان وعملوا مناحة لم يجرى مثلها من سالف الزمان. قال الراوي وكانوا يندبون ليلا ونهارا ويقدمون المراثي أشعارا وكنت ترى العربان تاتيهم من كل مكان ويعزوهم على فقد الامير حسن. هذا ما كان بهذا الشان وبعد ما انقضت أيام المناحة وسكن روعهم بتلك الساعة فاجتمعوا في عسيوان الامير ابوزيد وقالوا له يا امير هلال ماذا تامر ان يصير باخذ ثار الامير حسن. فاننا والله لا نرتاح ولا نكشف البكاء والنواح ولا تبرد في قلوبنا الجراح. ولا نساعتنا تجتمع بنا في الاطناب الا ان ناخذ لهم الثار ونكشف عنهم المذلة والعار ونقتل دياب بن غانم ومن معه ونجعل آل غانم مشتتين في كل الاقطار لا يقر لهم قرار ونبقي نذبح فيهم كبار وصغار حتى لا يبقى منهم من ينفخ نار ونيتم الحريم والاولاد ونجعلهم عبرة نسل الاوغاد فاجابهم ابوزيد الى ماطلبوه ووافقهم على مارغبوا وقال لهم وحق الركن والحجر والبيت المطهر انكم لو تعلمون مابقلبي لرثيتم لحالي فاني اول من يتقدم لاخذ الثار وكشف العار. واني والله سوف انزله في آل غانم الفنا ولا ابقى لهم بقاء وسوف اصلب دياب على رؤوس الجبال وابقيه باوشم حال واجعله عبرة ان اعتبر بين سائر البشر ولا تحسبون سكوتي من التاخر بل كنت صابر لتاخذوا

راحتكم من البكا والتحسر والان صار الاولى بنا ان نستعد للرحيل فى اثر آل غانم ونوقع بهم الم ثم ففى هذه الليلة نادوا بين البيوت بهذا الشان واخبروا البنات والنسوان ان يستعدوا للرحيل ويبادروا للسفر بكل تعجيل فاننا بعد ثلاث ايام نقصد آل غانم الى اين ساروا ونتبع اثرهم ولو طاروا هذا ما كان من الامير ابو زيد فعند ذلك طافت الرجال بين الاطناب واخبروا بهذا الامر بدون ارتياب ومامضت الثلاثة ايام الا وكنت ترى النساء على ظهور الجمال والاطفال راكبون فوق الجمال والرجال على الخيول السوابق معتقلون بالرماح الطوالق والسيوف الرواشق وفى مقدمة الجيش الامير ابو زيد حامى جيوش بنى هلال وهو أمامهم كالاسد الرئبال وتحته اشهب وعليه سرج مرصع بالذهب وهو فوقه يموج بحر السرج كانه قلة من قلل آو قطعة فصلت من جبل بيده رمح ماضى السنان وعلى جنبه سيف يمان وقد افرغ على صدره درعا من البولاد محبوك بالزرد هذا وقد انتشرت البيارق والرايات ودقت الطبول فسمع لها رجات واخذت الخيل تتسابق والركاب مع النساء والاولاد تلاحق وكانوا جمع كبير وعدد غفير فعند ذلك أخذ ابو زيد يقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه ... والنار فى قلبى تزيد شعال
والخيل تعرف انى ماركبتها ... الا جعلت القوم باشم حال
لى سيف ماضى الحد قطاع الرقاب ... لو صامى صخر الصم فيه قلت مال
والرمح بدرى انه اليوم اللقا ... يروى دما الفرسان والابطال
بالله اسمعوا بالله افهموا يا قومنا ... وكونوا سياعا للقا يا هلال
اليوم أخذ الثار من زغبى دياب ... ذاك الذى ارمى حسن بنكال
شدو العزائم يا هلال وجردوا ... للحرب ما تكونوا به انذال
وتذكروا السلطان حسن كيف انقضا ... وكيف قد غدا والدم منه سال
عاداتكم بالحرب ترمون العدا ... فوق الثرى وتقطعوا الاوصال
من فى محال الطعن لوى او ينهزم ... هذاك عندى من بنى الارزال
بالله يا قبر الذى فيه انوضع ... ابن المكارم يا أسد يبال
اهدى سلام القلب للسلطان حسن ... وكرر الاشواق للمفضال
وابدى له باسان خاطر من الزعل ... وخبره ان هلال اليوم شال
وحياة عينيك يا حسن لازم أكيد ... ناخذ لثارك بالقنا ونصال

لازم ما اقطع راس هذا الوغد اللئيم د ٤٩٢ باب ابن غانم من هذا احتال

وادعى الزغابا بالضنا طول الابد وادعى النسا بالضيق والاهوال

ماقال ابو زيد الهلالى المنتسب فى يوم سوق الحرب أنا الدلال

قال الراوى فلما فرغ ابو زيد من كلامه وجميع بني هلال يسمعون نظامه صاحوا عن فرد لسان والله يا امير ابو زيد انا نقديك بارواحنا الا لك مضمد اجراحنا وما فينا ولا واحد الا وقلبه من النار واجمنا نشتاق لاخذ الثار وكشف العار فعند ذلك سار وامن ساعتهم الي طلب بنتهم وسار الواسائر ون اناء الليل واطراف النهار الى ان دخلوا ترنس الغرب وتلك الديار فلاقتهم اهل تونس وقدموالهم الخضوع والطاعة وما كان فى تونس من آل زغبى الا الذليل فاتوا الملاقاة عاصبين على أعناقهم المحارم واظهروا للامير ابو زيد الحزن والاسف الزايد على الامير ومامنهم الا وكان يلعن دياب بالشفة واللسان فسالهم ابو زيد عن دياب فاجابوه انه من مدة ايام رحل الى بلاد الحبش هو وبعض قوم بني زغبى فلما سمع الامير ابو زيد هذا الكلام أصبح النور لديه ظلام وامر الجيش ان يبقوا على ظهور الخيل فاندفقوا فى ذلك البر كالسيل وكانوا بالعدد ثلاثماية الف فارس وكل منهم بالحديد غاطس فجدوا السير فى اثر الامير دياب وما زالوا يبكاشفون عن دياب الى ان ضاق بهم الحال ولم يعلموا الى اين رحل فكادون يهلكون من الجوع والعطش فى ذلك البر المقفر فرجعوا على الاعقاب وقلوبهم من دياب نار الالتهاب ولما وصلوا الى الاطلال نصبوا الامير ابو زيد سلطان عليهم وعلى جميع بلاد الغرب . هذا ما كان من امر الامير ابو زيد واما ما كان من الامير دياب فانه مازال يقطع الروابى والقفار ويوغل فى الحراش والاوعار الى ان وصل بلاد الحبش وتلك الاقطار فسمع به ملك تلك الديار فخرج للملاقاته بكل استعداد وكان راكب على جواد اشهب عليه سرج مرصع بالجوهر والذهب ومعه الاحشام والاعوان والعبيد والغلمان والنساء بالدفوف والمزاهر وفى ايديهم من خاص الجواهر المملوه بالمسك الزفر فلما التقت الرجال بالرجال نزل الملك عن جواده وترجل وهكذا كل من معه فعل وحيوا الامير دياب تحيات الاصحاب وقالوا له انتم عندنا اعز الاحباب فتقدموا اللذا واخذوا رشوا عليهم الطيوب التى تشفى الكروب وعند ذلك ارسل بهم الملك الى المضارب والخيام وذبح لهم الجزور والاغنام واعطاهم احسن مجلس ومقام وقال لهم انتم السادات ونحن العبيد وكلما

يقول سلطان جوهر من ضميره ... الا يا مرحبا في ابن غانم
لقد شرفتنا وجعلت أرضا ... بها حلت ركابك بالغنا
وكوكب سعدنا وافى الينا ... وصار الوقت منك اليوم باسم
تلاعبه المفاخر مذ اتيتم ... الى أرطانا يا بن الاكارم
نحن عبيدكم للدهر نبقا ... الا يامعشرا للخير قادم
سمعنا بذكركم في كل ارض ... عربها وتركها مع الاعاجم
تولعنا بكم عن طول بعد ... محبتكم لنا اضحت تلازم
وهذا اليوم قد شاهدنا فيكم ... ليوث الغاب والاسد القشاعم
فقد طاعتكم الدنيا جميعا ... لكم أضحى هل السعد خادم
لقد طيعتموا عرب البوادى ... ملوك الارض نهديكم نعائم
قتلتون الزنانى وقد سقيتم ... لمن عاداكم مر العلقم
فعلتم فينا امرا مستحقا ... له نفديكم في كل سالم
وقد كنا الجزية كل يوم ... لنحو الزنانى من بالوجه قاتم
ولكن صرنا احرارا بهذا ... وما الا بكم يا آل غانم
فرحنا في قدومكم جميعا ... فرحنا زايدا والله عالم

قال الراوى هذا ماكان من الامير جوهر صاحب التاج الجوهر والملك المظفر وأما ماكان من الامير دياب فانه شكره على مابداه وزاد في مدحه عن كلما اياه وقال له اعلم يا ملك جوهر اننا قد اتينا لك ضيوف لنقيم عندك مدة من الزمان و بعد ذلك نرحل عنك فقال لهم اهلا وسهلا بكم ثم نزل الامير دياب في أحد قصوره وفرض لهم مكان واسع واعطاهم محلا يرعون و بقى الامير دياب مع الامير جوهر في عزوا كرام و بسط وانشراح مدة من الزمان يبقى له كلام يرجع الكلام الى الامير ابوزيد فانه ذات يوم جالس وحده في بيته يذكر ارض نجد وعزها وما لاقي فيها من الهنا والراحة في أيام الصبا ثم تذكر الاهوال التي لاقوها في الطريق حتى وصلوا الى بلاد الغرب وتذكر زيدان والخفاجي عامر والقاضي بدير بن قايد وعقل و نصر و بدر بن غانم فجعل يبكي وعلى أولاده واولاد الامير حسن الذين قتلهم العلام فصار يبكي و ينوح ثم تشوق الى رؤية الامير دياب وحنت جوارحه الى لقياه وقال هذا رفيق عمري وحامل الشدات معي وان كان قتل حسن قتل بيومه ثم خطر

بباله ان يرسل يستعطف بخاطر الاميرياب و يطلب منه ان يرجع الى بلاده وأشار يقول

يقول ابوزيد الهلالي سلامه ... الايام صافيها عسكر ياقوم
رحلنا من نجد العدية بلادنا ... والقلب من كثر الهموم مسقوم
وصلنا الى تونس بلادا كبيرة ... وشفنا بها الخيرات وكل قروم
عرف بنا الملك الزناتي خليفة ... حبسنا وها نونا وصرنا عدوم
عشرين مرة للعشاق انوابنا ... ولولا سعدا عمرنا معدوم
سريعا من الرحمن جتنا شفاعة ... بنت الملك تشفع لنا ولزوم
وقع قلبها في حسن مرعي تبادرت ... وقالت لابوها لا تكون ظلوم
ظلمت الغريب يا ابي ارفق بحالهم ... أخاف ديارك ان تكون ردوم
فقال لها رواد جاءوا بلادنا ... يريدوا أراضينا وكل نخوم
فقالت احبس الاولاد واطلق ... عبدهم روح يجب المال يامكروم
فامر باطلاقي وحبس رفاقي ... وجيت الى نجد وانا مغموم
وخبرتهم ماصار فينا وماجرى ... وكيف الزناتي قد عرف المكتوم
فنادى بن مرحان الرحيل تحملوا ... وسرنا على نور القمر ونجوم
وجينا الى حزوة نزلنا بارضه ... قتلنا الدبيسي وقد غدى مهدوم
وجينا الى الاعجام قتلنا ملوكها ... ملكنا اراضيهم وكل نخوم
وجينا الى بلاد العراق بظعننا ... وجينا الخفاجي الفارس القيدوم
وجينا الى حلب قتلنا بعرها ... يسمى الحزاعي من الروم
وجينا الى زرقة شبيب بن مالك ... قتلناه وأصبح قصره مهدوم
وجينا الى غزه قتلنا المركمي ... يكنى بن نارب فارسا معلوم
وجينا الى وادي العريش بقومنا ... والبردويل فقد غدى مردوم
حاربنا الفتى غانم بن عجاجه ... في الاسكندرية قد غدا مهزوم
وجينا لمصر والصالحيه ونزلها ... قتلنا الملك فرمند كبير القوم
فلما قربنا للصعيد وارضها ... نزلنا على رياض لها وكروم
لاقانا الفتى الماضي بن مقرب ... وقام بواجبنا مع المرسوم
ومن قبلها عدة ملوك تقتلوا ... بعزمي وعزم دبابنا القيدوم
وصلنا الى تونس نزلنا بارضها ... ملينا أراضيها وكل التخوم

اهني قروم من هلال وعامر ... تمانين اميرا والبوقي لزوم
ولا عجز عن قتاله جميعنا ... بعشاوري الزغبي ببعض كروم
قتله ابو وطفى دياب بن غانم ... وترك دمه من فوق التراب يعوم
ملكنا بقتله الغرب وكل نخومها ... وراحوا الزناتيين راحوا قسوم
وحط دياب الرمح من فوق بوابها ... وقال امرقوا تحته وذا مكتوم
اناه الفتى حسن الهلالي ابو علي ... قطع لرحه وادعاه خمس قسوم
و بعده ملكنا السبع نخوت جميعهم ... بعزمي وعزمك ياحماة القوم
ومن بعدها عملوا على الزغبي حيلة ... سبعة سنين في كدر وهموم
سبعة سنين بالحبوس مقيدا ... سبعة سنين في كدر وغموم
تشفع في آل دريد وعامر ... ولولاي قد كان راح بقا مسموم
واخرجه من بعدهولة وشدة ... وقلبه على حسن بقا مسموم
قتل حسن من فوق عالي فراشه ... وخلا دماه بالفراش يعوم
ومن بعدها قد سار عنا غاضبا ... واقام عند الحبش مكروم
دياب اميرا فارسا لا ينسخى ... فيه ولو قتل لكل قروم
فيا أيها الغادي على متن ضامر ... تسبق هبوب الريح مثل نسوم
اذا جيت الزغبي دياب بن غانم ... فاعطيه مكتوبي مع المرسوم
وقول له قال الامير سلامه ... عليك سلام الله ياقيدوم
وسلم على كل الامارة جميعهم ... سلام محب من فؤاد رحوم
الا يا دياب الخيل اسرع بلا بطا ... وارحل باهلك يا امير وقوم
تعالوا جميعا كي نعيش بنعمة ... ونبقي بخير وجمعنا ملموم
وما مضى يا ميراح وانقضي ... ونحن على عهد القديم ندوم
وما دامت الدنيا وما كان قبلنا ... ولا ظن شيء غير الاله يدوم
مقال ابو زيد الهلالي سلامه ... وانالك مسعفا بلا مكتوم

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه وارسله الى الامير دياب مع النجاب فاخذه وسار يطوي الفيافي والقفار حتى وصل الى بلاد الحبش وتلك الديار فسال عن المكان الذي نازل فيه الامير دياب فاهدوه عليه وسار اليه وقبل الارض بين يديه واعطاه الكتاب اخذه منه وفضه وقرأه وعرفه

رموزه ومعناه ثم بعد ذلك أقلم وقرطاس ودواية خذ من الذهب الخاص واشار يرد الى الامير ابو زيد ويقول

يقول الفقي زغبي دياب بن غانم ... انا تراني في المنام عريف
اعرف فرسان الحرب جميعهم ... خبيرا بشدات الزمان عنيف
ترى كل مستغني عيوبه قليلة ... ولو كان أصله بالانام خسيف
وعيب الفقي الممتاز للناس ظاهرا ... ولو كان أصله جيدا ومنيف
ولو كان عنتر عبس في حومة الوغا ... ولو كان مقري الوحش امير مخيف
والمال يعلي رأس كل مرذله ... ويرفع لقدر الكاذبين شريف
ومن كان خالي المال والمال زمانه ... عليه الانام مع الزمان حنيف
نزلنا على قوم كرام بلا خفا ... وقمنا ركان الدهر دهر ظريف
واذا باتت الرعيان باتوا بنعمة ... يناموا ولا يخشوا كلام مخيف
ولكن بلادا بالشناعة والبلا ... ذقنا بها الشداة والتقريف
واما الحبش كفى الله شرهم ... ترى مواضعهم بلا ترصيف
فلا يلتقوا الضيفان بوجه باسم ... ولا يستمع منهم كلام لطيف
وعندي من البيض الملاح مليحة ... كبدر بلالي في ظلام كثيف
عليها من اللبس الحرير كوامل ... اساور حجول بالذهب ترصيف
بنات البدو سود العيون قوامهم ... اذا ماشوا حسبتهم رمح ثقيف
ولكن نسوان الحبش كعجيبة ... والوجه منهم كالحا ونشيف
ترى الواحده كالفاق قولا اشنعا ... قبيحة وخيمة ما بها تنظيف
بسنان صفر والعيون مفنجرة ... لها معصم يابس كحبل الليف
ترخي كرادين لها فوق صدرها ... و بالاكل مثل الكلب عند الجيف
اذا شافت الميا تبقى مشمرة ... تقول ذبالاخرج من كنيف
بدين سود والقوادم شولح ... والظهر احدب مثل قوس ندف
ياغاديا مني على ظهر ضامر ... نجد الثرى بثقلها وخفيف
اذا جيت نحو بن رزق سلامه ... مربي اليتامى والزمان حنيف
سلم عليه ثم انم جبهته ... وقول له قولا بلا تعنيف
من كان في قومه ويرحل لغيرهم ... فذاك مجنون وعقله خسيف
لولا حسن بالامير ما كان هاني ... حبسي بحبس مظلم ومخيف

ففاضيت شدات وهما ولوعة ٤٩٧ ابكي وانعى والدموع رديف
وبهتف بالقتل في كل ساعة واندب لحالي مثل ندب ضعيف
اولادي قتلهم مع عمامي وغيرهم نسانا حزانا مالهم وليف
حلفت اني اقتله ولو كان والدي وامر الهي مابه تكليف
مضي مامضي يابن عمي وصاحبي والكاتبة ربي مابه تحريف
فان كنت ترضى ان اميش سويه فسامح وكون يا امير عفيف
مقال الفتى الزغبي دياب المنتخب فلست جبان ولا انا خويف

قال الراوي فلما فرغ الاميرياب من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه واعطاه لي رسول الاميرابوزيد وقال له ان كان مرادك ارحل الى بلادي ونجتمع سوى يرسل لي من طرف بعض الامارة وبذلك يكون قلبه محب وكلامه عن رداد فاخذ الجواب الرسول وسار وجد يقطع الروابي والقفار حتى وصل الى بلاد الغرب فدخل على الاميرابوزيد واعطاه المكتوب وبلغه كلام الاميرياب فاخذ الكتاب وقراه وبعد ذلك استدعى بعشرة اماره من اولاد عمه واولاد عم الاميرحسن وارسلهم ليصالحوا الاميرياب ومازالوا يطوفوا القيافي والقفار الى أن وصلوا لعند الاميرياب دخلوا عليه فلاقاهم اسلموا على بعضهم البعض وسالهم عن الاميرابوزيد فقالوا له ارسلنا لنرجع الصلح بينكم وتعودوا كما كنتم في الحال القديم فعند ذلك سار الاميرياب الى عند الملك جوهر وودعه وركب بقومه وسار بقومه ورجاله العشرة الامارة معه الان دخلوا بلاد الغرب فخرج الاميرابو زيد ولاقاهم وتصالحوا ورجعوا الى الاوطان وعمل ابوزيد وليمة فاخرة وذبح الذبائح واطعم الغادي والرايح وصار الاميرابوزيد ولاميرياب في محبة زايدة ولكن ابوزيد ماارجع الى الاميرياب ملكه وبقي هو الحاكم فهاهان على لاميرياب وصار يقول عني اليوم يرجع لي ملكي والبلاد التي اخذوها مني وابوزيد عاطي قفا فاغتاظ الاميرياب وامكن الشر لابوزيد وقال في نفسه انا صنعت دبوس وسكين السكين للاميرحسن والدبوس لابوزيد نخلصنا من واحد يبقى علينا الاخر وصار من ذلك الوقت يحمل الدبوس وكان بسبع فراشات من تحت العباية حتى لا يلحظ عليه ابو زيد الاان كان ذات يوم خرجوا الى الصيد والقنص وكان مع الاميرابو زيد جماعة من قومه ومع الاميرياب جماعة من بني زغبي وصلوا الى البر خرجت الفهود والسقور وتفرقت الفرسان تطارد الغزلان وبقي الاميرياب وابوزيد في جهة وصار الاميرياب يطارد الشهبا ويلعب كانه في الميدان فصار يعمل مثله ابوزيد مقدار نصف

ماعه وبعد ذلك دياب خلى ابو زيد سايرا امامه فصاح فيه خذها من يد الزغبي دياب
فالتفت ابو زيد مرعوب فوجد فى يد الاميرياب سنبلة قمح فضحك دياب وعمل
هذا الامر ثلاث مرات ورابع مره صاح دياب على ابو زيد خذها من يد دياب الخيل
فما التفت ابو زيد وظن انها ضحكة مثل العادة عند ذلك لكش للشهبا طلعت كالريح
حتى قارب ابو زيد جنبه فسحب الدبوس وضربه على رأسه فطاح بزخة فراش الدبوس
فوقع ابو زيد الى الارض غميان فوقف الاميرياب وقد اخذته الشفقة فصار ينظر
اليه ويبكي ويلعن الحمق مدة من الزمان ثم فتح ابو زيد عينيه وجد دياب واقف فقال
ما كان ظني فيك هكذا يا دياب ثم تنفس الصعداء واشار يقول وعمر السامعين يطول

قال ابو زيد الحزين الهايم ... دمع عيني ثم خدى سجايم
ايا دياب الخيل يا ولد غانم ... ايا صاحب الافعال بين العوالم
ما كان ظني يا دياب تخونني ... وتدعى صحيبك فوق اعلى الرمايم
المتني لا يا دياب بضربتك ... ابا حيف كنا يا امير لزايم
ضيعت معروفي كسرت بخاطري ... كم مره خلصتك بضرب الصوارم
كم مره شلتك من حبوس ضيقة ... كم مره شلتك من حبوس ظلايم
كم مره رادون قتلك وشنقك ... واكون انا حقالهم من مخاصم
بوصيك وصاية يا دياب احفظها ... كراما الى ربك اله العوالم
اول وصيه في اولاد ابو على ... حسن سلطانا في زمان قدايم
ثاني وصية في اولادى جميعهم ... رزق وريا وكل المحارم
وثالث وصية يا دياب بعليا ... صبرا وشهلا راخيات الكمايم
فاحمى حريمى يا دياب من العدا ... اذا جاءهم طارق بليل الظلايم
والجارية يا دياب ام محمد ... دعها على قبرى تقيم العلايم
ياما تقضى بيننا عزمع هنا ... عجلت في قتلى اياولد غانم
اذكر لايام الحروب التي مضت ... لما اصيح يا دياب ابن غانم
يجيني على الخضرا كالريح جريها ... تدعى دما الابطال على الارض عايم
ولما تصيح يا هلال سلامى ... البيك في عزم متين القوايم
ياماشربنا الكاس والسعد داير ... وحسادنا فى قلوبهم مناسمايم
مقال الحزين ابن رزق سلامه ... لقد سلمت روحى لرب العوالم

قال الراوى فلما فرغ ابو زيد من كلامه والاميرياب يسمع نظامه فرغرغت

يقوله الفتى الزغبي دياب الماجد ودمع العين على الخدود بحار
بغيتم علينا ياهلالى سلامه فعائلك عندي لهـا اسفار
لما اتينا الغرب نحو خليفة تركنا لنجد والفؤاد بنار
قمتم ضربتوالشور يا ابومحيير انت والجازية وابوعلى المكار
قلتم دياب الخيل يرعي بها انا فى سهلهم وحرشها وقفار
اخذت انا اللبوش سرت معجلا وقبلت على نفسى رسوم العار
جانى خريبه راح من حدصارمى ومكحول منه ذاق كل بوار
لما عجزتم عن حروب خليفة قمتم ضربتم على الزغابى شوار
عملتم عليهم قرعة ياسلامـة وانا غائب عنهم بعيد الدار
راحوا جميعا واحزنتمونى عليهم وراحوا الامارة بالتراب دمار
زيدان اخويا كان شيخ شبابكم واولاد اخويا اثنين كالاقمار
نصروعقل اولادهولا رميتهم ايا حنفـ اعمار الجياد قصار
وما عاد فيكم ياهلال مقاوم ولا عاد فيكم فارس جبار
انتكم سعدا مثل شمس منيره بنت الزناتى تشبه الاقمار
قالت لكم ابويا يهنى جموعكم لان ابويا فارس مغوار
فلا يقتله الا دياب ابن غانم لانه صميدع فارس جبار
اتانى ابوغانم الشيخ على العصا وخبرني عما بالامارة صار
وقال لى قم خذ ثار اخوتك اجارك الهى من عذاب النار
وقلت ابوى رد وارتجع انا ماعدت العب مع ولاد صغار
الزم حسن وابوزيد برسل مكاتبه اجيبهم على الخضرا كشعلة نار
قصيتواشعور بنا نكم ياسلامه وخطك بيدى ياسلامة جهار
تقولوا الوحا ياولد غانم تعالنا ترانا بضيقة والهموم كتار
واعرف عيونك لاتريد تراني وهذا كلامك واضحا رجهار
مع كل هذا جيت من فوق خضره لها جرى يسبق هوى التيار
فتحت لسوق الحرب مع ولدحمير ثلاثين يوما ليلها ونهار
وراحت الخضرا طريحه على الوطا وعقلى عليها وحق ربى طار
كفنتها بعشرين شقه ثمينـة ودفنتها دفن الكرام بوقار

من بعدها قد جيت نحو خليفة ... اصليت انا للشر مثل النار
يجيني على اشهر مضمور خواصره ... في درع داوودي بعشر زرار
جاني وجيته فوق خضر اصيله ... بيضا حمامي مثل ضوء نهار
من فوقها قرم عنيد ملاطم ... له طعن في صدر الرجال شرار
ذوقتة حربا كما الصبر طعمه ... فراح يكتب لي كتاب مسجار
يقول دياب الخيل بالله جيرني ... وخذ الي رزقي ايا مغوار
فما سمعت قوله ولا ردت اصالحه ... زيدان فتح لي جروح كبار
طعنة اتزاتي طعنة في عينه ... فراح ابو سعدا وصار دمار
اخذنا الى تونس وكل بلادها ... وطاعت الينا صغارها وكبار
قسمتوا بلاد الغرب قسمت مثلثة ... وكل واحد بقسمته قد صار
صنعتم على حيلة ياسلامة ... رميتم دياب الخيل بالاكدار
هذا برايك يا انت ابو مخيبر ... اما حسن بذي الامور حمار
تعدى بقتل اولاد عمي جميعهم ... مع اخوتي وقرابي الاخيار
ومن بعدهم امر بقتلي عاجلا ... صدبته في شرعنا المختار
قاضي الغرب حكم بحبسي مخافة ... في حبس مظلم يقصف الاعمار
اتوه امارة لاجل براجوافكاكتي ... لكن حسن امر بكثر زيار
وانت مغمض لعيونك راضيا ... كان مالك بذي الامور خبار
سبعة سنين كاملة في حبوسكم ... اقاسي عذاب الذل والاكدار
حتى سمح ربي باطلاق عبده ... سبحا ربي كاشف الاسرار
جيت الى قصري وجدته مكنسا ... اخدتم الى مالي وكل جوار
فنويت اني سوف افني جموعكم ... وافني عبيدكم مع الاحرار
واقتل حسن وكل من يطاوعه ... واملك بلاد الغرب بالبتار
وقد عاني ربي ونلت لبغيتي ... واجريت فعل بالذي صار
فاوصيك يا ابو زيد مني وصية ... سلم على زيدان عز الجار
وسلم على اولاد اختي وابوهم ... عقل ونصر وعمهم نصار
وسلم على خالي بدير ابن فايد ... وسلم على كل الامارة الاخيار
اودعتك بالله ياهلالي سلامه ... غدا نلتقي في اخر الاعمار

قال الراوي فلما فرغ الاميرديا من كلامه ركب جواده وترك ابوزيد على الارض

وسار فالتقى بقرمه فنظروه مرتبك وغضبان فسالوه عن حاله فقال لهم قتلت ابوزيد وقد غضبت عليه ولكن مابقى لنا الان نسرح ونملك بلاد الغرب واصير انا السلطان عليها لانه مابقى احد يخاصمنى ثم اسار يقول وعمر السامعين يطول

قال دياب من قلب موجع ... عيون الحاسدين كانت شماتى
ذاب الجسم من وقع المصائب ... ولا عاد لى على الذل ثباتى
ايا ناصر ايا اولاد عمى ... الا ياقرابي ويا عروتى
دياب الخيل ما عاد له مقاوم ... ولا عاد له احد مخاصماتى
سبع سنين فى حبس بن شما ... سبع سنين عنده كاملاتي
وما شفق حسن على بن غانم ... ولا ابو زيد يسعه فى فكاكى
الا يافرابي قوموا سريعا ... مايه الف عدة كاملاتى
ولا قولى على جسر المربع ... لكى نبدى هناك المشوراتى
واركب شهبق سرعا واجيهم ... كما الحاصود في زرع النباتي
وافنيهم على بكرة ابيهم ... وافنى الفوارس فى الفضاتي
انا لاقيم ضرب السيف فيهم ... وادعى حريمهم تبقى اشتاتى
وملهم ترى عشرون عاما ... ثلاثون مايشرفون بها راحاتى
واحمى ذكرهم من ارض تونس ... كلاب الدار مافيهم راحاتي
فيبقى كبنى جساس مره ... بلم الذبل من وسط الفلاتى
بكل ارض لايلقوا مقاما ... ولايلقوا لهم موضع مباتى
على ما قد اسوا لدياب حقا ... سبع سنين لم انظر اخواتى
مقال الفتى دياب بن غانم ... ملكت الارض من قوه ثباتي

ثم ان الامير دياب سار الى تونس ودخل الى سراية الاحكام ونادى باسمه واخبر انه قتل الامير ابوزيد وانه هو الحاكم والامير على كل البلاد فصار من يعانده يقتله ومن يطيعه ويلوذ اليه ينعم عليه يبقى له كلام يرجع الكلام الى جماعه الامير ابوزيد لما وصلوا الى ابوزيد وجدوه مطروح على الارض فصاحوا وناحوا وحملوه وهو تاره يغشى عليه وتاره يوعى حتى وصلوا الى القيروان ان عرفت الحريم فصاحوا وناحوا وخرجوا بلا براقع وهم يمرقون ثيابهم ويوضعون التراب على رأسهم وكان يوما شنيعا على بنى هلال مانظروا مثله مدى الاجيال واجتمعت العربان من كل ناحية ومكان واما الجازية فانها عملت اكثر من الجميع وارخت شعورها ونتفت خدودها ومزقت

تقول فتاه الحي ام محمد ... بدمع جرى فوق الخدود يسيل
ونيران قلبي كلما اقول تنطفى ... يزيد لها جوا الضلوع شعيل
ايا ليتنى قدمت من عام اولا ... ولا شفت الامير ابوزيد قتيل
الا يادياب السوء ياخاين الرجا ... يا بايق الاصحاب وانت هبيل
ضربت سلامة ياديابٍ بضربة ... وهدمت ركنا من هلال طويل
فلا الما منها الامير سلامه ... فتبكى عيونى والدموع تسيل
دعونى املى العين منه بنظره ... من قبل يغدى باللحود جديل
باطل عليك يا ابوزيد يا سيد الملا ... قد انهد عزمي وما بقى لى حيل
ابوزيد حيف تموت يا بو مخير ... ومن ع دبعدك الهلالى وكيل
اياهل ترى الايام تخلف كسلامه ... اذا مضى جيلا وبعده جيل
اياديابٍ كيف بقت بسلامه ... وقد كان لك دون الانام خليل
ياحسرتى يا كسرتى بعد خلق ... ولا اظن ان له بالانام مثيل
محمد وحمدان قد نسيت فراقهم ... وجانى حسن زاد الفؤاد شعيل
وقد زادنى حزن الهلالى سلامه ... فليت عمرى لا يكون طويل
ماقالت فتات الحى ام محمد ... ونيران قلبي زايدات شعيل

فلما فرغت الجازية من كلامها غمى عليها برهة من الزمان ثم تقدمت بعدها عليها وهى تنتف شعرها وتمزق ثيابها وقد زادت في بكاها وانتحابها ثم تقدمت اليه وقبلته بين عينيه وقالت له سلامتك يا بالابطال وزينه الرجال وجعلت ترثيه بهذه الابيات

تقول فتات الحى عليا التى بكت ... ونيران قلبي احرقتنى شعيلها
وعبرات عينى كالبخور الزاخره ... ترورى الى عشب الفلا و نميلها
ودارت نواعير الفراق ياعينى ... كما ارض مصر عند فيضان نيلها
وكم جهد عينى ما تفيض من البكا ... وان البكا يطفى و يشمل عليلها
على فارس الهيجا الامير سلامه ... ليالى الهنا راحت وجانا بديلها
اياناس ملكنان الا نضيحه ... اذا كانت الشكوى لمن لا يزيلها
من اشتكي شكواه لغير مسعف ... كمن صب الماء بوسط غرابيلها
وما اشتكى الا لربى وخالقى ... وايش تنفع الشكوى لمن لا يزيلها
ومن باح بالسر الذى فى ضميره ... يشابه نار عالقة فى نخيلها

ترى الجيد جيد ولو تمزق ثوبه ٥٠٣ والندل ندل ولو لبس من جميلها

يالله ياذا البنات نوحوا واندبوا على قامة انحط منها طويلها
ودارا خلت من كل قرم مجرب ومن جيده قد جا نا يوم رحيلها
سكن دراهم من لا يقرم مقامهم فلا دامت الدنيا ولا دام ميلها
وخيل دياب تبقى اليوم جائلة وخيل الهلالى زاد منها جفيلها
ورايات ابو وطفا تعود مرفعة ورايات ابوزيد انخفض تعليلها
مقالات فتاة الحي عليا حزينة مضي زمان العز وجانى بديلها

قاله الراوى فلما فرغت عليا من كلامها بكت الامارة والنسوان عن قولها وصار فى ضجة وابوزيد غميان نم انه فاق من غشوته فتاسف على نفسه وكيف باق فيه الامير دياب وراح يخبر قومه ويودع اهله واشار يقول

يقول ابوزيد الهلالى سلامه ولى شيعة شاعت بكل بلاد
ولا وقعت الا وسيطى بوسطها ولا معركة الا ولى تنقاد
ولا ظالم للحرب الا ظلمته ولا طاغيا الا وزاد لحاد
ولا كل رجل يكشف مهمة ولا كل من طلب المعالى ساد
زرعت جميلا ضاع مع ولد غانم ارى الجميل يزرع مع الاجواد
انا جميلى ضاع مع ولد غانم كما ضاعت الجودة مع الحداد
زرعت جميلا طالبا ان اشتغله فخانى و باق ياقوم بالميعاد
خرجنا الى الصيد نطاب الفلا ومعنا دياب فوق ظهر جواد
ولا شفت انا منه سلاح وعده ولا عرفت ما فعل له الحداد
ضربنى بدبوس عريض فراشه على فوق راسي وقعت المهساد
ولو كان غيره ماوقعه بضربته ضربات دياب كجبل طواد
فمندى غبينة أمن دياب الغانم والاسى ماينحصر بمداد
جاد الغبينة ياهلال وعامر ياهل در يد وجملة الاجواد
ولكن اخذنى بوقة ياعموتى ضربنى وخلانى طريح وساد
ولى ثلاثة ايام اقاسي نزاعه اتارى سكرات الممات شداد
اذا باتت الهجاع فى جنح ليلهم ابات كانى فوق شوك قتاد
ايا حسرتي شوف المنايا تجينى وانا اودعكم وذا اخر الميعاد
تاسفت على ميرين مضوا قبل قتلتى عزيز مع مرعى مع شباب حداد

فنادوا الى الاولاد حتي شوفهم ٥٠٤ ونادوا على اهلنا وكل الاولاد
ونادوا الى مخير والامير بريقع وشيبان نادوا لى ياجواد
ونادوا اعليا كى اراها بناظري ونادوا لى ريا وام سعاد
ونادوا عزيزة اليوم ذا فعل جالها ترى حزنها ذاك المضى قد عاد
ونادوا لى الحسازة ام محمد حتي اوصيها سائر الاولاد
ترى ان ظهر فيكم رياب الغانم يفنى اصاغركم مع الاجواد
ويقطع جدارکم ويهنى جيادكم وبحكم كما النمرود بن شداد
قتل حسن بن سرحار ابو على وخلا حريمه لاسات سواد
انا اوصيكم يا آل عزى ردلتى فغيبوا عن الزغبى لاقصى بلاد
فرحوا للاكراد وارض فارس فيها رياب ما ينال مراد
وابقوا بها حين يهون عسيرها واغزوا رياب بالثقال الحداد
ترى اهلكم فرسان مع اجدادكم واتم سباع الحرب والاقتاد
فمن ينهزم منكم تكون امه عايبة ولا له منا ابا ولا اجداد
ترى اذا غاصت الخيل بالدما وضو النهار قد علاه سواد
هناك مخير يتطح الخيل بالوغا ويدعى الزغابى بالقلا شرد
اوصيكم بالحرب يا ال عامر ميلوا عليهم ميله الاساد
وادعوا فوق الوطا شرايد ولا تتركوا منهم ولا افراد
وادعوا رياب على الوطا متقحا وزيقوه ما ذاقاه من الانكاد
ومن طلب منهم زمام وجيرة جيروه منكم جيرة الاجواد
وادعونهم عونا لكم فى اموركم وانتم عليهم يا كرام سياد
جمع كراسى الغرب ملككم واتم ملوكا من ابا وجداد
وافرح فى قبرى وتنشرم بهجتي وان اله العرش بالمرصاد
اذا اردعتكم لله ربي وخالقى الله تعالى اجود الاجواد
جيبوا لى الكفن فصلوا مى وهاتو لى الكافور وحق زياد
وجيبوا نعاشا مليحا من مرو ودقوا مساميره بدق شداد
بجنب حسن ياخلتي اقبرونني وصلو على قبرى صلاة عباد
وقولوا رحمك الله يا ابو مخير انا مطعم الجيعان والقصاد

(انتهي الجزء الرابع والعشرون ويليه الجزء الخامس والعشرون)

الجزء الخامس والعشرون من تغريبة بني هلال

(وهو يتضمن على قتل الامير ابو زيد من الامير دياب)

ورحيل الحاز به باليتامي الى بلاد الكوع وقتل شمعون اليهودي

وتسلطن بريقع ابن الامير حسن على بلاد الكوع

وهاتوا مغانيكم وهاتوا دفوفكم ... وقيموا معادات لنا وقياد

فيشبع الخبر والعلم بالناس كلها ... يقولوا دياب الى سلامى كاد

وتوصل الى نجد العريض خبارنا ... يقولوا ابو زيد الامير انكاد

وتوصل خباري نحو عمي وقومه ... يخبرونه العذال والحساد

سالتك يارحمان ياسامع الدعا ... تنجى اولادى من الاوغاد

سالتك يارحمان ياخالق الورى ... تعين اولادى بيوم جلاد

لكى ياخذوا ثار من ولد غانم ... ويشفوا قلوبهم مع الاكباد

وسالتك يارب تستر عيوبنا ... عيوبا لناهم واضحات جداد

واوصيكم يال عزى ودولتى ... لاتسلكوا ابدا طريق فساد

وان عادب الايام اليكم بعدنا ... ابنو لقبرى قبه وعماد

مقالات ابو زيد الحزين للفارق ... غدا ادخل القبر العميق وكاد

قال الراوى فلما فرغ ابو زيد من كلامه شهق شهقة واحده فافاضت روحه عند ذلك كثر البكاء النواح وصار كل واحد ياتى ويقبل ايادية مرة ثم اشارت الجازية بدفنه فحالا اخذوه ودفنوه بجنب الامير حسن فهذا ما كان منهم واما ما كان من الامير دياب بلغه ان ابو زيد مات وشرب كاس الافات ودفنوه فجمع ستين الف من قومه وسار الى بلاد القيروان ليجري حكمه ويعمل كما عمل بتونس ولما سمعوا بنى زحلان ودريد هذا الخبر اجتمعوا وتشاوروا مع بعضهم فاتفقوا ان يطيعوا الامير دياب وينادوا باسمه لان مالهم طاقة على حربه ولما قرب منهم الامير دياب وعرفت الحاز به اتت اليهم وصارت تنخيهم فاردوا عليها فبكت وقالت مافيكم احد يخاصم دياب وانتم شبان وهو كبير وخرفان واشارت تنخيهم بهذه الابيات سبحان ربى غافر الزلات

تقول فتاة الحى ام محمد ... انا اليوم جانى الهم والنكبات

وعبرات عينى كالبحور زواخر ... وقد غاب قلبى بالضمير وفات

على فارس الهيجا الهلالي سلامة ٥٠٦ عفير هلال حامي الزينات

ايا ذل قوما راح منهم سلامه ... وياشومهم لما يقولوا مات

ابو زيد بالعربان ليس مثاله ... بالجود والمعروف وحسن ثبات

حوي حكمة لقمان وجودة حاتم ... وعفة ايوب وكل صفات

وحاز خصال الخير بن جميعها ... امير بن امير سيد السادات

ابو زيد حيف تموت يابو خبير ... يبكوا بدمع قرح الوجنات

يقولوا ياذلنا من بعد عزنا ... من عاد يحمينا من النكبات

ابو زيد انظر حالنا وماجرى لنا ... وفينا دياب حاكم الاوقات

واصبح على تخت بن سرحان جالسا ... وحاش بيده المال والصهوات

وعادت خيوله غايرة نحو ارضنا ... وما له مقاوم يدفع الشدات

ياحيف حط الباز من الجو الوطا ... وعادت عصافير الشجر عاليات

عاد الضبع للسبع ياناس طارد ... وعادة عدانا بالهنا فارحات

الا يادريد اليوم ياآل عامر ... ايامن لكم يوم الوغا عادات

تذلوا من دياب وسطوته ... وانتم ملوكا وانتم السادات

فلا خير في ايديكم ولا برماحكم ... ولا في سيوفا تفلق الهامات

انا ديكم بالحرب ماتسعفوني ... اياقادرين العزم والنخوات

فابكي ياعيني لفقد الامير سلامه ... ويا قلب نوح على الاميروهات

خلت سروج العامرات وقدها ... والنسا قعودا والرجال موات

فلا بد بعد العز تاتي مذلة ... ويأتي العنا من عالي الدرجات

ولابد من عرق الى عرق يلتجي ... يريد النجا في سائر الدعوات

مقالات فاة الحي ام محمد ... وحزن ابو زيد دائم الاوقات

فلما فرغت الجازية من كلامها ما احد رد عليها الا الاز اكابر بني دريد وعامروزحلان وضعوا المناديل في رقابهم علامة الامان وخرجوا ينادون يادياب انت ملكنا وانت الحاكم علينا ولا احد منا يعصى لك امر ولم انظروه تقدموا وقبلوا اياديه ورجليه وقالوا له انت السلطان ومثلك يليق ان يكون سلطان لانك فارس جبار ثم دخل الامير دياب وجلس على كرسي الامير حسن وسارت تاتي اليه الامارة واحد بعد واحد يهنوه ويدعون له بطول العمر واما الجازيه ونونة والحريم والاولاد فانهم اختفوا وعند الليل ركبوا وساروا وسبقهم كثير من قومهم وتسلطن دياب على كل بلاد الغرب وامر

٥٠٧ ان ينادوا باسمه وانه هو الملك دياب حاكم بلاد الغرب وسيد فرسان الطعن والضرب
وصارت تاتيه الهدايا والتحف ورتب الحكام وعزل ولما راق باله سالم عن اولاد حسن
وابو زيد فاخبروه ان الجازيه هربت بهم مع بقية النسوان وتبعهم ثلاثون الف نفس
من بني دريد وزحلان فتكدر خاطره وقال حيث ظنوا بي السوء وما منولي فانا لابد
من ان اذلهم واقهرهم لانه كان بفكري ان ارتب لهم معاش واقوم بوصية الامير ابو زيد
ثم ركب وتبعهم فما لحقهم فرجع وهو متكدر يبقى له كلام يرجع الكلام الى بلاد الكوع
كان يحكمها سلطان يهودي اسمه شمعون وكان له وزير اسمه ابو الجود مسلم فلما قتل
الزناتي وملكوا بلاد الغرب اجتمع بوزيره وقال له كيف تشور عندك ان بني هلال
وصلوا الى نواحي بلادنا وهم فرسان لا يوجد مثلهم في هذا الزمان ولا سيما فيهم فارس
اسمه ابو زيد من الابطال العظام وتروى عنه الشعار وتنشد ايضا بفارس اشقر
يسمونه دياب بن غانم لا يقدران يلقاه فارس ولا جبار وكل جبار يعسر على بني
هلال ملتقاه يقتله هذا الفارس واما اخاف ان يوصل شرهم الينا فياخذوا البلاد مني
واصبح قتيل او اسير ولا اعرف كيف الحيل فقال له الوزير انا الرأي عندي ان
تاخذ بعض هدايا من بلادك والجواهر وتسير الى الامير حسن وتقدمه له وتهنئه
بالنصر ويصير بينك وبينه مودة وصحبة وتامن شره ولا يعود عليك خوف فاستحسن
شمعون هذا الرأي ومن وقته وساعته حمل الهدايا على الجمال وصار بالف فارس من
اعيان قومه واكابرهم حتى وصل الى القيروان فدخل على الامير وقدم له الهدايا وسلم
عليه فترحب به وعمل الولائم ووقعت بينهم المحبة والمودة ثم عاد الى بلاده وبقي في امان
والمراسلة بينه وبين الامير حسن سنين وايام الى ان سمع بقتل الامير حسن فتكدر
وبعد ذلك بلغه الخبر بقتل ابو زيد فعظم الامر وقال لوزيره ابو الجود انا مرادي ان
وجمع العساكر واذهب الى بني هلال لانهم لابد ان يكونوا في حروب بين بعضهم
البعض وربما يفنوا بعضهم فمن الموافق ان نكون حاضرين الحزب القوي ونملك
نحن البلاد وربما ساعدتنا التقدير وقتلنا الامير دياب لانه صار شيخ كبير ثم جمع
العساكر وسار قاصدا بني هلال وبقي سائر حتى دخل حدود الغرب فنظر الغبار قد
علا وسار حتى سد منافس الاقطار ثم انكشف عن ثلاثين الف فارس ومعهم حريمهم
ونسوان فسال ما الخبر فاخبروه ان هؤلاء حريم حسن وابو زيد واولادهم اليتامى
هاربين من وجه الامير دياب خوفا على انفسهم فاستدعاهم فحضرت الجازيه بين
يديه فاستخبر منها الخبر فاشارت بقول وعمر السامعين يطول

تقول فتاة الحى ام محمد ٨٠ بدمع جري فوق الخدود غزار
الا يامالك شمعون اسمع قصتى واصغى لقولى ياحمات الجار
انا بنت سرحان اخوبى ابو على وهؤلاء يامالك عبيدنا وجوار
كنا بنجد فى سرور وفى هنا نمرح فيها فى ليل ثم نهار
انا انا بها محلا شديدا وضرنا سبعة سنين كاملات عسار
رحلنا لارض القبروان وقابس اتانا الزناتى مثل شعلة نار
قتل منا تسعين قتيلا مجربا برأس رمحه المرهف البتار
قتله ابو وطفى دياب بن غانم بعزم شديد يفلق الاحجار
ملكنا بقتله سايرا غرب يامالك ملكنا مدائنها وكل دار
اراد دياب يملك القصر وحده ويقعد به سلطان يامغوار
حبسه اخى سبعة سنين كاملة سبعة سنين فى بلا واكدار
واطلقه ابو زيد الهلالى غصبيه وهذه حيلة منهم عليه دار
مرض حسن والوجه منه مغيرا وجوا هلال كبار وصغار
وجانا دياب مع اكابر قومه وقلبه اسود خائنا غدار
اتوا جميعا ليلتين كواملا وثالث ليلة قام دياب ودار
ذبح حسن من فوق عالى فراشه وخلاه يختبط ميمنة ويسار
وراح عاهو وكل جموعه دخل بلاد الزنج والاقفار
جابه ابو زيد طيب بخاطره وارسل له مكتوب بالاحضار
وجابه الى عنده سريعا بلا بطا ورجعوا الصحابا راحت الاكدار
وبعدها نوا للصيد فى عز مع هنا ولعبوا بالجريد كم مشوار
فشال دياب من تحت باطه لسلامه دبوس حديد فيه الف مسمار
ضربه خلاه ملقى على الثرى ضربات دياب ماعليها عيار
وقال ابو زيد روحوا باهلكم الى الملك شمعون عز الجار
وجينا لعندك طالبين مكارمك يا رمكى يامكرم الزوار
دياب قتل منا الفوارس جمعها شبيه الغنم اذا جزها الجزار
وعاد دياب مالك الغرب كلها وصار ملك العز له صار
هذا جرى فينا وهذا اصابنا والدهر دولاب علينا دار

(قال الراوى فلما فرغت الجازيه من كلامها اشار الملك شمعون يرد عليها يقول

يقول الملك والقول صادق ٥٠٩ نيران قلبي زايدات سعار
الا فابشري بالخير يا أم محمد لقد زال عنكم سائر الاكدار
وقلبي على حسن الهلالي موجعا وابوزيد قد خلا الدموع غزار
اياحيف سلطان البوادي كلها يروح قتيلا دون اخذ الثار
اياحيف بالله على الامير سلامه يغدو قتيلا مرخص الاسعار
ولكن لهم اولادهم يخلفونهم ويسقوا دياب علقما ومرار
انا كنت سائر نحوكم لاعينكم وانظر ماذا بينكم قد صار
ولكن اتيتم سالمين باهلكم فابقوا واصبروا فالفلك دوار
وارعوا اراضينا واجنوا ثمارها فانتم والله اكرم الخطار
وقلبي فرح بيكم وديني ومذهبي وحق النبي موسى ابو الاسرار
لكم عندنا الاسرار والخير والهنا والعز والناموس والاوقار

فلما فرغ الملك شمعون من كلامه والجازيه تسمع نظام قالت له ارجع فما الان وقت ذهاب لان دياب له سطوة في بني هلال ولا في الرعية في قلوب الجميع وما انت انت من رجاله ولا في هذا الزمان له مقارن لانه قتل في زمانه فرسان لا تعد وقاتل اعظم ابطال عصره فالاوفق تصبر الى ان ياتي الفرج وهو قريب لان دياب كبير السن وما له سوى ولد صغير يرضع اسمه نصر الدين فاخذ الثار ان شاء الله قريب قال الراوي وكان الامير دياب تزوج امرأة من قومه اسمها نسرين لانه ما بقي له اولاد سوى وطفا والدهنه فاتاه ولد سماه نصر الدين يبقى له كلام يرجع الكلام الى الجازيه انها رجعت باليتامى الى عند الملك شمعون فعين لهم ارض وصاروا يرعون المراعي وما عاد للجازيه هم الا تربية اليتامى وتعليمهم الحرب والقتال وبقيوا عند الملك شمعون حتى وصل خبرهم الى الامير دياب فاراد يجمع العساكر ويذهب اليهم فقالوا له بني زغبي الاوفق ان لا تذهب وراهم لان بلاد الملك شمعون مقفرة وموعرة وحارة فاذا طال بيننا الحرب نهلك من العطش والحر وربما بني دريد وزحلان اتفقوا مع الاولاد فيطول علينا الحال فقال دياب انا خايف ينتظروني حتى اموت او اعجز ويا تو ويملكون البلاد ويذلوا ابني ويذلوكم فقالوا له الاوفق ان تكتب مكتوب الى الملك شمعون وتوعده بالمال حتى يقتلهم والا تهدده لانه جبان يخاف من باسك فقال هذا هو الرأي والصواب ثم اشار يرسل الى الملك شمعون يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب الماجد ونيران قلبي زايدات سعير

نعم ايها النادي على متن ضامر ٥١٠ تسبق هبوب الريح عند مسير
اذا جئت للكوع فانزل بربعها وعقل جوادك بالزمام وغير
واعطى للسلطان شمعون ورقتى وسلم عليه يارشيد كثير
اريد ياشمعون تقتل لليتامى وتدعيهم على وجه التراب عفير
ولا تفرك الجازيه وحسن وجهها لها وجه يضوى مثل بدر منير
لها قامة وخد وحاجب وليس لها بين النساء نظير
تسلب عقول العاشقين وما لها عرض ولا تستحى بفعل النكير
فخذ اموال دريد وجمالهم وابقى انا لك بالحرب نصير
والا اتيتك فوق شهبا ملمة اذا اطلقتها مع الرياح تطير
فاملك الى ارضك وكل بلادكم وافني اكابركم وكل امير
مقال الفتى الزغبى دياب بن غانم كلامى اكيد ماله تزوير

(قال الراوى) لما فرغ الملك دياب من الكتاب ختمه بخاتمه واعطاه لرسوله راشد ابن نبهان اذ يوصله ان الملك شمعون و يطلب منه الجواب فاخذه وسار حتي دخل بلاد الكوع فصادف الوزير ابوالجود وكان الوزير مسلم فاعطاه الكتاب فضه وقراه وعرف ماحواه وقال الرسول اصبر حتى نعطيك الجواب ثم امر ان ياخذوه الى دار الضيافة وذهب الوزير فاستدعى الاولاد قال لهم خذوا اقرؤا هذا المكتوب فلما قروه خافوا ووقعب الرعبة فى قلوبهم وقالوا نحن وقعين عليك ياوزير فقال لهم لاتخافوا فانا اعرف ان وصل المكتوب الى شمعون يقتلكم لانه طمع و يخاف من دياب وما لكم الا نرسلو الجازيه الى عنده وتتدلع عليه وانا اعرف انه واقع فى هواها وعند ذلك لايعود يقتلكم وامنوا من الشر فقالوا نحن لا يليق ان نكلم الجازيه هذا الكلام فقال لهم انا احضرها الى عندى ثم بعث وراها فجاءت لعنده فقرا لها المكتوب فتكدرت وقالت ما كفا دياب ماعمل حتى انه لاحقنا الى هنا ولكن كيف الرأى عندك ياوزير فقال لها الراى عندى ان تذهبى انت الى الملك شمعون وتتدخلى عليه فانه لايضركم فقالت له انا امرأه مسلمة ومن نسل الملوك وزوجي شريف النسب فكيف اوقع على واحد يهودى وانت مسلم مثلنا مثلك ونبينا ﷺ اوصانا بمساعدة بعضنا البعض فلما سمع ابوالجود كلامها قال في باله هذه امرأه تكرم دينها اكثر منى فلا وفق ان اساعدها ثم قال لها انتم معكم ثلاثين الف فارس وانا عندى اثنى عشر الف فالجملة اثنين واربعين الف فخلوا الجميع مستعدين للحرب وابقى

٥١١ اولاد اخيك الى السلطان شمعون يقولون له مرادنا نزوجك عمتنا فيفرح بذلك لانه
واقع بهواك فمتي دخلت عليه يدخل معك شيبان ويذبحه ونهجم بالليل على اليهود فنقتل
الاكابر ونملك البلاد ونقيم حاكم من اولاد اخوك وانا اتزوج بك وتصير البلاد في يدنا
فاتفقوا على هذا الرأي وذهبوا اولاد السلطان حسن الى قصر الملك شمعون وعرضوا
عليه عمتهم ففرح وقام قبلهم وقالوا لهم مهما شئتم فاطلبوا فقالوا له لا نريدك الا سالم ثم جلبوا
الحاخام فكمل الجازة على الملك شمعون ودخلت في دين اليهود ذلك اليوم وبعد تمام
الفرح دخلت على الملك شمعون فوجدته منتظرها في قاعة النور وعليه الملابس الخفيفة
ودخل معها شيبان ابن الامير ابو زيد وبيده الخنجر فضربه بها رماه قتيل وبدمه جديل
وقطع رأسه ووقف في طاقة القصر وقال قد قضى الغرض وكانت الاماره والوزير
منتظرين تحت القصر فغاروا على اليهود وابلوهم بالذل والنكود وقتلوا اعيانهم وملكوا
القلاع واهلكوا رؤساء العساكر ولما اصبح الصباح حتى انتهوا من الاعمال ودخلوا
سراية الحكومه واجلسوا الامير بريع بن السلطان حسن ملكا على بلاد الكوع
وصارت المنادية تنادي باسمه وفرق العسا في جميع الجهات وراق له الحال واقام
في البلاد مخاصم فهذا ما كان منه واما ما كان من رسول دياب بن نبهان فانه لما شاهد
ما صار خاف على نفسه فسار مجدا حتى وصل الي عند سيده فاخبره الخبر فقال لا باس
هو بن اختي وبن سلطان فقال له احد الامارة انت قتلت الحية وتركت رأسها
هؤلاء الاولاد لا بد ما يقوموا ويأخذوا منك بثارهم فضحك الامير دياب واخذ
يكتب لليتامى يقول وعمر السامعين يطول

هبت بوارقها وطاب هواها ... ولاح ما بين النجوم سناها
وعرفت ملوك الشرق والغرب انني ... مبيد رجال العرب عند وغاها
قتلت الاحسن الهلالي ابو علي ... وابو زيد الفتى قد كان اعلاها
ملكت انا كل البلاد بهيبتي ... وانا ن غانم اعظم الناس جاها
طاعت لحكمي ساير الغرب واحتشوا ... ضربات سيفي بالبلا الفاها
وما عاد لي بين الانام مخاصما ... الا اليتامى خائف من دهاها
فلا بد ما القى اليتامي جميعهم ... والحقهم بابو زيد الذي تاها
اياما قتلت من الملوك اكابرا ... حسن بن سرحان ذاق بلاها
وبعده قتلت ابو زيد الهلالي سلامه ... قتلته وانا حمقان اغواها

وقبله الزناتي كان قرما بحر با٥١٢ قتل الى الفرسان منا واهفاها

تسعين اميرا من جياد قرومنا سالت دماهم كالبحور فروق وطاها

بدر مع زيدان اولاد عامر وعقل ونصر اسود وغاها

عقل ونصر كانوا خيار رجالنا راحو هفايا وسط طي ثراها

فنزلت اليه والسيوف تقرلى وتركته ملقي بوسط فلاها

الا ياتامي اقبلوا نحو ربعنا وحبوا لرجلي و بوسوا يداها

عليكم سلام الله كرما لابوكم حسن ابو زيد بما ارضاها

وان تشمخوا ارحل اليكم اذلكم وانتم تعرفوا عزمي بسوق وغاها

مقاله الفتى الزغبي دياب بن غانم والنار في قلبي تزيد لظاها

فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب و بعثه الى اليتامي فلما وصل اليهم وقروه اعطوه الى الجازية فقالت لهم ان دياب قلبه دليله والذى له عدو لا ينام الليل ثم كتبت الى الامير دياب الجواب واشارت تقول وعمر السامعين يطول

برق تلمع من خلال البانى وهيج بالقلب وجدى بعدماهانى

والريح هبت فى ضميرى وخاطري وتقول الله يعكس باطلا كل خوان

دياب يا امير ترسل تهددنا كنا لكم يا امير بالوغي اخوان

نحنا تركنا لك بلادا تخصنا ولا عدت تنظرنا بطول الزمان

الله يسامحكم بها ويطول عمركم وتدوموا بخير يا ابوا الاحسان

والله عوض يا دياب بغيركم نصرنا ملوكا وعاد الدهر كما كان

فلما فرغت الجازية من كلامها طوت الكتاب واعطته للرسول اخذه وسار بقطع القيافي والقفاز حتي وصل الى عند الملك دياب فناوله الكتاب ففضه وقراه وعرف فحواه فقال في باله لا بد لى اما اركب وادهمهم في بلادهم قال الراوي وفى ذات يوم اتو شعار الى الغرب ومدحوا السلطان دياب ووصفوا له بنت الامير ماجد الهدهاد فسال دياب عنها فاخبروه انها لم يوجد مثلها بالدنيا فقال له احد الامارا الحاضرين منه خاطبها السلطان حسن لابنه بريقع وكان مراده يزفه عليها فعند ذلك قال السلطان دياب والله نحن احق بها من الغير ثم كتب مكتوب الى الامير ماجد يطلب بنته و بعث المكتوب مع الامير عرندس فاخذه وسار حتى دخل على الامير ماجد اعطاه الكتاب فضه وقراه وترحب فى عرندس ثم جمع الامارة واعيان قومه واطلعهم عليه فقالوا ابعث قول له بنتى مخطوبه الى الامير بريقع لا يليق بى ان افسخ الخطبة والامير بريقع مراده يزف عليها وهو

بن عمك ومن لحمك ودمك ثم بعد ذلك كتب الى الامير دياب وارسل المكتوب مع الامير عرندس وبعد ذلك استدعي بقومه واعلمهم بما كتب الى الامير دياب وقال لهم لابد ما اقصدهم بالعساكر والاجناد ثم اشار لهم بهذا القصيد ويقول

قال ماجد ياعرب قوموا رحلوا ... قبل ما ياتي دياب فنقتلوا
دياب ارسل لي كتاب يقول لي ... هات بنتك لي سريعا واعجلوا
ارسلت له بنتي بريقع هولها ... كتابها مكتوب حقا اولوا
اما عرندس مع رفاقه كلهم ... من امور الغيظ مني امتلوه
العجل ثم العجل ياقرومنا ... الى ديره الكوع وفيها انزلوا
ونعيش نحنا مع بريقع في هنا ... ونعود نرجع الى دياب ونقتلوا
مقال ماجد اسمعوا ياعزوتي ... قوموا سريعا يارجال وحملوا

فلما فرغ ماجد من كلامه هدوا قومه البيوت وحملوا حريمهم وركبوا وساروا يقطعوا الفيافي والقفار قاصدين بلاد الكوع يبقى لهم كلام يرجع الكلام الى عرندس دخل على الامير دياب واعطاه الكتاب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فغضب غضبا شديدا ماعليه من امزيد ومن ساعته ركب الفرسان والابطال وسار قاصد الامير ماجد ومازال سائرا حتى وصل الى بلاده وجد الارض قفرة فسار سبعة ايام فاوقف على خبر فتكدر ورجع ارسل الجواسيس تفتش عليه اين سار رجع هو ومن معه الى بلاده والاوطان وكان عند الامير دياب بنت اخته بنت الامير حسن وكان اسمها امينة وكان لما هربت الجازية اخوتها بقيت هي فاخذها دياب الى عنده وكانت بنت دياب تعتم لها اخوتها واولاد ابوزيد وتقول لها ابي لابد ما يقتلهم ذات يوم كانوا مجتمعين قالت لها بنت دياب انا سمعت ابي يراده يجيب اخوتك ويخدمهم عنده وان ماقبلوا يسير اليهم فقالت ان اخوتي صاروا ملوك ولابد ما يجوو ياخذوا الثار من ابيك فغضبت وقامت اليها وضربتها فمند ذلك تركتها وراحت الى قبر ابوها وصارت تبكي عليها وهي قاعدة واذا برجلين مقبلين عليها واحد ابيض والثاني عبد فوصلوا الى قبر الامير حسن وابوزيد وصاروا يبكوا فالتفتت اليهم وقالت لهم من تكونوا وعلى من تبكوا فقال لها الابيض نبكي على موالينا واسيادنا وانا بدر بن قاشع وهذا عبد اخوك وكنا عائشين نعمتكم حتى غدر بنا الزمان ورحنا مع اخوتك رصرنا نسافر مثل المكاريه من بلد الى بلد فقالت لهم والان الى اين ذاهبين الى بلاد الكرع فان كان لك غرض اووصية نوصلها لك فقالت لهم احضروا لي دواية وقرطاس فاحضروا لها فاشارت تكتب الى اخوتها وتقول

ونيران قلبي كلما اقول تنطفى ... يهب لها جوا ضلوعى ضرايم
تعاندني الايام والدهر هانئى ... وصرت حزينة والعقل قد صار عادم
اداري على روحي واكتم بخاطري ... ولا اعرف الراحات والرب عالم
يا ايها الغادى على متن ضامر ... تشق فلاة الارض مثل النسايم
فاهدى سلامي ثم اعطى رسالتي ... رسال محزونة تذوق المدايم
الي اخوتى اعز الملوك اذا علوا ... وسلم على اولاد عمى اللزايم
وخص الفتى دياب ثم بريقع ... بدر وعلى وغازى ثم وقاسم
وسلم على شيبان ثم مخيبر ... اولاد ابوزيد وافين الزمايم
وسلم على اولاد عمى جميعهم ... منهم مناع نسل الاكارم
الى عمتى الجازية اهدى تحيتي ... عليها عقيد الشور والراى دايم
ياعمتى بريقع زاد همى ولوعتى ... تهددنى سميا بنت بن غانم
وضعت قدرى ثم كسرت بخاطرى ... وقلد ضربتنى بوجهي لطايم
وقالت لى خلى لذكر رجالكم ... فما فيهم ينفع لوقت اللزايم
ولولا تكونى يا امينة لزيمة ... كنا جعلناك مثل العبيد اللوازم
فقالت لها زيدي جفاك فربما ... يجونى صغار يرفعون العظام
تقدم يابا بدر والقى مصاعبى ... لهم ولا تقصر بشرح الكلايم
وان كان يركبوا الخيل غارة ... يكون لهم شان بصدق الكلايم
يجونى على الخيل كما الريح جريها ... على شباب كاللبوث الضراغم
بكل مهندى والرديني بكفة ... لسان الحنش مسقى بسم الارقم
ويكثر بالجمعين ضرب البواتر ... بطعن العوالى قد يزيل العظايم
عسى ياخذون من ولد غانم ... ويدعوه فوق الارض مرمي ايم
تبقى بلاد الغرب طوعا بيدكم ... وتحكموها مثل ابوكم حاكم
مقالات فتاة الحي امينه الحزينة ... ونيران قلبي زايدت ضرايم

قال الراوي فلما فرغت امينة من كلامها طوت الكتاب واعطته الى بدر اخذه وسار هو والعبد ايام وليالى حتى وصل الي بلاد النكوع ودخل على الامير بريقع وقبل الارض بين يديه فقال له ما معك من الاخبار قال له معي كتاب من اختك امينة وهى تقاسى العذاب الاليم مع بنى زغبة وبنت خالك في كل صباح تخدمها وتشددها فقال

٥١٥ له ان الكتاب قال له اوصتني ان لا اعطيكم الكتاب الا بوجود الجازية فاحضروا
الجازية فلما حضرت اخرج بدر المنديل وشال منه الكتاب وخصلة شعر من شعر
امينه فلما نظروا الشعر وقرؤا المكتوب هاجوا وماجوا وغرغروا وضاجوا وصاحوا
ووقع فيهم البكاء والنحيب واجتمعت عليهم النساء والاولاد والرجال وكان لهم
ساعة بالهامن ساعة وجددوا عزا ابوزيد والامير حسن فعند ذلك نهض الامير شيبان
وقال لهم مالنا ولهذا البكاء قوموا حتى نركب ونسير الى حرب دياب فاما ان نموت او
ان ناخذ ثارنا ونخلص حريمنا ورجالنا من ذل دياب فقال بريقع هذا هو الصواب
ثم انهم امروا بالركوب فاشتدت العساكر وامتدت وركبت معهم الجازية وصاروا
بستين الف فارس ما بين مدرع ولابس واليتامى امام الجميع وعند ما امسا المسا نزلوا في
برية بتلك النواحي ليرتاحوا وما استقر بهم النزول حتى سمعوا صوت عرب نازلين
بالقرب منهم ثم شاهدوا نيرانهم فاجتمعوا اليتامى وقالوا من يا ترى النازلين في هذا
المكان فقال بريقع اظن هذا دياب اتى بقومه ليقتلنا فما الشور عندكم واذا وقعنا نحن
وهو في هذه الارض بهفينا الا نحن ملتمين على اولاد عمنا الباقين في بني هلال فانهم
لا يساعدوننا ودياب لا يجب معه الا اولاد عمه وكلهم ابطال وبقوا في حساب وامور
صعاب فقال الامير بريقع مالنا الا نرسل من يكشف الخبر فقالت الجازية انا اسير
واكشف لكم الخبر ثم قلعت ثياب النساء ولبست ملابس الرجال وتقلدت بالسلاح
واخذت معها شيبان وبريقع واوصت ازلا احد يشعل نارا او يبدي حركة قبل
ان يحضروا ثم ساروا تحت الظلام حتى قربوا من العرب فسمعوا بكاء الاطفال وصريخ
النساء ونبح الكلاب فعلموا انهم عرب راحلين بعيالهم قاصدين النقلة فقالت الجازية
للامارة ان صدقني حذري هؤلاء عربناهارين من وجه دياب وقاصدين بلادنا فقالوا
يلزمنا نكشف خبرهم فقالت الجازية سيروا لنقصد النار الاكثر اشتعالا لانه هناك
يكون اميرهم ثم رحلوا بين العرب فنظرهم بعض الناس فذهب لعند الامير ماجد واخبره
اني نظرت ثلاث خيالة غرباء دخلوا في قبيلة واظنهم من بني هلال وشرح لهم صفاتهم
وبينما هم في الكلام والا دخلوا عليه الامارة والجازية فقام لهم واقفا على الاقدام وترحب
فيهم واجلسهم وقدم لهم الطعام فاكلوا ثم قدم لهم القهوة فشربوا وبعد ذلك قالت لهم
الجازية كثر الله خيرك يا بن عمي يا ماجد فقال اراك عرفتني يا ايها الشاب الظريف وانا
ما عرفتكم فمن تكونوا فقالت له الجازية ان صدق المثل الذي يقال من غاب عن العين
صلاه القلب فقال لهم بالله عليكم اخبروني من انتم فقالت له انا الجازية اخت السلطان

٥٨٦ وهؤلاء بريقع ابن الامير حسن وشيبان بن الامير ابو زيد وكنا سائرين نحو العرب
لنا خذ بثارنا من دياب فوصلنا الى هذا البرفي هذه الساعة نسمعنا كم وقصدنا نكشف
خبركم فلما سمع ماجد كلامها صفق على يديه من الفرح وقال اهلا وسهلا بصهري ثم قام
واقفا على الاقدام وصار يقبل الامارة وهو لا يصدق من عظم فرحه ثم احكى لهم بقصة
مع دياب وكيف بعث طلب بنته مع الامير عرندس وكيف اغاظ عليه الجواب وقال
له ان ابنتي مخطوبة الى الامير بريقع ثم شاع الخبر فصارت تحضر امارة الامير ماجد
وتسلم عليهم وبقوا مدة ثم بعد ذلك قال الامير ماجد الحمد لله الذي صادفنا مضنا في هذا
المكان لما عادلنا الا المسير لاخذ الثار وانا بلغني ان دياب صار خرفان وما عاد عزمه كالاول
وهو عمال يظلم في الرعيه من قلة عقله وصار الكل يكرهوه فقالت الجازية ان شاء الله
نكتب له مكتوب الى بني دريد ونحركهم ليقوموا معنا ويساعدون لاخذ الثار فقالوا
هذا هو الصواب ثم انهم ودعوا الامير ماجد وساروا اخبروا بقية الامارة تفرحوا الجميع
وفي ثاني الصباح ركب الامير ماجد واتى الى الامارة وسلم عليهم جميعا فترحبوا به
وقدموا له مزيد الاكرام ثم بعد ذلك اخذت الجازية تكتب الى الامير طوى بن مالك
وتنخي قومها لحرب الامير دياب وتقول

تقول فتات الحي ام محمد ... وقلبي قبل اليوم قد كان مغبون
وقد كنت محزونة من الهم ... على فقد بن سرحان والقيدوم
ابو زيد اني والنبي ما نسيته ... وكان امير الى الامرار كتوم
امير بن والله ليس يوجد مثالهم ... وكان لهم سعد قوي مخدوم
قتلهم اولاد طفا دياب عداوة ... يجازيه ربي الواحد القيوم
لكي ربيت للاخذ الثار عزوة ... امارة كراما كلهم وقروم
واليد الداني يوم كرب وملحمة ... ومانيهم الا كل ليث مجوم
اولادنا عشرين امير فوارس ... وما فيهم واحد ردي مذموم
يا ايها الغادي على متن ضامر ... نسبق هبوب الريح وكل نسوم
اذا جيت لارض القيروان رقاس ... تلاقي بها الزغبي امير حكوم
فسلم على طوى خليفة عمنا ... ميرا كريم خليفة المرحوم
وسلم على اهل دريدي جميعهم ... اماره ليونا ما بهم ميشوم
وقول ان الجازية ام محمد ... تنبيكم الاخبار ثم علوم
وايضا بريقع ثم شيبان بعده ... وماجد وكل امير عندنا معلوم

ان كان انتم تحضروا وتوافقو ٤١٧ افتحضروا حالا لنقضي المعلوم
ولا تنسو فضل ابوزيد وحسن ولا تتركوا طاراتهم ياقوم
فردوا لنا منكم بالعجل ياخليفة المبرور والمرحوم

فلما فرغت الجازية من كلامها ارسلت الكتاب الى طوى بن مالك فاخذه النجاب وسار فلما وصل اليه اعطاه الكتاب اخذه وقراه ففرح فرحا لا يوصف وساروا عرض على بقية امارة بنى دريد جميعا ففرحوا وفوضوه برد الجواب فعند ذلك اشار وبقول

يقول طوى والدموع غزارى والنار فى قلبي تزيد سعاري
الله اكبر زال عنا همنا وقلوبنا فرحت بذى الاخباري
لما سمعت خبارکم ياجازية اضاء علينا الحى والديارى
ففرحوا كم أهل الدريدي جميعهم نسوانهم فرحوا باخذ الثار
اقرا سلامى للامير بربقع ايضا شبيان وكل امارى
ياجازيه هاتى القروم واسرعى لعند ابو وطفا لاخذ الثار
دياب غدا خرفان وحيله انقطع ما عاد له عزم على البتارى
مقال طوي خليفة مالك لاخير فى قوم يكون فشارى

قال الراوى فلما فرغ طوى بن مالك من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وقال الى الرسول سلم على الجازيه والامارة وقول لهم نحن قادمين ومقتولين معهم فاخذ الرسول الكتاب وسار يقطع الفيافى والقفار حتى وصل لعند الجازية اعطاها الكتاب فقرأته بحضور الامارة ثم قالت والله العظيم انا قلبي يقول ان دياب لابد مايغدر بقومنا لان هذا الخير لايخفى ثم كتبت مكتوب الى طوى بن مالك تقول له خذوا حذركم ونهار غد العيد اذا حضرتم لعند دياب فالبسوا دروعكم واسلحتكم تحت ثيابكم ونحن نصل لعندكم يوم العيد فانقسموا فرقتين النصف يجلس على المائدة والنصف يبقوا راكبين خيولهم فسار الرسول حتى وصل الى عند طوى بن مالك فقرأ الرسالة وقال هذا الصواب فاهدم منى السلام والفكر الذى افتكرته الجازيه صار لان بنى زغبى أخذوا الخبر ونظروا الى بنى دريد مختفى حالهم دائما فى اجتماعات واسرار فاخبروا الامير دياب واطلعوه على حالهم فقالوا له كيف الرأى ونحن خائفين من غدرهم وغدر أولاد الامير حمن وابوزيد فقال لهم أن الرأى عندى ان نعمل وليمة على العيد وعندما يجتمعوا ادهموهم بسيوفكم واقتلوهم ولا تدعوا من أكابرهم احد قال الراوى وكان ثانى يوم عيد الضحية فعمل دياب الوليمة ومد السماط وكان شيء

يدهش العقول وعزم بني دريد وأكابرهم حضروا ودخل نصفهم وجلسوا على الطعام وبقي النصف الآخر على ظهور الخيل وفي تلك الساعه ارتفع الصياح وعلا من كل ناح ووقع الصوت في بني هلال وارتجت الارض من كل مكان ووقعت الضجة والصيحة واذا بالطبول دقت والرايات خفقت وانتشرت والرماح انعكفت والاصوات ارتفعت والنساء زغرطت فعند ذلك سال دياب عن الخبر فاخبروه بما جرى من اليتامي وانهم نهبوا البوش وقتلوا الرعيان وطافوا على البلد من كل مكان فعند ذلك ارسل الامير دياب الى ابن اخته الامير بريقع يتهدده بهذه الابيات ويقول له

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ... وقلبي من فعل الدهر تعبان
وقلبي بلى وما عاد الا رسومه ... توالت عليه نوائب الحدثان
فلا العمر الا ان نقضيه بالهنا ... ولا العرض لا يكون منصان
ولا النخل الا ان يكون شوامخ ... ولا السيف الا في يد الفرسان
ولا الرمح الا ان تهب جنوبها ... ولا البرق الا ان يكون يمان
ولكن يا ناس تذكرت ما مضى ... بجور الليالي مولما حيران
على سيد كنا نراعي زمانه ... أمير الملا حسن ولد سرحان
وابو زيد من أتاه طيب فعله ... وجميل فعله على الورى قد كان
واولادهم راحوا لجايا فطايعا ... على ساير الامثال والبلدان
وما الشرط هذا يا امير بريقع ... الا كرامة ابو زيد حيث أوصاني
وقد جيتني حالا بخيل مغيره ... مقصقصة مقرطمة كالسعدان
معودة لحمل الماء في يوم الوغي ... عليها شبان يشبهو النسوان
فلا يقطعوا البيد ولا يقهروا العدا ... ولا عمرهم نزلوا الى الميدان
زغاليل ربيوا بوكر ورضعة ... فما لهم بالحرب فعل جبان
أنا الغرم أنا الزغبي دياب مفرحا ... انا راعي القنديل والصيوان
بيدي رشاوي كل قد شهرته ... تروح العدا مني كما الصيصان
ورمحي من الاشطن عشرين عقدة ... لدعاته نحاكي لدغة الثعبان
وحق ركن البيت مع منزل الصفا ... وما قد اتى بالكتب والقرآن
والله لولا الخوف وانتم قرايبا ... لاحكم بالسيف من غير توان
ولا يبقى صلح بيني و بينكم ... اذا التقت الابطال والفرسان
حتي تقولوا اليوم يوم حسابكم ... أما الى مالك وابو رضوان

وهذا اخبرتك يا امير بريقع ٥١٩ غدا تصبح فى درجة الا كفان
ولا تقول انى صرت شيخا كبيرا وتقول خالي قلبه قدلان
فارجع عني يا بريقع واختشى والا غدا انزل الى الميدان
مقال الفتى الزغبي دياب بن غانم اسمع كلامي وافهم الاوزان

قال الراوى فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وبعثه مع نجاب فاخذه وسار الى عند الامير بريقع اعطاه الكتاب فضه وقرأه وعرف رموزه ومعناه وقال الله يعلم ان خالى خرفان ومراده ان ازدله البوش ونحن لا نرضى بالبوش ولا بغيره الا باخذ روحه العزيزة عليه ثم أشار الامير بريقع يرد الجواب ويقول

يقوله بن حسن الامير بريقع وعلقت بقلبي والحشا نيران
على ماجرى فينا وما قد أصابنا من بن غانم راجح الميزان
ربيع المعايب خالنا ولد غانم وهو خالنا بالسر والاعلان
وان عابنا ترى ما نعيبه ولا نحكى بحقه لفظ لقصان
فلا خير فى قوم بغير عقيدهم ولا خير يثوب بغير ردان
ولا خير فى سيف بغير غلافه ولا خير فى رمح بغير سنان
ولا خير فى وجه مليح بلا حيا ويوم الغلا لا تلتقى الضيفان
امينة غريبة عندكم يا ولد غانم حزينة وعنها بعدت الخلان
وبنتك سميا دعت بنت والدى على الارض مطروحة كالغميان
فما كان لازم هذه الفعال بحقنا هذه فعاله الزور والبهتان
وترسل تهدنا وتهزل جميعنا كلامك هذا كله نقصان
علمنا بانك يابن غانم فارسا ويوم الوقايع راجح الميزان
ولكن ما للخال الا ابن اخته فانهض ولاقني الى الميدان
اما تقتلني وتملك لعدتي واما بصدرك اطلق العيدان
انا بن القرم سلطان عامر أمير الملا حسن ولد سرحان
لنا دين عندك وجينا نريده فناخذه ان قدر الرحمان
وناخذ منك الثار نشفى غليله ونزول عنا الهم والاحزان
ونبقى بعدك فى سرور وفى هنا وتطيب لنا الاوقات والازمان

قال الراوي فلما فرغ الامير بريقع من كلامه طوى الكتاب وارسله الى خاله دياب فضه وقرأه وعرف رموزه ومعناه فاغتاظ جدا واشار يرسل الى بن اخته ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ... واجفان عيني تهمل العبرات
على زمان تقضى راح وانقضى ... وكنا بطيب العيش والملذات
تذكرت انا نجد قبل رحيلنا ... وكنا بها في أحسن النعمات
نلبس جلاليب الحرير وغيرها ... عقود قلايد غالي القيمات
غدرت بنا يا نجد قبل رحيلنا ... وجيت لنا الشدات والنكبات
سبع سنين ما وجدنا قطر ... وكم اهلك الحر الشديد بات
فقالوا الامارة من يروح مغربا ... ويكشف لنا ارضا بها الخيرات
قالوا جميعا مالنا الا سلامه ... امير بن امير صاحب المهمات
ابو زيد بالعربان ليس مثاله ... خبيرا ويعرف سائر اللغات
فقمنا جميعا كلنا لحلنا ... وقلنا له يا صاحب المهمات
ابو زيد روح واكشف الارض كلها ... وانظر لنا ارضا بها الخيرات
فقال سمعا لكم يا عمامنا ... اريد ثلاث رفاق لازمات
مرعى ويحي ثم يونس بعدهم ... اختارهم دون الملا رفقات
وجانا ابو زيد من الغرب وحده ... واخبرنا ما صار بالغيبات
ونادى بن سرحان فحملوا ... ولا عاد في نجد سوى الحشرات
وامتدت اضمان الهلالي مغربا ... كما البحر في الامواج متلطمات
وجيت لميدان الزناتي خليفه ... لقيت له ما بين منقلات
وجلت في الميدان ساعة وقد غدى ... حربنا وقد جاء الروع والفرعات
وقال لي ما اسمك قلت بن غانم ... انا القرم انا المذخور الى الشدات
فقال دياب احقن الدم بيننا ... وخذ لنصف الملك والدبرات
فقلت له جاءك الموت عاجلا ... وصح القضى ما عاد فيه نجات
طعنته بحربة من يمين بن غانم ... فاضحي قتيلا فاقد الحسات
وملكتهم للقيروان وقابس ... وجمعتهم من بعد كثر شتات
اخذت انا ثلث البلاد بهمتي ... وابو زيد اخذ الثلث بالقسمات
والثلث اخذ بن سرحان ابو علي ... وعدنا بطيب العيش والملذات
تعاون حسن وابو زيد بعداوتي ... ونسبوا ليالي الهنا الماضياتي
قتلت انا حسن الهلالي وترابي ... وقلت ابقى مع ابو زيد مصلحات
تملك ملكه بن رزق سلامه ... ثلاث سنين حكم كاملات

وصاحبي والعقاب منه أسود ٥٢١ فطيرت الى رأسه ثلاث شقفات

وهجموا الامارة بعده من بلادهم ... وراحوا الارض الكوع مع العمات
وجيتوا الينا تطلبوا الثار عاجلا ... مساكين تارى عقلكم بشتات
أنا فارس الهيجا دياب بن غانم ... بقتل سباع العاب لى عادات
حسن وسلامة ونزانى خليفه ... لقد سكنوا في غامق الحفرات
مقال الفتى الزغبى دياب بن غانم ... يا امير يرقم هات لى مالى هات

فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وارسله الى بن اخته الامير يرقم فضه وقرأه وعرف فحواه فامر بالركوب فركبوا البنات ودقو طبول الحرب وتقلدوا بسلاحهم ونشرت بيارقهم وزغرطت لهم النساء وانضم لهم قومهم بنى دريد وبنى زحلان ونزلت بنى زغبى الى الميدان يتقدمهم الامير دياب فرخ العقاب واسد الغاب وحداف الرقاب وهو من الكبر صار شعره ابيض كالثلج وظهره محنى كالقوس قال الراوي وانتصب ميدان الحرب وصار كل فارس قبال فارس فعند ذلك اقبلت الجازية توصي البنات وتحذرهم من دياب وقومه وأشارت تقول

تقول فتاه الحى ام محمد ... وعينى تدفق دمعها من عيونها
آه يا أماه اسمعوا شرح قصتى ... ومقالتى ياخلق فاسمعونها
ترى أهلكم أبطال كانوا قبلكم ... اذا دخلوا أرضا ترى يرعبونها
ملكوا بلاد الهند والسند واليمن ... وكم عسكر بسيوفهم اهلكونها
عسى انكم ياخلق تخلفونهم ... ويسر قلبي حين قبض دينونها
وكم ملك جاهم وكم من قبيلة ... وكم قد قدهدموا الحصونها
وطعنات ابو وطفا دياب عجيبة ... جميع ملوك الارض قد يعرفونها
ويطعن باليمن واليسار ومثلها ... ابو زيد والامارة يها ابونها
دياب متين العزم قرما مجربا ... وكل ابواب الحرب حاوى فنونها
مقالات فتاة الحى أم محمد ... نخذوا حذركم ياخلقي وانهمونها

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها والامارة يسمعون نظامها قالوا لها صدقت ياجازية ولكن كان يا دياب فى زمان قديم والان عمره خمسة وتسعين سنه والرب يعيننا عليه فلا يكون لك فكر من نحونا فعند ذلك برز الى الميدان فارس من بنى زغبى اسمه الدهام وطلب مبارزة الفرسان فقالت الجازية ما أحد ينزله الى هذا الفارس غيرى فقالوا لها الامارة هذا علينا اذا نزلت له نخاف عليك لئلا تقتلى فيصير علينا

العارا كثر ولا تظني الحرب مثل لعب الجواري فقالت لهم وذمة العرب والرب الذي طلب غلب والذي للمنتخب ما ينزل الى هذا الفارس غيري فعند ذلك قال الامير شيبان يا أمارة اتركوها لبارز هذا الفارس ونحن نقف بالقرب منها فان رأيناها منلوبة ساعدناها وان رأيناها غالبة تركناها فعند ذلك برزت الجارية الى الميدان وهي متقلدة بالسلاح والدرع والتقت هي والامير دهام وصار بينهم كر وفر وطعن يقصف العمر فاستلت السيف وضربته على هامه ارمت رأسه قدامه فوقع قتيل وفي دمه جديل فاغتاظ الامير دياب وقال من يكون هذا الفارس الذي قتل فارسنا واليتامى ما فيهم فارس الا مخيبر بن ابو زيد ومخيبر مات في بلاد الكوع وينا هو بالكلام برز من بني رغبي فارس اسمه ابو الحمرة بن الاقرع فصدم الجارية وضربها بالرماح فراحت الضربة خايبة بعد ما كانت صايبة فاعتدلت وضربته بالرمح في صدره طلع يلمع من ظهره فوقع قتيل فقالت بني رغبي ما هذا الفارس يا امير دياب سواك فعند ذلك برز الامير دياب الى الميدان وقال الى الجارية من تكون أيها الفارس المفتخر بنفسه على ابناء جنسه فقالت له انا بن هذا الميدان فقال والسؤال فقال لها انا لا أقاتل الا من كان حسبه من حسبي ونسبه من نسبي فقالت له أنا أكثر منك حسبا ونسبا انا الجارية أخت الامير حسن وصديقه الامير ابو زيد وقد جيت لاخذ منك الثار فضحك دياب حتى استلقى على قفاه وقال لها مثلي تعلمي الفروسية وانا ان قتلتني لا أقاتلك لانه عار على ان اقتل امرأة مثلك لانه لا يليق هذا الامر واذا قتلتك يقولوا الناس دياب قاهر ملوك الارض بالطول والعرض يبرز لحرب امرأة روحي ارسلي الامارة فقالت له ما أروح من هنا حتى أحاربك يا خاين يا غدار ثم أشارت تقول

تقول فتاة الحي ام محمد ... بدمع جرى فوق الخدود غزيرك
فلا تلوموا للحزن اذا بكي ... ولو لم يكن ما لوم كان ضحوك
يا ولد غانم انت بواق خاين ... من طول عمرك بالصديق مشكوك
بادنتنا بالشر من أول عمرنا ... و باديتهم من قبل ما بادوك
قتلت الفتى مناع يا ابن غانم ... ومن بعد مناع هم قد صافوك
وقالوا دياب قرم ما ينسخي به ... ليوم الوقايع يا نتى خبوك
وما قدموا لك يا دياب أسية ... ولو عرفوا الردى قتلوك
ولما رحلتم من حمى نجد وارضها ... تريدوا الارض القيروان سلوك

(انتهى الجزء الخامس والعشرون ويليه الجزء السادس والعشرون)

وهو يتضمن على قتل الامير دياب وتسلطن برقع بن الامير حسن وقتله مع أولاد ابو زيد من نصر الدين الزغبى بن دياب وتسلطنه على بلاد الغرب

نزلت على مكه وزرتم نبينا ... ولاقاكم زوجى الشريف حروك
واكرمكم ايضا وحب ركابكم ... وقدم لكم المعجون والمعروك
شرت على حسن يا دياب بقتله ... وهذا ترى شورك لما شاوروك
وقلت نقتله وناخذ امواله ... وهذه مجازاة الذين أكرموك
فقال لك معركش شورك يا دياب ... ولا يكون منا بحسن سلوك
فشاور ابو زيد الهلالى سلامه ... وشور سلامه ايس فيه شكوك
فقال ارسلوا النسوان عند الجازية ... يجيبوها عندك ثم بعد يجيبوك
يجيبونها حالا سريعا بلا بطا ... وخلى بن هاشم مشتغل ملبوك
فشاورت نفسى يا دياب الغانم ... وقلت لنفسى اتبعين أخوك
وفارقت اناحمده واخرها محمدا ... وخليتهم يبكوا بدمع سفوك
ترى الجوز موجود اينما طلبته ... واخ جناح ولو كان ابن اخوك
ولما غلقت الباب بينى وبينهم ... حزنت عليهم وليس هم اخفوك
وكان بن هاشم والامارة جميعهم ... بدار الضيافة والهنا مبروك
والهوه بالشطرنج واللعب والطرب ... ودرتم حوله كلكم بهموك
وانت حدثته وما افتهم لكلامك ... ولو يفتهم منك لراح دهسوك
وجينا لارض القيروان وقابس ... وفى دربنا ياما هفينا ملوك
اعطوك ثلث الغرب يا ولد غانم ... وبينهم بالتسمات قد ساووك
فلا زلت بالسوء والشر والبلا ... تحرك وفعلك بالقبيح حروك
ذبحت حسن تحت الدجا وهو موجع ... وعد فرشه بالدما معروك
ويتمت أطفالا صغارا بحجرنا ... ينوحوا ويبكوا بالدموع سفوك
جاءوا النجوا نحوا بو زيد عمهم ... وجاءوا يا ابو وطفاله يشكوك
ورحت للحبش من بعد ناهزيمة ... وبقيت أعواما بها متروك
وجاءك ابو زيد وطيب بخاطرك ... وكان شفوقا عليك مثل ابوك
ويا طال مانجاك من كل ضيقة ... وقد كان قومك يا أمير عافوك
ومن يزرع المعروف مع غير أهله ... كمن صب ماء الورد فوق الشوك

خنت ابو زيد الهلالي سلامه وجميع عباد الله ما شكروك
وطردتنا من أرضنا و بلادنا وصرتم علينا بادياب ملوك
وصرنا نقاسي الجوع والضيق والعنا ندور في الابواب كالمملوك
وانتم في أرغد عيش في ارض قابس باموالنا صرتم جميع ملوك
ولكن ابشر في زال زمانك كبروا اليتامى بادياب وجوك
اين بقيت تروح يا ولد غانم فما عاد لك مناجيا وصلوك
فان رحت جو البحر لازم نلحقك وان رحت تحت الارض هم يلحقوك
انزل لحربي بادياب معجلا انا بنت سرحان بغير شكوك
قتلت ابو حمره بعزمي وهمتي ايضا ودهام غدا مدهوك
مقالة فتاة الحي أم محمد ونحن من عهد القديم ملوك

فلما فرغت الجازية من كلامها اغتاظ دياب جدا حيث اهانته كثيرا فاشار يرد عليها ويقول

أيا جازية كفي قبيح لسانك الشر كله والبلا في شانك
انت التي كنت السبب فيما جرى وقد كنت ارجو امن زمان وصالك
قالوا يا دياب انت لها وهي لك ترى الجازية قد خلفت من شانك
أيضا اخوك قد خدمته لاجلك خان وعده واحرمني من جمالك
وقد زوجك شكر الشريف عناية واستخار لك الغريب على عربانك
وصار حسن وابوزيد لي معاندا وقاسيت في حبك كثير مهالك
من اجل هذا قد قتلت سلامة وايضا حسن يا جازية بن والدك
ولو ما تروحي باليتامى وتهربي لكانت تطيب عندي تراحوالك
جيت تريدي تاخذي لثارهم باكر ترى يا جازية غلمانك
ان كان أصحاب اللحا افنيتهم ايش ينفعوا يوم الوغا مردانك
قومي و روحي لحبابك عاجلا وابقي يا جازية فرسانك

قال الراوي فلما فرغ السلطان دياب من كلامه قال لها يا جازية ابطالي كلام القشار وارجعي ارسلي لي اولاد الامارة حتى اتبعهم بابائهم فقالت له ما بالك ولهذا الكلام انزل الى الميدان حتى أذوقك الموت لانك ردي وخائن وما جزاءك الا قطع الراس فلما سمع الامير دياب كلامها لعبت برأسه نخوة الرجال فرفع رجله وضربها على جنبها بقوة عزمه رفعها عن الحصان ثمانية أذرع ووقعت على الارض ميتة فقال لاولاد

الامارة لو عمتكم لانهم قد تطاولت فنالت جزاهم رجع الامير دياب محزونا عليها وقال في باله يلعن الشيطان ما كان لازم هذه امراه واما اليتامى أخذوا الجارية كفنوها ودفنوها وعملوا لها مناحة عظيمة وبكى عليها القريب والبعيد وفي ثاني الايام برز الامير بريقع الى الميدان فبرز اليه الامير دياب والتقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنى فوق رؤوسهم غراب البين مقدار ساعتين من النهار وبعد ذلك قام السلطان دياب بعزم الركاب وضرب بريقع بكف يده ارماه الى الارض وصاح على الامارة قدموا خذوه قبل ان تصيبه مصيبة ثم صار يضحك عليهم ويقول في نفسه لولا وصية ابو زيد لي لكنت افنيتهم عن آخرهم ولكن خليهم يسرفوا مقام انفسهم واما اليتامى فانهم رفعوا الامير بريقع وصاروا في زائد واحتاروا بامرهم ماذا يفعلوا فاجتمعوا عند الامير ماجد يتشاوروا فقال لهم الامير ماجد هذا دياب ماعلى وجه الارض أفرس منه فان كان مرادكم تقاتلوه واحد بعد واحد يفنيكم عن آخركم والرأي عندي أن تهجموا عليه هجمة واحدة وحطوه بالوسط ولابد ما تصيبه ضربة فيوقع على الارض فلا تتركوه حتى يموت فقالوا هذا هو الرأي والصواب والامر الذي لا يعاب ثم باتوا تلك الليلة وفي الصباح برزوا يطلبوا الحرب والكفاح ودقوا الطبول ولقدم أمام الجميع الامير بريقع فلما نظرهم السلطان دياب ضحك وقال والله مرادي أقاتلهم بلا درع وعلى كديشة عرجاء فمنعوه قومه وقالوا له انت صرت رجل كبير فما نسلم معك على هذا العمل ثم برز السلطان دياب بلا درع وما معه الا السيف والترس فالتقا ووقع القتال وانحدفوا اليتامى عليه دفعة واحدة فالتقاهم وصاح فيهم صيحة ارتجت منها الجبال واراد ان يضرب بريقع بالسيف يقطعه قسمين فطاوحه شيبان بالرمح من بعيد وقع في جنبه الايمن فوقع السلطان دياب على الارض من عظم الالم فعند ذلك تقدموا اليه الامارة وقال له الامير بريقع كيف تنظر حالك الان يا دياب ثم تنفس دياب وتنهد وقال انا شبعت من الدنيا وهذا مقدار كل موتة لها سبب واشكر الله الذي مت قتيل أولاد ابو زيد وأولاد السلطان حسن ولا قتلني احد غريب ثم أشار يقول

يقول الفتى المزغبي دياب بن غانم ... بعيني خيال الموت حقا رايت
انا ياشيبان قلت حياتي ... وياطال المعقود قد حليت
وياطال ما اشركت قومي برايكم ... واجريت جاري ولذي سريت
وياطال ما فرقت جيشا بصارمي ... واعظم ملوك الارض قد افنيت
ولا العمر ساعة ثم ينقضي ... ويدوم ذكري والذي اجريت

اما طول عمري ما فعلت قباحة	وفي كل عصري قط ما ازنيت
ولكنني اخطيت في قتل ابو علي	وابو زيد حقا . والنبي اخطيت
ولو لم يبادروا بالشروالاسي	ما كنت لهم والله قد باديت
هربتم وما كان ظني اخونكم	ولو بقيتم نظرتوا الذي ابديت
انا ذاهب الى الامير سلامه	وابو علي ونقضي الذي امضيت
واوصيكم آل زغبي جميعهم	انا في دريد قط ما آسيت
هم يطيعوكم ويصغوا لامركم	وسووا الذي في قومكم سويت
واوصيكم ابني صغيرا وزجي	وهذا الذي ياقوم قد اوصيت
حكمنا رطال الحكم فيما بيننا	سفينا واعواما بها قضيت
ومال على الدهر ما قلت ينقلب	يابين دار العز كيف اخليت
ايادهر خربت دارنا بعد عزنا	يادهر لاتعكر لمن صافيت
مقال الفتى الزغبي دياب الغانم	وامرى الى الرحمن قد اعطيت

فلما فرغ دياب من كلامه غاب عن الوجود مقدار ساعة ثم فاق واشار يودع الدنيا و يستغفر من ربه ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب المفارق	سبحان ربي مالك الملكوت
سبحان رب العرش جل جلاله	له الحمد والاحسان والمثبوت
سبحان من انشا من الطين ادما	وخرت له الاملاك بعد سجوت
سبحان من خلق الخلائق جميعها	وعلمهم بالحق والمثبوت
خلقهم وتكفل بقسم ارزاقهم	وكل من له اجل ورزق رقوت
ايا اولاد العم قولوا سلامتي	انا اليوم في كاس المات بلوت
هلال وعامر مع دريد وزغبي	اذا شافهم انسان غدا مبهوت
لهم جيش مثل البحر اذا كان ذاخر	وموكبهم دايم عظيم بخوت
فكم من ملك جاهم وكم من قبيلة	راحوا من يد هلال شتوت
ندمت على فعلي بهم يا ندامتي	على ماجرى مني وفات الفوت
قتلت امارتهم واخذت لبلادهم	من ارض قابس الى مخرج قنابوت
لبلاد السودان والغرب كلها	تخوت ومن بعد التخوت نخوت
وعشرين تخت منهم قد ملكتها	مرصعة بالدر والياقوت
وهجمت اهاليهم وخانوا من البقا	وعادوا جميعا بالبلاد شتوت

ايا نار قلبي من فراق ابو علي ٥٢٧ وابو زيد نقل المياه بدموت
انا مفارق الدنيا وذاهب الى غيرها هناك رح يا حاضرا ايس يموت
مقال الفتى الزغبي دياب المفارق ليا موت قد زرتنا ثم دنوت

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه حتى اسلم روحه فرحمه الله ورحم الامارة اجمعين و بعد ان مات قال بريقع احضروا لنا السكين التي ذبح بها ابي فاحضروها له فقطع بها راس الامير دياب وفصله عن جسده وتركه ورجع فاتوا قوم دياب واخذوه واكثروا عليه البكاء والعويل ومزقوا ثيابهم وناحوا وصاحوا واسرجوا الخيل سودوا رفوا البيارق السوداء ودقت طبول الحزن واجتمعت الامارة من كل ناح وعند ذلك اشارت سمية به تقول

تقول فتاة الحي سميا الجزينة ودمعي جرى فوق الخدود سيول
الا يا ابي حاشاك ياسيد الملا تروح على يد العدى مقتول
ياحيف عليك يا دياب الغرنم ايا فارس الفرسان يا مجمول
من عاد بكرم للضيوف اذا اتت اذا لفوا بعد العشا المنزول
اياوطفى ابكي ونوحي واندبي ابوك على الايادي غدا محمول
ياحسرتي يا كسرتي بعد خلتي وانهد ركني بالمرض والطول
وراحوا بني زغبي شرايد بعده وما فيهم واحد يسعف المقتول
مقالت فتاة الحي سميا الجزينة وصندوق قلبي قد غدا مقفول

قال الراوي فلما فرغت سميا من كلامها بكوا جميع الحاضرين من قولها وبعد ذلك حضر الامير بريقع واخوته اخذوا اخالهم ودفنوه بعدان بكوا عليه وعادوا الى بني زغبى فوجدوهم طائعين سامعين وجلس بريقع اميرعلى بلاد الغرب وراقت له الاحوال ورتب الملك بحسب مشتهاه واقام شيبان ورزق وزراء عنده والتهي في وسع ملكه وما عاد سال عن اولاد خاله. فهذا ما كان منه واما ما كان من نصر بن زوجة دياب فانها لما قتل زوجها قالت لابنها لا بد من أولاد عمتك يعملوا حيلة عليك ويقتلوك ليرتاحوا من نسل دياب ويخافون منك لئلا تاخذ ثارك منهم فهيا اركب الشهبا وسير لتحتمي عند احد من اصحاب ابوك لبينما يصير وقت مناسب لاخذ الثار قال الراوي فعند ذلك ركب نصر الدين على الشهبا واردف امه وراه وخرجوا من البلاد تحت جنح الظلام ولما أصبح الصباح وطلع ضوء النهار كانوا صار وا بعيدين جدا ولا زالوا سائرين تارة يحولوا يرتاحوا وتارة يسيروا حتى وصلوا الى غدير جبل وعليه

رعيان تسقي جمالها والبنات والنسوان تلعب حواليه فحول نصر الدين بوالدته فاكلوا وشربوا واقاموا مدة ليرتاحوا وقرب العصر ورد الى ذلك المنهل صبية كانها شمس منيرة طويلة القوام كثيرة الدلال بمزيد الابتسام بوجه احمر وخال اخضر رقيقة الخصر طويلة الذوائب بعينين زرق وحاجبين مقوسين شفتاها كالعنا وفمها كانه خاتم الاحباب تسلب عقل من راها بحسنها ودلالها وقدها واعتدالها فلما قربت منه اخرجت اللثام وسبقت فى طرح السلام واما الامير نصر لما نظرها طار عقله واخذت مجامع قلبه وقال اهلا وسهلا والف مرحبا وتقدم اليها وخاطبها فى كلام لطيف وراح يسالها عن حسبها ونسبها ويقول

يقول نصر الدين من نسل غانم ... يامرحبا في نجمة المصباح
اهلا وسهلا نم الفين مرحبا ... والعقل معك ياملیحة راح
بالله اخبرني ياملیحة باصلك ... واين هي مناز لكم مع الامراح
وعن اسم ابوك ياملیحة واسمك ... وعن قومك ان كانو قوم ملاح
لان قلبي ياملیحة انكوى ... وجسمي انضنى والقلب مني راح
وانا يتيم الاب يابنت فافهمي ... مالي مساعد في العنا وتراح
وصرنا ضيوف الخير بن بارضكم ... حتى الهي يحسن الاتراح
ردي جوابي ياملیحة بالعجل ... اخذت الى جسمي مع الارواح

قال الراوي فلما فرغ الامير نصر من كلامه والصبية تسمع نظامه انسحب قلبها مع كلامه وبكت لحاله وطار عقلها معه لما عرفت انه ابن اكبر فرسان الزمان اشارت تجاوبه وتقول

قالت فتاة الحي باني الذي شكت ... جرى الهوى خلل الفؤاد شمالي
حبك ايا صر والله اضنانى ... وادعى لقلبي فوق نار هبالي
ان كنت قاصد يا امير اوطاننا ... اهلا وسهلا فيك يامفضال
هيا بنا يا امير يم نجوعنا ... وحبك بقلبي ليس منه زوال
وارحم فتاة يا ابن غانم تعقلت ... وحبك قلبي ليس منه زوال
وتقضى لقايا العمر معنا سويه ... ونديش بخير وصفوة بالي
مقالات فتاة الحي باني الذي شكت ... نار الهوى حلت عظامي حلالي

قال الراوي فلما فرغت الست باني من كلامها والامير نصر يسمع نظامها كاد عقله يطير من شدة الفرح واما امه تقدمت الى الست باني وقبلتها بين عينيها وقالت لها اذهبي الى ابوك واخبريه بحالنا فان اراد يرسل ياخذنا الينه وذها بنا معك بشين بعرضك وماهو

مليح بحقنا تم ودعتهم وسارت وعندوصولها لعندابوها وقعت عليه وصارت تقبل يديه
وقالت له يا ابى قد لقيت على الغدير امرأة غريبة ومعها ولدها شاب وقد نظرت منهم
مايحزن القلب وهم قاصدينك من بلاد بعيدة واشارت تفهمه عن حالهم وتقول

تقوله بانى يا ابوي استمع واسمع كلامى يا ابى وسماح
نزلت للمنهل يا ابوي بالعجل رايت شابا من امارة ملاح
يدعى بنصر الدين من نسل غانم ابوه دياب الفارس النطاح
جاروا عليه قومه بالظل والامي قتلوا ابوه والعز عنهم راح
وهو صغير السن ماله مساعد اتى قاصد من برها و بطاح
ومعه امه يا ابوى حسنها يشبه لريما بالهلا فضاح
قوم واعزم يا ابوى ضيوفك يا امير صيتك بالورى قد فاح
وبقى لك تذكار في كل الملا يدنون على فعلك بدون مزاح
مقالت بانى يا ابوى بالعجل هي المنازل قربت الافراح

قال الراوى فلما سمع الامير صالح كلام ابنته اخذه العجب وانبهر من هذا الاتفاق العجيب لان دياب كان خاص له امراته من بعض امراء العرب وقتل له خصمه و بقى حافظ له هذا المعروف ولما سمع من بنته ان الامير دياب قتل وابنه على الغدير فرح جدا ووثب واقف على الاقدام وامر العبيد ان ينصبوا صيوان الحرير امام صيوانه وركب فى مائة فارس وسار الى الغدير فتقدم اليه الامير نصر الدين وقبل ايادية وقبله الامير صالح بين الاعيان وقال له اهلا ومرحبا يا ابن الامير دياب وصاحب المعروف وفارس الارض الذى صيته يرعب الاطفال فى المهود و يرجف الاساد فى الغابات وكانت الشمس قد قاربت الزوال فرفعوا نسرين ام نصر الدين على هودج وركب نصر الدين على الشهبا وسار بين الامارة والامير صالح لا يرفع عينيه منه لانه رآه جميلا جدا ورأى قطعته كقطعة الفيل وغلامة الفروسية تشهد له لا تشهد عليه ولما وصلوا الى الحى لاقتهم البنات وامراء العشيرة فحلوا بالصيوان الذى نصبوه ولما دخلوا وجدوه مفروش بالحرير ومزركش ولما استقروا للراحة حضر لعندهم الطعام والمدام و باتوا تلك الليلة وهم منشرحين مسرورين وفي ثانى الايام اجتمعوا الامراء والاعيان عند الامير صالح ابو بانى فاتى بهم الى صيوان نصر الدين فقام لهم على الاقدام ولاقاهم بالترحيب والاكرام وبعدان جلسوا واخبرهم الامير نصر الدين بقصة والده وكيف انهم قتلوه فبكى الامير صالح عليه وجميع رجال قومه وتاسفوا عليه وصاروا يعزوا نصر الدين وقال له الامير صالح لا تتغم يا ولدى

فمن خلف مثلك مامات واصبر على حكم الله لانه قادر على ان يتولك مرادك
والان حيث انا كبرت في العمر وما عاد لي اقتدار فمرادي ان انصبك مكاني حاكم على
العشيرة وقد زوجك ابنتي الامير ولاصداق فتعجب الامير نصر الدين من كرم الامير
صالح ووثب وقبل يديه وشكره على معروفه ثم انصرفوا والامير صالح اخذ بهي لوازم
العرس وارسل الى جميع القبائل يدعوهم الى عرس ابنته فتواردت العربان من كل جانب
ومكان وقاموا الافراح والليالي الملاح ودقت الطبول ونفخت الزمور وصارت الارض
تهوج وتموج مثل ايام هاجوج وماجوج وعين الامير صالح مدة العرس اربعين يوما فنحر
النوق والاغنام ودارت ليالي الافراح ونهار الاربعين زيو واصيوان الامير نصر الدين
والبسوه حلة من الحرير واجلسوه على كرسي من العاج وصارت الفرسان تتوارد اليه
وتتصفصف حواليه وقام الميدان ولعب الجريد بين الابطال وعند ما اخرجوا
العروس من بيت ابيها وهي كالشمس المنيرة وعليها من الجواهر ما يبهج الانظار واركبوها
على هودج عالي من الحرير المقصب وبعدان طافوا بها ادخلوها الى صيوان نصر الدين
واتى القاضي والشهود وعملوا الفروض الدينيه ثم انصرف الجميع وباتوا مع العروس في
في هنا وسرور واصبح ثاني يوم منشرح الصدر مسرور الخاطر وبقوا مدة ايام في مثل هذا
الحال وبعد ذلك اجلس الامير نصر الدين حاكما على القبيلة عوضا عن عمه وباركت له
ذلك الامراء والاعيان وصار يتعاطى على الاحكام ويعدل في الرعيه ويوهب ويعطي
الشعراء والفقراء حتى احبة القريب والبعيد وصارت تنقل ذكره الشعراء من مكان الى
مكان ويوصفوا كرمه وجوده وصاره ايضا يركب الى الغابات ويصطاد الاسود
والفهود ويسطى على كل عاصي ونمرود حتى طاعت لحكمه كل القبائل وصار له اسم وهيبة
اعظم من ابوه قال الراوي فهذا ما كان من الامير نصر الدين وما كان من الامير ربيع ملك
تونس فانه بعد قتل الامير دياب كثر ظلمه وطغى وبغى وتكبر ولا عاد يفرق بين الامير
والفقير واكثر جوره كان على بني زغبي وانعكف على معاشرة النسوان واللهو واللعب حتى
كرهه القريب والبعيد ولا سيما بني زغبي ولما اعيام الامر اجتمعوا عند الامير خطار احد
امراء بني زغبي وقالوا له انينا لنستشيرك في امورنا لان ما عاد لنا طاقة على حمل ظلم اعدائنا
وهم دائما يتسلطون علينا والناوحرمنا فلما سمع كلامهم الامير خطار اطرق رأسه الى
الارض برهة ثم رفع راسه وقال يا قوم انتم عالمين بحالكم هذا العمل لا نكم تهابونه وما احد
منكم شهر سيف في وجوه اليتامى وقتل الامير دياب وما انهيتم لقتله ولكن انتم تعرفون
ان لا يفرجكم من هذا الضيق الا الامير نصر الدين لانه فارس مغوار فالاوفق نستخبر عنه

تدبير هذا الامر الا منك فعند ذلك ارسل الامير خطار استدعى رجل شاعر خبير بالبلاد
والقبائل اسمه ناصر وقال له مرادنا تستقصي لنا خبر الامير نصر الدين واطلعه على القصة
فقال على بذلك ولكن اعطوني رفيقين فاعطوه واحد اسمه منصور والاخر اسمه حامد
فلبسوا ثياب الشعار واخذ الربابات على اكتافهم ومشوا من ذلك اليوم وصاروا يطفوا
البلدان ويمدحوا العباد بقوا على ذلك مدة شهرين حتى وصلوا الى غدير ماء في بلاد الفاس
والمكناس فجلسوا على الغدير راى تاجوا جماعة من الرعيان فسلموا على كبيرهم وسالوه عن
بلادهم اذا كان موجود امير كبير يمدحوه فقال لهم كبير الرعيان اذا كان قصدكم العطا
فاقصدوا البحر الغزير والفارس الخطير والسيد الشهير نصر الدين فقال ناصر له من هو هذا
الامير قال له هذا امير حجازي اتي الى بلادنا لان قومه من بني هلال قتلوا ابوه وتزوج
بنت امير ناوصار الحاكم على بلاد القدس والمكناس ولا اظن يوجد افرس منه على وجه
الارض وقد سمعنا ان ابوه كان فارس مشهور وبطل صنديد قهر الملوك والابطال واسمه
الامير دياب فلما سمع الشاعر ناصر هذا الكلام كاد يطير من الفرح وقال له بالله عليك يا ابن
العم دلنا على هذا الامير فنحن من عربه ويصير لك عنده المقام الاكبر لانه ينصر بنا ويحب
ان ينظر نا ومعنا له اخبار عن اهله فسار كبير الرعيان امامهم حتى وصلوا وجدوا المجلس
محبوك فجلسوا في الخارج فالتفت نصر الدين وجد شعار خارج الباب فشافهم فقال لهم
تفضلوا يا شعار شرفونا فدخلوا قام ران ياتوهم بالزاد فاكلوا واحضروا لهم القهوة وبعد
ذلك قال لهم الامير نصر الدين هاتوا سمعونا يا شعار ما عندكم من الاشعار فعند ذلك اخذ
ناصر ربابته واشار يمدح الامير نصر الدين ويقول

يقول الفتى ناصر على ما جرى له ... ودمع عيني على الخدود ذروف
يا ملك اسمع كلامي وقصتي ... وافهم الى قولي وكون نصوف
نحن اتري شعار بارض كلها ... نقصد ابواب الخيرين نطوف
طفنا بلاد السرو والكرع واليمن ... ودرنا المدابن سهلها وحروف
وجينا النحو الغرب تونس بلاخفا ... الى عند امير فاقد المعروف
يدعي بريقع ولد الهلالي ابو علي ... له صيت اشنع من حريق الصوف
دخلنا لعنده يا ملك في قصره ... مدحنا في قول مليح ينوف
من بعد قولي يا ملك جاد بالعطا ... اوهب لنا عنزة ومعها خروف
قلت له بريقع ما تخشى بالعطا ... ما هي الا ابو علي الموصوف

فامر بضربي ثم ضرب رفاقي ٥٣٢ قما هربنا والعقل صار خفوف

جينا الى يم خطارا اميرا بحر با ... ولد ناصر السيد الموصوف
امر لنا في الف دينا احمرا ... ومايه ناقه والف رأس خروف
ومايه شقا من حرير غاليا ... وعشرون احمر من اخيول هدوف
وقال لنا بالله اعزرونني ... اني مقصر بالعطا ياضيوف
ودرنا على كل الزغابي جميعهم ... تراهم كما زهر الربيع هفوف
ولكن ترى سلطانهم بريقع منكدا ... له وجه معتم اغبر مكسوف
وذا يقين الصبر منه يا ملك ... يبكون على عزهم كان يترف
لما دياب الخيل راح وارتحل ... ذهب عزهم والعقل عاد خفوف
لما اردت وداعهم قد وقفوني ... يوصيني وصايا كاملة الوصوف
يقولون لي بالله ياشاعر استمع ... لنا فاقد بالفلا موصوف
يدعى بنظر الدين من نسل عانم ... وابوه دياب الفارس المعروف
ان كنت توجده لنا يا شاعر ... نعطيك كل ملاكنا وحروف
وقول له يركب الينا وينخدر ... من فوق شهباشبه بحر يطوف
عسي يعود السعد الينا يرتجع ... وتعود ايام الهنا ونشوف
فرجنا ندور في البلاد جميعها ... لعلي تلاقي الفارس المكارف
وتاخذ البخشيش من الزغبي ... ويزول عنهم الهم والمتلوف
سمعنا بصيطك قبل ان ندخل للحما ... بانك صميدع فارس معروف
قصدنا عتابك يا ملك جودبا لعطا ... واجبر فؤادي لاتكون مخوف

فلما فرغ ناصر من كلامه انهلت الدموع من عيون الامير نصر الدين وتحركت فيه نخوة الزغابي وبعد برهة قال للشعار ياشعار قد غمرتموا في معروفكم ثم اشار بلثامهم بنفسه ويقول

يقول الفتى نصر الدين فيما جرى له ... ودمعي جرى فوق الخدود وهان
كلامك ضنا ني وهد حيلي وقوتي ... كوى فؤادي واشعل النيران
وفكرتني في قوم كسروا بخاطري ... وخانوا ابو بالسيد الشجعان
انا ربيت بالعز في دار والدي ... دياب ابن غانم فارس الفرسان
ولما انقلب فينا الزمان بفعله ... قتلوا ابوي قومه الكشحان
وقوم زغبي خامروا على بن غانم ... ومعلون رجل في عزوته قدخان
ان قدر الرحمان اخذ بثاره ... بعون ربي خالق الاكوان

وبزول عنا الهم والغم والاسي ويصير قلبي منتعش فرحان
فبالله ياشاعر اذا جيت حينا سلم على اهلي مع الاخوان
احكي لهم بالصدق عن نار مهجتي واني لهم مشتاق واحسان
لابد ياتي يوم بنصر خاطري اجيبهم على شهبا كما الحيتان
واقتل عدوي ان ارادربي يساعدني وقولي صحيحا ما به بهتان
انا نصر الدين زغبي كتوني ابوي عيساره راجح الميزان
من بعد شهرا كاملا ياشاعر اقصد منازلكم مع الاوطان
وافني اكابرهم وكل جموعهم واحكم بلاد الغرب والبلدان
واجلس على تخت الزنانى خليفه سيفي يطيع شوكة العصيان
وانتم لكم ياشعار مني عطية عطية كريما ليس هو فزعان
لكم ترى الفين ناقة محملة والف شقة مختلفة الالوان
ومية حمرا من سلايل خيولنا والف فاطر باللحوم سمان
ومية بين عبدا كي تسوق جمالكم ومية بين عبده تتبع الرعيان
والف درعا والف سيفا مسقطا والف خنجر قبضته مرجان
والف خوده ياشعار مذهبة والف رمحا من عواد الزان
وخذوا لكم الفين دينار احمر تسعف لكم في عمركم وزمان
اسالكم بالله لا تؤاخذوني اني مقصر بالعطا وهان
مقال نصر الدين عما جرى له صبرا جميلا والمقدر كان

قال الراوي فلما فرغ نصر الدين من كلامه فزوا الشعار واقفين على الاقدام وكشفوا عن وجوههم اللثام وقالوا له والله نحن من اولاد عمك وقد اتينا بصفة شعار لندور عليك في البلدان حتى تجي وتخلصنا من ظلم بني هلال والحمد لله الذي وجدناك في هذا العز فلما عرفهم الامير نصر الدين وثب عليهم وجعل يقبلهم ويسلم عليهم ويسالهم عن الامراء واحد بعد واحد ثم قال لهم لزم ان تبقوا عندنا ثلاثة ايام وبعد ذلك روحوا ابشروا اقوموا اني بعد ثلاثين يوم ارحل من هنا بقومي وبعد ستين يوما اكون عندهم وانرج عنهم العار ويعود لهم الزمار كما كان فاقاموا عنده ثلاثة ايام وبعد ذلك خلع على كل واحد منهم خلعة ملوكية وان تساق امامهم الانعام فاردوا ان يستعفوا فقال لهم لابدان تاخذوها الاني سمحت لكم فيها حينما كنتم شعارونا لا يمكن ارجع بما اعطيت وبعده ركبوا واحضروا لهم كل ماوهبهم وساروا يقطعون البراري والقفار حتى وصلوا الى بيوتهم واخذوا

لانفسهم الراحة فعرفت بنى زغبى بقدومهم فاتوا وسلموا عليهم ومعهم الامير خطار وبعدان شربوا القهوة قام لهم الامير خطار هاتوا بشرونا بالذي رايتوه فراح الامير ناصر يخبرهم بالذى رآه و يقول

يقول الفتى ناصر عما جرى له ... اياقوم اصغوا للحديث الذى جرى
درنا بلاد المغرب والدبرى جميع ... حتى بلاد الفرس وارض الكوجرا
دلنا الى مكناس فى عشر ارجب ... ولهم ملك والله سبعا غضنفرا
اشقر ظريف القد حلو اسمه ... يشبه دياب الخيل يا اهل الورى
ماشفت مثله بالكرم اهل الكرم ... يجرى عط ممثل فيض الابحرا
وقال لى روحوا الاهلى و بشروا ... الى عموا وخوالنا والاصهرا
لازم اجيهم فوق شهبا مبرشمة ... تشبه الى ريح شمال اذا جري
واقتل عدوي واشتفى من قتله ... وافنى اكابرهم كذاك الاصغرا
انا نصر الدين ما فى غبا ... ادعي الفوارس بالحروب مقهقرا
اوهب لنا هذه الاموال جميعها ... تعجز ملوك الارض عنها وتقصرا
يا آل زغبى ابشروا فى سعدكم ... قد غاب نجم النحس عنكم والدرا
من بعد شهرا كاملا ياتى لكم ... شبه سبع لو قلت من موكرا
شدوا حزام خيولكم يا قومنا ... جانا الفرج من عند رب المقدرا

(قال الراوى) لما فرغ الامير ناصر من كلامه والزغابى تسمع لظامه طاروا من شدة الفرح وما احد الا وتقدم وقبل الامير ناصر وادوله الشكر الجزيل ودارت الافراح فى الحى واخذوا من ذلك الوقت يهنوا اهلهم الى الملتقى وعند فروغ اليوم المعين خرجت الامارة الى خارج البلد وطلعوا الى تل عالي ونظروا الى البرساعة من الزمان والا نظروا عن بعد غبار فصبروا عليها فانجلت على خيل راكب على ظهر شقرا كانه البرق الاو وصل اليهم فقالوا له من اى موضع قادم قال من عند سيدى الملك حاكم الفاس والمكناس الامير نصر الدين وسبب قدومى هو لكي ابشر بنى زغبى بشريفة فى هذا النهار فعند ذلك اعطوه خبر الى كامل بنى زغبى فخرجوا تسعين الف فارس بالحديد غواطس ومعهم الراية البيضا التى كان ينشرها السلطان دياب فخرجت مشيخة الشباب ستين الف فارس وخرجوا قوم بنى قايد تسعين الف فارس واما جملة الذين خرجوا الى الملتقى مايتين وار بعين الف فارس من كل مدرع ولابس فى الحديد غواطس اما من العبيد والنسا والاولاد لا يعلم عددهم غير رب العباد ولما تكامل خروج الفرسان مشوا

جميعهم مقدار ساعتين من الزمان فوصلوا الى مكان واسع جميل المنظر وذلك المكان يدعى عين برشان فحولوا هناك وما اخذوا لانفسهم راحة الا والغبار غبر والجو يعلا الصفا تعكر وثار ذلك الغبار حتى لحق عنان السماء بعد ساعة انجلى ذلك الغبار فبان عن بيارق مغربية وخيول شامية وفرسان مكناسية ورماح خطية وسيوف عجمية ودروع داودية وخودة سليمانية وطوارق هندية وفي اول تلك الخيل فارس طويل القامة عريض الاكتاف اشقر اللون ازرق العينين عليه درع داودي مطبق في الزرد وعلى رأسه خوده من عمل الهند وعلى كتفه رمح طويل مكعب وعلى يساره سيف مشطب وزاكب حجرية عربية كانها الحمامة الشهباء بذت الخضرا الاصلية وهو على ظهرها كانه نمر جارح اوليث فاضح وهو لاسد المهاب والفرخ العقاب مشعل النيران في الهضاب السبع الاروع والبطل الصميدع الملك نصر الدين الزغبي بن الملك دياب الذي خضعت له صناديد الرجال وعلى يمينه عمه الملك صالح النمر الجارح وعلى شماله بن الامير صالح الامير محازم الليث الحازم ومن وراه عشرين راية وتحت كل راية خمسة الاف فارس ليوث عوابث فلما وصلوا البعضهم البعض حول نصر الدين على عين برشان واخذ يسلم على كافة الفرسان كل امير بمفرده وبعدها امر في نصب الخيام في ساعة وكان كل شيء متمم ونصبوا الى الملك نصر الدين والى عمه صيوان على خمسماية عامود من النحاس الاصفر وعشرون الف طنب وذلك الصيوان من الحرير الاخضر في اعلاه تفاحة من الذهب الاحمر ومن دواخله منقوش من تواريخ الاولين وعليه صور ملوك القدماء السالفين فجلس الملك نصر الدين على كرسي من الذهب وجلس عمه عن يمينه وبن عمه على شماله وسحبت العبيد السيوف وتمثلت امامه والخدم بين يديه والشاويش ينادون العزة لله الواحد القهار (قال الراوي) فهذا ما كان من امر الملك واما ما كان من بريقع بن حسن اجتمع مع وزيره شيبان وقال له ارى اليوم بني زغبي خرجت لخارج البلد وهم في ضجة عظيمة فما عساه يكون في ذلك فقال له ليس عندي علم بشيء وهم في الحديث والا دخل عليهم بعض العبيد وقال اعلم ايها الملك ان الفرسان ملاء الارض واتى من بلاد الغرب ملك عظيم وخرجت بنى زغبي الى لقياه وقد اجتمعوا به على عين برشان وقد سلموا عليه سلام لاخوان فلما سمع بريقع ذلك الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام والتفت الى شيبان وقال له ارسل من يكشف لنا خبر القوم فارسلوا جاسوس فسار ودخل بين بني زغبي وعرف المضمون وعاد وخبر بريقع فلما سمع بريقع هذا الخبر صرخ صوت من ملو رأسه وقال وحق من خلق السماء ورفعها من عمد بسط الارض لاذيقهم عبرة لمن اعتبر

واحدر ثه بين البشر وما يكون قدر هذا العاق بين الفرسان فوحق من كون الاكوان
لا دعى سنان رمحى فى صدره وسينى البتار فى عنقه وحالا امر فى دق الطبول ونادى على
الفرسان لتعتلا على ظهور الخيول والتمت الفرسان وركبت الشجعان اما من بريقع
لبس درع ابوه وتقلد بكامل السلاح وتعلا على ظهر الحيصا والامير شيبان عمل مثله
وخرجوا من تونس فى مائة وثمانون الف فارس اسود قشاوس ولما قربوا الى عين برشان
نظرتهم الاعيان تراكضت الفرسان الى ظهر الخيول ووقعت العين على العين واصطفت
العسكرين واما الملك نصر الدين لم يتحرك من مكانه وكانه لم يرشى (قال الراوى) انه لما
دق طبل البراز برز الامير شيبان بن الامير ابو زيد الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان
وقال لا ينزل لى لا كسلان ولا بليد الا السادات الاماجيد فلما نظره الامير نصر الدين
قال من هذا الفارس قالوا له هذا هو شيبان بن ابو زيد فهم ان ينزل اليه فسبقه الامير محارم
بن اخ الامير صالح وصدمه صدمة جبار فتلاقاه الامير شيبان فتلاطما وتلاحما الى ان
طلع من الاثنين ضربتين قاطعتين فكان السابق فى الضربة الامير محارم فطعنه بين
الزين طلع الرمح يلمع من بين اللوحين فوقع الى الارض يخبط فى بعضه البعض فلما
نظر بريقع بان شيبان قتل برز الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان وقال لا اريد ينزل
الى حربى غير اميركم يا انعم كلامه حتى صار الملك نصر الدين امامه فقال له بريقع اين كنت
مخبى يا نسل الاوغاد نقال له نصر الدين اسكت باردى لو كان فيكم فارس لما تركتكم للان
ثم التقاه كما تلتقى الارض العطشانة اوائل المطر وصار الامير نصر الدين يقتل حوله
بريقع فى الشهبا مثل حجر الطاحون واما بريقع وجد حاله مع خصمه مغلوب وصار
يستغنم الفرصة لكى يفر من امامه ولكن الامير نصر الدين لم يمكنه من ذلك بل هجم
عليه وصرخ فيه صوت حتى سمعت له الخيل اذانها وقال له الى اين تهرب يا كلب العرب
وابن الزغبى راك فى الطلب وجذب سيفه الصامى من غلافه وقال له الله اكبر ونزل
به على الامير بريقع فقسمه هو والجواد اربع شقف واوما بيده الى بنى زغبى فانطبقوا
على بنى زحلان مثل القضاء المنزل فما كنت ترى الا روس طائرة ودما فائرة والفرسان
غائرة والغبار غطى العنان (قال الراوى) فما سلم فى تلك الوقعة سوى اربعون شخص
من بنى زحلان فعندها دخل الملك نصر الدين الى تونس وطلع على قصر ابوه وتسلطن
على كل بلاد الغرب وصفيت له الاحكام وطاعته جميع الانام وما زالوا فى بسط وافراح
مهناحين من الحروب والشرور حتى اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات

﴿ تمت تغريبة بنى هلال بعون الملك الوهاب ﴾

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59574127
ME06329
Taghribat Bani Hilal